الجزء الثالث [illegible] الجغرافية العمومية

[illegible] ملطبرون تعريب الفقير

الى الله تعالى رفاعة بك

ناظر مدرسة

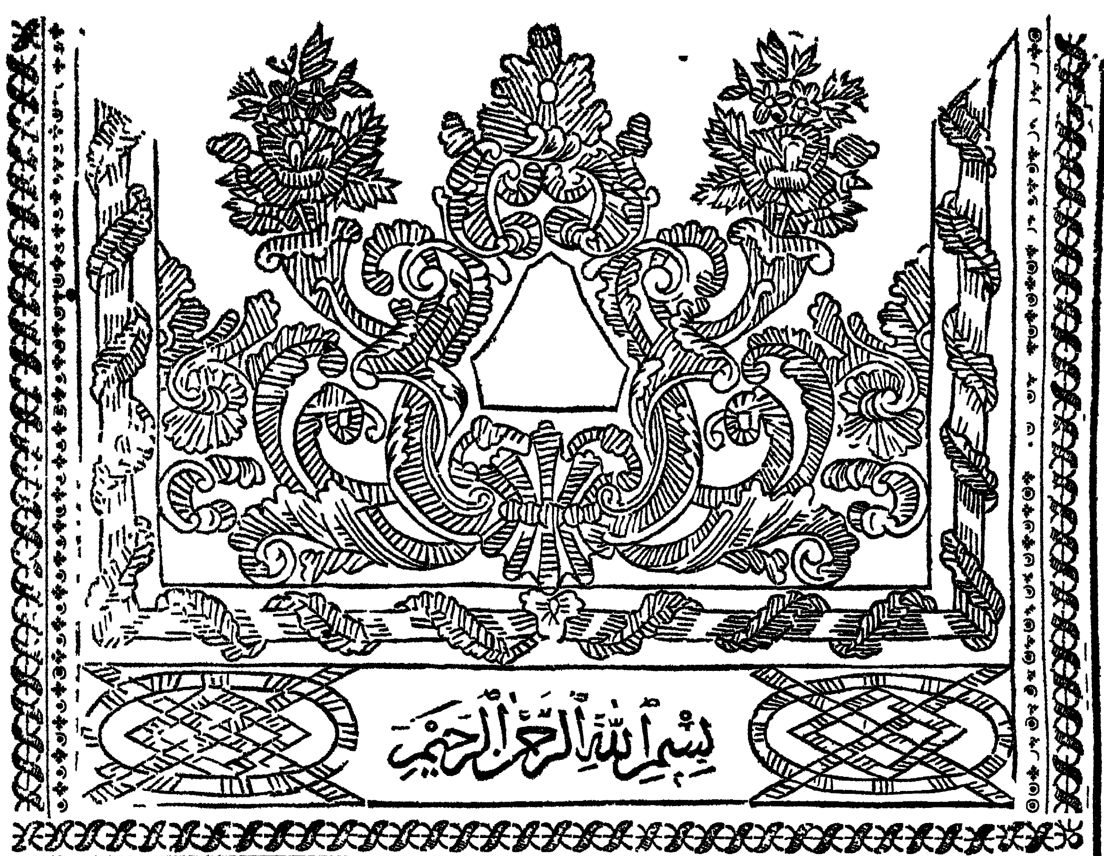
الالسن وقلم

ترجمة .



بيان ما وقع فى الجزء الثالث من الجغرافية العمومية من الخطأ والتنبيه على ما هو الصواب

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
بجنجزيرة	بجينجزيرة	٠٥	٣٣
تحرير	تحرير	١٠٥	٤١
تتخالف	تتخالف	٠٨	٢٥
مد	مدة	١٩	٠١
لجميع السهل	بجميع السهل	٢١	٢٤
لسا اللسجستانية	لسان اللسجستانية	٢٥	بالهامش
الكنيسة	الكستة	٢٥	١٨
نسجية	لسجية	٢٥	٣٠
غلندنستد	غلدنستد	٢٦	٠٨
الصنوبر الحلبي	الصنوبر الحلبي	٤٠	٠٥
احجار والزاط	احجار الزاط	٥٣	١٤
والبروة الشتائية	والبرودة الشتائية	٥٦	٢٩
خدلديا	خلديا	فى جدول صحيفة	٦٠
كنغر	كنغريا	فى جدول صحيفة	٦٢
ثم الملة المقلبة	ثم الملة الملقبة	٦٦	٢٣
تحدق	يحدق	٦٩	٢١
موالا	اموالا	٩٠	٠٦
فى الجنوب الغربى	من الجنوب الغربى	٩٦	١٤
من اسلفها	من اسفلها	١١٧	٢٠
اوجرأ	اوجزء	١٤٦	٣٣
فى اثنين واربعين	فى اثنتين واربعين	١٤٦	٣٤
شخصان	خصان	١٦٥	٢٩
كوة	كورة	٢٠٧	بالهامش
-	حبة	٢٦٢	٢٧



❋ (الجزء الثالث فى الجغرافيا العمومية) ❋

❋ (المقالة السادسة والاربعون) ❋

تخطيط اسيا ❋ تعميمات على هذا القسم ❋ ذكر جبال آسيا وانهارها وبحارها واجوائها واعتدال قطرها وتولداتها واهلها واحوالها المدنية والبوليتيقية

اعلم ان آسيا على مقتضى الاخبار المقبولة هى اول ولاية خرج منها انوار التمدن العام الذى انتشر على غيرها فبها نبتدئ سلسلة تخطيطاتنا التى بعد تمامها تشبه سفرا يطاف فيه حول الدنيا

ثم انه لا شئ يدل على ان قدماء الآسيين كانوا يعرفون تقسيم الكرة الى هذه الاقسام الكبيرة التى نسميها اقسام الارض ولم يقم شئ من البراهين على انهم كانوا يسمون القسم الذى يعمرونه باسم آسيا فحدس العالم بوشرت ان آسيا كلمة عبرانية اوصورية ومعناها الوسط لم يقم عليه اصل تاريخى ومثل هذا يقال فى تخمين بعض علماء الاشتقاق فى ادعائهم نسبة سرية بين آسيا وآس الذى هو عند بعض امم الافرنج اسم فى الغالب لصنم من الاصنام ولا نعتمد على شئ من هذا بل لا نثق الا بما هو محقق فنقول ان لفظ آسيا على مقتضى كلام اوميروس وهردوط واوريبدس اسم لولاية من ولايات ليديا مسقية بنهر قيسطره ومما يدل على ذلك ايضا ان بهذه الولاية كما قاله بعض المتأخرين عن اوميروس وغيره قبيلة تسمى الاسيونه ومدينة تسمى آسيا فالظاهر ان اليونان توسعوا فى هذا الاسم الذى هو اسم اقليم فاطلقوه على جميع ولاية آسيا الصغرى المسماة اناطولى ثم بعد ذلك اطلقوه على الولايات الشرقية شيأ فشيأ على حسب معرفتهم لها على التدريج ومثل هذا ماوقع للاسماء الافرنجية فان الفرنساوية توسعوا فى دوقة المانيا فاطلقوها على جميع بلاد الجرمانية كما ان اسم ايطاليا كان موضوعا لكورة صغيرة من اقليم كلابرة فاطلق توسعا على جميع الجزيرة وقد كان لا يدل الا على جزء صغير

اسم آسيا

ثم ان حدود آسيا بعضها طبيعى ثابت لا يمكن الاختلاف فيه وبعضها قابل للمناقضة ففى الجنوب الغربى يفصلها بوغاز باب المندب وخليج العرب من افريقية وبرزخ السويس يجمع آسيا بافريقية فى جهة واحدة وفى جهة الغرب تنفصل آسيا من اوروبا بالبحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل وبغازى الدردانيل واسلامبول وبالبحر الاسود وبوغاز كفا لكن من بوغاز كفا الى بوغاز ويغتز بقرب زمبله الجديدة يكون حدها غير محقق ثم ان المشهور الآن هو رأى اغلب القدماء وهو ان نهر تنايس المسمى الآن نهر دون اوتن هو الحد الطبيعى بين آسيا واوروبا ولكن لما كان بجريان هذا النهر ازورار وانعطاف وكان لم يكن للاقدمين به

حدود آسيا

نهر تنايس

الامعرفة

الا معرفة بهذه هيئة اودى ذلك بالجغرافيين الى الوقوع فى ربقة الاراء المتناقضة فبعضهم رسم خطا فى مصب نهر دون الى مصب نهر دوينا فى البحر الابيض وبعضهم جعل مسير هذا الخط على نهر اوبى وكلا هذين المذهبين انما هو مبنى على مجرد هوى نفس صاحبه واما علماء مدينة بتربرغ دار سلطنة الموسقو فانهم برهنوا على اصل لا يمكن مناقضته ابدا وهو ان سلسلة الجبال الاورالية المسماة الورشوطوريه هى الفاصل الطبيعى بين اوروبا وآسيا الشمالية ثم ان المعلم پلاس لما لحظ رأيه على ان يجمع الحدود المقبولة الآن بالحقوق التخيلية التى ابتنتها العقائد الفاسدة لنهر التنايس رسم خط تحديد يتبع محيط السهول الواسعة المالحة التى هى ساحل بحر الخزر شمالا

الحدود المغربية على رأى الحكيم پلاس

ويبقى منه فى آسيا اقليم اورنبرغ واژدراخان ويجتاز نهر الاتل فى زاريزين ثم يجيء فيختلط بنهر دون وهذا الترتيب الذى ذكره الحكيم پلاس يلزم عليه تقسيم نهر عظيم بين قسمين من اقسام الدنيا وان كان هذا الحكيم لم يعتمد فى الغالب الا على امور طبيعية لكن هذه الامور الطبيعية ليست قوية بحيث يكون لها مدخلية فى الجغرافيا

وعلى رأينا

واما نحن فاننا نوافق هردوط وافلاطون وايراطستينس وغيرهم من المتقدمين الذين تركوا اغلب مجرى نهر دون وحددوا آسيا بخط يحسن انتهاؤه ببرزخ كوه قاف وهذا الخط معلم بجريان نهرى مانيچ وقوما وعلى فرض هذين النهرين كانت تختلط مياه بحر ارق وبحر الخزر لو كانا مرتفعين بتسوية نحو مائتى قدم ونهر مانيچ يصب فى نهر الدون الذى يمكنه مدة مسيره عدة فراسخ ان تبقى له مزيته القديمة وهى فصله بين اوربا واسيا ولكن اخترنا بعد أن امعنا النظر هذا الحد على الحد الذى يتبع مجارى نهرى قوبان ومارق الذى استحسناه فيما سبق ومن مصب نهر قوما نجد أن بحر الخزر يحد اوروبا الى مصاب النهر العظيم المسمى نهر يايق وهو الذى سمته قيصرته الثانية قيصرة الموسقو باسم اوفق للجغرافيا وهو نهر اورال وهذا النهر من حيث انه يوصلنا الى جبال اورال يتم مجموع الحدود الطبيعية التى نبحث عن تحديدها

انفصال آسيا من امريقة

ومن بوغاز ويغتز نجد البحر المنجمد يحد آسيا ولا يعلم هل الاراضى التى تلمح فى شمال سيبير جزائر مثل زمبلة الجديدة او نهاية امريقة وعلى كل حال سواء كان البحر المنجمد بحرا حقيقيا او بوغازا مستطيلا محصورا بين اراض وجزائر فمن المحقق الآن انه يتصل باسيا الشمالية من جميع الجهات وان آسيا منفصلة انفصالا كاملا من امريقة الشمالية ببوغاز بهرنغ

حدود آسيا من جهة الجنوب الشرقى

وفى ابتدائنا من هذا البوغاز نجد ان المحيط الاكبر المسمى البحر المعتدل هو الحد الشرقى لاسيا ولما كانت جزائر الوتيانية والجزائر المجاورة لها اليسيت الامتداد بجنيجزيرة الشكا لزم ان تعد من جزائر امريقة

لكن اى حد نعطيه لآسيا جهة الجنوب الشرقى هل يلزمنا ان نتبع الخطاء القديم فنقول ان جزائر مريانه وجزائر فليپينة وجزائر الملوك وجزائر سليبه وجزيرة برنيو وجزيرة جاوا نعد من آسيا وان غينيا الجديدة وابرطانيا الجديدة لا يعدان منها جوابه لا وذلك لانه ليس ثم حد طبيعى متى دخلنا فى مجمع الجزائر العظيم الذى يمتد بين المحيط الاكبر وبحر الهند ولا يمكننا ان لا نقول ان فى بوغاز ملقا والمجاز الذى بين جزائر فليپينة وجزيرة فرموزة اوفق حد طبيعى لآسيا فجميع الجزائر التى على شرق هذا الحد الى زلندة الجديدة وجزائر الشركه تكون بالبداهة قسما خامسا للدنيا وجزيرة الفلمنك اصلا لهذا القسم اشبه بساق الشجرة الذى يتفرع منه اغصانها واذا نظرنا ببادى الرأى على خرطة جديدة مرسوم عليها بحر الجنوب وجدنا براهين قائمة تدل اصحاب المعرفة على صحة هذا المذهب وعلى الثمرات التى تحصل من القول به فى التقسيم الترتيبى المسهل للتخصصات الجغرافية

حدود آسيا جهة الجنوب

وفى الجنوب بحر الهند يفصل اسيا من افريقة بحيث ان جزائر ملديوه تعد من اسيا وجزيرة فرانسا وجزيرة الاجتماع وجزيرة ماده تكون من افريقة وان كان المتداول على السنة التجار والبحرية الفرنساوية جعل هذه الجزائر الاخيرة من الهند الشرقى على ان جزيرة سوقطرا التى هى من افريقة اتفاقا هى فى كثير من المؤلفات تعد من آسيا

حدود سيا

طول اسيا وعرضها

فاذا حصرنا آسيا فى الحدود التى ذكرناها ظهر ان سطحها يمكن ان يقوم بقدر ٣٩٦٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠٠٠ مريامتر مربع واعظم طول هذه القارة اذا اخذناه خطا مائلا من برزخ السويس الى بوغاز بهرنغ فانه يكون ١١٨٨ مريامترا فاذا اخذنا طولها عند الموازية المكملة للثلاثين المارة ببرزخ السويس الى ننكين فانه لا يكون الا ٩٦٠ مريامترا واذا اخذنا ذلك الطول من بوغاز الدردانيل عند موازية ٤٠ الى جنيجزيرة كورة فانه يكون ٩٦٥ مريامترا وعند الدائرة القطبية يكون ٥٦٩ مريامترا وعرضها من

الشمال للجنوب يقاس بين رأس قمرين فى الهند ورأس تيمويا فى سبير ويبلغ هذا العرض قدر ٦٨٢ مريامترا فينتج من تقدير الطول والعرض بما ذكر ان اغلب ارض آسيا موضوع فى المنطقة المعتدلة الشمالية فما يوجد منها فى المنطقة المحترقة فانه يظهر لنا انه $\frac{1}{7}$ المجموع كما ان ما يوجد خلف الدائرة القطبية لا يزيد عن $\frac{1}{17}$ ولكن ثم امور خارجية طبيعية جعلت نحو نصف آسيا عرضة لاعمال برد القطب واذا اردنا ان نعرف معرفة صحيحة انواع امزجة القطر المختلفة الموجودة فى آسيا فعلينا ان نشرع فى تمييز خمسة الاقسام العظمية الطبيعية التى اليها انقسمت آسيا انقساما طبيعيا

اقسام طبيعية عظمى

فلننبه اولا على الهضبة العظمية التى ترتفع بين متوازيى ٣٠ و ٥٠ وتمتد من بحر الخزر الى بحيرة بيكال ومن منابع نهر السند الى سور الصين وهى مشهورة باسم نجد التتر او هضبة التتر وهذه التسمية ليست منطبقة انطباقا كليا فالاقرب للصحة ان تسمى آسيا الوسطى او المركزية وهى مجمع جبال وصخرات بالغة النهاية فى العظم وسهول عظيمة الارتفاع فيظهر عدة اشياء لا سيما قطعتا جبال بارزتان فوق نفس هذا القسم المرتفع فى نفسه وهما اصل سلاسل الجبال العظمية الممتدة بآسيا فاحدى هاتين القطعتين متكونة من جبال التبت التى لا تنقطع من اعالى اوديتها الثلوج دآئما وان كانت فى عرض ثلاثين درجة والظاهر ان ارتفاعها ابلغ من ٣٠٠٠٠ قدم ومنها تخرج سلاسل الجبال التى هى كنتيسه وهيماله وغيرهما وتمتد جهة الهندستان وتجتمع فى الجيجزيرة مع سلسلة الجبال المسماة الغتة التى تنتهى برأس قمرين ثم ان جبل مستاغ الذى كان يسمى عند الاقدمين ايماوس يمتد ايضا من بلاد التتار ويجتمع بواسطة جبال فارس الى جبال عرارة وتوروس وكوه قاف التى هى اصل آسيا الغربية ومن جهة اخرى تمتد سلاسل جبال عديدة نازلة فى الجيجزيرة التى خلف نهر الكنك وتقطع هذه الجيجزيرة الى اودية طويلة متوازية فاحد هذه الاودية يمتد الى داخل بجيجزيرة ملقا ويظهر كانه يدخل من هذه الجيجزيرة الى الارخبيل العظيم الذى نعتبره قسما خامسا من اقسام الدنيا وثم جبال شامخة فى الجملة ولكنها متقاربة تملأ الاقاليم الشمالية والغربية من الصين وتنتهى بمسابط مربعة وسطوح وفى شمال هذه السلاسل تجد سهلا مرتفعا ولعله اعلى اقطار الكرة وهو الصحرآء الواسعة المسماة صحرآء قوبى اوشاما وليس هنالك الا بحيرات مالحة وانهر صغيرة تضل فى متراكم الرمال والحصا فتجد عدة مراع وحشائش حقيرة متفرقة فصارى امرها انها تذكرنا آثار الزروع وهذا السهل المرتفع الذى هو هضبة عظيمة يمتد من منابع نهرى السند والكنك الى خلف نهر امور المسمى نهر سغليان وطوله يكون من ٢٣ الى ٢٤ درجة من دآئرة الاستوآء وعرضه يكون من ٣ درجات الى ١٠ من العرض وتنتهى الهضبة شمالا بمجموع جبال اخرا على جبل منها كما قاله بلاس يسمى بغدو ومن رأس هذا الجبل الذى هو بمنزلة المركز المشترك بين هذه الجبال تتشعب سلسلتا جبال منها فرعان متوسطا القدر وفرعان عظيمان فالفرع الذى يهتدى جهة الجنوب فيسمى هنالك جبال مسرت لا يظهر الا فى شكل حلقة تربط هضبة المغول بهضبة التبت وثم فرع آخر ثانوى شبيه بذلك الفرع يسمى جبل علاك يتوغل جهة الغرب ويحتاز بلاد التتار المستقلين المسماة بخارى ويقرب فى جهة بحيرة ارال المسماة بحيرة خوارزم من الجبال الاورالية وفى الجهة الثانية يجتمع هذا الفرع مع جبال بلور التى تفصل بين بخارتين الصغرى والكبرى وتجتمع بجبال فارس الشرقية وشمال الهند فحينئذ جهة الغرب تجد الجبلين الاصليين متصلين بغيرهما من سائر جهاتهما ويمكن اعتبارهما رأسين من هضبة واحدة وقلتين لها وحينئذ اذا رجعنا للفروع العظمية لجبل بغدو رأينا احدها يمتد جهة الشرق ويسمى هنالك كنغاى فيسير ببلاد المغول و بلاد التتار الصينيين وينتهى جهة بحرى كوره و يابونيا فهو فى الحقيقة اقرب الى كونه هضبة مستطيلة من كونه سلسلة جبال حقيقية وثم فرع آخر يسمى التاى يمتد فى سبير الشرقية وهو منقطع بحلوق عميقة يجتاز بها نهرا اوبى وينزية حين نزولهما جهة سهول سبير وثم فرع آخر شبيه بهذا الفرع المذكور يتكون منه فى شرقى بحيرة بيكال جبال الداوورى المسماة جبال نرجنسك وهى تمتد جهة قمچتقا وجهة بوغاز برنغ

القسم الاول الهضبة الوسطى*سلسلة جبال

جبال التبت والهند

صحرآء قوبى اوشاما

جبال المغول

جبال بلور

جبال سبير

فتسلسل جبال الب فى اوروپا وتلك الجبال فى آسيا هو اعظم تسلسل مجموع جبال فى الكرة الارضية فان كان ثم ما يساويها فى الشموخ والارتفاع فهو مجموع جبال الكردليارة فى امريقة ثم ان شدة شموخ الهضبة الوسطى فى آسيا مبرهن عليها ببراهين اقوى مما برهن به الحكيم كراوفرد من مساحته المخدوشة فمن هذه البراهين كثرة ما بها من الانهار العظمية التى تخرج من جميع جهاتها وعقم ارضها وعدم صلاحيتها للزراعة وكثافة البرد الذى يتحكم فيها فى سائر فصول السنة حتى فى السهول والاودية

القسم الثانى الجنوبى

ويتصل بالهضبة الوسطى من ناحيتى الشمال والجنوب قسمان عظيمان من اقسام اسيا وذلك ان آسيا الجنوبية وهى هندستان شبيهة برياض ازهارجميلة ساقت اليها يد الحكمة اشعة الشمس ووقتها من الرياح المنجمدة الشمالية بواسطة جبال التبت واما التهاجد المحو المدارين وخط الاستواء ثم ان ارض هذا القسم الخصبة مروية بانهر عظيمة متسعة ومنبعثة اليها دائما حرارة الشمس وممتزجة بابخرة بحر لا ينعقد ماؤه فى الشتاء ابدا فانظر التباين الكلى بين هذا القسم الخصب الظريف وبين ذلك القسم الذى هو آسيا الشمالية المسمى ايضا سبير فانه ليس الا اراض محزنة قليلة العمار مائلة جهة القطب والبحر المنجمد لا يهب بها ابدا الطيف رياح المنطقة المعتدلة ولا يكتسب هواها من البحار المجاورة لها الا المواد المحملة من البرد القطبى

القسم الثالث الشمالى

ثم ان حكمة الخالق افرغت على كل قسم من هذه الاقسام خاصية طبيعية تعجز صناعة البشر عن التمكن من محوها رأسا او تغييرها ببعض اصلاح فمادامت الكرة الارضية على اتزانها الذى هى عليه الآن ولم يطرأ لها تغير طبيعى فان الثلوج المنجمدة تتراكم دائما فى مصب نهرى اوبى ولنا ولا تزال الرياح تهب فى صحارى شامو ولا يبرح اقليم التبت واجد الثلوج جباله الشبيهة بجبال الالب باقية دائما امام اشعة الشمس التى على مسافة قريبة منها تحرق اقطار المنطقة المحترقة فحينئذ امم التتار مخلوقة للفلاحة ورعى المواشى كما ان امم سبير معدة باصل الخلقة للصيد واما الهند الذى هو فى الظاهر اقليم سعيد فانه غالبا بسبب مزاج قطره كان باهله رخاوة وجبن وبلادة وكسل وهذا هو السبب فى استيلاء قطاع الطريق الاجانب (الانكليز) عليه وفى الظلم الاهلى الصادر بين اهله بعضهم لبعض

القسم الرابع الشرقى

وقد بقى علينا ايضا ذكر قسمى آسيا الشرقية وآسيا الغربية فالاول المحتاط على وجه غير محسوس بالهضبة الوسطى المتقدمة يظهر به ثلاثة اجزاء ممتازة بعضها عن بعض فالاول سلسلة جبال عريضة معظمها مشغول بالثلوج المستمرة وهى تمتد من هضبة المغول الى داخل جزيرة كوره وفى شمال هذه الجبال ينعطف نهر امور اولا جهة الجنوب الشرقى ثم ينعطف جهة الشمال الشرقى بعد يسير وفى هذه الجهة يكون هذا الوضع ابرد ما يكون فى المنطقة المعتدلة الشمالية وايضا يترآى ان الارض هنالك مرتفعة جدا وهذا الجزء المشهور باسم التتار الصينية يشبه آسيا الشمالية وان كانت موضوعة فى عروض فرانسا والجزء الثانى هو الصين الحقيقى وذلك ان متراكم البرد الذى يكاد يكون محددا ببلاد التتار من احدى الجهات وقطر المحيط الاكبر المستمر على حالة واحدة من جهة اخرى اذا اضيف الى تعرض الصين للشرق من غير مانع يعطيانه قطرا اقل حرا من قطر آسيا الجنوبية وهذا الاقليم مع انه يجاوز المدار يسيرا ولا يرتفع غالبا خلف درجة ٤٠ من العرض الشمالى فيه امزجة جميع اقطار اوربا

والجزء الثالث من قسم آسيا الشرقى متكون من عظيم الجزائر والجزيرات التى بها جبال النار والتى هى شامخة على القرب من القارة وتظهر كانها اسوار عظيمة متفاصلة تتمزق عليها امواج البحر المحيط عند شدة هيجانه وحيث كان هذا الجزء البحرى الذى لا ينفصل من قارة آسيا مجاورا من احدى الجهات لاقطار المدار ومن جهة اخرى لبرد هضبة آسيا الوسطى ومحتفا بعنصر دائم الاضطراب والتموج لم يستمر على حالة واحدة كان لقطره ضرورة تغيرات لا تحصى

القسم الخامس الغربى

والقسم الخامس من آسيا هو اشد جميع الاقسام ارتباطا بقارة آسيا الاصلية وذلك لان بحر الخزر والبحر الاسود والبحر الابيض المتوسط والخليج الفارسى والعربى تجعل لهذا القسم الذى هو آسيا الغربية بعض شبه بجزيرة عظيمة ولا مانع من ان يقال مع نوع صحة ان هذا القسم ضد للقسم الشرقى كما ان قسم الجنوب ضد للقسم الشمالى وذلك لان آسيا الشرقية هى فى الغالب رطبة القطر والجزء الغربى يابس وربما كان بعضه قحلا واحدهما سماؤه ذات تلاقيح وكثيرة الغيوم والآخر يحظى باستمراره وانه على حالة واحدة وبصحو زمانه وايضا فاحدهما ذو سلاسل جبال صعبة الارتقاء متفاصلة بسهول سبخة والآخر مركب من هضبات اكثرها ذات رمال وارتفاعها اقل من سلاسل الجبال التى تحملها هذه الهضبات وفى آسيا الشرقية تجد الانهر ذات المجارى العظيمة متقاربة بخلاف آسيا الغربية فليس بها الا نهران او ثلاثة عظيمة الحجم جدا ولكن بها كثير من البحيرات التى لا تجرى ونهاية الامر ان قرب جزء من آسيا الغربية من مركز الحرارة الداخل فى افريقة جعل هذا الجزء ذا قطر اشد حرارة من نفس قطر آسيا الجنوبية

ولاجل زيادة التحرير لما ذكرناه من الاجمال فيما يتعلق بالاقسام الطبيعية لآسيا لا بأس بترتيب انهارها على حسب

جدول سهل المأخذ فى بيان انهر آسيا

حوضة كل نهر وقد وفينا بهذا الغرض فى الجدول الآتى وذكرنا فيه ايضا الطول التقريبى لكل نهر منها وقد ميزنا الانهر الصغيرة التى تصب فى نهر كبير بجعلها فى اسطر خارجة عن اسطر الانهر الكبيرة وهى كما ترى فى هذا الجدول

حوض البحر المتجمد * المهبط الشمالى لهضبة المغول

	طول مجاريها
نهر اوبى	٣٤٧ ميريامترا
{ ايرتيخ	٢١٠
{ توبول	٠٨٠
ينسية	٢٤٠
{ تنغسكا الاعلا	١٣٢
{ تنغسكا الاسفل	١٣٧
پياسيغا	٠٤١
شوتنغا	٠٤٨
اولنق	٠٧٥
لنا	٣٣٤
{ ولوى	١٠٠
{ الدان	١٢٥
يانا	٠٤٩
ينديجركا	١٠٨
كوويما	١٢٠

الحوض الشمالى للمحيط الاكبر * المهابط الشرقية لبلاد سبير وهضبة المغول اونجد المغول

انادير	٠٧٠
قمچتقا	٠٤٠
أمور اوسغليان (بشموله سزلكا)	٢٩٤
سنجارى اولا	١٠٠

حوضة بحر الصين وهى جزء من حوضة المحيط الاكبر * المهبط الشرقى من هضبة التبت اى نجد التبت

نهر هونغ هو (النهر الاصفر)	٣٢٠
ينغ تسه كينغ (النهر الازرق)	٣٦٨
هون كيان	١٢٠

(المهابط الجنوبية من نجد التبت)

ا) حوضات بحر الصين وجون سيام

نهر مه كوم المسمى قبوجة	٣٠٠
مه نان	٢٥٠

ب) حوضات بحر الهند

نهر ينغو المسمى ايراودى	٢٩٠
نهر آوى المسمى كنيطوان	١٥٠
تسمبو المسمى بورمبوتر	٣٠٠
نهر كنك	٢٥٠
غوداورى	٠٩٠
كصنا	٠٨٦
نربودا	٠٨١
هندوس اوسندا اى نهر السند	١٩٥

مهابط

(مهابط داخل اسيا وحوضاتها)

ا) حوضة بحيرة ارال المسماة خوارزم و المهبط الغربي من الهضبة الوسطى الكبرى المسماة النجد الاوسط الاكبر

طول مجاريها

سيرداريا	١١٠ مريامتر
آموداريا المسمى جيحون	١٤٥

ب) في بخارى الصغرى جهة صحراء كوبي

نهر يركند المسمى نهر مهشا	١٠٠

ج) حوضة بحيرة بيكال

سلنغا	٠٧٦

مهابط آسيا الغربية يعني مهابط كوه قاف وعرارة تاوروس الخ

ا) جهة بحر الخزر

نهر الكور المسمى قوروس	٠٤٦
اركس المسمى سيحون	٠٤٢

ب) جهة الخليج الفارسي

نهر الفرات الى حد الخليج	١٨٥
نهر دجلة	١٠٠

ج) جهة الخليج العربي

لا يوجد ثم انهر وانما يوجد جداول وغدران قليلة

د) جهة البحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل اى بحر جزائر الروم

نهر العاصي	٠٣٨
نهر مندر	٠٤٠

هـ) جهة البحر الاسود

سنغاريوس (سقاريا)	٠٤٠
هاليس (قزل ارمق)	٠٥٤
نهر فاسيس المسمى ريونة	٠٢١

في ادخالنا جميع النهيرات المرسومة على خريطة آسيا في الحساب وجدنا التقويم على الوجه الآتي في تناسبات اجمامها والاصح في العبارة ان يقال ان التناسب انما هو بين سطوح المياه الجارية بآسيا

تناسب هذه النهيرات

واذا اخذنا جملة النهيرات وحدة	١,٠٠
تكون نهيرات سبير الجارية جهة الشمال	٠,٣١
والجارية جهة الشرق	٠,٠٢
وتكون نهيرات الصين وتتار الصين	٠,١٥
ونهيرات الهند بتمامها	٠,٢٧
ونهيرات وسط آسيا	٠,٠٨
ونهيرات بلاد الدولة العثمانية باسيا	٠,٠١
ونهيرات الفرس وارمنية	٠,٠٦
ونهيرات بلاد العرب	٠,٠٣

واذا اردت ان تستنتج من هذه المقادير المعلومة هل الارض الفلانية ايبس من ارض كذا الاخرى فلابد من النظر لسطحي كل منهما مثلا بلاد العرب ايبس بلاشك من بلاد العجم او بلاد العثمانية ولكن بلاد الهند والصين ليست اقل مياها من سبير واقلية اتساع السطوح هي سبب التفاضل بين حجم المياه

ولما كانت قارة آسيا قطعة ارض عظيمة جدا ولا تخترقها البحار المالحة الا قليلا لزم ضرورة ان تحتوي في داخلها على

مياه متراكمة بل هي محتوية على اكبر بحيرة معروفة يعني بحر الخزر وفي الغالب بحيرات آسيا مالحة

البحيرات المالحة التي لا جريان لها في الجهة الغربية

المياه مرة كبريتية ومن هذه البحيرات ايضا مالا يجرى ففي آسيا الصغرى انموذج آسيا الكبرى التي تلك جزء منها ففي داخل اناطولي وبلاد القرمان سلسلة بحيرات مالحة لا جريان لها فبحيرة ترلا ذات طول عظيم جدا فاذا صعدنا جهة الاجزاء المرتفعة من آسيا الغربية وجدنا بحيرتي وان واورميا تمتد مياههما المالحة او المرة على مسافة متسعة وفي الشام عدة بحيرات بهذه المثابة متتالية على امتداد سلسلة جبال لبنان وجبال انطي لبنان ومن اغرب ما يوجد في هذا المعنى بحيرة القفرية المسماة البحيرة الميتة كما تسمى بحيرة لوط في بلاد فلسطين ومياهها قفرية غامرة لنحو ٦٠ او ٧٠ فرسخا مربعا (من ١٢ الى ١٥ مريامترا مربعا) وبجزيرة العرب بتمامها ليس بها من البحيرات الا الحاصلة من مياه الامطار او العيون التي تصل في الرمال او تنفذ فيها ولكن كل هذه المياه قليلة الاتساع وصحارى سجستان التي هي مشابهة من وجه آخر لصحارى عربستان بها بحيرات من هذا القبيل لكنها اكبر فبحيرة زره تغمر اتساع ١٤٠ فرسخا فرنساويا مربعا ويصب فيها نهر مجراه ١٥٠ فرسخا (٦٦ مريامترا) وتصب فيها ايضا انهر صغيرة لا نعدها

في الجهات المتوسطة

والمهبط الغربي من هضبة التتار يغمر بحيرات مالحة لا جريان لها فبحر الخزر يغمر اتساع ١٦٨٥٠ فرسخا مربعا او ٣١٣٩ مريامترا فهذا البحر هو اعظم بحيرة مالحة معروفة من بحيرات الدنيا وبحيرة ارال المسماة ايضا بحر ارال (بحيرة خوارزم) هي ذات ١٢٨٠ فرسخا مربعا والبحيرة المالحة التي بين بحيرة ارال وبحر الخزر وكذلك بحيرة اقساقول وبحيرة طالغول وبحيرة بلكاشي او بلكاتي وعدة بحيرات اصغر منها او اقل ملوحة كل هذه البحيرات تميز هذا القسم الذي من ارض الى اخرى يميل من وسط آسيا الى بحر الخزر وهو بمحاذاة قسم آخر موجود بتمامه في السهول مائل من وسط روسية اوروبا جهة هذا البحر المتقدم ويظهر ان هذين البحرين يشبهان مالح واستنتج من هذا ان بحر الخزر كان في الزمن القديم غامرا لهذه الاراضي وهذا ممكن بالنسبة لسهول ازدولهات التي سطحها قليل الارتفاع عن مياه بحر الخزر والظاهر عدم امكان ذلك بالنسبة للاراضي التي على شرق ذلك البحر او على شماله الشرقي لان الارض ترتفع كثيرا بين بحر خوارزم وبحر الخزر بل بعظم ارتفاعها بين بحر خوارزم وغيره من البحار المالحة وايضا من هذه البحيرات المالحة كثير خلف الحدود التي يجوزون امتداد بحر الخزر اليها غاية الامكان فمن هذه البحيرات كثير في المهابط الشمالية بالنسبة لهضبة التتار مثل بحيرة ابلاى وبحيرة ياميش وترازوزقيا وغيرها وكذلك بحيرة قزانى التي لا جريان لها هي ايضا مالحة مرة ولعل هذه الصفات توجد في جميع المياه الراكدة حين تتحلل اجزاؤها وتقف مياهها في ارض مشوبة بمواد مالحة وهذه المياه الراكدة المتراكمة توجد ايضا في تسوية ارفع من ذلك بكثير على الهضبة الواسعة ببلاد المغول والتبت فان هذه السهول العالية التي تكتنفها الجبال وهي بلاد القلموق كثيرة المياه المالحة التي لا جريان لها والتي بها مصب انهر صغيرة فان بركة قرقرنور التي توجد فوق جبال ينبع منها نهرا ايرطيش واوبي يصب فيها نهر صغير مجراه من ٧٠ فرسخا الى ٨٠ والسهل المرتفع بين جبال المغول وجبال التبت يعني بين رأسى آسيا هو دائما مملوء بالانهر التي لها عظم ما وتضل في الرمال او تمد البحيرات التي لا جريان لها كما في نهر يرقند الذي يمد بحيرة لوب

وبلاد التبت التي هي الهضبة الجنوبية وهي ارفع هضبة بآسيا كثيرة البحيرات جدا ومن بحيراتها ما لا جريان له وهو كثير فبحيرة طرقيرى سطحها ٣٠٠ فرسخ مربع وعلى امتداد بين احدهما في شمال بحيرة طرقيرى هو ثمانون فرسخا والآخر في غربه وهو من ١٦٠ الى ١٧٠ فرسخا تجد ثلاثا وعشرين بحيرة اخرى لا جريان لها او يجرى بعضها الى بعض وفي الشمال الشرقي من التبت تجد من البحيرات المشهورة بحيرة هوهونور او كوكونور وهي بحيرة سطحها ٢٤٠ فرسخا مربعا وهي في وضع مرتفع جدا ولا جريان لها اصلا

بحيرات اخرى

فحادثة البحيرات التي لا جريان لها اى التي لا وصلة بين مياهها ومياه اخرى هي امر مشترك بين جميع الاجزاء الغربية والوسطى من آسيا لكن لا توجد في شمال سبير ولا في الصين ولا في الهند فالاراضي الواطية من سبير بها كثير من البرك العظيمة التي تكاد ان تكون متواصلة وتوجد البحيرات العظيمة في الصين بالاراضي الواطية السبخة في وسط هذا الاقليم وليس بهذه البحيرات غرابة بالنسبة لعلم طبيعة الارض لتقارب بعضها من بعض فكانما هي مثبتة لحكاية عند الصينيين تقتضي ان جزأ من هذا الاقليم انحسرت عنه مياه البحر عن قريب او انه انحسرت عنه مياه

بجونين طويلين مصنوعين من نهرى هوانغ هو ويان تسه كيانغ وليس لجبيجزيرتى الهند فى الغالب بحيرات شهيرة فضلا عن بحيرات لاجريان لها وهذا دليل ظاهر على ان ارضها بجميع جهاتها ذات مهابط

سهول آسيا

فينتج من هذه النبذة الادروغرافية لآسيا اى الباحثة عن مياه آسيا ان هذه القارة المخالفة لامريقة مخالفة كلية ليس بها بالنظر لمقدارها الا يسير جدا من السهول المنخفضة التى يغمرها البحر المحيط بمياهه اذا ارتفع قليلا نعم فى آسيا سهول من هذا القبيل لاسيما سهل عظيم على امتداد البحر المنجمد وسهل آخر اصغر منه بكثير فى بلاد الصين ونهر آخر فى مصب نهر الكنك وتهامة العرب والجزيرة بين دجلة والفرات وسهل سيندرة وغير ذلك ولكن شدة عظم سهول آسيا تجعلها اقرب الى كونها سطوحا عظيمة متسعة على ظهور الجبال فتارة ترتفع ارتفاعات متقطعة تتخللها مسافات بعيدة وتلك الارتفاعات عليها ايضا جبال اخر مع اوديتها وتارة تكون تلك السهول ممتدة بعيدا على تسوية واحدة وان كان بها يسير تقطع بالمسيلات المحلية اى التى تقتضيها طبيعة المحل ومن هذا كان بها البحيرات التى لاجريان بها والانهر التى توجد وتنعدم فى صحارى هذه السهول من غير أن تتعداها الى غيرها وهذا هو السبب ايضا فى كونك اذا نزلت من ربوة التبت الى بلاد الهند وجدت تغير مزاج القطر دفعة واحدة من شدة البرودة الى شدة الحرارة وكذلك اذا خرجت من داخل ارض العجم الى السواحل البحرية وهذا كله اثر تغير التسوية دفعة واحدة وان كان تغير العرض هنا والمثال المقرب لذلك فى الجملة انك اذا ذهبت من السويسة الى بلاد النبردية تغير معك مزاج القطر وهذه الارتفاعات والانخفاضات التى بهذه الاراضى هى الموجبة لحصول الرياح الدورية التى تتسلطن حتى فى داخل آسيا وليس المراد بالرياح المذكورة رياح الموسون اى الموسم التى ببلاد الهند الناشئة عن حركة الشمس السنوية بل المراد استمرار الريح الذى يمكث مدة طويلة وهو الموجود فى الاقاليم البعيدة عن المدار فان سببه عدم الاجوان والبحار التى يمكن تصعداتها او تياراتها ان تنسخ طبيعة الريح او تغيرها هنداآه فان الرياح المنجمدة التى تهب من سيبير تصعد الى رؤس جبال وسط آسيا فاذا كانت هذه الرياح يمكن ان تعلو الى ان تتجاوز سلاسل الجبال الاولية امكن ان تمتد الى رؤس بلاد التبت وريح الشرق المتحمل لكثير من الغيم والضباب يستر فى طرفة عين جميع الجزء المنخفض من الصين ولكن كلما توغلنا فى المنطقة المعتدلة انقطع على التدريج جميع انتظام حركات الرياح المترتبة بالكلية على اتفاق البحر المحيط مع كرة الهوآء فى العمل مثلا فى جزائر يابونيا نجد تعاقب البرد والحر وعواصف الرياح وسكونها من غير كبير تخلل كما فى ابرطانيا الكبرى والصين عرضة لهذه التغيرات التى هى اقل مما يعترى بلاد الفلمنك من لين الرياح البحرية او يبس الرياح التى تمر على الاراضى ثم انا اذا دخلنا فى اقاليم شرقية معتدلة القطر ذاهبين الى وسطها فانا نجد ان الفصول يزداد ثباتها على التدريج وان كانت ابرد بالنسبة لمن تنقل اليه ونظير ذلك بالكلية التغير الذى تجده فى ذهابك من الغرب الى الشرق فى اوربا

النسبة بين الارض ومزاج القطر

علة زيادة البرد فى آسيا جهة الشرق

لكن فى آسيا الشمالية حادثة اخرى غير ما تقدم ويشتد ظهورها اذا قابلنا هذا القسم باقسام اوروبا المتحدة معه فى العروض وهذه الحادثة هى زيادة البرد فى آسيا الشمالية دائما كلما ذهبنا جهة الشرق واذا قابلنا هذه الزيادة وجدنا على سواحل مدنس التتار (اى بوغاز التتار وهو بحر يابونيا) الموضوعة فى عروض فرنسا يبتدئ الشتاء فى شهر سبطمبر والظاهر ان هذه الحادثة مترتبة على اجتماع عدة اسباب وذلك انه يرتفع اولا بين جبيجزيرة كورة والبلاد الواقعة على نهر امور جبال عظيمة عليها ثلاقات جليد وثم جبال ثانية عظيمة ايضا اعرض من المتقدمة تفصل نهر امور من نهر لنا وجميع سواحل الشمال الشرقى بها صعوبة ارتقاء ووعر شديد ولا مانع ايضا ان البحار التى تحتف بهذه الاقاليم المجمدة هى فى اغلب اوقاتها مغطاة بالضبابات المتكاثفة الباردة التى بها تنكسر اشعة الشمس او تنعدم بالكلية وثم سبب ثالث وهو انعدام الاهل بهذه البلاد الذى يترتب عليه عدم الفلاحة وذلك لانه ظهر فى سيبير الشرقية بمقتضى الاحصا التحريرى انه لو وزعت الاهالى على الفراسخ لخص كل فرسخ مربع نفر واحد بل ربما نقص عن ذلك ولعل هذه الاسباب التى ذكرناها لا تكفى وحدها فى ترتب ما تقدم عليها من برودة جهة الشرق بل لابد معها من تطبيقها على القاعدة الكلية التى ذكرناها فى نظرية الاقاليم فى الجزء الثانى وذلك انه يلزم اعتبار جرم الهوآء الممتد على ارض يابسة كلا وتكيفه العام ناشئ من تكيف اجزائه مثلا اذا امتدت ارض قارة وتوغلت الى المنطقة المحترقة فان جرم الهوآء الحار يعمل فى جرم الهوآء المعتدل ويورثه شيأ من عنصر حرارته فتنبسط اجزاؤه وبهذا يورثه ايضا قوة الانبساط بعض شئ جهة الشمال ويزاحم حدود البرد بحيث ان الاراضى تكون برودتها جهة القطبين ليست على نسبة مستقيمة لدرجات العروض فقط بل تكون ايضا على نسبة منعكسة بالنسبة لمقدار جرم البلاد التى تتصل بها وهذا هو علة كون الجوار لقطعة عظيمة من الاراضى المحترقة بافريقة يجعل قطر بلاد العرب والشام

والجزيرة التي بين دجلة والفرات اشد حرارة مما يقتضيه مزاجها وبعكس هذه العلة امريقة الشمالية فانها تذوق الى ماحوالى المدار برداشديدا الان قطعة القارة التي تمتد خلف المدار انما هي كلا شيء بالنسبة للباقى فاذن لا يوجد فيها جرم هوآءى يعمل فى اجرام الاهوية المعتدلة والباردة بل ليس ثم ما يكافى ء اعمال الجزء البارد واذا نظرنا الى آسيا وجدناها دائما تتصاغر من الصين الى بوغاز بهرنغ فليس ثم ارض حارة فالهوآء الذى هو بطبعه بارد بهذه الاقاليم يزداد برودة باعمال البحر المنجمد الذى لا يمكن البحر المحيط الاكبر ان يوازنه لان البحر المنجمد يلقى كثيرا من قطع الجليد بواسطة بوغاز بهرنغ وهذه القطع الجليدية تحبس بين جزآئر التيانه واندرينو ويتسبب عنها ضبابات باردة تغطى البحر فى هذا المحل وتذهب بالحركة العامة من الشرق الى الغرب يعنى من امريقة الى جهة آسيا وتتجمع ثم فى الاجوان

مدخلية الاقاليم فى مزاج الامم

فكل من سكون الكائنات الطبيعية المهيبة والاقاليم التى ليس فى وسع الصناعة البشرية ان تصلحها الا حاجتنا ورجوع الفصول الدورية المطردة واستمرار الفلاحات المتحدة المترتب عليها اتحاد السلوك فى المعيشة له مدخلية فى تخلق الامم الاسياتية بالاخلاق الادبية والحركات النفسانية وذلك انها اما ان تؤثر فى مجامعهم العصبية والعضلية او فى تخيلاتهم بحيث لا تنفك عن حالة واحدة فهى التى اوجبت كون التتار هائمين لا ينفكون عن الميل الى المعيشة الرعائية كما ان الهنود لا ينفكون عن البلادة والكسل الفظيع وكما ان الصينيين لا ينفكون عن مهاراتهم فى الصنائع وعدم فتورهمتهم ثم قلما توجد الامم على حالة واحدة فى اقاليم معرضة للتغير ولكن من الخطاء الفاحش ان ينسب الى مجرد عدم تغير الاقاليم فقط استمرار الطبيعة التى ترصد فى الامم الاسياتية فان بقراط مع كونه لم ينظر الا الى جزء من حوادثهم الطبيعية تحاشى عن ان يقصر عليها المدخلية فى كونهم على هذه الطبيعة

راى بقراط على امم اسيا

وعبارته انما كانت امم آسيا من غير شجاعة ولا حماسة وكانت امزجتهم اقل تجاسرا من الاوربيين وطبيعتهم الين منهم لان مزاج هوآئهم مكافىء للقطر الذى ينسب اليه فلا يعرف عندهم الفرق بين الحر والبرد بل كل من المزاجين يختلط بالآخر فلا يعترى الروح الانتعاشات القوية ولا يذوق الجسم التغيرات الدفعية التى تفيد الجسم قوة شديدة وعنفوانا يورثهم التعاصى والجموح الخ انتهت ثم قال وثم سبب آخر لفتور همة الاسياتية وهو طبيعة قوانينهم البوليتيقية وذلك لان اغلب ولاياتهم محكومة بملوك وسلاطين مطلقى التصرف فاعلين مختارين وقد جرت العادة ان البلاد التى لا يأمن الانسان فيها على نفسه ولا يشارك الحاكم فى الاحكام القانونية بل يكون تحت طاعة حكام ظلمة لا يحرص الانسان فيها على ان يشتهر بالشجاعة لعلمه ان ذلك يفضى به الى اعظم الاخطار لان الرعايا فى البلاد التى بهذه المثابة يكونون مجبورين على الذهاب الى الحرب وتحمل مشاقه وعلى الموت لاستبقاء سادتهم وعلى البعد عن اولادهم ونسائهم واحبابهم وبذلهم الجهد فى الحروب ليس الا لزيادة قوة ملوكهم وشدة بأسهم وليس للرعايا حظ فى ذلك سوى مقاساة الخطوب والمنايا ويضم لهذا انهم يكونون ايضا عرضة لان تصير اراضيهم صحارى خربة اما بافساد الحروب او بقطع تعهدها بحيث انه اذا وجد منهم ارباب عقول وشجاعة محوا باستعمال قواهم بسبب احكامهم البوليتيقية ودليل ماقلته ان من امم آسيا من يتمتع ببعض حرية بوليتيقية فيشتغل لنفسه فتجد الامم التى بهذه المثابة اشجع الجميع انتهى

خطأ شراح بقراط

فاذا كان بقراط اقتضى نظره انه يلزمه ان يستثنى من عدة البلاد القليلة والامم كذلك المعروفة فى زمانه التى كانت امة السرماطة الساكنة فى السهول التى بشمال كوه قاف ابعدها شمالا كما ان هنود بنجاب ابعدها شرقا فماذا يكون عدد ما يستثنى فى عهدنا هذا حيث نعرف فى آسيا اتساع ثلاثين درجة من العرض ازيد مما كان يعرف سابقا وثمانين درجة من الطول ازيد مما كان يعرف كذلك وبعضهم ادعى ان بقراط نبه بالحدس والتخمين على ان امزجة اقاليم سبير والتبت والصين لها مدخلية فى اخلاق اهل هذه البلاد وطريقة تأدباتهم مع ان بقراط كان يجهل هذه الولايات ومن زعم ذلك او تابع عليه فاما ان يكون داحية طبية اويونانية اجنبيا عن معرفة طبيعة الارض فكيف يتصور ان بقراط قصد قبائل الططر التى لا يحصى عددها وطوآئف المغول كذلك وجعلها اقل شجاعة من الاوربيين ولكن المعنى الذى جعله هذا المؤلف العظيم لاسم آسيا يخالف بالكلية ماتعورف الآن فى اتساع مدلوله فانه جعل اسم اوربا شاملا لامم السرماطة وان كانوا مقيمين خلف نهر تنايس وقد صرح بان المصريين والليبيين من اهل آسيا فحينئذ يظهر انه اراد بآسيا الجزء الجنوبى والشرقى من الدنيا المعروفة فى ذلك الوقت كما انه اراد بلفظ اوروبا النصف الآخر وهو الشمالى والغربى ثم ان بقراط كاوديروس وغيره من المتقدمين لم يقسم الدنيا الا الى قسمين فجعلهما متقابلين كالبرودة والحرارة واليبس والرطوبة والعقم والخصوبة

المعنى الحقيقى لكلمتى اوروبا واسيا عند بقراط

فمتى لاحظنا ذلك واعتبرناه فهمنا عبارة بقراط بالسهولة وظهر لنا قوله انه آسيا تفضل غالبا بقطرالين من قطر اوربا وان كل ما يخرج بها اعظم واحسن مما يخرج باوربا وظهر لنا ببادى النظر جميع ما يوجد فى كتاب بقراط من الحدسيات والامور العندية الناشئة من تفسيرات الطبائعية ومن تطبيقهم على هذا الكتاب ما ليس من مسائله بجهلهم من اصل موضوعه ما هو الزم وما هو ضرورى فى فهم الكتاب

شجاعة بعض امم آسيا

فاذن لا يسوغ لنا ان نحكم بان امم آسيا فى الغالب اشبه بالنساء واميل للشهوات واللذات الذميمة وان كان هذا طبع بعض امم جنوبيين منها ولكن يجب علينا أن نستثنى من هذه الامم الجنوبية العرب الرحالة النزالة وكذلك امة الدروز التى من طبعها القناعة والرياضة فى المأكل وامة المبارية التى هى كالاسود الكاسرة وقبائل المهرات المتعاصية التى لا تنقاد لاحد

المدخلية الحقيقية للجغرافية الطبيعية

وانما نسلم ان امم آسيا لزمهم لبعض مقتضيات احوال جغرافية اعتقادات بوليتيقية واخلاق ادبية ديانية مباينة جدا لما هو فى اوربا وذلك لان طبيعة ارضهم كافت كثيرا منهم ان يتخلقوا باخلاق الامم الرحالة وان يتمسكوا بمكارم الاخلاق الشبيهة بالاخلاق النبوية فقاسوا تصرف الملوك فى الرعايا وما بايديهم على تصرف ابى العشيرة فى عشيرته تصرفا تاما مطلقا على حسب ما يريد فلذلك كان تصرف الملوك عندهم بهذه المثابة وعدم المدن المشتملة على اهال ارباب مهارة فى الصنائع والفنون منع هؤلاء الامم ان يتولد عندهم الالمام بالارتباط التانسى والحرية البوليتيقية وفى جهات أخر من آسيا خصوبة ارضها الدائمة واعتدال مزاج قطرها المستمر كل هذا يوجب ان يؤثر فيها اقل عمل تأثيرا تاما حتى يحصل فى مقابلته فى اسرع زمن شئ عظيم فهذا كان سببا فى اطفاء حدة العقل البشرى حين نشأته فان العقل البشرى اذا اريد عدم فتوره لابد من تهييجه بالضرورات والموانع وكانتا المعيشتين المفهومتين مما سلف اوقعت الروح والجسم فى كسل صار عندهم متوارثا فلهذا ترى اجناس الاسيانية كانهم ادنى فى النشاط والشجاعة من غيرهم وكأن ذلك صار لهم وصفا عاما وفتور العقل المذكور وان كان يترتب عليه التمسك ببعض حكم ممدوحة وخصال صلحية وسماحة نفسانية وصفات كرم جبلية فانه يتأبد معه ايضا

الاديان

تحكم الاديان البدعية التى تجددت اسرها كثيرا من بلاد آسيا لاسيما آسيا الشرقية والوسطى فان ذلك مستول عليها بكليته ومتسلطن عليها بجنده ورعيته بخلاف دين الاسلام فانه لم يزل قائما على ساقه فى الاقطار الغربية باسيا كما ان دين النصارى الاروام يدخل آسيا مع البطء من الجهة الشمالية ثم ان تعدد الزوجات قد تمرن عليه جميع اهل آسيا الابلاد يابونيا وهو مخل جدا بالارتباط المعهود بين الانسان وعشيرته وبه يختل نظام المعيشة حيث انه يسقط احترام النسا واعتبارهن ومدخليتهن فى الامور ومع ذلك فهو ايضا خلاف ما تقتضيه الآداب الطبيعية والقوانين العقلية المرعية لما انه يمنع من نمو اهالى البلاد وبه تخبث اجناس الامم

وقد فهم من هذا ان طبيعة امم آسيا ملازمة لحالة واحدة لا تنفك عنها والواقع ان هذه الملازمة ليست من الحوادث الخاصة باسيا بل جميع المحال التى تكون فيها سلطنة الطبيعة اعظم من سلطنة مهارة الصناعة سواء كان ذلك ممدوحا او مذموما يهيب الانسان من قطرها مدافعة وتهييجا لا يمكن الفرار منه ولا التعاصى عن تلاقيه فانا نجد رعاة جبال الالب وصيادى السمك بجزائر بحر الروم ورحالة لابونيا وفلاحى سيسيليا لم تتحول طباعهم عما هى عليه اصلا غاية ما هنالك انه حيث كثرت امم آسيا وشغلت كثيرا من المحال فاذا كان عندهم شئ من غريب التمدن اوغريب التوحش طمحت اليه انظارنا واستمال قلوبنا وتعلق به اعتبارنا

علة وجود الدول العظيمة بكثرة فى آسيا

وتلك الاحوال بعينها تساعدنا على فهم علة كون الدول العظيمة اكثر وجودا فى اوربا من آسيا فلا يكفى ان يقال ان السهول العظيمة التى هى متفرقة فى آسيا يسهل فتحها لمن يغزوها فان هذا لا يسلم الا فى الاجزاء الوسطى والافكم من جبال لا يمكن التوصل اليها وانهر عريضة وصحارى متسعة لا تبدو لمن يروم فتحها من الآسيين الاجانب عنها الا كانها حصون طبيعية واسوار سرمدية ومتى ارادت امة من امم آسيا ان تحرز النفع بها باستبقاء محلها مع كونه متاهبا لذلك بصعوبة الجراءة عليه وان امتدت الاعين اليه فانه يعسر على غيرها التعرض لها كما يعسر التعرض على الامم الافرنجية ومثال ذلك الدروز والاكراد والمهرات بل وغيرهم ممن هو اشرف منهم فان سلسلة جبال السور يا فى الشمال الشرقى من بابل عبرها اسكندر الاكبر من غير ما تعب ثم صارت لسلطنة البرثة كالسور فخابت قدامه طوابير عساكر طرايانوس ملك الرومانيين حين توجهت الرومانيون الى بلاد البرثة وللفتوحات العظيمة باسيا سبب غير ما تقدم وهو كثرة سواد الامة الفاتحة فديار ممالك الهندستان والصين والعجم لما دخلت تحت يد فاتح واحد نسبب عن ذلك ان القبائل الكثيرة جدا التى تشترك فى لسان واحد انقادت لذلك الفاتح

من غير تدبر ولا روية ودخلت تحت اسره ولا داعي لهم الى ذلك الا مجرد دخول تلك النحوت تحت طاعته ومتى تمكنت

اوصاف بوليتيقية لبلاد اسيا

هذه الممالك العظيمة واستقرابهم كل منها على ما استولت عليه فان وراثتها تسكادان لا تنتهي اى لا تزال تنتقل من ملك الى آخر فتتعاقب عليها ايدي الملوك بما هي عليه لمجرد اسباب ديانية اوسياسية ولما كانت امم آسيا كثيرة العدد جدا ومتفرقة شذر بذر لم تخامر قلوبهم محبة الوطن الحقيق فلا يبعثون الوكهم الاعسا كرمجردة عن الغيرة الجهادية والشهامة البطلية ولا يتأسفون على تبدل ملوكهم ولا يورثهم ذلك مستطيل انزعاج ولا كبير انحجاج وملوك آسيا دائما في قصورهم على النساء عاكفون ولا يصادف من يطرقهم من الفاتحين الا مجرد الزخارف الباطلة والحليات العاطلة ثم ان الفاتحين لبلادهم من الغرباء تسري اليهم طباعهم بمجرد جلوسهم على كراسي الممالك فعما قليل تزول عنهم الشجاعة ويقوم بهم الارتخاء والتكسر الذي كان سببا في سقوط من قبلهم وتداعى كراسيهم واغلب وجاق عساكرهم خيالة ويقل عندهم الاماكن الحصينة فلهذا سهل لغيرهم شن الغارات عليهم وكل هذه الاسباب مجتمعة تتعاون على سهولة استئصال فتوحات الدول العظيمة الموجودة ببلاد المشرق

هذه الحالة ليست مبنية على احوال جغرافية

لكن تلك الحالة المتقدمة ليست مبنية بناء قويا على طبيعة ارض آسيا بحيث اننا نجد الآن الهند منقسما الى ما يزيد على مائة ولاية وبلاد العجم متجزئة المعظم الى عدة دول وبلاد العثمانية آيلة الى المحلال نظامها وتشتت شملها وقد افادنا التاريخ القديم ان آسيا كانت منقسمة الى كثير من الممالك الصغيرة وكانت ارادات الملوك لا تتعدى

ثبات امم آسيا

حقوق الامم المرعية بل عهد في آسيا تولد عدة جمهوريات وممانعة صور وارشليم لجنود الروما نيين الفاتحين للدنيا ليست ناشئة خلافا لمنتسكيو في روح الشرائع عن شجاعة الاستعباد ولم تكن عجم قريوس عبيدا وقد تكلمت الاسقوثية مع اسكندر دارا بلسان رجال احرار لم يطرق لهم الرق ساحة دار نعم غريب الفتن البوليتيقية والتقلبات السياسية في آسيا منشاؤها في الواقع ونفس الامر الجغرافية الطبيعية قال منتسكيو ما نصه في آسيا التي هي قسم من اقسام الدنيا الامم متقاومة مقاومة القوى للضعيف فان ثم الامم المتمرنة على الحروب ارباب الشجاعة وقوة القلوب مجاورة جوارا قريبا للامم ذوات الكسل والارتخاء والتأنث والجبن فلا بد من كون احدى الامم المتقدمة غالبة والاخرى مغلوبة فهذا هو السبب الاصلي لحرية اوربا واستعباد آسيا انتهى فحينئذ ينبغي ان نقابل بين هذا التنبيه الصحيح الدقيق وبين امر آخر صحيح ايضا قامت على حقيته براهين الجغرافيا الطبيعية وهو ان آسيا ليس لها ابدا منطقة معتدلة فلا واسطة فيها بين الاقطار الشديدة البرودة والاقطار الشديدة الحرارة فالامم المستعبدون يسكنون منها في المنطقة الحارة والامم الفاتحون يسكنون منها الاقطار المرتفعة الباردة وهؤلاء الامم الفاتحون هم التتار والافغان والمغول والمنجو وغيرهم وكل هؤلاء الامم مشهورون عند عامة المتأخرين باسم التتار وعند المتقدمين باسم اسقوثية آسيا وارضهم لها طبع آخر ولهم اخلاق مباينة لاخلاق غيرهم فان الشجاعة تنعش اجسامهم القوية الاعضاء والاعصاب وذوقهم سليم سار في جميع اجزاء بدنهم وسائر الياف اعضائهم وليس عندهم علوم ولا فنون مستظرفة ولا زينة وزخرفة وفضائلهم وان كانت جيدة الا انها مستهجنة واخلاقهم الادبية مع كونها وحشية فهي منتقشة في صميم قلوبهم فعندهم قرى الضيف والاغضاء عن مساوى العدو وحسن معاملته وعدم خيانة حلفائهم واصدقائهم وينضم الى هذه الخصال حب الحرب والسلب ومعيشة الرحالة النزالة وان يعيشوا من غير حاكم يضبطهم فهذا ما كانت عليه الاسقوثية وهو الى الآن وصف التتار فان الاسقوثية تجرؤا على سطوة دارا ولم يخشوا له باسا وجبهوه وافادوه اعتبارا عظيما وهم وان قرعت قعقعة اسلحة الرومانيين آذانهم الا انهم لم يذوقوا مرارة احكامهم وقد تغلبوا على آسيا واوربا الشرقية ما ينيف على عشرين مرة واسسوا ممالك في بلاد العجم والهند والصين والموسقو فان سلطنتي تمرلنك وجنكيزخان قد اشتملتا على نصف الدنيا القديمة وكانت بلاد التتار كالبستان العظيم النقائل تنتقل منها الامم شيأ فشيأ الى غيرها فكأنها الآن قد نفد ما فيها وصارت خاوية على عروشها فلم يبق من التتار الاحرار المستقلين بحكم انفسهم الا من ندر ولكنهم سادات بلاد الصين ومن هو داخل منهم تحت حكم الموسقو فهو في الحقيقة اما كالحليف المعاهد او خراجي يدفع الخراج والميري ولا يعاملهم الموسقو معاملة الرعية بالكلية

حدود المنطقة الباردة والحارة

ولننبه هنا على حدود المنطقتين المنقسمة فيهما آسيا بالنسبة لمزاج قطرها واتولداتها فاذا رسمنا من منغريليا خطا يمر بامتداد كوه قاف وحول بحر الخزر وبامتداد الجبل الذي يحد العجم جهة كشمير وفي داخل التبت وبعد ذلك في رجوعنا في الشمال الشرقي يعبر هذا الخط الاجزاء الشمالية الى شمال بحيث جزيرة كوره فاننا نكون حينئذ

قدر يمتنا تقريبا حد اقاليم آسيا الحارة والباردة وميزاتهما وربما اختلطت حدود كل من المنطقتين ببعضها وربما ايضا تجد على تلك الحدود اقطارا مماثلة لاقطار اوربا لاسيما فى آسيا الغربية ثم ان الحدود المذكورة قد تدل فى الجملة على الانتقال دفعة واحدة من البرد الى الحر وغذاء الامم الجنوبية الارز والذرة واما الدخن والشعير فهما غذاء امم المنطقة الباردة وعلى الحدين هاتين الفرقتين تجد اراضى ذات حنطة وبالاقطار الجنوبية تتولد الاثمار المستطابة وفى بعضها تجد العطريات اللاذعة واما الاقاليم الشمالية فليس بها شئ من ذلك بل ولا مزارع اوربا الشمالية والقطر الذى تأوى اليه دواب الرنه (الشبيهة بالبقر) فى الشمال وفى الشمال الشرقى هو مسافة عظيمة غير صالحة للزراعة الى الآن ولا تزال كذلك مدة مستطيلة فى مستقبل الزمان ثم ان رغبة التتار والمغول ومعظم العجم فى الرماحة وقطع الطريق والحروب منشؤها كثرة الخيول عندهم وفى غرب آسيا وظيفة الابل تكثير الوصلات التجارية ومخالطة الامم بعضها البعض وبلاد الهند تستعمل الفيلة فى الفلاحة وهى شهيرة بالانتفاع بها فى الحروب فى سالف الزمان ولهذا كانت لها مدخلية فى تمدن الهنود قديما ولما كانت الصين خالية فى معظمها عن هذه الحيوانات المختلفة قامت عندهم مقامها المراكب التى ملأت ماهنالك من الانهار ثم ان فقد خشب العمارات الجأ سكان النجد الذى بوسط آسيا وسكان شمالها ان يتخذوا لسكناهم خياما مسجاة بالجلود او بالاقمشة لما ان كلا من هذه الجلود والاقمشة تستخرج من مواشيهم ومثل هذا احوج اهل عربستان الى ان يصنعوا مثل ماصنع هؤلاء فى شأن سكناهم بخلاف بلاد هندستان وغيرها من البلاد الكثيرة الاخشاب ولاسيما اخشاب النخيل فان استعماله فى البيوت الصغيرة معهود ملايمته لكسل اهل تلك البلاد كما انه ملايم للين مزاج الاقاليم وكل من تلك الخيام وهذه البيوت لاثبات به ولا صلابة فلهذا كانت مدن آسيا سريعة الزوال كسرعة زوال ممالكها التى كانت تلك المدن مراكزها وقتية ولما كان مثل هذا عادة عامة لسكان آسيا لم يكن عندهم بالضرورة ميل الى الاثاثات النفيسة ولا فى التصاوير والتماثيل فلهذا لايمكن تقدم الفنون المستظرفة تقدما عظيما مدا الدهر وايضا لما كان قطر بلادهم متحدا يتولد منه قسرا انواع الزراعات والاغذية المناسبة لكل قطر من اقطارهم وانضم الى ذلك قوة ديانتهم التى اكثرها اوهام وبدع وقوانين سياساتهم الظلمية وتخلقهم باخلاق العبودية ترتب على ذلك عدم انبعاث قلوبهم انبعاثا قويا حرا كالانبعاث الذى يحمل اهل اوربا على محبة الفنون والعلوم فحينئذ اقطار آسيا على اختلافها ليس بها الا مبادى تمدن قديمة وتمدنهم تجد به المنافع والمضار الطبيعية منتقشة انتقاشا لايمحى ولكن هذا التمدن فى جميع محالها وقف وانتهى الى درجة ادنى من الدرجة التى وصل اليها تمدن اهالى اوربا فى حديث الزمان ولما فرغنا من اختصار صورة آسيا على وجه عام حان لنا ان نخطط ذلك القسم على مقتضى تخطيطه الطبيعى فنقول

جدول اقسام آسيا باعتبار ماتقتضيه طبيعة ارضها

	القسم	البلاد
١	قسم كوه قاف المسمى جبل قوقازة	بلاد كوه قاف (حكومة) بلاد الاباظة والجركس والكرجستان وغيرهم وبلاد داغستان وشروان
٢	قسم اسيا الصغرى	اناطولى وقره مانى وسيواس وطرابزون وجزيرتا قبرس ورودس وغير ذلك
٣	قسم الفرات ودجلة	ارمنية وكردستان وميسيبوتاميا وهى الجزيرة ثم بابل وهى العراق العربى
٤	قسم جبل لبنان	الشام مع بلاد فلسطين اى ارض القدس
٥	قسم عربستان	بلاد العرب
٦	قسم عجمستان	بلاد العجم
٧	قسم نهر جيحون وبحيرة ارال وهى خوارزم	بخارى الكبرى وتركستان الغربى وبرية الغرغيز وبلاد التركمان
٨	قسم الهضبة الوسطى المسماة نجد الوسطى	بلاد القلموق اى الكيماكية والمغول وبخارى الصغرى
٩	قسم نهر اوبى وينيسية	سيبير الغربية
١٠	قسم الشمال الشرقى	سيبير الشرقية مع قمجتقا بمنزلة لاحقة

١١	نهر امور	(التتار المسمى بالصين مع كورة بمنزلة لاحقة
١٢	قسم الجزائر التى جهة الشرق	جزائر كوريله وجوقاو يسوو جزائر يابونيا ولينكيان وفرموزة
١٣	قسم النهر الازرق والنهر الاصفر (نهر يتغ تسه كينغ ونهر هونغ هو)	(الصين الحقيقى المسمى جين ماجين
١٤	قسم منابع نهر الكنك	(التبت
١٥	قسم الكنك	(هندستان الشرقى
١٦	قسم نهر هندوس اى نهر السند	(هندستان الغربى
١٧	قسم دقان	بجيجزيرة الهند امام نهر الكنك مع جزيرة سيلان وجزائر ملديوه بمنزلة اللواحق
١٨	قسم الهند الصينى	بجيجزيرة الهند خلف نهر الكنك وبرمان وسيام وكوشينصين وملقا

(المقالة السابعة والاربعون)

فى تخطيط آسيا بلاد القوقاسيين اى اهالى كوه قاف وهم الكرج والاباظة والجراكسة واهالى كوبان وداغستان وشروان

تعريف برزخ كوه قاف

ثم ان الاقطار التى يحدها بحر الخزر جهة الشرق ويرويها جهة الجنوب نهرا كور وريون المسمى نهر فاسيس ويحدق بها جهة الغرب البحر الاسود وبحيرة ميوتية المسماة بحر ازاق وينهى تلك الاقطار جهة الشمال نهرا مانيج وقوما هى التى يحدث من كونها على هذه الحالة لسان ارض اشبه بالبرزخ يصل اوربا بآسيا الغربية وفى خلاله يمتد جبل كوه قاف كالسور العظيم

ثم ان عرض هذا البرزخ على مقتضى مساحة بعض ارباب المعارف من الموسقو ٤٦ مريامترا بين مصاب نهرى دون وقوما و ١٢٢ بين بوغاز كفه وبحيرة ابشرون و ٥٦ بين مصب نهر فاسيس ومدينة دربند

اشتقاق لفظ قوقازه

ولم يتفق ارباب الاشتقاق على ماخذ لفظ قوقازه الشهير فى التواريخ والاشعار والدال فى لغة الافرنج على كوه قاف اى جبل قاف واولى المذاهب انه مركب من كلمة فارسية وهى كوه ومعناها جبل ومن كلمة اسقوثية اى تترية قديمة وهى قازبى ومعناها ابيض فكانه قيل جبل ابيض (وقيل من كلمة فارسية وهى كوه وكلمة عربية وهى قاف فحرف وقيل قوقازه) ويؤيد ذلك الرأى عبارة فى كتاب ايراطسشينس يثبت فيها ان اهل ذلك الجبل يسمونه قسبيوس ولكن ذكر بلنياس ان اسم هذا الجبل عند اهله غروقاسوس وهذا الاسم يمكن ان يكون غوثيا والظاهر ان فى عهدنا هذا ليس لهذا الجبل اسم عام يطلق عليه عند جميع اهله

ارتفاع

ثم ان القدماء قابلوا هذا الجبل بجبل الب فى الارتفاع ومن المحقق ان منتصف هذا الجبل مضرس بالزلاقات او مبيض بالثلوج المستمرة وزعم الحكيم ريخس ان رأس البرس المسمى البرج الذى هو اعلى رأس بسلسلة كوه قاف ليس مرتفعا على سطح البحر الاسود الا بقدر ٥٤٠٠ قدم ثم ان جبل كوه قاف يتصل فى الجنوب بعدة سلاسل جبل تاروس العديدة التى تجوب جميع آسيا الغربية وفى الشمال يكون من غير فاصل على حافة السهول الواسعة التى كانت تهيم فيها سابقا امة السرماطة والآن يهيم فيها امتا القوزاق والقلموق وعلى الشرق يشرف بها وعرة على السهل الضيق الذى يفصل بينه وبين بحر الخزر واعلى سلاسل هذا الجبل تنتهى جهة الغرب دفعة واحدة فى شمال بلاد المنغريليا بجبال صعبة الارتقاء تسمى عند القدماء جبال قيرونية واسفل سلاسله

سلاسل وفروع

تمتد بعد ذلك مسامتة لحافات البحر الاسود فيتفرع منها جبال واطية تفصل بلاد الجركس من الاباظة وكانت تسمى عند القدماء جبال قوراشيق ومن رؤس جبال كوه قاف رأس البرس والاحسن أن يقال راس البرج فى بلاد الاوسيته ثم رأس بيشبرمق يعنى جبلا ذا خمس اصابع وهو فى بلاد لسغستان (لعلها سجستان) ومن جبل كوه قاف انف جبل بارز فى ارض الجراكسة الكثيرة الخيول العظيمة يسمى عند القدماء جبال هيبيق وعند المتأخرين بيش تاو

الابواب الكوه قافية

والمجازان الاصليان بجبل كوه قاف يسميان عند القدماء الابواب القوقازية والابواب الالبانية فالمجاز الاول وهو الابواب القوقازية هو من غير شك المضيق الذى يوصل من مصدوق الى تفليس وهو واد ضيق مسافة اربع مرابع يجرى فيه على ما قاله اسطرابونس نهر ارقون المسمى الآن ارقوى وهذا الوادى كما قاله بلنياس مصنوع عظيم من مصنوعات الكائنات فكأن الطبيعة قد ثقبت فرجة عظيمة بين الاحجار وهذه الفرجة يكفى فى سدها اذا اريد باب حديد على شكل الشباك وهذا المجاز هو على رأى بسقوس الذى كان يخشى منه هجوم المتبربرين على كل من دولة الرومانيين والعجم ثم ان الحصن الذى كان يسد هذا المجاز يسمى باسماء مختلفة عند القدماء ويسمى الآن داريل واما الابواب الالبانية المشهورة عند الاقدمين فاشهر الاراء فيها انها مجاز دربند على

الابواب الالبانية المسماة السرماطية

امتداد بحر الخزر لكن اذا قابلنا مع الاعتناء جميع الدلائل المأثورة عن المتقدمين والامارات الواصلة الينا من السلف الاقدمين وتفكرنا فى سكوتهم عن بحر الخزر فى تخطيطات هذا المجاز وذكرنا ان بطليموس صرح بان ابواب البانيا بقرب منابع نهر قسيوس الذى يظهر بمقتضى جغرافية بطليموس انه نهر قواسو ونظرنا الى كون بطليموس جعل امة الديدورية الذين بجوار امة الطوسقية بجوار الابواب السرماطية وان هاتين القبيلتين مشهورتان الى الآن باسم ديدوس وطوشه وساكنتان الى الآن ايضا بقرب المضيق الذى يجوز بارض اوماخان على امتداد حدود ضاغستان ثم يجوز بعد ذلك ارض قغما كاريا فانه يتحقق عندنا انه ينبغى هاهنا البحث عن الابواب الالبانية اى السرماطية التى لم تزل الى الآن مجهولة واسم الابواب القسبيانية اى الخزرية المسماة

ابواب قسبيانية وايريانية

الباب والابواب الدال على دلالة حقيقية على مضيق بقرب تهران فى اقليم ادربيجان اطلقه طاقيطس وغيره من غير معنى على عدة مجازات من كوه قاف نعنى بين هذه المجازات التى تعبر سلسلة كوه قاف من الجنوب للشمال نخص الابواب الايبريانية التى كانت تسمى ايضا مضيق قربوش والآن تسمى سورابو ومن هذا البوغاز يتوصل من بلاد امريته الى بلاد كرتاليفيا وهذا المضيق كان فى زمن اسطرابونيس كثير الجبوب والمهاوى ولكن صيره العجم على حالة بحيث يمكن مسير العساكر فيه فى القرن الرابع من الميلاد

سد جبل كوه قاف

وهناك حكاية مشهورة بين اهالى كوه قاف تقتضى ان هذا الجبل كان مسدودا بسد عظيم يمنع غارة المتبربرين وهذا السد العظيم تارة يعزى لاسكندر وتارة لانوشروان ويستدلون على ذلك بآثار موجودة الى الآن ترى لمن يروم ذلك ولكن لا يعلم هل هذه الآثار هى بقية سد كان مارا بجميع البرزخ القوقازى او قطعة من حصن محلى

معادن

ثم ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على أنه يوجد باراضى كوه قاف معادن الذهب والفضة والحديد وفى عدة انهار صغيرة تتدحرج شذرات الذهب التى اذا علقت بجلود الغنم صلحت على رأى من يرغب فى تأويل كل شئ أن يفسر بها تفسيرا موافقا للطبع خرافة الصوف الذهبى

صخور

وروس جبل كوه قاف من حجر الصوان وقد تكون المنطقة الصوانية محفوفة من ناحيتيها بجبال صفايحية ثم كلسية ويقال ان سلسلة جبال كوه قاف منتظمة انتظاما عظيما ومما يؤيد ذلك اهتداؤها على سمت خط مستقيم لكن الجبال الكلسية المذكورة يظهر انها شاغلة للمسافة العظمى جهة الجنوب اكثر من غيرها وفى هذه الجهة الجنوبية تمتد السلسلة بعدة شعب وفروع اعظم من الجهة الشمالية ومن الجهة الشمالية تجد قاعدة الجبال كلسية وصفايحية مغطاة بأكوام رمل عظيمة تضل شيأ فشيأ فى السهل القحل المسمى برية قوما

حيوانات

وجبل كوه قاف هو من اقسام الكرة التى يرغب فى معرفة تولداتها الطبيعية واحوالها الداخلية وذلك لان جميع امزجة اقاليم اوربا توجد فيها وكذلك يوجد بها جميع انواع اراضى اوربا ففى وسطها الجليد المستمر والصخرات العقيمة التى هى ماوى الدببات والذآب والجكال وهو ابن آوى والطاووس وهو حيوان من جنس الفلى واوعال كوه قاف يعنى التيوس القوقازية التى تهوى المكث فى قلال الجبال الوعرة الصفايحية وحيوان الاروية المسماة التيتل وهى على ضد تلك التيوس تأوى الى الجبال الكلسية السفلى وكذلك الارانب البرية التى تأوى الى الجحور والحيوان الاسود المسمى قرقدون الذى تتخذ منه الفرا وحيوان القاقوم والحيوان الذى من جنس الدنكله وكثير من الطيور الضارية وغير الضارية وفى الشمال تجد سهولا خصبة كثيرة الحنطة والمراعى التى تسرح فيها الخيول الظريفة الجركسية وعلى البعد من ذلك تجد سهولا كثيرة الرمال مستورة بالنباتات الخشنية ولكن بها انخفاضات طبيعية تربتها دسم من تلك السهول وفى الجنوب اودية عظيمة وسهول هو آوها اصفى من سائر الاهوية تنمو فيها نباتات آسيا غاية النمو واى محل من محال ذلك الجبل يكون اتجاه المهبط فيه جنوبيا او غربيا او شرقيا فجوانبه تكون مغطاة بشجر ارز لبنان وشجر التنوب وشجر العرعر الاحمر المسمى السندروس الاحمر وشجر الران المسمى ايضا شجر عيش السواح وشجر البلوط واشجار اللوز والخوخ والتين تنمو بكثرة فى الاودية الحارة التى يقيها الصخر مضار الهواء واشجار السفرجل والمشمش البرى والكمثرى ذات الاوراق الشبيهة باوراق الخلاف والعنب تكثر فى الدغلات ومجتمع الاشجار الصغيرة وعلى اطراف الغابات ثم ان الحيل والعناب والنبات المسمى شوك المصلوب كل ذلك متأصل بهذه الارض ودال على اعتدال قطرها والبرك بهذه الجبال مزينة بنباتات طريفة مثل حشيشة الرودوندرون وحشيشة ازاليا وعلى سواحل بحر الخزر يزهو شجر الزيتون المحروث والبرى وشجر الغار الذكر والانثى والاودية العالية بهذا الجبل معطرة بشجر السيرنغا وهو شجر صغير كالورد وبالياسمين والعلى المسمى الليلك والورد القوقازى

ثم ان البرزخ القوقازى مشتمل على ما لا يحصى من الامم الصغيرة وبعض هذه الامم انما هى بقية من الامم الاسياتية الرحالة النزالة التى ذهبت فى هيج الامم الاكبر من هذا الجبل وآبت منه ولكن اكثرها متألف من قبائل متأصلة بهذه الاراضى وموجودة بها من اول الزمان وكل قبيلة من هذه القبائل باقية على لغة خاصة بها والظاهر ان هذه اللغات اصلية عتيقة ليست متفرعة عن لغة اخرى وسحنة القوقازية مشتملة على مثل الاوصاف المختصة باصول اجناس اوربا وآسيا الغربية المميزة لهم عن عداهم وكذلك يوجد فى ارض كوه قاف وما حولها من الحيوانات الاهلية والنباتات المحروثة نظير ما فى اوربا وآسيا الغربية وايضا الكتب القديمة الباقية الذكر المنسوبة لموسى عليه السلام وخرافة پروميثوس الرمزية الشهيرة عند اليونان وغزوة الارغونوط الشهيرة وعدة حكايات منقولة عن السكندناوة كل هذا يدل على ان اصل الافرنج من جهة كوه قاف وان هذا الجبل هو احدى النقط التى منها

تقسيم هذه الامم

اتشروع البشر على جزء عظيم من سطح الارض ولكن هذا البحث خارج عن [illegible] تقسيم هذه الامم القوقازية الى سبعة اقسام كبيرة على حسب اللغات السبعة الاصلية المتداولة [illegible]

١ الكرج وهم ينقسمون الى
- ا) الكرج المسماة بذلك حقيقة
- ب) ايميريتية
- ج) كورية
- د) منغريلية
- ه) سوانه

٢ الاباظة وينقسمون الى عدة قبائل

٣ ابلركس
- ا) جراكسة قوبان
- ب) جراكسة كابرديا

٤ أوسيته * وهم ينقسمون الى عدة قبائل

٥ الكستة او الجيجنزة مع الانجوش او الانقوش وغيرهم من القبائل

٦ اللسجة او اللسغة وهم ينقسمون الى ثماني قبائل بمقتضى لغاتهم الثمانية

٧ بقية التتار والمغول والهون وغيرهم من قبائل النزلات الغربية المهاجرة الى جبال كوه قاف والمنتشرة فيها والمتفرقة فى اجزائها

الكرج

والكرج الحقيقيون هم الذين ينبغى النظر اليهم اولا لان مقامهم بمركز ذلك البرزخ ووسطه فنقول ان الموسقو يسمون ارض الكرج كروسيا اوغروسيا ويسميها العجم كرجستان ولكن مؤلفو بلادهم يسمون باسم ايبريا او ايوريا اربع الممالك التى هى مملكة كرتوه ومملكة ايميريتى ومملكة منغريليا ومملكة كوريا ويظهر ان هذه التسمية التقسيمية مجهولة لاغلب اهل البلاد ومذهب بعض العلماء المتأخرين ان اسم الجرج او الكرج مأخوذ من اسم نهر كبير يسمى نهر كور ويقال له كيروس وقيروس وهو يسقى هذه البلاد الظريفة فحينئذ يتعين ان تسمى هذه الامة الكرج او الكرجية بالكاف لا بالجيم

اقسام اصلية

والمقاسمات المختلفة الواقعة فى الاعصر الوسطى بين امراء ايبريا نشأ منها ثلاث ممالك المملكة الاولى مملكة ايميريته التى انقسمت فى الزمن الاخير الى منغريليا وكوريا او غوريا والمملكة الثانية مملكة كرتالينيا وتسمى كرتول والثالثة مملكة كاشتيا وقد سميت مملكة ايميريته باسم الكرج التركية وباقى الممالك بالكرج الفارسية فالترك الفارسية هى التى اقتصر مؤلفو هذا العصر لاسيما الموسقوية على تسميتها بلاد الكرج وهذه الارض منقسمة الى خمسة اقاليم الاول كردول الاعلى والثانى كردول الاوسط والثالث كردول الاسفل والرابع كاشتى والخامس سومشيت ومن منذ عشرين سنة خرج امير شجاع يسمى هرقليوس وجدد هنالك دولة مستقلة استمرت كذلك مشهورة باسم كروسيا ثم انضمت الى سلطنة الموسقو وصارت جزأ منها

انهر

ثم ان نهر الكور الذى يروى وادى الجرج تمده بمياهها عدة انهر وهى نهر اراغى ونهر يورا الذى يظهر انه هو ما كان يسمى عند الاقدمين ابريوس ونهر الاسان الذى كان يسمى عند الاقدمين ايضا الاسون فاذا وصل نهر الكور الى سهول شروان اختلطت مياهه بمياه نهر الرس المسمى نهر اركس ومن هذين النهرين تحدث عدة خلجان تارة مجتمعة واخرى متفرقة فلهذا كنا على ما كان عليه الامر فى عهد اسطرابونيس من عدم الجزم بكون مصاب هذه الانهار مفترقة وان نهر الكور تضيع مياهه فى نهر الرس

تولدات

وبلاد الكرج تحظى بقطر لين وهو فى الغالب ملايم للصحة وبها تغيرات لطيفة للجبال والغابات والسهول وجميع التولدات التى تؤخذ فى سائر البلاد القوقازية توجد بها بكثرة لكن اهلها القليلون يهملون السدية المخلوقة لهم

زراعة

فلا ينتفعون بخيرات ارضهم حق الانتفاع ففى فصل اليبس الذى يبتدئ عادة فى شهر مايه وينتهى فى شهر نوفمبر تشتغل الكرج بسقى ارضهم التى تسدى اليهم فى نظير قليل عملهم اعظم الاثمار فيزرعون بها الحنطة ونباتا آخر يسمى غوم ويسمى ايضا هلكوس بكولور والذرة وينجح فى ارضهم مع يسير التعهد الخوخ والمشمش والموز والسفرجل والكريز والتين والرمان والعنب الكثير الجيد الذى يتخذ منه النبيذ وينقل الى بلاد العجم ونبيذ اقليم كاشتى لا يحسن ادخاره لرداءة صناعته وان كان يفرقع عند ملاقاة النار والتفاح والفوة والقطن تزرع فيها مع بعض اعتناء وتربية النحل ممدوحة بها وخيولها وبهائمها ذوات القرون تفاخر اعظم اجناس الخيول والبهائم

الافرنجية فى جسامتهم واعتدالها وبهاغنم ذوات اذناب عظيمة واصواف جيدة والخرف البلوط والتنوب يفسد من غير ان يخطر ببال احد من اهل تلك الجهة انتفاع به رأسا

الكرج * لغتهم اصلية الخ

ثم ان الكرج ويقال لها الايبيرية وهو الاحسن هم قوم متأصلون بجبال كوه قاف والسنتهم مخالفة مخالفة غريبة عجيبة لاى لسان كان وبلغتهم الف فى القرن الثانى عشر من الميلاد كثير من كتب التاريخ والادب وكلهم يظنون انهم اولاد جد مشترك بينهم وبين الارمن وهم فى الغالب ارباب جمال وحسن تقويم صورة وخفة حركة ولهم فى العقل الغريزى نصيب غير انهم ارباب طمع وصبوة للسكر وانما اخذوا بعض زى العجم لان اشرافهم يتربون فى ديوان ملك العجم وآحادهم يستخدمون فى الخفارة عند ذلك الملك وقل أن تجد الكرج مجردين من السلاح حتى انك تجد فى المزارع بنادقهم وخناجرهم ليتحفظوا من قطاع الطريق الذين ينزلون عليهم من الجبال القريبة منهم

تجارة

ثم ان الحروب والفتن غيرت هذه البلاد الظريفة عما كانت عليه الى حالة محزنة فلهذا تجدهم لا يتجرون الا تجارة يسيرة مع ميلهم الطبيعى الى التجارات العظيمة والسياحات والارمن هم عمالهم فى التجارات ونساؤهم اللاتى جمالهن ليس اقل شهرة من جمال نساء الجراكسة وان لم يصلن الى درجتهن فى البياض ولادقة الخصر قد اكتسبن من مخالطتهن الغرباء عدم الحشمة وقلة العفة وكثرة الفساد فالجوارى التى تباع منهن يكون الموجب لها ذلك والمورد لها هذه المهالك هو آفات جمالها وتلاشى ابهة جلالها وكثير من الكرج يسكنون فى عشش يغيب اكثرها فى الارض وفى اقليم كاشتى الذى تقدم به التمدن بعض شئ تجد نوعا من البيوت وهو شوحات رفيعة وحيطان

مساكن

من مكعب الصفصاف مستورة بخليط من الطين وروث البقر ومسقوفة بالقصب الفارسى وبالبيت منها غرفة طولها خمسة ابواع وعرضها اربعة يدخلها النور من الباب وله سقف تجفف عليه الفوم والقطن وفى وسط المسكن حفرة توقد فيها النار دائما وفوقها اقزان من نحاس معلقة به بسلسلة وحوله دخان متكاثف ينفذ من سقف البيت ومن بابه وفى غالب القرى تجد بروجا اذا هجمت عليهم همج اللسجية لجأت اليها نساؤهم وذراريهم ليحتموا بها

مدن

وقاعدة جميع هذه البلاد مدينة تفليس وكانت تسمى قديما تبليسى واهلها غالبا ٢٠٠٠٠ وبها ٢٠ كنيسة كورجية و ١٥ كنيسة ارمنية وكنيسة واحدة قاثوليقية وليس بها من المساجد الا مسجد واحد عجمى وليست بها براعة صناعة الا فى الورش التى تصنع فيها الاشياء السهلة ومدينة مزشيتى التى كانت سابقا مقر ملوك الكورجية بها كنيسة رئيسة ظريفة مبنية من منذ تسعة قرون ومن مدن الكرجية ايضا مدينة جنوال المسماة ترشنوال واهلها يهود وكذلك مدينة كورى اوغورى واهلها الارمن

واهل بلاد الكرجية يمكن ان يبلغوا ٣٠٠٠٠٠ نفس ثلثاها متأصلون بهذه البلاد ومتمسكون بالملة اليونانية الرومية وبهذه البلاد كثير من الارمن واليهود

قوانين بلادهم وسياساتهم الداخلية

ثم ان العائلة الملكية بعضهم يجعلها من ذرية يهودى يسمى بغراط وبعض آخر يوصل نسبها الى امير فارسى يسمى فرنابازس وقد نزلت هذه العائلة عن حقوقها الملكية لدولة الموسقو وقبل ذلك كانت بلاد الكرجية مملكة التزامية وقد كان بها عدة امراء عظام فلم يمكنهم ان يشيدوها ويجعلوها متينة ولا ان ينظموها فكانت الامراء واشراف البلاد طائفتين متباينتين فكان الامراء لا يدفعون للملك خراجا اصلا وانما هم مكلفون بان يصحبوا الملك فى اوقات الحرب ومعهم عمالهم وما يقع من التشاجر بينهم لا يحكم فيه الا الملك واما الاشراف فكانوا مكلفين ببعض حقوق للملك والامراء ومع انهم يسكنون عششا واخصاصا فقيهم من الكبر بقدر ما عندهم من الفقر والجهل واما آحادهم فكانوا مستعبدين اشد الاستعباد فكانوا يباعون ويهدون للاحباب كما يفعل بعجماء الدواب وكل من كان منهم له قدرة على حمل السلاح فهو منظوم فى سلك العساكر وكل واحد من الاشراف يكون قائد الفلاحيه المستعبد لهم ولكن الملك هو الذى ينصب صارى العسكر الذى هو قائد جيوش الجميع وقد كان ايراد الملك خمس جميع ما يخرج من العنب والمزارع والحدائق ومكوس الدخول والخروج للبضائع وجميع ما كان يخرج من المعادن التى كانت تستخرج قليلا والآن ارضهم صارت كلها من بلاد الموسقو فصارت كاقليم منها

الايميرتية

وامة الايميرتية التى اسمها مأخوذ من اسم الايبرية مجاورة للكرج من جهة الشمال الغربى وتتكلم بلغة من لسان الكرج وحليتهم طرابيش صغيرة مخصوصة بهم وشعور رؤسهم الطويلة وحلق عنافقهم مع ابقاء الشوارب ورفع اطراف ثيابهم نهاية ما تصل الى ركبهم وبها ثنيات كثيرة عند الفخذين واشرطة ملتفة على سيقانهم وهم نحو خمس وعشرين قبيلة يعيشون تحت حكم ملك يلقب بلقب كزار اى قيصر ومملكته متوارثة وقد التزم عدة مرات ان يكون

تولدات ارض ايميريتية

تراجيا السلطان الموسقو والايميريتية يسكنون باطراف الانهر والغياض [illegible] بحيث مدة مستطيلة من السنة مستورة بالثلوج واوديتهم سبخة و [illegible] والنخل بحدود القزف اعلى طبقة [illegible] بالنسبة لغيرها من بلاد كوه قاف والدالية من عنب [illegible] ذات عائلة تمامها ولا يهمل اهل هذه البلاد لخيرات ارضهم وقطرهم موجب لضياعها من غير فائدة [illegible] الآن بنهر رهيون الذى هو نهر فاسيس الاقوارب متخذة من جذوع الاشجار المحفورة مع [illegible] سابقا عليه مائة وعشرون قنطرة فكان دائما تحمل عليه البضائع وفيه طريق لنهر الكور فهذه هى [illegible] التى كانت بين بحر الخزر والبحر الاسود ولم تزل الى الآن بتلك البلاد آثار مدينة

مدن

سربانا المسماة الآن شورپانى وقرية قوطاطيس المسماة كوتايس والظاهر انها كانت تسمى سابقا كتيه وبقربها مقر ملك ايميريتية فى شبه معسكر والتجارة الضعيفة الموجودة عند الايميريتية تكون فى موضعين على نهر رهيون وفى مدينة اونى وفى مدينة خونى او شونى فتستبدل عندهم الحبوب والخيول واوانى النحاس بالجوخ والاقمشة وفى مدينة زاديس فى الجهة الشرقية لهذه البلاد تجد معدن حجر الدم ومنه يستخرج الحديد الذى تستخرج منه عدة آلات وادوات

وبجهة الشمال كورة صغيرة تسمى ردشا وهى اصل كوزرهذه البلاد يمكن ان تجهز للحرب ٥٠٠ نفس وقرى السهول متسعة واما قرى الجبال فبيوتها متلاصقة وتجد بيوت القرى الاولى من مكعبات الصفصاف و بيوت القرى الثانية من الواح الخشب

الكورية

والكوريون او الغوريون ساكنون فى الاراضى التى على شطوط البحر الابيض بجنوب نهر فاسيس ولما جارت عليهم الحكام الذين يقال لهم باشات المجاورون لبلادهم هجروا السير فى البحر والصيد ولم يجروا لانفسهم نفعا مما اسدته اليهم خيرات ارضهم الكثيرة الطبيعية فان الكورية ذات ارض صافية الهواء وصالحة للزراعة وتربية

بلاد كورية

المواشى ومزاج قطرها له مدخلية معتدلة فى صلاح الليمون والزيتون والبرتقان فان هذه الاثمار لا تنضج فى جميع نواحى كوه قاف الاجنة الارض وقدما عترى هذه الامة كافتها بعض اختلاط وذلك لانه يوجد بها غيرما فيها من الاتراك الملزم امير الكورية الملقب كوريل ان يحسن معهم المعاملة تترواز من ويهود

لاظية

وعلى ساحل البحر الاسود تحت الكورية تسكن الجهة اللاظية ومعنى لاظية فى لغة الترك بحرية ولعل هذه الامة بقايا من امة اللاظية القديمة التى فى زمن البوزنطيانيين كانت مستوطنة فى بلاد كلخيدة

منغريلية

والمنغريلية ساكنة فوق الكورية وبجانب الايميريتية فى نفس الارض التى كانت سابقا تحت حكم الكلخيدية ثم صارت اللاظية ففى هذه البلاد تجد مدينة عتيقة خربة وحصونا تركية اوروسية على شاطئ البحر وسفنا موسوقة من المماليك التى تسافر الى بلاد الترك وامراؤها احيانا يقطعون المهامه لنهب الفلاحين ونساء يخن ازواجهن

اخلاقهم

فى ابضاعهن والمحاربات بين القرى وغارات الامم الغريبة عليها التخريبها فهذا تخطيط بلاد المنغريلية الآن وملابسهم قلانس من اللبد كبيرة وهم اما حفاة رأسا ويلفون الجلد على ارجلهم بحيث لا يكاد يقيهم من اراضيهم الرطبة الترية وعلى ابدانهم قمص وثياب رثة فهذه حالتهم بين نسائهم اللاتى لا عفة لهن ويأكلن باصابعهن ويربين اولادهن

امر المماليك

على الكذب والسلب والنهب وكيفية اسر اشرافهم للمماليك انه فى وقت شدة الاقدام والاحجام فى الغارات يترقب الشريف منهم بعض الاعداء الذى يمكنه ان ينزله من فوق فرسه فينزله وبهذا يصير اسيره فبمجرد انزاله من فوق فرسه يكون معه حبل على وسطه فيحله ويوثقه به وتحصيل المماليك يكون ايضا فى وقت الصلح لان السيد يبيع خادمه والاب يبيع ابنه والاخ يبيع اخته

تجارة

وتجلب الترك من بلاد المنغريلية غير الارقاء الحرير والقماش والفراء الاسيما جلود كلب الماء المسمى بالسكلابى ويسمى ايضا البيدستر والجندبادستر وكذلك العسل الابيض والاحمر ويدفعون لهم فى مقابلتها السيوف والقسى والنبال وطقوم الخيل والجوخ بل والنحاس والحديد وذلك لانهم وان كانوا فى قديم الزمان مستولين على صنوف الذهب فهم لا يستخرجون الآن شيأ من المعادن وبقرب اسكورية المسماة ايضا اسغاور وكانت تسمى فى قديم الزمان ديوسعرياس جهة شمال هذه البلاد وعلى حدود اقليم اديشية تجد المحل الاصلى للتجارة والنقود التركية

مدن اصلية

هى المتداولة بينهم ومينا آنرغيا التى هى اسفل من ذلك والتى هى مبدء منغريلية الحقيقية هى ايضا مركز تجارة عظيمة

اقليم منغريلية ونباتاته

ثم ان منغريلية هى الآن رطبة حارة حمية كما كانت عليه فى الوقت الذى خططها فيه بقراط وسماها كلخيدة وفى الحر تتسلطن فيها امراض وبائية معدية تموت بها الناس والحيوانات والزروعات فيها سريعة النمو

وحلاوة الانبات فان جميع [illegible] كالخروج بهامن [illegible] اوغيره قد لاتكون مستلذة وتكثر فيها اشجار
الشاهبلوط واشجار التين ولايوجد فيها مثل نبيذها الذى هو قليل ملايم للصحة وحار جدا وبها ايضا الارز والذرة
المسماة غوم ثم ان المنغريليين لم يزرعوا الا ان كانا مع أن سلفهم وهم الكلخيدية كانوا فى زمن هردوط
واسطرابونيس يتخذون منه اقمشة عظيمة وقد شاهد كردين الا ان بقاياها واقبايحون بعض اهتمام بتربية النحل
فعسل بعض اقاليمها التى يكثر بها النبات المسمى آزاليابنطيا مركا وصفه بذلك [illegible] اسطرابونيس فى قديم الزمان
وخلفهم فاسيس المسمى رهيون فى كورية زينفون فى قديم الزمان تجدنوعا من العسل يعترى من تناوله
تخدير وهذا وصف به بلنياس الشجر المسمى رهودودندرون وهو شجر صغير يكثر فى الغابات التى يوجد بها النحل

اوهام وعوايد

ثم ان البدع والاوهام منتشرة جدا فى منغريلية وذلك لان قسيسى النصارى المبعوثين الى بلادهم ايام كتبهم
فى القرن السابع عشر من الميلادات يبطلوا العيد الذى كانت تشهره اهالى هذه البلاد وتنتشر بها العجل وهذا يذكرنا عبادة
عجل قدماء القبطة المسمى ابيس وامير المنغريلية يلقب ددياني يعنى سيد البحر مع انه لم يستول على زورق فى البحر
وفى العادة يهيم مع اتباعه من مكان الى آخر ومعسكره هو مقام الفسق والفساد كما هو مقام الصعلكة والفقر
واعيانهم يألفون الصيد ويطبعون الطيور الضوارى ويؤنسونها الصيد والقنص ومن امثال المنغريلية لاتكمل
السعادة البشرية الابثلاثة اشياء فرس جواد وكلب معلم جسيم وبازعاد عظيم وهم يدخرون مقدارا عظيما مما يحصلونه
بالصيد من الحيوانات الوحشية ويتغذون بالدبول البرية وهى حيوانات متولدة بتلك البلاد التى حدها نهر فاسيس
والمسلمون المستوطنون هنالك تنفر طباعهم من كثرة الخنازير والانبذة مع قلة الخبز الجيد وعلى شرق اوديشى
والمنغريلية اقليم صغير منغريلى يسمى اقليم لشكوم يسكن اهله العشش المتخذة من الاحجار

امة سوانه

وثم واد عظيم يمتد من الجنوب للشمال يفصل الاقليم المتقدم من بلاد سوانه وبلاد سوانه بقرب رأس البرس
او البرج وهى آخر رأس من جبل كوه قاف وامة السوانه التى اسمها فى لغتها معناه سكان الجبال هى الا ان حرة
مستقلة ولامناسبة بينهم وبين الكرجية الافى اللسان ورثاثة ابدانهم مجاوزة الحدود كسلبهم ورغبتهم فى السلاح

عادة غريبة

ونساؤهم يسدلن على رؤسهن منديلا من كتان احمر اللون بحيث لايرى من وجوههن الاعين واحدة ولعل هذا هو منشأ
الخرافة الجغرافية المتضمنة لامة العور المسماة فى التواريخ القديمة منوفطالية اى ارباب عين واحدة وقد تكلم
اسطرابونيس على امة تسمى الفطروفاجه يعنى أكالى القمل وقال انها ساكنة هنالك ولعلهم سلف امة السوانة
ثم ان وعر جبال الاردوار وهو الحجر الاسود الذى يشبه الصفائح الذى يفصل منغريليا عن بلاد الاباظة
والبسيانية ويمتد الى حدود اقليم بسيان هو الذى يقى بلاد السوانة من كل خطر فانه يسكن به نحو ٥٠٠٠
عشيرة من غير رئيس ولا امير ولما كانت امة السوانة فى قديم الزمان تخشى سطوتها لم تزل الى الا ان مشهورة
بشجاعتها الوحشية وارتفاع قاماتهم المحدية اعانت على خوف سطوتهم وخشية بأسهم ثم انهم يحسنون استعمال
البندق وعمل البارود وجميع انواع السلاح وبمعادنهم جميع المواد اللازمة لذلك لما أنه يوجد عندهم النحاس والرصاص
واوانى ذهب وفضة

اباظة

وامة الاباظة المسماة اباسجية ساكنة فوق السوانية والمنغريلية فبلادهم موضوعة بسفح جبال كوه
قاف من ناحية الشمال الغربى وبعضها على شطوط البحر الاسود وحيث توجد عدة مينات وحصون من حكم
العثمانية وبعضها جهة منابع نهر قوبان حيث يرتفع رأس البرج الذى هو آخر رأس من كوه قاف مشرف
على القبائل الستة الاباظية المسماة عند التتار الطيه كسق فالقسم الاول وهو الذى بسفح جبال كوه قاف
اباظة الكبرى وهى خصبة وان كانت كثيرة الجبال والثانى اباظة الصغرى التى بحث اهلها لما ظلمتهم امة الجراكسة
المجاورة لهم على ماوى يلجاون اليه فذهبوا الى مضايق الجبال فهلكوا شيأ فشيأ

اوصاف طبيعية

والاباظة الذين يسمون انفسهم ابسنة اجلاف حسان الخلق ذو وقسوة وسرعة سير وشكل وجوههم بيضاوى ورؤسهم
غائرة بين اكتافهم وعنقتهم صغيرة وانوفهم كبيرة ولون شعورهم اكلف غامق فهو يفيدهم سحنة خاصة بجنسهم
وقد كانوا مشهورين فى قديم الزمان عند اليونان باسم آشية وبانهم قطاع الطريق البحرية وارباب حيلة ومكر تخشى

حالتهم السياسية والديانية

سطوتهم وقد كانوا ممنوعين من قبل البوزنطية عن بيع المماليك ثم ان الجراكسة دعوا امرآء الاباظة الى مجلس
وبعد أن امنوهم فتكوا بهم من حيث لايشعرون وكان هؤلاء الامرآء قبل ذلك رؤساء هذه الامة الحرة فمن هذا الوقت
صرف الاباظة هممهم فى الحروب الداخلية ففقدوا بعض التمدن الذى اكتسبوه من القسطنطينية غاية ماعندهم
الا ان انهم يشهرون الاحد فهذا اثر ما كان عندهم من دين النصرانية ومنهم رحالة نزالة صلحية ليسوا باشرار يعيشون

فى غابات البلوط واشجار الجور الرومية الساترة للبلاد و بعضهم يعيش بتيسير الزراعة وكل منهم له استعداد لقطع الطريق وكل من قدر منهم على صاحبه واستولى عليه باعه لتجار المماليك والاباظية قسمين نظرا كسة فى لغتها وعوائدها على ماقاله غاد نستد وحقق بلاس أن لغتهم لاتشبه شيأ من اللغات المعروفة رأسا ويظهر أن ببلاد الاباظة معادن الفضة كامنة ولكن لايعرفون الانتفاع بها كما لايعرفون الانتفاع بوضعهم وتاهيهم للملاحة والصيد

تجارة

وسلع تجارة الاباظة هى عباآت الجوخ واللبد وفرا الثعالب والقرقدون وهو نوع من ابن عرس والعسل والشمع وخشب البقس وتأخذ الترك من هذه البضائع مقدارا عظيما ثم ان الاتراك والارمن يجلبون معهم الى بلاد الاباظة الملح والقماش وهم دائما على حذر من غارة هؤلاء الامم المتوحشين الذين بمجرد حصول قوة لهم يغيرون على مايحكى على مطلق ناس من غير تمييز بين احبابهم واعدائهم

مدن الاباظة

ومعظم بلاد الاباظة مستور بالغابات التى بها تجد الحرارة والرطوبة يمدان نباتات كثيرة كما فى امريقة والنباتات المسماة ليانة التى تشبه عراش العنب تضيق على تلك الاشجار وتمنعها من النمو والانتشار وما قيل من أن مدينة سوجوقلعة المسماة سوجوم قلعة اى قلعة سوجو اوسوجوم هى احسن مينا بهذا الساحل الطويل فليس بصحيح فان مدينة غيلنجيق ذات مينا عظيمة متسعة عميقة ومن مدن الاباظة مدينة بتزندا التى كانت تسمى سابقا فى قديم الزمان بطيوس وقد كانت سابقا عظيمة التجارات و يظهر أن مدينة ماماوى هى من المدن العظيمة بهذه البلاد التى هى فى الحقيقة قرى واما قبائل الاباظة فكثيرة فمن المعروف منهم والمشهور قبيلة البشيلباى

قبائل اصلية

والسيبيش والناتوشاشه فالاولى تسكن اقليما جبليا لايمكن التوصل اليه بقرب اباظة الصغرى والثانية تسكن على البعد من تلك جهة الغرب ومعظم قطاع الطريق يكونون عادة من رؤساء هذه القبيلة وامرائها فانهم يغيرون على بلاد العثمانية الى مدينة انبا ولايزالون كذلك حتى يوردوا النزل غاية الضنك والقبيلة الثالثة وهى اقوى جميع القبائل واكثرها عددا ساكنة بقرب الساحل ويوجد عندهم عيون النفط كما يوجد فى الاجزاء الجنوبية من كوه قاف

مصاب نهر قوبان

وفى شمال بلاد الاباظة مصاب نهر قوبان الذى بعد نزوله من الاجزاء الوسطى من جبال كوه قاف يتلقى معظم المياه الجارية من الفرع الغربى من سلسلة هذه الجبال فى السهل المرمل الذى يمتد فى شمال هذا النهر لايبعث اليه نهرا آخر يصب فيه ومصبا هذا النهر يحيطان بجزيرة طامانك وهى جزيرة مسطوحة الارض سبخة التربة وان كانت خصبة وبها مدينة فنغوريا اوفنجوريا وكانت تسمى فى قديم الزمان «فنغوريا» وبها بعض تجارة وهذه المدينة من اعمال الموسقوبية بجميع السهل الذى فى شمال قوبان وفى الجنوب الشرقى من نهر اراق وهذه الاقاليم التى بها طبقات الملح والرمل تتعاقب مع اوجار الكلسية والصدف لم تبق للنباتات ارضا صالحة الاشطوط النهر وهى صحارى متوالية متشابهة لايتخللها الا مجتمع اشجار البان والدالية والصفصاف الصغير و بما تخللها فى بعض المحال زوج من لسان العصفور المسمى أق أغاج اونوع من شجر الجور المسمى الرجراج وهذه الصحارى تسمى الآن

قزاق البحر الاسود

باسم القزاق الجونومورسكية يعنى قزاق البحر الاسود وهذه الطائفة الحربية هى بقية الطوائف المشهورة باسم القوزاق الزابوروجية التى نعرفها حين تخطيطنا بلاد الروسية

سهول مانيج وقرما

ثم ان الوسط والجزء الشرقى من السهل المرمل الذى يفصل بحر ازاق من بحر الخزر يشبهان شبها كليا الجزء الذى فرغنا من تخطيطه فانا نجد لاسيما على امتداد نهرى مانيج وقوما سهولا قاحلة بالكلية اويشو بها يسير ماء مالح وكثير صدف وتجد ارضا مرتفعة قليلا على سطح البحرين المجاورين لها فحينئذ اذا استقصينا مراش هذين النهرين وجدنا

مذهب فى بوغاز قديم

آثار البوغاز القديم الذى زعم جمع من العلماء انه كان يصل سابقا بحر الخزر ببحر ميوتية الذى هو الآن بحر ازاق فان كان موجودا تعين ان يكون فى هذا المحل لانا اذا توغلنا زيادة عن ذلك جهة الشمال رأينا تلولا ترتفع وتفصل نهر دون من نهر الاتل واذا توغلنا جهة الجنوب وقربنا من منابع نهرى قوبان وترق رأينا تربة الارض ترتفع يسيرا شيأ فشيأ ووجدنا ارضا سوداء للزراعة تغطى طبقات الرمل والنبات المعتاد بهذه الاقاليم يقوم مقام النباتات الملحية فلنقتصر على ذكر هذه الحوادث الحقيقية وما يترتب عليها من الاشياء الممكنة والنزاع فى الوجود الحقيقى لهذا البوغاز لاينبغى ان يذكر هنا مادام خاليا عن الفوائد التاريخية لان جميع مايتعلق بالقرون المتقدمة من التاريخ نفوض فيه الامر طوعا للعلماء تشريح الاراضى الباحثين عن احزائها وكذلك للشعراء وجميع القدماء كانوا يعرفون تلك الارض السهلة على حالتها الاصلية كما هى عليه الآن وانما اضطربت آراؤهم فى تحديد عرضها ووقع الاختلاف فيه وسبب هذا الاختلاف كغيره من تناقضات المتقدمين كون المساحات حصلت بدون الآلات اللازمة والمباشرات المحتاج

اليهافى قياس الاراضى وبالجملة فالجار الذى استنتجوا منه اخذا بالظواهر ان فى القرن الرابع من الميلاد كان برزخ كوه قاف مغمورا بالبرك التى يؤل على بحيرة واحدة مسجنة وهى بحيرة بوليسية الباقية الى عهدنا هذا

عمالة قوقاسيا التتار

وجميع الاراضى الواطية الممتدة على شرق بلاد القوزاق الجرنومرسقية وعلى شمال نهر ترق يتكون منها عمالة قوقاسيا اى كوه قاف التى هى من منذمدة اقليم من اقاليم الدولة المسقوبية وهو معمور بعدة قبائل مختلفة من القوزاق والتتار التاجيين وهؤلاء التتار مجبورون على السياحة من ارض مرملة الى اخرى يعيشون عيشة القبائل الرحالة النزالة تحت حماية الروسية يغتذون من محصل مواشيهم مع يسير من الذرة او يقتاتون مما يتحصل من قطعهم الطرق ونهبهم كلما وجدوا لذلك فرصة ولما اهتمت دولة الموسقو بعقاب قطاع الطريق من هؤلاء القبائل عقابا شديدا مثل قطع ايديهم وارجلهم انتهى الامر بازعاجهم وتخويفهم لاصلاح شأنهم وقد حكى بعض من شاهدهم نوادر غريبة فى تلقى الآباء لابناءهم المقطوع ايديهم وارجلهم مجازاة لهم فى نظير قطعهم الطريق ونهبهم فان الآباء يبادرون بمنع سيلان الدم بغمس الاعضاء المقطوعة فى اللبن المسخن ثم ينقلونهم فى عششهم ويباشرونهم غاية المباشرة ويتعهدونهم غاية التعهد واغلب هؤلاء القبائل التتارية قوزاق واعظم قبائل امة القوزاق قبيلة تسمى

قوزاق

غربينسكية ثم ان مملكة الموسقو محصنة بسلسلة حصون تحفظها من غارات الامم المتعاصية بجبل كوه قاف ومن هذه القلاع قلعة كسليار على نهر الترق وهى مدينة عامرة بالتجارة واهلها نحو ١٢٠٠٠

مدن

نفس ومن قلاعها قلعتا مصدق وكورجيوسك وهما بندرا بلاد القوزاق الآن ويدومنهما عنوان ابتداء التمدن بتلك النواحى وبتلك الاراضى تزرع الدرة المسماة باسم بانيق وكذلك الذرة المعتادة والارز والتين والقطن ولكن شدة الشتاء بها وفقد ما يحفظ ارضها ويجعلها سلبية كغيرها مثل الثلوج كل هذا يجعل نباتاتها الغير القوية غير ثابتة فى سائر الاوقات ولكن نهر الترق يروى كثيرا من المزارع

مولدات

واذا جاوزنا نهر كوبان اونهر ترق وجدنا على الاجناب الشمالية من جبال كوه قاف الامة الشهيرة المسماة بامة الجراكسة اى اسمها الحقيق جركس ويمكن قسمتهم الى قسمين احدهما جركس كوبان والثانى جركس كبرديا المسمى بعض الاحيان قبرطاى والظاهر ان الامة التى سماها اسطرابونيس زنخية اوزيشة وسماها مؤلفو بوزنطيا زخة او زشة هى قبيلة جركسية لان كلمة زيش اوزيخ معناها بلغة الجراكسة انسان وامم الاوسيته يسمون الجراكسة ايضا كاساخى اوكاساشى وهذا يذكرنا امم الكساشة الذين كانوا سقيين على ماحكاه البوزنطيون وسنويات نسطور فى جهات كوه قاف فى القرن العاشر من الميلاد وكذلك القبيلة التى سماها اسطرابونيس كركط هى متقاربة فى اللفظ من جركس ولهذا جزم بلاس وريجس بان هذه القبيلة القديمة هى سلف الجراكسة والحامل على الحكم بذلك مع عدم ما يدل عليه دلالة يقينية هو ان الجراكسة هم الاهالى الحقيقيون لبلاد الكركط

الجركس

اصل اسمهم

قبائل الجراكسة

واشهر قبائل جراكسة كوبان هى من غير شك قبيلة التمرية وهم سكان نحو اربعين قرية محصنة ويمكنهم تجهيز الفى نفس للحرب وعلى شرق التمرية مقام قبيلة البسلينة وهى قبيلة تعيش مع سعة المعيشة وبجوار هذه الامة قبيلة الموشولة وهم يحسنون الزراعة ويربون المواشى ويجيدون صيد السمك الذى يكثر فى انهارهم وتحت حصن انبا ببلاد العثمانية تجدامة الشفاقى يحكمها امير كان له سابقا فن فى البحر الاسود وجركس قبرطاى يستحقون وصف التمدن اليسير اى يمكن وصفهم بانهم امة نصف متمدنة وارضهم خصبة موضوعة فى وسط كوه قاف على الاجناب الشمالية من هذه الجبال ومجرى نهر الترة هو حدهم جهة الشمال وتجاورهم جهة الشرق ارض كستة جيشنتذ وتنقسم بلاد القبرطيين الى قبرطاى كبرى وقبرطاى صغرى

وجركس القبرطاى يتميزون عن جميع امم كوه قاف بجمالهم ولطفهم فان رجالهم طوال القامات وهم اقوياء الاقدام وكفوف اليدين يحسنون الضرب بالسيوف ونساؤهم نحيفات الشكل ربات لذات وشهوات بيض البشرة سمر الشعور متناسبات الاعضاء نحيفات الخصور ظريفات النهود ذوات نظافة تكسب الجمال رونقا وبهجة فهذا ما يوجب استحسان نساء الجراكسة ولو فى بلاد اوربا وزعم بعض ارباب الاسفار ان هؤلاء النساء كلما قربت شعورهن من لون الشقرة كن احسن

ثم ان الجراكسة لهم امراء اى اشراف بلادهم والمراد بهم كل من لم يكن مستعبدا بشرط ان يكون له فرس فتجد الامير منهم له خنجر وبندقات فقل ان خرج من داره من غير سيف وجعبة وحمالة سيفهم مربوطة ببطونهم ورؤس امراء الجركس وبطونهم مغطاة بالخوذ والدروع فهم اشبه برجال كسوالية القرن العاشر والحادى عشر من تاريخ الميلاد

والقبرطية هم الذين كانوا يحامون عن دين النصرانية ويحاربون لاخذبيت المقدس ثم ان اقليم قبرطاى بتمامه يمكن ان يخرج منه عساكر نحو ١٥٠٠٠ امير تسمى باسم اوسدون و ..... فلاح اومستعبد يصلحون للمقاتلة ولكن الامرآء القبرطيون اخذوا فى اضعف الجرايات الواقعة بينهم مع بغض المسببة عن العداوات المستمرة

اهالى

ثم ان ارض قبرطاى بطبيعة التربة صالحة للزراعة ولكن بها الشتاء بارد وليس بها الحر طويل المدة ولكن اهلها لا ينتهزون فرصة ما اسدته اليهم الطبيعة فلا ينتفعون بظريف اشجار البلوط وقرواغاج والحورة الرومية الساترة لتلالهم وكان يمكنهم استخراج المعادن النفيسة الموجودة ببلادهم مثل الحديد والقصدير المستعملة لصوغ اسلحتهم

تولدات

والجراكسة يبنون بيوتهم من خشب الشوح الرقيق ومن اخشاب الاشجار الصغيرة المصبوغة بالصبغة البيضاء ويعرفون ان يوصلوا الى بيوتهم مياه الانهر الصغيرة القريبة منها بواسطة خليج و يحسنون ذلك مع المهارة التامة ومحال بيع الاكل عندهم شهيرة بما فيها من النظافة وكل من الفلاحين وهم المستعبدون ومن الاسرآء المأخوذين فى الحرب وظيفتهم تعهد الزراعة وحراسة المواشى فيحرثون ارضهم الخصبة بمحاريث مسحوبة بنحو ثمان بقرات ويخرج بارضهم زرع العنب من غير بذر ومما يزيد فى غناهم وثروتهم كثرة ما عندهم من المعز والغنم والبقر والخيل و يبيعون الصوف والشمع وتمتاز خيولهم عن غيرها بجمال منظرها وشدة قوتها ولا نظير لها بها وسرعة عدوها وكل امير من امرآئهم اوشريف قومه منهم يسم مهره الطيب الجنس بحديد محمى بالنار فكل من يغير هذه العلامة او يجعلها لحصان من خيل العادة فعقابه الموت ومذهبهم فى التزامية الاراضى عجيب فالرعية التى تكون ملك امير بالكلية

زراعة

وان كان لا يبيعها هى مكلفة بكل نوع من انواع الخدمة الشخصية ولكن لا تدفع شيأ للامير من خراج اوفردة روس اونحوها والاعيان مكلفون ايضا بحفظ انتظام الرعية وعند الحاجة اليهم يدخلون فى الخدمة العسكرية عند الامير وامير هم دآئما له مائدة لا يصد عنها انسان وكل انسان من الاعيان له مواش يعين منها مقدار المصرف هذه المائدة

سياسة

والزواج عندهم كل انسان كفولمن يماثله فى الشرف والغنى فاذا كان واحد من الاعيان الذين هم ليسوا بامرآء انتهب بنت امير فعقابه الموت وحين ولادة ابن الامير او بنته يحضر انسان من اشراف قومه و يتكفل بتربية هذا المولود فالاب والام ينفرون اولادهم بعيدا عن محل حضورهم ولا يقابلون الغلام الا اذا بلغ سنا يصلح فيه للحرب والبنت اذا صلحت للزواج فالذكر منهم يتربى على الصيد والنهب والحرب بكمالهم ذلك المربى و يجازى ذلك المربى بجزء مما يسلبه ذلك الولد وهذا يذكرنا ما يحكى من الخرافات عن السنطورشيرون حين ربى الصغير اخيلوس ثم ان البنات تغتذين باغذية لطيفة خفيفة من طبعها ان تصير خصرمن اغتذى بها نحيلا كما يليق ببنات الامرآء و يتعلم البنات فى مدة التربية التطريز والخياطة وضفر الاشياء اللطيفة وعمل الظرف الذى تجنى فيه الثمار والورد المسمى بالسل وعند العامة بالمشنة والخاطب يجتمع بخطوبته و يراها سرا مدة سنة و يدخل عندها فى ظلام الليل وربما دخلته من كوة اى شباك ولا يظهر ذلك لابائهم وامهاتهم الا بعد ارتباط الزوجية بينهما وهذه الاوصاف تقضى بان بين نساء الجراكسة والنساء المسميات فى تواريخ القدماء بالامزونة مناسبة ومشابهة وهذه المشابهة لها تعلق بما ينقل من حكايات الجراكسة ان بينهم و بين امة تسمى اميج لحمة ونسبا (فلعل اليونان اخذوا لفظ اميج وصاغوا منه كلمة امزون) وهذا المذهب التخيلى يقتضى ان الجراكسة هم من امم السرماطة فهم ذرية متولدة من قبائل الاسقوثية اى قدماء التتار مع الامزونة وهم النساء المتشبهات بالرجال

التربية والزى

ثم ان امرآء الجراكسة واعيانهم يتكلمون مع بعضهم بلغة خاصة بهم لا يفهمها من عداهم من الرعية وهل هذا التكلم محض سياسة اولكون امرائهم لهم اصل غير اصل الرعايا وعند الجراكسة حق من الكرم يسمونه كونادى فما اسعد الضيف الذى يناله وذلك ان صاحب المنزل يوصى على ضيفه جميع اقاربه ولو كان الضيف مرتكبا جميع الجنايات فيكون آمنا لان مضيفه تكفل بذلك و يفديه ولو بروحه ثم ان الجراكسة يأخذون الثار على وجه عجيب ممن يظنونه قاتل احد منهم وقبيلة الجانى تقتسم جنايته فانه اذا كان ثار الدم لم يخمد يبذل شئ من المعاملات نقل الى الزواج بان تتزوج قبيلة المقتول بنتا من قبيلة الجانى

لغة
الضيافة

وقد كان الجراكسة سابقا نصارى لا عبادة لهم وهم الآن مسلمون ولكن لا غيرة لهم ولا حمية اسلامية وقبورهم مبنية باحجار منحوتة يحتفى بها اعمدة

دين

ثم ان امة الباسيان الساكنة تحت الجراكسة و بجانب امة السوانة هم كانوا ساكنين قديما باقليم قبرطاى وذلك ان اهلها لما تبعهم امراء الجراكسة بالحروب اضطروا الى ان ياووا الى الجبال العالية الجدبة المستورة

باسيان

بالثلوج واستمروا بها الى الآن ولم يزالوا الى الآن يدفعون الخراج لدراري هؤلاء الامراء ثم ان هذه الامة بمقتضى قولها هي خليط عدة امم مثل سلبيلغلز واليونان والقلموق والقوموق وكذلك النوغاي الذين هم المغول او الهون

قبائل

وامة الباسيان مشتملة على ثلاث قبائل وهي قبيلة الججم والبلكار والكراجاس

عبادة

ويوجد عندهم بعض امارات دين النصرانية يحكى انه يشاهد في بلادهم كنيسة قديمة لكنها محفوظة لم يحصل فيها خلل ويتوصل اليها بطريق مرسومة في خلال الصخور وبها قرع حديد من جانبيها وداخل الكنيسة نسخة انجيل باللغة اليونانية وكذلك كتاب صلوات نصرانية يسمى كتاب الطقس وعند امة الباسيان ماشية البقر كثيرة وبها آل ممدوحة

تولدات الاراضي وصفاتها

يزرعون الذرة والهرطمان ويستخرجون الرصاص من معدن يسمى كرغاجين ومعناه جبل الابهام ويجهزون ملح البارود ويبيعون البارود ثم ان الخواجا رينجس رصد في بلاد باسيان كثيرا من الاشياء الغريبة بالنسبة لعلم المواليد الثلاثة وذلك ان بها عدة اودية مملوءة بابخرة كبريتية وبها وقوع الصواعق اشد تواترا مما يقع بغيرها وبقرب النهر المسمى باجيق الذي يصب في نهر قوبان عدة عيون حامية ذات حرافة وحدة بحيث يتورم فم من يشرب منها وفي جهة جبال البرج تل مركب بتمامه من حصى معدن الميقا الذهبية اجزاؤه قليلة الالتصاق ببعضها بحيث ان الانسان او الحيوان اذا صعد عليه لا يثبت ذلك الحصى تحت قدمه بل ينغمس فيه كما ينغمس في الماء

البازلت

وفي اعالي الجبال جهة منابع نهر ترق اعمدة من معدن البازلت وهو نوع من الرخام الاسود وهو على شكل منشور ذي ثلاثة اشبار او ثمانية او خمسة ولكن المعلم رينجس الذي اخذ صورة شكلها لا يعرف هل احسن تمييز هذه الصخرة اولا

اوسيته

وامة الاوسيتة ساكنة على شرق الباسيان فاذا تاملنا ملابسهم وشعور رؤسهم التي لونها كلون ابي فروة المفتوح ولحاهم الشقرة رأيناهم اشباه فلاحي بلاد الموسقو الشمالية وهم يسمون انفسهم باسم ايرونة ولغتهم بها بعض تقارب من اللغة الالمانية والصقلبية ويكثر قربها من اللغة الفارسية وبلاد الاوسيتة تشرف وترتفع على الاراضي الموصلة لبلاد الكورجية فهي ممتدة من منابع نهر ترق الى المصاب الشمالية لنهر الكور وفي جبالها الصعبة الارتقاء التي هي مقام الشتاء تجد الانهر الصغيرة تجرى مياهها بغاية من السرعة العجيبة ثم ان آداب الاوسيتة

اخلاق وآداب

واخلاقهم مجردة عن الزينة ومبنية على السهولة بحيث ان لهم اخلاقا وآدابا خاصة بهم فتحية الرجال لمس الصدر وتحية النساء لمس النهد وجنائزهم يتفاخرون فيها بكثرة الحزن والتوجعات الخشنية فالنساء يخمشن نهودهن ويحاولون السقوط من اعالي الصخرات الى اسافلها ثم انهم يأكلون ويشربون اكراما للميت مدة ثلاثة ايام وبيوت الاوسيتة اشبه بحصون صغيرة ومع ان هذه الامة تدفع الخراج للروسية فهي تعيش في توحشها مستقلة ليس للروسية عليها عظيم سلطنة

غرائب تولدية

وزعم بعضهم انه صادف بتلك البلاد التي هي جزء من بلاد القوقاسية طائرا اعظم ما يرقش الريش الظريف له شبه بالديوك البرية تسميه اهل البلاد باسم سيم وهو يعيش بنوع من الاجتماع مع الاوعال ويشاركها في انفرادها وعزلتها واذا قرب الصياد صفر هذا الطائر صفيرا شديدا تتنبه به الدابة الذي يتبعها الصياد وفي اقليم الاوسيتة عدة الوف من المغارات المنحوتة في الصخور الصعبة الارتقاء الكائنة على الجبال الوعرة وارتفاع هذه الصخرات عادة نحو عشرة باعات وهذه المغارات مصورة بها آثار ورسوم تدل على انها كانت مسكونة لحصن داريل موضوع في الحدود الشرقية لبلاد الاوسيتة ولاجل جعل المعبر متعذر الوقوع في ايدي الاعداء لا يلزم الا بعض استحكامات خفيفة وقليل من المرابطين

قبائل الاوسيته

واعظم قبائل الاوسيتة قبيلة الدوغورة وزعم بعضهم انهم يدفعون الخراج لطائفة البادلية وهم امراء مستوطنون في اعالي الجبال يفصلهم نهر من قبيلة اخرى مجهولة تسمى النيتيغور والظاهر ان هذا الاسم من لغة الهونة ومن قبائل الاوسيتة قبيلة تسمى الجركسانة وهي قبيلة لها غابات يعتقدونها مقدسة مشرفة وتنقسم

عادة مخصوصة

هذه الغابات الى عدة اقسام على حسب عدد عشائرهم وكل سنة يشهرون اعيادا تمكث ثمانية ايام وتشبه عيد المظلة عند اليهود ثم ان السواحين بتلك البلاد والسفارة المارين عليها يدعوهم اهل البلاد ليقتسموا معهم السرور وتتكفل عشيرة من عشائر تلك القبيلة باطعامهم واكرامهم ومن امم الاوسيتة قبيلة الدمفار وهي قبيلة جمهورية

دير سنت نقولاوس

دائما في حرب مع قبيلة الدوغورة فتلك لا تخاف من هذه وفي ارضهم دير القديس المسمى سنت نقولاوس وهي امارة على انه كان لهم دين في قديم الزمان يعتقدون ان هذا القديس الموسقوبي يتشكل في شكل عقاب

ليأ كل اللحم المذبوح للقربة و يعتقدون ايضا ان كثيرا من الطيور والجوارح يمكنها بالنسبة لهذا الامر أن تسد مسد ذلك القديس اى تا كل هذا اللحم

كستيتيا
الكستة

والاراضى الجبالية الممتدة على شرق بلاد الاوسيتة وفى الشمال بين نهرى سنشا واكساى تسمى بلاد كستيا وتسمى كستيتيا عند السواحين والجغرافيين من الروسية فهى مثل بلاد قبرطاى ارض ذات غابات ومراع وبها محال صالحة للزراعة وبها عدة قبائل متوحشة مختلفة تسميهم الكرج باسم كستة ويسميهم التتار باسم وظهبية ولنذكرهنا اصولها وهى امة الانغوش اوانتوش وكذلك امة الجيجنز وتسمى ايضا التيتنتز وكذلك امة القرابولاك والتوشة وكلهم يتكلمون بلغة مخصوصة يظهرانها عندهم من قديم الزمان وفى الحروب يحملون ترسا وهذه العادة القديمة تميزهم عمن عداهم من اهالى جبال كوه قاف

انغوش
عبادتهم

وفى قبائل الانغوش تشاهد دلائل تدل على انهم نصارى وذلك ان عندهم راهبا يلقب زانستاغ لا يتزوج اصلا و يقيم بجانب كنيسة قديمة ووظيفته وظيفة قسيس النصارى وطريقة عبادته انه يحتفل محفل عظيم عند محراب مبنى من الحجر فيذبح عددا عظيما من الغنم البيضاء التى يجمعها من اغنياء العشائر ومن اكابر اهل بلاده وهذه الكنيسة القديمة التى فى ارض الانغوش بها كتابات غوثية ورسوم عتيقة وبها كتب لاطينية مزينة بحروف مذهبة زرقاء وسوداء وهذه الكتب معظمة عندهم ومحفوظة كالذخائر و بقرب هذه الكنيسة ثلاثون دارا مقاما للعبادة وهذه المحال محترمة جدا فى وسط الحروب المستمرة الواقعة بين اهالى هذه البلاد المتوحشة

ثم ان للانغوش لهجة خاصة بهم ومنطقهم يابس لو سمعتهم يتكلمون لقلت ان فى لسانهم حصا ومن يصلح للحرب منهم خمسة آلاف مقاتل ثم أن امة القرابولاك ينبغى لنا ان نتنبه الى لغتها التى تظهر انها هى لغة اللان المشهورين فى التواريخ لان مدينة ثيودوسيا فى ولاية توريدة مسماة باسم من لغة اللانية وهو لفظ اردودا ومعناه الآلهة السبعة واسم ثيودوسيا معناه كذلك الآلهة السبعة عند القرابولاك ومن قبائل الكنيسة ايضا قبيلة الجيجنتزة المسماة ايضا التيتنتزة تقيم فى ست قرى وهذه الامم تجول بعض الاحيان فى قطعها الطريق الى خلف حدود البلاد الروسية لان جبالهم الوعرة تقيهم من غارة القوزاق عليهم وفى ناحية الجنوب الشرقى امة التوشة ومعنى توشة محترفون وانما سموا بذلك لانهم ارباب بدع اوهام وهم يعظمون السنانير (القطاط) ويقال ان الرجل منهم يعطى لولده وسنه ست سنين او سبعة بنتا خاتنة فراشخ زوج لها ليتزوج بها فلا يزال معها كالرجل مع امرأته الى بلوغ الولد وجميع الاولاد التى تلدهم المرأة تربيهم العشيرة كأنهم من اولادها وهذه العادة الغريبة كانت من منذ مدة واقعية فى بلاد روسية اوروبا وزعم بعضهم انه رآى ببلاد التوشة مسافدة الحمار للبقرة قال ويتولد منهما بغلة صغيرة لكنها قوية جدا

القرابولاك

الجيجنتزه
التوشة

داغستان
لسجستان

ولنذكر الآن الجزء الشرقى من بلاد كوه قاف وهو البانيا القديمة المنقسمة الى اقاليم صغيرة عظيمة جعلها الجغرافيون من المتأخرين قسمين القسم الاول داغستان وهو يشتمل على مهابط جبل كوه قاف جهة بحر الخزر والثانى لسجستان وهواوديه مرتفعة جدا من جهة بلاد الكستة او من جهة بلاد الكورجية واقليم لسجستان اولسغستان ليست حدوده ثابتة لا تغيير بها ولا تبديل بل تختلف تلك الحدود بالحروب المستمرة بين قطاع الطريق المشهورين باسم لسجية اولسغية وغيرهم ممن عداهم من اهالى جبل كوه قاف

السجستانية وطر عيشتهم

ثم أن امة لسجستان التى نظهر انها كانت تسمى عند المتقدمين لجة يخشى من قطعهم للطريق واستدامتهم على ذلك فهم يسلبون الادميين والمواشى وكل ما يوجد فى البلاد المجاورة فما نهبوه حملوه على الخيل السريعة الجرى و يقطعون ما وراءهم من قناطر الجليد والثلج الذى يغمر مهابط جبل كوه قاف ولما كانوا متمرنين على تحمل الجوع والعطش كانوا لا يستصحبون معهم فى سفرهم للغارات الا يسير الزاد المظروف فى الاجربة او فى جلود المعز فاذا فرغ ما عندهم وجاعوا شدة الجوع ولم يجدوا ما يسدون به الرمق ضربوا القرعة فمن خرج عليه القدح اتخذه اصحابه غذاءهم ثم ان قناعتهم فى المعيشة واعتدال هواء جبالهم كان سببا فى طول اعمارهم طولا عجيبا وقبل موت الهرم منهم بزمن يسير ان لم يكن موته فى الحرب احضر اهله وورثته وعرفهم المحل الذى به ذهبه وفضته وجواهره ثم يموت ضاحكا مسرورا وعند هذه الامة عدة معادن وفى اقليم داغستان تجد السجستانية يسرحون بمواشيهم بعيدا عن الجبال و يدفعون شيأ كالخراج فى نظير المراعى ولا يغيرون على غيرهم فى طريقهم ونساؤهم مشهورات بالجمال متميزات ايضا بالشجاعة والجرأة وعدة قبائل من السجستانية اسلام و يلوح عند بعضهم من آثار دين النصرانية آثار وهذه الاديان فى الفرق المتمدنة ومن دونهم فى التمدن يعبدون ايضا الشمس والقمر والاشجار والانهار ولا يقرب لسانهم الا من لسان التنلندية

اسماء ...

الاوارة

ولهم لغات كثيرة مختلفة متنوعة وحاول بعضهم ترجيع جميع لغات اللسجستانية الى ثمن لغات فان الاوارة والاربع عشرة قبيلة التى تشبهها الساكنة فى البحر الشمالى من داغستان تتكلم باللغة الاولى واقليم امة اوارة المسماة أور التى هى بقيتمن آورسة واصل للامة الشهيرة باسم آوارة يسمى ايضاباسم شنساغ ومعناه مملكة الشونة اى مملكة الهون وفى هذا الاقليم نحو الف وخمسمائة عشيرة مسلمين يعيشون من غير حروب ولا غارات محكومين بخان معدود من اقوى امرآء القوقاسية وبيته به زيادة عن غيره شبابيك وزجاج غطائها

تيديو وانسوالخ السكابوجه

وقبيلات ... يتكلمان باللغة الثانية وهم يقيمون فى الجبال التى فوق اقليم ... يرعون مواشيهم فى اقليم كاشتى ويرتعون فى مراتع الراحة واللغة الثالثة هى لغة السكابوجة التى ... ساكنة بقرب امم الديدو من جهة الشرق واللغة الرابعة مستعملة عند قبيلة الاندبس التى هى على ... غلند نسند ساكنة باقليم موضوع على فرع من نهر كواسو واللغة الخامسة هى لغة قبيلة الا... والكويشة والزوداكار وهذه القبائل الثلاثة تمتد مساكنهم على حدود داغستان بل ربما تكلم باللغة الخامسة فى اقليم

كويشة اوكوباشة

داغستان ثم ان قبيلة الكويشة المسماة كوباشة هى التى تستحق ان تنبه عليها وهذه القبيلة ذات ثروة وراحة عيش وذات اجتهاد وصلاح حال وحسن سلوك ويقال انهم يسمون انفسهم فى لغتهم افرنك ويعتقدون فى انفسهم انهم من ذرارى الافرنج وان اصلهم من اوروبا وكانكنا أن نقول انهم ذرية البندقيين او الجنويزية الذين زاروا فى القرن الخامس عشر من الميلاد ساحل البحر الاسود ولم تدل التفتيشات المتأخرة على أن لسانهم يشبه لسان اهل

تجارة ومعامل

لسجستان ووظيفة اهل قبيلة الكوباشة انهم سماسرة التجارة الواقعة بين العجم والموسقو فهم يحملون الى مدينة كسليار قدرا عظيما من القطن وفى بلادهم يصرفون زمانهم فى اصطناع الادوات المتخذة من الحديد والذهب والفضة وسبك الدروع وعمل المناديل الرفيعة والعباآت والسجاجيد والبسط ونساؤهم بارعات فى الصناعة ربات ذكاء وفطانة بل هن صاحبات معارف ولكنهن لا يشتغلن الا بالتطريز وقد جرت عادة هذه القبيلة انها تطرد من بلادها ارباب الكسل والبطالة والشحاذين ثم ان استقامة حالها وصلاح افعالها امر معلوم للخاص والعام حتى ان امرآء اهل لسجستان دآئما تودع عندها خزآئن المال الذى يكتسبونه ويجمعونه بل جميع القبائل المجاورة لقبيلة الكوباشة تختار امة الكوباشة حكما فتجعلها محكمة فيما يتشاجرون فيه ودين هذه القبيلة الاسلام ولكنهم لا يتزوجون الا زوجة واحدة ثم ان اثنى عشر من مشايخ القبيلة يحفظون الخزينة التى هى متحصلة من اشغالهم المشتركة الروكية

كاسيكوموق كيدالك

واللغة السادسة من اللغات الثمانية اللسجستانية هى لغة قبيلة منهم تسمى الكاسيكوموق وهى امة ترعى الماشية وتقطع الطريق وهى تسكن على فرع من نهر كواسو واللغة السابعة مستعملة عند قبيلتى الكيدالك والقراكيدالك الساكنتين فى الاراضى التى بين مدينتى تركو ودربند وهاتان الامتان يحسنان الجرى والعدو والرمى بالبندق والسيف ووادى كيدالك وادخصب ذو قرى عظيمة وامير كيدالك يسمى الاوزمية ويقال ان ابنه يرضع

الامير الاوزمية

جميع نساء البلدة واستظهر بعضهم ان الغرض من هذا تعويدهم على محبته حتى اذا ولى عليهم كانت محبته مركوزة فى طباعهم واللغة الثامنة هى لسان قبيلة الكرابل التى تشغل عدة قرى بجانب اقليم تباسران وظن بعضهم ان اهل اقليم تباسران العامر المحكوم بامير خاص به يتكلم بهذه اللغة

تباسران

كوموك

ثم ان قوقاسيا الشرقى هو ايضا ماوى امتين من امم التتار الاولى امة كوموك وهى ساكنة فى شمال داغستان على شطوط بحر الخزر وهنالك نحو الف ومأتى عشيرة تحت طاعة بيكاوات ساكنة فى عشش من

التروخينة

مكعب الصفصاف والثانية امة التروخينة (لعلها تركمان) تمتد على جميع الحافة الشرقية من جبل كوه قاف خصوصا فى اقليم «داغستان الجنوبى» وفى جميع اقليم شروان وهؤلاء المتوحشون يتكلمون بلغة تركية من لسان التتار وهم تحت حكم خانات وتوليتهم بالتوارث واعظم هؤلاء الخانات الخان المقيم فى كوبا والخان المقيم فى شماخيا وشماشيا وكذلك الخان المقيم فى سليان

حدود داغستان وشروان

ثم انه فى زمن الحروب والفتن الغالبة عند هؤلاء القبائل تجد حدود ولاياتهم غير ثابتة فلا يمكن تمييز شيء منها فان اسم لسجستان الذى معناه بلاد اللسجية يتسع ويضيق على حسب غارات هؤلاء الامم المتوحشة واما لفظ داغستان فمعناه بلاد الجبال وهو غير قار المدلول فهو مثل لفظ غرسكية اى اهالى الجبال الذى يطلق عند الروسية على جميع الامم الصغيرة القوقاسية والتوسع الغير المحقق فى هذه الالفاظ له مدخلية فى حدود شروان بهذه الحدود التى ابتدأوها عادة اولمقتضى تارة فى دربند وتارة فى باكو ثم انا لا نجزم بشيء فى شأن هذه الحدود وانما نتكلم بعض كلام على الاماكن الشهيرة ذاهبين فى تخطيطها من الشمال للجنوب

وبلاد

مدن واماكن مشهورة

وبلاد الكوموك من شطوط ترق الى نهر كواسو فهى مشتملة على جون اغراشنسكوى وعلى بحيجزيرة
اغراشنسكوى واعظم اماكن بلاد الكوموك مدينة اندرى وهى سوق يسيع فيه اللصوص ما يكسبونه
من نهبهم وقطعهم للطريق وفى جنوب كواسو ارض رئيس من التتار يلقب شمكال وهو يقيم فى مدينة
ترقو واهلها ١٠٠٠٠ نفس على شط بحر الخزر واذا صعدنا نهر كواسو وصلنا الى ولاية اوماخان وهو
خان اوارة الذى تكلمنا عليه فيما سبق ومدينة شونساغ ستمائة بيت على ما يقال وعلى المسيل الشرقى للجبال
مدينة كوباشا وهى مدينة مهمة عرفنا فيما سبق معرفة اهلها فى الصناعات ويقال ان اهلها [illegible] آلاف نفس

دربند

وارض الامير الملقب اوزمية تمتد الى دربند وهو يقيم فى مدينة تسمى برنخلى ومدينة دربند محصورة
بين الجبال والبحر وهى ستمائة بيت او سبعمائة واسوارها الخشنة مرتفعة يتعجب منها السواحون ولكن لا تمنع الجيوش
من الدخول فى هذه المدينة ومينا ها قليلة الامن ليست الا كرسى تجارة هينة وبهذه المدينة ابتدا ظهور اعتدال القطر

خصوبة داغستان الجنوبية

ولين مزاج الهواء واعظم الاراضى الطيبة الهواء ثلاثة اقاليم وهى اقليم دربند واقليم كورا واقليم كوبا
وفى هذه الاقاليم كما قاله اسطرابونيس يحصد اهلها بدل الحبة خمسين حبة ويزرعون بها مرتين او ثلاثة فى كل
سنة وفى عهدنا هذا ارض هذه الاقاليم هى فى بعض الاحيان دسمة حتى انه جرت العادة بانهم يعلقون فى المحراث ست
بقرات الى ثمانية فينقل اهلها من بلادهم الى البلاد الخارجية كثيرا من القمح والشعير والزعفران والقطن والفواكه

جنات الورد

المختلفة وقد كان اقليم كوبا مشهورا عند العجم بجنة الورد فتجد عدة مواضع بها شقوق الصخور يخرج منها دالية
العنب ولكن هذه الاقطار اللطيفة كثيرة الرطوبة وبها فى عدة مواضع حشرات وهوام مضرة ومدينة تباسران
ومدينة أكوتى وغيرهما هى بنادر الولاية الصغيرة فى الجبال ثم ان خان كورا يمتد حكمه الى حد البحر حيث نهر
سامور الذى هو البانوس عند الاقدمين يصب مياهه الغزيرة بعشرة مصاب او باثنى عشر ومدينة كوبا هى
محل اقامة الخان الذى هو اقوى خانات هذه الولاية وليس بها من البيوت الا اربعمائة بيت او خمسمائة وتحت نهر كوبا
قرية شبران الذى بناها العبرانيون باسم سمريا والى الآن يسكن بها اليهود وهم يمتازون بظرافة خلقهم وبثروتهم
وهذه المدن الموضوعة على المسيل الشرقى من جبل كوه قاف هى بمقابلة بحر الخزر واذا عبرنا الجبال وجاوزناها
رأينا ان من الجنوب الغربى ومن الجنوب تمتد اراضى دشسكى وشماشيا وخانا وسليان فارضا دشسكى
وشماشيا محدودتان بنهر الكور وارضا خانا وسليان يشغلان السهل الجزائرى الذى يحتاط به نهر الكور

شماشيا الجديدة

والرس ومدينة شماشيا الجديدة وهى مدينة ذات تجارة اهلها ٥٠٠٠ نفس وهى بمنزلة قاعدة شروان
ونهر الكور يمكن المسير فيه بالسفن من اجتماع احد فروعه بنهر الرس وصيد السمك البحرى المسمى استروجون
فى مصب نهر الكور يباع بنحو ٢٠٠٠٠ روبلة (الروبلة ريال فرانسا) لخان كوبا الذى يدفعها
للموسقوبية

بحيجزيرة ابشرون

وعلى شمال شماشيا يحط جبل كوه قاف فتجد لسان ارض كبيرا داخلا فى بحر الخزر وهو بحيجزيرة
ابشرون المسماة ايضا اقريسا التى اراضيها الطينية والملحية مغمورة بنباتات ذابلة ولكن بها عيون النفط

عيون النفط

الشهيرة يتعجب منها السواحون وهذه العيون النفطية هى كنز لا يفنى ينتفع به والى ولاية مدينة باكو واشهر هذه
العيون المعدنية العيون التى فى بلغان فمنها يخرج من النفط نحو خمسمائة رطل فى كل يوم وعلى القرب منها يمتد
خلاء متسع يسمى خلاء النار وهو ارض نحو فرسخ مربع من الفراسخ الموسقوبية المسماة ورسة ومن هذه الارض
يخرج دائما نوع من البخار يسمى الغاز قابل للاحتراق وبها عدة هياكل صغيرة للمجوس اى عبدة النار وفى هيكل
من هذه الهياكل بقرب محراب يذبح فيه القربان منكوت فى الارض انبوبة مجوفة على شكل الخيزرانة فمن فتح هذه
الانبوبة الاعلى يخرج لهب ازرق اخلص من روح العرقى بل ومن غيره من سائر الارواح الحارة ويخرج ايضا
لهب شبيه بذلك اللهب من فتحة اخرى افقية مفتوحة فى الصخرة وبقرب مدينة باكو تل يخرج منه نفط ابيض
ولكن مقدار ما يخرج منه يسير ثم ان الموسقو يأخذون من هذا النفط لمداواة وجع القلب ولمعالجة غيره من الامراض
ويستعملونه ايضا فى دهن الظاهر به وعلى القرب من هذا ايضا عين ماء حام يغلى كالنفط وماؤها مشوب بطين
ازرق يجعله ثخينا ولكنه يروق اذا تركاه يرسب عكاره فاذا اخذت فى الحموم فيه قوى البدن وترتبت عليه الشهية

مدينة باكو

اى انفتاح النفس للاكل وخان باكو له ايراد من النفط نحو اربعين روبلة (اى ريالا فرنساويا) ومدينة باكو
ذات موردة غير مأمونة وان كانت احسن مينات هذا الساحل يخرج منها الى بلاد الروسية غير النفط والقطن والارز
يسير من النبيذ والافيون ويخرج من ارضها ايضا الملح فيستخرج من عدة بحيرات او برك مالحة

فهذه اصول امم القسم القوقاسي وولاياته ومدنه وقصباته المخطيط مافيها من الاشياء الكثيرة او الصغيرة الى ان نرتكب كرها فى تخطيطنا اياها التطويل

جدول الاوضاع الجغرافية لقسم البلاد القوقاسية

اسماء الاماكن	طول شرقى لباريس			عرض شمالى			عزو القياس لمن قاسه من المؤلفين
	درج	دقائق	ثوانى	درج	دقائق	ثوانى	
دربند	٤٥	١٩	٠٠	٤٢	٠٥	٤٥	اطلس روسى فى ١٠٠ فرخ ورق
كسلار	٤٣	٥٤	٠٠	٤٣	٥١	١٥	كذلك
				(٤٣	٥٤	٠)	روزنامة بتربوغ
مصدوق	٤١	٣٠	٠٠	٤٣	٤٣	٤٠	اطلس روسى
ثمان اوطمان	٣٤	١٤	٤٥	٤٥	١٢	١٦	كذلك ودفتر ليتنستترن
تفليس	٤٢	٠	٠٠	٤١	٥٨	٣٠	كذلك

جدول مسهل لمعرفة الاقسام البوليتيقية للولايات القوقاسية

اقسام كبيرة	اقسام ثانوية	تخوت الولايات	ولاة الامور
قوقاسيا (عمالة قوقاسيا)	١ دائرة غريغوريوسك	غريغوريوسك	
	٢ دائرة الكسندروو	اويغوريوسك	روسية
	٣ دائرة كزليار		
	٤ دائرة ستوروبول		
	٥ دائرة مزدوق او مصدوق		
بلاد قوزاق البحر الاسود	جزء من ولاية توريدة	ايكترينودار	كذلك روسية
جركس	١ جركس كوبان ٢ قبرطاي الكبرى ٣ قبرطاي الصغرى	لا تخت لها	مستقلة
اباظة	عدة اقاليم مختلفة	لا تخت لها	تحت حماية العثمانية
كورجستان الغربي المسمى سابقا كورجية العثمانية	١ مينغريلية اقليم اوديسشيا	ايرغاوور	قيصر تابع للروسية
	٢ ايميريته اقليم كادشا	كوتاتيس	امير من الايميريته
	٣ غوريا	تبتزغه	تابعة للعثمانية
كورجستان الشرقي المسمى سابقا جورجية الفرس	١ دائرة تفليس	تفليس	تابعة للروسية
	٢ دائرة كوري		
	٣ دائرة انانور		
	٤ دائرة تلا		
	٥ دائرة سهنناه		
	٦ دائرة اجاكلا		
	وكانت سابقا منقسمة الى كردوبلي وكاشتي		
كورسكي او اهل الجبال	١ اسوانتيا ٢ بسيانيا ٣ اوسيتيا ٤ كستيا او انغوشيا ٥ شيشنتيزيا	لا تخت لها	امراء ومشايخ اغلبهم تعلق الروسية
اسجستان	١ خانه اوار	شونساغ او أوار (وقال آخرون انها كابودانا)	خان مستقل
	٢ امارات خازيكوموك	كاساميش كوموك	عدة امراء
	٣ اقاليم جاري وتوشه الخ	لا تخت لها	عدة رؤساء

﴿المقالة السا[illegible]والاربعون﴾

بقية الجدول المسهل لمعرفة الاقسام البوليتيقية للولايات القوقاسية

اقسام كبيرة	اقسام ثانوية	تخوت الولايات	ولاة الامور
داغستان	١ بلاد الكوموك	اندرى اخ	امرآء تعلق الروسية
	٢ خانة تركو	تركو	خان تعلق الروسية يلقب شمكال
	٣ خانة كيدالك	كيدالك وبرشيلي	كذلك يلقب اوزميـة
	٤ اقليم كوباشا	كوباشا	تعلق خان كيدالك
	٥ اقليم اكوشا	اكوشا	كذلك
	٦ اقليم دربند	دربند	للروسية من سنة الف وثمانمائة وتسعة من الميلاد
	٧ اقليم كورا	كورا	تعلق الروسية وكانت قبل تحت حكم العجم
	٨ اقليم كوبا	كوبا اوقوبا	كذلك
شروان	١ خانة باكو	باكو	كذلك
	٢ خانة شماشيا	شماشيا	كذلك
	٣ خانة دشكي اوكبالا	نوئي	كذلك
	٤ امارة سليان	سليان	تعلق خان كوبا

تنبيه كل من اتساع السطح ومقدار الاهل غير معروف

﴿المقالة الثامنة والاربعون في تخطيط آسيا﴾

بلاد العثمانية باسيا القسم الاول وهو يشتمل على بجيجزيرة اناطولى المسماة آسيا الصغرى مع سواحل البحر الاسود

ذكر شيء بطريق الاجمال

قد حان الآن ان نذكر ارضا خصبة كثيرة الآثار التي يتذكرها الانسان على ممر الايام غاية الامر ان هذه الآثار التي يتذكرها الغرباء لاوجود لها عند اهالى البلاد لما انهم توغلوا في الجهل واستعباد الحكام لهم وقد كان في آسيا الغربية نحو عشرين امة ارباب شهرة عظيمة ونخار والآن تنوسى امرهم واكتسى نخارهم القديم جلابيب الخمول والابهام وصاروا مجهولين وسبب ذلك انغماس اهالى تلك البلاد في بحور الجهالات حتى صارت المواشي تدوس على قبور مشاهير هذه الارض مثل قبر اخيلوس وهقطور وقد زالت اسرة ممالك متريداطس وانطيكوس كما انمحى رسم قصور بوليام وقريسوس وقل ان كان لاهالى ازمير معرفة بان اوميروس شاعر اليونان كان مولودا في مدينتهم ام لا ولو صحوا الزمن في بلاد يونية لم ينتج لارباب الرسم والتصوير ولا لارباب الشعر والادب تخيلات عجيبة كما كان ذلك في سالف الازمان ومثل هذا يقال في شطوط نهر الاردن والفرات فانه قد انكسفت فيه شموس المعارف بظلام الجهالات وقد انمحى من تلك النواحي الحكم الجمهوري الذي كان في زمن موسى عليه السلام كما انه انمحى منها آثار مزامير داود وشعيا عليهما السلام فكان مزاميرهم صارت لا تسمع الحانها ابد الآبدين ودهر الداهرين وبعدما كان في مدينة تدمر من العمران انقطع ذلك بالكلية وصار رعاة العرب يضربون خيامهم بها بقرب اعمدتها غير مكترثين بها حيث لا يشعرون بفخارها القديم وكذلك مدينة بابل تعلق القضاء والقدر باندراسها مجازاة لها حيث كانت حاكمة ظالمة لجميع بلاد آسيا فلم يبق منها الا آثار واهية يستدل بها على اسوار عملكة ساميراميس قال بعض السواحين ما نصه ذكر بعض ارباب الاخبار بالاشياء قبل وقوعها ان مدينة صور التي كان اصحابها ملوك جميع الامم يؤول امرها الى ان تكون صخرا ييبس عنده ارباب صيد السمك شبكهم ولقد ذهبت الآن اليها فوجدتها كما قال انتهى

ولكن لو تعلقت ارادة المولى تبارك وتعالى بان يهب لهذه البلاد التي كانت منبع النوع البشري ما كان بها في قديم الزمان من التمدن الشبيه بتمدن اوروبا الآن لوجدنا ساحل يونية كحاله الاول ذا بهجة وجمالة وبه جزائر رائقة المنظر ولرأينا شطوط بحر بنطش مظللة بالغابات التي لا افناء لها ولرأينا على البعد من هذه الشطوط سلاسل جبال طورس الكثيرة العدد المتوجة بالهضبات والنجود التي هي عينة هضبات اسيا الوسطى التي هي نجود كبيرة كما تقدم لنا ذلك ولرأينا ايضا نهرى الفرات ودجلة يوصلان جليد ارمنية الى السهول المحرقة التي في بلاد الجزيرة المسماة الميسوبوطاميا واذا جلسنا على ظلال ارز لبنان لسرحنا انظارنا في مروج دمشق وغيطانها وبالجملة فقد تغيرت بهذه البقاع اهاليها واما الاراضي والكائنات فهي باقية على حالة واحدة في كل وقت وان لم يعترها من التغيير والتبديل شيء فلهذا ساغ لنا اننا في تخطيطنا هذه الاراضي نكمل ما نقص من تخطيطها لجهل اهل البلاد به اولعدم استيفاء السواحين له بان نذكر فوائد زائدة نفيسة فاتت اهل البلاد والسواحين وتصدى لها اوائل الاقدمين وقد ذكرنا فيما تقدم تبعا لاسطرابونيس تخطيطا كاملا فيما يتعلق بالجغرافيا القديمة لهذه الاقطار وانسترشد ايضا باسطرابونيس في مزج المعارف المتفرقة التي تتركب منها الجغرافيا الجديدة لهذه الاراضي ولكن لما كان الاحسن في التخطيط ذكر اوصاف متنوعة مبسوطة وجب علينا ان نحلل تلك الاراضي بمقتضى سلاسل جبالها الاصلية وان نقصر نظرنا هنا على بجيجزيرة آسيا الصغرى من غير أن نفصل عنها ساحل البحر الاسود المسمى بحر بنطش فنقول

جبل طورس على العموم

جبال طورس على اراء جميع الاقدمين تمتد من حدود الهند الى بحر اجة وسلسلتها الاصلية تخرج من جبال ايماوس جهة منابع نهر هندوس وهو نهر السند وتنعطف كثعبان عظيم بين بحر الخزر وبحر بنطش من احدى الجهات وبين منابع الفرات من الجهة الاخرى والظاهر ان كوه قاف داخل في هذا الخط على كلام بلنياس ولكن اسطرابونيس حيث كان يعرف ذلك احسن من بلنياس رسم السلسلة الاصلية من جبال طورس بين حوضات نهرى الفرات والرس منبها على أن سلسلة منفصلة عن كوه قاف تسمى جبال مشيك تتوجه الى الجنوب وتجتمع بجبال طورس وهذا الاجتماع ليس ايضا معروفا عظيم معرفة بمقتضى الاخبار المتأخرة ثم ان اسطرابونيس حيث كان مولودا في هذه الاماكن وسافر الى بلاد ارمنية رسم جميع اسيا الصغرى مع جميع ارمنية وخطط بلاد ادربيجان وكردستان ذاكرا انها مرتفعة جدا وعليها سلاسل جبال

كثيرة يتصل بعضها ببعض فلا تنفصل الانفصال الاقريبا بحيث انها على مقتضى كلامه تعد كلها سلسلة واحدة قال هذا المؤلف مانصه ان ارمنية وادربيجان المسماة ميديا موضوعة على جبال طورس انتهى ويتراءى ايضا ان هذه الهضبة مشتملة على كردستان وما يتشعب منها من الفروع يمتد فى بلاد العجم الى حد الصحراء الكبرى المسماة صحراء كرمان من احدى الجهات ومن الجهة الاخرى الى منابع نهرى جيحون والسند فاذا اعتبرنا بهذا الاعتبار طورس الاكبر المذكور للاقدمين بان جعلناه هضبة لاسلسلة جبال جمعنا بين شهادة اسطرابونيس وبلنياس واخبار السواحين المتأخرين

طورس اسيا الصغرى

وثم سلسلتا جبال ينفصلان من هضبة ارمنية ويدخلان فى بجيجزيرة آسيا واحدى هاتين السلسلتين تحصر فراش نهر الفرات وتجاوزه بقرب ساموساته والاخرى تكون على حافة بحر بنطش وليس بينها وبين هذا البحر الا سهول ضيقة وهاتان السلسلتان احداهما معظمها جبال انطى طورس والاخرى هى الجبال المسماة عند القدماء باريادرة وعند المتأخرين جبال جلدير اوكادير تجتمعان وتتصلان معا بقرب الفرات بين مدن سيواس وتقات وقيسارية بواسطة سلسلة ارجيوس المسماة عند المتأخرين الآن ارجيس داغ والتى رأسها مستورة بالثلوج المستمرة ووجود هذه الامطار فى درجة عرض مثل عرض هذه السلسلة الجبلية يوجب ان يكون ارتفاعها من ٩ الى ١٠٠٠٠ قدم ووسط آسيا اشبه بعلوة متكئة من جميع نواحيها على سلاسل جبال وهذه الجبال عبارة عن مطالع هذه العلوة ومنازلها فهى وعرها وهنالك تمتد برك مالحة وانهر لاجريان لها وهنالك ايضا عدة هضبات صغيرة وتجود وقد خطط اسطرابونيس واحدة من هذه الهضبات وسماها سهل باغودينة فقال مانصه البرد يمنع فى هذا السهل الاشجار المثمرة من الفلاح بخلاف اشجار الزيتون فانها تصح بقرب سينوبه التى هى على شمال هذا السهل بثلاثة آلاف استادة وقد وجد سواحو المتأخرين ايضا سهولا كبيرة مرتفعة فى سائر داخل آسيا الصغرى فى الجنوب من ناحية قونيا اوفى الشمال من ناحية انجورا ولكن حافات هذه الهضبة بها كثير من سلاسل الجبال التى تارة تحيط بالهضبة وتارة تمتد فى داخل السهول السفلى

السلسلة الجنوبية

وسلسلة الجبال التى تتفرع دفعة واحدة من جبل ارجيوس ومن جبل انطى طورس تكون على حافة قيليقيا القديمة شمالا (قيليقيا هى بلاد قرمانى) وتسمى هذه السلسلة باسم طورس وهذا الاسم معناه فى عدة السن جبل

طورس بالمعنى الاقتصارى

وارتفاع هذه السلسلة يلزم ان يكون عظيما فقد نص قيقرون على انه لا يمكن للعساكر ان تجتازها قبل شهر يونية بسبب مافيها من الثلوج وقد خطط ديودورس مع التفصيل الاودية والشعوب والمنحدرات الصعبة التى يجب العبور بها فى قيليقيا الى قبذوقيا ثم ان السواحين من المتأخرين الذين عبروا هذه السلسلة من جهة الغرب وسموها الاداغ جعلوها شبيهة بجبال ابنين وهموس وجعلوا جهة الغرب عدة فروع منها وبعض هذه الفروع ينتهى على شطوط البحر المتوسط الابيض مثل جبل كراغوس وجبل ماسيسيقطه عند الاقدمين الموجودين فى اقليم لوقيا وماعدا هذين الجبلين من الفروع هو اسفل من ذلك بكثير يمتد الى سواحل الارخبيل بقرب جزيرتى قوس ورودس

جبل امانوس

وعلى الشرق جبل امانوس المسمى الآن الماداغ وهو فرع منفصل من طورس ويتصل اقليم قيليقيا من الشام ولم يترك الا معبرين ضيقين احدهما جهة نهر الفرات والآخر على البحر والاول هو ما كان يسميه القدماء الابواب الامانيقة والآخر كانوا يسمونه ابواب الشام وهذه الابواب الاخيرة مع ماهنالك من الصخور المحونة الحسنة هى مازاره سواحو المتأخرين

سلاسل الجبال العربية والشمالية

وثم سلسلتا جبال اخريان تخرجان من البحر الغربى من الهضبة الوسطى بآسيا احداهما تسمى عند المتأخرين باباداغ وكانت عند المتقدمين كناية عن عدة جبال وهى طمولوس ومسوس وسبيوليس وتنتهى جهة جزيرتى ساموس وساقز المسماة جزيرة المصطكى والاخرى تتوجه الى الشمال الغربى ورؤسها اشمخ من رؤس السلسلة المتقدمة فمن هذه الرؤس رأسا ايدا واولمبس فى بلاد موسيا وهذان الرأسان مشهوران فى كتب التاريخ والناحية الشمالية من تلك الهضبة ترتفع جهة البحر الاسود ويتولد منها سلسلة الجاسيس المسماة الآن جبال القس داغ وهى سلسلة جبال كثيرة الفروع التى تملا المسافة الداخلة بين جبلى سنغاريوس وهاليس وتبقى الثلوج مستمرة على رؤس هذه الجبال الى شهر اغسطوس الافرنجى

وفى سائر المجاميع الجبالية التى فرغنا من تخطيطها يظهر ان الصخور الكلسية هى الغالبة ثم ان الاقدمين كانوا يمدحون كثيرا انواع الرخام بآسيا الصغرى ولكن من نهر سنغاريوس الى نهر هاليس لا تجد الاصخورا صوانية وطالما حصل لهذه البجيجزيرة ظربيفة عظيم الانزعاج بالزلازل فقد خسف بها من المدن فى زمن الملك

الزلازل

براكين مطفئة

مانيسرس ثلاث عشرة مدينة في يوم واحد وقد نبه الاقدمون على اقليم به آثار هيجان البراكين على وجه عجيب وهذا الاقليم يسمى كتاكيكومينة يعني البلاد المحروقة فقال الاقدمون ان هذه الارض بها في غالب الاحيان لهب يخرج من الاراضي والعنب ينمو في ارضها المركبة من رماد انتهى وهذا الاقليم الذي هو مركز الارتجاجات البركانية الموجودة بايطاليا يجب أن يكون على شرق اقليم ثبتيرا ومتأخرو السواحين لم يزوروا ابدا هذا الاقليم

انهر

وبجيخزيرة اسيا الصغرى ليس بها الا انهر صغيرة قليلة وان كانت شهيرة جدا فالانهر التي تنزل من الجنوب الى جهة البحر الابيض المتوسط ذات مجار قليلة الطول عظيمة السرعة وذلك ان نهر بوراموس ببلاد قرماني المسمى الآن سيحون يعبر جبل طوروس بمروره في حلق زواياه متقابلة على وجه صحيح حتى انه يظن انها من اعمال الصناعة والتدبير وكذلك بحر ايجه يصب فيه انهر اكبر من نهر سيحون فمن هذه الانهر النهر الكثير الازورار والانعطاف المسمى سابقا ميندره ويسمى الآن نهر ميندر وهو نهر عميق وان كان عرضه هينا وهذا النهر يثقب في الغالب الاراضي المجاورة وينفذ فيها وقد كانت هذه الحادثة في قديم الازمان سببا لعادة غريبة وهي ان ارباب الاملاك التي يحصل بها مضرة المياه يقيمون دعاوى شرعية على هذا النهر منزلينه بمنزلة المدعى عليه فيعطى لهم ارش ما خسر وامن اراضيهم بان يعوضوا بدله شيأ من مكوس الاشياء المارة فيه ومن تلك الانهر ايضا نهرا بقطولس وهرموس وهذان النهران يتدحرج فيهما شذرات الذهب التي لم يكترث احد بالبحث عنها في زمن اسطرابونيس وكذلك نهرا سمواليس وسكمندرس المذكوران في قصيدة اوميروس المسماة اليادة والانهر الكبيرة التي بآسيا الصغرى تصب في البحر الاسود فمن ذلك نهر سنكارا المسمى ايضا عند الترك أيالا وهو المسمى عند المتقدمين سنغاريوس ومن ذلك ايضا نهر برتين المسمى عند الاقدمين نهر برثينيوس وهو يجرى الآن كما كان يجرى في زمن اسطرابونيس بين مروج مزهرة واراض مسطوحة نضرة ومنها ايضا نهر هاليس المسمى كزل ارماق ولم يذكر احد فرعه الجنوبي الابلنياس وجعله نابعا من سفح جبل طوروس قيليقيا ومهتديا من الجنوب الى الشمال وقد رآه المعلم طورنيفرت بقرب مصبه فقال ان عرضه في هذا المحل كعرض نهر السين في باريس وليس له الا مصب واحد وان كانت الخرطات الجديدة على خلاف ذلك واما نهر يكيل ارماق الذي كان يسمى في قديم الزمان ايريس فانه بعد نهر هاليس في عظم مجراه بخلاف ما عداه من الانهر التي تصب في بحر بنطش فانها ليست شهيرة الا بسرعة انحدارها ونزولها

ميندره

هاليس اوهالوس

بحيرات

وآسيا الصغرى بها كثير من البحيرات العديمة الجريان المشوبة بالاملاح وقد عرفتنا الجغرافية القديمة بعضها فيما سبق في الجزء الاول في جغرافية ارسطو وبلنياس وهردوط وجغرافية المتأخرين ايضا دلت على نظير ما دلت عليه جغرافية المتقدمين وذلك ان البحيرة المذكورة في كتب المتقدمين باسم بحيرة طوزله هي في جغرافية المتأخرين عبارة عن سهل متسع مملوء ببلور الملح وصخوره المرتفعة على هذا السهل وكذلك بركة اقشهر فانها على هذه الربوة بعينها فاذا جاوز ناقلة جبال طوروس ظهرت لنا ربوة اخرى بقرب بيشرى وبها بحيرتان أخريان مياههما مرة صابونية وهذه المياه الفاقدة الجريان تدل على ان الاجزاء الوسطى من بجيخزيرة اناطولى بها ميل يسير

قطر

ثم ان المتقدمين والمتأخرين من ارباب الجغرافيا مدحوا قطر آسيا الصغرى ومزاج اقليمها فقالوا ان مزاج قطرها لين خالص نقي لا يوجد مثله ولا في الساحل الثاني من الارخبيل على جهة اوروبا وذلك لان حرارة الصيف بأناطولى تخف خفة كثيرة بكثرة سلاسل الجبال العالية واما مجاورة البحور الثلاثة فانها ايضا خففت تكاثف البرودة والظاهر ايضا ان آسيا الصغرى سميت باسم آسيا العمومي في زمن بقراط بسبب اعتدال اقليمها وطيبته عن غيره قال بقراط لا يعرف في آسيا اختلاف الحر والبرد فان كلا من هاتين الطبيعتين يختلطان ويتداخلان ويصيران شيأ واحدا انتهى ولكن قد تكون سواحلها الجنوبية ذات حر ثقيل بخلاف سواحل بحر بنطش فانه قد يعتريها بعض الاحيان كثرة البرد والرطوبات وسبب ذلك أن بهذا البحر هواء كثيفا كثير الضباب والغيوم ينتشر بهذا الساحل واذا خلى ونفسه يحاول السير جهة البرور

تولدات

نباتات السواحل الغر

ثم ان الاقدمين كانوا يعرفون اكثر من الافرنج مواد غنى آسيا الصغرى ولكن المتأخرون وصفوها باوصاف مزينة مرونقة لكنها ناقصة وحاصل ذلك ان ساحل هذه البجيخزيرة يخرج منه نظير ما يخرج ببلاد اليونان الجنوبية وذلك لان شطوط نهر ميندره ذات الانعطاف وسواحل ساقز ورودس مزينة باشجار الزيتون والبرتقان والآس ولغار والبطم والمصطكى والعرديب وكذلك اشجار العنب ترتفع على رؤس الاشجار ثم تنزل فروعا متشعبة

وحزمات مشتبكة فبهذه المثابة تكون الكروم اشبه بكهوف ومغارات صغيرة من اشجار نضرة المنظر وبجانب ذلك اشجار الدلب شامخة على ذلك مظللة بظلها العظيم هذه الارض المستورة بالازهار الشذية الروائح بل واعالى جبال طوروس البارده مكللة بتيجان من اشجار السرو والسندروس والعرعر واشجار الراتينج وشجر العفص منتشر ايضا بهذه الجهة من بوغاز اسلامبول المسمى البوسفورة الى الشام والى حدود بلاد عجمستان وبداخل آسيا الصغرى سهول واسعة ليس بها الا نباتات مالحة مثل الافسنتين المسمى بالشيبة ومثل الحشيشة المسماة المريمية وقويسة وسالبية وغالبا بجانب البحيرات المالحة الطعم القبيحة المنظر تمتد سهول اخرى يابسة ليست خضرتها الا نوعين من الرتمة احدهما يسمى سپارطيوم ينكيوم والآخر سپينوسوم وهذا الاقليم به الآن وفى سالف الازمان غذاء الحمير والاغنام واراضيه الجبلية يعتريها جهة الشرق حريقات تحت الارض وعلى البعد من هذه الاراضى الجبلية بيسير تجد الارض غائرة تحت المياه الرواكد البارده وعلى شطوط نهر الفرات يرجع الخصب فيظهر شجر العنب والزيتون واشجار الثمار واما سواحل بلاد القرمان فانها فى مادة النباتات مثل اراضى الشام على سواحل البحر ويتصعد من اشجارها اصناف الصموغ الجيدة فشجرة الاسطيراش يخرج منها اللادنيوم (اللادن) وقد كان القدماء يجلبون من بلاد القرمان خشب العمارات البحرية وثم غابات اخرى ونباتات غير المتقدمة تستر شطوط البحر الاسود فاشجار الشاهبلوط واشجار التنوب المسمى بالراتينج هى الغالبة فى الغابات والكثيرة فيها وهذا الساحل هو غياض القسطنطينية والقرم فقد تجد غابات كاملة ليس بها الا اشجار البندق والمشمش والبرقوق ولاسيما اشجار الكريز حتى ان اشجار الكريز سميت بلفظ الكريز من اسم مدينة كرازنتة والسهول المحتفة بانهر هاليس وسنغاروس وميندرة بها مراع عظيمة وكلأ جليل

ولم نقف الى الآن على معرفة اجناس المواشى الموجودة باسيا الصغرى وانما زعم بعض المؤلفين ان حيواناتها فى هذا العهد ادنى جنسا من حيوانات اوروبا ولحوم البقر بها نادرة وغير جيدة ولحوم الضان احسن منها ولحوم المعز معتبرة لكثرة لذتها ولكن المعز الموجودة بها شديدة قوية وسريعة المشى خفيفة فلذلك يستظهر انها من سلالة جنس معز قپادوقيا ومعز انكورة او انجورة شهيرة بطول ورقة اصوافها وكذلك قطاط هذه البلدة فانها طويلة الشعر دقيقته وقد تصل غزلان الشام وتذهب الى خلف جبال طوروس حتى انه يمكن ان تجتمع بها على نوع من الظباء تنزل من جبال كوه قاف وتسمى ظباء الايبش ثم ان الغزلان والايبش يعاديها بتلك الارض من الحيوانات الشغال المسمى ابن آوى والذياب والضباع والدببات ولكن الظاهر انه لا وجود فى آسيا الصغرى للاسد وشطوط نهر قيستره منتزه لنوع من الاوز يسمى طير الاردف وبعضهم يسميه العلجوم وشطوط الهلسبنطيش مستورة بطير الحجل وبالجملة فسائر انواع الصيد تكثر بتلك الارض التى هى مزروعة نصف زراعة وعلى جبال طوروس تجد الاوعال وهى الاغنام الوحشية

ولم يزل الى الآن على شهرته القديمة من معادن آسيا الصغرى معادن نحاس تقات وكورية وكموشخانه الغير البعيدة من طرابوزان وجميع سلاسل الجبال المجاورة للبحر الاسود بها امارات نحاس جيدة قد اهمل استخراج معدن الزنجفر الموجود فى اولغاسيس (لعله القدس) وكذلك اهملوا استخراج معدن ذهب لوديا واحجار بلورينطش ومعدن مرمر الاقاليم الوسطى ورخامها المسمى قور اليطيق ولا يعرف الآن علم معادن هذه البلاد ازيد مما كان يعرف فى قديم الزمان فليراجع من اراد ذلك كتب قدماء الجغرافيين ففى كتاب اسطرابونيس ينبغى البحث عن تخطيط مغار قوروقيانوس فهو غار مذكور للقدماء ببلاد قليقيا (قرمان) وكذلك يبحث فى ذلك الكتاب عن اراض بقرب بلدة هغسطيونة فى اقليم لوقيا يخرج منها بخار يحترق وكذلك عن عيون المياه المعدنية المستحجرة الموجودة فى هيرابوليس وكذلك عن عدة امور تولديه من غرائب علم المواليد وقد ذكرنا غرائب مواليد هذه البلاد فى الجزء الاول من جغرافية هذا الحكيم اليونانى وذلك لانه لا يمكننا ان نثبت من عدم نص المتأخرين عليها انها موجودة الآن على حالتها القديمة مع انه لا مانع من ذلك وانها موجودة على هذه الحالة بعينها فان الحكيم شندلر اثبت ما نقله اسطرابونيس فى شأن العيون الحامية الموجودة بمدينة هيرابولس المسماة پمبوك فوجد صخرا مستحدثا من التراب الابيض الذى رسب من هذه المياه وهذا الصخر شبيه بقطعة ماء عظيمة انجمدت دفعة واحدة وانعقدت اوانها استحالت بغتة احجارا وبقرب ذلك ايضا المغار الشهير الذى شاهد القدماء تصعد ابخرته الدقيقة

وقد حان لنا الآن تخطيط الاماكن الاصلية من هذه الولاية التى خططناها بوجه عام ولنبتدئ من شطوط نهر چاررق

داخل اسيا الصغرى

قرمانيا

بسواحل البحر الاسود

حيوانات

معادن

تخطيط

الذى

الذى يجرى بسرعة وشدة ويسمى هذا النهر نهر باطوم وسماه دريانوس نهر اكيسيس وسماه بطليوس نهر ابسروس وهذا النهر هو حد ايالة طرابزندة اوطرابزان واول مدينة من مدن الترك بهذه الجهة تستحق ان ننبه عليها هى مدينة ريزة ويخرج منها الى غيرها كثير من قماش الكتان والنحاس المشغول والفواكه والاثمار ومدينة اوف ومدينة سرمينة مثل مدينة ريزة فى هذه التجارة ثم مدينة طرابزندة الشهيرة التى يسميها العثمانية طرابزان وهى المسماة فى قديم الزمان طرابزوس واهلها قبائل يونانية نزلوا بها من مهاجرى يونان سينوبس وكانت مدينة مهمة فى زمن الملك طرايانوس بل واشتهرت اعظم من ذلك فى تولية الملك يوسطنيانوس وقد كانت دار سلطنة اسسها فرع من نسل اليونان القمنينسية الذين كانوا بالقسطنطينية وسلب منهم المملكة سلطان العثمانية محمد الثانى سنة ١٤٥٢ ومع ان مدينة طرابزان قد فقدت رونقها القديم فلم تزل الى الآن معدودة من المدن العظيمة واهلها نحو ٢٠ الى ٣٠ الفا ولكن من بها من اليونان لم يزالوا متشبثين بالخروج منها او الطفشان الى غيرها ويخرج منها من انواع التجارة نحاس معادن كوشخانة وشمع العسل والجلود والفواكه ويسير من الخمور والانبذة وبهذا الساحل وهدتان يظهر منهما على التعاقب مدينتا طرابولى وكرازنطه وهاتان المدينتان يقتسمان مع طرابزان تجارتها والارض المجاورة لهاتين المدينتين يخرج منها الحرير واهل اونية المسماة فى قديم الزمان اونوه الموضوعة فى ارض مجدبة بها معدن شب يسمى صخر قيصر يشتغلون بالسفر فى البحر بالقرب من السواحل وهم يمهرون بهذه الملاحة سواء فى مينات الروسية او فى سواحل الاباظة والمدينة القديمة التى كانت تسمى فى الاعصر الحالية اميسوس وكانت محل اقامة متريداطس الاكبر هى الآن قرية صغيرة مسماة سمسون او سمسوم وهى ذات موردة يخرج منها نحاس تقات الذى ينقل الى البلاد الغربية وكذلك حرير اماسيا واتشتها وفواكهها بل وقطن ادنا فيذهب بذلك الى بلاد القرم واذا صعدنا نهر يكل ارماق او جكل ارماق الذى كان يسمى قديما نهر ايريس شاهدنا مدينة لها فضل عظيم على علم الجغرافيا وهى مدينة اماسيا التى هى وطن عالم الجغرافيا الشهير باسم اسطرابونيس وهى موضوعة بين صخور صعبة المرتقى ولكن ما حوالها من الاراضى يخرج منه ثمار عظيمة وعنب ينتبذ فاذا بعدنا عن ذلك جنوبا فى وادٍ منخفض ارتفعت لنا فى شكل علوة عظيمة مدينة تقات واهلها ٤٠٠٠٠ نفس يحتف بها غياض ورياض واعناب ودورها ذات دورين وكل بيت له حنفية وطرقها السلطانية حسنة التبليط وهذا شىء نادر فى تلك البلاد ويشتغلون فى هذه المدينة السختيان الازرق ويتجرون بها فى الحرير الذى يصطنعون منه الاقمشة العظيمة وكذلك يتجرون فى آنية النحاس والاقمشة الماء بوغة التى تنقل من البصرة مع القوافل ومدينة تقات هى مدينة قومانا بنطيقا القديمة وهى من ايالة سيواس وقرية زيلة التى كانت تسمى فى قديم الزمان زيلا هى كمدة مدن من مدن بنطش موضوعة على تل مستحدث

ثم ان الجبال التى تمتد من تقات جهة طرابزان وتفصل حوض بحر بنطش من الفرات هى ذات اودية نضرة تظلها غابات شجر الشاهبلوط وفى هذه الاودية يعيش عدة قبائل اكراد رحالة نزالة معيشتهم الخلائية اشبه بمعيشة القبائل التى ذكرها زنفونس واسطرابونيس وجعلاها فى هذه الاراضى ولا مانع ان تلك القبائل الكردية هى من نسل هذه القبائل القديمة وقد تكلم الجغرافيون المتقدمون على قبائل تسمى الشيانية او الاطزانية وجعلوها بهذه الجهة وقد بقى هذا الاسم مع بعض تحريف لبلدة تسمى الآن اقليم اشيانيق وجبال داخل هذا الاقليم فى رؤوسها حلقات من حديد ويقال ان اهل هذه البلاد يربطون فيها حبال السفن حين ترتفع مياه البحر الاسود وهو من غير سدة تصل فى ارتفاعها الى مساواة هذه الجبال وقد كان قدماء الخالبية المسماة ايضا خالديه يحسنون صنع المعادن واشتغالها فبقى هذا الامر فى اهالى الجبال الذين يسمون الآن باسم كادير اوچلدير وهذا الاسم محرف عن اسم الخلدية المتقدم ذكره الذى هو مرادف لاسم الخالبية فهم ذراريهم

واذا عبرنا نهر هالوس فانا ندخل فى مسلمية قسطمونى التى هى الآن بدل اقليم بفلاغونيا البحرية ومع ان هذا الاقليم الذى يسمى ايضا قسطمبول اهل ارائه فى دعه صناعات عظيمة تنشأ ل فيه آنية النحاس واهله نحو خمسين الف نفس ومدينة ققيبوليس القديمة التى مكثت مدة طويلة دار مملكة هذه البلاد ثم خربت وجهل مكانها بحث عنها الباحثون من الجغرافيين فوجدوها الآن وعرفوا انها القرية المسماة فى هذا العهد طاش كبرو ثم ان ساحل هذه الارض من نهر هالس الى بوغاز البسفورة مكث مدة مديدة وهو مرسوم على الخرطات وفيه تحريف وخطأ عن الصحة ولكن قد صحح خطأه وبين صوابه مسيو بوشمب فالخليج الادعائى الذى كان مرسوما على الخرطة ويسمى باسم جون سمسون قد انمحى منها وذكر المعلم دنويل رسم الساحل على خرطاته وجعله اميل عن الشمال بنحو درجة

زيرة

طرابزندة

كرازنطة

اونية

سمسون

اماسيا

تقات

اهالى الجبال

غرائب تاريخية

قسطمونى

ققيبوليس

عما هو عليه فى الواقع وقد عرف الآن ان هذا الساحل يرتفع فى الجملة جهة الشمال بدرجة خلافا للمعلم دنويل
وقبل الوصول الى رأس كرمبة التى هى الطرف الشمالى من آسيا الصغرى تجد فى طريقنا مدينة سينوبه التى

سينوبه

هى مدينة شهيرة موضوعة على برزخ ومستورة شمالا ببحيرة بجزيرة وفى شرقيها موردة عظيمة ذات ترسخانات للعمارات
البحرية السلطانية وهذه المدينة كانت عامرة فبطفشان الاروام منها قل اهلها فلم يزيدوا عن خمسة آلاف نفس
ويخرج منها الى غيرها الارز والفواكه والجلود والالواح وقد كانت فى سالف الزمان مشهورة بتجارة السمك والآن تلاشت
فيها هذه التجارة ومدينة اينهبولى هى اسكلة قسطامونى يعنى ميناها ينقل منها الى غيرها خشب العمارات

اينهبولى

والنحاس والقنب واما مدينة أمسترو التى كانت تسمى فى قديم الزمان امسطريس ومدينة هرقلى المسماة
سابقا هرقلية فانهما لم يبق لهما الا مجرد الاسم

ثم ان بوغاز البسفور ينفتح للاعين كأنه نهر ظريف على حافاته قرى وقصور ومنتزهات وحيث ينتهى هذا البوغاز
ترتفع مدينة اسكودار وهذه المدينة لولم تكن بمصاقبة القسطنطينية لعدت من المدن العظيمة الظريفة لكن

اسكودار

وجودها بهذه المثابة اطفأ نور فخارها واهلها ٣٠٠٠٠ نفس وعلى اول خليج هنالك من بحر مرمرا المسمى
ايسنكميد البروبنطيدس تجد مينا المدينة ايسنكميد التى كانت فى قديم الزمان نيقومديا التى باقليم بيثونيا
وقد مات بتلك المدينة القديمة الملك قسطنطين وهى الى الآن مدينة عظيمة وليست كذلك مدينة ايسنك التى فى

ايسنك

موضع نيقة القديمة الشهيرة فى قديم الزمان بكونها انعقد فيها اول اجماع من الاجماعات النصرانية ولكنها الآن صغرت
حتى صارت لا تبلغ الا مائتى بيت او ثلثمائة ولا يسكنها الا اليهود ويشتغلون فيها اوانى الفخار او يتجرون فى الحرير وبحر
البروبنطيدس يحتفه آثار شهيرة من آثار المدن القديمة التى اندرست فمن ذلك آثار قوزيقس وهذه الآثار الباقية لهذه

قوزيقس

المدينة تدل على صحة ما قاله المؤرخون من عظم وظراقة هذه المدينة التى كانت فى الاعصر الخالية احدى المدن التجارية
الاولية ومما ينبغى التأمل فيه من محال هذه الجهات قلال جبل أولمبس المغطاة بالثلوج المستمرة ولو فى اثناء الصيف
وهذه الجبال بقلالها على شكل اهرام تمتد بسفحها مدينة برسا المسماة ايضا بروسة او پروسة والبانى لها اول

برسا

مرة هو أنيبال وقد كانت دار سلطنة العثمانية قبل فتوح القسطنطينية واعظم ارباب الصناعات العثمانية من مدينة
برسا وصناعها مشهورون ولا سيما قناطين هذه المدينة وبسطها والحرير الظريف الذى يحصلونه فى هذه المدينة
بكثرة لا يكفى فبريقاتها بل ينضم اليه جميع ما يجلبونه من بلاد العجم ومدينة برسا الحقيقية موضوعة على ربوة
مشرفة على ارض سهلة خصبة ينبع منها فوارات معدنية واهلها ٥٠٠٠٠ نفس وبها ١٤٠ مسجدا منهما
مسجدان عظيمان وبها عدد كثير جدا من الحنفيات والسبل ومدينة برسا ميناها مدينة منتانيا المشهورة
باسم مندانيا ومن هذه المينا يخرج الى البلاد مقدار عظيم من ملح البارود والنبيذ الابيض والفواكه وما يتحصل
من المعامل والفبريقات

عدم الحكم والسياسة فى اناطولى

وقد حان لنا الآن ان نشرع فى تخطيط الاجزاء الوسطانية من اسيا الصغرى وان كانت غير معروفة للافرنج حق
المعرفة لما ان اجتيازها خطر لما فيها من القبائل الاجلاف التركمانية التى يقال انهم لا يحترمون المسافرين
ببلادهم بل يؤذونهم لعدم السياسة والحكم عندهم ولكن قد نشأ من عدم الحكم بهذه الناحية نوع من الترتيب
والانتظام بها يعنى انه حصل فيها السكون والاطمئنان وعدم الهرج وسبب ذلك ان عشيرتين عظيمتين
وهما آل بيت قرا عثمان اوغلو وآل بيت چاپان اوغلو قد اكتسبتا على التدريج التزامات واسعة جليلة فى آسيا
الصغرى فنظموها بالترتيب والامان وعدم الهرج ولكن صار الحكم فيها لهم وقامت دولتهم فيها مقام دولة الباب
العالى فان امراءهم لا يعترفون للباب العالى الا بالسيادة عليهم ان احبهم ذلك فكأن هذا فضل منهم لا وجوب عليهم
ثم ان ولايات قرا عثمان الذى هو دره بكى يعنى امير الاودية تشتمل على موسيا القديمة ولوديا وحصة من ارض
بيثونيا فهى من نهر سنغاريوس الى نهر ميندره وولاية چاپان اوغلو هى كالدائرة فى اقليمى غلاطية
وفلاغونيا وهى محصورة بين نهرى سنغاريوس وايديس وباشا اناطولى الملقب بيكلربيكى اناطولى مقيم
فى كوتاهيه وهو يحكم من البلاد على ما كان يسمى فى قديم الزمان فروجيا

وعابر طريق بروسه من كوتاهية وقونيا فى ولاية قرمانيا يجتاز اصالة هضبة البحيرات المالحة العديمة
الجريان التى تكلمنا عليها فيما سبق ومدينة كيوتاهيه هى قوتيوم القديمة وهى مدينة عظيمة مزينة بالمساجد

كوتاهية

والخانات والحمامات يحتف بها الحدائق والبساتين والكروم والمنتزهات وبها ما ينيف عن ١٠٠٠٠ بيت والظاهر
ان اهلها اكثر من ٥٠٠٠٠ نفس وارضها خصبة يخرج منها فواكه عظيمة وكثير من العفص ومدينة قراحصار

قراحصار

شهيرة

شهيرة بزراعة الافيون وقد اختلف الجغرافيون وحقق بعضهم وكان كثير الاطلاع ان هذه المدينة هي ما كانت تسمى في قديم الزمان فسلبتة ومدينة اقشهر مدينة عظيمة وهي على ما قاله دنويل ما كانت تسمى في قديم الزمان انطاكية ادبزديام وقال منرط النمساوى انها في محل مدينة صوريوم اوطوريوم ولما كان الجبل مجاورا لمدينة اقشهر من جهة غربيها والارض المسهلة الخصبة الكثيرة الحنطة والثمار تمتد على شرقيها كان هذا مؤيدا لرأى الجغرافى النمساوى فهو المعتمد في هذا المقام ومدينة قونيا التي هي ايقونيوم القديمة هي الآن مقر حكومة الباشا المستولى على الجزء الشمالي من قرمانيا واقليم قومانيا هو اقليم مشتمل على بمغوليا القديمة وبسيديا وليقونيا وعلى جزء عظيم من قبادوقيا وقيليقيا وتلك المدينة التي كانت عظيمة ومهمة حين كانت دار مملكة سلطان الروم ليس بها الآن من الاهل الا ١٥٠٠٠ او ٣٠٠٠٠ نفس وبها نهر صغير يذهب في البساتين التي حول المدينة وعلى شرقي المدينة تمتد برك واسعة ومدينة قرمان التي سمي بها اقليم قرمان ليست بعيدة من منبع الفرع الجنوبي من نهر هاليس

قونيا

قرمان

مدن على اعلى هالوس

فاذا انحدرنا في هذا الفرع من نهر هاليس لنقرب من مدينة انجورة فاننا نجد في طريقنا مدينة اقسراى وكيرشهر التي على مجمع اركوروس وكذلك نهر خوش الذى عليه الآن مدينة نيقيدة فلا بأس ان يبحث السواح عن هذه المدن ويقابلها بالمدن القديمة فينظر هل اقسراى هي ارخيلايس وهل كيرشهر هي نزيانزوس الملقبة ديوقيصرا وهل نهر خوش اوشوش هو النهر الذى سماه بلنياس قبادوقة ولكن حيث كانت هذه الطريقة غير مطروقة كثير السواحي الافرنج كان الغالب على الظن ان اجوبة هذه الاسئلة تمكث زمنا طويلا من غير تحقيق

وهناك طريقة معروفة اكثر من المتقدمة توصلنا من برسا اومن نيقة الى تقات وهذه الطريق في خلال ولايات چاپان اوغلو العامرة التي مبدؤها مدينة بيبزار على نهر سنغاريوس فاذا اوغلنا جهة الشرق في ارض سهلة كثيرة الارتفاع شاهدنا انجورة والسبب في شهرة هذه المدينة وغنى اهلها دقة شعور معزها ويغلب على الظن ان اهلها ٨٠٠٠٠ وهم ارباب لين عريكة وأدب احسن من جميع اهل مدن اناطولى وطرقها عريضة ومبلطة بقطع كبيرة من احجار الصوان وبها آثار ظريفة من آثار القدماء منها هيكل ظريف شهير كان السبب في شأنه في قديم الزمان التشريف للقيصر اغسطوس فان تاريخ عظم مدينة انجورة من عهد هذا الملك الرومي فانها كانت قبله لاعظم لها وفي منتصف الطريق التي بين انجورة وتقات نجد مقر حكومة چاپان اوغلو المسماة مدينة يوزكاط التي كانت خربة ثم احييت ولازالت آخذة في العمار والزيادة التدريجية كل يوم

انجورة

يوزكاط

واذا صعدنا على الفرع الشرقي من كزل ارماق وهذا الفرع هو هالوس هردوط اواسطرابونيس وصلنا الى مدينة سيواس المسماة في قديم الزمان سبسطيا بنطش وهي الآن مقر حكومة باشا يمتد حكمه على جميع الولايات التي بين الفرات وايريس وجبل ارجيوس وهذه الولايات هي تحت حكمه ويجب له عليها الطاعة وان كان في الواقع ونفس الامر بعضها لا يطيعه بالفعل واختلف في عظم سيواس فمن السواحين من المتأخرين من جعل بها ١٠٠٠٠ بيت ومنهم من جعل بيوتها ٤٠٠٠ ولا يمكن لسواحي الافرنج معرفة ذلك على وجه الصحة ولا يتيسر اتفاقهم على عدد بيوتها اصلا وبالجملة سيواس اشتهرت مدة الايام باسم بلاد الروم يعني بلاد الرومانيين وبقاؤها على هذا الاسم انما هو من باب الصدفة والاتفاق او العناية الالهية

سيواس

وحوض هاليس الشرقي يتصل من ناحية الجنوب بالحوض الذى يجرى فيه نهر قراسو يعني النهر الاسود وهو المسمى عند الاقدمين ملاس وفي اعلا هذا الوادى نشاهد مدينة قيصرية اوقيسارية وهي قيصرة القديمة اى قيصرة قبادوقيا وهي مدينة كبيرة في حضيض جبل اردهس ثم ان سواحا من السواحين رفض الناس ما قاله وضعفوه وجد حوالى مدينة قيصرية جبالا منقوبة كهوفا منحوتة والظاهر ان هذه المغارات كانت بيوتا يسكنها اهل هذه البلاد في الصيف وسكنى الجبال في الصيف كانت موجودة عند كثير من امم الاقدمين فكلام هذا السواح في هذا الشان يمكن تصديقه كله ولكن يصعب ان نصدق بالكلية ما حكاه هذا السواح من وجود ٢٠٠٠٠٠ هرم صغير ذات ابواب وطاقات وانه رآها بعيني رأسه ليست بعيدة من قيسارية وعلى القرب جدا من ايرقوب انتهى ويمكن ان يقال ان هذا من باب المبالغات في العجائب وان كان له اصل صحيح فانه لا ينبغي لنا ان نرفض جملة واحدة جميع ما يظهر لنا انه من الغريب الذى لا يصدق به عقلنا لجواز ان يكون لبعضه اصل صحيح ومعنى رجيح

قيسارية

غرائب حولها

والارض التي على حافة ملاس (قراسو) بها القبائل رحالة نزالة من التركمان مراع خفيفة هينة حتى ان القرى

بها اشبه بواحات فى وسط الصحارى ولكن اذا قربنا من نهر الفرات فانه ينسرح النظر فى منتزه حدائق وبساتين ورياض وغيطان وباقات من شجر الجوز بحوالى مدينة ملطية التى كانت قديما مدينة ملطينة وهذه المدينة بها نحو ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ بيت وهى اشهر مدن ارمنية الصغرى وارمنية الصغرى كانت فى الاعصر الوسطى طريقا يجتازها التجار للتجارة الواقعة بين اوروبا والهند وفى عهدنا هذا لم يسلكها من الجنوب الى الشمال من ارباب السفر الا السواحان فقط ولذلك كانت من جملة الاراضى المجهولة الحال للافرنج ومن المعلوم اننا اذا ذهبنا من ملطية الى مدينة اياس وهى ايسوس القديمة لزمنا ان نجتاز اقليما صغيرا يسميه العثمانية دلكادرا يلى وهذا الاقليم يحكمه باشا مقيم فى مدينة مرعش ثم ان الجغرافى دنويل جعل هذه المدينة على الجنوب الغربى من جبلى امانوس واراد بذلك ان يجعلها فى محل جرمانيقيا القديمة فشاهدها بعض السواحين فرآها فى الشمال الشرقى من هذا الجبل وعلى مرأى من نهر الفرات

ملطية

مرعش

واقليم قيلقيا الذى هو ساحل قرمانيا ليس معروفا حق المعرفة بل هو فى معرفته مثل ارمنية الصغرى تقريبا ثم ان كلام اسطرابونيس واوطر يدل على ان اغلب انهر هذا الساحل تنبع من شمال سلسلة طوروس فتخرج من هذه الجبال بواسطة حلوق ضيقة والهضبة التى تتولد فيها هذه الانهر بين طوروس وانطى طوروس هى فى معظمها عبارة عن اقليم قطاونيا القديم وفى هذه الجبال يبحث اهل قرمانى فى الرحالة النزالة بل واهل القرى عن السكنى بها صيفا ليتقوا حر الشمس الذى يؤذى شطوط البحر واعالى هذه الجبال عليها اكاليل شجر الارز وشطوط البحر مغطاة بغابات كاملة من شجر الغار والآس ومن مدن هذا الاقليم مدينة ادنا التى هى مقر حكومة باشا ومدينة سيس التى كانت دار اقامة ملوك ارمنية الصغرى وهاتان المدينتان ليستا مهمتين كثيرا ومدينة طرسوس التى كانت فى قديم الزمان منافسة فى العلوم لمدينة اثينا ومفاخرة لمدينة اسكندرية ليست الآن الا قرية صغيرة ولكن مياه قودونوس الطرية التى كانت خطرة على اسكندر الذى كانت همته لا تكل وجهده لا يمل لم تزل الى الآن تسقى هذه السهول الخضرة النضرة التى نقش فيها سردانابالس فى اسفل تمثال مصور هذه الحكمة تمتع بلذات الحياة وغير ذلك كالعدم واقليم قيليقيا الملقب طراخيا يعنى خلاهو الآن اقليم يسمى ايجل وهو من حكم متسلم قبرص وباشا كوتاهية مستول على اقليم تكية وهو ساحل بمفوليا القديمة ولوقيا ومدينة ستاليا على جون خطر فى اسفل غابة برتقان وليمون شهيرة بالتجارة واهلها ابلغ من ٣٠٠٠٠ نفس وعلى السواحل المبتهجة المنظر التى لبلاد لوقيا نشاهد آثارا ظريفة باقية من مدينة يقال لها ميرا اوموروا وتسمى الآن قاقاما وهذه الردوم تدل على سعادة عصر ادريانوس اوطرايانوس وذلك لان مبانى النقربوليس يعنى المقبرة لها منظر فى حد ذاتها يشبه منظر مدينة كاملة وفى داخل اراضى لوقيا حيث كانت مدينة بيسيديا القديمة بقى بالصدفة والاتفاق اسم سبرطة اواسبرطة لمدينة عامرة اهلها اتراك وهذه المدينة بقية من مدينة سغالسوس القديمة التى كانت تفتخر بان اصل اهلها يونان من اهالى لقدمونة (اسبرطة) وبقرب اسبرطة العثمانية آثار عظيمة من آثار سغالسوس وهذا الاقليم يقل اجتياز الافرنج به وهو ربوة ذات بحيرة واحدة او جملة بحيرات ومياهها تجرى من نهر دودن وهذا النهر كثيرا ما تذهب مياهه فى المهاوى التى تحت الاراضى الشبيهة بالجب او بالمخادع

ساحل قرمانيا

طرسوس

ستاليا

قاقاما

اسبرطة

واما السواحل الغربية من آسيا التى يتردد اليها ارباب الاسفار اكثر من ترددهم الى الجهة المتقدمة فان بسط الكلام عليها يحتاج لمجلد كامل فقد كان بها فى قديم الزمان الفنون والعلوم الادبية مزينة لمدن اقاليم دوريدة ويونية وايوليدة وبها الآن الآثار المحزنة لمدن هاليقرناسة وميليطة وافسوس التى هى مدينة اهل الكهف وهذه الآثار يقف عندها تعجب المشتغلين بالبحث عن آثار القدماء قال بعضهم ان آثار افسوس على الجنوب الغربى من مدينة ايساولك انتهى واذا كان هذا الامر صحيحا كان تحديد افسوس قد عرف فان تحديد محل هيكل ديانة الشهير بهذه المدينة لم يعرف الى الآن ولم يقف على معرفة هذا الهيكل الحكيم شندلر ولا المهندس شوازول غوفير ولا مانع من ان من اراد ان يبحث عن آثار هذا الهيكل فانه يجدها فى شمال ايساولك فى السهول المسبخة التى يسقيها نهر قيسترة وايساولك تشغل اول محل من افسوس قبل ابنية لوسيماق ولا يعلم ايضا الى الآن محل ميليطة القديمة وقد عثر السواح اسبون فى مدينة بلسها على كتابات ونقوش فيها اسماء المليطيين فظن انه وجد آثار محل مدينتهم القديمة فلما بين الحكيم شندلر هذا كلام اسبون بحث بلا طائل عن جون لطميانوس بهذه الجهة وعن مدن موس وهرقلة وغيرهما من المدن التى على شطوط ذلك الجون وقد توهم هذا الحكيم ان ذلك الجون

السواحل الغربية

آثار افسوس

آثار ميليطة

جون لطميانوس

هو الآن عبارة عن بحيرة اوفاباسى فان الاراضى الواطية التى فصلت هذه البحيرة من البحر متجمعة كالقيوف بواسطة نهر ميندرة وهذا المذهب الغير الواضح الاصل هو ايضا معترض الاس كأنه على خدشه واحد من علماء النمساوية حيث اعتقد ان آثار بلنسها المتقدمة انما هى آثار مدينة موسوس وهى مدينة صغيرة مختلطة بمدينة ميليطة حتى ان اهلها يلقبون بالمليطيين وقال هذا العالم النمساوى ان بحيرة اوفاباسى هى التى تحدث على ما قاله بوسانياس من هبوط بقرب موسوس فآثار ميليطة وجون لطميانوس يلزم البحث عنهما على البعد من ذلك جنوبا وغربا ولكن ما صحح به بعض السائحين فى الجغرافيا من الفرنساوية مذهب شندلر فى هذا العهد والخرطات الظريفة التى رسمها شوازول غوفير كل هذا يؤيد انه حصل هنا القيوف تجمعت فى ازمان متأخرة عن الازمان التى ذكرها اسطرابون وبوسانياس فان بحيرة اوفاباسى يظهر انها الجون القديم المسمى لطميانوس وعلى كل حال فآثار ميليطة يلزم ان تكون ابعد غربا من بلنسها وهذه المسئلة النافعة فى الجغرافيا لم تزل غير واضحة كما هو الظاهر

مدن جديدة

وهذه الاقاليم الظريفة مدنها الجديدة قليلة الجدوى وذلك ان مدينة ملاسو بها آثار كثيرة من مدينة مولاسا القديمة ومدينة كوزل حصار هى المدينة التى كانت تسمى مغنيسا على نهر ميندرة وهى الى الآن ذات تجارة عظيمة ولما صعد بعض السواحين المتأخرين الوادى العظيم المنظر وهو وادى نهر ميندرة رأى آثار المدينة العظيمة الغنية المسماة سابقا لاوديقة معمورة بالثعالب لا انس بها ومدينة تيرة ذات فبريقات وورش عظيمة والمينا الضيقة المسماة مينا سقلانوفا هى مطروقة جدا وهذه المدينة التى تشبه ان تكون عوضا عن مدينة افسوس هى على علوة بمساجدها المملوءة من ظريف اشجار السرو

ازمير

تجارة هذه المدينة

وملكة مدن اناطولى وهى ازمير هى دائما متجلدة مقاومة لما يعتريها من الحريق والزلازل وقد خربت عشر مرات واقيمت عشر مرات واكتسبت فخارا جديدا وهى بواسطة وضعها كالمركز وبجمال ميناها تجذب اليها جما غفيرا من تجار جميع الامم بحرا وبرا بالقوافل والتجارة التى تؤخذ من ازمير هى الحرير واصواف المعز والابل واقمشة القطن والشاش المزركش بالقصب والتلى والسختيان والسرجك الملون واقمشة الصوف والشمع والعفص والزبيب القورنثى وكثير من العقاقير مثل القاوشق المسمى القنة والراوند والعنبر والمسك وحجر اللازورد وعدة صموغ مختلفة ويبحث فى ازمير ايضا عن البسط والسجاجيد المختلفة النوع وعن اللؤلؤ والالماس والزمرد والياقوت وغير ذلك من الاحجار النفيسة وبالجملة فازمير هى مركز تجارة بلاد المشرق وهى عرضة للطاعون واهلها ١٢٠٠٠٠ نفس

بقية السواحل الغربية

ومن نهر ميندرة الى بحر البروبنطيدة تجد فى البلاد حسن الترتيب والراحة للاهل والنجاح فى البلاد وهذا مما يدل على تمام عقل عشيرة قراعثمان وحسن تدبيرهم فان هذه العشيرة منذ ستين سنة تحكم هذه الاراضى كانهم بها ولاة لهم فيها تصرف مطلق وذلك ان ارباب الزراعة يبذرون ويحصدون وهم فى الراحة والسكون من غير فتن وقيام حرب والاروام فى اقليم ايوليدة القديم مكاتب يونانية يقرؤون فيها كتب اوميروس الادبية وكتب توقوديدس والتركمان المحيمون بقرب منابع نهر هرموس المسمى الآن سرابات دأبهم الزراعة ثم ان مدينة الملك قريسوس التى كانت دار اقامته وان كانت الآن قد وضع محلها قرية سرت وصارت لا تعرف انها هى لحقارتها واذهاب رونقها فليس مثلها غيرها فان ثم مدنا اخرى كانت مثلها لم يزل باقيا لها الى الآن خيال رونقها القديم وذلك لان التجارة لم تزل ذات رونق وبهجة بمدينتى مغنيسيا وفيلدلفيا المسماة عند العثمانية الاشهر والزراعة الكثيرة للقطن الظريف باسيا مزينة لمدينة اق حصار وهى تياطيرة القديمة وكذلك مدينة قرقاغاج وهى مدينة جديدة ومدينة

مدن على نهر هرموس وقيقوس

برغامو التى فى محل برغامة القديمة ذات آثار وبقايا جليلة ومدينة فوقيا التى هى فى محل فوقة القديمة لم تزل الى الآن بميناها العظيمة والجزيرة الصغيرة التى هى المملكة القديمة التى كان صاحبها الملك برياموس قد شاهدها بعض سواحى الافرنج واختبرها الهامع كمال الدقة فى عهدنا هذا وقد عرف جريان نهرى سمواس وسيمندرة وقد عرفوا ان طرواية القديمة التى سماها اوميروس مدينة هيوم كانت مرتفعة على تل عليه الآن قرية بوناربا شى

محل طرواية

واما مدينة هيوم التى كانت فى زمن اسطرابون فانها كانت اقرب للبحر من هيوم اوميروس وكذلك مدينة هلسبنلش فانه قد بحث عن آثارها ثانيا بحثا جديدا وآثار ابدوس القديمة ابعد شمالا من الحصن الذى كان يسمى فى قديم الزمان حصن آسيا وهى حصن غير منيع والمحل المسمى لمساكى انما هو ضاحية من ضواحى مدينة لمبساقوس التى آثارها قد عرفت عن قريب فى جردق

وقد تممنا الكلام على جزيرة آسيا الصغرى فلندخل البحر ونبحث عن سلسلة الجزائر التى تحفها جهة العرب فان كل صخر بهذه الجزائر له تاريخ وكل جزيرة لها عصر عز رهنا ولها فحول رجال وارباب قرائح وعقول فى اقصى

دوبات الكمال

جزيرة تندوس ومتلينا
وجزيرة تندوس الى الآن مفتاح الهلسبنطش وقد سماها العثمانية بكيحا طاسي ومن هذه الجزيرة الكثيرة النبيذ نصل الى جزيرة متلينا وهي جزيرة كانت تسمى في قديم الزمان لسبوس وحول الخلجان الصغيرة القريبة من هذه الجزيرة هضبات كثيرة النخيل والزيتون والجبال التي بداخلها مغطاة باشجار المصطكا المسماة بالكمكام وباشجار التربنتين وهو البطم وباشجار الصنوبر برالحلبي وصنوبر الحمام وباشجار اللادن وتجد ايضا بهذه الجزيرة الغدران والجداول تجري تحت ظل اشجار الدلب ثم ان انبذة هذه الجزيرة وتينها ونساءها لم تزل على كمال حالها المشهور من قديم الزمان في التواريخ واهلها ٢٥٠٠٠ منهم ٨٠٠٠ في مدينة قسترو.

ساقز
ولا نعرج اصلا على رأس قرابوروم ولا نحل بساحة سكانه الاجلاف الخشنين وانما ننزل بجزيرة ساقز التي كانت تسمى سابقا جزيرة خيوس وتسمى بجزيرة المصطكا لانها امتازت عن غيرها بهذه الشجرة ولعظمها بذلك كانت التزام ام السلطان العثماني الملقبة السلطانة الوالدة ولهذا كان لهذه الجزيرة نوع حرية واستقلال وصارت بما فيها من البراعة والصناعة كانها بستان عظيم مع ان اكثرها احجار صوانية اوكلسية واهلها على ما قاله الحكيم اولوير نحو ١١٠٠٠٠ ومعظمهم اروام منهم ٣٠٠٠٠ مقيمون في المدينة التي هي قاعدة الجزيرة وتسمى باسمها ايضا فيقال مدينة ساقز وفي جميع نواحي الجزيرة تفوح روائح اشجار الليمون والبرتقان والاترج فتعبق في الهوا وتطيبه وبها ايضا يسير من اشجار التين والرمان واما الورد فانه بها اكثر من وجود نوار الشوك بغيرها من الاماكن ويزرعون فيها الشعير والزيت ويستخرجون النبيذ المسك وبها القطن ودود القز بل قد توصل اهلها بمهارتهم الى تقليد اقمشة الفرنساوية المشغولة في مدينة ليونة والاقمشة الهندية ونساء ساقز ربات جمال مثل التماثيل اليونانية ولكن يتغير جمالهن بملابسهن المضحكة

ساموس
وبعد مجاوزتنا جون اسقلانوا ندخل مينا واثي في جزيرة ساموس التي هي اصغر من ساقز بنحو النصف واهلها على ما قيل ليسوا الا ١٢٠٠٠ نفس ولكن ارضها خصبة جدا فيخرج بها العنب الطيب الرائحة والبرتقان ونباتات الزيوت والحرير وفيها رخام ظريف وبجزيرة ساموس للمتولعين بآثار القدماء آثار عظيمة من هيكل يونون وهذه الجزيرة من دون جزائر بحر الروم شهيرة بوحاشة نسائها ومدينة مغلوخوري اومكاوشوري هي بندرها الآن وجبلها المسمى جبل قرطيس لم يزل الى الآن تغمره الثلوج مدة معظم فصل الصيف

نيقاريا
ونمر امام جزيرة نيقاريا وهي جزيرة كثيرة اخشاب العمارات وان كانت مجدبة بالنسبة لما عدا ذلك واهلها اروام وهم قليلو العدد ارباب فقر وكبر يزعمون انهم من ذرية الملوك القسطنطينيين ولا ينامون ابدا على فراش ولو كان لهم قدرة على ذلك

بتموس
وكما اختصرنا الكلام على هذه الجزيرة نختصر الكلام ايضا على جزيرة بتموس فنقول ان بعض اهلها خططها بانها كثيرة النبيذ والحنطة والتين مزينة باشجار السرو والمشمش البري المسمى القطلب ومملوءة بنحو سبع عشرة قرية ولكن منذ مدة ضعف امرها وتعب حالها وكذلك جزيرة ليرو وجزيرة قاليمانة وبها يخرج العسل الجيد

ليرو الخ

قوس او استنكو
وكذلك عدة جزائر اخرى متتابعة في شمال ساموس ومنها نصل الى منشأ بقراط الحكيم وهي جزيرة قوس التي حرف اسمها الى استنكو وهذه الجزيرة كثيرة الليمون والاسفندان المسمى شجر العرب وقد يسمى باسم هذه الجزيرة باللغة اللاطينية نوع من حجر البلاط يسمى حجر المسن

رودس
وبمصاقبة اطراف آسيا جهة الجنوب الغربي جزيرة رودس الشهيرة في قديم الزمان بقوانينها الحسنة واحكامها المستحسنة وقد اشتهرت ايضا هذه الجزيرة في القرن الرابع عشر والخامس عشر من تاريخ الافرنج بانها مقام طائفة سنت جوان داورشليم يعني طائفة ماري يوحنا المقدسي وهي طائفة تحارب للحماية والذب عن بيت المقدس وهذه الجزيرة قليلة الخصب بالنسبة للحبوب ولكنها ممدوحة الثمار كما كانت في قديم الزمان وشمعها ممدوح ايضا كعسلها ويؤخذ منها لغيرها الصابون والسجاجيد العظيمة وقماش الصوف الرفيع وقاعدتها مدينة تسمى ايضا رودس وهي على منزل تل بمصاقبة البحر ومحيط هذه المدينة فرسخ واحد ومنظرها مبتهج لانك تبصر فيه اشياء متنوعة وممرجا بعضها ببعض وهي البساتين والحدائق مشوبة بالمنارات الاسلامية والابراج والكنائس المسيحية ومدينة رودس من اعظم حصون العثمانية وهي ذات مينا طيبة ومدخل مينا ها محصور بين صخرين وعليه برجان لمنع العدو من الدخول والتمثال العظيم الشهير المصطنع من النحاس الاصفر الذي كان ارتفاعه مائة وثلاثين قدما لا يظهر انه كان موضوعا داخل مدخل هذه المينا العظيمة بل يظهر ان محله هو الاحجار المرصوصة التي تفصل هذه المينا من المينا الداخلية التي كان بها سفن طائفة المارى يوحنا المقدسي المتقدمين

واما السواحل الجنوبية من آسيا الصغرى فانها قليلة الجزائر جدا بحيث يمكن ان يقال انها خالية عن الجزائر في الجملة وذلك ان قيام جبال طوروس بهذه الجهة منتصبة يجعل هذه الجبال مضايقة للبحر وحاصرة له بقيوفها الضخمة وثم خلجان ضيقة تفرز منه بعض جزائر صغيرة صخرية مثل قسطلروسة فلنترك رأس خليدوني اوشليدوني وآناطهريا ونتوجه الى مينا مدينة بافوس في جزيرة قبرص ثم ان بعض المتأخرين يسمى تلك المدينة باسم بفا وكانت تسمى ايضا اماتنطة فحرف بعضهم هذا الاسم وسماها لياسول وقد كانت ايضا هذه الجزيرة مدينة سلامينة فخسفت بزلزلة وقعت فيها وقد وجد آثار مسماة بهذا الاسم ولما كانت هذه الآثار قريبة من نهر بذيوس وجب ان تكون هذه الآثار من آثار مدينة قنسطنتيا التي بناها الملك قنسطنشة وليست من سلامينة في شئ ولكن ظهر بهذه الجزيرة مدن اخرى ابطلت الاولى وعظم امرها ايضا منها مدينة الافقسية التي يسميها بعضهم نيقوسيا وهي في مركز الجزيرة وقاعدتها ومقر الحكومة بها وبهذه الجزيرة ايضا فماقسطة ولرنيقا وقرية سالينة وهذه الثلاثة ذات تجارة هينة وقد ذكرنا في الجزء الاول خصوصية هذه الجزيرة تبعا للقدماء والمتأخرون ايضا ذكروا مثل كلام المتقدمين تقريبا فيما يتعلق بتخطيطها ثم ان الثلوج التي تنتشر مدة طويلة على جبل اولمبس المسمى الآن جبل سنت كرواش تجعل بهذه الجزيرة برداقويا وهذا البرد الشديد يجعل حر الصيف فيها لايطاق واعظم مايخرج منها الآن من خيرات الارض القطن ومنها ايضا تؤخذ التربنتينة وهي البطم واخشاب العمارة والبرتقان ولاسيما نبيذها والازهار التي تستدعي بلاد الافرنج تعبا في صحتها تخرج بهذه المدينة من غير مشقة مثل السنبل والخزاما وشقايق النعمان بانواعها والنرجس البسيط والمطبق فتجد هذه الازهار مفروشة كالبسط على اراضي الجبال حتى ان الخلاء تجده كله كأنه روضة عظيمة متسعة ولكن الزراعة بهذه الجزيرة ليست مخدومة اصلا بل مهملة وبهذه الجزيرة بعض اقاليم صغيرة رديئة الهواء بسبب جهل اهلها طريقة اجراء المياه وتوزيعها وظن بعضهم ان هذه الجزيرة انما سميت قبرص بسبب كثرة نحاسها وغيرما فيها من معدن النحاس كان بها في الزمن السابق الذهب والفضة والزمرد والحجر الذي يسمونه الماس بافوس انما هو حجر بلور يوجد بقرب هذه المدينة وينقل من هذه الجزيرة ايضا حجر الفتيلة وحجر اليشب الاحمر ونوع من التراب يسمى تراب الطل

واهل قبرص من اجناس البشر الظريفة ونساؤهم اللواتي لاأمان لجور عيونهن على المتأمل في جمالهن يحفظن دائما قضاء شهواتهن ولايخلن بجمالهن فهن آمن الامناء على توفية حظوظ العهر والفجور فكأنهن على عهد من سلف من امهاتهن في نذرهن فروجهن لصنمة الجمال المسماة الزهرة وهذه الجزيرة كانت في قديم الزمان تسع ممالك كل مملكة منها ذات مدن عامرة وربما كان اهلها في قديم الزمان نحو مليون على مايظهر من كلام الجغرافيين فليس اهلها الآن الا ٨٣٠٠٠ ثم ان سلطان العثمانية يقطع دائما هذه الجزيرة للصدر الاعظم من وزرائه في نظير المنصب والوزير الاعظم يعطيها للمسلم الذي يدفع اكثر من غيره وقد كانت قبرص من مملكة الرومانيين المشرقية فحين ضعفت هذه المملكة المسماة بمملكة الشرق تغلب على جزيرة قبرص ريشارد الاول ملك انكلترة فاعطيت لبيت لوزنيان التزاما انكليزيا في نظير خسارة كرسي مملكة القدس وفي اثناء القرن الخامس عشر من الميلاد انتهى امر الجزيرة أن صارت وراثة لبنت من بيت لوزنيان فنزلت عن هذه الجزيرة للبنادقة وفي سنة ١٥٧٠ من الميلاد فتح العثمانيون هذه الجزيرة واخذوها من يد النصارى البندقيين وقد تزوج امير من امراء سردينيا من بيت سبوى ببنت امير من امراء لورنيان فلهذا تجد ملوك سردينيا من دون ملوك الافرنج يزعمون ان تيجان مملكتي قبرص والقدس من حقوقهم دون غيرهم من الافرنج

وهنا تم تخطيطنا لآسيا الصغرى وما جاورها من الجزائر وقد لزم كون هذا التخطيط مختصرا لما ان المسافات العظيمة المجهولة الحال او المعروفة بمجرد اخبار المشرقيين بمجرد الاخبار التي لاتجدي فائدة تفصل الطرق التي يجتازها الافرنج وهذه الطرق ليست كثيرة ولا متنوعة حتى ان تخطيطها الآن يفيد تخطيطا مثل تخطيط الاقدمين لها المأخوذ من كتب اليونان والرومانيين وانما يسهل لنا ان نطيل في تخطيطها عند ذكرنا الامور المشاهدة التي عهدت غير مرة في الامم المختلفة الساكنة بهذه البقعة الظريفة فان اطنابنا في هذا يكون في محله واليونان والارمن الساكنون بالمدن التجارية نذكرهم حين تخطيط الولايات التي خلعت اسماءها عليهم والاكراد والتركمان ارباب القبائل الرحالة النزالة في الغالب الزراعة في غير الغالب والذين هم منتشرون في داخل آسيا الصغرى نذكرهم ايضا في مبحث لهم بخصوصهم واما العثمانيون وقوتهم واحوالهم المدنية فلا ينبغي لنا ان نبحث عنهم الا بعد تمام تخطيط عثمانية آسيا والفراغ

قسطلروسة
قبرص
مدن
تولدات
اهالي
عدة اهلها
تنبيه تاريخي

من ذلك بالمرة
فلم يبق لنا الا الآن الامقابلة التقسيمات القديمة بالجديدة وهو عمل صعب تسأم منه النفس ولكنه مفيد لمن يطلع على كتابنا هذا فانه يجد في الجداول الآتية منافع عظيمة في الجغرافيا

جدول مقابلة المعاني المترادفة على لفظ آسيا فقط وعلى لفظ آسيا الصغرى

آسيا * اواسيس * اقليم من ولاية لوديا		هو كورة داخلة بين جبل طمولوس * وجبل ميسوجيس * ونهر قيستره *
اسيا قسم من اقسام الدنيا	اسفل اسيا	بنطش * بلاغونيا * بوثينيا * لوديا الخ * فروجيا * قبادوقيا قيليقيا * سوريا * اوالشام * (عربيا)
	اعلا آسيا	قوقاسيا * ارمنية * ميسوبوتاميا * (الجزيرة) ميديا (ادربيجان) * بلاد العجم الخ الخ اقوثيا هندستان
مملكة اسيا (المسماة ايضا مملكة برغامسة)		موسيا * فروجيا * لوقاونيا * لوديا
آسيا * اقليم برطربانية * وبعد ذلك قنصلي		موسيا * لوديا * يونية * قاريا * فروجيا
اسيا الحقيقية		بعض الاحيان مرادفة لآسيا البرطربانية * وبعض الاحيان في الاستعمال المتداول على الالسن تطلق على جميع الجبيجزيرة الى حد نهر هالوس * والى جون طرطوس *
اسيا * ديوقيسة * في مملكة قسطنطين		آسيا البرطربانية مع لوقيا * و بمفوليا * الا السواحل الغربية
اسيا بريقنصلية في ذلك الزمن اى زمن قسطنطين		السواحل الغربية من راس لقطوم الى حوالى مدينة * ملطية
اسيا الصغرى في القرن الرابع من الميلاد		جميع الجبيجزيرة التي تسمى الآن اسيا الصغرى

(جدول سهل المأخذ فى تقسيمات آسيا الصغرى)

١ تقسيم آسيا تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عند اليونان

اقسام كبيرة اواولية	اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام	مدن اصلية اوامهات المدن
	موسيا الكبرى	برغامة
	ثيوطرونيا	
	ايوليدة	قومه
	سواحل البلسجية والليليجية الخ	ادرامطيوم
موسيا	جزيرة لسبوس	موطيلينة
	طروادة اوترواده	طرواه اوتروايه
	دردونيا	
	موسيا الصغرى	قوزيقه لميساقه
	تنبيه طروادة وموسيا الصغرى هما فروجيا الصغرى	
	لوديا الداخلة	سردس فيلادلفيا
	١ لوديا	ثياطيرة
لوديا	٢ ميونيا	
	٣ اسيس اواسيا	
	لوديا البحرية اويونية	فوقة*ازمير*ايرثرس قلازومينة
		طيوس * لبدوس * قولوفون
		افسوس * پرينة ميوس *
		مليطة (هذه الثلاثة فى قاريا)
		جزيرتا شاموس*وساقز
	قاريا الداخلة	الابندة*سطراطونيقه*مولاسة
قاريا	قاريا البحرية اودوريدة	هالوقرناسة*قرس * قنيدة *
	لوقيا الحقيقية	رودس*بطارة*ميرة
لوقيا	ملياس (سيلبى)	
بمفوليا		اطاليا
	پيسيديا الحقيقية	سلاغاسوس*سلجه
	كورة اطنفسه	
پيسيديا	كورة هومونادنسة	
	كورة اورونديقية	
	ايسورة	ايسورة*بحيرة قورليس
	فروجيا الحقيقية	سونادة * افامة * قيوطوم قيبوزه
	لقوانيا	ايقونيوم * لوديقياقبسطا * اموريوم*
فروجيا	غلاطية (غالواغريقيا)	انقورة*غرديوم* طاويوم*
	١ طروقمى (طاويوم)	پسينوس
	٢ طقطوساجوس (انقورة)	
	٣ طولسطوبوجى (پسينوس)	

(المقالة الثامنة والاربعون)

(من تقسيم آسيا الصغرى تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عند اليونان)

اقسام كبيرة او اولية	اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام	مدن اصلية او امهات مدن
	بيثونيا	پروسة*نيقة
بيثونيا	ثونيا	نيقومديا*خلقدون
	مرياندونس	هرقلية بيثنيوثيوم
		عنغرا بمبيوبوليس سينوبة
بفلاغونيا		امسطريس
	بلادلوقوسورة	اميسوس
	غاديلونيطيس	
	سرامينة	
	فزمونيطس	
	بنطش الغلاطية	اماسيس قومانا بنطيقا اى
	غيسقوريا	قومانا بنطشية
	فناريا	
	داسيونيطيس	
بنطش	بنطش پولمنياق	سيبسطيا*نيو*قيصرية
	سيدنة	ايونوه*پولمنيوم
	قالوبنة	
	خالويه (غربيه)	
	بنطش قبادوقية	فرناقة قيصروس طرابزوس
	طيبرنى	رهزيوم ابساروس
	موسونقى	
	قلخية (غربية)	
	هبطاقوميطة (سبع كور)	
	مقرونه اوطزانية	
	قبادوقيا الحقيقية	مزاقا اوقيصريا ارخيلايس
	١ مورامينة	نزيانزوس طيانة
	٢ غرسوريطيس	
	٣ كامينة	
قبادوقيا	٤ طياتيطيس	
	٥ قيلقيا	
	٦ سرغارنسينة	
	قاطونيا	قوبسطرة* قومانا
	مليطينة	مليطينة
	ارمنية الصغرى	زيمارا
	قيلقيا الحقيقية	طرسوس مبسوطيا
قيليقيا	قيلقيا طراخيا (اسپرا)	سيلوقيا سلينوس

(من تقسيم آسيا الصغرى تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عهد اليونان)

اقسام كبيرة او اولية		اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام	مدن اصلية او امهات مدن
قبرص	مملكة سلاميس مملكة خوطرو	سلامينيا	سلاميس
	مملكة قطيوم مملكة قوريوم	امائوسيا	امائونطة
	مملكة بافوس مملكة أرسينوق	بافيا	بافوس
	مملكة سالوه مملكة لاپثوس مملكة قيرونيا	لاپثيا	لاپثوس

٢ آسيا الصغرى على تقسيمات قسطنطين الى ديوقسات اى ابريشية

ديوقسات	اقاليم		مدن
	بمفوليا		اطاليا
	بيسيديا		سغالاسوس لقدومون
	لوقونيا		ايقونيوم
ديوقسة	فروجيا بقطيانة		لووديقا
آسيا	فروجيا سلوطيره اى سالمه		سوناداقوطيوم
قاعدتها افسوس	هلسبنطش		برغامة
	لوديا		فيلادلفيا
	قاريا		اسطراطونيقة
	لوقيا		ميرا اومورا
	الجزائر		رودس
	اقليم آسيا القنصلية المنفصل		ادراموطيوم
	عن ديوقسية آسيا (الآن		فوقية
	باشوية قبودان باشانيا)		ازمير
			مياطة
	بثونيا		خالردون
	هونورياس		اقلوديو بوليس
	بفلاغونيا		ﭙمبيوبوليس
		غلاطيا اولى	انجورة او انكورة
	غلاطيا فى زمن تاودسيوس	غلاطيا ثانية	
		مدينة سالمة	بسينوس
ديوقسة بنطش	هيلينو بنطش		سينوبة اميسوس نيوقيصرا
قاعدتها قيصرية	بنطش بولمنياق		غوراسوس طرابيزوس
	قبادوقيا فى	قبادوقيا اولى	قيصرية
	زمن ولنقس	قبادوقيا ثانية	طيانة
	ارمنية الاولى		سابوس
	ارمنية الثانية		ملطينة
	قيليقيا الاولى		انزربوس
	قيليقيا الثانية		طرسوس
فى زمن ديوقيسة	ايسوريا		سيلينوس سلوقيا لارندا
المشرق			
	قبرص		قنسطنطيا (سلاميس)

تنبيه تقسيمات كتاب ثماطا المملكة المشرق حيث لم تستمر زمنا طويلا ولم يكن لها فائدة تتوقف عليها التقسيمات الجديدة ضربنا عنها صفحا ومن ارادها فعليه ان يراجعها فى كتاب بندوري المسمى مملكة المشرق وانما نقول ان تقسيم ثماطا فى اناطوليقة البوزنطانيين هو عبارة عن آسيا البرطريانية واول مرة ظهر فيها اسم اناطولى فى الجغرافيا هو فى كتاب ثماطا ولكن لفظ اناطوليقة المحذوف منه لفظ خورة يعنى بلاد المشرق هو سابق على ثماطا

٣ اسيا الصغرى تبعا لتقسيمات كتاب الجغرافيا العثمانية المسمى جهانما الذى الفه الحاج خليفة الملقب كاتب جلبى ومعنى جهانما مرآة الدنيا

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية او امهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
١ ايالة اناطولى		
١ . لواء اوصنجقية كوتاهية	كوتاهية (قوطيوم) دانكيلو اولاذقية (غير بعيدة من لاودقية التى على لوقوس)	الاجزاء الغربية والوسطى من فروجيا الحقيقية
٢ لواء ساروخان	مغنيسيا (مغنيسيا دسيبولوم) آق حصار (ثياطيرا) فوجيا (فوقه)	لوديا الشمالية تنبية ساروخان اسم لامير كان يحكم بهذه البلاد
٣ لواء ايدين	تيرة كوزل حصار (مغنيسيا دمينندروم) الاشهر (فيلادافيا) اياسلوق سرت الخ	لوديا الوسطى والجنوبية واجزاء يونية
٤ لواء منطشه	ملاه منطشه (موندوس) مولاسو (مولاسا)	قاريا ولامانع من جزء من لوقيا ايضا
٥ لواء طكة	انطالية (اطاليا) قبرى بزار (اعلها برغا) ايغدر (لعلها اوليبوس)	لوقيا وبمفوليا
٦ لواء حميد	اسبرطة (سغالاسوس لقدمونة) بردة آق شهر	ملياس وبيسيديا الداخلة
٧ لواء قراحصار صهيب	قراحصار (لعلها قيلونه) بولوادين (فيالميوم) سندوخى	الجزء الجنوبى الشرقى من فروجيا
٨ لواء سلطان اونى	اسكى حصار (دوروليوم) قوجاشهر (نأقوليا) عين اونى	فروجيا ابيقطيطوس اجزاء غلاطية

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية او امهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
٩ انجوري	انجوري (انقريا) كورة هامانه	غلاطية الوسطى (تكتوزاجس)
١٠ كيانغاري	كيانغاري (غنغرا) توسية (طوسيا) جركس طوكهه	داخل اقليم بفلاغونيا (اذا فرضنا ان شنغري وكيانغاري مدلولهما واحد)
١١ قسطموني	قسطموني سينوب (سينوپ) طاش كوپرو (پمپيوپوليس) اينابولي (ايونوپوليس)	اقليم بفلاغونيا البحري مع جبل اولغاسيس
١٢ بولي	بولي (كلوديوپوليس) اماسرا (امسطريس) بانديركلي (هرقلة) ويرنس شهر	هونرياس اولبشنية الشرقية مع جزء بفلاغونيا
١٣ خوداوندكار	برسا (پروسا ادولمپونه) يكيشهر برغامة (برغاموس) بازاركوي	بيثنيا الجنوبية مع داخل ميزيا الكبرى
١٤ كراس	باليقصري (ميليطوبوليس) ادروميد (ادراميتوم) سندار كوي ايازمن (ايليا)	سواحل ميزيا وايوليدة امام لسبوس وجزء من الداخل
١٥ خواجه ايلي	ايسنكميد (نيقوميديا) اسنيق (نيقيا) قاضي كوي (قلقدون) اسكودار (كريزوپوليس) اقطاعات سلطانية	بثنة في غربي سنغاريوس
١٦ بيجاه	بيجاه (زوليا) سلطانية قبوداغي بوكاربائي (ترواده)	ترواده وميزيا الصغرى
١٧ صوغله	ازمير (ازميرن) اورله منينة (تمنيس)	جزء من ايونية
٢ ايالة سيواس		

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية او امهات مدن	اقسام قديمة مقابلة لها من الدقة
١ لواء او صنجق سيواس	سيواس (سيباستيا)	كاليبينة. فى قنطرة بولينياق
	طوقه (كومنا بونطيقا) ويووده	دكسيمونيتيس فى قنطرة غلاطيقية
٢ ديانيك	سمسوم (اميزوس)	سواحل هيلينو بونط من مبدء نهر هاليس وقنطرة غلاطيقية وبولينياق
	اونية (اونويه)	
٣ عربكير	عربكير (اروراسى)	حدود ارمنية الصغرى وحدود القنطرة
٤ ديوريكى	ديوريكى	مثله
٥ جرم	جرم (طويوم)	غلاطيا الشرقية
	عثمانجك	
٦ اماسيا	اماسيا (امازيا)	خليكوم اوشليكوم وفنماروا فى قنطرة غلاطيقية
	مرزيان (فزموت)	
٧ بوزوق	بوزقات (مثريداتيوم)	حدود القنطرة قبادوقة وغلاطيا
٣ ايالة طرابزان		
١ لواء او صنجق طرابزان	قضا طرابزان (طرابوزيس)	القنطرة القبادوقية
	كريسونت (سيرازيس)	
	ريزة (ريزايوم)	
٢ غونيا	غونيا (أپسريس)	كذلك
	أتينا (اثينا)	
	سومله	
	ويكه	
٣ باتومى	باتومى	كلشيدة الجنوبية
٤ ايالة قونيا		
١ لواء او صنجق قونيا	قونيوم (ايقنيوم)	ليقاوونيا الوسطى والجنوبية
	لادقية	
	ايركلى	
٢ نجده	نجده	الجزء الغربى من قاطاوونيا
	بستره (سيبستره)	
٣ بيشرى	بيشرى	ايزوريا
	سركى سراى (ايزورا)	
٤ آقشهر	آقشهر (ترياوم)	الجزء الغربى من ليقاوونيا
٥ آقسراى	آقسراى (امرها مجهول بالكلية)	
٦ قيصرية	قيصرية (قيسارية)	الاجزاء الغربية والوسطى من قبادوقة
٧ قرشهرى	قرشهرى (ارشالس)	
٥ ايالة مرعش		

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية او امهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
١ لواء اوصنجق مرعش	مرعش (امرها مجهول)	
	بستان (كومان دوكاوونيا)	
٢ قرص	قرص ذوالقادرى	حدود الشام وكوماجينة
٣ عينتاب	عينتاب (وامرها مجهول)	وقاطاونيا وسيلسيا
٤ سومزاط	سومزاط (ساموزاط)	
٥ ملاطية	ملاطية (ملطين)	ملطين
٦ ايالة أدنه		
١ لواء اوصنجق أدنه	أدنه (انطاكيه أدسروم)	سيلسيا الحقيقية
٢ طرسوس	طرسوس (طرسويس)	كذلك
٧ مسلية قبرص		
١ جزيرة قبرص لاتقسيم فيها	لفقوسيا (وتسمى عند الفرنج نيقوسيا)	
ب بلادايتشيل		
١ لواء صنجق ايتشيل	سلفكه (سلوسيا)	سليسيا طراشيا
	سيانتى (سيلينوس)	
٢ علائية	علائية (سيدة)	بنفيليا

المقالة التاسعة والاربعون

فى بقية تخطيط اسيا وبلاد العثمانية فى آسيا والقسم الثانى المشتمل على ارمنية والجزيرة وعراق العرب

اعلم ان الاقاليم الشرقية من دولة العثمانية بآسيا ثلاثة اقسام طبيعية قسم نهر العاصى وجبل لبنان وهو الشام وفلسطين وقسم منابع الفرات ودجلة وهو ارمنية مع كردستان وقسم اسفل الفرات وهو الجزيرة مع العراق العربى والجزيرة تسمى ايضا ميسوبوطاميا وعراق العرب يسمى ايضا بابلونيا ولنخطط هنا قسمى الفرات كلا على حدته واما قسم الشام المسمى سوريستان فاننا نخططه فيما بعد على استقلاله

لمحة عامة

ثم ان ارمنية والجزيرة والعراق العربى قد اهمل تخطيطها جغرافيو المتأخرين مع انها تستحق التنبيه عليها فان بهذه الاقاليم قد نشأت المدن الاولية واقدم الممالك المذكورة فى التواريخ وفى هذه الاقاليم ايضا حل اسكندر الاول نظام دولة الفرس وكانت قوية متينة على غاية من الاحكام وبعد زمن اسكندر صارت برور الفرات والنيل لاهراء الرومانيين ميادين حروب حيث ان كلا من طرايانوس ويوليانوس وهرقليوس حل عليها بطوابير عساكر الرومانيين لمقاتلة فوارس البرثة (الفرس) العاصية التى لا تميل الى الدخول تحت طاعة احد وفى القرون الاخيرة صارت ايضا هذه الولايات سببا للنزاع بين دولتين عظيمتين وهما العثمانية والعجم على انا لو قطعنا النظر عن ذكر ارباب الدول ومدة استمرار دولهم الزائلة فان الطبيعة تجعل هنا نصب اعيننا كثيرا من الاشياء النافعة اذا تأملها الانسان حق التأمل وطالعها جيد المطالعة فقلما يجد الانسان باقسام الارض فى جزء صغير قدر هذه الولايات نظير ما يجده بها من العجائب المتناقضة المجتمعة وذلك ان اتساع عشر درجات من العرض يظهر به عند بغداد حر يساوى حر سنغمبيا وعلى قلة جبل عرارة تجد ثلوجا مستمرة وفى الجزيرة تجد غابات الصنوبر والبلوط بجانب غابات النخيل والليمون واسود بلاد العرب تجاوب بجئيرها نبيح دباب جبال طوروس وبالجملة ففى هذه البقعة تولدت الاقطار البادرة والاقطار الحارة حتى كانما تواعدا على الاجتماع فيها افريقة واسبير

جبال عرارة الخ

ومنشأ التقارب بين هذه الامزجة المتضادة والاقطار المتخالفة هو الاختلاف العظيم فى التسوية الارضية وتباين ارتفاع التربات وذلك ان ارمنية ربوة مرتفعة جدا ويحيط بها من جميع جهاتها جبال ايضا عظيمة الارتفاع وجبل عرارة قائم ايضا فى وسط هذه البلاد ورأسه دائما بيضاء بالثلوج وفى الشمال جبال چلدير وچانكه تفصل ارمنية من البحر الاسود وان كان معظم هذه السلسلة مستورا بالغابات الظريفة لا يظهر ان ارتفاعه دون ارتفاع جبل كوه قاف لان بمنحدراته الجنوبية بارض روم يسقط بعض الاحيان الثلوج فى شهر يونية الافرنجى وسلسلة طوروس تدخل فى ارمنية بقرب شلالات الفرات وترتفع ارتفاعا ذريعا فى دخولها فى الشرق فالفرع المسمى عند الاقدمين جبال نيفاطة بالجنوب الشرقى من بحيرة وان استمد اسمه من الثلوج الساترة لقلاله فى جميع ايام السنة والجبال التى سماها زنفونس غردياتة اوكردياتة هى تلال جميع الكردستان وثم فرع ممتد جنوبا وهو المسمى عند الاقدمين زغروس وهو يفصل بلاد العثمانية من بلاد العجم وفروعه السافلة تنتهى الى عدة فراسخ من الشط الشرقى من نهر الدجلة وثم فرع منقطع من جبال طوروس وهو المسمى عند الاقدمين جبل ماسيوس وهو يدخل فيما بين دجلة والفرات وعلى وعرة قائمة منه مدينة ماردين وينتهى فى تلول سنجار على غرب الموصل ومن هذين الموضعين وهما تلول سنجار وغرب الموصل يمتد الى سواحل الخليج الفارسى سهل عظيم الاتساع حيث يكل نظر

سهول

المتأمل فى هذه الارض السهلة لعدم رؤيته الا منظرا واحدا متحد الشكل فقل ان وجد بها بعض انخفاضات وارتفاعات صغيرة تروحه بعض شئ وجزء عظيم من هذا السهل تحت مجمع النهرين كان سابقا مغمورا بعدة بحيرات يابسة الآن بل يوجد بها الآن كثير من الاراضى التى يفيض ماؤها بمجرد زيادة الانهر

وحيث خططنا ارض هذه الاقاليم بوجه عام وجب علينا ان نتبع ذلك بتخطيط النهرين العظيمين اللذين يسقيانها وهما الفرات ودجلة فنقول

منابع الفرات

يتولد الفرات من عدة منابع فيتشعب عنها عدة شعب فمن هذه الفروع فرعان كل منهما ينافس الآخر على انه ينبوعه واصله وانه ممتاز بهذه الخاصية عن غيره وواحد هذين الفرعين يخرج بقرب مدينة بايزيد من جبال تسمى الاداغ وهى فى قديم الزمان مشهورة باسم جبل ابوس وجبل عرارة جزء من هذا الجبل وهذا الفرع نهر صغير يسمى باسم نهر مراد يغيض تحت الارض مسيرة اربع ساعات من طريق مدينة بايزيد ثم يظهر ثانيا فتنزل فيه بقرب مدينة ملاسقرد مياه نهر آخر يسمى باسمه فيمر بجميع اقليم طوروبران وهو الجزء الجنوبى من نفس ارمنية الحقيقية والفرع الثانى من نهر الفرات المشهور عند اهل الشرق باسم الفرات يتكون عند اسوار مدينة ارض روم باجتماع نهرين

صغيرين احدهما النهر الذى سماه بلنياس باسم لوقوس وهذان النهران بعد اجتماعهما الايساويان معا نهر مراد الذى اعتمد زنفونس انه هو الفرات الحقيقى فهو فرات المشارقة ومراد يختلطان معا على القرب من مدينة عربكير بسير يسير فتجد النهر فى هذا المحل يعظم جدا فيتحدر بسرعة جهة المضيق المسمى مجاز نوشار فاذا جاوز هذا المضيق سار بازورار وانعطاف على سهل مرتفع ثم بعد قليل من سيره يصادف فى طريقه تضريسات اخرى من الارض فيحدث شلالين على البعد بثمانية فراسخ فوق مدينة سرميساط المسماة ايضا شميساط فحينئذ يخلو من الموانع التى تمسك قوته عن انطلاق سيره فيجرى مع غاية العظم فى واد واسع معشوشب وبجنوب قرقسية يدخل فى السهول المتسعة المسماة سهول صنار ولكن فى جهة بلاد العرب ارتفاعات رملية وبحريه تدفعه من هذه الجهة فيوجه ذلك الى أن يقرب من نهر دجلة سائرا بالتوآء وانعطاف نحوه

جريان دجلة

ونهر دجلة الذى يسمى ايضا نهر تجرة والمضاهى لنهر الفرات والقرين له اظهر منابعه فى جبال بلاد الزوف المسماة فى قديم الزمان زوفينة وهى جزء من بلاد ارمنية وذلك ان مياه الفرات بهذه الجهة قوية فلهذا تأخذ من هذا القطر جميع المياه الجارية به وتضمها اليها ولكن من الاتفاق الغريب ان نهر دجلة وحده مع انه اصغر انهر هذه الجبال يتخلص من تلك الربقة التى وقع فيها امثاله وتطايره بسبب ان بعض الارتفاعات يمنعه ان يجرى جهة الفرات بل ثم حلق فى الجبال فوق ديار بكر يفوت منه فيهجم على اراض دائما غير مستوية بالكلية ومستمرة الانحدار والميل الشديد ويدخلها ويسرع الجريان بسبب طبيعة محله المقتضية لذلك ولهذه السرعة البليغة كان حريا باسمه

اسماؤه

فى عدة السن وهو انه يسمى تجرة فى لسان الادر بجانية القديم ويقال له دجلة بالعربية وحدقل فى اللغة العبرانية وكل هذه الاسماء تدل على طيران السهم وخروجه بسرعة وهذا الفرع هو المعروف عند المتأخرين وقد ذكر بلنياس ايضا فرعا آخر غيره وبسط الكلام عليه وقال انه يخرج من جبال كردستان على غرب بحيرة وان وهذا النهر الصغير يمر بحيرة اريثوسة فتحجزه فى مسيره شعبة من جبال طوروس فينحدر فى غار يسمى غار زوروندا ثم يظهر فى حضيض الجبل والدليل على ان هذا الفرع هو نفس الدجلة هو انك اذا قذفت فيه شيأ فى اعلى الجبال ظهر على سطحه حين خروجه من تحت سفحها ثم يمر ايضا بحيرة توسبيطيس (بقرب مدينة ارزن) ثم يغيض فى مغارات تحت الارض ثم يظهر بعد ذلك بخمسة وعشرين ميلا بقرب محل يقال له الآن نومفيوم وهذا الفرع ينضم مع دجلة الغربى تحت مدينة ديار بكر

اجتماع دجلة والفرات

وكلما تقارب دجلة والفرات وازداد قربهما اخذت الاراضى المتوسطة بينهما فى تناقص الارتفاع وقلته وصارت مملوءة فى جميع امتدادها بالبرك والمروج وقبل اجتماع النهرين وامتزاجهما تتقدم عدة ترع صناعية فتوصل مياه احدهما بمياه الآخر وبما كان من هذه الترع واحدة طبيعية او اثنتان كذلك ثم يختلطان معا الاختلاط الكامل عند قرنا فالنهر المشتمل على اجتماع النهرين يسمى شط العرب يعنى نهر بلاد العرب وثم ثلاثة

مصاب

مصاب غير ترعة صغيرة وهذه الفروع الثلاثة تجرى فى مسير ١٥ فرسخا ومن هذه الفروع فرع اخلص جريا واعظم عمقا يسمى نهر الجنوب او النهر القبلى ونهر دجلة تتراكم بفراشه الرمال التى يجلبها مياهه وهذه الرمال من عادتها السيح والتموج وعدم الرسوب بمحل مخصوص فلهذا كان ركوبه للملاحين خطرا جدا ومابه من المد والجزر الى حد البصرة بل والى خلف قرنا يجعل غالب امياه النهر تفيض بعنفوان وتصير امواجا مزبدة شديدة العلو والارتفاع

شكوك متعلقة بمصاب نهر الفرات وترعه

فهذا اصح ما نعرفه من المسائل المتعلقة بهذين النهرين وهما الفرات ودجلة من جهة جريانهما ومن اراد ان يوضح امرهما ويزيل جميع ما قيل من الظنون والشكوك فى كيفية جريانهما فلا يكفيه الا كتاب فى خصوص هذا المعنى وخلاصة الكلام على ذلك ان من الاقدمين من زعم ان الفرات يصب فى بحيرات وبرك فى جنوب بابل ومنهم من زعم ايضا ان مجتمع دجلة والفرات انما هو مجرد مجرى الفرات دون غيره ومنهم من قال ان الفرات كان يصب اصالة من فوهة مخصوصة فسدها العرب بسد وهذا الرأى المعتقد قد يماجدده احد سواحى الافرنج المتأخرين لكن لا على اصله بالكلية حيث ظن خليج نهر سارس المتشعب عن الفرات فى شمال بابل يستمر من غير تقطع الى البحر فعلى هذا الفرض يكون الجون الصغير المسمى خور عبد الله هو المصب القديم لنهر الفرات لكن هذا الخور موجود على حالته التى هو عليها الآن من زمن بطليوس فكان مشهورا باسم جون المسانيطة واما خليج نهر سارس فالظاهر انه يجتمع بالفرات على القرب من سماوة والفرش اليابس الذى هو موضع خور عبد الله وبه آثار البصرة القديمة يتصل بالفرات على غدير قرنا بيسير وخليج بلاقوباس وهو خليج الكوفة لا يظهر انه يمتد الا الى البحيرات

التى فى جنوب بابل ثم ان التغيير الذى حصل فى هذه الارض المستوية الصالحة للزراعة والفيضانات واشغال ايدى البشر كل هذا جعل حل هذه المسائل المشكوكة مستحيلا فلذلك لم تزل باقية على ما هى عليه

(عظم هذين النهرين)

ومثل هذا الجهل ايضا باق بالنسبة لمساحة دجلة والفرات فنهر الفرات مجراه اطول ولكنه يضعف بكثرة الفروع المتشعبة عنه فليس عرضه فى مدينة هلة الا ٤٠٠ قدم بخلاف دجلة بقرب بغداد فعرضه ٦٠٠ قدم واهل السواحل الذين على شطوط هذه الانهر اذا ارادوا سقى ارضهم حبسوا مياه دجلة والفرات بجسور ظن مؤرخو اسكندر الاكبر ان هذه السدود انما هى اسوار عسكرية حصن بها اهل هذه البلاد بلادهم خوفا من غارة ارباب الصيال من اهالى بلاد العرب وهذا من اعجوبات الظنون الكاذبة

(تخطيط ارمنية)

(جبال)

وتخطيط بلاد الارمن يوصلنا الآن لمنابع نهر الفرات وقد تقدم لنا ان هذا الاقليم هو نجد مرتفع وربوة عالية حتى ان جبال عرارة وجبال كوهى سيبان تظهر قلالها الدائمة الثلوج على بعد مسافة عظيمة والزلازل قد اضرت بكثير من الاماكن ببلاد ارمنية وجبل النمرود قذف سابقا نيرانا عظيمة والآن على ذروته بحيرة صغيرة يفهم من تخطيط بعض جغرافيى العثمانية انها منفس قديم لنيران هذا البركان والظاهر ان ارض هذا الاقليم كثيرة الغرائب

(بحيرة وان)

التولدية والعجائب الطبيعية وذلك ان بحيرة وان التى تسمى بعض الاحيان بحيرة ارجيس وسماها بطليموس بحيرة ارسيسا باليس وسماها اسطرابونيس بحيرة منطيان ذات مياه مالحة جدا وهناك نهران صغيران بقرب سوششرى يتولد باحدهما ملح ابيض وبالآخر ملح احمر واحجار الزاط الطبيعية الموجودة بقرب قوافى يظهر انها نوى احجار الصوان المستديرة ولما كان البرد شديدا بالاجزاء العالية من البلاد لم يكن فيها للبذر والحصاد الا ثلاثة اشهر

(تولدات)

وهى مدة الصيف ولكن تخرج فيها الحنطة بكثرة ويمدح بها من الفواكه الجوز والتفاح حتى ان التفاح فى اقليم اخلاط يعطى ثمارا زنة الثمرة الواحدة مائة درهم واذا انحدرنا فى نهر الفرات رأينا اخضرار العنب بل والزيتون واما حوالى مدينة ارض روم فلا تجد اشجار فواكه ولا خشب للحرق وقد اطنب القدماء فى مدح الخيول الارمنية كما ذكروا ايضا عدة معادن ذهب كانوا يستخرجون ذهبها وانما يحمل منها الآن النحاس والحديد الى مدينة الموصل

مدن) (ارض روم الخ)

ومن مدن ارمنية مدينة ارض روم وهى حصن العثمانية جهة الشمال الشرقى وهى ذات جدران مبنية بالطوب العير المحروق بل الميبس فى الشمس واهلها ٢٥٠٠٠ منها ٨٠٠٠ ارمن ومن هؤلاء الارمن من يشتغل بصناعة الاوانى والادوات المتخذة من النحاس ومنهم من يتجر خصوصا فى الفرا فانهم يتجرون فيها تجارة عظيمة ومن مدنها مدينتا قرس ووان وهما جهة حدود عجمستان فلذلك كان حالهما مجهولا للفرنج وهاتان المدينتان مع مدينة ارض روم مقر حكومات ثلاثة باشات يحكمون بلاد ارمنية ومن جملة مدن ارمنية ايضا مدينة ارجيس او اوردجيس على بحيرة وان ومنها ايضا مدينة ارزنجان على نهر الفرات ومنها ايضا مدينة خانوس وهى موضوعة فى وطاة صخر منحوتة وهذا الصخر حصن طبيعى حول هذه المدينة وفى وسط المدينة صخر

(نيودوسيوبوليس)

منعزل مرتفع فبهذه الخاصية يظهر ان هذه المدينة هى غير المدينة القديمة التى كانت تسمى نيودوسيوبوليس التى كانت بعيدة عن منابع الفرات جنوبا باثنتين واربعين استادة اى غلوة ومن مدنها ايضا مدينتا بيبوط وايسبير وهما فى واد خصب يخرج منهما اخشاب العمارات وعسل عظيم وسمن جيد

(ايالة چادير اواقلزيقة)

وعلى الشمال الشرقى من ارمنية تجد الايالة القديمة المسماة چادير التى ذكرها ريقوط وبحث عنها عدة من الجغرافيين فلم يعرفوا موضعها وهى المسماة اقلزيقة او اخارزيخة سميت باسم قلعة على نهر الكور وهى بندر هذه الايالة وهذه الايالة هى ما يسمى كورجستان العثمانية او الكورجية التركية

(الكلام على امة الارمن)

ثم ان امة الارمن هى احدى الامم القديمة يسمون فى لسانهم باسم هيقانية وما قاله المؤرخ الارمنى المسمى موسى الخوريني انهم منسوبون الى ملك قديم يسمى هيقا من اولاد يافث بن نوح عليه السلام مع ما فيه من الخلاف فالمحقق ان اللسان الارمنى هو يابس الصوت غريب حاله بالنسبة لمخارج حروفه كبير النسبة واقرب فى قواعده من اللغات الافرنجية دون اللغات المشرقية ثم ان الارمن يمتازون عن غيرهم بفطنة تشبه حدة دالة على الذكاء والفطنة ولما كانوا دائما عرضة للقتل فى الحروب الواقعة بين الدول المحيطة التى يسمون العمارات بعضهم ما يمنعهم للاستيلاء على بلاد الارمن كانوا مجبورين على خروج من وطنهم ومستقلين بعدة شرائع لا الدين الا انهم مالوا على التجارات والصناعة فلهذا كانت ارزاقهم واسعة بما حملوا من بلاد الى بلاد الصين بل ربما دخلوا فى الاقطار التى لا يمكن للافرنج الدخول فيها فانهم يدخلون هضبة بلاد التتار وربوة بلاد السودان التى يسقيها نيل السودان المسمى نهر النجير (مملكة تنبكتو) وهم ارباب قناعة فلهذا يجتنبون ما يكتسبون وهم فى بلادهم تحت البلاد

الغربية يعيشون معا بالاجتماع والايتناس كل عائلة مع كبيرها فكأنهم اخوة مجتمعون تحت حكم كبارهم سنا وكأن مشايخهم آباء عشائرهم فتراهم جميعا على قلب رجل واحد لامشاحنة ولاتباغض بينهم وهذه العيشة بين اقاربهم لاتمنع من تجبرهم وظلمهم وغدرهم لمن كان من دم غير دمهم يعنى الغربا فالعائلة مع بعضها متفقة دائما ومع اهل عائلة

(دين الارمن)

اخرى قد يقع الفشل والمعقود دين الارمن هو دين الكنيسة القديمة المشرقية وانما تفترق عنها بكون الارمن لايعتقدون الطبيعتين فى عيسى يعنى انهم يعتقدون ان الطبيعتين وان كانتا موجودتين الا انهما امتزجتا معا واختلطتا وصارتا طبيعة واحدة ولهم ايضا اعتقادات خاصة فيما يتعلق بالايخارسطيا اى تقريب القربان ويجوزون ايضا مثل الملة اليونانية زواج القسيسين وصومهم بانواعه هم فيه اشد تغاليا وتشديدا من جميع ملل النصارى وكنيسة الارمن اى دين الارمن تحت رياسة بطريقين عظيمين يلقبان قاثوليقية يعنى عمومية احدهما مقيم فى اشميازين

(عدد اهل الارمنية)

ومن منذ مائة وخمسين سنة كانت اتباعه ١٥٠٠٠٠ عشيرة والثانى بطريق سيس فى ارمنية الصغرى القديمة وقد انضم الى كنيسة الرومانيين ولم تكن اتباعه فى ذلك الوقت الا ٢٠٠٠٠ عشيرة لاغير فاذا بنينا على هذا العدد فى ذلك الوقت كان جميع امة الارمن فى ذلك الزمان ١٧٠٠٠٠٠ لااقل من ذلك والظاهر انهم لم ينقصوا عن هذا القدر

ثم ان بلاد ارمنية زيادة على ما فيها من الارمن الذين هم ارباب تجارة واكارة ومن الترك العثمانية الذين هم ارباب المناصب البلدية والعسكرية بها ايضا امة تتارية ينبغى لنا تخطيط اوصافها واحوالها فنقول ان هذه الامة هى امة

(التركمان)

التركمانية واصلها من شطوط بحر الخزر الشرقية اقامت اول الامر باسيا الصغرى فلهذا سميت سابقا تركمانيا ولما كانت هذه الامة رحالة نزالة تميل الى الهيام والسير جاء منها عدة اقوام الى داخل آسيا الصغرى والى ولاية ايجيل واتخذوا لسان الترك لسانا لهم وتمسكوا بالدين المحمدى الا ان تمسكهم به لم يكن كاملا وهم ارباب جهالة وفقر يرضون بمتربتهم ولايغتذون الا بما يتحصل من مواشيهم واغلب سكناهم فى خيام من الصوف والوبر

ونساؤهم يغزلن الصوف ويشتغلن السجاجيد التى يتخذونها فى هذه البلاد من قديم الزمان واما الرجال فلاشغل لهم الا شرب الدخان وحراسة البهائم وهم دائما على ظهور خيولهم ورماحهم على كواهلهم متقلدون بسيوفهم وطبنجاتهم فى احزمتهم فهم فرسان شداد وعساكر ارباب صول واستعداد ولهم فى غالب الاحوال منازعات ومطاردات مع الاتراك حتى ان الاتراك يخشون سطوتهم واما عددهم فان منهم رحالة نزالة جهة ايالتى حلب ودمشق نحو ٣٠٠٠٠ هائم وليس بايالات الشام من يخالطه التركمان ويترددون عليه غير هاتين الايالتين ومن هذه القبائل التركمانية جزء عظيم ينتقل فى وقت الصيف الى بلاد ارمنية وبلاد قرهمانى حيث يكون المرعى كثيرا ويرجع مدة الشتاء الى منازله المعتادة

(تخطيط كردستان)

واما كردستان اى بلاد الكرد فانها ممتدة فى جنوب ارمنية مسيرة خمس وعشرين مرحلة من الطول وفى عرض عشر مراحل والجبال المعروفة عند الاقدمين باسم جبال الغردية والنيفاطة هى دائما مستورة فى معظمها بثلوج مستمرة ثم ان شدة الحر المحرق لسهول الجزيرة لاتسرى ابدا الى مخضر الكلأ الذى يترك الاكراد معزهم تسرح فيه واودية الكرد المعشوشبة وسطوح الجبال الممتدة على الاستطالة يخرج بها اشجار الفواكه ونبات الارز وغاباتهم هى بالاصالة اشجار البلوط التى يخرج منها اعظم العفص المشرقى واما السهول فتزرع بالحبوب والقطن والكتان والسمسم وهنالك شجرة صغيرة شبيهة بشجر البلوط مستورة بالمن المسمى ايضا بالترنجبين والمن المذكور لطيف مدحه الاقدمون والمتأخرون من غير ان يعرف احد منهم جنسه ولا اصله

وانهارها تنحدر بسرعة نحو نهر دجلة واكبرها نهر اديالا والداب

(الامارات الخمسة)

قال الغرزونى الذى اقام ثمانى عشرة سنة فى بلاد الكردستان ان هذه الولاية تنقسم الى خمس امارات كبيرة الاولى

(١ بيتليس)

منها امارة بيتليس ويقال بيدليس وهذه الامارة تشتمل على جميع الاقاليم التى على غربى بحيرة وان وعلى جنوبها الغربى حيث يجور الكردستان على ارمنستان اى يختلطان فلا يمكن تمييز احدهما من الآخر وقاعدة هذه الامارة تسمى باسم الامارة وهى موضوعة فى واد ظريف مستور باشجار التفاح والكمثرى وعلى البعد جنوبا من هذه المدينة بفرسخ فارسى طريق العجم الى بلاد الشام وهى طريق مفتوحة فى صخر منقوب واكراد هذه الامارة تسمى

(٢ جيولامرك)

بيتليسية وعلى جنوب بحيرة وان مدينة جيولامرك وهى بندر امارة تسمى ايضا بهذا الاسم وهى الامارة الثانية واهلها يقال لهم الصينبو وقيل انهم يسمون ايضا الهقيارية ولعل هذا الاسم هو اسم العشيرة الحاكمة وكرد بلديان على الغرب من امارة جيولامرك بين الموصل وقبائل البيتليس وبلادهم ثالث الامارات وقاعدتها

(٣ امارة اماديا)
(٤ امارة جزيرا)
(٥ امارة قراجيولان)

تسمى اماديا و يقال ايمادية وهذه الكورة كثيرة الفواكه لاسيما الاعناب الجيدة الصفة وعلى البعد من ذلك جهة الشمال الشرقى وفى ايالة ديار بكر مدينة يقال لها جزيرا وهى قاعدة الامارة الرابعة التى يسميها اهل البلاد امارة بطانى وهذه الكورة بها جبل الجودى الذى استوت عليه سفينة نوح كما فى القرآن وبها كذلك جبل كاوة المستتر بالضبابات والغيوم وعلى هذا الجبل النحل البرى تسكن فى بيوت تحت الارض وعسلها عظيم وشمعها طيب الرائحة واعظم جميع الامارات الكردية هى امارة قراجيولان وهى الخامسة وقاعدتها تسمى بهذا الاسم وقبيلتها تسمى سوسانة هكذا قاله غرزونى وقال نيبوهر ان سوسانة انما هو اسم للعشيرة الحاكمة وهذه الولاية المشتملة على جميع الكردستان الجنوبى يمكنها ان تجهز من العساكر خمسة عشر الف بنادقى واما الولايات الخمس الاخر فلا يمكن لكل امارة منها ان تجهز الا عشرة آلاف مقاتل او اثنى عشر الفا وايالتا شهرزور وقرقوق او كركوك الصغيرتان اللتان فى حكم العثمانية ومحكومتان الآن بسلمين وكانتا محكومتين سابقا بباشات يظهر انهما كانتا ايضا قبل ذلك من امارة قراجيولان فاغار عليهما العثمانية وفصلوهما من هذه الامارة واستولوا عليهما وهنا لك قرية شاهران التى على نهر ديالاه وهى موضوعة على مرتقى صعب لا يمكن الوصول اليها الا اذا صعد الانسان على سلم يعمل من شعشاع العنب وثم قرية اربل ايضا وهى محل مدينة اربلس الشهيرة فى التواريخ على ممر الايام بانهزام دارا ملك الفرس عنها وبدمار مملكة الفرس وانقراضها منذ هذه الغلبة

(الاورغيانية)

وقد ذكروا ايضا عدة كور مستقلة بحكم نفسها حرة غير داخلة فى حكم احد غير الامارات المتقدمة فمنها بلاد الاورغيانية وهم طوائف على حدود عجمستان مباينون لمن عداهم من الاكراد ولعلهم من نسل الهورقانيين الذين بعث منهم العجم قبائل لينزلوا خارج مملكتهم فى اماكن اخرى وكذلك امة الشكانة وهم قطاع طريق ومنهم رعاة يخربون بلاد ارمنية وقد ذكر صاحب الجغرافيا العثمانية عدة قبائل كردية تعلق ايالة ديار بكر ولكن ذكر هؤلاء القبائل الرحالة النزالة فى تخطيط الكردستان فى غير محله

(الكلام على الاكراد)
(الاخلاق والاديان الخ)
(اكراد نسطورية)

والاكراد من نسل الكردوكية الاقدمين ويسمون ايضا الغوردية والكورطى يتكلمون ايضا باللغة الفارسية مشوبة بالفاظ عربية وخلدية اى عراقية ويكتبون بالفارسى وفى كل قرية ملاه يعنى عالما خبيرا بلغة الفرس وهم اسلام ولهم عقائد زائغة يظهر انها بقايا عندهم من دين المجوس وينقل العثمانية عنهم انهم يعظمون الشيطان يعنى العنصر القبيح وهو اله الشر عند قدماء الفرس المسمى عندهم اهريمان ومن الاكراد ايضا نصارى نسطورية وهم نحو مائة الف نفس تحت طاعة بطرقين منصبهما متوارث احدهما يسمى دائما مارشمعون وهو مقيم فى قوجيانيس بقرب مدينة جيولامرك وله خمسة اساقفة اتباع له والبطرق الثانى يقيم فى ربان هرمس ويسمى مارالياس واتباعه ثلاثة عشر اسقفا وكذلك منصب الاساقفة متوارث ايضا من العم لابن الاخ او الخال لابن الاخت فقد يتولى منصب الاسقفية الواحد منهم وهو فى سن اثنى عشرة سنة واما القسوس ارباب المناصب الصغيرة فلا يشترط كثرة معرفتهم بحيث ان الواحد منهم قد يتولى القسيسية وهو لا يحسن القراءة وقد قال زنفونس ان بلاد الكردوكية اى قدماء الاكراد من جميع جهاتها فى مملكة الفرس ومع هذا فقد خالفوا كثيرا ملك العجم واظهروا العصيان عليه وعلى حكامه وباشاته ومع انهم ميريون ظاهرا للسلطان العثمانية فطالما يخالفون اوامر السلطان ولا يكترثون بفرماناته ولا بباشاته ولم تتغير دولتهم عما كانت فى قديم الزمان اللهم الا تغييرا يسيرا وقد ظهر للمعلم نيبوهر باستقصائه اخبار الاكراد ان بالجبال عندهم نوعا من الاحكام الالتزامية وذلك ان كل قرية لها شيخ وهو يدفع الميرى لامير القبيلة وكل الامة منقسمة الى ثلاثة اقوام اصلية متعادية كسعد وحرام ورفدا قال المعلم غرزونى ان الاسرطا اى القبائل الصغيرة يقومون غالبا على الامراء ويخرجون عليهم ويعزلونهم اذا قدروا على ذلك ولما كانت هذه الولاية فى حروب معتادة فى غالب الاحيان وفى خبطة وفتن متواترة كان هذا سببا فى انفصال كثير من العشائر عن

(حكم)
(اهالى)

قبائلهم وسلوكهم معايش الامم الرحالة كمعيشة التركمان وعرب البادية فانتشروا فى بلاد ديار بكر وفى سهول ارض روم واروان وسيواس وحلب ودمشق وعد داهل هذه العشائر مجتمعة نحو مائة واربعين خيمة يعنى مائة واربعين رجلا مسلحا وهؤلاء الاكراد هم مثل التركمان رعاة مواش وقطاع طريق ولكنهم يخالفونهم فى بعض عوايد وذلك ان التركمان يدفعون صداق بناتهم لتزويجهم واما الاكراد فلا يزوجون بناتهم الا بدفع نقود لهم ولا يكترث احد من التركمان بشرف اصل ولا بنسب وحسب بخلاف الاكراد فانهم يفتخرون بذلك وهو عندهم من الامور المهمة وليست عادة التركمان السرقة واغلب الاكراد متدربون على السلب والنهب ومشهورون بذلك فى جميع الاماكن ولون الاكراد بياض البشرة وفطانة السحنة واعتدال القوام وامة الاكراد للاشتغال بكل شئ فقد نص عليهم افضل البرية

عليه أكمل الصلاة واتم التحية حيث قال ما معناه انهم يخربون الارض

(تخطيط الجزيرة)

ثم ان بلاد الميسوبوطاميا اى بلاد الجزيرة اذا نظرنا اليها بالمعنى المتسع اى اطلقناها على نهاية ما نطلق عليه فانها تتصل بالارمنية القديمة واما ايالة ديار بكر فانها تشتمل على سوفينة القديمة وهى ارض ذات جبال ليست

(ايالة ديار بكر)

بالكبيرة ولا بالصغيرة وهذه الارض مسقية بالانهر سقيا مستحسنا وتخترقها اودية ظريفة وبها معادن يستخرج منها الذهب والفضة والنحاس شهيرة باسم المعادن ثم ان الغابات التى كان يستخرج منها اسكندر الاكبر وطرايانوس الرومى ما يحتاجانه من الاخشاب لعمارة السفن لم تذهب بالكلية من شطوط دجلة بل بقى منها بقية وشطوط الفرات مزينة باشجار الاعل والياسمين والعنب والزيتون وغيرذلك من الاشجار ذات الثمار وبهذا الاقليم ايضا الدخان والقطن والحرير والصوف وانما عدم ربح اهله وتجاحهم من سرقة الاكراد وصيالهم فلو كان به دولة عظيمة تحسم باب مضرة الاكراد وصيالهم وقطعهم للطريق لكانت هذه البلاد ذات غنى ويسار ثم ان المدينة التى كانت

(ديار بكر)

تسمى فى قديم الزمان أميدا وتسمى الآن آمد وتسمى فى غالب الاوقات ديار بكر عامرة زاهرة بما فيها من فبريقات السختيان والحرير وبيوتها مبنية من حجر اللاف وهو احجار الخفاف واقل ما تكون بيوتها ثمانية آلاف بيت واهلها ابلغ من ٤٠٠٠٠ وحول هذه المدينة مزارع البطيخ والقاوون وتزن البطيخة مائة رطل والحنطة فيها تخرج ثلاثين حبة فى نظير كل حبة من البذر ومدينة ماردين فيها نحو اربعة آلاف بيت او خمسة آلاف مشرفة فى اعالى صخورها الجيرية على سهول اسفل الجزيرة

(ايالة الموصل)

واذا انحدرنا من نهر دجلة دخلنا فى ايالة الموصل وهى ارض قليلة الاتساع غير انها خصبة منها جزء على الشرق من ذلك النهر من اسوريا القديمة اى ديار بكر وهى خصبة حبوبا وقطنا وزمانا وتينا وقطرها بارد جدا فى الشتا وربما كان مولدا للحمى فى الخريف ومدينة الموصل بها من ستين الى سبعين الف نفس منهم خمسة عشر الفا تراكمة

(مدينة الموصل)

ومثلهم اكراد وخمسة وعشرون الفا من العرب وثمانية آلاف نصارى وهى محكومة بباشا يكاد ان يكون منصبه متوارثا فلهذا كانت مغتنمة لحريتها فائزة باطلاق زمامها على قدر الحاجة اى غير مظلومة وهى محل تجارة مطروق لتجار الاجناس وبها فبريقات للسختيان واقمشة القطن يشتغل فيها الشاش المسمى عند الفرنساوية قماش الموصلينة اى الموصلى نسبة الى هذه البلدة

(ايالة اورفا)

والجزء الغربى من الجزيرة الذى يتصل به الفرات فى انعطافه منفصل من السهل الخالى بنهر الخابور المسمى فى قديم الزمان خابوراس وهو على ما قاله ابو الفدا متكون من اول وهلة من ثلثمائة عين نابعة ومثل هذه العيون ممدة ايضا فى مواضع أخر خضرة عظيمة ولكن فى الغالب فقد السقى ينقص خصب هذه الارض الاصلى وهى ما كانت تسمى

(اورفا)

فى قديم الزمان اوسطريانة وهى الآن مسلمية اورفا التى كانت قبل ذلك ايالة محكومة بباشا ومدينتها ايضا تسمى بهذا الاسم واهل هذه المدينة من ثلاثين الى اربعين الف نفس وهى عامرة بالفبريقات وبمرور قوافل حلب بها وبقربها انهار كبيرة وعلى مسيرة اربع ساعات من جاوركورى التى هى على الشمال الشرقى من اورفا عدة لا تحصى

(المغارات الشهيرة)

من المغارات المتسلسلة والكهوف المتواصلة المحفورة والمزينة بيد الصناعة والتدبير وهى آثار مدينة تحت الارض ثم ان الحرارة الصيفية والبرودة الشتائية الموجودة بهذه الاقاليم لم تضر فى الاعصر الحالية امم الصوقلوبه التى هى عرب او سريانية لتوقيهم ذلك بسكناهم فى هذه البيوت القديمة ثم ان مدينة حران الخربة التى كانت معروفة فى عصر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام هى مذكورة فى تاريخ الرومانيين باسم خرة وفى هذه المدينة هلك كراسوس مع الابه وعلى مسيرة ساعتين من هذه المدينة كما قاله الجغرافى العثمانى يجد على تل يسمى تل ابراهيم آثار هيكل لعبادة الصابئة اى عباد النجوم ويؤيده ان الاقدمين ذكروا فى مدينة خرة (حوران) هيكلا لعبادة صنم

(مبانى قديمة)

اونوس (القمر)

(ربض نصيبين)

والجزء الشمالى من ايالة اورفا وهو ما كان يسمى فى قديم الزمان سوفرنيا اوميجدونيا به مراع عظيمة وتلال مزينة بما لا يحصى من الازهار المتنوعة ولذلك لقب اليونان فى لعتهم الظريفة بلقب انتيمديا اى الزهر وفى هذا المحل حصن نصيبين الشهير بسكب رومنا دولا وهو يعجز عساكر البرث (قدماء الفرس) من التغلب على تلك البلاد ولم يبق فى هذه الجهة الا آثار ورسوم قرية نصيبين التى جميع ما حولها من الورد ابيض وايضا اطلال عظيمة ورسوم لمدينة كانت تسمى فى قديم الزمان مدينة دارا وهى حصن رومانى واذا انحدرنا فى نهر يصب عند نصيبين فى نهر الخابور وصلنا الى بحيرة تسمى الخاطونية وفيها جزيرة عليها هرم مرتفع وعلى الجنوب الشرقى

(جبل سنجار)

تحت جبلان نهر لا وحده يسمى جبل سنجار وهو مطل من بعيد على ... وجنبات هذا الجبل مسقية بمياه

(اليزيدية)

حية نشطة الجرى فلهذا كانت مزينة بالنخيل والرمان غيرانها ماوى امة متوحشة قاطعة للطريق تميل بطبعها لسفك الدماء وللصيال وهى امة اليزيدية وهم خوارج يدعون الاسلام ويقال انهم يعبدون الشيطان وعلى كل حال فهم مبتدعة

(صحراء الجزيرة)

فالآن صحراء الجزيرة تظهر نصب اعيننا وتبين بجميع ارجائها مستوية الشكل ليس بها تغير واختلاف يسر به الناظر ويفرح به الخاطر وذلك ان مافيها من النباتات المالحة الممتدة فى مسافة عظيمة من الارض يغمر رمالها المحرقة اويبسها اليابس فتجد نبات الافسنتين يمتد فيها كما يكثر فى اوروبا نبات الخلنج ويغمر مسافات عظيمة من الاراضى ويطرد ماعداه من النبات واما طيع الغزلان التى هى حيوانات خفيفة تجوب هذه الاراضى التى كان يلمح بها سابقا الحمر الوحشية والاسود تختفى فى سواحل الانهر تترقب الغزلان لتصطادها فاذا لم يمكن الاسد صيدها واشتد به الجوع ولم يجد مايسد به رمقه خرج من هذه الشطوط كالمجنون وصاح صيحات مزعجة فى هذه الصحراء المنقطعة حتى يظن انه رعد شديد ومياه هذه الصحراء فى الغالب مرة اومالحة لايمكن اساغتها وقد يصلحونها اصلاحا هينا بان يضعوا فيها عرق السوس وهو موجود بهذه الجهات بكثرة وهذه الصحراء متصلة ببادية العرب التى خلف نهر الفرات فكانها نموذجها وقطرها كقطر بلاد العرب فى الغالب نقى الهواء يابس وفى الغالب محرق فى السهول الكثيرة الرمال القرعة المجردة من الزروع فان الابخرة الرديئة المتصعدة من المياه الراكدة تنتشر فى اجرائها وكذلك ادخنة البحيرات الكبريتية المالحة تزيد فى المادة الوبائية فاذا اختلت موازنة عمود هواء مصاب بالعفونة فاضطربت اجزاؤه وكثر تموجها بسرعة

(ريح السموم)

حدثت عنها ريح قاتلة تسمى بالسموم وهو مخوف بداخل بلاد العرب ويخشى ضرره اكثر من ذلك ايضا فى حدودها خصوصا ببلاد الشام والجزيرة فاذا هب هذا الهواء المشؤم فان الهواء يفقد حالا خلوصه وطيبته وتحمر الشمس حتى تصير كانها مستورة بالدم وجميع الحيوانات يحصل لها دهشة وحيرة فتنام بالارض لتتقى اذى هذا الريح المحرق الذى يختنق من لم يتوقه وعرض نفسه له

(مدينة اناه)

ثم ان حواشى هذه الصحراء وحافاتها منها ماهو خصب ظريف فان اشجار التمر هندى والكريزالبرى والسرو وشجر الخلاف الشبيه نواره باذناب السنانير تظل فى كثير من المحال شطوط نهر الفرات فتسقى منه بالنواعير والدواليب بل قد يسقى منه فى بعض المحال غيطان الرمان والليمون والجميز فمن هذه المحال الظريفة مدينة اناه وهى تمتد على شاطئ نهر الفرات حتى ان من رآها يقول ان حقها ان تكون من بادية العرب فان بعض ارباب الجغرافيا الذاكرين للطرق قال انها قاعدة العرب هنالك فانظر هل نحو مائة قبيلة رحالة احرار لاحاكم عليهم من الغرباء يستكثر عليهم مدينة تكون قاعدتهم والظاهر ان هذه المدينة تكون زمنا بعد زمن محل اقامة امير من امراء العرب رئيس قبيلة ذات سطوة وشوكة وعلى شمال اناه يمتد على ساحل الفرات الى حد مكان يسمى بلبس اقليم صغير كثير اشجار التوت فاذا سرت فى طرقات ضيقة وصلت الى اخصاص وعشش لاتكاد تظهر من مجتمع هذه الاشجار

(بلاد الزومبولك)

فتجدها مقام قبيلة من العرب اهلها ارباب صلح وهدء وهم بنواسمن يربون دود القز ويحملون مايخرج منه للتجارة فيه خارج بلادهم وهذا الاقليم قل ان يعرفه احد من ارباب الاسفار من الافرنجيين ويسمى بلاد الزومبولك

(اخطار ارباب الاسفار)

وبمدينة اناه تمر عادة القوافل التى تنقل التجارة بين حلب وبغداد وتدفع صرة للعرب الذين يرون انفسهم انهم اصحاب البادية ولو خلف نهر الفرات وتخشى القوافل ايضا من الرياح المهلكة واسراب الجراد وفقد المياه بمجرد البعد من نهر الفرات وقد ذكر بعض سياحى الفرنساوية انه شاهد بين مدينتى اناه وطيبة من هذه الاهوال هولا شديدا لايراه انسان به حاسية وانسانية الا ويحنق وذلك ان الجراد بعد أن اكل كل شئ كان عاقبة امره انه هلك ايضا عن آخره فبقيت رممه فاكسبت العفونة لجميع البرك التى يأخذ منها القوافل مايشربونه عند فقد العيون فما يشعر هذا المسافر الفرنساوى الا ورجل تركى يتراءى من عينه الغضب والياس نزل من تل وقرب من الفرنساوى وصاح انى اشتريت بثمن جسيم مايتى جارية من اجل بنات الروم والكرج وتعهدتهن بحسن التربية حتى وصلن الى سن البلوغ فاردت ان اسافر الى دار السلام لابيعهن والكسب فيهن فكدن يهلكن فى هذه البادية ظما وانا ايضا قد اشتد بى الحال وازداد ظماى اكثر منهن فاجتاز الفرنساوى التل بسرعة فرآى مالم يره فى سائر عمره وهو ان بين اثنى عشر خصيا ونحو مائة من الابل هؤلاء البنات ربات الجمال البديع اللواتى عمرهن من اثنتى عشرة سنة الى خمس عشرة سنة نائمات بالارض ذابلات من العطش الشديد مشرفات على الموت بل متيقنات الهلاك بل منهن من ماتت ودفنت بحفرات ومنهن ايضا عدة جوار متن بجانب حراسها ولم يمكن لهم ان يدفنوهن لذهاب

قواهم من الم العطش ومن سائر الجهات يسمع غرغرة اللواتي يمتن وصياح من بقيت فيهن الروح وبعض قوة يطلبن من غير طائل جرعة ماء فهاكان من السواح لفرنساوى الا انه فتح قربته ولم يكن بها الايسير من الماء ليسقى هؤلاء العطاش واراد أن يقدمها لواحدة منهن وكان مع هذا الافرنجي جمال عربي فصاح وقال له ماتريد تفعل يا مجنون اتريد أن تموت مثلهم من العطش ورمى هذا الجمال الجارية التي بيدها القربة فماتت وقد هدد كل من امسكت القربة بالقتل واشار على مالك الجواري ان يذهب الى طيبة ليأخذ منها الماء فلم يرض مالك الجواري بذلك وقال ان بطيبة قطاع طريق يسلبن مني جميع جواري وجذب الجمال هذا السواح وذهب من عند تاجر الجواري فلما رأى الجواري هذا الفرنساوى ذاهبا من عندهم وعرفن انه لاسبيل لهن الى الشرب وتيقن اليأس صحن جميعا صيحة منزعجة مما كان من العربي الجمال الا أن اخذته الشفقة فقرب من واحدة منهن وصب لها يسيرا من الماء على شفتيها المحترقتين ووضعها على رحله وقصد ان يهديها لامرأته وسار بها من الطريق التي كانت مرت بها ومعها صويحباتها فاغمى عليها ثلاث مرات حيث رأت صويحباتها ساقطات ميتات من العطش فعما قليل فرغ الماء من القوافل التي كان هذا الفرنساوى بصحبتها فابصروا بئرا طريفة مياهها باردة رائقة ولكن حبلهم كان قصيرا بحيث لايمس سطح الماء فقطعوا اعبيتهم شرطانا وربطوها في بعضها وصاروا يملؤن بها الماء لكن لايخرجون فى المرة الا يسيرا خوفا من ان تتقطع فيسقط الدلو فى البئر فهابلغوا منازل الشام الاولية الا بشدة الخطر والمشاق العظيمة

(تخطيط الجزيرة) وكلما اشتد قرب النهرين العظيمين وهما دجلة والفرات خصوصا جهة بغداد عظم قربهما هنالك حيث يكون البعد بينهما مسافة ست ساعات وتغيرت البادية وصارت كانها روض واسع الارجاء لايحتاج فى سعة الخير وكمال الخصب الا الى مجرد السقى فيخرج منها اذا سقيت خيرات عجيبة وهذا الاقليم هو ما كان فى قديم الزمان بابلونيا وهو متكون مثل بحيرة مصر المسماة دلطة من ارض قيفية اى من قيوف الانهر حيث انحسر عنها الماء وحر هذا الاقليم شديد ولو عند اهله وبه الشتاء بارد لقربه من جبال الكردستان ويسقى دجلة والفرات الاراضى الواطية ولكن لا يكسبها طينا مثل ما يكسبه نيل مصر لارض مصر ولكن هذه السقاية الطبيعية اذا دبرت بالصناعة

(تولدات) تجعل ايضا اراضى بغداد بستان آسيا وكان الشعير والارز بها متضاعفى الحبة الواحدة من البذر فتخرج مائتى حبة والآن الخلجان والترع مهملة مهجورة فلهذا كان حاصلها الآن انما هو ما كان يحصل فى قديم الزمان وبها يزرع القطن ولو زرعت بها النيلة لصحت وربما صح بها ايضا قصب السكر وهى جيدة الليمون والمشمش وهذه البلاد عديمة الاشجار وليس بها من الشجر ما يزين فلاها الا النخيل وما يخرج منه وهو التمر يكون غذاء اهلها

(عيون النفط) وجريدها يسقف به البيوت وجذوعها تكون اعمدة لها وعلى امتداد شط الدجلة عيون النفط وهو نوع من القفر وتوجد هنالك بكثرة والقفر الاسود يسد مسد الزيت والابيض المسمى بالنفط تسمية حقيقية معدود من الادوية النفيسة ولم تزل الى الآن عادة طلاء القوارب المضفورة من فروع البندق التى يسافرون بها فى النهر وهذه المادة القفرية تكثر جدا حتى انهم يدعونها تصب فى نهر الدجلة فتسبح فيه على وجه الماء فاذا اشعلها المراكبية بالنار ربما طهرت بالنهر محاكية لنهر متقد بتمامه فيكون منظرها من اعجب ما يراه الانسان

(بغداد دار السلام) ومن مدن هذه البلاد مدينة بغداد التى كانها بابل ثانية وقد كانت فى قديم الزمان دار الخلافة وكم مر بها من فتن عظيمة ولم يكن بها الآن من الاهل الا نحو ٨٠٠٠٠ منهم ٥٠٠٠٠ من العرب وهى مزينة بما فيها من الاسواق الظريفة فلهذا كان منظرها كمنظر المدن الفارسية لا التركية ولكن حاراتها وازقتها متسخة وبيوتها لايظهر منها جمال منظرها ونفس المدينة محصنة بسور قوى شامخ وبها فبريقات القطن والقطيفة وينضم الى هذا ما ياتيها من البضائع الهندية فبهذا كان اهلها ارباب غنى ويسار ولم يزل عندهم الى الآن بقية من آداب الاخلاق وحسن الطباع التى كانت زاهرة فى دواوين الخلفاء العباسيين وقد شاهد بعض السواحين انهم لايذبحون بسلخاناتها البقر اصلا قال الجغرافى التركى ان بعض الخلفاء العباسية امر بعدم ذبح البقر بها لحفظ الزراعة وتعهد شانها وحكم باشا بغداد من البصرة الى اورفا ومن شهرزور الى بابل وفى وسعه ان يجهز خمسين الفا من العساكر ولم يكن من تحت اوامر الدولة العثمانية الا يسيرا

(آثار سلوقية واقسطيفون الخ) وتحت بغداد آثار تسمى المداين وهما آثار مدينتين تستميلان ارباب الاسفار احداهما هى ما كانت تسمى فى قديم الزمان اقطسيفون فهى هى ولابد واما المدينة الممتدة على ميسرة النهر فليست مدينة سلوقية خلافا لجميع ارباب السياحة بل هى مدينة كانت تسمى كوشة وكانت حصنا بمصاقبة مدينة سلوقية فهى غير سلوقية كما حقق ذلك كل من اريانوس وغرغوارس النزيانزى واما آثار سلوقية فانه ينبغى البحث عنها على البعد

من دجلة بفرسخ عظيم على خليج يصل الدجلة بالفرات وفى آثار اقطسيفون تجد هيكلا عظيما يسمى طاق خسرو واشهر تفاسيره انه ايوان كسرى وجميع هذا الاقليم منتشر فيه آثار المدن اليونانية والرومانية والفارسية والعربية مختلطة معا متشابهة بعضها مع بعض فى التلاشى وفى القرن الثامن من الميلاد كانت قرية سمرا وقرية هارونية وقرية جفاريك (لعلها الجعفرية) عبارة عن طريق مستطيلة مسيرة سبعة فراسخ وقد رأى آثارها طاورنيار فاثبت صحة هذا القول

(آثار بابل) وليس من هذه المدن ما يضاهى فى العظم مدينة بابل التى آثارها الآن شاغلة لكورة بتمامها حوالى الحلة وقد بنيت هذه المدينة بقواميد مشوية بالنفط فلهذا تجد مبانيها التى كانت فى القرن الاول من تاريخ النصارى خالية من الاهل قد تهدمت وحدث من انقاضها تلول وقد محا آثارها ما علاها من التراب وتداول الايام ودائما يبحثون فيها ويحفرون ليستخرجوا منها شيأ فيخرجون منها كثيرا من القراميد المنقوشة المكتوبة منها ما فيه رسوم عربية مؤرخة من عصر العرب ومنها ما فيه رسوم قدماء البابليين وهذه القراميد ايضا وقع فى شأنها خلاف بين علماء الآثار الغربية

(الحلة) ومن مدن هذا الاقليم ايضا الحلة وهى مدينة عظيمة عامرة بما فيها من الفبريقات وحسنة الوضع فى غابات النخيل والظاهر انها مبنية بكليتها من قراميد مستخرجة من انقاض بابل القديمة وبرج النمرود الشهير فى كتب التاريخ هو اسوار متهدمة فى شكل مربع عظيم على فرسخين من الحلة واذا اعتبرنا ما كانت عليه بابل من الاتساع العظيم ساغ لنا ان نقول ان هذا الهيكل الذى هو برج النمرود يجوز ان يكون هو هيكل بلوس الاله الواقفين

(مشهد على ومشهد الحسين) وعلى غرب الحلة مدينتان معظمتان عند العجم وجميع الشيعة لما انه استشهد بهما امامان عظيمان من ائمة الاسلام وهما مشهد على ومشهد الحسين وهما مدينتان كبيرتان كانتا سابقا مشحونتين باشياء ثمينة وضعها فيهما الاعجام فنهبتها الوهابية المتوحشون واخذتها الى بواديها وفى هذه البقعة ايضا مدينة

(الكوفة) الكوفة الشهيرة التى ينسب اليها الخط الكوفى والمذهب الكوفى فى النحو لما كان بها من العلماء المشاهير وليس فى آثارها شئ عجيب ولا نعرف كل اتساع البحيرات والبرك التى هى فى هذا المحل خلجان منشعبة عن نهر الفرات والظاهر ان السواح طاورنيار سلكها ولكن توغل فى العرب ازيد من جميع متأخرى السواحين الافرنجيين فلابد انه على امتداد نهر الفرات عدة برك متوالية متواصلة او كما يقوله اهل البلاد بطائح فى وسطها قرية جيمدة وهى بندر قبيلة تعبد النجوم وتزعم انها من نسل شيث عليه السلام (ذكره الحاج خليفة)

فاذا انحدرنا من مجمع النهرين وهو وسط العرب رأينا المياه المالحة الخارجة من البحر تعلو الاراضى الواطية وتغمرها وتجعلها عقيمة مجدبة ولكن الاراضى التى بها ارتفاع يسير ليس بها الا غابة نخل واحدة

(البصرة) ومدينة البصرة تحت مجمع الفرات ودجلة يمكن ان تعتبر كانها ولاية عربية مستقلة لا تعطى لسلطان العثمانية الا الاسم الظاهرى واهل هذه المدينة من ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ نفس وميناها مجمع اوروبا وآسيا فبضائع اوروبا والهند تستبدل فيها ببضائع العجم ومنها تخرج القوافل العظيمة الغنية الذاهبة الى المدن الجليلة من مدن آسيا التى بايدى العثمانية

وعرب البصرة لا يقتصرون على حفظ اجناس خيولهم بل يحافظون ايضا على عدم خلط اجناس حمامهم وغنمهم ويقال ان جميع اغنامهم ممتازة بحلقة بيضاء فى طرف الاذن يقولون ان هذه من اصابع النبى عليه الصلاة والسلام فى اول كبش عندهم من هذا الجنس

(جدول تقسيم البلاد التى على نهر دجلة والفرات)

تقسيم جديد	مدن اصلية	تقسيم قديم	
ايالة قرص	قرص (قرط)	نورزينة	ارمنية
	بايزيد	بسفيا	
ايالة ارض روم	ارض روم (ارزه)	قارينا	
	ملازجرد	ملازا	
	اسپير	هسپيراطيس	
		آسيليزين	
	ارزن	ارزانينه	
	تارو	طاورآنطيوم الخ	
ايالة وان	وان (ايسات)	وسبورآقانيا	
	ارجيش	اوريسا	
		مكسين	
		بغروندان	
ايالة دياربكر	دياربكر (امد)	سوفينة	
	ماردين (مرديس)		
	نصيبين (نصيبيس)	موجونيا	الجزيرة
		اتموزيا	
ايالة اورفا القديمة (تحت بغداد)	اورفا (ايدسا)	اوسرهونة	
	حران (حرة)	خالقيطيس	
	الرقه (نيقيفوريوم)	غوسانيطيس	
		انقوباريطيس	
ايالة الموصل	الموصل (لعلها البانا)	اقابنا	
	اربل (اربلا)		
	اسكى موصل (نينوى الرومانيين)	اسوريا	اسورية
كردستان	بدليس	كردوينا غردوينة	
	جزيرة	كردونيسيا الخ	
	جيولامرك	ارابوغيطيس	
	قراجيولان		
	اماديا	ادياينة	
ايالة بغداد	بغداد (لعلها سطوقينة)	سطوقينة	بابلونيا
		ابولونياتيس	
	الحلة (بابل)	بابلونيا	
	البصرة	خدلديا	

وهذا جدول يتضمن تقسيم بلاد ارمنية على مقتضى تقسيم مورخ ارمنى يسمى موسى الخوريني فى القرن الخامس وهذا التقسيم مطابق لما كان معروفا عند اليونان والرومان سابقا

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى المذكور	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
١ ارمنية العليا على اعلى نهر الفرات	قاريشا	قارا ييتس	ارض روم
	اسبيرا	اسبيراتس	اسبير وهي مدينة على جنوب ارض روم
	درزانة	اكسيرسان اودرسان	
	اكلوزيا	اكيليزان	اجكليس
	(خمسة اخرى)	غير معروفة	غير معروفة
٢ ارمنية الرابعة وحدودها من قرص الى ديار بكر	خورزينة	خورزينة	قرص
	هستيانة	اسقيانينة * اوستانتس	غير محققة
	بلهوريسيا	بولبينة	كذلك
	زوفا	سوفينة	جزء من ديار بكر
	شداخيا	سوديقينة	مجهولة
	هنسيتا	آزوتينة * انستينة	كذلك
	(ثلاثة اخرى)	غير معروفة	غير معروفة
٣ آلزنيا على دجلة	ارزن	ارزانين	ارزن
	نوفرسرتة	غير محققة	ميافارقين وهي مدينة
	(ثمانية اخرى)	غير معروفة	غير محققة
٤ توروبيرنيا * بين مراد وبحيرة وان	تارون	توراسيوم	تارو
	هرخ	بازيليسينة	جهة منابع مراد
	كرشورونيا	غير محققة	هالى كركرا (لعلها خان كرك)
	بيزنونيا	مجهولة	على بحيرة وان
	(ثلاثة عشر اخرى)	كذلك	غير محققة
	. . .	موكسوينه	موخ بقرب بحيرة وان
٥ مخا * بين الاقليم الثالث والرابع	ابرنسس	ابريخى	مجهولة
	(ثمانية اخرى)	غير محققة	كذلك
٦ كورزوا فى شمال كردستان	كوردية	كوردوس * كوردوين	فى كردستان
	اتروانة	اروباتين الحقيقية	فى ادربيجان
	غارتينزيا	غوردينزيا	فى كردستان
	ألبقيا	مجهولة	ألباق وهي مدينة من اذربيجان
	(اربعة اخرى)	كذلك	غير محققة
٧ پرسرمنى (اى ارمنية العجم) وهي جزء من اذربيجان	ماريا	ماروند	مرند (عجم)
	رركران	مجهولة	زروا
	(سبعة اخرى)	كذلك	غير محققة

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
٨ وسبيرقانيا وهى وسبيرقانيا انخرطات الاخيرة وجزء عظيم من ايروان	ايبان وهى تخت	غيرمحققة	وان
	ارجيسا كوويتا	آرسيزا	ارجيش وهى ارض
	ارتازاكا	ارتكزاتا	غيرمحققة
	غلوثين	كلوتين	كذلك
	نكسيانا	نكسيانا	نقجوان
	(احدى وثلاثون اخرى)	مجهولة	غيرمحققة
	. . . .	مجهولة	سينيخ وهى خط فى الجنوب الغربى من بحيرة ايروان
٩ سينياوهى سيونيخ	سيساقين	سيباقين	غيرمحققة
	(تسعة اخرى)	مجهولة	كذلك
١٠ ارساخافى جنوب بحيرة ايروان وشرقيها	ايرانيا الكبرى	غيرمحققة	ايروان المسماة ايضا ايران
	موقانيا	كذلك	موقان
	(اثنتاعشرة اخرى)	كذلك	غيرمحققة
١١ فتقارانيافى جنوب البحيرة السابقة	بغاوين	بغروندين	. . [illegible]
	ألوان	مجهولة	فى اذربيجان
	(عشرة اخرى)	كذلك	. . .
١٢ ايتياعلى نهرارپازو وهواوزيس القديم	ايتيا الحقيقية	اوتين	فى ايروان
	سيكاسين	ساكاسين	غيرمحققة
	(ستة اخرى)	غيرمعروفة	كذلك
	. . . . . .	غوغارينة	جرجستان
١٣ غوغاريا فى بلاد الجرج	كابوفريا	كاوبتينة	غيرمعروفة
	تريليا	غيرمحققة	تريالتى (جرج)
	كنعر	عنغارا	غيرمحققة
	تسكيرا	غيرمعروفة	تسكير (جرج)
	ارتوانيا	كذلك	ارتواند (جرج)
	زواكيا	كذلك	زوالت (جرج)
	(ثلاثة اخرى)	كذلك	غيرمحققة
١٤ طيافى الجرج	كوليا	كولوا	على كور الاعلى
	آزرتا	سورتا	كذلك
	(ستة اخرى)	غيرمحققة	غيرمحققة

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
	بسفنيا	غير معروفة	بازن سفلى
	ارسارونيا	كذلك	على لاركس فى شمال اسكميازان
	سيراسيا	كذلك	على سنكى
١٥ عرارتيا حول عرارة	بغروندا	بغروندين	غير محققة
	واتنديا	فانينة	كذلك
	ملازا	غير محققة	ملازجرد وهى مدينة
	(اربعة عشر اخرى)	كذلك	غير محققة

المقالة المكملة للمخمسين فى تخطيط آسيا

بلاد الدولة العثمانية فى آسيا * القسم الثالث فى بلاد الشام وبلاد فلسطين * وتنبيهات عامة تتعلق ببلاد العثمانية

ثم ان مابقى علينا من الاقاليم التى هى من عثمانية آسيا هو الذى يستميل دائما عقول ارباب السياحات حتى حملهم على أن يصنفوا فيه الكتب الجمة فلو اردنا أن نذكر اسماء السواحين الذين جوابيت المقدس لما كفانا ثلاث صحائف لمجرد سرد اسمائهم ومؤلفاتهم وان كان اغلب هذه المؤلفات مشتملا على التكرار والترهات ولكن لاباس أن يتأمل اليها صاحب الفكر الصائب ويراجعها وللمقوبلات مع كتب ابى الفدا وكتب يوسف المؤرخ وكانت مقابلتها بشدة اعتناء واهتمام كانت مادة للحكيم بوشنغ فى تأليف قطعة عظيمة من الجغرافيا وفى عهدنا هذا عرف سواحو الافرنج على اختلاف علومهم جملة من البلاد كل واحد منهم عرف مواد متفرقة مخصوصة تتعلق بها فذهب الى هذه البلاد لذلك من القسيسين جماعة منهم دنديق ومن المتولعين بآثار الاقدمين أخرون منهم الحكيم وود وكذلك من علماء التولدات كثير مثل موندرل وهسليكسط فكل منهم تكلم عليها بما يناسب فنه ولكن قد بقى الفخار لحكيم آخر صاحب قريحة متينة وهو الحكيم ولنه فانه مزج جميع هذه المواد الممزقة المتفرقة بما شاهده ورآه وما اطلع عليه فخطط ما يتعلق بالشام تخطيطا عظيما فحينئذ لالوم علينا اذا اعتمدنا فى الغالب ماظهر من تفتيشات الحكيمين بوشنغ وولنه لما ان غرض رسالتنا هذه الايجاز وهو يابى التدقيق الفلسفى فى التخطيط فنقول

مؤلفات متعلقة بالشام

(حدود) الشام محدودة بحدود ثابتة فهى من جهة الشمال الشرقى محدودة بالفرات ومن جهة الشمال الحقيقى بجبال امانوس المسماة الان جبال الماطاغ ومن جهة الغرب بالبحر الابيض المتوسط ولكنها جهة الشرق تختلط صحاريها مع صحارى بلاد العرب ولم يمكن المتقدمين ولا المتأخرين أن يحدوها بحد مخصوص فقد كان الاقدمون يعتبرون تدمر ودمشق والبحيرة المنتنة المسماة بركة لوط كانها مدن اطراف لبلاد الشام والآن آثار مدينة تدمر معدودة من بلاد العرب البادية وكذلك من جهة الجنوب اذا توهمنا خطا هندسيا مرسوما من طرف بحيرة لوط على مصب سيل العريش فانه يكون هو الحد المتعين على ماينظهر بين الشام ومصر من جهة وبين الشام وبلاد العرب الحجازية من الجهة الاخرى ولا يمكن غير ذلك

(اسماء) وهذه البلاد كانت تسمى فى قديم الزمان باسم ارم ومنه اريمية اوميروس شاعر اليونان والعرب يسمونها بر الشام ومعناه الشط الايسر بمقابلتها لبلاد اليمن اى بلاد اليمين وهذه التسمية مبنية على وضع مكة وفى هذا اشارة الى معنى صحيح وهو ان بلاد الشام انما هى ضلع من بلاد العرب (والترك يسمونها سورستان والافرنج سوريه)

(جبال) وليست جبال الشام كلها متشعبة عن جبال طوروس فان جبل ألرسوس خارج من جبال امانوس ومنته فى وادى نهر حماة المسمى نهر العاصى وجبال أخرى ايضا تمتد على امتداد نهر الفرات الى تدمر ولكن سلسلة الجبال الخاصة ببلاد الشام تبتدئ فى جنوب انطاكية بالجبل البارز كالسن المسمى قسيوس وهو جبل شامخ فى الهواء وله رأس ترتفع كالمسلة حولها غابات فتلك السلسلة تتوجه على شطوط البحر الابيض المتوسط وتسمى باسماء مختلفة وليست بعيدة عن البحر عادة الا بسبعة فراسخ اوثمانية والظاهر ان اعلى رؤس هذه الجبال هو جبل لبنان وهو سلسلة جبال تمتد بين متوازيات عكا وطرابلس ورأسها تسمى باسم هرمان فى التوراة وهذه الرأس بين دمشق وهليوبوليس ثم ان هذه السلسلة تنقسم الى سلسلتين احداهما غربية وهى تقابل البحر الابيض المتوسط والثانية شرقية وهى على حافة سهول دمشق وهذه السلسلة الثانية سماها يونان الشام باسم انطى لبنان وهو اسم لا يعرفه اهل البلاد وهذا الاسم اطلقه المؤرخون على السلسلة اطلاقا جعليا من عند انفسهم فكان ذلك سببا لكثير من المباحثات التدقيقية التى تملها النفوس ثم ان جبل لبنان وسائر جبال الشام بها فى كثير من الاحيان آثار بروج وحصون وقصور وهذه الجبال مركبة من حجر جيرى صلد مبيض له صوت رنان

(انار جبال نار) وقل أن ظهر الصوان بها الا عند القرب من جبل طورسينا وخليج العرب وبقرب دمشق مغارات عظيمة كل مغارة تسع اربعة آلاف نفس تسكنها وحوض نهر الاردن يظهر كبير من آثار براكين النار وهى ماعندها من المياه القفرية والكبريتية التى ببحيرة لوط واحجار اللاف وهى احجار الخفاف واحجار السفنج التى على شطوطها والحمام الحامى الموجود بطبرية فان هذا كله يدل على ان هذا الوادى كان فى قديم الزمان محل تسلطن نار لم تخمد الى الآن وقد تامل بعضهم فى البحيرة المنتنة فشاهد انه يخرج منها زوابع دخان وانه ينفتح فيها منافس جديدة تحدث بها على حافتها فقال اسطرابون ان اخبار اهل هذه البلاد تدل على ان وادى هذه البركة كان به ثلاث عشرة مدينة عامرة وانها خسفت بزلزلة ولكن اعترف بان الحكيم ايراطستينس جعل سبب هذه البليه هو مجرد هبوط الارض وغورانها لا لشئ آخر وهيجان هذه

(زلازل)

النيران ونورانها قد زال وانقطع منذ زمن طويل ولكن الزلازل التى كان لها مدخلية لم تزل باقية فى هذا الاقليم تظهر حينا بعد حين وفى العادة الساحل عرضة لذلك وقد نص التاريخ على مرات عديدة وقع فيها ذلك حتى تغيرت بالزلازل صورة انطاكية واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور بل وعلى القرب من عهدنا هذا فى سنة ١٧٥٩ من الميلاد ظهرت زلزلة عظيمة حصل بها فساد عظيم وتخريب جسيم زعم بعضهم انه هلك بها فى وادى بعلبك ما ينيف عن عشرين الف نفس وخسارتهم لم تجبر الى الآن ومن المشاهد فى الشام ان الزلازل لا تكاد تقع الا فى الشتاء بعد امطار الخريف

(انهر)

ثم ان كلا من نهري العاصى والاردن ينزلان من جبل لبنان فنهر العاصى يجرى من الشمال والثانى يجرى من الجنوب والاول مجمع على انه ملك انهر الشام ولكن لولا الموانع الكثيرة التى تحجز ماءه ليس فى الصيف بالكلية وذلك ان هذا النهر لما كان عميق الفراش عالى الحافات لم يمكنه ان يسقى ما جاوره من المزارع الا بمشاعير على حوافيه ولهذا سمى نهر العاصى واما نهر الاردن الذى ذمه ولتير الشاعر فقد مدحه بلنياس العالم بالمواليد فقال انه نهر جميل رائق عريض بالنسبة للوادى الذى هو يسقيه ووافقه على ذلك جميع السواحين المتأخرين حيث لاحظوا ما لاحظ وثم انهر أخر اغلبها انما هو سيول لا انهر فمنها نهر القاسمى الذى كان يسمى قديما قاسميروهو فى شمال صوروس والظاهر انه هو الذى كان يسمى فى الاعصر الخالية نهر ليونطس واما النهر المسمى بالنهر الكبير فهو الذى كان يدعى قديما باسم ايلوثروس وهو نهاية بلاد الصوريين وقد ذكر الاخباريون فى شأنه خبرا يقتضى انه مات فيه الملك افريدريقوس بربروس وهو خبر كاذب

(بحيرات)

ولما كانت انهر الشام ممنوعة المسير بعدة جبال معترضة تولد بها كثير من البحيرات فحوضة نهر العاصى تشتمل على بحر الكديس بقرب حمص وعلى بحيرة افامية ويمر بها هذا النهر وكذلك بحيرة انطاكية

بحيرات لا جريان لها

وفى الاجزاء المشرقية والجنوبية عدة بحيرات لا جريان لها مثل بحيرة عقلا وبحيرة حلب القديمة وهاتان البحيرتان مياههما مالحة وبحيرة المرج وهى بقرب دمشق تجتمع مياهها المشتملة على سولفات الجير من الجبال المجاورة لها واشهر جميع هذه البحيرات البحيرة الاسفالطيطية اى بحيرة قفر اليهودى المسماة البحر الميت وتسمى بركة لوط والظاهر انها كانت دائما على حالها التى هى عليه الآن يعنى انها منقطعة غير متصلة بالبحر

امزجة الاقاليم

واقطار الشام ثلاثة مختلفة وذلك ان رؤس لبنان مستورة بثلوج فهى تنشر على داخل الاراضى طراوة طيبة بخلاف الاجزاء البحرية فانها اخفض من الداخل فهى دائما تذوق الحرارة الرطبة وبخلاف السهول المجاورة لبادية العرب فانها دائما عرضة للحر اليابس فى الحر فلهذا تختلف فصول بلاد الشام وتولد انتها فى الجبال انتظام الفصول يكاد يكون مثل فصول وسط فرانسا فان الشتاء يمكث من نوفمبر الافرنجى الى غاية مارث ويكون قويا شديد البرد ولا تمضى هناك سنة من غير نزول ثلوج تغمر فى الغالب الارض فتكون عليها عدة اقدام وتمكث عدة شهور كاملة ويكون الربيع والخريف بهذه الجبال لين المزاج وفصل الصيف لا ثقل فيه على الانسان بحيث يتحمله بغير ما تعب والامر بالعكس فى السهول فانه بمجرد حلول الشمس فى خط الاستواء يظهر الحر الشديد المتعب دفعة واحدة ولا ينتهى الا فى شهر اكطوبر الافرنجى ولكن الشتاء معتدل اعتدالا عظيما بحيث يمكن نمو اشجار البرتقان والنخيل والموز وغير ذلك من الاشجار اللطيفة التى لا تتحمل الحر فلذلك تجد بالشام طرقا مسيرة عدة ساعات تفصل الربيع من الشتاء هكذا حققه بعضهم

خصب الشام

فاذا عاونت الصناعة طبيعة هذه الاراضى فانه يمكن أن يجلب الى الشام فى مسيرة خمسة وعشرين فرسخا نباتات البلاد البعيدة لتغتنى الارض وزيادة على ما فيها من الحنطة بانواعها والشعير والفول والقطن الذى يزرع فى جميع نواحيها فيها

تولدات نباتية

ايضا كثير من الاشياء النافعة او المستظرفة غير انها مخصوصة باماكن كل محل وما يناسبه مثلا بلاد فلسطين كثيرة السمسم النافع لعمل الزيت وبها الذرة بكثرة نظير ذرة مصر والذرة التركية تصح ايضا فى ارض بعلبك الخفيفة بل والارز ايضا يزرع و يصح وينجح فى ارض الحاولة السبخية وقد استحسنوا منذ عشرين سنة أن يزرعوا قصب السكر فى بساتين صيدا وبيروت فخرجت مثل قصب السكر الذى يزرع فى بحيرة مصر والنيلة تخرج من غير صناعة على شطوط نهر الاردن فى ارض بسان او بزان فلا تحتاج الا قليل تعهد لتكون جيدة الصفة وهضبات اللاذقية يخرج بها دخان للشرب وهو اساس البضائع التى تحمل الى دمياط والى مصر المحروسة وزراعة الدخان الآن منتشرة فى جميع الجبال واما الاشجار فان مثل زيتون اقليم برونسه بفرانسا يخرج فى انطاكية وفى الرملة ويرتفع حتى يكون كشجر الزان والتوت الابيض هو سبب يسار الدروز لما يخرج منه من الحرير الظريف وشجر العنب

تعلودواليسه على شجر البلوط ويخرج منه نبيذ احمر وابيض يضاهى نبيذ بردو فى بلاد فرانسا وليمون يافا ممدوح وكذلك بطيخها وفى غزة نخيل مكة ورمان الجزائر بالمغرب وطرابلس الشام برتقانها عظيم ينتظم فى سلك برتقان مالطة وبيروت تين لا ينقص شيأ عن تين مرسيليا وبها موز ايضا كموز سنت دومنغ وليس لخوخ حلب نظير فى الدنيا ودمشق تفاخر اوروبا فى جميع ما فيها من الفواكه والواقع انها يحق لها ذلك فان ارضها الجيرية تصلح لكل من تفاح نرمنديا وبرقوق اقليم تورينة وخوخ حوالى باريس

وقد ظن بيبوهران بلاد الفلسطين تصح فيها زراعة بن اليمن

حيوانات

وفى الشام سائر ما فى اوروبا من الحيوانات الاهلية وتزيد الشام على اوروبا بالجواميس والابل وفى اوروبا المعز الوحشية وفى الشام نظيرها الظباء والغزلان وفى اوروبا الذياب وفى الشام بدلها الجكال وهو ابن آوى وكذلك الضباع والنمورة الصغيرة وتسمى الاونقة وليست فى الحقيقة نمورة بل وهم من قال انها كذلك

الجراد

والجراد بهذه البلاد اكثر عليها ضررا من جميع هذه الحيوانات المتوحشة وذلك انه اذا جاء الشتاء وكان البرد هينا كثر الجراد بارض العرب وجاء افاطيع افاطيع الى بر الشام فتنسف الزروع واوراق الاشجار عقب ذلك ويكون هذا سبب قحط الشام فى اغلب الاحوال فاذا حل بهم هذا دعوا الله تعالى أن يرزقهم بطير السمرمر ويسلطه على الجراد فيأكله اوبريح الجنوب الشرقى ليطرده جهة البحر ومن الجراد نوع يكون لحمه غذاء وقوتا لا رديئا ولا طيبا

امم الساكنة بالشام

ثم ان بلاد الشام اخذها عدة مرات بالمناوبة العجم والروم والعرب والافرنج والعثمانية فلهذا حصل اختلاط اهلها بالعرب وامتزج دمهم بدمهم وتناسلوا بينهم حتى صاروا جنسا غير خالص وصار اهلها الحقيقيون قليلين جدا وارباب المناصب المدنية والعسكرية هم الاتراك دون غيرهم وبها كثير من العرب استوطنوا وفلحوا الارض وبها ايضا عرب البوادى الرحالة المتنقلون خصوصا فى ايالة دمشق وبارض حلب كثير من الاكراد والتركمان الرحالة النزالة ومن امم الشام الدروز والمتاولة والنصارية والموارنة وسيأتى ذكرها

لغات

واصل لسان اهل الشام السريانى القديم ولا يعرف الآن الا فى بعض اقاليم صغيرة لاسيما حوالى دمشق وفى جبل لبنان ومع ذلك ممن يعرفه فى بلاد الجزيرة واورفا وحران يحسن التكلم به عمن يعرفه فى بلاد الشام واما اللسان العربى فهو المتداول فى الامصار والارياف واما لغة النبيط فهى لغة مركبة من السريانية والكلدانية حرفها نبيط الآن وتداولوها والنبيط هم فلاحو هذه البلاد

اديان

ومن الملل النصرانية التى لا تتعرض دولة الاسلام لمن يتعبد عليها دين الشوام التابعين للملة اليونانية واهلها هم اكثر باقى ملل النصارى بهذه البلاد ثم الملة المقلبة الملكية وتسميتها بذلك تذكر قبيح سياسات ملوك بوزنطيا التى هى القسطنطينية فان ملوكها كانوا يدخلون انفسهم مع القسوس فى المحاورات والمرآء فى الديانات ومن الملل كذلك ملة اليعقوبية ومقلدوها ايضا كثيرون والموارنة تبع لبابة رومة ودينا الدروز والنصارية هما مركبان كما هو الظاهر من عقائد سريانية قديمة ومن احكام اسلامية واما المتاولة فانهم روافض ينتسبون الى الامام على رضى الله تعالى عنه ويبغضهم الاتراك بغضا شديدا ويضاف الى هذه العبادات الشنعانة ويسمون البوهيمية وهم الغجر واما عرب البوادى فانهم وان صح ان لهم دينا يتمسكون بعقائده فلا عبادة لهم اصلا وينضم الى ذلك ايضا الافرنج واليهود والارمن والنسطورية ويقال انه لا يوجد اقليم يجتمع فيه من الديانات مثل ما يجتمع ببلاد الشام فبها سائر العقائد الديانية فبها دين الاسلام سنية وشيعة وكذلك دين النصرانية بسائر شعبه وضلالاتها

حكم

ثم ان هذه الامم المجتمعة المختلفة الجنس والدين كانت محكومة باربعة باشات ولكن باشا حلب فى ايالته كثير من الطوائف السواحة من الاكراد والتركمان التى لا تمتثل اوامره فى غالب الاحيان واما باشا دمشق فانه يدفع لمشايخ العربان نقودا فى خرقة وتسمى صرة السلطان لانه يدفعها لهم باسم السلطان واما باشا طرابلس وباشا صيدا وهو باشا عكا فقد يقوم عليهما الموارنة والدروز وغيرهم ويهجمون على بلادهما ويتعبونهما خصوصا ان كان شيخ القبيلة او امير الدروز صاحب شهامة وشجاعة وتثبت وصبر فقد شوهد خروجهم عن الطاعة

امم مستقلة

واستقلالهم بالحرية وعدم تعلق ولاياتهم بالدولة العلية ولكن عاقبة امرهم الدخول فى الطاعة بطلب الامان او بالقهر والغلبة وبالجملة فلا زال تعب رعايا الشام باقيا على ما هو عليه وذلك لانه طالما ظلم الباشات الفلاحين واستولوا على اموالهم ظلما وتارة ينهب الفلاحين ايضا قطاع الطريق من العرب النهابة وارباب السفر مجبورون على اخذ قطاع الطريق معهم ليكونوا خفراء عليهم وبها تضعف الفنون والصنائع لقلة الاهل والمعارف والتجارة فيها عارضة للخسارات المسببة عن الظلم والجور ونهب القوافل فهى قاصرة مع ان هذه البلاد بحسن وضعها تستدعى حالة عظيمة للتجارة احسن مما هى عليه الآن فان تغيرت عن هذه الحالة المستوحشة صلح شأنها والا تيسر التغلب عليها بغزوة افرنجية تاخذها

بالسهولة من ايدى المستولين عليها ارباب الخشونة والتبربر

ولنبحث الآن عن اشهر الاماكن مبتدئين بالقسم الذى بجوار الفرات وهو ايالة حلب فنقول ان المدينة المسماة بهذا الاسم هى كما فى كتاب البوزنطينيا بزة القديمة وهى اعظم جميع مدن العثمانية باسيا سواء تأدب اهلها اوبعظمها اوكثرة امو الهاوغناها وظن بعضهم ان اهلها لايزيدون عن مائة وخمسين الف نفس ومبانيها من الحجر النحت كما ان طرقها السلطانية مبلطة به ايضا ومنظرها عجيب لما فيها من اشجار السرو المظلة الاوراق المباينة بالكلية لمناراتها البيضاء فما احسن اختلاط كل من اللونين بصاحبه وبها فبريقات القطن والحرير على حالة زاهية واليها تاتى القوافل العظيمة من بغداد والبصرة فتحمل اليها بضائع بلاد العجم والهند وبالجملة فمدينة حلب الشهباهى مايسميه المتأخرون تدمر ورياضها مزروعة بالعنب والزيتون كثيرة الحنطة ولكن العرب والتركمان ينهبون من الفلاحين ما كسبوه بعرق جبينهم وبمدينة حلب مرض غير خطر يسمى حب حلب والظاهر ان سببه مافى مياهها من يسير المرارة

وإذا اقلعنا فى نهر قويق الذى يتصل بمدينة حلب ولا جريان لمياهه وجدنا على جانب جبل طوروس المدينة العظيمة المسماة عنتاب اوعين طاب وبيوتها يصعد لها على درج فهى اشبه بسطوح يتوصل اليها بعد اجتياز طرق المدينة المسقوفة بالزجاج وفى سائر هذه الكورة الكثيرة التفاح العظيم والعنب الجيد لسان الترك هو المتكلم به دون غيره وفى مدينة بير وهى مدينة صغيرة مرور نهر الفرات وعلى جنوب مدينة بير آثار عظيمة من مدينة هيروبوليس وهى معروفة الآن باسم سريانى قديم كان لها فى قديم الزمان وهو اسم مابوج وتقول العرب منبجة وجدرانها ايضا قائمة على ساقها تشهد بان هذه المدينة كانت فى قديم الزمان عظيمة وكانت دار عبادة اسطرطه (اى الزهرة)

والصحراء الممتدة الآن من منبجة الى تدمر سليمان كانت سابقا محروثة متعهدة الزرع فهى الاقليم المسمى خالو بونطيس وكان بندره مدينة تسمى خالوبون والظاهر انها غير مدينة حلب وان قال بعضهم انها هى

واما مدينة انطاكية الجليلة التى كانت فى سالف الزمان اعظم من مدينة رومة وان كانت تهدمت عدة مرات وهدمها آخر مرة المماليك فى سنة ١٢٦٩ من الميلاد فليست الآن الا قرية كثيرة البساتين معروفة باسم انطاكية واما مينا اسكندرونة المطروقة للافرنج فهى ذات قطر يكاد يكون مهلكا لرداءته وحماها شهير فى سائر بلاد الشرق وقد كانوا سابقا يرسلونه منها بالبطائق ليوصل الاخبار بالسرعة الى حلب حيث ان اسكندرونة انها كالمينا والجبال المتوسطة بين اسكندرونة وحلب كثيرة القرى والضياع ففى قريتى قسفين ومارطوان يشتد كرم النساء حتى انهم يتكرمون بما لا يليق ذكره كما كان يفعله نساء اهل بابل فى الاعصر الخالية والظاهر ان مثل هذا الفجور المأذون فى تلك البلاد هو بقية من العبادات القديمة الاسيانية وبجبل قسيوس تعبق روائح الياسمين الاصفر والابيض وفى هذا الجبل على بعد نوعان من شجر العرعر المسمى الكوكلان يعظم ارتفاعهما حتى يساوى ارتفاع السرو واشجار التنوب واللاديس والبلوط والبقس والغار والاشجار الشبيهة بالسرو وتسمى الاثف واشجار الآس كل هذه الاشجار تغطى فى جميع ارجاء هذا الجبل خولة الصخرات

وإذا تتبعنا شطوط نهر العاصى وجدنا نموذج مدينتين كانتا فى التاريخ شهيرتين وهما مدينة افامة المسماة الآن افامية وحمص التى كانت سابقا تسمى ايمصا وقد كانوا سابقا يعبدون بهذه المدينة حجرا اسود فى هيكل شهير لم يبق منه رسم ولا طلل ومدينة حماه رجعت لها اهميتها القديمة وعظمها كما كانت فى زمن العبرانيين ومن هذه المدينة التجارية نشأ الامير عماد الدين اسماعيل ابو الفدا وكان اميرا عالما بالجغرافيا وقد بالغ فى مدح خصب البلاد المسقية بنهر العاصى وسعة خيرها وزروعها

ومن حماه اومن افامية وهو الاحسن فى التعبير طريق قديمة رومانية توصل الى مدينة بلموره وهى تدمر سليمان التى كانت دار اقامة زنوبية الشهيرة فى كتب التاريخ وهذه المدينة القديمة فى ٦٩ فرسخا على الجنوب الشرقى من حلب وفى مثل هذه المسافة من شمال شرقى دمشق فى اقليم صغير يحيط به الصحارى من كل جانب بل هو نفسه صحراء فاذا قدم المسافر من هذا الاقليم وجد دفعة واحدة باحة عظيمة من الردوم والرسوم والاطلال ومن سائر نواحيه اقواس وقباب وهياكل وايوانات وبه صف اعمدة يظهر انه كان طوله اربعة آلاف قدم متصلة بصورة من نحاس عظيمة ومع طول الزمن فقد ابقى بعض الاروقة والمبانى التى بين الاعمدة والخرجات والمسامة هذه الاشياء

ايالة حلب
حلب الشهبا

آثار هيروبوليس

انطاكية

مراسلات الحمام
عادة خبيثة

افامية حماة الخ

تدمر

فى نظم بناءها تساوى جودة المواد المبنية بها فانظر الى هذه الآثار الغريبة والرسوم العجيبة بجانب العشش الحقيرة وخصوص العرب المستوحشة الفقيرة التى هى الآن مقصور عليها سكنى هذه المدينة التى كانت فى قديم الزمان تفتخر بانها مماثلة فى الجلالة والبهجة السنية لمدينة رومية

ياليتا طرابلس عكا السواحل البحرية

وبعد ذكر الاجزاء الشامية المجاورة لنهرى الفرات والعاصى وجب علينا أن نرجع الى ساحل البحر لتخطيط ايالتى طرابلس وعكا وهما عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان فينكيا وعن جزء من الاقليم الذى كان يسمى قلصوريا وعن اقسام اخرى صغيرة قديمة والحر الرطب الذى يجعل قطر هذا الساحل خطرا على الافرنج هو الذى بها يعد عدة نباتات مخضرة عظيمة وبسفوح الجبال التى تخرج منها فروع مختلفة المناظر تجد اشجار البرتقان والليمون والرمان مجتمعة حزما حزما وباقات باقات ومع قلة الزرع والنباتات بهذا الاقليم فهو بقعة ظريفة فى غاية اللطافة والعظم ومن مدنه مدينة اللاذقية وبشمال اللاطقية وكانت تسمى عند الرومانيين لاذيقة البحر وهى الآن ايضا مدينة شهيرة بعظم تجارتها ينقل منها الدخان وكانت هذه المدينة قد تهدمت بالكلية وخربت فأقامها اغاه من اغوات الاتراك وهذا امر عجيب لان هذه المدينة كانت عمارتها على يد من يخربون المدن فى اكثر الاحيان وجزيرة رواد كانت سابقا بها مدينة ارادوس وكانت بيوتها مثل بيوت الافرنج ذات خمسة ادوار اوستة وكانت كثيرة الاهل لان بها العدل والتجارة فلذلك كان يهرع اليها الناس بكثرة والآن هذه الجزيرة خربة بالمرة ليس بها آثار اصلا بل لا وجود بها الآن لآثار عين ماء عذب وجدها الارادوسيون فى وسط البحر على ما حكاه ارباب الاخبار ومدينة طرابلس التى كانت

طرابلس

تسمى طريبولى وهى مدينة كثيرة التجارة وان كانت ميناها لا ترتاح عليها السفن ولا تأمن فيها كسائر مينات هذا الساحل ينقل منها الحرير والقطن والرمان والمصطكى والموازنة ميفتسان وهما مدينتا بطرون وجبايل وهذه المدينة هى بوبلوس القديمة وعلى القرب من هذه المدينة يجرى نهر ابراهيم باشا الذى كان يسمى آدونيس وليس سبب حمرة مائه من دم

نهر آدونيس

عاشق الزهرة وهى صنمة الجمال عند اليونان بل سببه الطين الشديد المحمر الذى تحمله فيه فى ايام من السنة ومدينة بيروطوس القديمة هى الآن مدينة بيروت وهى مدخل قطر بلاد الدروز وحريرهم وبها يشاهد آثار قصر ظريف بناه امير شهير يسمى فخر الدين ويحدق بهذه المدينة اشجار ظريفة من التوت وهى ذات قطر طيب

صيدا

والمدينة التى كانت تسمى سابقا صيدون وكانت ام جميع مدن الصوريين هى الآن تسمى صيدا وهى مدينة تجارة وليس اهلها الا سبعة آلاف او ثمانية وهى اعظم ابواب دمشق وميناء صيدا مثل سائر مينات هذه السواحل مصطنعة بالصناعة العظيمة وبمصاريف جسيمة وبصف الحجارة المستطيل وهذه الاشغال التى كانت موجودة فى زمن القياصرة المتأخرة قد اهملت الآن وهجرت والمينا ردمت ولما كان الامير فخر الدين يخاف من زيارات سفن

صور

الترك ومجيئهم بسواحل البلاد الشامية كمل تخريب المينات الشهيرة ببلاد الصوريين وقد اصاب مدينة صور مصيبة اعظم من هذه المصائب التى كانت مستولية على البحار وكانت منبع تمدن بلاد الدنيا وذلك ان ما كان فيها من القصور صار الآن بدله عشش وخصوص حقيرة وصياد والسمك يبيتون فى المخادع المقبوة التى كانت سابقا مشتملة على خزائن اموال الدنيا وفى وسط الانقاض والردوم عمود قائم يدل على المكان الذى كان به خورس الكنيسة الكبيرة التى كانت لعبادة اوسيبس وخورس الكنيسة صدرها كالدكة للجامع واما اوسيبس فهو صنم الصوريين ومع انه جرت العادة بان البحر يفنى على ممر الايام اعمال البشر وتدبير صناعاتهم فقد احترم رصيف صور ولم يتعد عليه ولا جار بل وسعه وقلبه برزخا ولسانا فى البحر بعد أن كان مجرد حجارة مرصوصة جمع اسكندر بها جزيرة صور بالبر

عكا

واما مدينة عكا الشهيرة المسماة عند الافرنج مدينة سنت جوان داكرة اى مدينة مارى يوحنا الاكرى واشتهرت عندهم بهذا الاسم فى تاريخ حرب اهل الصليب فى قديم الزمان مع ملوك مصر والشام لحماية بيت المقدس والذب عنه وكانت مشهورة فى الاعصر الخالية والاحقاب الماضية المتقاصية باسم بطلمايس فكانت فى اثناء القرن الثامن عشر من الميلاد محلا يكاد يكون خربا خاليا عن الاهل والسكان فعمرها الشيخ الظاهر وهو امير من امراء العربان خرج على الدولة العلية واعاد الى تلك المدينة التجارة والملاحة وكان هذا الشيخ اميرا صاحب همة حاكما على جميع الاقليم الذى كان يسمى سابقا جليلة وتسمى بلاد البشرى فتبعه الباشا الجزار الشهير بالظلم والجور فحصن الجزار مدينة عكا وبنى بها مسجدا عظيما ذا اعمدة من رخام عظيم قديم اخذه هذا الباشا من سائر المدن القريبة من عكا وميناء عكا التى قد خربت الآن وردمت كانت من احسن مينات هذا الساحل (حاصرها الفرنساوية سنة ١٢١٤ من الهجرة بلا طائل وحاصرها عسكر مصر صاحب النصر فظفر بها واولى اليها)

ولنترك هذه البرور المحرقة ونشرع فى تخطيط البلاد الجبلية المشرفة فوقها وهى البقاع الممتدة من انطاكية

الى

بلاد النصارية

الى النهر المسمى بالنهر الكبير المسكونة بقبائل النصارية ويقال لهم الانصارية وهم على ما يقوله الافرنج العارفون باللغات المشرقية والتواريخ الاسلامية فرقة من الاسلام خارجة عن سنة سيد الانام نبعوا فى القرن السابع من الميلاد شخصا يقال له نصار ولكن عبارة بلنباس تقتضى كما فهمه منرط انهم فرقة قديمة سريانية كانت موجودة فى زمن الرومانيين وكان لها شيخ خاص بها يلقب البطريق وهو اميرها وفى هذا الاقليم وجد الافرنج حين حربهم القديم بتلك الجهة الطائفة الشهيرة باسم الحشاشين الذين كان حاكمهم هو شيخ الجبل وكان اميرا عظيم السطوة له محبة عظيمة فى قلوب اتباعه وكانت كلمته نافذة فيهم لا يسألون عن حكمة ما يأمرهم به بل يذهبون لقتل من يأمر بقتله من الناس بل ربما كان يبعثهم لاعظم الكراسى والملوك ولا يبالى ويوعدهم انهم اذا ماتوا فى هذا الجهاد فازوا فى جنان الخلد بالحور العين وقد بال بركارد وهو مؤلف كتاب فى مسالك الارض المقدسة بلاد الحشاشين وكان ذلك فى القرن الثالث عشر من الميلاد فوجدها خصبة خصبا عظيما ومتعهدة بالزراعة احسن تعهد وقد وقع اضطراب عظيم فى تفسير لفظ حشاشين المذكور فى كتب التواريخ ولم يظفروا بمعنى لائق ولا اطلاق فائق وانما يخطر ببالنا ان الاولى أن يعتمد على ما ظنه صاحب المعارف المغربية والمشرقية الخواجة دساسى ان الحشاشين جمع حشاش وهو المتعاطى للحشيشة وهى نبات مخدر مغيب فسميت بهذا الاسم قبيلة لاتصافها بتعاطى هذه الحشيشة التى ابيحت لها لتهييج شجاعتها وقوتها فشيخ الجبل انما هو شيخ من مشايخ العرب وذلك لان لفظ شيخ يطلق بالاشتراك على من طعن سنه ومن عظم قدره بل الى الآن ليس من المستحيل على امير من امراء العرب أن يعطى السلاح لاحد من اتباعه ارباب الحمية والحماقة ليسفك به دم ملك من الملوك فى ديوانه لاخذ ثاردم فان اخذ الثار كما هو الظاهر متوارث عند العرب كابرا عن كابر هذا ما يظهر فى شأن امور الحشاشين واصله ما ذكرنا والتخيلات تولد عنها الباقى

تخطيط جبل لبنان

وبعد بلاد النصارية يظهر جبل لبنان كأن رؤوسه ناطح الغيوم ارتفاعا وهو مستظل باشجار الارز ومزين بكثير من النباتات الغريبة النادرة الوجود فى غيره وذلك لان النبات المسمى عند العقاقيرية انثوليس طراغاقنطويدس يعرش فيه بازهاره الارجوانية وكذلك قرنفل لبنان وقطيفة العروس الشبيهة بالنعل الموجودة بالجبال * والزنبق الابيض والاصفر تجد لالوانها بهجة وزهو بجانب خضرة البرقوق الدابلة حتى ان الثلوج تحدق بها على حافاتها نبات ظريف يسمى السيرنسوموم الفريجيدوم وهذا الجبل العظيم الشأمى ليست اجزاؤه كثيرة الاختلاف والتغير بمعنى ان صخوره ليست مركبة من اجزاء عديدة متنوعة وذلك لان كتلته انما هى حجر كلسى سجابى اللون وفى اوديته يظهر الطين الفخارى الموضوع على هيئة الصفائح بعضه طبقات فوق بعض وكذلك الترابية (وهى نوع من الصخر ينكسر الى قطع مكعبة متوازية الاضلاع) وحجر البلاط المتفسد وقد تجد ايضا بهذه الاودية بودينغات (وهو نوع من الصدف مخروطى الشكل) وكثيرا ما تشاهد قنغلوميراط كلسية (وهو نوع من الحجارة) وقد وجد واقطعة من الكهرباء الاصفر فى وسط صخر كلسى صلد واما زبد البورق وهو ملح البارود فيوجد فيه بكثرة ويوجد به ايضا الشب والراج لكن لا بكثرة كملح البارود وليس به غير معدن الحديد * وسيلات هذا الجبل العميقة محددة بكثير من المياه الجارية الخارجة من كل جهة مع غاية الكثرة * والثلوج غامرة دائما للاودية الشديدة الارتفاع كما شاهد ذلك السواحون مثل اورويش و باكوك فانهما عاينا ذلك فى شهر يونية ورأى ذلك راؤلف و كرطة فى شهر اغسطس ورآها القسيس كوش وظليبوش فى بعض الاماكن فى شهر اقطوبر ولكن لم تظهر الى الآن صحة ما قيل من ان بهذه الاودية رؤوسا عليها طيلسان من الثلوج * واودية هذا الجبل بها دائما خضرة مستمرة وسبب ذلك الماء والطراوة وجودة الارض ولكن اى منفعة للعطايا الالهية والهدايا الربانية حيث لم يصحبها عدل ولا حرية ولا حماية لاشغال اهلها وكدهم وتعبهم فان جبال لبنان لها حرية ازيد مما لغيرها من اهل الشام فلذلك اصطنع اهلها جدرانهم المرتفعة سطوحا وتعهدوا اراضيهم الخصبة بالزراعة وكذلك عنيهم المغروس بالاحكام والاتقان ورياضهم ومروجهم المخدومة بالحرث وكذلك ما عندهم من رياض القطن والزيتون والتوت فانهم يزرعون هذا فى سائر الجهات وفى الاماكن الصعبة المرتقى فهذا كله يدلنا على ان الانسان يصلح لعمل شئ كثير ويتأهل لتدبير معايشه على حسب همته فان العنب هنالك يظهر عناقيد عجيبة الضخامة والمقدار وكل عنبة منها تبلغ قدر البرقوقة واغلب حيوانات هذا الجبل المعز وحيوان السنجاب والجمل والسلاحف وتصطاد القسور والنمور وهذه الحيوانات وهذه النمور هى فى الحقيقة ليست النمور المعتادة وانما هى نوع يسمى البنثرة او البيرة وهم يخلطونه مع النمر فلا يفرقون بينهما

خصب وتولدات

وهذه البلاد لا يمكن أن يصل اليها عساكر العثمانية وانما تصلها حيل باشواتهم وهى مسكونة بطائفتين مختلفتين فى الاديان والاخلاق والآداب وانما يحملهم ميلهم الى الحرية والاستقلال على الاجتماع والتألف وهما الموارنة

والدروز

بلاد الموارنة كسروان — وبلاد الموارنة تسمى كسروان وقد حرف هذا الاسم افرنج الصليب فقالوا كستروان وتداولوه فيما بينهم وتمتد هذه البلاد من النهر الكبير الى نهر الكلب واهل الموارنة نحو ١٢٠٠٠٠ يعيشون فى قرى وضياع ولهم بطرق مقيم فى دير قنوبين وهو قرية يتخذونها كالبندر لهم * وتخرج حنطتهم ونبيذهم وقطنهم الى البلاد القريبة من طريق طرابلس وجبيلة وهم منقسمون الى رعية ومشايخ اى اعيان البلاد وكلهم يتخذون الزراعة صناعتهم ويخدمونها بايديهم وهم جميعا ارباب قناعة يعيشون عيشة طيبة بين عشائرهم واهالى بيوتهم * ونساؤهم ذوات عفة ولهم مقاعد خشنية يتلقون فيها الضيوف من النصارى ومن نزل عندهم من هذا الجنس لاشك فى الترحيب به

عبادة النصرانية — وعبادة دين النصرانية بهذه البقعة فى غاية من الحرية والسراح كما يدل على ذلك دق النواقيس فى اوقات التقديس والاحتفالات للعبادات فى جميع الطرقات وبها نحو مائتى دير يتمسك اهلها بدين مارانطون غاية التمسك وكثير من عبادهم ورهبانهم يسكنون المغارات والكهوف ومع ان هذه الفرقة تابعة دين بابة رومة وتاركة ملة ماوون مؤسس اصل معتقدهم فعندهم الآن من جملة احكام دينهم زواج القسيسين وعندهم حمية دينية كالحمية التى كانت عند النصارى فى الزمن السابق * ومن بدعهم التى تدل على جهلهم انهم يعظمون غابة من الارز يزعمون انه اخذ من اخشابها المسجد سيدنا سليمان (عليه السلام) وهو المسجد الاقصى ولم يبق منها الا نحو عشرين شجرة كبيرة والظاهر ان هذه البقية من الجنس القديم آيلة الى الزوال وفى كل سنة يوم عيد التجلى يجتمع فى هذه الاشجار الاروام والارمن والموارنة ويقدسون على محراب من احجار غشيمة مرفوعة فى سيقان هذه الاشجار المباركة على معتقدهم

بلاد الدروز — واما الدروز فعددهم ايضا ١٢٠٠٠٠ نفس وهم على الجنوب من الموارنة واقليمهم منقسم الى عدة اخطاط مختلفة التربة والتولدات فمنها ارض تسمى ارض المتنة وهى خط الشمال وفى صخورها معادن الحديد الجيدة ثم خط الغرب وهو كثير غابات الصنوبر ثم خط السهل المجاور للبحر وهو كثير التوت والعنب ثم خط الشوف او الخوف وهو الخط الوسط ويخرج به الحرير الجيد ثم خط التفاح وهو خط الجنوب وخط الشحيف وفيه احسن الدخان وآخرها هو خط الجرد وهو ارض مرتفعة باردة ترعى بها الرعاة دوابهم ويقيمون بها وقت القيظ ومن قرى بلادهم

دين الدروز — دير القمر وهى قرية كبيرة رديئة البناء فى خط الشوف او الخوف هى مقام امير الدروز ثم ان الدين هو الحصن بين هذه الطائفة وباقى طوائف الشوام وقد مكثت الدروز زمنا طويلا وهى مجهولة لاهل اوروبا حيث انها لا تفارق اصلا مشايخ دينها الملقبين عقلا وهى الآن معروفة بما شاع واشتهر من كتب ديانتها العديدة المؤلفة باللغة العربية ولكن عباراتها غير نيرة ومعانيها خفية على من لم يكن من اهلها فتعتقد الدروز صفة الوحدانية للمولى جل وعلا لكنهم يعتقدون انه تعالى عما يقولون أرى ذاته لعباده آخر مرة فى صورة الحاكم بامر الله ملك مصر سنة ١٠٣٠ من الميلاد الموافق تقريبا لسنة ٤٣٢ من الهجرة ويعتقدون جميع العقائد الاخرى راجعة الى معتقدهم وآيلة اليه فلهذا يرون جميع الاديان سواء غير ان من خالطهم من النصارى شاهد منهم انهم فى الباطن اعداء لدين الاسلام ولهم اعتقادات اخرى من اعتقادات بعض الفلاسفة الاقدمين كالقول بتناسخ الارواح وتعظيم العجل وهذه العقائد التى توافق دين السامرية القديم وبعض مذاهب من دين اليهود تؤيد الظن الغالب الذى له مقويات ودلائل تعضده

اصل الدروز — وهو ان اجتماع الدروز بهذا الاجتماع السياسى قديم سابق على وجود الحاكم بامر الله وعلى وجود حمزة رئيس دينهم ومما يؤيد هذا ايضا تأييدا قويا العبارات المذكورة فى كتب العبرانيين المتكلمة على امة تسمى فى قديم الزمان ايطوريس وكذلك العبارات التى مدح فيها اليونان والرومانيون امة متعاصية تسمى ايطورية صاحبة جبل لبنان من بيروت الى دمشق وكذلك شهادة سواح افرنجى من المتأخرين حقق ان اسم الدروز الحقيقى هو دورزية او تورزية فيكون على ذلك قدماء ايطورية او الايطوريس او الترزية مكثوا دائما على حريتهم واستقلالهم فى مدة الفتن والتقلبات التى حصلت ببلاد الشام ولم يفدها مذهب الحاكم فى محبة الحرية

اداب واحكام — الا حماسا جديدا او غيرة حادثة واجتماعا كان سابقا حاصلا واياما كان هذا الظن فى اصل الدروز فان هذه الامة وان كانت قليلة العدد فهى دون غيرها من بلاد الاتراك صاحبة مروءة خاصة بها * وذلك ان هذه الامة جمهورية صعبة الاخلاق فلهذا كانت تخشى سطوتها من حيث انها عاصية ومحترمة عند من جاورها من الباشوات من حيث انها تابعة حرة تدفع الميرى للسلطان ولكنها محكومة بامير يتولى عليهم ومنصبه متوارث فى ابنائه وعندهم عدة عشائر وبيوت لهم معافاة ومزايا خاصة بهم ولكن معيشتهم مبنية على عدم الزينة فلهذا يجمعهم ائتناس واحد وتربطهم لحمة واحدة تقرب بعضهم من بعض ولما كانوا دائما آمنين فى جبالهم من أن يهزمهم احد اصلا كانوا يجهلون صناعة الحرب

فى السهول

فى السهول وهم شجعان لا يخونون اصلا ولا يغدرون بمن جار عليه الدهر واستجار بهم واحتمى بجوارهم غير انهم ينتقمون من الدم بالدم اى يأخذون الثار وقد شوهد ان الغدارية وهم احزاب اميرهم الذين يشبهون قدماء الحشاشين ضربوا اعدقهم على رؤوس الاشهاد وسط المدن الكثيرة الاهل * وغيرة الدروز على نسائهم عجيبة فان نساءهم براقع ساترة لوجوههم عن نظر الاجانب ويقال ان نساءهم حسان القدود ربات عفة مثل نساء قدماء لقدمونة ولا يحسن أن تمدح المرأة لزوجها فان ذلك يغضبه بل اذا امدح انسان اجنبى المرأة عند زوجها وبالغ فى ذلك فان هذا ربما ترتب عليه تلف المرأة وقتلها وانما عادة الدروز المسامرة على الزراعة والسياسة وامور الدول فيجتمعون قدام اخصاصهم ويتحادثون فى هذا الشأن واولادهم يسمعون ولا يشاركون آباءهم فى الكلام بل يلزمون الصمت فى هذه المجالس ولا يعرفون القراءة والكتابة فيشغلون اوقاتهم فى الرياضات الحربية والتمرينات العسكرية

المتاولة

واما المتاولة الذين اول من تكلم عليهم فى كتب الافرنج هو ارويوش فانهم ساكنون فى الوادى العظيم الذى يفصل سلسلتى الجبل الاصليتين التى يسمى المتأخرون السلسلة القريبة منهما الشرق باسم انطى لبنان وهم من قدماء الشاميين لكنهم نسبوا انفسهم لعلى كرم الله وجهه * يقال انهم يعظمون عليا جدا حتى انهم يعبدونه كاله وهم محكومون مثل الدروز الذين هم اعداؤهم دائما بمشايخ وامراء وتخشى الاتراك سطوتهم وفرسانهم معدودة من الابطال الذين لا تخطر لهم الغلبة على بال ولكنهم دائما يتنازع بعضهم بعضا فلهذا ضعفت دولتهم * وفى اقليمهم مدينة بعلبك واهلها ٥٠٠٠ وهى فى آثار مدينة هليوبوليس كأنها مدفونة فى هذه البقايا ويشاهد بهذه الآثار

آثار مدينة هليوبوليس

ايوان هيكل الشمس ولكنه تغير عن اصله ببرجين بناهما الاتراك ومع ذلك فهو ذو جلالة وحسن تقصر عنه العبارة وبقرب بعلبك مقطع حجر وهو الذى اخذ منه لبناء ذلك الهيكل ولم يزل الى الآن بداخل المقطع حجر طوله سبعون قدما وعرضه اربعة عشر قدما وثخنه اربعة عشر قدما وخمسة اصابع وهذا الحجر مشبول الى الآن بالمقطع لم ينفصل عنه فكيف عظم هذا الهيكل الذى يستعمل فيه هذه الاحجار العاتية

مدينة دمشق

وفى السفح الشرقى من جبل لبنان عدة غدران وجداول تسقى الرياض العظيمة الخصب التى ترتفع فيها مدينة دمشق التى هى مدينة قديمة كان الرومانيون يسمونها دمشقوس ويسميها الافرنج دماس وقد كانت شهيرة بما كان فيها من فبريقات السيوف والظاهر ان هذه السيوف كانت تصطنع من صفائح دقيقة مستطيلة تصب على التعاقب من الحديد والفولاذ ولهذا كانت لينة مرنة بحيث ان السيف ينثنى الى مقبضه ومع ذلك يقطع فى اصلب الاجسام وسر هذه الصناعة الآن قد ذهب وقد اخذ تيمورلنك الصنائعية من دمشق وذهب بهم الى بلاد العجم ومع ذلك فصناعتها دون صناعة دمشق فى الجودة وبدمشق فبريقات يخرج منها الصابون العظيم والاقمشة القطنية التى هى قطن مخلوط بحرير ويشتغل بها خشب الابنوس فيصطنع منه مواد صغيرة مزينة بالعاج والصدف واللؤلؤ وهو مما يتعجب منه اهالى اوروبا ومما يزيد هذه المدينة عمارة التجارة والركب الشامى الذى يسافر الى الحج والطريق العظيم الذى يشق المدينة به صفان من الحوانيت بهما بضائع الهند تسطع بجانب بضائع اوروبا واهلها نحو ١٠٠٠٠٠ والبيوت المعتادة فى دمشق ذات منظر خالص عن الزينة من الخارج ولكنه من

زينة اهل دمشق

الداخل له رونق وبهجة عظيمة وهو على غاية ما يمكن من اللطف والرفاهية الكاملة وذلك لانك تمشى فيه على الرخام وتجد رونق المرمر الابيض والتذهيب من كل ناحية وكل بيت كبير به عدة فساقى تلعب مياهها فى حوضاتها الظريفة واقل البيوت له ثلاثة مجار توصل اليه المياه احدها فى المطبخ والثانى فى الحديقة والثالث لتنظيف القاذورات وكذلك المساجد والكنائس والقهاوى بهذه المدينة فيها نظير هذه الزينة فى قهوة يقال لها قهوة الخان وردى اى قهوة اشجار الورد

حوالى دمشق

وهى من اغرب قهاوى بلاد الشرق وحوالى هذه المدينة نهر بردى وغيره من الانهر الصغيرة التى تسقى هذه المزارع وتمدها دائما بالخضرة المستمرة فى كل فصل من فصول السنة وتسقى ايضا عدة بساتين وبيوت فى الخلا للتنزه * ووادى دمشق المسمى غوطة دمشق هو على ما قاله ابو الفدا احدى جنات الدنيا الاربع ومن العجائب ان الاماكن الظريفة يسكنها شرار الناس فان الدمشقيين يتهمهم النصارى بانهم ارباب حمية ومغالاة فى الدين ويتهمهم المسلمون

طبع الاهالى

بانهم ارباب خداع ومكر ومن الالفاظ المتداولة المتعلقة بسكان المدن الثلاثة الكبيرة القريبة من بلاد العرب الشامى شومى والحلبى جلبى والمصرى حرامى ولكن بعض السواحين المتأخرين لم يسلم هذا خصوصا بالنسبة لما يتعلق باهالى دمشق وان كانت مسلمة عند العامة

تحرير فلسطين

وقد بقى علينا أن ننظر الى حال بلاد فلسطين القديمة مع الاقاليم الصغيرة التى كانت فى غالب الاحيان حرابها فنقول فى جنوب دمشق يمتد اقليمان كانا يسميان عند الاقدمين اورانيطيس وغولانيطيس ويسميان الآن حوران

بلاد خولان وحوران

وخولان اوشولان وهما متكونتان فى اغلب اجزائهما من سهل واسع عظيم ممتد جهة الشمال بجبل هرمون الاقدمين المسمى الآن جبل الشيخ ومن جهة الجنوب الغربى بجبل اجهلون ومن جهة الشرق بجبل حوران وليس بهذه الاراضى نهر مبتق ماؤه مدة الصيف وليس به الاسيول تسمى عندهم مياه الوادى ولغالب القرى بطيحات ماء كل قرية لها بركتها فتمتلئ هذه البطيحات من الوادى مدة فصل المطر واشهر مزارع الحنطة ببلاد الشام بقعة حوران فانها تبهج فيها زراعته ومنظر هذا الزرع فيها حسن فان الهواء اذا موج فيها عيدان الحنطة رأيت كأن هذا السهل المتسع الارجاء بحر من خضرة تموجه وبهذا السهل تلال متفرقة منتشرة كل تل منها عليه قرية عامرة اوخالية وهذه التلال والاحجار التى توجد فى انحلاء والاحجار المبنى بها وجبال حوران بتمامها كل هذا من احجار البزلطة

احجار البزلطة

اوالبسلطة وهى صنف من اسود الرخام وسائر البيوت مبنية من هذا الحجر فلهذا كان منظرها مظلما غيرمفرح بل ابوابهم من هذه المادة ولم تزل مدينة بسطرا التى كانت فى الاعصر الخالية قاعدة بلاد العرب الرومانية فى القرن الثالث من الميلاد حافظة لاسمها الا انها تهدمت وبقيت آثارها

بوطين طرغودية

وخط بوطين الذى كان يسمى سابقا بطانيا ليست جباله الا كلسية فتجد به مغارات واسعة محفورة فى الصخور يسكنها عشائر رعاة العرب على عادة الطائفة القديمة التى كانت تسمى الطرغلودية فتأتى اليهم اقاطيع المعز وحدها ليحتلبوها ويتغذوا بالبانها وفى الليل يوقدون جذع شجرة غليظا يتدفئون به ويستضيئون وفى هذه الجهة استكشف

آثار جرسا

بعض السواحين المتأخرين آثار مدينة جرسا ورسومها العظيمة وتسمى الآن جراش ففى هذه الآثار تجد هيا كل عظيمة ومقاعد ظريفة ونحو مائة من الاعمدة قائمة على سوقها الى الآن وكل هذا يدل على عظم الرومانيين وشدة همتهم وقوتهم وهذا الاستكشاف يؤيد رأى منرط ان محل جرسا متوغل فى الجنوب اكثر مما ظنه الحكيم دنويل وجبل بجلون الذى كان يسمى قديما جلياد يخرج به بلوط العفص واهل بلدة الزلط اواسزلط التى هى قاعدة

اقليم البلقا

اقليم البلقا الذى كان يسمى سابقا اقليم پريا ليسوا تحت طاعة احد وعلى ربوات ارضها تجد الكرم والزيتون والرمان مختلطة متقننة ومدينة كرك موآب وهى مدينة اقليم كان فى سالف الزمان بلاد الموابيطيس هى غير مدينة اخرى تسمى الكرك فى بلاد الحجاز فهذه هى الاقاليم التى على شرقى نهر الاردن

بلاد صفد

وهذا النهر فى الجزء الاعلى من مجراه يفصل بلاد جليلة المسماة بلاد البشرى والتى هى اقليم خصب حسن المنظر من بلاد جولان والآن بلاد البشرى تسمى اقليم صفد اوصفت ومدينة صفد هى على مايقال مدينة باوليا القديمة التى كان حاصرها فيما سبق هلوفرن وهى على جبل فى سفحه يمتد من كل جهة باقات الآس وهناك قرية طبرية وهى بلدة رديئة فى محل مدينة كانت تسمى فى كتب القدماء طبرياس والبحيرة القريبة منها سميت باسمها

بحيرة ناصرة

لجامع المجاورة وتسمى ايضا بحيرة ناصرة وعلى شطوط هذه الحوضة النخيل والبرتقان والنبلة وفى هذه البركة كثير من الاسماك التى لاعدد لها تلعب فى وسطها من غير أن يتعرض لها صائد ولا يقصدها قاصد ومدينة ناصرة التى ولد فيها عيسى (عليه السلام) قرية متوسطة وعلى الجنوب من ناصرة بفرسخين يرتفع على سهل اسدرلون اهرام من الرياض فتجد الزيتون والجميز كالاكاليل لرأس هذه الاهرام وفيها يمتد سهل مغمور بالحنطة البرية وهذا

جبل طابور

الهرم هو جبل طابور وهذا ما كان يسمى عند القدماء اطابوريون وفى اعلى هذا الجبل الذى فى كتب النصارى انه حصل عليه تجلى عيسى (عليه السلام) يحوّل نظر الانسان على نهر الاردن وبحيرة طبرية والبحر الابيض الاوسط ولو كانت بلاد جليلة التى هى بلاد صفد مسكونة بامة ذات مهارة لكانت جنة من جنات الدنيا ففيها دوالى العنب قطر الدالية قدم اوقدمان والدوالى مع الفروع يحدث منها اروقة واسعة من الخضرة فعنقود العنب قد يكون طوله قدمين اوثلاثة فاذا انضم اليه الماء والخبز كان كافيا لعشاء اهل بيت ثم ان سهول اسدرلون وجميع الاقاليم الاخر ذات المراعى مسكونة بقبائل عرب وحول خيامهم السنجابية اللون تنبت الاغنام على نغم صوت مزامير الرعاة الذين يدخلونها بها حين دخول الليل

سمرية

واقليم سمرية القديم يشتمل على خطى آرته ونابلس ففى الخط الاول يوجد فى شمال غابة البلوط المسماة قديما سارونأس آثار قديمة من مدينة قيصارية وعلى جون عكا قرية حيفا وهى مرسى عظيم وفى الجنوب الغربى

جبل كرمل

من هذا الجون تمتد سلسلة جبال قرنتها شهيرة باسم جبل كرمل وهذا الاسم شهير فى كتب التواريخ الدينية يقال ان الياس (عليه السلام) اظهر عليه معجزة تحدى بها وكان مأوى كثير من النصارى الساكنين فى بيوت منحوتة فى الحجر فلهذا كان الجبل كله مشحونا بالمعابد والبساتين والآن ليس به الا ردوم متفرقة فى وسط غابات من البلوط والزيتون وخضرتها متقطعة بصخور بيضاء كلسية وبأعلى جبل كرمل هواء خالص حى طيب

الرائحة بخلاف داخل جليلة وسمرية فان الهواء قد يكون مظلما بالضباب اليابس

ومدينة نابلس كانت تسمى في عصر هردوط تيابوليس ولكن كانت مشهورة ايضا اكثر من ذلك باسمها الاولى القديم وهو سيشم وهي ذات دور لاحسن لظاهرها واهلها كثيرون بالنسبة لهذا الاقليم القليل الاهل فطوائف السمريطية وهم السمرية يعبدون الله مسمين له باسم ياهو ويقيمون في خضرة اعالي جبل غرزيم وقد نسوا لغتهم الاصلية وهي لغة من اللسان العبراني وعلى البعد من ذلك بفرسخين جهة الشمال تجد غيطانا تستر آثار سمريا والارض هنالك خصبة الحبوب والحرير والزيتون

السمرية

واقليم يهوذا الحقيقي هو الآن خط غزة وهي بلاد فلسطين القديمة وبلاد الخليل المسماة حبرون وبلاد القدس المسماة اورشليم وفي الخط المذكور مدينة غزة وهي بندر ومدينة يافا وهي مينا يافا وكانت تسمى في قديم الزمان يوبة وقد اختلف كلام ارباب الاسفار في تخطيط هذه المدينة ومنشأ الاختلاف ان المدينة المذكورة اختلفت احوالها فقد حصنت تارة وتم تدم حصنها تارة اخرى وهدمت وبنيت ثانيا وفي هذه المدينة يرسو حجاج بيت المقدس ولو كانت ارض يهوذا مزروعة كما ينبغي لكان ما يخرج منها من القطن لبلاد الافرنج له وقع عظيم وكثرة بالغة

بلاد يهوذا الحقيقية

وارضها مركبة من اجزاء سبخة ترتفع من يافا نحو جبال يهوذا ويتكون منها اربعة تلال فشطوط البحر متوجة بشجر المصطكا والنخيل والنوبل (وهو نوع من اشجار تين الهند) وعلى البعد من ذلك والذهاب الى اعلى تجد العنب والزيتون والجميز متعهدة ناجحة واما الاشجار التي تخرج من غير فعل فاعل فهي باقات البلوط الاخضر والسرو والاندراخنه (وهو نوع من القربيون) والبطم المسمى التربنتينة والارض مستورة بحصا اللبان الاخضر واللادن والطبرى المسمى بالياسمين البحرى وقد قال بطرس بلون ان نبات هذه الجبال مثل نباتات جبل ايدا الذى في جزيرة جبل كريد وحكى بعض سواحى الافرنج انه تظلل بشجرة ليمون تساوى في عظمها وارتفاعها شجرة بلوط غاب الافرنج بل من شجر الجميز ما شوهد ان الشجرة يستظل تحتها ثلاثون فارسا بخيولهم ونبيذ سنت جوان اى مارى يوحنا بقرب بيت لحم مشهور بالجودة وبقرب اريحا زيتون برى تطرح الشجرة منه ثمارا كثيرة جيدة الصفة وفي الاماكن المسقية بعد أن تعطى الارض الحنطة في شهر ماية يخرج منها ايضا في الخريف خضراوات بل قد يكون بها اشجار مثمرة واسقة للثمار والازهار معا في زمن واحد واشجار التوت المزروعة صفوفا في الخلاء مشبولة فيها اغصان العنب ولكن في وقت الحر يظهر ان هذه الزروع تذبل بل تموت وفي الجبال تكون في جميع الفصول متفرقة غير غزيرة وليس سبب هذا طبيعة الاقليم وحده بل يضاف الى ذلك حالة الخشونة التي عليها الآن اهل هذه البلاد فانك تشاهد الآن ما كان في قديم الزمان من بقايا الجدران التي كان اهلها القدماء يسندون بها الاراضي وآثار الصهاريج القديمة التي كانوا يخزنون فيها مياه الامطار وآثار الخلجان والترع التي كانوا يوزعون بها المياه في الخلاء فكانت هذه التعهدات كما هو الظاهر ينشأ عنها عظيم الخصب تحت حرارة الشمس حيث لا يلزم لها الا يسير الماء لاحياء النباتات وقد حكى القدماء خصب بلاد يهوذا كما نقل ذلك عنهم القسيس غينة فكان ما قيل من الاخبار مؤيدا بما يشاهد الآن من حالها قال بطرس بلون انها مثل جزائر الارخبيل فان المسافة التي يشاهد بها الآن نحو مائة نفس لا يجدون قوتهم الا بمشقة كانت سابقا تغذى ألوفا من الانفس قال موسى ان بلاد كنعان كان العسل واللبن يجريان كالماء والآن مواشي العرب لم تزل تجد فيها مراعي مغذية والنحل البرى يجمع في الصخور عسلا مطيبا يجرى بعض الاحيان من الصخور لامتلائها وقد نبه القدماء ايضا الاسيما العبرانيون على فحولة السلسلة الوسطى التي ببلاد يهوذا والصحارى التي تمتد في شرق هذه الجبال الى جهة بحيرة لوط فلم يشاهد بها القدماء ولا المتأخرون الا الحجارة والرمال والرماد وبعض اشجار شوكية وقد نبه بلون على هذا الاختلاف المشاهد بجانبي هذه السلسلة التي بتلك البلاد

تولدات

الخصب القديم

جبال

وقال بعض مشاهير المؤلفين ما نصه * اذا قربنا من وسط يهوذا وجدنا اجناب الجبال تأخذ في العرض كلما زاد القرب كأنها تأخذ في العظم والجدب ولا تزال كذلك حتى ان النباتات تذبل على التدريج كلما اشتد القرب وينتهي امرها انها تموت بل الطحلب يضمحل ويفقد بالكلية ويعوض عن قلة زهو الصخور وعن ذبول لونها الوان احمر وشدة حرارة تصل للاحراق وفي وسط هذه الجبال تجد بركة خالية مسدودة من جميع الجهات برؤوس صفراء وعرة صخرية وليس لهذه الرؤوس مرتقى الا في الشرق فاذا صعد عليها الانسان من هذه الجهة رأى مهواة بركة لوط والجبال البعيدة التي ببلاد العرب وفي وسط هذه المناظر الجرية في داخل سور تجد رد وما واتا ضا واسعة متراكمة ومستورة باشجار السرو

المتفرقة المنتشرة وبشجيرات الصبر والنوبل (تقدم تفسيره) وببعض مبان عربية خربة اشبه بمقابر مبيضة وهذه هى مدينة اورشليم ذات المنظر المحزن انتهت عبارة بلون فهذا التخطيط عجيب لمدينة القدس فى القرن الثالث من الميلاد وهو الى الآن ايضا يمكن تطبيقه عليها لكن لا برمته بل على وجه التقريب ومع ان اهل هذه المدينة من عشرين الفا الى ثلاثين على تخمين ارباب الاسفار تخمينا غير مبنى على التحقيق فليست الاخرابا يشبه السجن فى منظره ولا يصلح أن يكون سكنا ولكن الانصاف ان داخل المدينة اظرف والطف واجمل مما يدل عليه الظاهر وبهذه المدينة ثلاثة اديار للروم وان واليونان والارمن وهى اشبه بقلاع والمسجد المبنى فى محل مسجد سليمان (عليه السلام) يطل على رحبة عظيمة كالميدان مع البهجة والرونق ولا يمكن للنصارى القرب منه فضلا عن الدخول فيه وكنيسة سنت سبلقرس

مدينة القدس

اى مارى سبلقرس كان فى داخلها الطريف الغير المنتظم الشكل محل يعتقد النصارى ان المسيح صلب فيه وكذلك المغار الذى يعتقدون ان جسمه دفن فيه كان ايضا فى داخل هذه الكنيسة وعلى هذه الكنيسة خفير عثمانى يأخذ شيأ مقررا من كل من يدخل من زوارها الذين يريدون زيارة هذه الاماكن القديمة التى يعتقدون ان عيسى صاحب دينهم مات بها فهذا المحل محل مشرف معظم بعظمه النصارى وقد يبالغ ايضا عوام الاسلام فى احترامه معتقدين ان عيسى عليه السلام مات فيه وقد حرقت هذه الكنيسة التى كانت مشتركة بين جميع امم النصارى ولما احترقت القبة وسقطت بقى على حاله الضريح الذى يغطى دهليز المقبرة

مارى سبلقرس

وقل أن ذاقت مدينة من المدن ما ذاقته مدينة القدس من التغيرات والتقلبات فقد كانت دار مملكة داود وسليمان عليهما السلام فلهذا ذهبت هياكلها بذهب اوفير وعمرت باخشاب ارز لبنان ثم هدمها البابليون وخربوها ثم عمرت وصارت احسن مما كانت فى زمن الملوك المحابية والهرودة وقد عمر فيها ارباب النحاتة والعمارة من اليونان كما يشاهد ذلك فى المقابر الملكية بشمال هذه المدينة وقد كان اهلها فى ذلك العصر عدة مآت الوف ولكن حصلت نكبة عظيمة ومصيبة جسيمة فى سنة سبعين من الميلاد وقد هدمها طيطوس فجعل عاليها سافلها فبنى ادريانوس محلها مدينة سماها ايليا قاپطولينا ولكن من زمن قسطنطين استعملوا اسم اورشليم بعد أن كان مهملا بالكلية وقد بنت هيلينا او هيلانة ام الملك قسطنطين بهذه المدينة عدة مبان عظيمة كانت لها كالحلية وفى القرن السابع من الميلاد وقعت فى ايدى العجم والعرب فسماها العرب مدينة القدس الشريف وقد جاء التغلب عليها من بلاد الافرنج طوائف امراء يقال لهم الشوالية فاخذوها من ايدى الاسلام فى سنة ١٠٩٨ من الميلاد واتخذت مملكة وضمت لبعض العائلات الافرنجية وصار لها رونق وبهجة ولكن حصل بينهم الشقاق والتخاصم فانكسفت انوار ملكهم وذهب امرهم وانحل نظامهم وفى سنة ١١٨٧ استولى الملك صلاح الدين عليها ونشر اعلام الاسلام على رؤوس جبل صهيون ومن هذا الوقت دخلت على المناوبة فى ايدى ملوك دمشق و بغداد و مصر وفى سنة ١٥١٧ من الميلاد عبرت سيدها و دخلت فى ايدى العثمانية وكانت هذه المرة التى حصل فيها هذا التغيير تمام السابعة عشر فسبحان من لا يتغير

تاريخ القدس وما حصل لها من التقلبات

ومن بلاد فلسطين قرية بيت لحم وهى التى ولد بها عيسى عليه السلام وسكانها مسلمون ونصارى وكل منهما يميل للفتن والعصيان والخروج على الدولة والمذود الذى ولد به عيسى عليه السلام مبنى عليه كنيسة ظريفة مزينة بهدايا الافرنج ولا ندقق فى البحث عن تحقيق المدن التى تشرفت بمشاهدة عيسى عليه السلام لان هذا يشتمل على كثير من الهوس وان كان لا يخلو عن امور صحيحة وانما نقول ان مدينة حبرون المسماة ايضا مدينة الخليل تمتدح من غير برهان بان فيها قبر سيدنا ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) وان عظمها بذلك المسلمون والنصارى وانما المحقق انها فى جنوب القدس فى اقليم اقل خصوبة من القدس واهلها نحو ١٠٠٠ او ١٢٠٠ نفس يخرج منها الزجاج الطريف ويخرج منها ايضا للتجارة مقدار عظيم من الدبس وهو صنف من سكر الزبيب وعلى الشمال الشرقى من مدينة القدس فى سهل ظريف خصب يسمى بلاد الغور مسقى بنهر الاردن قرية اريحا وكانت تسمى يريخو وكان موسى عليه السلام يسميها مدينة النحل وهى حرية بهذا الاسم ولكن ما كان فيها من اشجار البلسان المكى قد ذهب بالكلية ولم يبق له الآن اثر ولم يبق حول هذه المدينة شئ من هذه الازهار التى كان ارباب الاوهام الفاسدة يسمونها ازهار اريحا

بيت لحم — **حبرون** — **اريحا**

وعلى الشرق من اريحا سلسلتا جبال قاحلة عقيمة وبين جدرانهما المسودة بركة طويلة محفورة فى ارض نخارية مخلوطه بالقفر والملح الاندرانى وهذه الوطاة مستورة بالمياه المسماة البحر الميت او بحيرة لوط مشوبة بالملح اصالة ويدخلها ايضا حامض بحرى وحامض كبريتى فتجد هذه المياه محللا فى اجرائها سلفات الجير ومريات الجير اى كبريته وملحه وكذلك المغنيسا والقلى فاذا اخرجت منها هذه الاجزاء وورتبت ارايتها رابع الماء والمادة القفرية المسماة قفر اليهودى

البحر الميت او بحيرة لوط

الانقلابات الطبيعية الحاصلة فى هذه الاماكن

وتسمى ايضا اسقلطة ترتفع زمنا بعد زمن على سطح البحيرة بعد أن تكون فى اسفلها فيأخذونها من الشطوط وقد كانوا سابقا يذهبون فى القوارب ليلتقطوها بعد البحث عنها فى وسط البركة ولم يخطر ببال احد من ارباب الاسفار أن يركب هذه البحيرة ليجوبها مع ان هذا احسن طرق معرفتها واغلب الناس الذين عاينوها يقولون انها خالية من السمك والصدف بالمرة وانه يتصعد منها بخار ردئ بانضمامه الى تحولة شطوطها كان سببا فى انه لا يسمع فيها تغريد شئ من الطيور والظاهر ان حوضة هذه البركة اى واديها كان فى سالف الزمان واديا خصبا كان بعضه معلقا فوق الماء المتراكم الذى تحت الارض وبعضه مركبا من طبقات من القفر فاضرمت نار السماء فى هذه المواد القابلة للاحراق فخسفت الارض الخصبة وغارت تحت الارض وابتلعت ومثل هذا حصل لمدينتى سدوم وعمورو وغيرهما من المدن التى كانت مبنية كما هو الظاهر من احجار قفرية ولما نص موسى عليه السلام على خراب هذه المدن عال علماء الجغرافيا الطبيعية هذه التغيرات والتقلبات بما ذكرنا ومالوا الى اعتماده والتعويل عليه

جدول يتضمن تقسيمات بلاد الشام فى عهد الرومان مدة القرون الثلاثة الاولى

تقسيمات كبرى	تقسيمات صغرى اوثانوية	مدن اصلية
	حماه	سميساط
	كورة قورس	قورس * حلب * منبج
	بيبريا	سكندرونة
	سلوسيدة	سلوسيا
	أنطيوشينة	انطاكية
الشام العليا	كازيوتيس	اللاذقية * أدمار
	أفامينة	افامية * حمص
	كورة قنسرين	قنسرين
	كاليبونيتيس	كاليبون (وهى حلب القديمة) طيسا
	كورة تدمر	تدمر
سيل سيريا وهى غوطة		دمشق * هليوبوليس (وهى بعلبك)
دمشق		أرادوس * طرابلس * بيروت * صيدا
فينيس (فينيكيا)		صور * بتولمايس (وهى عكا)
	جليلة	
	جليلة العليا	قيسارية فيليبش * بانياس
	جليلة السفلى	طبرية * الناصرة
	سمريا	سمريا * نابلس * سيشم * قيسارية
	يهوذا	
	يهوذا الحقيقية	هيروزولية وهى بيت المقدس * اريحا * يافا
	بنتابوليس اوفلسطين الحقيقية	غزة * أرسوف
	ايدومية	حبرون
فلسطين	بريا (البلقا)	
	طراخونيتيس	
	غولونيتيس	(وهى الآن شولان)
	باتانيا	(وهى الآن بيسان)
	كورة حوران	بصرى
	ايتوريا (بلاد الدروز)	
	ديكابوليس	جراش * كدار
	بريا الحقيقية (البلقا الحقيقية)	بلا * اماتوس اواماثنطه
	امونيطية	فيلادلفيا (وتسمى الآن عمان)
	كرك ماب	

وهذا

وهذا جدول المقابلة بين الاقسام الفلسطينية والكنعانية بالنظر لمن نزل بها من الاسباط الاثني عشر

الاقسام الكنعانية القديمة	اقسام يهودا	اقسام رومانية
اهل صيدا	(سبط اشار * في وادي لبنان	صفت العليا
اسباط مجهولة	سبط نفتالي في الشمال الغربي من بحيرة طبرية	صفت العليا
فوريزية	سبط زبولون في غربي البحيرة المذكورة	صفت السفلى
مثله	سبط يساخر وادي اسدريلون * جبل طابور	صفت السفلى
هويتية	نصف سبط منشا وكان مع السبط الآتي (دورة وقيسارية)	سمريا
مثله	سبط افرايم نابلس * سمريا * خط سارون اس	سمريا
يبزانية	سبط بنيامين بين افرايم ويهوذا * اريحا بيت المقدس	يهوذا
هيتية اموريتية	سبط يهوذا حبرون * يهوذا الاصلية	يهوذا
فلسطين (بنتابوليس او فلسطين الحقيقية)	سبط شمعون في الجنوب الغربي من يهوذا سبط دان يافا الخ	يهوذا
مابية	سبط روبيل البلقا الاصلية الجنوبية هسبون	البلقا
امونيطية * جيلاد	سبط غاد (لعله كان) البلقا الشمالية وجزء من ديكابوليس وأمونيطية	البلقا
بيسان (مملكة)	نصف سبط منشا شولان * بيسان	البلقا

وهذا جدول يتضمن بيان ما رتبه قسطنطين الاكبر وخلفاؤه ورتب بعضه طرايانوس من تقسيمات ابرشية المشرق

اقاليم	مدن اصلية	تقسيمات مقابلة ومرادفة
بلاد العرب	بصرى	بيسان * حوران
فلسطين الاولى	قيسارية (أدمار)	سمريا * يهوذا الاصلية
	بيت المقدس	بنتابوليس او بلاد فلسطين
فلسطين الثانية	سيتوبوليس (بيسان)	صفت * شولان
		ديكابوليس
فلسطين الثالثة		
اوساليتاريس	الحاجر	ايدمية * عرب الحاجر
فينيكيا الاولى	عكا	السواحل
	صور	
فينيكيا لبنان	هليوبوليس (بعلبك)	غوطة دمشق
	دمشق	
الشام	انطاكية	سلوسيا * بيريا * قاسيوتيس
	افامية	الافامية الخ
شام الفرات	سميساط	حماه * سرهستيكة
	منبج	كورة قنسرين
شام ساليتاريس	تدمر	كورة تدمر * كاليبوتيتيس
أوسروهين * الجزيرة	راجع الجزيرة	
قليقيا الاولى والثانية (القرمان)	راجع اناطولى	
قبرص * ايزوريا		

جدول يتضمن تقسيمات مملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر على ما قاله رئيس الرهبان غينة

اقسام التزامية

	القسم	الفروع
١	التزامات الملك	بيت المقدس واعمالها
		نابلس واعمالها
		عكا واعمالها
		صور واعمالها
٢	البارونية الاولى الكبرى	قونتية يافا
		قونتية عسقلان
		التزام الرملة
		التزام ميرابيلة
		التزام ايبولين
٣	البارونية الثانية الكبرى	امارة صفت
٤	البارونية الثالثة الكبرى	التزام صيدا
		التزام قيسارية
		التزام بيسان
٥	البارونية الرابعة الكبرى	التزام الكرك (الحاجر)
		التزام حبرون
		التزام مونتريال
٦	قونتية طرابلس	امارة مستقلة ومنفصلة عن مملكة بيت المقدس

اقسام قسيسية

	القسم	الفروع
١	بطرقية بيت لحم	اسقفية بيت لحم
		اسقفية لوده
		اسقفية حبرون
٢	ابرشية الكرك	اسقفية جبل طورسينا
٣	ابرشية قيسارية	اسقفية سباست (سمريا)
٤	ابرشية الناصرة	اسقفية طبرية
		دير جبل طابور
٥	ابرشية صور	اسقفية بيروت
		اسقفية صيدا
		اسقفية بانياس
		اسقفية عكا

جدول يتضمن الاقسام الكبيرة التي عليها الآن بلاد الشام

اقسام	مدن	تقسيمات مقابلة ومرادفة
ايالة حلب	حلب * عنتاب * بيرمنيج انطاكية * سكندرونه	جاه * سرستيك * شالسديك * سلسى * انطيوشينة (من بلاد الشام العليا)
ايالة طرابلس	طرابلس * اللاذقية * جبله	كازيوتيس (من بلاد الشام العليا) وشمال بلاد فينيكيا
ايالة صيدا (اوعكا)	صيدا * عكا * دير القمر * (في بلاد الدروز) صفت	فينيكيا * غوطة دمشق بالمعنى الاصلي من غير توسع * صفت
ايالة دمشق	فاميه (افامية) تدمر (پلميرا) بيت المقدس * دمشق غزه	كورة افامية * وكورة تدمر (من بلاد الشام العليا) الغوطة المشرقية * فلسطين ما عدا صفت

جدول ما عليه الآن فلسطين القديمة من الاقسام على ما ذكره بوسشنغ و وولني وغيرهما

١	القدس	بيت المقدس او القدس * اريحا * وغيرهما الشمال الغربي من يهوذا
٢	الخليل	حبرون * وجنوب يهوذا
٣	غزة اوفلسطين	الساحل مع يافا * غزة الخ
٤	لود	قسم مدينة لود
٥	نابلس اونابلوس	المدينة المسماة بهذا الاسم مع الولاية القديمة من سمريا
٦	أرتا	جبل كرمل مع جزء من سهل اسدريلون
٧	صفت	صفت القديمة المسماة ايضا بلد البشرى اى بلد الانجيل
٨	بلاد دشقيف	طراشونيتيس القديمة مع بلاد حوران (اورانيتيس وغيرذلك)
٩	الغور الشرقي	البلقا القديمة واقليم الزاط
١٠	الشرات	في الجنوب الشرقي وفي جنوب بحيرة لوط مع الجبال * الجبلان القديمان

المقالة الحادية والخمسون من تخطيط آسيا*

بلاد العثمانية بآسيا* القسم الرابع* تنبيهات اجمالية* تتعلق بالدولة العثمانية العلية

قد خططنا اقاليم العثمانية التى بآسيا مع التدقيق والاهتمام اللائق بهذه البلاد التى كانت شهيرة جدا فى سالف الزمان ولا مانع ايضا من انه يأتى عليها زمن يعود لها مافيه قديم تمدنها وسالف فخارها وبقى علينا أن نخطط احوال بلاد الدولة العلية وما يتعلق بها من الامور السياسية فانها مملكة عظيمة لها بلاد ايضا فى اوروبا و افريقة غاية الامر ان اصول بلادها وممالكها فى آسيا فنقول

اصل الاتراك العثمانية

ان تاريخ الامم التركية والامم التتارية المجهولة الاصل مستور بظلمات الخفاء فلهذا كان تاريخ امة العثمانية التى اشتهرت خفى الاصل ايضا على الافرنج وقد تقدم لنا ان طوائف من الترك كان يحكم عليها امراء من نسل السلجوقية وكان لهم فى القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر دولة ذات شوكة ومملكة ذات بأس كانت تسمى سلطنة قونيا وتسمى ايضا سلطنة الروم وكانت مستولية على آسيا الصغرى وارمنية وبلاد كورجستان فدمرها ملوك المغول هذه السلطنة فى سنة ١٣٠٨ من الميلاد وظهر فى محلها دولة العثمانية وقد برهن الحكيم ديغنيس على ان هؤلاء العثمانية قبيلة قومانية طردت من خوارزم حيث اخرجهم منها هؤلاء المغول بعينهم فجاؤا من خوارزم وسكنوا جبال طوروس واستجاروا بسلاطين قونيا واقاموا تحت حمايتهم وكان هذا قريبا من سنة ١٢٣١ من الميلاد ولا حاجة الى ذكر ما وقع لهم من الحوادث وانما نقتصر على أن نقول ان احد كبار هذه القبيلة المسمى عثمان خرج عن الطاعة واستقل بنفسه سنة ١٣٠٠ فكان امير قبيلة ثم بعد أن غير حكام هذه القبيلة لقب امير وصاروا يلقبون بلقب سلطان ووسعوا دائرة مملكتهم فلم تمض مائة سنة الا وسلطنتهم قد امتدت من شطوط الفرات الى شطوط نهر طونة فدخلت تحت طاعتهم بلاد روم ايلى والسرب وبلاد ولاية مقدونيا المسماة ولاية فيليبش وكذلك اقليم تساليا وفتحوا ماحول القسطنطينية فبينما هم فرحون بهذه

فتوحات العثمانية

الفتوحات اذ قدم تيمورلنك ملك التتار وانتصر على السلطان بايزيد الاول سنة ١٤٠٢ من الميلاد فتلاشى حال الدولة العلية وظهر من حالها انها قد اشرفت على الزوال وكانت مدينة القسطنطينية مع النصارى لكن كانما كانت فى الاحتضار والغرغرة فقيض الله تعالى السلطان محمدا الاول وشد عضده بوزيره ابراهيم خان فاصلحا شأن الدولة العثمانية وحارب السلطان مراد الثانى عساكر حناهونياد واسكندربيك وكان السلطان مراد رجلا عظيما وكان هذان الاميران ايضا اعداء له ارباب خصومات لا يصلح لها الا هو ومشهورين بين ابناء جنسهما فما كان من هذا السلطان العظيم الا انه عاقب النصارى على خياناتهم عقابا عظيما حيث هزم جيوشهم الكثيرة عند مدينة

فتح مدينة القسطنطينية

الورن فاخذ السلطان محمد الثانى مدينة القسطنطينية من ايدى النصارى سنة ١٤٥٣ من الميلاد فسهلت له الفتوحات ومن طرابوزان الى بلاد البشناق لم يتعاص عليه احد اصلا ولم يقف له فى طريقه عدو وفتح بلاد القرم بل جاهدت سفنه الحربية ايضا فى بلاد ايطاليا وفى سنة ١٥١٧ ابطل سليم الاول سلطان العثمانية دولة المماليك الذين كانوا سلاطين بالشام و مصر واستولى على هذه الولايات واخذت جزيرة رودس من ايدى النصارى الشوالية المنتصبين لحماية الدين ولم تفد شجاعتهم شيأ وكانت بلاد المجار المسماة هونغريا ممزقة فى داخلها بالحروب الواقعة بينهم بعضهم يحارب بعضا ففتحت فى سنة ١٥٢٩ من الميلاد للسلطان سليمان

اول حصار لمدينة بجه

الثانى طريق مدينة بجه كرسى سلطنة النمساوية ولكن هذه المدينة السلطانية كانت حدا مشؤما على تقدم الدولة الاسلامية وصارت مبدأ ضعفهم ولكن اخذ السلطان سليمان الثانى جزيرة قبرص من ايدى البنادقة ولم يكن لانهزام سفن العثمانية بقرب لبنته سنة ١٥٧١ من الميلاد نتيجة مضرة يترتب عليها اختلال عظيم فى المملكة وانما صار عقب ذلك يتسلطن فى العثمانية سلاطين ضعفاء العقل والرأى لا يحسنون السياسة والتدبير وكانت تقع عندهم الفتن فى دواوينهم والشرور تكتنفهم فى قصورهم وسراياتهم فمن هذا الوقت انتشر فى المملكة العثمانية الفساد والكساد وعجن فى طينتها خميرة اختلال الانتظام فى الاحكام وكادت تكون عن الاحكام الملكية خالية وعلى عروشها خاوية

ثانى محاصرة لمدينة بجه

وفى زمن السلطان محمد الرابع سلطان العثمانية عاد للامة العثمانية حماسها القديم وانتعش اجتهادها بعد أن كان كالسقيم وايقظها هذا السلطان من نوم الغفلة فتقوت واخذت جزيرة كريد وحاصرت مدينة بجه كرسى النمسا مرة ثانية سنة ١٦٨٣ وبفتوح العثمانية لمدينة بغداد ظهر لهم قوة وبأس وابهة على دولة العجم ولكن لم يكن على كرسى القسطنطينية مثل السلطان سليمان ولا نظير السلطان مراد بل جميع سلاطينهم كان بينهم وبين هذين السلطانين بون بعيد فمضى قرن كامل على الدولة العثمانية وهى فى حروب مستمرة ولكنها غير قاضية ولا منتجة

ولا منتجة فى لغالب وذلك انهم من جهة شمال مملكتهم استولوا فى سنة ١٦٤٢ على مدينة ازاق ثم اخذت من ايديهم ثم اعادوها ولا زالت على هذه الحالة وبلاد المورة اخذت من ايديهم فى سنة ١٦٩٩ ثم بعد يسير من الزمن استولوا عليها (ثم صارت حرة) وفى سنتى ١٦٩٩ و ١٧١٨ تركت العثمانية للنمساوية محال فى بلاد الصرب والافلاق ثم خسر النمساوية هذه المحال فى صلح سنة ١٧٣٩ الذى هو معيب فى حقهم بل وفى حق الموسقوبية حيث جبرتهم على أن يتركوا للعثمانية جميع البلاد التى اخذوها منهم بواسطة العساكر التى كان قائدها وسر عسكرها منيخ ولكن بهذا الحرب عرف الموسقوبية واهالى اوروبا سر ضعف الدولة العثمانية وكان لا يخطر ببالهم انهم بلغوا

سقوط الدولة العلية

هذا المبلغ فى الضعف فعما قليل حارب الموسقو العثمانية وحده وآذاها برا وبحرا وعدى القائد دمنزوف نهر طونة وطافت عمارة مراكب اقبطان باشا الموسقوبى المسمى اورلوف حول اوروبا (لعلها جاءت من بحر بلطق الى بوغاز اسلامبول) وحرقت السفن العثمانية فى جون جشمة فوقع الصلح بين العثمانية والموسقوبية على ان بلاد القرم وبلاد كوبان تصير حرة مستقلة وان الثغور والرباطات اى الاماكن العسكرية التى بهذه البلاد تسلم للموسقوبية وأن يفتح للبنديرة الموسقوبية البحر الاسود وبوغاز الدردانيل وهو بوغاز اسلامبول وكان هذا فى سنة ١٧٨٣ فما كان من الدولة العثمانية الا انها رضيت بهذه الشروط الصعبة فترتب على ذلك ان الموسقو لما وضعوا عسكرهم ببلاد القرم وشغلوها سنة ١٧٨٣ وخمس سنوات بعد ذلك تسبب عن ذلك اشهار الحرب بين النمسا والموسقو واخذوا فى القتال حتى ظهر أن هذا الحرب ينتهى باخراج دولة العثمانية من بلاد اوروبا ويأبى الله الا ما اراد فانتهى الحرب بموت اوچاكوف قائد العساكر وكان سبب انتهائه عدم تجربة الملك يوسف الثانى والامير بطمكين واجتهادات قطاوة الثالث وتوسط ملوك البروسية والانكليز ولما وقعت الفتنة الاولى فى بلاد فرانسا تحيل الفرنساوية على العثمانية وتشارطوا معهم وتعاهدوا فكانت هذه المعاهدة مشؤمة على العثمانية وضررها اعظم من ضرر الحروب وذلك انها كانت فرصة للموسقو وانتهزوها فى وقت تلك الفتنة واختلسوها كالسرقة لان ارباب ديوان المشورة العثمانية كانوا ضعاف العقل والتدبير وتحيل عليهم الموسقو ببذل المعاملة والرشوة فلرجائهم أن يأخذوا مصر من ايدى الفرنساوية فرطوا فى خروج المملكة بتمامها من ايديهم فجاءت سفن الموسقو الى ما تحت السراية السلطانية ونزلت عساكر الروسية فى جزائر بحر الروم وخرج الصرب على السلطان وكذلك اهل الافلاق واستغاثوا بالموسقو لقطع التخاصم والشقاق فصارت فى هذا الوقت دولة الموسقوبية مزاحمة من كل جهة ومحاصرة من كل وجهة للدولة العلية

حدود الدولة العثمانية

وفى عين هذا الزمان * تغلبت على الدولة العثمانية صروف الحدثان * وجرعهم الطالع النحس كأس الهوان * وذلك لانه لم يبق للعثمانية وقتئذ فى بلاد افريقية الا سيادة ظاهرية * حتى كأنهم بقايا من اواخر خلفاء العباسية * يكتفون بالخطبة والسكة * ولا يأمرون ولا ينهون لضعف الشوكة * وكان العرب ايضا يتعدون على حدود الشام * حيث ان حدودها غير محققة وخالية عن الاستحكام * وحدودهم من جهات عجمستان * باقية على حالها منذ قرن لم يصبها زيادة ولا نقصان * ولكن باشوات دار السلام * كباشات الاكراد لم يؤدوا حق الطاعة بالاخلاص لسلطان الاسلام * واختلطت حدود الدولة العلية * فصارت لا تتميز من حدود الدولة الموسقوبية * فان الموسقوبية امتدت دولتهم * ووصلت صولتهم * فى آسيا الى شطوط نهر فاش * وفى اوروبا الى نهر طونة فعظم حالهم وخرجوا عن زمرة الاوباش * وفى ناحية بلاد النمسا كادت جبال اردل وجزء من نهر طونه وآخر من نهر ساوة تكون علامة لحد طبيعى لبلاد الترك ولكنه صار عندهم غير نافذ بسبب وضع دلماسيا التى كانت فى ذلك الزمن فرنساوية فكان يكتنفها بلاد بوسنية وبلاد الصرب وكانت بلاد العثمانية ايضا تمس بلاد الفرنساوية التى استولى عليها نابليون وتتصل بها بواسطة جزائر بحر اليونان التى اعانت نابليون على النصرة (كل هذا فى زمان التكلم والا فدلماسيا ليست مع الفرنساوية وجزائر اليونان مع الانكليز لا الترك)

منفعة وضعها

فاذا استولى على هذه البلاد دولة اوروبية (او احسنت تدبيرها العثمانية على منوال ملوك اوروبا) فانها ترتبها وتدبرها حتى تصير من اعظم ممالك الدنيا فانه يستخرج من حالة وضعها منافع تجارية لكونها موضوعة وضعا حسنا فى مركز اقسام الارض الثلاثة المعروفة من قديم الزمان فتفتح لهذه الاقسام الثلاثة البحرين المحيطين الموجودين فى الكرة الارضية بواسطة البحر الابيض المتوسط ونهر الفرات والخليج الفارسى فان الترك لا يميلون الى المعارف النافعة

ساع ممالك العثمانية

فلا يريدون اخذ عدد جميع اهل بلادهم ولا اخذ صور الاقاليم والبلاد والمناظر فانهم لا يعرفون هل بلادهم قليلة الاهالى كما يذكره الافرنج اوليست كذلك وانما كلام الافرنج فى ذكر ضعفهم وخراب بلادهم من حيز المبالغات

ولنذكر

ولنذكرهنا جدولا مشتملا على ماظهر من مقابلة اخبار المتاخرين وماظهر من خرطاتهم المتاخرة المتعلقة بتقسيم هذه الدولة وذكر اتساعها فنقول

بلاد العثمانية فى اوروبا	فراسخ مربعة للدرجة ٢٥	مريامتر
بغداد (مع بلاد قره بجاق)	٣٥٠٠	٦٩٣
افلاق	٢٩٠٠	٥٧٤
سرب وبوسنية ودلماسيا العثمانية	٤١٠٠	٨١٦
بلاد البلغار	٣٥٧٠	٧٠٧
رومانيا وروم ايلى الحقيقية	٣٣٨٠	٦٦٩
مقدونيا وفيليب ولايتى	٢٧٨٠	٥٥٠
بلاد الارناوط المسماة البانيا الحقيقية	٢١٩٠	٤٣٣
ايبرة وتساليا وليواديا	١٩٦٠	٣٨٨
مورة	٩٥٠	١٨٨
كريد	٦١٠	١٢٠
بجزيرة اغربوزة وغيرها من جزائر اوروبا	٥٠٠	٩٩
مجموع ذلك	٢٦٤٤٠	٥٢٣٧
بلاد العثمانية فى آسيا	**فراسخ مربعة للدرجة ٢٥**	**مريامتر**
اناطولى مع قرمان وروم الى الفرات	٢٦٣٠٠	٥٢٠٨
الشام غير البادية	٦٨٠٠	١٣٤٧
ارمنية مع كورجستان العثمانية الخ	٨٤٠٠	١٦٦٥
ديار بكر والجزيرة وغيرها	١٩٠٠٠	٣٧٦٣
مجموع ذلك	٦٠٥٠٠	١١٩٨٣
مجموع بلاد العثمانية فى اوروبا	٢٦٤٤٠	٥٢٣٧
مصر	٢٠٠٠٠	٣٩٦١
مجموع اتساع بلاد الدولة العثمانية بتمامها	١٠٦٩٤٠	٢١١٨١

اهالى

ولا فائدة فى كوننا نريد أن نعرف بالتخمين عدد اهل دولة لا يعرف اربابها تقييد اسماء الاهالى فى جريدة وضبطهم ضبطا منتظما واما المصنفون الذين قالوا على وجه التخمين التقريبى ان اهل بلاد العثمانية باوروبا تبلغ عدتهم اثنين وعشرين مليونا فذكروا دلائل ظاهرة مثل دلائل الذين جعلوهم ثمانية ملايين فكل علل بما يؤيد كلامه وهذا موجب للشك وعدم اليقين واما عدد اهالى العثمانية بآسيا فغالب العقلاء يقر أن عددهم اشد جهالة من عدد اهالى اوروبا وغاية مانقوله بحسب الظن اننا اذا فرضنا ان الاقاليم العثمانية محالها المسكونة ليست كثيرة الاهالى وهى ايضا متباعدة متفرقة عن بعضها مثل اقل اقاليم اسبانيا عمارة واهلا وجدنا بهذا الفرض والتقدير أن جميع اهالى بلاد العثمانية بآسيا و اوروبا و افريقية يمكن أن تبلغ من ٢٥ مليونا الى ثلاثين نصفها فى بلاد العثمانية التى بآسيا فبحسب الظن اذا فرضنا البلاد اناطولى خمسة ملايين ولارمنية مليونين ولكردستان مليونا واحدا ولايالات بغداد والموصل وديار بكر مليونا ونصفا ولبلاد الشام مليونا وثمانمائة الف نفس او مليونين وهو نهاية ما يمكن فاننا لا نشك فى اننا قربنا بعض قرب من الظاهر

خلقة العثمانية

واما ذكرنا نبذة من احوال آداب العثمانية وسياساتهم فانه يكون اقل بناء على الاشياء المشكوكة واعظم فائدة مماذكر فلا خلاف بين ارباب الاسفار فى ان رجال العثمانية طوال القامات حسان التقاويم والصور شداد ارباب سحنات يابسة تلهم الهيبة والوقار والشهامة وبلونهم يسير السمرة الخفيفة وشعورهم فى الغالب اقرب للسمرة من السواد وعبوسهم الطبيعى الدال على الهيبة هو ايضا يزداد بتوسيع ملابسهم وبلبسهم العمائم لتى تكسبهم الهيبة وبتطويلهم السبالين المسميين عند العامة بالاشناب وعندهم ارخاء السبالين امر عظيم كباقى امم آسيا ولاشئ فى ظاهر ابدانهم واحوالهم

الابد كونا ما ننسبه اليهم مؤلفوهم من ان اصلهم من امة المغول فالظاهر انهم لا يختلفون عن غيرهم من امم التتار الا بتغييرات نافعة يمكن أن يقال انها جاءتهم من تناسلهم وتوالدهم من امم اوروبا وايضا اللسان التركي على ما اعتمده اغلب العلماء وارباب المعارف يدومنه في قواعده واصوله تشابه عظيم للسان التتار ولكن علماء اللسان التركي ادخلوا في لسانهم وتآليفهم كلمات وتعبيرات مأخوذة من لغة العرب التي هي لغة واسعة او من اللغة الفارسية الجديدة التي هي لغة ظريفة لطيفة ولهذا كانت اللغة التركية تلقب معلة (اوكوالي ومعناه الفرس المحجلة) ولما كان العثمانية مثل باقي الامم الذين جاؤا من آسيا الوسطى ودخلوا اوروبا عن قريب بالنسبة لغيرهم وكان فخرهم وابهتهم وشوكتهم وغير ذلك قد اكسبهم كبرا خاصا بجنسهم استمروا على ذلك ولم يغيروا منه شيأ خصوصا في بلاد آسيا كما انهم حفظوا دينهم وعقائدهم وآدابهم واخلاقهم وعوايدهم التي كانت تميزهم عن غيرهم من مدة ثلثمائة سنة

لسان الترك

وهذا الثبات وعدم التلون ممدوح لو كان مبنيا على سياسة نيرة وكياسة عظيمة ترشده وتصلحه وهم ارباب قناعة يأكلون يسيرا من الغذاء الذي معظمه من النبات ولا يشرب الخمر الا النادر منهم ويعتادون على رياضة الجسم كما يليق بالشهامة والرجولية كركوب الخيل والتمرن على استعمال السلاح لا كالرقص للرجال ويكرمون الضيف ويسلكون في ذلك سبيل الجد والاحتفال واعطاء الرسوم حقها وكثرة الصمت ويظهرون العبادة والديانة ويسكنون في مساكن غير مزينة بدون هرج ولا كثير حركة ويتخذون بساتين خشبية منعزلة منفردة فهذه مناقب الاتراك بل وغالب المشرقيين على الاطلاق فهي تجعل طباعهم عجيبة وعوايدهم غريبة

عيشة العثمانية

فمن هذا يفهم ان التركي قل أن يتطبع بغير طباعه فلهذا تجدهم لا يعرفون اصلا التلونات والتقلبات التي تكون في جمعيات الافرنج ولا الحركات والمبادرة في الامور بل تجد انسانا من العثمانية متكئا على وسادات صفته يشرب الدخان الصوري ويشرب القهوة اليمانية بكثرة حتى تؤدي الى حرارة جوفه وينظر رقص بعض جواريه ويتعاطى شيأ من الافيون يغيب عقله حتى يظن انه في الجنة مع الحور العين ومع ذلك فتعدد الزوجات والتسري بالجواري العديدة لا يخشى منه الفتنة عند الاسلام ولا الانهماك على اللذات والشهوات وان كان عند شبان الافرنج اذا تذكروا ان الاتراك تتعدد عندهم الزوجات افتتنوا بالالفاظ الدالة على معنى التعدد فانهم اذا سمعوا لفظ بولوغاميا اي التزوج بعدة زوجات رجال اتراك الساكن عندهم ولما كان لا يجب على النساء عندهم أن يتحملن بصرف شيء في البيت كانت الرجال الغير الاغنياء لا يتزوجن الا بواحدة فقط وقد يقع في بعض الاحيان ان النساء الغنيات من كسبهن اياما كان وجهه حلالا او حراما او اللاتي لهن اموال من اباتهن يشترطن على الزوج أن لا يتزوج عليهن اصلا وان كان الدين المحمدي اباح له التزوج باربع فليس تعدد الزوجات الا نوعا من الزينة عند الاغنياء والاعيان فان حريمهم مشحونة بالجواري الجركسية والكورجية واللسغية (الداغستانية) والحريم هو مسكن منعزل لا يقربه انسان لاحترامه

التسلي والتبسط العثماني

تعدد الزوجات

مقصور عليه دولة الجمال ومنشور عليه اجنحة غيرة صاحبه على ربات الدلال وخارج هذا الحريم المسمى عند الافرنج سراية وان كانت هذه التسمية لا وجه لها اصلا وانما هي كلمة تعورفت معناها حريم لا تخرج النساء سواء كن زوجات او سراري الا مستورات بالبراقع المطبقة والغطاء الذي يسترهن عن اعين جميع الناس ولو عن من تأمل كل التأمل فان هذا الغطاء كما يمنع شكلهن وتقاطيع بدنهن يمنع من رؤية شخصها فكأنها مومياء ملفوفة في كفنها وقل أن تجتمع النساء ويلعبن ويظهرن المرح الا في الحمامات التي لا يدخلها غيرهن او في بيوتهن فيظهرن المواسم ويتعاطين الشربات والقهوة والمربى بل والدخان على ما يقال وفي هذه الحال يظهرن احسن ما عليهن من الثياب والملابس الفاخرة الرفيعة والحلي الظريف ويتسامرن على ذكر ما في ازواجهن اوجيرانهن من الحسن او القبح ويحضرن ايضا الرقاصات في هذه المحال ليرقصن لهن ويفعلن امورا خارجة عن قانون الحياء ولكن في بلاد العثمانية لا ترقص النساء ذوات العفة بانفسهن اصلا فنساء الاتراك لا يؤذن لهن في الذهاب الى المساجد فان حضور صلاة الجماعة ليس بواجب عليهن شرعا ومع هذا التدقيق والمنع الشديد لا يخلو بعض النساء في بلاد العثمانية من خيانة الفراش حيث خانهن ازواجهن اولم يعفوهن فتنتقم النساء منهم بانواع الحيل على ما يقال وذلك بتوسط نساء اليهود والارمن الدلالات او البائعات للمعارم ونحوها ويقال ان العشق ببلاد العثمانية مع هذا التشديد على النساء قد يجتاز ثلاثة حيطان من حيطان البيوت ولو بيوت بعض الباشوات ارباب السطوة والصعوبة يعني ان العاشق يتوصل الى مراده ويتخفى حتى يدخل هذه البيوت وزعم بعضهم وان كان لا يعلم هل هو صحيح او باطل ان باقات الازهار اذا رتبت بترتيب خاص مفهوم للعاشق ومحبوبته تكون وصلة للتراسل وتقوم مقام الاوراق والمكاتيب فان غالب نساء الاتراك لا يعرفن القراءة ولا الكتابة فيتراسلن بهذه الازهار على ذلك الوضع

حريم العثمانية

لسان الازهار

الشفقة على الحيوانات

ويحكى عن العثمانية نكات ونوادر تدل على ان عندهم حنوا ولين جانب بالطبع وكذلك ان شفقة الهنديين على الحيوانات بعدم ذبحهم لها يوجد نظيرها فى الجملة عند العثمانية فلك تجد فى المدن التركية الكلاب والهررات تعيش فى ارغد عيش وشبع بحيث لو راى عيشتهم الشحاذون من الافرنج لحسدوها لكونهم لا يجدون مثلها وكذلك الحمام يحوم اقاطيع اقاطيع فى الجو ويأتى الى القوارب الموسوقة بالغلال كأنه يسألهم شيأ من غلالهم فقل أن يمنعوه ذلك وكذلك الطيور المائية معمرة شطوط الخليج القسطنطينى من غير أن يتعرض اليها انسان بل اوكارها لا تقربها الاطفال لاحترامهم لها ولو كانت هذه الطيور فى اقليم آخر لكانت لعبة لهم وعرضة لجبرهم فانظر الى مكارم الاخلاق عند الترك فى حق الحيوانات بل قد تصل مكارم اخلاقهم الى الاشجار وذلك ان من اوهامهم انه لا يجوز لصاحب الشجرة المظللة فى مدينة او خلاء أن يقتلعها وهذا الوهم نافع ظريف لا بأس به لانه يمنع طمع كثير من الناس ويفتخر الاغنياء

منتزهات عامة

كروان سراى

عند الاتراك باصلاح الطرق والمنتزهات العامة السلطانية وتحسينها وتزيينها بالسبل او بالمحال التى يرتاح فيها الانسان وكذلك يتقربون ببناء المساجد والزوايا العامة النفع وببلاد العثمانية منازل للضيوف تسمى الخانات او الكروان سرايات ينزل بها المسافرون والصنائعية ويسكنونها من غير مقابل وبالجملة فقد شاهد كثير من ارباب الاسفار أن فى مورة واناطولى وكريد آدابا حسنة واخلاقا نقية لا دنس بها وان الرجل يعيش عيشة هنيئة فى عياله واهل بيته ويجد هنالك اكراما كاملا يشبه ما يحكونه عن الانبياء كسيدنا ابراهيم ابى الضيفان عليه الصلاة والسلام

تكبر الاتراك

ولكن شدة الكبر عند الاتراك منضمة الى خشونة احوالهم وهيئاتهم يتأذى منها الناس اكثر من الكبر عند غيرهم فلهذا اغضبت اكثر ارباب الاسفار وتأذوا منها غاية التأذى حتى ظنوا جميعا ان الامة التركية بتمامها انما هى اوباش متوحشون جهال خشنيون غير متأهلين اصلا لشىء من التمدن وحسن الحال والرفاهية وليس الامر كذلك فان الافرنج حين حكمهم بهذا على الاتراك نسوا فخر كل من السلطان مراد والسلطان سليمان واهملوا دواوينهما كما نسوا ابهة هذين السلطانين وحسن سياستهما وتدبيرهما أما كان الافرنج يخشون الاتراك وتعتريهم الدهشة والحيرة عند مشاهدتهم وكانوا يتعجبون ويستحسنون طباعهم بخلاف هذا كله انهم الآن احتقروهم وازدروهم غاية الازدراء ونفروا منهم بغير حق ولا انصاف وسبب هذا ان الانسان لا يتذكر اصلا ان الامم انما هم على دين ملوكهم اى على حسب ما تأذن به احكامهم وسياساتهم فهم يدورون معها رفاهية وخشونة

قدرة البادى شاه

وليس سبب شقاء بلاد العثمانية وضعفها اطلاق التصرف بالمعنى المشهور عند الافرنج فى هذا العهد اذ هو بمعنى الظلم والتعدى وفعل جميع ما يريده الحاكم وذلك لان سلطان العثمانية الذى يلقب ايضا بادى شاه ليس له شرعا تصرف غير محدود اصلا فانه لا يمكنه اصلا أن يتباعد عما فى الكتاب والسنة فان احكام الكتاب والسنة الهية يجب على كل مسلم أن يتبعها بل لا يمكن للسلطان بلا خطر أن يغير الامور التى جرت بها العوايد القديمة وان كانت مبنية على مجرد اوهام العوام وانما يقلد المناصب المدنية والعسكرية لمن اراد ولايته ويعزل من اراد عزله وهو سيد اموال ارباب المناصب ومالك ارواحهم (اى بسبب ظاهرى) له أن يتصرف فيهم كيف يشاء ولكن تنفيذ مراده فى هذا الامر تمنع منه موانع وذلك لان السلطان اذا غضب على بعض الباشات وارسل اليه جيشا ليخرجه من ولايته فان الباشا يقاتل الجيش ولا يخرج اصلا وقد يرسل ايضا السلطان الى بعض الباشات قبجى باشى ليقطع رأسه ويأتى به الى اسلامبول فيقطع هذا الباشا رأس القبجى ويرسلها او لا يرضى بقطع رأس نفسه وعلى كل حال فان السلطان وان كانت قدرته غير ممتدة بل هى مقصورة على امور فلا تعد عند الافرنج ايضا مقيدة التصرف بالمعنى المشهور عندهم فليست دولة العثمانية دولة محدودة بمعنى انها مبنية على قوانين ثابتة غير متغيرة بل يمكن أن يقال ان احكام هذه المملكة انما هى احكام عسكرية شديدة الظلم والتضييق انحلت وتفسدت عن اصلها وانقلبت احكاما للمملكة وصارت سياسة للدولة بتمامها حيث لم يمكن السلطان أن يدبر المملكة بما فى الكتاب والسنة من الاحكام واما تعرض الرعايا وعدم رضاهم فى بعض الاحيان بالاحكام وابطالهم لها وكذلك معارضة الباشات فلا تقتضى ان السلطان مقيد التصرف يحتاج فى انفاذ احكامه

اصول الحكومة

لقدرة غير قدرته وانما ذلك يعد من قبيل الفتن والخروج عن الطاعة ولا يتسبب عنه فى الملك الا الاضطراب والفساد واما الاحكام السياسية فيمكن تقريب معرفتها وتصور صفاتها باصلين الاصل الاول ان كل انسان فى الدولة له قدرة يمكنه أن يعطيها لانسان آخر يقوم مقامه مثال ذلك ان السلطان خليفة النبى عليه افضل الصلاة والسلام وكل باشا هو نائب السلطان وكل جندى معه امر من الباشا هو نائب الباشا وهذا الاصل الذى يمكن أن تتعدد افراده الى ما لا نهاية ويزيد فى افراد الظالمين والحكام الذين يفعلون كما يريدون فى جميع الناس على اختلاف مراتبهم هو مبنى على قانون عسكرى

من قانون المملكة العثمانية وايضا هذه الدولة المنصورة التى فتحت البلاد هى دائما تدبر بلادها الواسعة كما تدبر المدينة المأخوذة عنوة فليست فى الحقيقة امة ولا دولة بل هى اشبه بجيش حط فى وسط امم مغلوبة منهزمة ومن هذا تولد اصل ثان وهو ان كل الناس والاملاك التى تغلب عليها السلطان وفتح بلادها فهى له * فلولا الناس له ولابد وذلك لانه كيف يكون النصارى واليهود والارمن وغيرهم ممن يسميه الترك كلابا الاعبيد المنصور عليهم فليس لهم الى غير ذلك سبيل

الجوالى
جزى الاملاك

فقد اذن لهم أن يعيشوا ولكن يلزم ان يشتروا هذا الاذن بدفعهم الجوالى ويأخذوا ورقة ايصال مكتوبا فيها فداء قطع الرأس وهذا الاصل اذا طبق على الاراضى واعتبر فيها منع جميع اهل المملكة ومن جملتهم الاتراك ايضا أن يكون لهم املاك ارضية ثابتة مأمونة الاخذ من ايديهم فهم فى الحقيقة انما هم منتفعون فقط بمدخولها وليسوا مالكين للعين فاذا مات انسان منهم ولم يترك اولادا ذكورا كان الوارث هو السلطان فاذا مات عن اولاد ذكور كان له عشر ذلك فقط والذى يقدر هذا العشر انما هم جماعة مستخدمون يضبطون الاموال ويحكمون فى التقدير كما يريدون واما المستخدم فى الديوان فانه لا يحظى بما ذكرنا بتمامه بل جميع ما فى يده للسلطان بمجرد موته فعدم كون العقارات ثابتة لاصحابها وخوف نزعها من ايديهم كان سببا فى كون الناس لا يبنون اصلا بناء محكما ولا يعمرون عمارات كثيرة المصرف فيحسب العثمانية احسن من ذلك تكثير الحلى والصيغة وجمع الاموال لان هذا يسهل نقله واخفاؤه عند الخوف واحسن الطرق عندهم فى حقن الاموال وجعلها فى امن من ضبطها للميرى هو أن يعمل الانسان بها اوقافا للمسجد من المساجد فيدفع صاحب البيت دراهمنا للمسجد فبهذا لا ينزع من يده ويصير عقارا ثابتا ولكن لا ينتفع به الا نظار الاوقاف ويضاف الى الاصلين المتقدمين اللذين تبنى عليهما احكام المملكة العثمانية امر ثالث وهو شراء المناصب فان هذا من اغرب ما يكون واشنع ما يوجد وذلك لان مناصب الباشوية والقضاء وغيرها تعطى لمن يتغالى فى الثمن ولا شك ان ارباب هذه المناصب حيث ان مدة توليتهم قصيرة يبادرون الى اخذ ما صرفوه من الرعايا الذين هم تحت ايديهم وتدبيرهم ومن المعلوم ان خفاء القوانين والاحكام يزيد لخبطة الدولة فان هذه الدولة الواسعة خالية عن كتاب قوانين يكون ادق واوفق لهذه الازمنة من قوانين السلطان سليمان الثانى فانك تجد بهذه القوانين احكاما من قوانين ملوك الروم ممزوجة باحكام من الشريعة المحمدية فالدولة العثمانية خالية عن احكام تضبط ارباب المناصب حتى لا يمكن لاحد منهم أن يفعل ما سولته له نفسه وتكون هذه الاحكام ايضا كفيلة بتنفيذ ما فى القوانين حتى لا يستطيع احد أن يتجاوزها وأن يكون معافى منها

سوء المناصب

قوانين واحكام

صدر اعظم

وضعف عقول غالب سلاطين العثمانية الذين تربوا فى السراية اى فى الحريم يحملهم على أن يتخلصوا من مباشرة الاحكام فى الدولة وأن يفوضوا الامر فى ذلك لوكيل من اقل وكلاء دولتهم يلقب الوزير الاعظم او الصدر الاعظم فهو وكيل السلطان وكالة كاملة يفعل ما يفعله السلطان ومعه ختم المملكة وهو ايضا امير الجيوش بنفسه يتصرف فى الاموال كيف يشاء وينصب جميع المناصب التدبيرية والعسكرية وكلما كان الوزير كثير التصرف وكثير التفويض وواسع الاقتدار كان ضمانه عظيما وكفالته كاملة فعليه جميع ما يقع فى الدولة من الخلل والقحط والحريق وانهزام العساكر وقيام الرعايا وخروجهم عن الطاعة والاوباء فقل أن مات الوزير الا قتيلا اما لكونه لا يحب الرعايا او لكونه يغضب السلطان ولما كان الوزير دائما كالطيور التى ينصب لها فى كل ناحية شرك وكان مرمى لجميع الرماة كان من النادر جدا أن يصل الى درجة الشيخوخة فى منصبه الخطر

ديوان

والديوان وهو مشورة الدولة مؤلف من عدة وكلاء او وزراء وهم الرئيس افندى وهو رئيس وجاق الافندية اى ارباب الاقلام وهذا الوجاق له كلمة نافذة فى السياسات وفى الدولة وهو الآن محتو على فضلاء امة العثمانية واكثرها معارف فى الادبيات والسياسات

العلماء

والعلماء وهم ايضا وجاق آخر وهو وجاق ارباب العلوم الشرعية سواء فى مواد العبادات او المعاملات وهذا الوجاق لحفظ ناموس الشريعة فى المملكة ولابقاء التمسك بشعار الدين المحمدى الذى هو اساس الدولة واجراء الاحكام الشرعية بين الناس لئلا يتعدى احد على احد وهذه الاحكام الشرعية استنبطها المجتهدون من الكتاب والسنة فالعلماء ايضا ويلقبون افندية لهم قوتان قوة حاكمة وقوة دينية اى لهم مدخلية فى العبادات والمعاملات فيعلمون الناس دينهم ويفتون فى مواد المعاملات والجنايات ولا يمكن فى الدولة قتل واحد منهم الا بعد رضاء رئيسهم وهو شيخ الاسلام

المفتى

فالمفتى اى شيخ الاسلام هو شيخ العلماء وهو نائب السلطان فى منصب الخلافة الذى هو رتبة النبى عليه الصلاة والسلام فهو رئيس الدين وعليه المعول حتى ان السلطان لا يضع قانونا ولا يعقد حربا ولا يضرب خراجا على الرعية الا بفتوى من شيخ الاسلام ولولا ان السلطان له أن يعزل هذا المفتى وأن ينفيه بل وأن يقتله بعد عزله لكانت مرتبة المفتى

تابدئة

فى الدولة عظيمة نافعة لانه تكون قدرته ونفوذ كلمته معارضة ومعادلة لقدرة السلطان التى تكاد أن تكون لانهاية لها فكان يمكن المفتى أن يبطل ما يقصده السلطان من الخلل وأن يرشده الى طريق الحق وعادة المفتى ان يقدم للسلطان فى كل سنة دفترا فيه اسماء العلماء الذين يتولون القضاء فى الاقاليم ولو كان شيخ الاسلام وباقى العلماء ارباب صلاح وقلة طمع لما فى ايدى الناس لكانت ايضا شوكتهم اعظم من ذلك ولكن البيع والشراء للمناصب ترتب عنه فى جميع ارباب المناصب والرتب والصنائع فى المملكة العثمانية فساد عظيم بحيث لا ينال اقل معروف ولا تقضى ادنى حاجة الا برشوة او هدية فان الانسان يدفع شيأ فى قطير حكم القاضى وابطال الشاهدين كما يدفع ايضا مقدار الاخذ منصب او الحظوة عند صاحب منصب ونيل القبول لديه فلا توجد مملكة من ممالك الدنيا يكثر فيها اشهاد الزور من غير حياء ولا خشية مثل ما فى بلاد العثمانية وافظع من ذلك كله ان للحاكم الاكبر والملا والقاضى والنائب أن يحكم كل منهم وحده ويبت الحكم من غير رفع الدعوى الى حاكم اعلا فاقامة الدعاوى فى بلاد العثمانية هى مثل حكم مشورة عسكرية اهلها برحالة نزالة وذلك ان كلا من الخصمين يحكى دعواه فيحلف المدعى على اثبات ما ادعاه ويحلف المدعى عليه على نفيه فيبت الحكم القاضى من غير رفع دعوى شرعية فيستدل بآية من كتاب الله او سنة رسوله او بعبارة من كلام الفقهاء سواء كان هذا دليلا فى الواقع لما حكم به اولا فيؤدب احد الخصمين اذا كان من رعاع الناس ويضرب به على رجليه ويأخذ الرشوة من الغنى لاسيما من اليهود والاروام او الافرنج فانهم يدفعون ما يطلبه منهم على سبيل البرطيل ويسمى النصارى هذا البرطيل عوانية اى بلصة وظلما فاذا جىء الى القاضى العثمانى بسارق امر بتعليقه وشنقه فهذا مبلغ ما يعرفه قضاة العثمانية من الاحكام الشرعية فليس فى المحكمة سعارف وليس بها وكلاء عن الخصمين يدافعون عنهما وينتصرون لهما كما عند الافرنج فالانسان الذاهب عند القاضى يأخذ حقه او يفوت حقه فى ساعات قلائل اى ان القاضى يحكم بالحق او بالباطل فى حصة يسيرة من الزمان (بخلاف الافرنج فان الدعاوى عندهم تحقق الغاية) والظاهر ان هذا الامر هو نظير ما كان يعمل فى معسكر الامير عثمان الذى تنتسب اليه العثمانية ولهذا القب كل من القاضيين العظيمين فى المملكة وهما قاضى روم ايلى الذى هو قاضى بلاد العثمانية فى اوروبا وقاضى اناطولى وهو قاضى بلاد العثمانية بآسيا بلقب قاضى العسكر مع انهما ليسا قضاة العساكر بل هما قضاة المدن

القضاة والاحكام الشرعية

الاعيان

ولكن ببلاد العثمانية طائفة ايضا وكيلة عن الرعية وكبار الوكلاء يقال لهم الاعيان ووظيفتهم أن يمانعوا عن نفوس الآحاد واموالهم وأن ينظروا فى مصالحهم وترتيبهم وأن يتنبهوا الدفع الاعداء عن المدينة وأن يعارضوا الباشات اذا شرعوا فى الظلم وأن يعارضوا فى ظلم العساكر وذبهم عن الرعية وأن يحال عليهم توزيع الفرد على آحاد الرعية وهذه الطائفة فى العادة مؤلفة ممن يثنى عليهم الرعية خيرا ويختارونهم لهذه الرتبة الممدوحة فيدخلون فى هذه الرتبة احتسابا بالوجه الله تعالى فاذا اراد الاعيان أن يعقدوا مجلسا يتعلق بامور مهمة كمصلحة يعود نفعها على الرعايا او ككتابة تقرير منهم للباشا المتولى على اقليمهم او لكتابة عرضحال للسلطان شكوى منهم فى ذلك الباشا دعوا الى ديوان مشورتهم اكابر المدينة والعلماء ليشركوهم معهم فى الشورى وليعضدوهم حيث يكتبون معهم ثم ان جميع المسلمين من التجار الى العملة ينتسبون الى حرفة من الحرف فمشايخ الحرف وظيفتهم أن يراعوا مصالح اهالى الحرف وحقوقهم فاذا كان لاى واحد من اهل الحرفة دعوى فى المحكمة ذهب شيخ الحرفة ليذب عنه ويمانع بل قد تجد بعض الاحيان جميع اهل الحرفة يتوسطون فى دعوى شخص من حرفتهم برئ يريد القاضى معاقبته ولكن فى غالب الاوقات لا يمكنهم تخليصه الا بدفع رشوة عظيمة لاهل المحكمة

حرف

باشا

وتدبير الاقاليم وادارتها هو ايضا على منوال ادارة المملكة اى مبنى على الاصول التى بها سياسة المملكة وذلك ان الباشات الذين مناصبهم على حسب اطواغهم التى هى كالاعلام والبيارق هم ارباب الادارة الاقليمية والادارة العسكرية واغرب من ذلك واضر بمصالح الرعية ان الباشا مدبر الاقليم قد يضيف ايضا الى هذين المنصبين التزام خراج جميع الاقليم واموال الفردة ولولا ان القضاة فى الاقاليم هم ارباب الحكم الشرعى لكان هؤلاء الباشات فيها سلاطين صغيرة فالباشا ذو ثلاثة الاطواغ كالسلطان الذى هو قائم مقامه فى كونه له أن يقتل من شاء ممن فى طرفه بل له ايضا أن يسفك دم كل من يخشى منه الفتنة واختلال نظام الرعية وبعض الباشات ذوى الثلاثة الاطواغ يلقب بيكلربيك ولاسيما باشا روملى وباشا اناطولى ولكل باشا وجاق عساكر على حسب حاله وايراد ايالته وذاك اذا امره السلطان بالحضور اليه او خاف على حدود ايالته من العدو وسار بجميع عساكره مسلحة والبيكات الصناجق تحت اوامره فاجتماع هذه القوات فى ايالة يكون فى العادة سببا لكثرة الجور والظلم فى هذه الايالة واما دار السلطنة الاسلامية وهى اسلامبول فان بها اسبابا عديدة تمنع وقوع الظلم فيها من الحكام وارباب المناصب وهذه الاسباب هى وجود السلطان

الظلم فى الاقاليم

بها وكثرة المعارف زيادة عن غيرها من مدن الايالات وكثرة اهاليها والاشتراك فى الرأى والقبول والقدرة فالوزير الاعظم ينظر الى الوزراء والوكلاء ويضبطهم وهم ايضا يكونون منه على حذر ويراقبون افعاله وحركاته بل السلطان ايضا له اناس عسس يتجسسون سرا ويراقبون اطوار الناس وافعالهم بل والرعية التى تخرج فى غالب الاحيان عن طاعة هؤلاء الظالمين ويوقد النار لاحراق المدينة لا يحصل لها بذلك عظيم مضرة بل فى غالب الاحيان تجد من يدافع عنها من ارباب الكلمة النافذة اما الغيرة عليها او لاخذ شئ من حطام الدنيا او لوجه الله تعالى واما اهل الاقاليم فليس عندهم

عزل الباشات

قليل شئ يستعينون به على باشاتهم فاذا جار عليهم وعظم الحال وشكوا منه لديوان الدولة العلية واثبتوا ذلك او قامت بينهم الفتن واظهروا العصيان واثبتوا ايضا ظلم هذا الباشا بعثت الدولة العلية الى الايالة قابيجى بامر سرى او بعث باشا آخر بتصريدة فتاخذ هذا الباشا المذنب وتقطع رأسه وتعلق على باب السراية وتضبط امواله للميرى فهذا هو ثار الرعية لاغير فما هو الآن فى الدولة العلية هو ما كان فى سالف الزمان فى دولة الرومان فان قياصرتهم كانوا يصنعون ذلك مع ولاتهم وعمالهم حيث كانوا يظلمون بلاد الغالية وبلاد الشام وبلاد افريقية فكان بعد ظلم العمال فى هذه البلاد مدة طويلة يبعث القياصرة اليهم شخصا يلقب القنطوريون فيأتى برؤسهم ويضعها تحت كرسى القيصر

اختلاف الدين

ومن اعظم مصائب الدولة العثمانية اختلاف اديان اهلها وذلك ان العثمانية وجميع اهل الاسلام لا يبلغون ثلث الاهالى ببلاد اوروبا ولا يزيدون عن خمس الاهل ببلاد آسيا فثلاثة اخماس مجموع الاهالى او ثلثا ذلك المجموع نصارى منهم نصارى اروام حقيقيون ومنهم امم اصلهم صقالبة وهم السرب والافلاق والمتنغرين يتبعون الملة اليونانية الشرقية وهذه الملة اليونانية تسمى شسماتية عن القاثوليقيين الرومانيين وهى مؤذية للملة القليلة الاهل المسماة الاروام المجتمعة اى الاروام التبع الذين يقرون بان بابا رومية هو رئيس دينهم وملة الارمن ايضا ملة كثيرة الاهل وهى ايضا بين ملل النصارى ذات قوة وباس لانها مشهورة بالصعوبة والصلاح بين ابناء جنسها وثم جمعيات اخرى دينية مثل اليعقوبية المسماة قبطة فى مصر والنسطورية والموارنة وهم ايضا لهم قوة فى الجملة بسبب أن كل ملة منهم تجتمع مع افرادها وبينها وبين اهل وجاقها اتحاد وائتلاف وامة الدروز ايضا لا تخشى من امة الاسلام شيأ وبلاد الاسلام اليهود ايضا اكثر مما فى اى ولاية من ولايات اوروبا وجميع هؤلاء الجمعيات والملل عند العثمانية كانهم اعداء

وخصمة

متعصبون عليهم ومتحزبون على الخروج عن طاعتهم وهؤلاء الملل ماعدا الموارنة والدروز لا يمكنهم أن يشهروا عبادتهم ولا شعائر دينهم الاحتفالية ولهم علامات تدل على صغارهم وذلهم ولا احد يحميهم اذا ظلمهم العثمانية وهم ايضا جميعا متباغضون ويلعن بعضهم بعضا فهؤلاء الاشقياء الذين هم من نسل امم مشاهير فى الزمان القديم بالظهور والمفاخر ليسوا الآن الا اخلاط ناس ورعاع خلق ومع انهم الآن جميعا مستعبدون * وفى سلاسل الاسر مغلولون * فلا تواطئ بينهم ولا حسن اتفاق * بل دائما مضمرون لبعضهم على التفاقم والشقاق * فلا مفر لهم من اسباب الهلاك * التى يذوقونها بينهم على سبيل الاشتراك * حيث انهم من اهل الاشراك

صفة دين الاسلام

وقد عاب النصارى دين الاسلام افتراء وكذبا ونسبوا اليه ما نسبوا ويأبى الله الا أن يكذب بعضهم بعضا فانهم فى هذه الاعصر نزهوه عما قاله فيه بعض المتقدمين منهم فاصوله وعقائده سهلة خالية عن المحاولات * والتعنت فى المحاورات * فهو دين يصلح لارباب الجهاد * ويبقى على حالة واحدة الى يوم التناد * وعادة امم الاسلام التابعين لكتابهم * المتمسكين بسنة رسولهم فى اقترابهم واغترابهم * أن لا يوادوا من حاد الله ورسوله * ولا يبلغ منهم عدوهم مأموله وسوله * غير أن عوامهم قد يحتقرون المعارف المتعلقة بالتمدن والتحضر * والفنون النافعة فى العمران والتبصر * فهم عن هذه العلوم فى حجاب * وازالته عنهم تعد من الامور الصعاب

تكليف وآداب دينية

وربما ادت صعوبة التكليف الى ترك الواجبات * وارتكاب المحظورات * كشرب الخمر سرا وهو حرام * وتخدير العقل بالافيون وهو من الآثام * وما كل مسلم من الله خائف * ولا كل مؤمن للاوامر مخالف * ثم ان وجوب الوضوء والاغتسال * لاداء الصلاة الذى هو اعظم الاعمال * نشأ عنه انشاء السبل والحنفيات * والمغاطس والميضآت * ومن فعل الخيرات بناء المقابر العظيمة * فان المكث فيها لارباب الزهد له خير قيمة * فتجد المقابر محفوفة بالازهار * مظللة بالسرو الذى يقيها الحر فى وسط النهار * وترى العشائر تأتى لزيارة هذه المقابر * واشهارها موسم يقر الناظر ويسر الخاطر * كل هذا اعجب ارباب السياحات من الافرنج فاقره كل بار وفاجر * لما انه مشتمل على مجمع ثلاثة امور * الحزن والعبادة والنزاهة فى الخلاء لجلب السرور * ثم ان المسلمين محافظون كثيرهم على صوم الفرض والمسنون الذى ليس له حصر * فقد يصوم الانسان الدهر * نعم لا يجوز صوم العيدين * واما صوم رمضان فهو فرض عين * وبعد صوم رمضان المكرم *

يشهر العيد الاصغر ويعظم * ويسمى عند الترك كجك بيرام * وعند النصارى بعيد الفصح يكون في احتفالهم له كالعيد الاصغر عند الاسلام

دراويش

وعند الاسلام جماعة يقال لهم الدراويش جمع درويش وهم عباد يفعلون امورا دينية قد تكون هوسية فيتعجب الناس من رقصهم واهتزازهم على وجه صعب

تقدم العثمانية في العلوم والفنون والمعارف

فاذا فهمت ماسبق علمت أن تقدم العثمانية في الفنون الادبية والعلوم المدنية قليل الى الآن ولكنهم خطر لهم أن لابد من التعليمات العمومية فتجد في الجوامع السلطانية باسلامبول و بروسا وادرنة مدارس يسافر اليها من جميع اجزاء المملكة التلامذة ليتعلموا فيها العلوم الشرعية من توحيد وفقه وحديث وتفسير ويمتحنون في هذه المدارس اذا ارادوا التدريس فمن رأوه صالحا للتدريس اجازوه وهذه المدارس اسسها عدة من السلاطين العثمانية واول جامع حدث في اسنيق سنة ١٣٣٠ من الميلاد بناه السلطان اورخان ولكن جامع سليمان في اسلامبول اعظم منه ولهما ترتيبات كثيرة تكفي التي تلميذ اوثلاثة آلاف وتلامذتهما بعد تعلمهم يقلدون وظائف القضاء ونحوه اووظائف خدم في الدولة وهؤلاء التلامذة لايكون تعلمهم للعلوم منتجا العدل بل دائما في البلاد التي تكون المعارف فيها مقصورة على جملة مخصوصة من الناس لايفيد التعليم في الغالب الاتكثير حيل الظلم ولا تجد في بلاد العثمانية وسائط للتعليم والتعلم * ووسائل للتفهيم والتفهم * حتى تصل المعارف الى الخاص والعام * وينتشر التعليم الكامل بين امة خير الانام * نعم ان علماء الاسلام قد الفوا كثيرا من الكتب المعتبرة تتعلق بعلوم العربية والفارسية والفلسفة والادب وعلم السيرة وجغرافية اقاليمهم الا أن هذه المؤلفات التي اكثرها عبارته متشدق فيها اذا وجد فيها بعض معارف صحيحة وفوائد مهمة فان اغلب الناس لايحيطون بها علما فلا تنتشر بين اغلب الناس ولما كان ببلاد العثمانية كتاب يتعلقون

تجربة الطباعة

بنسخ الكتب ويتكسبون منها وكانوا لايريدون طباعة الكتب لكونها تعود عليهم بالضرر وكان اغلب العلماء يعارضون في طبع الكتب كان هذا سببا في كون المطبعة في بلاد العثمانية ليست على وجه ثابت نافع كما ينبغي فاذا ادعى اهل الدولة العثمانية ان صناعة الطباعة غير نافعة رد عليهم الافرنج بقولهم لولا ظهور هذه الصناعة لماتقدم التمدن ولا كثرت العلوم والمعارف ولا كانت بلاد اوروبا مثل الآن

حالة الفنون والصنائع والاشغال

وفقد المعارف الساطعة * يعود دائما بالضرر على الصنائع النافعة * وذلك لان العثمانية لاسيما عثمانية آسيا وان كانوا ليسوا مجردين بالكلية عن الميل الى الفلاحة فان هذه الصناعة عندهم هي اول الصناعات المطروحة في زوايا الخمول والذبول وضعيفة في جميع اجزاء المملكة من اولها الى آخرها وذلك لان الفلاحين لايجيدون زراعة ارض يخشون على حصيدها من جور الباشات ونهب ارباب الصيال المتعرضين للسرقات واما المهارة في اشغال الفبريقات فانها مقصورة على عدة مدن اعظمها اسلامبول ومن هذه المدن بآسيا دمشق وحلب والموصل والجورة وانكورة وقسطاموني وبروسا وازمير وفي اوروبا سلانيك وادرنة وروسجوق وغيرذلك واصول مايخرج بهذه الفبريقات السجاجيد والسختيان واقمشة الحرير ونوع من السلك يسمى خيط الترك والسلاح الابيض ومعظم استمداد التجارة وزيادتها من نقل البضائع الغشيمة وحملها من هذه البلاد لتباع في غيرها كالصوف والحرير والقطن والجلد والدخان وبعض المعادن لاسيما النحاس وكالنبيذ والزيوت والادهان والتين والتمر واللوز والزبيب القورنثي وغيرذلك من الفواكه فان هذه كلها تكون فروع تجارة عظيمة ويأخذ الافرنج ايضا من هذه البلاد دودة الصباغة والعفص والشب وعدة اطيان واتربة مخصوصة لاسيما نوع من الطين يسمى عند الافرنج السجيلة وهو الطين المختوم وكذلك مادة طينية تسمى رغوة البحر اوزبد البحر هذا مايستبضعه الافرنج من تلك البلاد

براعة اهل الاسلام في الاشغال

واهل الاسلام لايتجرون الاقليلا ولكن فيهم ارباب زراعة ماهرون ومنهم ايضا من له براعة في عمل الجوخ والاسلحة والدباغ وغيرذلك وشغلهم البولاد والنحاس وصباغتهم ان لم تفق عن شغل الافرنج فانها تساويها فقد بلغوا فيها درجة كمال وكذلك عندهم خياطون واسكافية اعظم مما عند الافرنج وابرع منهم بكثير ولما كان الاروام بهذه البلاد كثيرين

الاروام

جدا انتشبوا بهذه الصنائع والفنون جميعها وبغيرها مما لايشتغل به العثمانية ففيهم بحريون لايوجد نظيرهم في مملكة العثمانية ولكن معرفتهم بالعلوم البحرية هينة جدا بالنسبة للافرنج اللهم الابعض بحارة اروام في جزائر بحر الروم المسمى

الارمن

بالارخبيل واعظم تجارة مملكة العثمانية يشتغل بها امة الارمن ولما كانوا ارباب تجلد وصبر واقتصاد في المعيشة وارباب هم لاتكل ولا تمل تعلقت آمالهم بالاسفار البعيدة فيسافرون في داخل بلاد آسيا وفي بلاد الهند ولهم حواصل تجارة ومراسلات ومشاركات في جميع المحال ومنهم من يشتغل بالحرف والصنائع اليدية ومنهم صيارف وسماسرة ومنهم وكلاء الباشوات وغيرهم من الاعيان يقضون مصالحهم واما اليهود في الدولة العثمانية فهم دون ماهم عليه

فى بلاد الافرنج فكل نوع من انواع التجارة يليق بحالهم بشرط أن يكون فيه لهم الربح ولو كان حقيرا خسيسا والاغنياء منهم يتعاطون الربا ومنهم من يخدم فى دواوين المكوس فتجد الاتراك يأخذون فى هذه الدواوين فقراء اليهود ليقوموا البضائع ويقدروا ما يؤخذ عليها من المكس

ايراد الدولة

واما ايراد الدولة العثمانية فلا يمكن تقديره ومعرفته قياسا على ما يقع فى بلاد اوروبا بمقتضى الاصول هنالك وذلك لانه فى هذه الدولة تتفرع اصول القدرة والقوة على وجه عجيب اى يأخذون الاموال باوجه عديدة ولكن بانواع من القوة والقهر فكم من الباشات من يجمع اموالا عظيمة من الناس ولا يصل منها شئ ليد الدفتردار افندى وهو الوكيل على الاموال وخزندار المملكة العثمانية وتحت يده الخزينة العامرة التى تصب فيها الاموال التى تحصل من بيع المناصب العظيمة والتى تأتى من تقريرات الابقاء كل سنة فى اولها ومن اصحاب الاقطاعات على اختلافها والملتزمين وكذلك ما يحصل من الخراج وهو فرد الرؤوس على اليهود والنصارى والالتزامات المستأجرة ومن المكوس والجمارك وثم شخص ايضا يلقب وكيل الخزينة وهو اغاة حريم اسود خصى موكل بتدبير الخزينة السلطانية الداخلية وهذه الخزينة يدخل فيها الاموال التى تضبط من اربابها بذنب من الذنوب او التى يرثها السلطان ومنها يكون مصاريف السراية السلطانية وثم خزينة اخرى وهى خزينة السلطان لامواله الخاصة به وهى تحت يد احد غلمان السلطان الذين يأتمنهم ويلقب خازنها بلقب خازندار اغاه وايرادها من كسب دار الضرب وتزيد دائما مما يوفره فيها اغلب السلاطين

الزعامة والتيمارية

نظام جديد

ثم ان وظيفة چلبى افندى حدثت من زمن سلطنة السلطان سليم الثالث وكذلك ما يؤخذ على النبيذ والمطعومات واغلب السلع التى للتجارة كالقطن والصوف والحرير فلما احدث هذا المكس سموه النظام الجديد وتقرر لفرق العساكر الجديدة وهم الطوبجية وطوبجية القنبرة وغيرهم والرماة بالبندق فان هذه لعساكر كانت حدثت جديدا وكذلك جددت الطوبخانات وورشات البندق وغيرها من الورشات النافعة وكانت الدولة تحب أن تحدث لها ايرادا من الرعايا وحادثة جديدة لمصاريفها فوقع أن هذه التجديدات بطلت عدة مرات بعدة فتن وقيامات سفكت فيها الدماء ولا يدرى هل يمكن للسلطان أن يحدث ما يريد تجديده لنفع دولته ويغلب على منع رعاياه له ويضبطهم اولا

ثم ان بعض المؤلفين ذكر أن ايراد الدولة العلية فى جميع السلطنة هو نحو مائة وستين مليونا من الفرنكات وأن مصرفها لا يزيد ابدا عن مائة وعشرين مليونا من الفرنكات ايضا وهذا بالتخمين والتقدير فلا يمكننا أن نقول فيه بايجاب ولا نفى اى ليس فى قدرتنا أن نحكم بصدقه ولا بكذبه

عساكر العثمانية

وقد حقق اثنان من ارباب المعرفة العسكرية ان عساكر العثمانية لم تبلغ اصلا المبلغ الذى نسبه بعضهم لها من المقاتلين فان هذا من مبالغات الامم الذين هزموا بعساكرهم فأطروا فى ذكر عدتها وذلك لان السلطان سليمان الثانى حين حاصر مدينة السلطنة النمساوية وارعج جميع الملل الافرنجية لم يكن تحت يده من العساكر الا مائة وخمسون الف مقاتل لا غير وعساكر العثمانية مؤلفة تأليفا عجيبا ومركبة تركيبا غريبا لم يزل باقيا الى الآن على حاله من غير أن يوافق ويمازج اصول صناعة العسكرية الموجودة الآن عند الامم الافرنجية وذلك لان الامة العثمانية لم تكن فى مبدء امرها الا قبيلة صاحبة غارات وحروب وكان عليها رؤساء يقال لهم اغوات والآن يلقبون بلقب اغاه الملتزم الذى له زعامة او تيمارة فيقال له زعيم او تيمار فهؤلاء الاغوات لهم خدمة عسكرية بانفسهم ومجبورون فى وقت الحرب على أن يحضروا معهم واحدا او عدة من فلاحيهم الملقبين بالجبلية والانفار التى يحضرونها اما أن تكون فرسانا او مشاة مسلحة مجهزة على حسب حالة التزامهم سعة وضيقا والتيمار لا يخالف الزعيم الا فى كونه ادنى درجة من الزعيم وهؤلاء الملتزمون يعطون للسلطان فى وقت الحرب نحو ستين الف جندى وقد مكثت هذه الجنود زمنا طويلا وهى القوة العسكرية للدولة العثمانية فبها انتصر السلاطين المتقدمون على اعدائهم وفتحوا البلاد واقاموا على ذلك مدة طويلة وعساكرهم منصورة وعند العثمانية وجاق ايضا يقال له وجاق السافية وهم اقدم من الانكشارية وماهياتهم اعظم من ماهيات الانكشارية ويعدون من اولاد الاعيان والاغنياء ويجاهدون ايضا تحت رايات الزعماء والتيمارية ويلزم أن يخلفوهم فى اقطاعاتهم والتزاماتهم بعد موتهم اذا عمل بمقتضى قوانين السلاطين القديمة وفى مدة سلطنة السلطان مراد الاول شرعوا فى انتخاب خمس جميع الاسرى دائما لاجل أن يعمل منهم وجاق جديد من العساكر المشاة يسمى ينى شيرى فحرف ذلك وقيل انكشارية والافرنج تقول يانسير ثم ان ضرورة الحرب احوجت بعد ذلك الى ظهور قانون آخر يوجب أن يدخل فى هذا الوجاق عشر اولاد النصارى وهذا من غريب سياسات العثمانية وتحيلاتهم التدبيرية ولا زال هذا القانون متبعا معمولا به مع غاية التدقيق الى سلطنة السلطان مراد الرابع فكان فى سلطنة السلطان سليمان الاول نحو مائة واحدى وستين اوضة من الانكشارية فى اسلامبول وكل اوضة كان بها من العساكر من ثلثمائة الى ثمانمائة نفس

سافية

انكشارية

فيكن

فيمكن حينئذ أن يقدر أن هذا الوجاق كان مشتملا على مائة ألف مقاتل والآن لا يدخل فى هذا الوجاق الا العساكر الاسلامية وكثير من الاغنياء ينتظم فى سلك وجاق الانكشارية بمجرد غرض الحماية لهم وأن يحظى بالمزايا والخصوصيات التى يتميز بها هذا الوجاق ولكن هؤلاء الاغنياء الداخلون بهذا القصد ليسوا محكمين واذا دفعوا شيأ هينا من النقود تخلصوا من الخدمة العسكرية وعوفوا منها وقد تأمل السواحون الماهرون لانكشارية اسلامبول وحسبوهم فوجد واعددهم ليس على حالة واحدة دائما بل يحصل فيهم التغيير والتبديل ولكنهم لا ينقصون عن عشرة آلاف مقاتل ولا يزيدون عن عشرين الفا فامرهم دائر بين هذين العددين

طاعة العسكرية

واما الانكشارية الذين فى غير اسلامبول من باقى المملكة فهم نحو ستين الف عسكرى ولكن لا ميل لهم اصلا الى المقاتلة وحرب العدو وهذا الوجاق الذى كان سابقا مهولا على جميع الافرنج ويخشى منه ليس الآن مهابا ومخوفا الا عند النصارى الذين هم رعايا للدولة العثمانية ولو تعلم العثمانيون الحروب الافرنجية والحركات العسكرية على منوال اهل اوروبا واعتنوا بذلك وتركوا احتقاره وضموا هذا التعليم العظيم الى شجاعتهم الطبيعية وقوتهم الاصلية لما كانت عساكرهم الا منصورة واعداؤهم الا مهزومة مقهورة فقد جربوا ذلك مرارا وشرعوا الآن ايضا فى الاختبار والتجربة وابتدءوا فى التعليمات والحركات الافرنجية على اصول اهل اوروبا ولكن الخلق ارباب الكسل وقلة الهمة يبغضون هذا الامر الجديد ويضمرون دائما العصيان ويقوى ذلك ايضا كبرهم وتعاظمهم فلا يفلحون فى ذلك الا بشق الانفس ولا يظهر نجاحهم الا بعد تجشم دولتهم الاخطار لبلوغ هذه الاوطار

حركة عسكرية

ثم ان القوة البحرية تجددت فى زمن السلطان محمد الثانى وعظمت السفن البحرية قوة وشوكة فى زمن السلطان سليمان الاول ثم اعتراها الضعف والذبول وكان مبدأ ضعفها من زمن سلاطين القرن الثامن عشر من الميلاد وكانت عامرة ثم هدمها الموسقوبية سنة ١٧٧٠ من الميلاد والآن اعتبروا فى عمارتها طرق الانكليز وقلدوهم فى ذلك على مقتضى ما كان نواه السلطان سليمان الثالث ولم يتم ذلك على مقتضى هذه الصورة الطريقة الظاهرية الى الآن غاية الامر انها الآن مركبة من نحو ثلاثين قباقا عظيما ومن كثير من القرقاطات وغيرها من السفن الصغيرة لاسيما الاغربه ذات المجاذيف ونحوها من السفن التى تليق بالبحر الابيض المتوسط ولكن البحريون اروام لا معرفة ولا فطانة لهم فى العلوم البحرية اللهم الا شيأ هينا على انهم لهم رغبة عظيمة وميل كامل فى الخيانة للعثمانية وغيرة على ملتهم وعلى ابناء جنسهم الذين خرجوا عن الطاعة واستقلوا وصاروا وحدهم جماعة فغرضهم أن يكونوا مثلهم فى الخروج من الاسر واجتناب خدمة العثمانية فى البر والبحر

القوة البحرية

وعلينا أن نضم للعمالات العثمانية التى ذكرناها ذكر السراية السلطانية يعنى ديوان السلطان وبيته المحترم وان كانت حرمته قد هتكت عدة مرات فى ايام الدتن والقيامات فى اسلامبول بل هذه السراية فى اغلب الاوقات فى خوف ونكد لاسيما وهى ماوى اللذات وقلة الشجاعة ودار الشهوات فتجد فيها عدة الوف من البستانجية شاكين الاسلحة مستعدين دائما للنزال فهم كالحرس لهذه السراية التى فى داخل دائرها قصور كثيرة وبساتين متعددة وفى المساكن المنعزلة المتفرقة التى يسمى كل مسكن منها حرما اى محل النساء عدة تمثات من الخصيان المسمين اغوات الحريم ووظيفتهم الخدمة وحراسة طوائف السرارى اللاتى يكون عددهن على حسب هوى السلطان قلة وكثرة ومن هذه السرارى من ترتقى بالحب او بالتزوير الى رتبة الخاتون اى زوجة السلطان واغوات الحريم منهم البيض والسود والاغوات السود تارة يكونون مجلوبين من بلاد السودان الجوانية وتارة من جزائر السوند وعلى كل حال فهم ياتون من بلادهم مجردين عن الاحساسات البشرية فيفلحون فى صناعات الخدمة ورئيسهم الملقب كسلار اغاه هو دائما مؤتمن على سر السلطان وسميره فقد يكون له القبول العظيم فى الدولة وقد يحظى باعلى كلمة فيها فقد شوهد أن هؤلاء العبيد الاغنياء جمعوا من الاموال الملايين ونصبوا الوزراء وصيروا الرعية والملك تحت مرهم ونهيهم

سراية السلطان

فهذا تخطيط حالة الدولة العثمانية وتحقيق امرها وشانها على وجه الاختصار فحاصل نموذجها انها عبارة عن انحلال انتظام وضعف ووهن فى جميع فروع الادارة والتدبير وذات ظلم الرعايا وجميع اقاليمها وعمالاتها مملوءة بالفتن وتجبر الاهالى والصيال وقطع الطريق فى جميع المسالك البرانية وفى كل اركان المملكة العصاة على السلطنة والقائمون على السلطان وبجوارها اعداء ارباب طمع وشوكة وليس عند العثمانية معاهدات ومحالفات ومشارطات مؤسسة معقودة عقدا لا ينحل وليس لها ما يعضدها من خارجها اى ليس لها احباب من الملوك البرانية بل من ملوك الافرنج من يحب تشييد كرسى الملك قسطنطين بسلبه من سلطان العثمانية واعطائه لملك آخر ينتخبه على مراده ومن ملوك الافرنج من يريد قبرص وكريد ومنهم من يريد بلاد البشناق والسرب والافلاق ومقدونيا ولا يمكن فى هذا العهد لملك من

تتمة

ملوك الافرنج اخذ شيء من بلاد العثمانية التى فى قسم اوروبا من غير أن يضر ذلك ببعض دول من الافرنج ارباب الشوكة والبأس الذين لهم فى ذلك مقصد سرّى سياسى وقد عضدت الافرنج سابقا هذه السلطنة العثمانية التى نفعت عساكرها سياسة الفرنساوية من حيث لا تشعر هذه العساكر بذلك حيث كانت سببا فى ضبط قوة الموسقو وعدم ارجحيتهم على غيرهم وايضا ميل الفرنساوية لشد عضد الدولة العلية فى سالف الزمان سببه ايضا ان ما يخرج من بلاد العثمانية من ثمرات الزراعات والصنائع كان فرعا عظيما لتجاراتهم فى مينا مرسيليا ولبغرنية ويتقوى الامر فى هذا العهد بسبب ان بلاد العثمانية صارت مجاورة لبلاد فرنسا بواسطة اقليم ايلريا الفرنساوية فاقامة العثمانية فى قسم اوروبا وبقاء دولتهم ودوام صولتهم كل هذا موافق لاغراض الفرنساوية الآن ولمقتضى اصول سياستهم ولما اضمروه فى انفسهم (كل هذا فى زمن سلطنة نابليون)

جدول يتضمن بيان اطوال وعروض اصول اماكن بلاد العثمانية فى آسيا على مقتضى احسن ما حسبوه من الارصاد الافرنجية

اسماء الاماكن	العرض الشمالى درجات	دقائق	ثوان	الطول الشرقى من باريس درجات	دقائق	ثوان	المنقول عنهم
سواحل البحر الاسود							
طرابوزان	٤١	٢	٠٠	٣٧	٢٣	٣٠	بوشمب
طرابوزان ايضا	٤١	٤	٤١	٣٧	١٦	١٥	كتاب تقويم الازمان
أونية	٠٠	٠٠	٠٠	٣٤	٥٩	٢٣	بوشمب
قزل ارمق	٤١	٣٢	٥٢	٣٣	٥١	٣٠	بوشمب ايضا
سينوب	٤٢	٢	١٦	٣٢	٤٦	٥٧	تقويم الازمان
سينوب ايضا	٤٢	٢	١٧	٣٢	٤٨	٠٠	بوشمب
راس كيرومبة	٤٢	٥	٣٠	٣٠	٤٦	٠٠	كذلك
اينيجى (ايلجيا)	٤٢	٠٠	٢٦	٣١	٣٦	١٥	كذلك
اماستروس	٤١	٤٦	٣	٣٠	١	١٦	كذلك
ايركلى	٤١	١٧	٥١	٢٩	٧	٥	كذلك
بقية اقليم اناطولى							
جزيرة مرمرة وهى اللسان الشرقى	٤٠	٣٧	٠٠	٢٥	٥	٠٠	دون غليانو تقويم الازمان
قلعة الدردانيل با سيا	٤٠	٩	٣٧	٢٣	٥٥	٣٠	كذلك
تنيدوس وهى لسان الشمال الشرقى	٣٩	٥١	١٥	٢٣	٣٢	٤٥	كذلك
راس بابا	٣٩	٣٠	١٥	٢٣	٣١	٢٥	كذلك
برسا	٤٠	٧	٢	٢٦	٣٨	١٢	سترين *مراسلات زاك
آق حصار	٣٩	٥	١٠	٢٥	٢٨	٠٠	كذلك
ازمير	٣٨	٢٨	٥٥	٢٤	٤٤	٤٥	دون غليانو
ازمير ايضا	٣١	٢٨	٧	٢٤	٥٣	٣٨	تريسنيك *من سجل ليكتنسترم
ساقز اطه سى اى مدينة ساقز	٣٨	٢٣	٢٧	٠٠	٠٠	٠٠	سيترين
كورة (جزيرة سوسام)	٣٧	٤٢	٢٤	٠٠	٠٠	٠٠	كذلك
رودس (المينا)	٣٦	٢٦	٠٠	٢٥	٥٢	١٥	نسوهر *مراسلات زاك
رودس ايضا	٣٦	٢٨	٣٠	٠٠	٠٠	٠٠	دوكازيلس فى كتاب اكدمية العلوم سنة ١٧٦١ من الميلاد
رودس ايصا	٣٧	٥٩	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	عرووابس *كتاب الفلسفة العقلية
كاليدونى (راس)	٣٦	١٣	٢٥	٢٨	٠٠	١٠	غليانو
انجورة	٣٩	٣١	٠٠	٣٠	٢١	١٧	جداول جغرافية
كوتاهية	٣٩	٢٥	٠٠	٢٧	٣٢	٠٠	نسور بوكولك
قره حصار (افيون)	٣٨	٤٦	٠٠	٢٨	١	٢٠	كذلك
قونية	٣٧	٥٢	٠٠	٣٠	٢٠	٠٠	كذلك
ملاطيا	٣٥	١١	٠٠	٣٨	٣٤	٣٠	شيلانغير

اسماء الاماكن	العرض الشمالي درجات	دقائق	ثوان	الطول الشرقي من باريس درجات	دقائق	ثوان	المنقول عنهم
مرعش	٣٥	٦	٠٠	٣٧	٤٤	٠٠	كذلك
قبرس							
راس سنت اندري	٣٥	٣٦	٣٠	٣٢	١١	٣٠	غليانو
لاركانا (قلعة)	٣٤	٥٤	٣٠	٣١	٢٠	٣٠	كذلك
لاركانا ايضا	٣٤	٥٦	٥٤	٣١	٢٧	٣٠	رحلة بخط اليد * كتاب تقويم الازمان سنة ١٨١١
نيقوزيا	٣٥	١٣	١٤	٣١	٦	٣٠	كذلك
ليزول	٣٤	١٢	١٤	٣٠	٣٦	٣٠	كذلك
يافا (مينا)	٣٤	٤٦	٣٤	٢٩	٥٨	٣٠	كذلك
سيرنيا	٣٥	٢٥	٠٠	٣١	١	٣٠	كذلك
الشام							
راس خنازير	٣٦	١٧	٥٠	٣٣	٢٠	٠٠	دون غليانو
لاتاقيا (اللاذقية)	٣٥	٣٢	٣٠	٣٣	٢٤	٠٠	كذلك
طرابلس	٣٤	٢٦	٢٦	٣٣	٢٤	٥	كذلك
الراس الابيض	٣٣	١١	٣٠	٣٢	٤٧	٠٠	كذلك
حلب	٣٦	١١	٣٠	٣٤	٥٢	٩	سيمون بمقتضى تقويم مونير وترديسنيوكير * راجع مراسلات زاك
كذلك	٣٦	١١	٣٣	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
بيت المقدس	٣١	٤٧	٤٦	٣٣	٢١	١٠	سيتزين
كذلك	٣١	٤٨	٠٠	٣٣	٩	٠٠	بولتر * خارتة الشام
بلاد الفرات							
ارض روم	٣٩	٥٨	٣٥	٣٩	١٥	٤٥	بوشمب
ديار بكر	٣٧	٥٤	٠٠	٣٧	٠٠	٠٠	سيمون بمقتضى تقويم مونير
كذلك	٣٧	٥٥	٣٠	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
كذلك	.	.	.	٣٧	٣١	٣٥	سيمون بمقتضى تقويم ترسنيوكير مراسلات زاك
ماردان	٣٧	١٨	٤٨	.	.	.	نيبوهر
الموصل	٣٦	٢٠	٣٠	.	.	.	كذلك
بغداد	٣٣	١٩	٥٠	٤٢	٤	٣٠	بوشمب * تذكرة الاكدمية
كذلك	٣٣	١٩	٥٤	٠٠	٠٠	٠٠	سيمون
كذلك	٣٣	٢٠	٤	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
الحلة (بابل)	٣٣	٣٤	٠٠	٥١	٥٣	١٥	بوشمب على مقتضى تذكرة الاكدمية
كذلك	٠٠	٠٠	٠٠	٤٢	٤	٢٧	بوشمب على مقتضى تقويم ترسنيوكير
البصرة	٣٠	٣٠	٢	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر

المقالة

المقالة الثانية والخمسون

في تخطيط اسيا * ذكر بلاد العرب والخليج العربي والخليج الفارسي

اعلم انه يتوسط بين افريقة وباقي آسيا بجيخزيرة العرب وهي تحف من جنوبها الشرقي جزا من البحر المحيط الهندي ومن جهة الشمال تتوسط بينها وبين بحر سفيد بلاد الشام ولولا بلاد الشمال لاتصلت بلاد العرب في تلك الجهة بالبحر الابيض * ومن جهة الشمال الشرقي تختلف حدودها وفي الغالب تتبع نهر الفرات وهي مفصولة من جهة الشرق عن بلاد العجم بالخليج الفارسي ويفصلها من بلاد مصر وبلاد الحبشة الخليج العربي

وضعها

وهذا الوضع جعل بلاد العرب كانها مركز للقارة القديمة فتارة كانت طريقا ومستودعا للتجارة التي تربط الامم بعضها ببعض وتوجب بعض المخالطة والعشرة وتارة كانت محلا للتقلب العظيم الذي حصل به تغيير لصورة الدنيا وهو ظهور سيد الاولين والآخرين ولكن مضي الازمان المتوالية وتقادم الاحقاب المتتالية انسى الناس القرابة التي بين العرب والحبشة واهل سواحل الشام وان كانت هذه القرابة ليس لها ماخذ الا تقارب الالسن كانه بطول الازمنة ايضا وتداولها لاتعرف حق المعرفة غزوات تبابعة الحميرية ولا شوكتهم وصولتهم وقد افادت كتب موسى و ايوب عليهما السلام صورة التمدن النبوي الذي يستميل القلوب لاسيا وقد بقي منه آثار مركوزة الى الآن في طباع العرب وظاهرة في اخلاقهم وعوائدهم وباقية الى هذا العهد من غير أن تمحى اصلا وقد حكى بعض المؤرخين أن اسكندر الاكبر كان عازما على أن يجعل قاعدة ملكه ببلاد العرب او على حدودها وشرع في ذلك فكانت سفن الامير نيارخس مستعدة جاهزة لتطوف حول بلاد العرب فبينا هذه العمارة تستعد لذلك اذا المنية قد اخترمت اسكندر فبطل جميع ما كان اضمره في نفسه * وفي زمن مملكة الملوك البطليموسية وزمن قياصرة الرومانيين كانت مصر تتلقى من البحر الاحمر ومن ايدي تجار العرب البضائع النفيسة التي كان يظن في اول الامر انها ناشئة ببلاد اليمن ثم عرف بعد ذلك أن اعظم البهارات والعاج وآنية الصين تاتي من الهند و قرمان وبلاد الصين ومع ذلك فهذا لا يقدح فيما كان يعتقد في بلاد العرب من المحاسن العظيمة وقد ذهب امير من امراء ملك الرومانيين المسمى اغسطوس الى بلاد العرب واراد أن يدخل بلاد سبا الشهيرة بالغنى واليسار ولكن منعه من ذلك كون بلاد العرب محصنة بالبوادي والصحارى والمفاوز وكونها كانت منقسمة في ذلك الوقت كما في هذا العهد الى عدة ولايات صغيرة كانت عامرة بالتجارات

تنبيهات تاريخية

وكانت مدن العرب وهياكلهم وقصورهم مزينة بالمعادن النفيسة التي كانوا ياخذونها بالمبادلة من الروم والعجم ويعطونهم في مقابلتها البهارات والعطريات والبلسان المكي والبخورات والاحجار الكريمة والآنية الصينية وكانوا لا يشترون من الاجانب شيأ من انواع الغلال ونحوها وكان علم البحرية قليل التقدم فكانوا ياتون ببضائع الهند بل وبضائع افريقية الشرقية كما هو الظاهر في قوارب رديئة فكان الذهاب والاياب ربما يبلغ خمس سنوات وكان سفرهم هذا بحذاء السواحل والشطوط فلم يكونوا يعرفون السفر في وسط البحر بواسطة الرياح الدورية المسماة رياح الموسم او الموسون كما تقول الافرنج الا في القرن الاول من تاريخ النصارى قبل ظهور الاسلام بستة قرون فهذا خلاصة تمدن العرب في قديم الزمان كما هو الظاهر ومعرفة تمدنهم بغية كثير من مؤلفي المتأخرين وبها شغفهم وتولعهم ولكن الظاهر ان قبائل العرب نزلوا من قديم الزمان ببلاد افريقية والهند واستوطنوا فيها وتناسلوا وليس نزولهم بتلك البلاد وقع آخر الامر فقط

تمدن العرب القديم

وفي زمن ظهور المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام كان باقيا ببلاد العرب الغنى العظيم والثروة الكاملة فظهر صلى الله عليه وسلم وغير صورة سياستها ودينها تغييرا كليا فصارت اول بلاد الدين المتبع المنصور ثم صارت بعد ذلك حاكمة على اعظم جزء من بلاد القارة القديمة وظهرت الشريعة المحمدية وظفر المسلمون حتى وصل فتوحهم لبلاد التتار الباردة وبلاد الزنج الحارة وبلغت هدايته وسطوته من بلاد الاندلس الى جزائر الملوك في البحر المحيط بل ربما وصلت ايضا في ذلك الزمن الى مجمع جزائر كارولينة وتجاوزت سلطنته في الجنوب بلاد موزنبيق وجزيرة مدغشقار

طهور الدين

ثم ان امة العرب حذرت مما يحصل عادة للامم الفاتحة للبلاد من كون عاقبة امرها أن يفتحها ايضا عدو واصعب منها فوقيت هذا الامر ولازالت الى عهدنا هذا تحظى باستقلالها القديم ولكن ليس بها الآن مجتهد كما كان في سالف الزمان * كالائمة الاعيان * وتجردت عن المعارف الفلسفية * والتاريخية والجغرافية * فهل تحتوي بقعتها الآن على ابن سينا وامثاله * وعلى ابي الفرج المؤرخ ومن ينسج على منواله * وهل ينشأ جغرافي كالادريسي فائق الاطلاع * او هل تعقد فيها مجالس العلوم المسماة بالاجماع * فقد نكصت على اعقابها في التحضر والتمدن * ورجعت القهقرى وفقدت ما كانت تعلقه بالتجربة والتمرن * وهي الآن محكومة بعدة ولاة امور ضعاف * وبحكام ظلمة ترتكب الجبر والاعتساف *

فشتان بينهم وبين الخلفاء السابقين * والسلاطين المتقدمين * الذين كانوا يذيعون عن المعارف وينشرونها * ويعتنون بالعلوم وينصرونها * وكان في ذلك الزمان المملوء بالانوار * سائر امم الافرنج في سائر الاقطار * في ظلام جهالتهم يعمهون * وفي الخشونة والتبربر يتقلبون * فكانوا يذهبون الى بلاد الاسلام * لاخذ ما يتعيشون به من الفنون والصنائع وما به يتم النظام * فسبحان الملك المنان * الذي كل يوم هو في شان *

تخطيط الخليج العربي والفارسي

واول شئ ينبغي الاهتمام به في تخطيط بلاد العرب طبيعة الجونين اللذين يتصلان بها ولنذكرهما فنقول ان مجرد تواصل حوضة الفرات واستمرارها يحدث الخليج الفارسي بخلاف الخليج العربي فانه بانفراده يشغل غوطة لايصب فيها شئ من الانهر فلهذا ظن ارباب الفروض والاجتهادات اخذا من منظره انه كان في قديم الزمان بوغازا موصلا بحر سفيد بالبحر المحيط الهندي ولكنه حصل له سد في طرفه الشمالي وقد شبهه اسطرابون بس في شكله بنهر عظيم فاصاب في ذلك وكل من الخليج الفارسي وخليج العرب مشحون بالدكات الرملية والمخاضات والجزائر الصغيرة جدا فليس به للسفر الاقليل من الطرق الخالصة المأمونة ومما يسهل السفر بهذا الجون ريح الموسم الذي يهب من الشمال الشرقي من

الرياح المتسلطنة المد والجزر

نصف شهر اقطوبر الافرنجي الى نصف شهر ابريل ولايمكن دخوله مع ريح الموسم المقابل للريح المتقدم الذي يهب على عكسه وهذان الريحان الدوريان يزيدان في قوة الجزر والمد وفي ضعفهما فيمكن للانسان بعض الاحيان أن يمشي في اليبس على طرف لسان الماء الذي يفصل مدينة السويس من بلاد العرب وفي الخليج الفارسي تهب رياح الشمال الغربي من اقطوبر الى يولية ولكن تتخللها في بعض الاحيان التلاقيح الشديدة التي تهب في الجنوب الغربي واما رياح الجنوب الشرقي التي تهب في باقي السنة فانها تناسب السفن الداخلة في هذا الخليج وفي مدة هبوبها تتسلطن الرطوبة الشديدة وشطوط كل من الخليجين وحافاتهما مركبة في الغالب من صخور جيرية صدفية واعماقهما مفروشة بالمرجان

عرق اللولو

المائل الى الخضرة ففي زمن الغليني يظن الانسان أن تحت الماء بسطا من الغابات المخضرة والرياض النضرة وهذا المنظر الظريف هو ضد المنظر المحزن الموجود بالساحل حيث ان هذا المنظر انما هو مجرد رمال مخلة لايتخللها شئ يسر الناظر ولكن هذا المرجان دون مرجان البحر الابيض المسمى بحر سفيد وبهذا البحر نباتات الفوقوس الطريفة وقد تعجب منها الاقدسون وهي الحشائش البحرية التي اوجبت للخليج العربي اسم بحر سوف ومعناه بالعبرانية بحر القش المتولد بالبحر المالح واما لفظ بحر احمر الذي كان يطلقه اليونان على سائر البحور التي تتصل ببلاد العرب فانه يظهر انه ترجمة عن اسم علم وهو ايدوم ويقال ايدومة ومعناه احمر والسهول الواسعة التي على ساحل هذين الجونين يترآى انها كانت مغمورة بالمياه في زمان قليل التقادم ولكن سهل تهامة لايتبع شط خليج العرب الامن الجهة الشرقية بخلاف سهل العراق والجزيرة فانه يوجد في شمال الخليج الفارسي ويتبعه في اتجاهه وصوبه * قال بعض المؤلفين

قيوف

من القدماء ان قيوف الانهر ليست ابدا ظاهرة وبارزة في نهر من الانهر مثل ظهورها في مصاب نهر الفرات * وبوغاز هرمز اقل ضيقا وازدحاما بالجزائر من بوغاز باب المندب الذي لمسماه من اسمه نصيب فهو باب الغرق وسنذكر

غرائب طبيعية

في غير هذا المحل جزائر هذا البحر ومما ينبغي التنبيه عليه انه في الخليج الفارسي تنبع في عدة اماكن لاسيما بقرب جزيرة البحرين عيون مياه عذبة في وسط الامواج المالحة والخليج العربي يظهر في جزيرة جبل الطور خمود عمله وهيجانه

جبال

واصول سلاسل جبال بلاد العرب يترآى انها تتبع البحر الاحمر وتوازيه وان البعد بينها وبينه من عشرة فراسخ فرنساوية الى ثلاثين فرسخا ويعظم ارتفاعها عن اصله عند امتدادها الى الجنوب ويظهر لنا أن لاشك في استمرارها متواصلة من امتداد بحر الهند الى بحر عمان ولامانع من كون هذه السلسلة بها قلال مرتفعة شامخة بل هذا هو الظاهر فان ركب الحاج المسافر من دمشق الى مكة يلمح جبلا يسمى شهاق او شاهق ويظهر من مسافة يومين ويرتفع كالبرج في وسط السهل وداخل بلاد العرب هو ربوة عظيمة كما هو الظاهر تاخذ في الميل جهة الخليج الفارسي ومنها جزء عظيم مقفار وقفار ولكن يتخللها واحات صغيرة جبلية تفصلها عن بعضها وهذه الواحات اذا نظرت الى وضعها ونسبة بعضها الى بعض وجدتها كانها سلسلة مستمرة من جنوب فلسطين الشرقي الى جهة عمان

انهر وبحيرات

وجميع انهر بلاد العرب كالسيول تارة تقرب منها قرباعظيما وتارة يكون شبهها بها يسيرا وتسمى أودية ويبس ارض بلاد العرب مما تكلم عليه جميع المؤلفين حتى كاد أن يكون معنى من المعاني التي كل انسان يظهر في وصفها بلاغته وفصاحته ولكن نبه بعض الجغرافيين من العثمانية على ان بنجد التي هي الربوة داخل بلاد العرب عدة بطيحات ويؤيده ما شاهده اسطرابون ونص عليه حيث قال ان هناك بحيرات تتكون من الانهر

قطر

وقطر بلاد العرب كقطر البلاد الشمالية من قسم افريقة فتجد بجبال بلاد اليمن امطارا دورية من وسط شهر

يونية الى غاية شهر سبطمبر وقيل أن مكث الغيوم اربعة او عشرين ساعة متوالية متصلة زمن الامطار وما بقى من السنة يندر أن ترى شيأ من الغيوم وفى مسقط وجبال عمان يبتدئ فصل المطر من وسط شهر نوفمبر الافرنجى ويمكث الى نصف فبريه وفى سهول بلاد اليمن قد تمر السنة بتمامها من غير نزول المطر وفى شهر يولية وشهر اغسطس يصعد ميزان الحر فى المخا الى ٩٨ درجة بخلاف ذلك فى صنعا اليمن وفى الجبال فلا يرتفع الا الى ٨٥ درجة وكل هذا بمقياس ميزان فهرنهيط وبمدينة صنعا اليمن قد ينعقد الماء ويحصل الجليد الا ان هذا من النادر وقد ذكر الادريسى عدة جبال هنالك يكون بها الجليد فى الصيف وفى الصحراء التى بين البصرة وبغداد وحلب ومكة يخشى من ريح السموم اكثر من غيره من الرياح ولا يكون مخوفا الا فى شدة الحر ولما كان عرب البوادى فى غالب احوالهم ليس عندهم الا الرياح النقية السليمة كان بعضهم على ما يقال يشم هبوب هذا الريح كرائحة الكبريت لقوة حاسة شمه وسلامتها ويقال ان من علامة هبوب ريح السموم ان مهبه يظهر به فى الجو حمرة خفيفة فمتى شم العرب قربه يشامون بالارض ويقولون ان من طبيعة الحيوانات فى وقت هبوبه طأطأة رؤسها ومن جازف وشمه مات وانتفخت جثته حتى ان من نظرها ترآى له ان هذا الريح يحمل معه سما كامنا

ريح السموم

وقفار بلاد العرب القحلة لم يرض اقتحامها ارباب علم المواليد وان كانوا ادائما ارباب جسارة ورغبة ولكن ما فيها من الواحات الكثيرة الجبال المظللة بالنخل بانواعه يستحق أن يشاهده ارباب الرغبات ويطلع عليه علماء الكائنات وحاصل ذلك ان السهول الرملية يخرج منها من النباتات كما يخرج ببلاد افريقية الشمالية واغلب هذه النباتات مالحة دسمة مثل الميسمبريانثيمة وشجرة العود القاقلى والفربيون المسمى اللبانة المغربية والاسطابلى والقلى فهذه السهول تطفى ظمأ الابل وتنعش المسافر وعندها ترتاح القافلة من مشاق السير

نباتات البادية

واما ساحل البحر فان منظره اكثر من هذه السهول نباتا واعظم منها نزاهة لوجود الاختلاف والتغير فى نباتاته وذلك ان ما به من الجداول التى تنزل من الجبال تجد دائما على شطوطها خضرة ظريفة والنباتات المتولدة فى الرمال التى تستر الاراضى المجاورة للبحر هى مثل نباتات البادية المتقدمة ولكن شطوط الانهار والاودية والسهول ذات خصب مخالف بالكلية لقحولة الجبال * وكثير من نباتات الهند والعجم الشهيرة بجمال صورتها او بكمال نفعها يتولد اصالة فى هذه الشطوط فى كل زمن من الازمان كالتمر هندى والقطن والموز والتين الهندى وقصب السكر وصنف من شجر جوز الطيب والبطل المسمى ايضا بالطمبول وجميع انواع البطيخ وكذلك اليقطين ويحق لليمن الافتخار بشجرتين عظيمتين وهما شجرة البن وشجرة البلسان المكى الذى هو اطيب رائحة من سائر انواع الراتينج واغلى منها قيمة ومزارع البن تكون بمنحدر غربى الجبال العظيمة التى تخترق بلاد اليمن وتوجد ايضا مزروعة فى اقاليم اليمن مثل اقليم حاشد المسمى ايضا اقليم بكيل وكاقليم قطبة واقليم يافا ولكن الظاهر ان اقاليم اودن وقوسما وصابى او ظابى يصح فيها البن اكثر من المتقدمة فيخرج منها اعظم البن واكثره ويقال ان العرب منعوا خروج زريعة البن من بلادهم ونهوا عن ذلك وجعلوا جزاء من يخرجها عقابا شديدا ومع مثل هذا التشديد فقد وجد الفرنساوية والفلمنك والانكليز طريقا لنقل شجرة البن الى قبائلهم ونزلاتهم المهاجرة والمستوطنة فى البلاد البرانية عن بلادهم ومع ذلك فشتان بين بن الافرنج وبن اليمن فان بن اليمن لا زال باقيا على جودته وقد ادعى العرب انهم نقلوا شجرة البن فى الاصل من بلاد الحبشة ولعل اول من عرف خاصة نفع البن وزراعته هم الحبشة

نباتات الشط

شجرة البن وشجرة البلسم

وقد كانت سابقا بلاد العرب شهيرة بالبخورات كما كانت مشهورة ايضا بالذهب ولكن جميع البخورات التى كان ينقلها اهل البلاد الشمالية من بلاد اليمن لم تكن من اقليم اليمن والآن لا يزرع عندهم منها الا اللبان وهو ردئ ويزرعونه على ساحل العرب الجنوبى الشرقى وحوالى مدن رشين ودفار ومربط وحاشك وكذلك فى اقليم شحر وهو اعظمها والجبال التى ينبت بها البخور هى طفلية وبها طبيعة ملح البارود وتنقل العرب اصناف البخور من بلاد الحبشة ومن بلاد سيام ومن جزيرة سومطرا وجاوه ومن هذه البلاد ينقل الى بلاد العثمانية بكثرة واقل ثلاثة اصناف لبخور الجاوى الذى يبيعه التجار اعظم من لبان بلاد العرب واجود منه

بخورات

وببلاد العرب تجد غلات اشجار كثيرة وليس بها غابات عظيمة اصلا ومن جنس النخيل ببلاد العرب تجد نخل التمر ونخل جوز الطيب وكذلك الصنف العالى المسمى نخل المروحة ومن الاشجار المتولدة وحدها او المزروعة بهذه الجهة اشجار التين والبرتقان والجميز والموز واللوز والمشمش وشجر البسر الذى يتخذ حطبه للسجع واقاقيا النيل وهى السدر وصنف يسمى السنسيطيف وغيره ايضا من اصناف الجنس المسمى الميموسة ويزرعون ايضا العنب والسفرجل ويصح ذلك عندهم وينتفعون به ومن النباتات والاشجار الصغيرة التى ينبغى التنبيه عليها شجر حب الملوك والسنا مكى وكذا

انواع الــ..

هاتين الحشيشتين داخلة فى الادوية ومنها نوع من اللعل يسمى القطيعة المدورة والزنبق الابيض ونبات عال يسمى البنقرانيوم وكل هذه النباتات ممتازة بطيب روائحها وكونها من العطريات وبها ايضا الند المسمى بالقاقلى وهو دون ند سقطرا والاسطيراش (وهو نوع من الراتينج طيب الرائحة) والسمسم وهو يسد مسد الزيتون فى استخراج الزيت

الزراعة والحنطة والذرة الشامى والصفرا تستر اراضى بلاد اليمن وبعض اقاليم اخرى من بلاد العرب خصبة والخيول بهذه الجهة تعلف بالشعير واما الحمير فعلفها بالفول ويزرع بها ايضا النيلة والورس وهو صبغة صفراء وتخرج بكثرة من المخا الى بلاد عمان والفوة ويستعملونها فى صبغ الاحمر بها ومحراثهم بسيط ليس مشتملا على مواد كثيرة مثل محاريث الافرنج ويستعملون المعول المسمى بالطورية دون الفاس وتعهد المزارع معظمه بتوصيل مياه الغدران او الآبار او البرك للاراضى المبذورة وفى الحصاد يقتلعون السنبل من اصله ويجذون العيدان بالمقاصيل والمحشات

الابل ثم ان الابل ذوات السنمة الواحدة سماها بعضهم السفينة الحيوانية لانه بدونها لا يمكن للعرب العبور بجور الرمال القائضة ببلادهم ثم ان ارسطو و بلنياس بينا غاية البيان صنفى الجمال المعروفين الى الآن اللذين لم يعرف لهما ثالث الى هذا العهد احدهما ماله سنمة واحدة بظهره وهو كثير ببلاد العرب ومصر والنصف الشمالى من افريقة وهذا الصنف يسمى بالجمال العربية * والثانى وهو بارض العجم والموسقو الجنوبية وببلاد بخارى وصنعه يسمى بالجمال البخارية وجمال العرب تنقسم ايضا باعتبار ثقل حملها او سرعة سيرها الى الرواحل والهجن هذا ما اشتهر وجمال بخارى مشهورة باسم الجمال البخاتى وقد عرفوا الآن ان الابل العربية تتولد وتتناسل مع البخاتية ولكن لا يعلم هل هذا الجنس المركب المختلف متولد او عقيم كالبغال

اختلاف اصناف الابل

المواشى وغيرها وبقر بلاد العرب له سنمة فى ظهره مثل بقر الشام وفى بلاد نجد الغربية يقوم السمن مقام الزيت ولا يعلم حق العلم جنس غنم بلاد العرب وانما يقال ان اذنابها سمينة جدا تجر على عربات صغيرة والظاهر ان اصوافها خشنة غير جيدة ولحومها غير لذيذة الطعم وهناك معز برية تسمى معز الصخور توجد فى جبال الحجاز وببلاد العرب حيوانات غير ذلك وهى الجكال وهو ابن آوى والضباع والقرود واليربوع والظباء وبقر الوحش والنمور والثعالب والخنازير الوحشية وصنف يشبه النمر يسمى البنثير وهو صنفان كبير وصغير وكلاهما موجود ببلاد العرب ويأتى بتلك البلاد من ارض العجم المشرقية كل سنة طير من اصناف الدجاج او السمان يهلك الجراد الذى هو جائحة الزروع باسرها فلذلك تراهم يعظمون هذا الطير ويحترمونه ومن الجراد صنف يالفون اكله ويقولون انه لذيذ الطعم وسهولهم معمورة بالحجل والدولك الوحشية تكثر بالغابات الصغيرة التى ببلادهم ويكثر السمان بالجبال والنعام التى هى احمق الطيور تترك بيضها بعض الاحيان فى الصحارى والبوادى والاسماك تكثر على سائر السواحل كما تكثر بها السلاحف كثرة بالغة فيقتات بها قبائل بتمامها لاغذاء لهم الا بها وسلاحف الارض ايضا تكثر ببلاد العرب يأكلها النصارى فى ايام صيامهم وبها نوع من الثعابين مبرقش بنقط بيض وهو عظيم السم ولدغته تورث الموت وبها نوع عظيم من الضب ضخم له قوة كقوة التمساح على ما زعمه بعضهم

الطيور

السلاحف

الثعابين

الخيل ولا ننسى فضل الخيول العربية التى هى فخر بلاد العرب وهى قسمان الكديشية وهى الخيول المعتادة والكحلانية وهى الخيول الجيدة الجنس ويقال ان اصلها لاصيل من اصطبلات سليمان عليه السلام وان نسلها باق من منذ الفى سنة ومحفوظ من غير دخيل فى جنسها وهذه الخيول تصبر على التعب وتمكث عدة ايام من غير اكل وتدخل كاسرة على الاعداء فى الغارات واحسنها ما يربيه عرب البادية فى صحارى بلاد الشمال

الحمير وهذه الاراضى بها ايضا صنف من الحمير جيد الاصل يباع باغلى قيمة وصفته تقرب من صفة البغال وفى بلاد اليمن تدور الخفراء للعسس وتطوف البلد وهى على ظهور هذه الحمير ليلا ونهارا او تعمل سائر الخدمة العسكرية راكبة ايضا عليها ما عدا المواكب والاحتفالات العامة وعليها تذهب الحجاج من اليمن الى مكة المشرفة وتصبر معهم على تعب الطريق وقد صح عند نيبوهر ان الحمار من هذا الصنف يمشى فى مقدار نصف ساعة ١٧٥٠ خطوة وخطوة هذه الحمير قدر خطوة الانسان مرتين والابل العربية الكبيرة لا تمشى فى نصف الساعة الا ٧٧٥ خطوة كخطوات هذه الحمير واكثر سير الابل الصغيرة فى هذا الزمن خمسمائة من هذه الخطوة ايضا والركض على الابل متعب بخلاف رماحة الحمير فلا تعب فيها

معادن وعلى ما قاله نيبوهر ان هذه البلاد ليس بها معادن الفضة ولا الذهب وانما يوجد بها بقلة فضة مخلوطة بالرصاص المستخرج من اقليم عمان ويوجد باقليم سعادة او سعد الذى هو فى الجزء الشمالى من بلاد اليمن معادن حديد

ولكنها

ولكنها سهلة التكسر ويخرج من بلاد اليمن الجزع ويجلب اليها العقيق اليماني المسمى حجر البخا من مدينة سورت بالهند وقال ايضا هذا الحكيم المتقدم ان بلاد العرب ليس بها شيء من الجواهر والاحجار النفيسة وما يوجد فيها فهو منقول اليها من بلاد الهند وهذا كله مخالف لما عاينه المتقدمون من ارباب السياحة واجمعوا عليه من جودة معادن بلاد العرب وكثرتها فلا يمكن اعتقاد خلافه فكيف يمكن أن تكون الارض المتسعة بهذا الاتساع خالية عن المعادن كيف وقد كانوا يستخرجون سابقا معادن ذهب بلاد اليمن فيجدون بعضها مخفيا في باطن الصخرات وبعضها الآخر في اراضي الحرث والى الآن يستخرجون ملح الطعام بقرب لوهيا وبكثير من المواضع غيرها وكانت مدينة جرّه على الخليج الفارسي مبنية باحجار الملح وهي الآن مدينة قطيف والظاهر ان الاقدمين كانوا يسمون الكهربا حجار وماطيق اي حجر العطر او البهار وما سمي بالزمرذ الاعرج ونسب الى تلك البلاد وقيل انه في مدينة ايوبه فلعله هو حجر الديالاج ومن الاحجار النفيسة ببلاد العرب الحجر الازرق والطوباز وقد شاهد نيبوهر في اليمن اعمدة من الرخام الاسود طول الواحد خمسة اشبار والمرمر الازرق وحجر القمر وعدّة اصناف من حجر السباط وهو معدن ذو بريق ولمعان

ثم انه حان لنا الآن ان نخطط بلاد العرب اقليما اقليما فنقول ان الاقدمين كانوا يقسمونها ثلاثة اقسام متباينة المقدار وهي بلاد الحجاز وهو اقليم صغير بين مصر و فلسطين في شمال البحر الاحمر ثم بلاد البادية وهي ممتدة جهة نهر الفرات وجهة وسط بلاد العرب وما عدا ذلك كانوا يسمونه بلاد اليمن وكلام نيبوهر يقتضي ان بلاد العرب منقسمة انقساما غير انقسامها في الزمن القديم وذلك ان وسط بلاد العرب مشغول باقليم واسع يشبه عدة بواد متسلسلة وهو بلاد نجد ثم الحجاز على البحر الاحمر وفيه مكة و المدينة ثم اليمن في الجنوب جهة بوغاز باب المندب ثم حضرموت وهي تمتدّ على سواحل البحر المحيط الهندي ثم عمان وهي في جنوب مدخل الخليج الفارسي ثم الاحسا المسماة ايضا هجر بفتح الجيم وان كسرها دنويل وهي على الساحل الشمالي من الخليج المتقدّم ولنفصلها فنقول

الجزيرة المصنوعة من جوني ايله والسويس المسماة برّية طورسينا تجاب السواحين بقديم شهرتها لا بسبب آخر لان مدن ايلة التي على لسان ماء من خليج العرب ومدينة الكرك التي في جنوب بركة لوط ومدينة الطور ليس بها شيء تعود منه ثمرة على من ياتي اليها وجبل سينا الذي هو هدفات عظيمة من الصخور الصوانية بسفحه دير رومي يسمى دير القديسة كاترينة راكب على سلسلة جبال تسمى عند العرب جبال موسى ولا يمكن للانسان ان يدور حولها الا بمسير عدّة ايام وهذه الجبال معظم تركيبها من احجار البلاط وبها عدّة اودية خصبة ذات بساتين وحدائق مزروعة بالعنب والنخيل والكمثرى وغير ذلك من الفواكه الطيبة التي تنقل الى القاهرة وتباع باغلى ثمن هذا حال الجبل واما الجزيرة التي بين جوني ايله و السويس فيظهر لارباب الاسفار انها عقيمة عقيما بشعا ويهوي ارضها القاحلة النوار المسمى ورداريحا و الحنظل ونبات آخر يسمى ابوتين ويخرج ايضا بها بعض اشجار صغيرة كالسدر وشوك مصر الذي يخرج منه الصمغ العربي وهذا الصمغ عند الضرورة يمكن ان يستعمل غذاء وكذلك شجر اتمر هندي يخرج به رشح كالصمغ في شهري يونية و يولية وهذا الصمغ يكون حلو طيب الرائحة حتى انهم قد يسمونه بالمن وهو من موسى عليه السلام وكذلك شجر البان وله ثمر يخرج منه دهن عظيم يرغب فيه ثم ان شجر الكبار او القبار وشجر الغار الوردي المسمى بالدفلى والقطن وغير ذلك من الاشجار الصغيرة كل هذه الاشجار منتشرة متفرّقة شذر بذر فتجدها باقات خضرة في وسط صخور مسودة من حجر الصوان واليشب والسنيط (وهو حصى له دخل في صناعة الصيني) وفي وسط سهول مشحونة بالرمال واحجار الزناد والزلط والعرب الذين ينزلون بهذه البلاد قليلون من رآهم يقول انهم زهاد هائمون ولكن بها غزلان كثيرة وغيرها مما يصطاد وسواحل هذه الجزيرة محفوفة بصخور من المرجان وبها نباتات وحيوانات مستحجرة بكثرة

وجبلا سينا و عريب مقدّسان عند الاسلام واليهود والنصارى لما ورد فيهما حتى ان الحجاج في رجوعهم من المدينة يذبحون الذبائح اكراما للمحل الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام المولى عز وجل وتجلى عليه فيه وجبل المقطب صخر عظيم على طريق جبل سينا الموصلة للسويس وبه نقوش بقلم قديم وقع فيها مناقشات بين العلماء ولما ذهب اليه نيبوهر رأى به مقابر جليلة فيها احجار منقوشة بالقلم القديم وهذا يدل على وجود مدن كانت في قديم الزمان عامرة زاهرة

ولو امكن للافرنج أن يسيروا مع الحجاج ليبحثوا عن مدن الحديدية و معن وغيرهما من المدن الموضوعة في واحات

معادن ذهب القدما

اقسام

برية طورسينا

نباتات

حيوانات

جبل المقطب

الحجاز

خصبة فى وسط الحجاز الذى هو اقليم اقل خرابا مما حوالى طورسينا والمسافر فى هذه الجهة يترك على يمينه الساحل الذى يظن انه يوجد به آثار مدين و حورا وغيرهما من الاماكن ولا يذهب اليه وانما الحجاج دائما بعد قضاء الحج يزورون المدينة المنورة على يسار المسافر فى الحجاز فيعرجون عليها ولا يجب على الحجاج زيارة مقام المصطفى عليه الصلاة والسلام الذى هو مدفن عظيم فى احسن ملبوجد من قلة الزينة والزخرفة ويقال ان المسجد النبوى به نحو اربعمائة عمود وبه نحو ثلثمائة قنديل توقد كل ليلة وفيه غير مدفن المصطفى عليه الصلاة والسلام مدفن صاحبيه ابى بكر وعمر ومينا المدينة هى الينبع

المدينة المنورة

مكة

وجميع ارض مكة حرم و مكة التى كانت ايضا فى قديم الزمان قاعدة بلاد العرب كانت تعرف عند اليونان باسم المقربة وكانوا يصفونها بانها عظيمة عامرة ومع عظمها وكونها حرما آمنا فارطها مجدبة وبئر زمزم مع فضلها فليس ماؤها كامل العذوبة والمراعى بعيدة عن هذه المدينة وتاتيها الفواكه من بساتين الطائف التى هى فى ارض عالية يقع عليها الجليد ولو فى الصيف وشجاعة قريش جعلتها مشهورة بين العرب وكانوا ملوك مكة وارضهم غير صالحة للزراعة لكنها مناسبة للتجارة بواسطة ميناجدة التى بينها وبين مكة مسافة اربعين ميلا فكان يتيسر لهم التجارة دائما مع بلاد الحبشة وكان اهل افريقية يجتازون بلاد العرب الى حد مدينة القطيف ببلاد هجر بخزائن اموالهم وكانوا يوسقون القوارب من لؤلؤ الخليج الفارسى ويسيرون حتى يصلوا الى مصب نهر الفرات و مكة متوسطة تقريبا بين الشام و اليمن فهى بعيدة عن كل من هذين الاقليمين بنحو ثلاثين يوما فالشام على ميسرتها واليمن على ميمنتها فكانت قوافل مكة تحط فى الشتاء فى اليمن وفى الصيف بالشام وكانوا اذا وصلت هذه القوافل الى اليمن او الشام حصل سرور عظيم للتجار البحريين الذين جاؤا من الهند واقتحموا مشاق البحر الاحمر للتعامل مع قريش فكانت جمال قريش توسق من العطريات التى تشتريها من اسواق صنعاء اليمن و مارب او من مينتى عمان وعدن وكانت قريش ايضا يشترون الحنطة وغيرها من اسواق البصرة ودمشق

ميناجدة بجارة

ولكن الآن تغيرت طرق التجارة وصارت مكة مطروقة للحجاج بالاصالة وفى كتب الجغرافيا المتداولة مدحوا جمال الكعبة وزينتها وابوابها الكثيرة وقبتها المذهبة فلما شاهدها المعلم نابوهر قال فى وصفه لها ان هيئتها تشبه هيا كل الهند القديمة وهيا كل بلاد سيام وشبهها بهذه الهيا كل اقرب من شبهها بمساجد الاسلام التى تجددت وحدثت بعد ظهور الاسلام لان الكعبة اى المسجد الحرام بناء مربع مكشوف يحيط به اعمدة غير أن هيا كل الهند بها اهرام ومسلات والكعبة بها منارات وفى هذا الدائر عدة ابوابات للصلاة وداخله بناء مربع وهو الكعبة الحقيقية والحجر الاسود مربع فيها ومثبت والظاهر انه كان ايضا معظما فى زمن الجاهلية وقبل البعثة فكانت الكعبة ايضا يحج اليها فى زمن الجاهلية سائر العرب ويطوفون بها سبعا ويقبلون هذا الحجر الاسود وكانوا يقربون الهدايا من الغنم والابل لنحو ثلثمائة وستين صنما كانت معلقة بالكعبة فلما ظهر صلى الله عليه وسلم ابطل هذه الاصنام وظن بعضهم ان هذه الاصنام انما كانت بهذا العدد لانه كعدد خدام ايام السنة من الجن وان الصنم الذى كان معلقا على رأس الكعبة هو الشمس وكانوا يسمونه باسم هبل

الكعبة

قدم الكعبة

ثم انه يوجد بجبال الحجاز عدة ولايات صغيرة والموجود من العرب بهذه الجبال لا يعيشون فى الخيام مثل غيرهم من عرب السهول بل لهم مدن وقرى مسورة ويمانعون عن انفسهم ويحفظون بلادهم بقلاع صغيرة على صخور وجبال صعبة المرتقى ومن هذه الولايات اقليم خيبر وهو على الشمال الشرقى من المدينة المنورة ويقال ان اهل هذا الاقليم يهود مستقلون احرار يحكمهم مشايخهم كغيرهم من العرب وهم اعداء للقوافل فلهذا كانوا مبغوضين جدا لاهل الاسلام والظاهر أن يهود خيبر لا قرابة بينهم وبين اليهود الساكنين باطراف بلاد العرب ولعل يهود خيبر من الملة اليهودية المسماة قرائية وهذه الملة اعداء للملة الاخرى المسماة فرسية ومن المعلوم ان البغضة بين هاتين الفرقتين عظيمة جدا كالبغضة الواقعة بين الاسلام والنصارى

يهود خيبر

وعلى شرق الحجاز صحارى نجد وهى واسعة عظيمة وبلاد نجد محدودة جهة الشمال ببرية الشام وجهة الجنوب باليمن وجهة الشرق بعراق العرب وجهة الغرب بالحجاز وعلى ذلك فهو كناية عما يسميه جغرافيو الافرنج بلاد العرب البادية وحرز هذا الاقليم الذى هو نجد الحقيقى كثير الجبال والمدن والقرى مشحون بالبلاد الالتزامية المستقلة حتى ان المدينة قد تكون التزام شيخ يحكمها كما يشاء ويستقل بها وهى خصبة يخرج بها سائر الفواكه خصوصا التمر وهى قليلة الانهار حتى ان نهر عطشان المرسوم على بعض الخرطات ليس الا واديا او سيلا لا يعتلى الا بعد كثرة المطر وبهذا الاقليم كثير من الاخطاط فمنها خط العارض المسمى نجد العارض وهو يتصل جهة الشرق بهجر وفيه

نجد

خط العارض

كورة حنيفة المشهورة الآن باسم الدرعية ومن مدن الدرعية مدينة (ابانا) او (اجانا) وهى التى نشأ بها عبد الوهاب الذى تنسب اليه فرقة الوهابية ثم ان الحكيم نيبوهر جعل خط الخرجة فى الجزء الجنوبى الغربى من نجد فيكون على اطراف بلاد اليمن والظاهر ان من دله فقد غشه لان الخرجة على قول العرب هى التى بندرها مدينة اليمامة الشهيرة من زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم بخروج مسيلمة الكذاب منها فاذا تاملنا فى وضعها بالنسبة لمدينة الاحسا ومدينة (يبرين) راينا شكل هذه الثلاثة بنسبة بعضها الى بعض مثلثا متساوى الاضلاع كل ضلع منه مسيرة ثلاث مراحل وجبل العارض الذى تكلم عليه جغرافيو العرب يظهر انه هضبة صخور كاسية وهو صعب المرتقى جهة الغرب وبه ميل وهبوط جهة الشرق ويمتد من الشمال للجنوب وهو الذى سماه بطليموس فى جغرافيته جبل المريثى

مدينة اليمامة

جبل العارض

قال بعض من سافر من اهل دمشق انه من آخر ارض حوران الى شط نهر الفرات سهل عظيم خال من الانهر والعيون الدائمة المياه والربوات والمدن والقرى ولكن به بعض نباتات شوكية واشجار حسنة المنظر تنمو بقوة كاملة وهذا السهل يسمى (الحماد) وهو الذى سماه الملك المؤيد ابو الفدا (بالدهنا) وبه عرب العنزة وبنو صاهر اوشاهر والطيلب وغيرهم من عرب الخيام وعرب المنتفقية ساكنة على شطى الفرات من قرنه الى اراسية واذا ارتحلت قوافل دمشق فى جنوب هذا السهل من اسراق التى هى على مرحلة ونصف من البصرة فانهم يتبعون مسيرة سبع مراحل واديا وهو فراش نهر لاماء به فى الصيف يسمى وادى عرب السرحان وهذه الطريق اذا تبعوها جهة الجنوب الشرقى وصلوا الى ارض تسمى الجوف ويقال لها ايضا جوف السرحان وقد ذكرها دنويل واحسن وضعها ويشاهد فيها برج عال على شكل الهرم واهلها يعيشون دائما فى حروب مستمرة مع بعضهم ويقال ان عندهم كلابا برية يأكلونها ثم بعد ذلك يجتازون بصحراء كلها احجار طولها مسيرة مرحلتين ثم بصحراء اخرى كلها رمال طولها مسيرة ثلاث مراحل يذهب اليها الصيد بقر الوحش ووراء هذه الصحراء يرتفع جبل شمر المملوء بالغابات والقرى ويترآى ان ارتفاعه واتساعه يجعلانه مساويا لجبل لبنان والى هنا ينتهى طريق المسافر من دمشق فلا يدخل فى اقليم شمر الذى سماه بطليموس جبل زاميطاس وسمى دنويل هذا الاقليم بلاد شمر ولكن جعله ابعد غربا مما يستحقه كما يظهر من عبارته بل ربما جعله ايضا بعيدا يسيرا جهة الجنوب زيادة عما يستحقه ايضا ثم ان ذلك السواح الدمشقى اخبره بعض ارباب المعرفة ان مدينة الدرعية قاعدة الوهابية وهى بعيدة عن جبل شمر بمسيرة عشر مراحل ولابد ايضا انها تبعد بنظير هذه المسافة تقريبا من سواحل الخليج الفارسى وهذا على تقدير العرب للمسافات ولكن المعلم رنود الذى هو من سواحى الانكليز مضى اليها حين ذهابه من البصرة بحرا فسار اولا سبع مراحل من اقطيف الى الاحسا (فى الاصل اشا) التى بها نخيل ذات منظر ظريف ولكن قامة الفرس لا تزيد على خمسين اصبعا ومن الاحسا سار مسافة ثمان مراحل فى داخل البرارى والقفار حتى وصل الى درعية وهى مدينة غير بالغة فى الاتساع ولكنها ظريفة فى بابها اى بالنسبة لمدن العرب وما بجوارها من الربوات يتحصل منه كل نوع من الفواكه والثمار ويربون فيها خيلا جيدة الصفة واغناما سودا لا تحصى عددا

اسفار داخل بلاد العرب

الحماد

جوف السرحان

جبل شمر

مدينة الدرعية

سفر السواح رنود

وفى الجنوب والجنوب الشرقى تجد بلاد نجد منفصلة من بلاد اليمن وعمان بصحراء الاحقاف التى كانت سابقا كما تقتضيه الاخبار جنة ومتنزها من منتزهات الدنيا معمورة باقوام جبابرة كفرة يسمون قوم عاد فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية جلبت اليهم طوفانا من الرمال ولكن لم يزل لسانهم باقيا الى الآن فى جزيرتى كريان ومريان او كوريان وموريان

صحراء الاحقاف

قوم عاد

ومدن نجد ذات تجارات عظيمة فيتجر اهلها بعضهم مع بعض او مع المدن المجاورة لهم من بلاد الحجاز واليمن والاحسا فلهذا لا ينقطع الرجاء سواحو الافرنج من التوغل فى داخل بلاد العرب ومعرفة احوالها بمجرد تيسر اسباب هذا السفر ووجود فرصة ومن بلاد نجد خرج مذهب الوهابية المهول الذى شوكته الآن صارت مما يتعجب منها اهل آسيا واوروبا (فى زمن التاليف)

وخلاصة الكلام على اصل ظهور هذا المذهب وما حدث له من القوة والباس عند هؤلاء الناس انه قد تحدث العرب لاسيما اهل اليمن بأن شخصا فقير الحال من رعاء المواشى اسمه سليمان رأى فى المنام شعلة نار انفصلت من بدنه وانتشرت فى الارض وصارت تحرق من قابلها فقص هذه الرؤيا على بعض المعبرين فعبرها له بان ولدا من اولاده يحدث دولة قوية فتحققت الرؤيا فى حفيده الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المذكور فالمبتدع لهذا المذهب هو محمد بن عبد الوهاب ولكن نسب المذهب لعبد الوهاب فلما كبر محمد صار محترما عند بلدياته بسبب

خلاصة الكلام على الوهابية

مبتدع مذهب الوهابية

هذه الرؤيا التي لا يعلم هل هي صدق او كذب فاخبرهم بانه قريشي من نسل النبي صلى الله عليه وسلم واسمه كاسمه والف لهم عقائد دينية واصولا كلامية تتضمن عبادة الله واحد قديم قادر حق رحمن يثيب المطيع ويعاقب العاصي وان القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة وان محمدا رسول الله وحبيبه ولكن لا ينبغي وصفه باوصاف المدح والتعظيم اذ لا يليق ذلك الا بالقديم وان ذلك من قبيل الاشراك وان الله تعالى حيث لم يرض بهذا الشرك ارسله ليهدي الناس الى سواء السبيل فمن اجاب كان من الاحباب * ومن عصى حق عليه العذاب * ووجب قتله بلا ارتياب * انتهت قواعد ابتداعه * وضلالات اتباعه

معاهدة سياسية تحيلية ابن سعود

فاول امره بين مذهبه سرا فقلده عدة اتباع ثم سافر الى الشام لهذا الغرض فخاب سعيه ولم يجد من يقلده فرجع الى بلاد العرب بعد بعده عنها ثلاثة اعوام فكانت له خيرا من الشام حيث كان له بها ملاذ به يستحوذ عليها كمال الاستحواذ وهو ابن سعود من قبيلة نجد من مشايخ العرب وهو شهم كريم النفس بعد أن تولى حكم قبيلته تغلب على قبيلتين من قبائل اليمن فانضم اليه سائر العرب الرحالة بهذه الجهة فتبعوه ومالوا اليه وصاروا احزابه فاغار بهم على البلاد وبعد تمام خمس عشرة سنة صارت ولايته واسعة وارجاؤها شاسعة ومع ذلك فلم تكفه هذه البلاد بل كان غرضه ازيد من ذلك فظن ان محمدا الوهابي يجذب العرب بمذهبه وحبته فيتم غرضه الذي اضمره فاعان هذا المذهب وقواه فاخذ هذا المذهب في الازدياد والانتشار فاتبعه سائر امة نجد فرتب محمد بن عبد الوهاب مذهبه وجعله مطردا ثم اظهر الاجتهاد وانه كبير دين الوهابية واما ابن سعود فتولى امير الوهابية وحاكمهم وقائد عسكرهم فصارت ذرية كل من الاثنين تتولى رتبة سلفها واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم ودار ولايتهم في الجنوب الشرقي من البصرة في البادية

فتوحات الوهابية

ولازال ابن سعود مشتغلا بتحقيق ما اضمر في نفسه من توسيع ولايته فاحدث جيشا جيد التعليم وصار يجهدهم ويحيي قلوبهم ويرغبهم مبشرا لهم بالنصر فاخترمته المنية قبل انجاز غرضه فخلفه ابنه عبد العزيز وورث منه شجاعته وهمته وغيرته فكان اذا اراد أن يدخل قبيلة من القبائل تحت طاعته بعث اليها اولا يحرضها على اعتقاد القرآن على مقتضى تفسيره على اعتقاد الوهابية فان اعتقدت ما قال خلى سبيلها والا قطع دابرها الا انه لا يتعرض للنساء والاطفال بالشر وانما يسبي جميع الاموال واذا اطاعته القبيلة اعطاها حاكما يضبطها وانما يأخذ من هذا الحاكم عشر المواشي والنقود والعروض بل وعشر الانفار فيضرب القرعة ويأخذ عشر الناس فبهذا حاز اموالا لها صورة في قليل من الزمان وجيش جيشا عظيما ينوف عن ١٢٠٠٠٠ مقاتل فسلم له عرب البادية قبيلة بعد قبيلة وانضموا تحت لوائه فصار تحت قبضته جميع البادية التي بين البحر الاحمر وبحر فارس وحوالى بلاد حلب ودمشق وانتشرت فرقة الوهابية في تلك النواحي (والآن انكسرت شوكتها وذهبت دولتها بانفاس افندينا صاحب مصر)

اخلاق الوهابية وآدابهم

ثم ان الوهابية يبغضون من عداهم من الاسلام غاية البغضة لما بينهم من المخالفة الواضحة لكنهم يوافقون اهل السنة في فروع كثيرة مثل الختان والوضوء والغسل والصلاة والصوم والضحايا وغير ذلك ولكن لا يتخذون في مساجدهم منارات ولا قبابا ولا غيرها قائلين ان هذا من قبيل الابتداع ولا يعظمون الائمة ولا الاولياء ويدفنون موتاهم بغير احتفال ولا جنازة مزينة ويأكلون خبز الشعير والتمر والجراد والسمك ولا يأكلون اللحم والارز الا نادرا ولا يتعاطون شرب القهوة ومساكنهم وملابسهم غير مزينة ولا كثيرة المصرف ويمكن اعتبار امة الوهابية ثلاث طوائف المحاربين وارباب الزراعة والمحترفين اي ارباب الصنائع حيث ان هذه الامة تقاتل وتزرع وتشتغل بعدة حرف كشغل الخوص والقماش من صوف اوقطن والحديد والنحاس وصناعتهم في ذلك لا تنقص شيأ عن صناعة غيرهم من العرب

هجر

واذا نزلت من نجد بلاد العرب وصلت الى هجر واقليم هجر ينتهي جهة الغرب بالخليج الفارسي وحكامه من قبيلة بني خالد الا أن الوهابية تغلبوا عليه ومدينة الاحساء في هذا الاقليم وهي على نهر عطشان وهي

الاحسا القطيف

قاعدته حتى ان اقليم هجر قد يسمى اقليم الاحساء ومن مدن هذا الاقليم مدينة القطيف والظاهر انها هي التي كانت تسمى سابقا جدة وكانت مدينة جدة مبنية باحجار الملح واهلها غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو جل معاشهم فمنهم من يستخرجه لنفسه ومنهم من لا قدرة له على مصرف الاستخراج فيستخرجه لغيره من

قويط

التجار بالاجرة ويشاهد في هذه المدينة الآن آثار قلعة بورتغالية ومن مدن هجر مدينة تسمى قويط ويسميها العجم كراين واهلها غواصون للدر وصيادون للسمك على شط جزائر البحرين ويقال انهم نحو عشرة آلاف نفس

خصب هجر

وجميع هذا الشط عامر كثير الاهل وارضه كثيرة النخيل والارز والقطن وعلى حافات انهارها الزنبق والفاغية ولكن قد

تهب فيها الرياح بهذا الساحل فيتموج الرمل كالبحر العجاج فيهجم عليها فيغمر بقاعا كاملة ومن مدن هجر ايضا مدينة (تاروت) على شرقى مدينة القطيف وبها كروم مستطابة تغرق بعض الاحيان وقت المد وهذا محل القطر الذى سماه اسطرابونيس باسم ماقينا الذى قال ان العنب يزرع فيه فى كرابيل من القصب الفارسى وفى بعض الاحيان تجذبه الامواج الى البحر ثم يرجع الى محله بجذف المجاذيف المشهورة عند العامة بالمقاديف وفى بعض مدن هجر فبريقات الصوف فيصطنعون هناك العباء والاكسية

جزيرة البحرين

ومما ينبغى نظمه فى سلك بلاد هجر جزائر البحرين فى الخليج الفارسى بقرب ساحل بلاد العرب وهى شهيرة بما بجوارها من اللؤلؤ الذى يستخرجه الغواصون فى يونية و يولية و اغسطس وهذا اللؤلؤ يوجد فى تلك

غوص اللؤلؤ

الناحية بكثرة وقد كانت قيمة ما يخرج من اللؤلؤ فى القرن السادس عشر من الميلاد ٥٠٠٠٠ دوقة ولفظ بحرين تثنية بحر والظاهر ان هذا الاسم من اوضاع المتأخرين وذلك لان ابا لفدا وعرب الاحساء يسمون الجزيرة الكبيرة جزيرة اوال ولم يصب المعلم دنويل حيث جعل هذا الاسم وهو اوال لجزيرة سر (لعلها شهر) التى هى على شرقيها بثلثمائة ميل والجزيرة الكبيرة من جزائر البحرين بها مدينة محصنة وهى كثيرة النخل على قول المتأخرين والمتقدمون يسمونها جزيرة طولوس وقد اجاد والتخطيطها وفاقوا المتأخرين بذلك فقالوا انها ارض سهلة

نباتات

قليلة الغابات يخرج بها التين والعنب والنخل والقطن وبها شجرة ذات ازهار واوراق مشابهة لشجرة الورد تفتح وتضاد نور النهار والتمر هندى الذى هو فى غيرها شجرة صغيرة يصير فيها من الاشجار العالية وليس المطر فيها مناسبا للنباتات بل اهلها يسقون غيطانهم بالماء المالح وعلى حافات سواحلها بالبطوبارة (وهى شجرة التين الهندى) انتهى تخطيط المتقدمين فهل جميع ذلك تغير

بلاد عمان

ثم ان بعد مضى مسافة عظيمة مجهولة الحال يقال انه كان بها مدينتا مسقلات وبولغار نصل الى بلاد عمان وهى كثيرة الجبال وجبالها تمتد غالبا الى البحر وهى كثيرة الحبوب والفواكه والبحر المتصل بها كثير الاسماك كثرة بالغة حتى ان السمك لكثرته يجعلونه علفا للبقر والحمير وغيرها من الحيوانات بل يستعملون ايضا السمك لتسبيخ المزارع وينقل منها الى غيرها من البلاد التمر وبها معادن النحاس والرصاص وامام عمان هو اعظم امراء بلاد عمان

مسقط

شوكة وقوة يقيم فى مدينة رستاق ولكن مدينة مسقط المسماة ايضا مسكت اعظم من رستاق واشهر منها عند الافرنج وهى على الطرف الشمالى من خور طوله ٩٠٠ خطوة هندسية وعرضه ٤٠٠ ويحدق بهذا الجون شرقا وغربا صخور وعرة وفى داخل هذه الصخور تكون السفن العظيمة فى امن من الرياح الشديدة وفى كلا جانبى هذه المينا الطريفة عدة صفوف مدافع وعدة قلاع صغيرة والمحال التى ليست المدينة محصنة فيها تحصينا خلقيا مضروب عليها سور ووراء هذا السور ينفتح باب سهل عظيم ينتهى ايضا بصخور ليس لها الا ثلاثة مسالك ضيقة ومدينة مسقط مستودع التجارة العربية والعجمية والهندية سابقا ولا حقا وقد تغلب عليها البورتوغاليون سنة ١٥٠٨ من الميلاد وامير مسقط يتجر ايضا وله عدة سفن مسلحة يجلب بها كل سنة بضائع بلاد افريقية كالرقيق والعاج ونحو ذلك

صناعة البحر عند العمانيين

واهل عمان هم احسن البحريين ببلاد العرب واهم سفن صغيرة تجارية تسمى ترنكى ليست قلوعها من البارية (وهو صنف كالحصير) مثل الصين ولكن من القماش كما فى اوروبا وهذه السفن زائدة العرض بالنسبة للعرض الذى يستحقه طولها ومخفضة المقدم جدا وعالية المؤخر علوا بليغا ومن خصوصيات هذه السفن ان الواحها غير مثبتة بالمسامير ولكنها محزومة ملصوقة ببعضها كانها مخيطة ببعضها واغلب عساكر امام مسقط الملقب ايضا امام عمان عبيد من بلاد الكفرة المشهورة عند الافرنج باسم بلاد كفرية

وثم امارة مستقلة تسمى امارة سر او صهر وهى جهة رأس موقندون المشرف على مدخل الخليج الفارسى وبلاد عمان تنتهى جهة الشرق برأس تسمى رأس الحد فبالضرورة هذه الرأس تكون نهاية بلاد العرب

حضرموت

والساحل الجنوبى من بلاد العرب يتوجه اولا جهة الجنوب الجنوبى الغربى الى حد رأس كنسلى ثم يهتدى بعد ذلك جهة الجنوب الغربى فيتوجه نحو بوغاز باب المندب وهو فى الجزء الشرقى مسبوق بدكات رمال عالية وبفراش مرصوصة من المرجان وينبت فى هذا الساحل على قول اسطرابونيس اشجار يغمرها البحر عند مده

بلاد سحر

وفى ضائه الكامل والظاهر ان هذه النباتات هى المسماة البابطوبارة وبعد ذلك يأتى ساحل بلاد سحر وهو اكثر جبالا من الساحل المتقدم تنبت فيه البخورات وميناها هى مدينة حاسك على جون عظيم يسمى كوريا موريا

المهرة

ويحيط به عدة جزائر ثم مدينتا مربط ودفار ووراء هذه البلاد اقليم (المعرة) او (المهرة) وهو ارض واسعة كثيرة الجبال ولاهلها لغة خاصة بهم والظاهر ان جميع هذه الاقاليم داخلة فى اسم حضرموت بالتوسع فى لفظ

حضرموت الحقيقية

حضرموت لان حضرموت مدلوله الاصلى انما هو ما كان على الجنوب الغربى وبجوار بلاد اليمن وبها مدينة دوان ويقال انها مدينة واسعة ظريفة ولكن لم يستكشفها الافرنج ولم يطلعوا عليها لكونها فى داخل بلاد العرب وهى على خمس وعشرين مرحلة من صنعا وعلى احدى عشرة مرحلة من (كشين) التى هى مدينة على البحر واهل حضرموت ارباب حسن خلق مع الافرنج وجميع الغرباء والشيخ المستولى عليها له اقليم واسع فى بلاد العرب وتحت حكمه ايضا جزيرة سقطرا الشهيرة بعودها المسمى بالند او القاقلى وشيخ شيبان هو من المشايخ ارباب الكلمة والبأس فى الجبال المسكونة بالقبائل وبلاد حضرموت التى كانت شهيرة من عهد الملك اغسطوس بشجاعة اهلها بها فى عدة اماكن اقاليم كثيرة الجبال والخصوبة ووديان مروية بالمياه التى تنزل من الجبال وبهذه البلاد عدة مينات يجلب منها البلاد مسقط وبلاد الهند البخور والصمغ والمر والنبات المسمى عرق الحمرة ويقال له ايضا دم التنين والقاقلى ويجلب منها لبلاد اليمن القماش والسجاجيد ومقدار عظيم من السكاكين الكبيرة التى تضعها العرب فى الحزام من أمام ويسمونها اجنبية

اليمن

ثم ينبغى لنا أن نمعن النظر فى اعظم اقاليم العرب وهو بلاد اليمن فنقول كانت بلاد اليمن سابقا مملكة واسعة وقال بعضهم انها هى نفس مملكة سبا فتحت بالاسلام وكانت فى يد الخلفاء ثم اخذها السلطان صلاح الدين فصارت تحت يد ملوك مصر فلما ضعف المماليك خرجت عن طاعتهم سنة ٩٣٢ من الهجرة الموافقة لسنة ١٥١٧

سياسة ملك اليمن

من الميلاد وفى سنة ١٠٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة ١٦٣٠ من الميلاد اقر السلطان مراد الرابع السيد حسنا بن محمد على مملكة اليمن واعترف له بانه ملك اليمن لكن تحت سيادة الدولة العثمانية ومن هذا الزمن ذهب من مملكة اليمن عدة اقاليم لاسيما جهة الشمال والشرق ومع ذلك فمملكة اليمن الحقيقية سطحها تقريبا ٢٥٠٠ فرسخا مربعا واهلها نحو ١٠٠٠٠٠٠ نفس وملك اليمن رئيس فرقة الزيدية الموجودين بجميع بلاد اليمن ويلقب بامام اليمن وللامام معان معروفة وفى السكة يكتب امير المؤمنين وربما لقب ايضا بالخليفة ومملكة اليمن متوارثة وصاحب اليمن مستقل باحكامه فى الاحكام السياسية والشرعية يشهر الحرب ويعقد الصلح وحده ولكن عرب اليمن ارباب نفوس شريفة وهمم عالية لا يحملون الظالم ابدا حتى ان ملكهم لا يقدر على قتل الكافر فضلا عن المسلم الا اذا قضت محكمة صنعاء بذلك ومحكمة صنعاء مؤلفة من عدة قضاة رئيسهم الملك فمتى ظهر لاهل اليمن ان الملك يريد التعدى عزلوه فى الحال وبلاد اليمن يلقبون من حاز رتبة اهل الفضل بالفقيه وحكام الاخطاط يقال لهم دولة واذا كان حكام الاخطاط من اعيان الناس واشرافهم يقال لهم ولاة مفرده وال والحاكم لمدينة لا رباط بها يسمى شيخا فاذا كان حاكما على موضع اشرف من ذلك واعلى رتبة يقال له امير وكذلك فى دولة اليمن مفتشو عموم يبحثون عن سلوك العمال والحكام وليس علينا أن نرتكب مثل هذا التدقيق فان من اراد ذلك فعليه بقراءة كتاب نيبوهر

قوة عسكرية

وقوته العسكرية فى زمن الصلح هى عادة اربعة آلاف مشاة والف فارس وعساكرهم على عادة بلاد الشرق ليس لهم نظام واتحاد ولا تعليم عندهم ولا حركة عسكرية فاكثر ما يعرفون الرمى بالبندق وليس لليمن قوة بحرية وسفنهم الخشبية العادية لها شراعات من البارية

ايراد

وايراد صاحب اليمن كل سنة على كلام نيبوهر ٤٨٠٠٠٠ ريال دانيرقى وهو نحو ١٩٠٠٠٠٠ فرنك وقد استظهر هذا السواح ان اغلب هذا الايراد ياتى من مكس البن الخارج من اليمن وكما يخرج من اليمن هذه الحبوب

تجارة

الثمينة ينقل منها ايضا الند والمر والمر الجيد ياتيهما من بلاد الحبشة وكذا اللبان المسمى لوبانة وهو البخور والدون والسنامكى والعاج وذهب بلاد الحبشة وبضائع اوروبا التى تجلب اليهم هى الحديد والفولاد والمدافع والرصاص

فنون

والقصدير ودودة الصباغين والمرآت والسكاكين والسيوف والزجاج المشغول واللؤلؤ الكذاب والذهب والفضة يصنعان فى معامل اصحابها يهود بل والسكة كذلك ويشتغلون بعض زنبلكات وهى المسماة مكاحل ولكنها غير جيدة بل متوسطة الصناعة وفى مدينة المخا معمل للقزاز وكذلك فى بلاد اليمن عدة فبريقات للشاش واكثرها خشنية واليهود ببلاد اليمن نحو خمسة آلاف بيت اوعائلة يتجرون تجارة عظيمة فائقة ولكن يبغضهم اهل اليمن ويظلمونهم لانهم يغارون منهم ويبغضونهم نغمة دينية

اقاليم اليمن ومدنه

فهذه احوال اعظم ممالك بلاد العرب شوكة وهى تنقسم الى كثير من الاخطاط وتنقسم انقساما اجماليا الى قسمين اراض مرتفعة تسمى عند العرب جبلا واراض منخفضة تسمى عندهم تهامة وامهات مدن اليمن مدينة صنعاء

فى سفح جبل يسمى جبل نقوم وعلى كلام نيبوهر هذه المدينة ليست واسعة جدا بل يمكن أن يطوف الانسان حولها فى مسافة ساعة على أن جزأ من هذه المسافة به بساتين كثيرة وجدرانها من طوب وبها ستة ابواب وعدة مساجد ظريفة وبها قصور ومن مبانيها ماهو مبنى بالآجر ومنها ماهو مبنى بالحجارة والدور المعتادة ليست مبنية الا باللبن وهو الطوب اليابس فى الشمس وبها كثير من الخانات وتسمى سمسرة ينزل بها التجار والمسافرون والوقود بها ضرورى وقليل ولكن بها بعض معادن فحم حجر وبعض معادن التوربا وهى الحشائش العطنة التى فسدت وصار يوقد بها ولا يظهر بها ماقاله بلنياس من ان العرب يتدفؤن بالاخشاب العطرية والفواكه بها مستطابة لذيذة ولاسيما العنب فانه بهذه المدينة على اصناف

مارب

وعلى ماقاله بلنياس واسطرابونس وان كان غير واضح أن مارب المسماة مريابا كانت سابقا دار مملكة اليمن ولما رأى الحكيم دنويل ذلك استظهر ايضا حالا ان مدينة مارب هى مدينة سبا المشهورة عند العبرانيين وهى التى ذكرها بطليوس واغاترخيدس وغيرهما من جغرافيى اليونان وهذه المدينة هى الآن اعظم اماكن بلاد الجوف التى كانت تحت يد ملك اليمن وخرجت عن طاعته وصارت مستقلة وفى واد طوله مسيرة ستة فراسخ متصل ببلاد الجوف تجد ستة غدران أو سبعة مجتمعة وبعض هذه الغدران ذو اسماك وبه الماء مدة السنة تمامها

سد مارب

وسلسلتا الجبال اللتان بينهما هذا الوادى يتقاربان جدا من جهة الشرق حتى انه قد تكون مسيرة الوادى بينهما نحو خمس دقائق اوست ويقال ان هذه الفرجة سدت سابقا بسور غليظ فكان هذا السد يمنع الماء الزائد مدة المطر ويعده ويوزعه على المزارع والبساتين التى فى سفح هذه الجبال وهذا السد كان فى بلاد العرب معدودا من عجائب الدنيا حتى ان مؤرخى العرب تكلموا على هدم هذا السد وعلى ماترتب على هدمه من المكاره وأرخوا بزمن هذا الهدم وعينوه بتاريخ غير مجمع عليه عند العلماء

مدن الجبال

وفى بلاد الجبال اى الاراضى المرتفعة يحكم ملك اليمن على مدينة ذمار وفيها مدرسة عظيمة للزيدية وكذلك من مدن الجبال التى فى حكمه مدينة دوران وفيها شونة حنطة كبيرة منقوبة فى الصخور ومنها مدينة جبلا وهى ممتازة بكون طرقها مبلطة ومنها مدينة تعز ولها فخر بعظم مساجدها ومنها مدينة قوسيا ويصعد اليها بدرج فيصعد اليها مدة يوم من جاء من تهامة ومن مدن بلاد الجبل مدينة مناسك وسائر البيوت فيها منقوبة فى الصخور الحادة

اقليم صهان

وبلاد الجبل المستقلة عن حكم ملك اليمن تشتمل على اقاليم صغيرة منها اقليم صهان وبندره مدينة سعادة وفى هذا الاقليم تكثر الفواكه والعنب وبه ايضا معادن حديد يستخرجونها واهل هذا الاقليم لايخالطون الغرباء الا نادرا واستظهر بعضهم أن لغتهم تقرب كثيرا من لغة العرب الاصلية ومن لغة القرآن حيث لم يختلطوا بالاعاجم ومع قرب لغتهم على ماقيل بلغة القرآن لايعرفون منه الا الاسم ويغتذون باللحم والعسل واللبن والخضراوات ولما كانوا لايتزوجون الا كبارا فى السن بخلاف غيرهم من العرب الذين يتزوجون وهم صغار السن كانوا يعمرون كثيرا ويبقى بصرهم على صحته الى موتهم ومن النهب يكرمون ضيوفهم ومن بلاد الجبل المستقلة نجران وبلاد النزم صغيرة فى بقعة طيبة كثيرة الماء

نجران

وهى على الشرق الشمالى الشرقى من مدينة سعدة بثلاث مراحل وكثيرة الخصب واربع بها الحنطة والفواكه لاسيما التمر ومشايخ اقليم حاشد أو بكيل متعاهدون ومتحدون فلهذا كان امام اليمن يخشى سطوتهم

مدن السهل عدن

بل فى بلاد السهل وهى تهامة عدة ولايات صغيرة خرجوا عن طاعة ملك اليمن كولاية عدن وهى مدينة قديمة جدا شهيرة بالتجارة وبظرافة مينائها التى على البحر المحيط الهندى حتى ان الجغرافيين من العرب بسطوا الكلام فى تخطيطها وذكروا مخالطتها للبلاد الهند والصين فى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من الميلاد فكانت اموال بلاد الشرق تتراكم فى ساحلها كثير الصخور الخالى عن الماء والشجر وقد خربت عدن فى حرب الترك والبرتوغالية وبطلت تجارتها من زمن دخولها تحت ولاية امام اليمن فان هذا الملك بيده احسن المدن التى على خليج العرب كمدينة المخا التى لاتزال اسمها معظما عند المتولعين بشرب القهوة ومدينة بيت الفقيه ذات المينا العظيمة وهى الحديدة يخرج منها كثير من البن ومدينة لوهيا تتجر ايضا فى البن بكثرة ولكن بنها ليس جيد الصفة كبن المخا وبيت الفقيه ومن مدنه على هذا الخليج ايضا مدينة زبيد وليست هى سبوبا القديمة غير أنها كانت قبل هدم مينائها سيدة على جميع التجارة وجزيرة قمران الخصبة التربة الرديئة القطر لم يزل بها الى الآن قنطرة عظيمة بناها عليها البرتوغاليون

اداب العرب

وقد تكلمنا على البلاد فلنتكلم الآن على اهلها فنقول ان العرب ارباب قدود متوسطة اى ربعة وهم نحاف الابدان

وكأن الحرّ قد اييسهم وهم سمر اللون سود الاعين والشعور خفاف فى العدو والجرى يحسنون ركوب الخيل وهم دائما معدودون من ارباب الشجاعة ولهم براعة فى الرمى بالقوس والرمح ويحسنون الرمى بالبندق من منذ تشبثهم بهذا السلاح وعادة الناس ارباب التربية الحسنة ببلاد المشرق أن ترى دائما عندهم نوعا من العبوس فتراهم مهابين ويظهر أن هذه الصفة فى الاتراك من طباعهم الاصلية ولهم فيها عراقة اكثر من العرب ثم ان السلب والنهب وقطع الطريق من حرف عدة قبائل من العرب يسمون بالبدو وان من غير أن تعدّ عندهم من العيوب واما عرب المدن التجارية فعندهم فى مقابلة هذه الخصلة الذميمة خصلة اخرى وهى الغش والخداع ومع ما عند العرب من هذه المذام الناشئة من فقد الاحكام المنتظمة السياسات عندهم ففيهم خصلة اخرى ممدوحة وهى

اكرام الضيف

اكرام الضيف وذلك لانه اذا نزل مسافر من آحاد الناس بساحة شيخ من مشايخ العرب فانه يرحب به ويكرمه اكراما عظيما وفى بعض القرى من بلاد تهامة بيوت وسيعة معدّة لنزول ارباب الاسفار بها فقد يقيمون عدة ايام آكلين شاربين من غير مقابل وعادة العرب أنه اذا دخل عليهم انسان وهم يأكلون دعوه أن يأكل معهم سواء كان مسلما او نصرانيا كبيرا او صغيرا ويقال ان شيخ العرب البدو اذا اكل مع انسان خبزا كان لذلك الانسان على هذا الشيخ حق الحماية فيبذل هذا الشيخ جهده فى حمايته وربما يقع أن الانسان المنهوب الذى سرقت ثيابه يدخل فى خيمة الناهب من غير أن يعرفه فيرق لحاله ويرحمه قائلا ان الله رحمن رحيم ويعطيه ثيابا اخرى غير التى نهبها منه فيأخذها المنهوب منه مغضيا ومظهرا أنه لا يعرف أن هذا الناهب هو الذى كان جرّده من ثيابه وللعرب آداب مشابهة لآداب من جاورهم من العجم كتقبيل الانسان يد من فوقه تعظيما له

مساكن

ثم ان بيوت عرب المدن وان كانت مبنية بالحجر فهى خلية عن الجمالة ومحال الرجال فى مقدم البيت ومساكن النساء فى مؤخره وهذا ما تقتضيه الغيرة عليهن حتى ان البدوى الفقير الحال يقسم خيمته الى قسمين بستارة حائلة بينهما تمكث النساء خلف هذه الستارة التى تحجبهن عن اعين الناظرين

الغذاء

والعرب ارباب قناعة يكفيهم يسير الغذاء حتى ان رعاع الناس يكتفون باكلة واحدة من رديء خبز الذرة وعندهم نوع آخر من الدخن يأكلونه وقد يلتون هذا الخبز بلبن الابل او بالزيت او بالسمن او الشحم المسمى عند العامة بالدهن وشربهم الماء خالصا لا يشوبونه بشيء ولا يكثرون من أكل اللحم ويحرم عليهم اكل لحم الخنزير من زمن الجاهلية ثم اقرّت تحريمه الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وصفة اكلهم انهم يضعون طبلية مرتفعة نحو قدم وتحتها سجادة او حصير يجلس حولها الحاضرون ثم ان اهل المشرق يحبون الفطورات محبة عظيمة ومن المعلوم ان مألوفهم من المشروبات القهوة فيحمصونها فى مقلاة مفتوحة ثم يسحقونها فى هاون من حجر او خشب وبهذه الكيفية يحفظ البن طيب رائحته ولو طحن فى الطاحون لذهبت عنه هذه الرائحة واهل اليمن لا يشربون القهوة الا نادرا لكونهم يرونها حارة على المعدة ولكنهم يصطنعون من قشورها شرابا يشبه الشاى واكابر العرب يستعملون الاوانى الصينية ومع أن الاشربة المسكرة حرام فى الشريعة المحمدية فليست بمجهولة عند العرب ولا مجتنبة وقد تشرب العرب حشيشة شبيهة بالقنب وهى تخدر العقل ايضا نوع تخدير وتغييب

ملابس

والعرب كالترك والعجم يألفون الثياب الطويلة ويلبسون ايضا سراويل واسعة ويتنطقون بحزام من جلد وتحته خنجر او سكين وسائر العرب يلبسون العباءة وهى ثوب مربع مطبق مشقوق من الوسط له تقويرة فى محل الرقبة وفتحتان من الجهتين يخرج منهما الذراع وتنسج هذه العباءة من شعر المعز المفتول مع شعر الابل وتختبر العباءة قبل شرائها بصب دلو ماء فيها فبعض الاحيان لا ينفذ من خلالها ومسامها قطرة ماء مدة ربع ساعة ثم ان العرب يكثرون من لبس الطواقى والطرابيش على الرأس ويلفون ايضا عليها عصابة وهى العمامة واغلبهم لا يلبس النعال فيطؤون بارجلهم تصلب حتى تقوى على تحمل الرمال المحرقة ولكن فى الجبال يسترونها بجاود الغنم ومن العرب من يحلق رأسه ومنهم من لا يحلقه ونساء

عادة النساء

عامتهم وهم ما عدا الاعيان يلبسن ثوبا واحدا او سراويل لا غير وفى الحجاز ومصر لا تظهر اعينهن الا من داخل قناع منشور على رؤسهن ولكن فى اليمن لهن براقع طويلة وبما وقع للمعلم نيبوهر أنه بينما هو داخل فى محل اذا بامرأة من نساء العرب مكشوفة البدن فسترت وجهها بيديها وتركت ما عدا ذلك مكشوفا ونساء العرب يتزين بالخواتم الكثيرة والاساور وعقود اللؤلؤ الكذاب وبعض الاحيان يلبسن زيادة على قرط الاذن حلقة فى الانف وهى الخزام كما هو فى بلاد الهند عند النساء ويخضبن بالحناء الاظافر ويخضبن الارجل والايدى بخضاب اسمر مائل الصفرة ويكتحلن بالاثمد ليسود انسان العين

صور مرسومة على البدن

وقد كانت عادة العرب فى الجاهلية الوشم وهو أن يرسم على جلد الانسان صور حيوانات او ازهار او نجوم فبقى من هذه العادة بقية عند نساء البدو لان العادات فى البلاد المشرقية قليلة التغير لان ملابس بعض السلف فى الاعصر الخالية المذكورة فى التوراة لم يزل نموذجها باقيا الى الآن عند العرب المتأخرين

عشق العرب

ومع أن نساء العرب يعشن فى غاية الخوف فهذا لا يمنعهن من العشق والتبرج ولكن من يريد من الشبان الدخول

فى محال الحريم فانه يحصل له غاية الخطر وقد يترتب على ذلك القتال والموت وهذا فى بلاد الحضر واما البدوان فيسهل عندهم رؤية الرجال النساء بعض سهولة ولهذا كانت بادية العرب ميدانا للعشق كما يدل على ذلك قصائدهم وما يحكونه عن عشاقهم من النوادر

الجمال عند العرب

والجمال عند العرب هو اعتدال القد وبروز رمان النهد وتكسر العيون السود واحمرار الخدود وابيضاض مرمر الصدر وثقل الردف ونحول الخصر وطول الجيد وفى ذلك ما يغنى عن المزيد ونساء رعاع العرب فى السهول التى على سواحل البحور لونهن الصفرة الضاربة للسمرة بخلاف نساء الجبال فلونهن البياض كلون نساء الاروام وافرنج ايطاليا وهن ذات تقاطيع لطيفة وتناسب فى الاعضاء واعتدال فى القامة وهذه الصفات توجد ولو فى نساء الفلاحين .

لسان العرب
لغة العرب الصحيحة الفصيحة

ولسان العرب له شبه بلسان العبرانيين وقد كان قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم متشعبا الى لغتين اصليتين وهما لغة حمير ولغة قريش فلغة حمير لغة اهل اليمن ولغة قريش لغة مكة وما حولها وهى التى نزل بها القرآن العظيم فغلبت على لغة حمير وبقيت متداولة بين الناس فى المكاتبات والتآليف والاشعار ولغة العرب اشرف اللغات ولضبطها دونت علوم العربية ولا زالت تدرس ويشتغل بها حذرا من الضياع * وليتوصل بها الى فهم كتب الشريعة حتى لا يخوض القارئ فى بحار الضلال والابتداع * فهذا هو لسان التعلم والتعليم * والتفهم والتفهيم * والمحاورات والمناظرات * والمباحثات والمجادلات * وثم لسان آخر يستعمل فى المحاورة الغير العلمية والمخاطبات العادية ويسمى لغة دارجة اى سائرة متداولة وهذه اللغة لا ضابط لها ولا قاعدة بل تختلف باختلاف الاقاليم والبلاد والمدن والقبائل وتقبل الكلمات الدخيلة والتغيير والتبديل وذلك لان عرب جبال اليمن لغتهم مباينة لعرب تهامة بل الاكابر لهم الفاظ يصعب النطق بها مخالفة لكلام اجلاف بلادهم فى التعبير عن اشياء مختلفة وسائر هذه اللغات لا تشبه لغة اهل البادية الا شبها يسيرا هينا جدا وتعظم المباينة بين لغات العرب المتداولة كلما عظم بعد الاقاليم بعضها عن بعض ولسان العرب كثير الكلمات المترادفة على معنى واحد مثال ذلك البعير فان له نحو الف اسم وللاسد نحو خمسمائة وتلفظ عرب الجنوب والشرق يظهر انه اسهل فى حلق الافرنج من لسان عرب مصر والشام وبفتوح البلاد بالاسلام انتشرت لغة العرب فى جنوب البحر الابيض من مصر الى بوغاز سبتة وعلى طول سواحل المحيط الهندى من جهة جزيرة مدغشقار

حروف الكتابة

والظاهر ان العرب فى الزمن المتوغل فى القدم كانوا يستعملون فى الخط حروف الهجاء القديمة التى على شكل المسامير المسماة عند علماء التفتيش حروفا برتبوليطينية وهى الفارسية القديمة ثم تغيرت بالحروف الحميرية ثم ابدل الخط الحميرى بالكوفى ثم بطل الكوفى وقام مقامه هذه الخطوط المختلفة

الاشتغال بالمعارف

وبلاد العرب قليلة العلوم والمعارف فليس بها الا يسير الطب الخشنى وشئ من التنجيم ولا ينكر حماس فكرهم وحدة تخيلهم كما تشهد بذلك اشعارهم ولا زالوا الى الآن يشتغلون بالحكمة الادبية والاشعار واقليم الجوف ببلاد اليمن يخرج منه كثير من الشعراء

تاديب وتربية

ومع ان تأديب الاولاد وتربيتهم قد اضمحلت وتلاشت الا انها لم تهمل بالكلية فان كثيرا من العرب ولو من آحاد الناس يعرفون القراءة والكتابة بل لاعيانهم مؤدبون يعلمون اولادهم ومماليكهم فى بيوتهم وكثيرا ما تجد فى المساجد مدارس عليها اوقاف للمدرسين والتلامذة الفقراء بل وفى المدن مدارس اخرى خاصة يبعث اليها اوساط الناس ابناءهم للتعلم فيتعلمون القراءة والكتابة والحساب والظاهر ان للبنات فيها معلمات من النساء وفى بعض المدن العظيمة مدارس يقرأ فيها الهيئة والتنجيم والفلسفة والطب وببلاد اليمن مدرستان جامعتان اى ديوانان للعلماء شهيران احداهما فى مدينة زبيد واهلها سنية والثانية فى مدينة ذمار واهلها بدعية يلقبون بالزيدية فالدروس التى تقرأ فيها فى جميع الازمان هى العلوم الشرعية والسير النبوية وتواريخ الخلفاء وغير ذلك

دين

ثم ان النبى الاعظم * والرسول الاكرم * سيد اهل الدنيا والآخرة * المؤيد بالآيات الباهرة * والمبعوث بالمعجزات الظاهرة * والحجة العالية القاهرة * ليظهر دين الاسلام * ويبطل الشرك وعبادة الاصنام * ويجاهد فى الله حق جهاده * ليهدى من قضى الله بارشاده من عباده * غزا عباد الاصنام والاوثان من العرب * وبلغ بالظفر عليهم الارب * والظاهر أن تقريب الآدميين قربانا كالانعام * كان عادة فى الجاهلية عند العرب والمغاربة وأهل الشام * وكان دين النصارى واليهود والصابئين * منتشرا ببلاد العرب والشام والعراقيين * فكانوا يخصون النجوم والاوثان * بما حقه أن يكون للواحد الديان * فلما ظهر المصطفى المختار * وفتح هذه البلاد زينت بالاسلام والايمان تلك الاقطار * ولكن بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام * تشعب دين الاسلام الى شعب كما اخبر خير الانام * فكان المذهب المنجى من الضلالة * هو مذهب السادة السنية لا محالة * وما عداه فخروج واعتزال * وابتداع وضلال * وكان ببلاد العرب غير مذهب اهل

السنة الناجين *مذهب يقال له مذهب الزيدية البدعيين * واتباع هذا المذهب متكاثرة *مع انه لا ينقذ المهج من النار في الاخرة * كيف وهو يبيح ترك الفروع *ولا يوجب الاصل المشروع *وفي اثناء ذلك القرن الماضي الاخير *ظهر باليمن شيخ كبير *يقال له الشيخ المكرمي *فابتدع مذهبا اليه يعزى وينتمي *وكان ظهوره مقارنا لمذهب الوهابية * ببلاد نجد والدرعية * وعلى ساحل خليج فارس الجلي * مذهب فرقة من الشيعة اصحاب علي * وحيث خرج باليمن ونجد اصحاب مذاهب *خرج ايضا في ارض عمان مذهب غير صائب *يقول بعدم خصايص الاشراف *ويشنع على تقدم قريش مع غاية الاسراف

حالة الفنون

وقد اسلفنا بعض شيء فيما يتعلق بالفنون والتجارة في بلاد اليمن وعمان ولنورد هنا بعض فوائد عامة فنقول ان الفنون مجهولة ببلاد العرب فليس بهذه البلاد مطبعة اصلا والسبب الغالب الموجب لذلك هو أن حروف العرب الجديدة مرتبطة ببعضها ومشتبكة وفي الغالب بعضها فوق بعض وقد تكون الحروف منتظمة متداخلة في بعضها فالاليق في ظرافتها وتجويدها أن تكتب باليد لا بالطبع فانها لا تصل فيه اصلا الى جودة القلم ولما كان التصوير منهيا عنه في الشريعة المحمدية خلت بلاد العرب من فن الرسم ونحاتة الاحجار ولكن ينقشون اسماءهم على خواتمهم نقشا جيدا وفي اليمن يحسنون شغل الذهب والفضة ولكن اكثر الحلي ونحوه يصطنعه اليهود والبنيان حتى ان السكة في مدينة صنعا يضربها اليهود وصناعة الساعات غير مرغوبة ولا متقدمة وصناعة الموسيقي بها متروكة مهجورة فلا يسمع عندهم الا دق الطنبور والمزامير دون غيرها وبلادهم خالية من ارحاء الماء وارحاء الهواء اى الطواحين التي تدور بالماء او بالهواء وقد عاين بعض السواحين ببلاد تهامة معصرة زيت تدور بثور واحد فاخذ بالتخمين أن عندهم طواحين بهذه الصفة غير الارحية التي يطحن عليها باليد

هذا ويمكن أن نعتبر أن اهل بلاد العرب نحو من عشرة ملايين الى اثنى عشر مليونا فاذا اراد الله تعالى ودخلوا تحت راية حاكم واحد حصل لهم شوكة عظيمة وتصير دولة ملكهم جسيمة

جدول الاوضاع الجغرافية للبلاد العربية

اسماء الاماكن	عرض شمالي درجات	دقائق	ثوان	طول باريس الشرقي درجات	دقائق	ثوان	الثقة فى النقل
الطور (عرب البصرة)				٣١	١٢	٥٥	رحلة بخط اليد تشتمل على معرفة الازمان
كذلك	٢٨	١٢	١٩				نيبوهر فى مراسلاته
رأس ابى محمد	٢٧	٥٠					رحلة بخط اليد تشتمل على معرفة الازمان
قلعة المويلح	٢٧	٢٨					كذلك
الهمان فيران				٣٠	٤٣	٢٥	كذلك
الينبع	٢٤	٧	٦	٣٥	١٢	١٥	كذلك
كذلك	٢٤	٥					نيبوهر فى مراسلاته
رأس عبياد	٢٣	٣٠					رحلة بخط اليد فى معرفة الازمان
اربوغ	٢٢	٣٣		٣٦	٣١	٤٥	كذلك
جدة	٢١	٣٢	٤٢	٣٦	٤٥	٤٥	كذلك
كذلك	٢١	٢٨	٢٣	٣٧	٤	٤٥	نيبوهر بالابعاد القمرية
مكة	٢١	٢٨	٩	٣٧	٥٤	٤٥	رحلة بخط اليد فى معرفة الازمان
قنفذه	١٩	٧		٣٩	٢١	٤٥	نيبوهر فى مراسلاته
لوهيا	١٥	٤٢	٨	٣٩	٤٨	٣٠	نيبوهر فى ملاحظاته
بيت الفقيه	١٤	٣١	١٧				كذلك
زبيد	١٤	١٢					كذلك
الطايف	١٣	٣٤	٧				كذلك
صنعا تخت اليمن	١٥	٢١	٦				كذلك
المخا	١٣	١٨	٤١				كذلك
كذلك	١٣	١٦		٤٠	٥٠		معرفة الازمان
جزيرة بريم فى بوغاز باب المندب	١٢	٣٨					نيبوهر

(المقالة الثالثة والخمسون من تخطيط اسيا)

(بلاد العجم * تخطيط يتعلق بطبيعة بلاد العجم على سبيل الاجمال)

لائحة اجمالية

بلاد العجم الآن منقسمة اصالة الى ولايتين كل ولاية لها حاكم واحد وهما ولاية الافغان جهة الشرق وولاية فتح على شاه جهة الغرب ولكن حيث ان هذا التقسيم السياسى يمكن أن يختلف من زمن الى آخر كان الاحسن لنا أن نجرى على التقسيم القديم الذى كان موجودا فى زمن دولة العجم الصوفية ولكن بجعل بلاد كورجستان من تعلقات الدولة الموسقوبية وهذه البلاد المجتمعة التى تمتد من بركة نهرى دجلة والفرات من جانب الى بركتى نهرى الهند وسيحون من الجانب الآخر يتكون منها قسم عظيم طبيعى يتصل به من بعض جهاته بحر الخزر ومن البعض الآخر الخليج الفارسى وبحر الهند ومع أن اراضى هذه البلاد التى هى ربوة مرتفعة كثيرة التنوع والاختلاف وبها عدة حوضات ممتازة وغوطات ظاهرة فهى مع ذلك متشابهة متماثلة يمكن أن تعتبر كلا واحدا وهيكلا متحد الاسم فى الجغرافية العمومية

التقسيمات القديمة البوليتيقية

ثم ان التغيرات البوليتيقية والتقلبات السياسية والقيامات والفتن التى تكررت فى هذه البلاد وتكاثرت بين هؤلاء العباد انتهى امرها فى سائر الازمان باضافة هذه البلاد كلها الى حكم واحد ودولة واحدة وقد اعرب لنا التاريخ عن عدة امم من امم العجم مستقلة غير تابعة لحاكم اجنبى كامة الفرس فى الجنوب وامة الاريانية فى الشرق وامة الادربيجانية فى الوسط وعدة قبائل رحالة متبربرين كالهرقانية والبرث والقادسية جهة الشمال ومن المشكوك فيه جدا أن سلطنتى نينوى وبابل ادخلتا فى زمن من الازمان تحت حكمهما مملكة العجم القديمة التى هى الآن بلاد فارس وكرمان ولارستان وقد ذكر التاريخ غزوات سميراميس العجيبة ولكن لم يقل فى صحتها بايجاب ولا نفى ومن المعلوم انه فى الازمنة المتقادمة العهد المنسية الذكر المجهولة الحال كل غارة وقتية تذكر فى التاريخ على انها نصرة عظيمة وفتوح مع انها ليست الا مجرد هجوم واما اهل ادربيجان فانهم تغلبوا على امة الفرس تغلبا محققا والظاهر أن هذه الامة حاربت قبل ذلك الاسقوثية من آسيا فى بلاد توران التى هى بلاد التتار الآن وحاربت ايضا الهنديين وقبل ميلاد عيسى عليه السلام بخمسة قرون ونصف ظهر الملك قوروس ملك الهند وخلص امة الهند من اسرهم وجعلهم مستولين على آسيا الغربية ولكن حين دخول هؤلاء الامم فى اوربا وارادتهم التغلب عليها اوقفت مسيرهم امة قليلة وهى امة اليونان وكان الفرس يومئذ كعدد نجوم السماء ثم بعد قليل من

دولة الفرس والبرث وغيرهم

الزمن اجتمع اليونان تحت راية اسكندر الاكبر واذهبوا بالكلية الدولة الفارسية وحلوا انتظام ملكها ثم بعد انتصار اليونان بزمن حصل بينهم شقاق عظيم واختلاف آراء فتفرقوا وصارت بلادهم منقسمة الى عدة ممالك والعجم من جملتها ايضا ممزقة وكان فى هذا الوقت قبيلة من قبائل فارس ذات حروب وغارات فتغلبت على الاقاليم التى تسمى الآن عجمستان وكان ذلك الامر قبل ميلاد عيسى عليه السلام بقدر ٢٤٨ سنة ولكن مازال بيد اليونان اقاليم خراسان التى كانت تسمى بقطريانة وكان من جملة ملوكهم الملك دمطريوس فاستولى على بلاد هندستان وعمرها وادخل فيها التمدن والتحضر وفى زمن الملك أوقراطيدس الاول اليونانى ملك خراسان كان تحت حكم هذه الممالك اليونانية الف مدينة ولكن اجتمعت امم التتار التى سكنت بلاد الاسقوثية وانضمت الى امة البرث وابطلت كرسى اليونان بخراسان وازالت عنهم الملك وصارت الدولة للبرثية حتى ان البرثية فى زمن ملوكهم الذين هم من دولة الاشقانية المسماة فى كتب اليونان باسم الارسقية كانت توارى ملوك الرومانيين وفى نحو سنة مائتين وعشرين من الميلاد ظهر انسان من آحاد الفرس على ما قاله اليونان وسلب الملك من البرثية واسس دولة الساسانية ولكن مؤرخو المشرقيين لم يفرقوا بين الفرس المتأخرين والبرثة ويعتقدون أن اول ملك من ملوك الفرس وهو ارطكزرسيس الثانى وهو الملك اردشير اخذ مملكة البرثة وعلى اى حال من احوال هذه المملكة الفارسية المجهولة الحال فهذه المملكة وقعت بينها وبين القسطنطينية حروب ثم ظهرت ظهورا عظيما وقوى شأنها فى زمن الملك العادل كسرى انوشروان ثم آل امرها أن وقعت فى ايدى العرب وفتحها الاسلام نحو سنة ٦٣٦ من الميلاد

دولة الصوفية

وبعد هذا بقرنين اقيمت دولة الفرس فى خراسان وبعد عدة فتن واضطرابات رجعت الى حالها الاصلى واتسعت وفى سنة تسعمائة واربع وثلاثين من الميلاد توصلت عائلة بوياه الى أن تولت كرسى السلطنة وجعلت دار اقامتها مدينة شيراز ثم صارت داخلة فى فتوحات جنكيز وتيمرلنك وصارت محصورة فيها ثم خلصت وبلغت راحتها فى حكم العائلة المسماة الصوفية التى تولت ملك فارس سنة ١٥٠٦ من الميلاد ثم ان شاه عباس الملقب

بالاكبر اخذ زمام السلطنة سنة ١٥٨٦ وحكم نحو نصف قرن وفى مدته صار لهذه الدولة ظهور عظيم وبهجة كاملة وان كانت كيفية سياستها بوجه خارج عن طور العدل والانصاف بالكلية وتغلب الافغان على بلاد العجم سنة ١٧٢٢ من الميلاد فاعقب هذه الحادثة حادثة اخرى سنة ١٧٣٦ وهى انقراض عائلة الصوفية بالكلية وتقليد المملكة لشخص يقال له نادر ويلقب طاماس قولى خان وكان هذا الملك جبارا من الجبابرة الا انه كان حازما رأيه والاقدار مساعدة له وكان مولودا فى خراسان وفى سنة ١٧٤٦ قتل بعد أن تولى احدى عشرة سنة فعل بها اشياء عالية منها انه تغلب على بلاد هندستان

انقسام العجم سلطنة الافغان

وبعد انقضاء ملك هذا الملك حدثت اشياء جديدة نافعة فى معرفة الجغرافيا الجديدة وهى ان ضعف دولة نادرشاه بانضمامه الى الحرب المهول الذى كثر به سفك الدماء فى بلاد عجمستان الغربية كان سببا فى كون الافغان قوّوا مملكة جديدة ودولة مستحدثة صارت مدينة قندهار كرسى سلطنتها وصارت حاكمة على جميع عجمستان الشرقية فصارت سلطنة الافغان فى بلاد العجم مشتملة على خراسان الشرقية وسجستان واروكاشة وقندهار وغيرها من الاقاليم وكان للافغان فى بلاد الهند قوطورة وكابل وكشمير وتغلبوا ايضا على جزء من بلاد بخارى

والظاهر أن اصح ما قيل فيما يتعلق بسلطنة قندهار المسماة ايضا سلطنة الافغان هو ما لخصه الماجور رنل وخلاصته ان احمد عبد الله اول ملوك قندهار كان فى الاصل رئيس قبيلة من الافغان كان نادرشاه ادخلها تحت ولايته فلما مات نادرشاه ظهر احمد على حين غفلة بين رعيته القديمة وهى قبيلته واستولى على اقاليم الهند التى تخلى عنها المغول لنادرشاه واختار كابل دار مملكته لان هذه المدينة ظهرت له أنها آمن من غيرها من غارة العجم الغربيين فمات احمد فى سنة ١٧٧٣ فخلفه تيمور واقام ايضا فى مدينة كابل ومات تيمور وخلفه زماون والظاهر انه متول الى الآن (زمن التأليف) ومن منذ واقعة بانيبوط التى هى واقعة عظيمة حارب فيها الافغان المهرات وكان احمد عبد الله ملك الافغان هو الذى لولاها لازالت مملكة الافغان على حالتها لم يدخلها زيادة ولا نقصان بل بقيت على حدودها

عجم غربية كريم خان

واما الجزء الغربى من بلاد العجم فانه تمتع ببعض راحة فى زمن حكم كريم خان الذى لم يلقب بلقب شاه وانما اكتفى بلقب وكيل وهذا الامير العظيم خدم تحت راية نادر وكان عنده ذا قبول ومحبة وفى وقت موت هذا الملك الظالم كان كريم فى شيراز فتولى حكم هذه الولاية وعضده اهل هذه المدينة حيث اعجبهم حسن فعله وكمال عدله ولاجل أن يكافىء معروفهم بنى بهذه المدينة قصورا حسنة ومساجد وانشأ بها بساتين عظيمة واصلح الطرق الكبيرة وعمرها وجدد بناية الخانات التى ينزل فيها الغرباء والمسافرون ولم يلوث حكمه بقتل ولا سفك دماء بل يمدح باحسانه للفقراء واجتهاده فى تجديد بهجة التجارة والظاهر انه مات نحو سنة ١٧٧٩ من الميلاد بعد أن حكم ست عشرة سنة وبعد موت كريم اعقبه مدة من الزمن حصل فيها تعب واختلال فى البلاد وذلك ان اخوته تحيلوا حتى سلبوا الملك من اولاده وكان من اقاربه امير يقال له على مراد تولى مملكة العجم سنة ١٧٨٤ ومكث فيها فى كمال السكون من غير حروب وكان عقب موت كريم شخص خصى يسمى اغا محمد فتغلب على مازندران واستقل بحكمها

اغا محمد الخصى

وخرج عن الطاعة فجرد عليه على مراد وسار اليه فوقع هذا الامير من فوق جواد فمات لوقته فتولى ولده جعفر المملكة فكسره اغا محمد فى يزدة كستة فذهب منهزما الى مدينة شيراز

وفى سنة ١٧٩٢ حارب اغا محمد مدينة شيراز التى مات بها جعفر فى فتنة فانتصر ودخلها وهدم تربة كريم وهتك حرمة جثته وعظامه وكان لجعفر ولد يسمى لطف على فقام وقاتل فى عدة حروب مع هذا الطواشى وكانت حروبا مهولة طويلة لم يظهر فيها الغالب من المغلوب ولم يفد حرب لطف على فكانت عاقبة الامر ان ذلك الطواشى استولى على جميع بلاد العجم العربية وعين ابن اخيه باباخان خليفة بعده فتولى الملك سنة ١٧٩٦

فتح على شاه

من الميلاد ولا زال يحكم فى البلاد مع السكون والصلح ولقب فتح على شاه وحارب الموسقو عدة مرات ولاجل أن يحمى الاقاليم الشمالية من مملكته جعل دار اقامته مدينة تهران وفى سنة ١٨١٠ من الميلاد كان فى ملكه ايروان وادربيجان وكيلان ومازندران وخراسان الغربية وعراق العجم وكردستان العجم وفارستان وكرمان ومشايخ العرب الذين على الخليج الفارسى يدفعون له ميريا مقررا عليهم ووالى مكران يبعث اليه هدايا احترام وتعظيم

الحالة البوليتيقية الموجودة الآن

فهذا ما كانت عليه عن قريب مملكة العجم التى كانت عادتها عدم تتويج الملك ولكن مجرد الاعلان بالمملكة والمناداة

له في كل صباح بان الخان القلاني هو المتولى الان ولكن فتح علي يلقب بلقب شاه اى ملك وهذا اللقب يدل على العظمة وعلو الشان والظاهر أن هذا الملك صاحب العزم الذى لا يتغير والصعوبة وعدم الاهمال انقذ رعيته ودبوانه من الاحكام الغرضية التى كان كل خان يفعلها كما يريد كما انقذهم من الظلم الذى كان دأب كثير من خاناتهم ولفظ خان من الالقاب التتارية معناه كمعنى لفظ مرزا عند العجم الذى يطلق الآن على جميع الاعيان والخانات قد يكونون ولاة اقاليم وقد لا يكونون الا ملتزمين لبعض كور ويطلبون دائما أن يكون التزامهم متوارثا مع انهم عرضة للضبط على ما فى ايديهم بل والموت اذا امر بذلك ولى الامر ولو من غير ذنب بل بمجرد رأيه وارادته والخانات الكبار قد يلقب احدهم بعض الاحيان بيكلر بكى وفى زمن الحرب يلقب سردار اى سرعسكر واما الخان الذى يحكم فى مدينة فانه يلقب عادة باسم دروغه اى حاكم او ضابط

ثم ان فتح على شاه كان فى وسعه أن يجهز من العساكر اكثر من ١٠٠٠٠٠ نفس والظاهر أن عدد اهل رعيته من ستة ملايين الى ثمانية وان كانت تداولت عليهم الحروب الكثيرة فهلك منهم كثير ومملكة قندهار مع اقاليمها بالهند يمكن أن اهلها يضاة هذا العدد المتقدم ولكن الاختلال وقلة الانتظام وعدم الحكم اضعف قوتها وشوكتها ومع شجاعة المشاة الافغانية والفرسان العجمية فهاتان الدولتان وهما دولة الافغان ودولة العجم اذا استمرتا على الانفصال والتفرق لا يكون لهما اصلا بوليتيقية مهمة جدا ولا سياسة يخشى سطوتها غاية الخشية ولا يكون لها شان عظيم بين الدول

وقد انهينا الكلام على تاريخ هذه البلاد بوجه مختصر ذكرناه تمهيدا لتخطيط البلاد اذ بدون هذا التاريخ لا يمكن تخطيطها ولنشرع الآن فى هذا التخطيط فنقول ان بلاد العجم الغربية تجاور من جهة الشمال بحر الخزر وبلاد كورجستان وكل منهما الآن فى حكم الروسية واما اقليم شروان فانه وان كان بعضه فيه عساكر الموسقوبية الا انه لم يترك لهم بالكلية صراحة (هذا فى وقت التأليف والآن مع الروسية) بل ان العجم الآن لم يرضوا بالحقوق التى زعمها الكورجستانيون بدخولهم فى حكم الروسية واما حدودها من جهة البلاد العثمانية فانها باقية على حالها منذ ارجاع على مراد للعثمانية مدينة البصرة* والخليج الفارسى الذى خططناه فيما سبق مع بلاد عربستان يتصل بسواحل مجمستان الجنوبية ومع ان بلاد العجم بين بحرين فهم دائما لا يشتغلون بالامور البحرية والملاحة وبلاد مجمستان المشرقية لم تزل حدودها بالنسبة لاياية التركمان باقية على حالها واما حدودها من جهة بخارى والهند فانها محيت بفتوحات الافغانية فان هذه الامة صارت يقينا مجاورة لسلطنة الصين لان اقليم كشمير الذى هو من حكم الافغان يتصل ببلاد التبت الصغرى المجهولة الحال بل ويتصل ايضا بالطرف الغربى من التبت الكبرى ونهر السند ويفصل هذه المملكة من بلاد السيك

وجميع بلاد العجم ربوة مرتفعة جدا كما يدل على ذلك كثرة الثلج بها وهى متصلة بربوة آسيا الصغرى وارمنية من جهة الغرب واما من جهة الشرق فانها تمتزج بربوة آسيا الوسطى اى تتصل بها فهذه سلسلة اراض مرتفعة يسميها الاقدمون باسم طوروس وهى تقسم آسيا الى قسمين او الى ثلاثة على رأى اسطرابونيس وهو اولى فالقسم الاول فى شمال الجبال والثانى على ظهر طوروس بين عدة سلاسل جبال شامخة عليه كالرؤس له والقسم الثالث فى الجنوب وحكمة هذه القسمة مبنية فى ارصادات صحيحة جدا على اختلاف الاقطار والاقاليم وما يتولد فيها فكان السلف يعرفون تحقيقا أن لسلاسل عديدة الداخلة فى اسم طوروس منقطعة باودية كثيرة وسهول مرتفعة جدا وكانوا يعرفون ايضا أن جبال العجم شامخة بارزة من اول وهلة فى وسط سهول وبعد هذا الشموخ الذى هو فى بعض اماكن تجده فى بعض اماكن اخرى يعقبه ربوة مسطوحة كاملة التسطح اى انه لا واسطة بين الضدين اى ينتقل الانسان من السهل الى الجبل الشامخ ومنه الى ربوة من غير توطئة لذلك ولا شئ تدريجى وقد رأى سواح المتأخرين ان مقالة الاقدمين حق فان جبال العجم على ما ذكره اوليار لا يترأى انه يحدث منها سلسلة متتابعة منتظمة وليس لها توجه اصلى تنسب اليه فهى تمتد من غير انتظام من كل الجهات وبعضها يزاحم بعضا ويتراكم عليه فكأنها متوجهة لا لجهة مقصودة والجبال المجتمعة التى اعتبارها سببا لهذه السلاسل تراها ايضا قد انفصلت عنها اقتضابا بسهول مسطوحة خالية عن انشريسات وكبيرة الاتساع والارتفاع بل الربوة التى فوقها هذه الجبال المتراكمة يجب أن يكون لها مرتقيان عراض احدهما جهة الفرات والخليج الفارسى والآخر جهة بحر الخزر وهما فرعا طوروس اللذان ذكرهما الاقدمون ونصوا عليهما

وينبغى أن نبحث عن التسلسل الشمالى لطوروس فى جنوب بركة نهر الكر الذى كان يسمى عند الاقدمين

تحدود العجم

ربوة العجم

جبال شمال العجم

قوروس فنقول ان جبل عرارة والسلسلة التي هو منها يجتمعان بجبال شامخة تفصل بحيرة وان من بحيرة اورميا وهذه الجبال الشامخة جزء من الجبال المعروفة في قديم الزمان باسم نيفاطة ولكن في جنوب نهر الرس سلسلة جبال شديدة البرودة تحتوي من جهة الجنوب على بلاد اذربيجان التي كانت تسمى سابقا اطروباتينة وهذه الجبال لم تنل بعساكر اسكندر الاكبر ومن جنباتها يتفصل جهة الشرق جبال البون وهي حاشية من الجبال الكاسبية العالية علواً متوسطا التي تحيط بالجزء الجنوبي من بحر الخزر وفي الاقليم الذي كان يسمى سابقا هرقانيا يتوجه من جهة الجبال جهة البحر جنبات وعرة صعبة المرتقى بل ومرصوصة بحيث ان الانهار تقذف الماء من حافاتها في البحر فيتكون من مياهها قوس ماء يمكن أن يمشي تحته في اليبس

الابواب الخزرية

وابواب الخزر كانت مجازا بين جبال طوله ٢٨ ميلا رومانيا وكان بحافاته صخور سود يتجدول منها تيارات مياه مالحة وعرض هذا المجاز اي البوغاز الجبلي لا يمكن أن يمر به الاعربة واحدة * والطريق التي به من اصطناع البشر وتدبيرهم وليست خلقية ويظهر من كلامهم أن هذا الطريق كان بقرب دماوند على عشرة فراسخ فارسية من تهران وكلام الاقدمين يقتضي أن هذه الجبال التي هي جبال هرقانيا تمتد متواصلة الى جهة بلاد بخاري وتتصل هنالك بجبال پاروپاميسوس المسماة عند المتأخرين جبال الغور ولم يوجد الى الآن ما يدل على بطلان هذا القول نعم لم ير السواح فرسطر جبال ابين قندهار وهرات ولكن هذا لا يدل الا على أن هذا السواح كان طريقه ربوة وأنه لم يمعن النظر في ابحاثه ولم يتوغل في تفتيشاته على أن كلامه يعضد ما قلناه ايضا حيث رصد في شمال طرشيتز سلسلة جبال شامخة مغمورة بالثلوج وهي ما كان يسمى عند الاقدمين بالجبال البرثيانية

جبال جنوب العجم

والجبال الجنوبية تدخل بلاد العجم من جهة جنوب بحيرة اورميا * والفرع المسمى الآن باغاطاغ الذي يخرج منها في الجنوب فيكون حد المملكة هنالك هو ما كان يسمى عند الاقدمين زغروس وهو مأوى الاكراد دائما واول سلسلة عظيمة تدخل بلاد العجم تسمى جبال الوند وجغرافية ابن حوقل تفيد أن جميع الارض من قرب كردستان الى نحو اصفهان جبلية وذكر من جملة ما فيها من الجبال الشهيرة جبل دماوند الشامخ وعلى عالي هذا الجبل يمتد البصر مسافة خمسين فرسخا فارسيا وهي اثنان وسبعون فرسخا فرنساويا بخلاف جبل بيسوطون الذي هو ايضا في هذه الاراضي التي فيها جبل دماوند فانما شهرته بما فيه من الصور والاشياء المنحوتة الغريبة التي لم تزل الى الآن موجودة واما جبال هتزردارا يعني الف جبل فتحتوي شمالا وغربا على البركة التي بها شيراز وآثار مدينة پرسپوليس اي اصطخر وهذه السلسلة لم يعبرها اسكندر الا بعد جهد جهيد وذلك لان فرقة من اهل فارس رابطوا بالمجاز المسمى ابواب سوس ويسمى ايضا ابواب پرسيدة

ابواب ابرسيدة

ثم مضيق آخر يوصل من العجم الى بلاد ادربيجان وكان يسمى السلم الاكبر لان طريقه كانت منحوتة درجا يصعد به ثم ان هذه الجبال تقرب جنوبا من الخليج الفارسي وتشق بلاد كرمان ومع أن احد فروعها يظهر أنه يصل في الصحراء على شرق بحيرة بكتغيان يظهر أن السلسلة الاصلية متصلة بالسلسلة التي تفصل سجستان وهي درنجيانة القديمة من مكران وهي جدروسيا القديمة وقد سمى بعض مؤلفي المتأخرين هذه الجبال جبل اباد وهذه الجبال تفصل بجبال سليمان التي يتكون منها مع جبال وولى ربوة طويلة بين الهند والعجم وهذه الربوة التي لا مانع من أن لا يكون فوقها الاتلال متفرقة كما شاهد ذلك فرسطر بقرب قندهار هي في حد ذاتها مرتفعة كما يشهد لذلك مزاج قطرها وهي تتصل بالهضبة الكبرى التي في وسط آسيا

فهذا ما يظهر في شأن مجموع الجبال والهضبات او الربوات التي ترتفع بين بحر الخزر وبحر الهند ثم ان تادبنا مع مؤلفي السلف لاسيما اسطرابونيس حملنا على أن نهتم باستقصاء اثر كل سلسلة من هذه الجبال ومع ذلك فحبنا للصدق اوجب علينا أن نعترف ونقر بأن هذه المادة تستدعي ارصادا جديدة على المحل نفسه قبل أن يبحث فيها على وجه مفيد

واذا لم ننظر الى جبال العجم الا بالنظر لكون كل واحد على حدته وقطعنا النظر عن الربوات حكمنا بان هذه الجبال في الغالب هينة الارتفاع وان كانت قللها تغمر بالثلوج مدة عظيمة من السنة وهذا يدل على أن القاعدة التي هذه الجبال راسية عليها مرتفعة جدا

صحاري مالحة ومرملة

ومن خواص ربوة العجم المميزة لها عن غيرها من الربوات اشتمالها على متسع عظيم من الصحاري التي اكثرها مالح وباقيها مرمل ويمكن حصر الصحاري في خمسة اصلية فأبعدها صحراء قراكوم اي قراكوم في شمال خراسان وهي رملية والصحراء التي تفصل خراسان من العراق العجمي المسماة صحراء الكبرى المالحة التي طولها مائة وثلاثون فرسخا

وعرضها سبعون يظهر اتصالها بالصحارى التى تشغل جميع شمال اقليم كرمان وكان هذا الاقليم يسمى فى قديم الزمان الكرمانيا الصحراوية ومن هذه الصحارى المالحة ايضا صحراء كاب وصحراء مكران وهذه الصحارى تشغل ثلاثة اعشار الاراضى وفى الصحراء الكبيرة المالحة طبقة الملح البحرى المتبلورة تبلورا عظيما والساترة لسطح الارض يكون ثخنها اصبعا وكلام بوشمب يقتضى أن فى هذه الصحراء الغير البعيدة من قم جبل الطلسم المسمى عند الافرنج جبل الطلسمان وهذا الجبل الفحل الوعر الشامخ يترأى انه يتغير شكله على حسب تغيير مناظر بصر المبصر وذلك لان الرمل الاسود المتموج الذى يستره يساعد على تكثير هذه المناظر الخيالية ويمرّ بقربه نهر صغير ماؤه ثقيل جدا ومالح

جبل الطلسمان

وهذه الصحارى التى ببلاد العجم المشابهة لصحارى افريقة يظهر بها بحيرات من قبيل بحيرات صحارى افريقة ولكنها اكبر منها فان بحيرة درة المسماة بحيرة الدرة تغمر محلا سعته ١٤٠ فرسخا فى مثلها وفيها يصب نهر هندمند الذى مجراه ١٥٠ فرسخا وهذه البحيرة كانت تسمى سابقا اريابالوس وقال ابن حوقل ان طولها ثلاثون فرسخا فارسيا فى عرض مرحلة وماؤها بارد مسموم وثم بحيرة اخرى غير جارية وهى بحيرة بكتغيان وهى مالحة وان كان يصب فيها كثير من الانهر العذبة لاسيما نهر بندامير وهو اركسيس الفرس اى رس الفرس ونهر كورن اوكورنك وهو قوروس

بحيرات بحيرة درة

وفى بلاد العجم ما ينيف على ثلاثين بحيرة راكدة منها بين شوامخ جبال اذربيجان وارمنية بحيرة اورميا وهى بحيرة كبيرة سميت بذلك باسم مدينة قريبة من طرفها الجنوبى وهذه البحيرة يعتقد أن طولها سبعة عشر فرسخا وعرضها على النصف من ذلك وقد ظن دنويل أن بحيرة وان القريبة من تلك البحيرة هى بحيرة ارسيسا القديمة فعلى ذلك تكون بحيرة اورميا هى التى سماها اسطرابون اسبوطا وسماها جغرافيو الارمن قابوطون وهذه البحيرة مالحة جدا ويظهر على وجهها ملح شديد الحموضة حين زنجرتها كالمعادن * وفيضان الانهر التى تصب فيها يجعل سطح مياهها يزيد على ثلاثين قدما عن ميزانها الاصلى وشطوطها المتكونة من الصدف تقضى بأنها كانت سابقا ذات امتداد جهة الجنوب والشمال اكثر من امتدادها الآن * والجبال الكلسية المجاورة لها شهيرة بأنها كانت سابقا بلاد الحشاشين وبحيرة اريوان على نحو مائة ميل شمالا ومحيطها ٢٥ فرسخا وفى وسطها جزيرة صغيرة وهى كثيرة سمك اللبت المسمى بالشبوط والسمك المنقوش المسمى سمك اريوان ويسمى بالتركية ألابالق وهذه البحيرة فى كتاب بطليموس تسمى لوخنيطس

بحيرة اورميا او شاهى

بحيرة اريوان

ولا يمكن أن نعد دجلة والفرات من انهر بلاد العجم وليس فى الانهر التى تصب فى الخليج الفارسى ما يستحق أن يذكر هنا وانهر مكران غير معروفة للمتأخرين واما ما قاله المتقدمون فيقتضى أن نهرى مند المسمى ايضا كورنك ونهنك وان كان يترأى أن مجراهما مستطيل لم يخرجا عن كونهما واديين يمتلآن من السيل ويجفان فى الصيف او تضيع مياههما فى سهول الرمال المتموجة التى حافتها محتفة بهما وقد حصل اسكندر الاكبر الماء فى هذه الحافة بحفره بها صهاريج بل لم يخرج الماء الا بعد مسافة بعيدة وكلام اسطرابون يقتضى أن هذه الحافات بها كمال شبه بتهامة العرب حيث ان انهرها لا يكثر ماؤها الا من الامطار ويخرج من الربوة الوسطى التى ببلاد العجم عدة انهر لا تصل ابدا للبحر وانما تصب فى الرمال او البحيرات فنهر بندمير المشهور بشطوطه المملوءة بالخضرة المظللة بالاشجار الكثيرة يصب فى بحيرة بكتغيان وان قال ما قال بعض ارباب السياحة ونهر هندمند يصب فى بحيرة ذرة اودرة واعظم انهر خراسان نهر تيجان الذى كان يسمى عند الاقدمين اوخوس وهو يصب فى بحيرة سبخة على ما قاله وهل السواح والظاهر أنه فى خلال البرك التى بكونها يتصل بجون بلكان وليس فى انهر العجم التى تصب فى بحر الخزر ماله مجرى عظيم الانهر واحد وهو كزل اوسن وهذا اسمه عند السواحلية وهو من لغة التركمانية ويسميه العجم سفيدرود وكان الاقدمون يسمونه مردوس وماؤه ينحدر بقوة وبسرعة من شلال الى آخر فى خلال اودية عجيبة المناظر وعند مصبه فى البحر تجد امواجه قوية جدا فتدافع امواج البحر وتقطعها

انهر نهنك

هندمند

تيجان

كزل اوسن

وقد تقدم هنا أن جزأ عظيما من بلاد العجم مملوء بالسهول المغمورة بالرمال والمشوبة بالملح واغلب ارض هذه السهول طفل صلب ولم يمكن الى الآن اختبار الجبال ولكن يظهر أن اكثرها من طبيعة كلسية ويؤيد هذا ما قاله الاقدمون من أن بها كهوفا ومغارات عديدة ثم ان بعض سواحى الفرنساوية عرّف عن قريب بطريق يقينى من السلسلة الكبيرة من جبل البونه التى تحدق بكيلان ومزندران والتى بها جبل دماوند وهو يرتفع فوق سطح سهول تهران من ١٢ قامة الى ١٣٠٠ وسهول تهران ايضا مرتفعة عن سطح بحر الخزر بنحو ٥٠٠ قامة فلم يجد

طبيعة الارض

سلاسل كلسية

فى هذه الجبال الاصخور ا كلسية ورخاما ومرمرا ابيض ولكن بها ايضا هدفات عظيمة من حجر الصوان متفرقة فى بعض اماكن متباعدة والحجارة التى بساحل اقليم مزندران من حجر الصوان

وارباب الاسفار من المتأخرين وجدوا فى السلسلة الابعد غربا المسماة زغروس المسمى باغاطاغ صخورا متتابعة من حجر البلاط وصخورا كلسية وصوانية شبيهة بما يوجد عادة فى جبال اوروبا ولامانع من أن يؤخذ من تخطيط طورنفرط أن بجبل عراوة وماجاوره من السلاسل كثيرا من الاحجار المصطفة كالصفائح المسماة بالاحجار الشستية القرنيانية اى الموضوعة على بعضها ارقات والمفتولة كالقرن بل الظاهر أن هذه البلاد الواسعة يظهر بها فى المستقبل للراصدين جميع اصناف الصخور والاراضى وجميع الغرائب الارضية فجدار باب الرصد مما فى احشاء الارض مكشوفا لا يحتاج الى حفر ونقب على ما يقتضيه كلام شردين حيث قال ان جبال العجم اشد جبال الدنيا قحولة وعقما لانها صخور يابسة لا اشجار بها ولا اعشاب

زلازل

ولما كانت بلاد عجمستان واسعة اخذ من ذلك شردين انها فى العادة غير عرضة للزلازل ولكن ينبغى أن يستثنى من هذا الضابط الكلى كيلان ومزندران فان ارتجاج ما تحت الارض بهذين الاقليمين واهتزازه شديد وكثير متواتر وكذلك ماحوالى جبال طوروس فانه فى سنة ١٧٢١ من الميلاد وقع به خسف عظيم مهول لم يسمع بمثله فى التاريخ ويستثنى ايضا جبال العراق العجمى فان بها جبل البرس اوالبرج معدود من جبال النار ومنها ايضا جبال نار غيره وكذلك يستثنى سلاسل فرس ولارستان الابعد جنوبا فانه شوهد بها فى هذا العهد الزلازل

قطر

قال قوروس احد ابناء ملوك العجم لزنفونس اليونانى ان ملك ابى واسع جدا يموت الانسان فى احد اطرافه من شدة البرد ومن طرفه الآخر يهلك من الحر انتهى وهذا الوصف يناسب الآن بلاد العجم ايضا فينبغى أن يقسم قطرها الى ثلاثة اقطار اصلية وذلك أن سواحل بحر الخزر منخفضة جدا بحيث ان سطح هذا البحر فى حد ذاته

شط بحر الخزر

يظهر انه اخفض من سطح البحر المحيط بنحو ستين قدما فلذلك كان حر هذه السواحل اشد واعظم استمرارا من حر بلاد الهند الغربية والشتاء فيها لينة هينة بسبب الرياح المعتدلة المزاج التى تهب من بحر الخزر ولكن فى كلا الفصلين تتسلطن فيها رطوبة شديدة بحيث ان الفولاذ يفقد فيها نورانيته فى اقرب زمن ووجوه اهلها مصبوغة بذبول من الحميات وهذا هو القطر الاول والقطر الثانى هو قطر الربوة التى فى وسط بلاد العجم وذلك أنه يحيط بهذه الربوة جبال

مزاج الربوة الوسطى

بعضها يستمر عليه الثلوج ويذوق هذا القسم من قندهار الى اصفهان على المناوبة فصول صيف شديدة الحر وفصول شتاء شديدة البرد ومن شهر مايه تكثر فيها الرياح ولكن من مايه الى سبطمبر تكون السماء صحوا والهواء كذلك ويطريه نسيم الليل حتى ان صحو الليل يمكن فيه للانسان أن يقرأ فى كتب على مجرد نور النجوم ومن سبطمبر الى نونمبر تتسلطن الرياح ايضا والهواء فى الغالب يكون يابسا يابسا عظيما والرعد والبرق فيها من الامور النادرة وفى غالب الاحوال لا يشاهد فيها قوس قزح ولكن البرد بفتح الراء يفسد فيها الحرث

تطرف ريستان ركردستان

والنسل فى الربيع وهذا هو القطر العام لهذا القسم بتمامه وما ذكرناه فيه فهو بالنظر للمجموع واما بالنظر لكل فرد من افراده اى كل جزء من اجزائه فانه يستدعى تقييدات خاصة على حسب ما يقتضيه حال المحل مثلا فارستان لاسيما وادى شيراز فى وقاية من الحر الشديد والبرد الشديد وجبال الكردستان وادربيجان قطرهما اكثر رطوبة وهو فى الحر والشتاء له مزاج اقرب الى التساوى وسبب هذا شدة ارتفاع الجبال وكثرة الغابات

سواحل الخليج [illegible]

وجميع ماقلناه يختلف اذا نزلنا من الربوة الوسطى الفارسية وقصدنا جهة شطوط الخليج الفارسى فر بما هلك الناس بالرياح المحرقة وبريح السموم وقد حكى اسطرابون أن اهل سوس لايمكنهم أن يخرجوا من بيوتهم وقت الظهيرة ومن أدته الجرأة الى الخروج فى ذلك الوقت والتعرض للحر فانه يموت فى طريقه وفى ولاية مكران قد يكون الحر عندهم قويا كحر الهند والامطار التى فى الاماكن بين المدارين يفيض ماؤها على التلول اى تيبس فى باقى السنة

نباتات [illegible] على [illegible]

وكذلك تجد فى بلاد مكران نخيل الهند واشجار اليمن الطيبة الرائحة فقد كان عساكر اسكندر الاكبر يعتذون فى هذا الاقليم بالتمر وبالكرنب النخلى ويصطنعون الاسرة التى [illegible] عليها من خشب النارديں وينوب خصوصهم بنوع من شجر [illegible] والخيل تسمن بأكل نوع من شجر [illegible] وزراعة لقمح [illegible]
ويشاهد قريبا من البحر ساحل قحل ليس به الا النخل والاثل والاشجار الصغيرة الشوكية ولا يوجد به ماء عذب ولا شئ يقتات به ولكن اقليم كرمان خصب من جميع انواع [illegible] وبه صنف من عنب [illegible] و [illegible]

وقصب السكر يزرعان على امتداد ساحل الخليج الفارسى وفى زمن بلنياس كان القطن يخرج بالفعل فاعل فى الجزائر وكلام هذا المؤلف يقتضى ايضا أن نباتات البلطو يارة او المنغليارة تحتف بشطوط هذه البحور

(٢) على الجزء الشمالى الغربى

وهذا القسم الجنوبى البحرى المجهول الحال للمتأخرين يظهر أنه يشبه كثيرا بلاد الهندستان ويمكن أن يستنتج من كلام مؤلفى الاقدمين أن جبال الشمال الشرقى مستورة اصالة بشجر الغار والبقس والبطم وشجر المصطكى والصمغ بل واشجار دم الاخوين المسمى قطرمكة ودم الثعبان ويسمى العندم ولكن جبال الغور القحلة الباردة ليس بها الانبات هين بل واقليم سجستان الذى هو خصب بفيضان نهر هندمند وكثير انواع الغلال لا وجود للعنب به اصلا وبلاد العجم الشرقية لا تعرف الا نادرا بالنسبة لما يتولد منها وبالنسبة لما عدا ذلك ايضا

(٣) على الجبال الجنوبية

ومابقى من بلاد العجم ينبغى أن يقسم ايضا الى ثلاثة اقسام وهى الجبال الجنوبية والربوة والجبال الشمالية ولنتكلم عليها فنقول بلاد فارستان التى هى بلاد العجم الحقيقية وان كانت قد فقدت كما هو الظاهر الغابات التى كانت فى قديم الزمان ساترة لسائر الجبال الا انه لم يزل باقيا فيها اثر ذلك فان الراصد يتنزه فى وديان شيراز تحت ظلال شجر العرعر وكريز الزعرور والصفصاف المسمى وشجر الجوز وكل هذه الاشجار ترتفع ارتفاعا شديدا وبين هذه الاشجار نوع من شقائق النعمان يظهر بلون ازرق واحمر والياسمين يضم الى ذلك بياضه اليقق والنبات المسمى هو بريقون هترافولوم يفوح منه شذاه الطيب الرائحة والسنبل وشقايق النعمان مفروشة على المروج وقد اخذ الحكيم اوليو يارة منها كثيرا من النباتات المجهولة وقد بحث عن بعض النباتات فى جبل البرس حتى انه لشدة اعتنائه واستكشافه لنباتات مجهولة سمى بعض النباتات التى استكشفها باسمه

(٤) على السهول الوسطى

والسهول المرتفعة ببلاد العجم الوسطى تشتمل على نباتات مالحة منها نبات يسمى اسبطاطيق التتار ولكن بعض هذه السهول المكشوفة ذات مراع عظيمة كان يغتذى بها سابقا الخيل التى كانت سابقا مخصوصة بكونها تجز عربة الملك

(٥) على ساحل بحر الخزر

وتعظم الغابات وترتفع ارتفاعا شديدا جهة شطوط بحر الخزر الرطبة وذلك أن دوام الثلج الكثير وطول زمن الربيع بها يعينان على نمو النباتات فالهواء الحار الرطب جعل قصب السكر ينبت فيها بل ويخرج منه محصول متوسط وسنذكر فى التخطيط عند ذكر كل اقليم على حدته فاذا صعد الانسان فى خلال باقات من النسرين وزهر العسل وارتقى الى جنبات تلال مضرسة وحشية المنظر وجد نفسه بهذه التلال فى وسط اشجار السدر والبلوط والسوسن وشجر الشاهبلوط * وفوقها رؤوس الجبال تتتوج باشجار الارز والسرو وغير ذلك من انواع الصنوبر وكذلك السماق الذى به خاصية القبض وهو نافع ايضا للصبغ والدبغ ينبت بهذه الجبال بكثرة وشجر لسان العصافير الذى يخرج منه شئ يسمى بالمن موجود هنالك ايضا بكثرة ويكثر البقس ببلاد كيلان حتى انهم لا يدخلون فيها الابل خشية أن تسم اذا اكلت من ورق هذه الشجرة فان الابل لا تعقل سميتها وقد اخبر بعض ارباب الرصد من الاقدمين أن فى الجنوب الشرقى من بحر الخزر اقليم هرقانيا القديم يكثر فيه البلوط وغيره ولكن لا يخرج به شئ من انواع الصنوبر

الفلاحة

واكن بلاد العجم ذات لاراضى المتنوعة التى تعجب علماء النباتات وارباب التصوير ليس بها اراض صالحة للزراعة الا من قرى وذلك أن الاقاليم الوسطى والجنوبية يكون فيها الطفل صلبا يابسا يخلف الصخور العقيمة وهذه الارض تحتاج الى سقى بالصناعة ومن حيل الحرب المستعملة عند العجم غالبا فى الحروب الداخلية هدم الخلجان لقطع الماء ومنعه عن الاعداء وهذا مضر بصحة البلاد العامة والآن جميع ماهو مزروع من الاراضى لا يزيد عن جزء من عشرين جزأ والتسعة عشر غير مزروعة والحبوب الكثيرة فى بلاد العجم هى الحنطة وهى جيدة والارز عندهم من المأكولات العظيمة وهو يخرج غالبا فى الشمال الذى اقليمه مسقية سقيا جيدا ويزرع فيها الشعير والذرة ويندر بها الهرطمان والعجم يزرعون قليلا من الخاودار ومحاريثهم صغيرة ولا تستعمل الا لتخطيط هين فى الارض ويجرها البقر النحيف الضاوى

اشجار الفواكه

ثم ان بلاد العجم تتسلى عن قلة خيراتها بجمال فواكهها وثمارها فعندهم من البطيخ نحو عشرين صنفا واحسن اصنافه يخرج فى خراسان والبطيخ فى بلاد العجم كثير المادة اللحمية لا ضرر فى اكله ومنه البطيخ الضخم الذى لا يمكن للانسان أن يحمل منه الا اثنتين او ثلاثة واعظم فواكه اوروبا يعتقد أنها جاءت فى الاصل من بلاد العجم كالتين والرمان والتوت واللوز والخوخ والمشمش * والاترنج فى تلك البلاد ضخم جدا ويوجد فى الحال التى فى وقاية من الجبال

ثم ان الحر الذى يعود من حرارة الرمال مناسب للزراعة لاسيما زراعة الليمون * والعنب ايضا بهذه البلاد يخرج على اجود ما يمكن واحسن ما يكون ولكن لا يزرعه هنالك الا المجوس عباد النار * واصناف النبيذ كثيرة ولكن منها هنالك ثلاثة اصناف ممدوحة وهى نبيذ شيراز وهو احسنها وهو للملك واهل ديوانه ونبيذ يزد وهو لذيذ الطعم وينقل الى لار وهرمس ونبيذ اصفهان وهو حلو الطعم

نباتات نافعة

ومن النباتات النافعة للفبريقات ببلاد العجم الكتان والنيل والدخان والسمسم الذى يعتصرونه زيتا والقطن والزعفران والتربنتينة المسماة بالبطم والمصطكى والصمغ والعفص وليس فى الاقاليم ما يخرج منه الزيت الا قليم مزندران وان كان الزيتون البرى ينبت فى بلاد العجم فى سائر الاراضى الرطبة وقد نبه اسطرابونيس على أن اختيار الزيتون فى ميديا اى اذربيجان لم يفلح .

وزعم بعضهم أن بلاد العجم يخرج منها كل سنة ٢٠٠٠٠ بالة حرير وزن كل بالة ٢١٦ رطلا ولا يستعمل منها فى البلاد الا الف بالة لا غير ويباع الباقى ببلاد العثمانية وبلاد الهند والروسية ومما ينقل من بلاد العجم الى غيرها من البلاد الخشخاش الذى يخرج منه الافيون وكذلك المن المسمى الترنجبين بل والراوند هذا هو المشهور ولا يشك احد فى أن الخشخاش يزرع فيها بكثرة

حيوانات انسية

وعساكر العجم يركبون الخيول التتارية وقد سار كريم خان مسيرة ١٢٠ فرسخا فى ٥٨ ساعة على فرس من هذه الخيول ولكن المشهور أن الخيول الفارسية اظرف منظرا واحسن خلقة من سائر الخيول المشرقية وان لم تصل فى درجة العدو لخيول العرب وهى اعلى من الخيول الانكليزية ورؤسها صغيرة وارجلها نحيفة وجسمها متناسب الاعضاء وهى ذات هدء ولين وكثرة اشغال ونشاط وخفة * وبغال العجم ايضا جيدة والحمير عندهم اشبه بحمير اوروبا ولكن قد نقل العجم الى بلادهم جنسا من حمير العرب وهو جيد سريع الحركة نشط القوة سهل المطاوعة وشعره ناعم ورأسه مرفوع ويكثر فى بلاد العجم الابل ومواشى بلاد العجم تشبه مواشى اوروبا الا مواشى البلاد التى بقرب الهند فللماشية بها احديداب فى الاكتاف والغنم بها ذات اذناب سمينة يبلغ الذنب منها ثلاثين رطلا وعرضها من اسفلها مديد بحيث تكون على شكل القلب وكثير من المواشى يرعى فى الاقاليم الشمالية من ولاية اريوان ولا تخشى اليهود بها غالبا من وجود الحيوان النجس الذى حرم لحمه عليهم موسى عليه السلام واوصى بقراط الحكيم باكله وهذا الحيوان هو الخنزير فوجوده نادر بهذه البلاد

حيوانات برية

و بعض غابات بهذه البلاد ذات ظباء وارام والارانب تتخذ افاحيصها فى الاراضى التى لا زراعة بها ويوجد هنالك بكثرة وفى الغابات المظلمة تختفى الخنازير البرية والدببات والاسود وزاد بعضهم النمر الذى هو من الجنس الصغير الجسم وقال اوليويارة ان بقرب الفرات نوعا من الاسد لا لبدة له وقد كان معروفا للاقدمين والظاهر أن ما قاله المؤرخون من أن بلاد بجستان مكثت مدة طويلة وهى تؤنس الحيوانات الوحشية حتى انهم كانوا يصطادون بالاسد والنمر على اختلاف انواعهما صغيرة كانت اوكبيرة مبرقشة اولا محمول على الاسد اللين سهل الانقياد وقد حكى لقريقس أن البرث اى الفرس امتحنوا الاسد وارادوا أن يدربوه على الحرب و يدخلوه فى جيوشهم فلم يفلحوا فى ذلك

ثم ان السنانير القسبيئية اى الخزرية والحيوان المسمى العاها ويسمى ايضا قرفوس بوغرغوس وغيرهما من حيوانات مخصوصة تسكن القفار والغابات المجاورة لبحر الخزر وثم صنف من اصناف حيوان السنجاب يسمى السنجاب الفارسى * والخنزير البرى ببلاد العجم عظيم التوحش وحمر الوحش تسكن صحارى وسط بلاد العجم و يقيم الضبع والاسد فى اقاليم الجنوب و ببحر الخزر نوع من السمك يسمى الاسطورجون ونوع آخر من سمك البحر المسمى ايضا للبت وهو مستطاب والحمام والحجل يوجدان بكثرة وهما من المطعومات المألوفة وكأنما أكلها الناس هنا لا يغتذى ايضا بها النسور * والعقاب والبازيسكنان فى الجبال القفرة

المقالة الرابعة والخمسون من تخطيط آسيا

تفاصيل تخطيطية تتعلق بالاقاليم والمدن العجمستانية

لما انهينا الكلام على بلاد العجم بوجه الاجمال حان لنا أن نشرع فى ذكر المدن الشهيرة وفى ذكر مقاصد اخرى واغراض من موضوع الجغرافية الخصوصية المجردة عن التخطيطات الاجنبية ولنبن فى ذلك على كون اصفهان هى الاصل حيث انها مدينة قديمة شهيرة مبتدئين اولا بالاقاليم الوسطى والشمالية الغربية ثم نعقب ذلك باقاليم الجنوب الشرقى والغربى فنقول

اقليم عراق العجم

ان اقليم العراق العجمى الكثير الاتساع هو عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان ميديا الكبرى وانما سمى عجميا باسم اول مؤسس لدولة العجم المسمى جمشيد عند المشارقة ويسمى اشمينس عند اليونان وكلتا شيد وانس انما هما زائدتان فى آخر الكلمة الاصلية للاعراب ونحوه فالاسم جم اواشم والعرب تسمى بلاد فارس بلاد العجم فسموا ايضا ذلك الاقليم باسم عراق وهى بلاد بابل ثم لقصد التمييز زادوا الصفة وهى لفظ عجمى والعراق العجمى يشغل الجزء الاكبر من الربوة الوسطى العجمية فجميع ما قلناه فى تخطيط هذه الربوة يصلح لان يقال فيه بخصوصه

مدينة اصفهان

وعلى الحدود الجنوبية من العراق بخصوصية اصفهان وهذه المدينة العظيمة الاتساع على قول شردين محيطها اثناعشر فرسخا فعلى هذا يمكن أن اهلها كانوا نحو ستمائة الف نفس اوسبعمائة وكانت قاعدة العجم وكانوا يسمونها نصف الدنيا وليست الآن الا ظلا لنفسها وخيالا لافتراهم الآن يحزنون ما كان سابقا حدائق و بساتين ذات روائح طيبة يفوح شذاها على ارجاء المدينة ويمشى الانسان مسيرة ثلاث ساعات فى طرق كانت سابقا من حارات المدينة حتى يصل الى وسطها قال اولويار ان اسواق شاه عباس كانت سابقا مسقوفة بقبوات منورة بقباب وكانت واسعة جدا وهى تدل على عظم هذه المدينة فى قديم الزمان وبها ميدان عظيم من اوسع ميادين الدنيا وهو مربع طوله تقريبا مائتا قامة فى عرض مائة و يحدق به خليج على حافاته بيوت منتظمة البناء ومشرفة على قصور الملوك التى يظهر فيها بقايا تعاظم شاه عباس و بجانب هذا الميدان المسجد السلطانى وهو بديع الشكل مكسو الظاهر بالرخام وقبته ومناراته مغطاة بالصينى الملون المنقوش بالزواق وفى باطنه الحروف المنقوشة المموهة بالذهب تزين جدرانه وقبته ومدينة اصفهان وان كان قد هدم ثلثاها بها من الاهل نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس وجميع الفنون والصنايع موجودة فيها وفى جنوبها

منتزه الشربالك

اشجار عظيمة فى الطريق المسماة شربالك وهى تشبه ما فى مدينة ورسالية التى بقرب باريس وطولها نحو ثلاثة آلاف قامة وهى مزروعة باربعة صفوف من شجر الدلب وعلى حافاتها بساتين وقصور عظيمة و بهذه المنتزهات العجيبة ايضا عدة خلجان و برك تزيد فى بهجتها وهذه المنتزهات من الآثار الصالحة التى جددها شاه عباس ويشق نهر زندرود المسمى زومرود هذه المدينة الى شطرين وعلى هذا النهر بداخل المدينة قنطرة مبنية بالطوب وحجر النحاتة وهى مركبة من ست وثلاثين قوصرة وبها ممشى عظيم بكل جانب من جوانبه مقعد من النوع الذى يسمى مسناة من جلس به رأى ما حول المدينة من البساتين وربضها المسمى جلفا اويلفا الموضوع على شط النهر وقد خرب هذا الربض الآن واذا ابعدت من هذه القنطرة يسيرا تجد ايضا قنطرة اخرى عظيمة حسنة البنيان من بناء شاه عباس ومماشيها اعرض من مماشى السابقة وبها فى الوسط فسحة مسدسة الشكل وثم سقف متصل ينفذ من تحت القواصر يخرج منه الماء بقوة كالنافورة فيسمع لخرير الماء به دوى عظيم و بمصاقبته قصر عظيم حسن الوضع بهذا الماء و بما حوله من البساتين الظريفة ولا عيب اذا فقدت هذه القناطر الماء بعض الاحيان فان عباسا الاكبر انفق اموالا عظيمة على نقب الجبال التى على ثلاثين فرسخا من اصفهان وادخل فى فراش نهر زندرود نهرا آخر قال شردين ان نهر زندرود صار نهرا عظيما عرضه فى الربيع قدر عرض نهر السين وقت الشتاء فى داخل مدينة باريس

قاشان (خمسة آلاف بيت)

واذا اراد المسافر أن يذهب لمشاهدة طلعة الشاه فتح على فى مدينة تهران التى هى دار اقامته الآن فانه يخرج من اصفهان ويسير الى أن يمر بمدينة قاشان فيرى بها قصرا بناه عباس الاكبر وفبريقات يشتغل فيها آنية النحاس وهذه المدينة الحسنة يظهر أن بها عقارب اكثر من باقى بلاد العجم ثم يصل من هذه المدينة الى مدينة قم

قم (٢٠٠٠ بيت)

وهى مدينة كبيرة جدا وبها جامع به مشهد يقصده الزوار من كل جانب للتبرك به ولكن قد هدم بعضها بزلزلة * وما حولها من الاراضى خصب الحبوب والقطن ولكن مياهها غير عذبة

تهران (٧٠٠٠ بيت)

ومدينة تهران او طهران من منذ صارت دار اقامة لشاهات العجم عظمت وصارت من المدن الجليلة المهمة

وليست

وليست جديدة البناء وان قال ذلك اولويار فقد كانت فى زمن عباس الاكبر مدينة مهمة وكانت ملوك العائلة الصوفية يقيمون بها فى غالب الازمان واهلها فى فصل الشتاء من اربعين الف نفس الى خمسين الفا وبيوتها مبنية بالطين كسائر مدن العجم واسوار المدينة محيطة بمسافة عظيمة خالية لم تعمر الى الآن وشكل المدينة مربع مضروب حولها سور فيه قصر الملك وهو قصر عظيم واسع فى غاية الحسن والظرافة والبها

الرى

وعلى الجنوب الشرقى من تهران انقاض واسعة ورسوم واطلال من مدينة الرى وكانت تسمى سابقا رهاجة وربماقيل رهاجيانه ومكثت مدة من الزمان تسمى ارساقيا وهى على شرقى اقباطانا التى هى همدان بالفى استادة (غلوة سهم) وعلى خمسمائة استادة من باسة اى الابواب الخزرية واذا ذهبت من تهران جهة الشمال الغربى وصلت الى مدينتى قزوين وسلطانية ومدينة سلطانية بين جبال محلة فى قطر شديد البرد وقد تلاشت من مدة مستطيلة وكانت فى القرن الخامس عشر من تاريخ الافرنج عامرة مأوى تجارة الافرنج مع الهند ومدينة زنغان مدينة عظيمة ايضا على ستة فراسخ اسلامية من سلطانية واما مدينة قزوين على رأى بوشمب الذى حدد درجة طولها فلم يكن بها من الاهل فى سنة ١٧٨٧ من الميلاد الا من عشر آلاف نفس الى اثنى عشر الفا ولم تزل الى الآن يشاهد فيها قصور الملوك القديمة ولكنها الآن خالية عن البهجة والعمار وهى شهيرة بفبريقة السيوف وقال فريارة انه يصطنع بها كثير من النحاس الذى يستخرج من الجبال التى بجوارها او يخرج من تحت ايدى اهلها اشغال آنية النحاس اعظم مما يشتغل فى بلاد العثمانية * والقوافل تنزل فيها بكثرة من خراسان واذربيجان وهى مركز التجارة

سلطانية

زنغان (٢٠٠٠ بيت)

قزوين (٣٥٠٠ بيت)

همدان (٤٠٠٠ بيت)

ومدينة همدان باصل وضعها من اعظم مدن العجم وهى رديئة المبانى ولكن يخترق بيوتها بساتين مسقية بعيون كثيرة نابعة من التلال فمجموع المدينة عظيم المنظر وفيها مدفن ابن سينا واذا اجتزنا جبل الوند الذى هو فى الجنوب الغربى من همدان بقرب المدينة العامرة المسماة كرمانشاه رأينا فى جبل بيسطون مبانى غريبة تسمى سر يرسطان وهو رواقان منحوتان فى الصخر الصلب على شكل ايوان واحدهما قدر الاخر مرتين واكبرهما يمكن أن يكون كل بعد من ابعاده من خمسة وعشرين قدما الى ثلاثين وبه تمثال على فرس وجسمه ضخم جدا وهنالك ايضا تماثيل اخرى ونقوش ورسوم

كرمانشاه (٣٠٠٠ بيت)

مبانى بيسطون

كردستان العجم

وفى شمال كرمانشاه وغرب همدان وسلطانية اقليم مرتفع كثير الجبال لم تذبل اعشابه ولا اوراق اشجاره بحر الصيف لخفته وهذا الاقليم مقر للاكراد الذين هم دائما متهيئون لنقل خيامهم ومواشيهم ليخرجوا من ربقة الظلم وهذه البلاد تسمى بلاد الجبال اوكردستان العجم وليس بهذه البلاد طريق مطروقة مسلوكة وتبقى الثلوج على الجبال فى شهر اوغسطس واودية الكردستان كثيرة الغابات الظريفة والغيطان والمزارع المتعهدة بالزراعة والمراعى المستمرة الخضرة فى جميع الفصول ومعظم القرى مبنى على قلال الجبال وكذلك المقابر واغلبهم سنية ومذهب السنية هو المتحكم ومن المدن الاصلية ببلاد كردستان العجم مدينة سنية ويحدق بها مزارع ظريفة وجميع البلاد يمكن أن يخرج منها عشرون الف فارس وبها قبائل مستقلة وحرة بالكلية كقبيلة المكرية التى قاعدتها تسمى شاوش بولاه

سنية (٣٠٠٠ بيت)

اذربيجان

واما اذربيجان فهى معروفة لنا اكثر من بلاد الجبل وكانت تسمى عند الاقدمين اطروباطيسة ومعنى اذربيجان اواطروباطينة ارض النار اما لكون عبادة النار ظهرت بها ونشأت فيها اولكونها معرضة لهيجان جبال النار وهى اراض جبلية محلة يابسة منتشر فيها اودية خصبة كثيرة الفواكه والقوة ومن مدنها تبريز وهى مدينة عظيمة واسعة الاسواق والمبانى وبها ميدان كبير يقال انه وسع ثلاثين الف نفس اصطفوا طابورا وقد كانت هذه المدينة دار اقامة ملوك العجم مدة عدة قرون وهى الى الآن تجر ايضا تجارة عظيمة فى الحرير * وورود الترك والكورجستانية والاكراد بها يجعلها تظهر للاعين أنها عامرة كثيرة الاهل ويشتغلون فيها كثيرا من جلود الساغرى التى يتخذها العجم نعالا وهذه المدينة عجيبة المساجد المستورة بالطوب الملون والتى بها الرخام الابيض بكثرة لكون مقاطعه حولها ايضا كثيرة

تبريز (٧٠٠٠ بيت)

والجزء الجنوبى الغربى من اذربيجان الذى به زيادة عن تبريز مدينة المراغة معظمه داخل فى حوضة بحيرة ومدينة اورميا مؤسسة على غرب البحيرة بين جبال وعرة يمكث بها الشتاء تسعة اشهر * والجزء الشمالى الغربى من اذربيجان متكون من حوضة نهر خراسان الذى يصب فى نهر الرس وفى هذا الجزء مدينة اردبيل وهى محل عظيم للتجارة وحولها تخرج الفواكه العظيمة والزراعة ناجحة بها لكثرة خلجان السقاية

المراغة (٣٠٠٠ بيت)

اردبيل (٢٥٠٠ بيت)

وبلاد الارمنية العجمية ليست الا واديا عظيما او قطعة من حوضة نهر الرس الذى هو نهر عظيم فى هذه الجهة لاتزال مياهه شديدة الجريان حتى كأنه غضبان من حمله لقناطر وانه يريد هدمها ولهذا هدمت قنطرة الخلفا التى يمشون

ارمنية عجمستان

عليها عادة حين قصد اجتيازه غيرمرة و بحيرة اريوان لكونها داخلة فى حوضة خاصة كانت لاتجرى اليها
وميلاهها الصافية يتولد بها كثيرمن الاسماك وهذا الاقليم المملوء من المناظر الوحشية طيب القطر وان كان هواؤه به
ثقل هين وشتاؤه طويل قاس كثيرالثلج وصيفه ايضا بارد حتى ان فلاحى الارمن يغطون اعنابهم بالبناء المتخذ من
الطين مدة عدة اشهر و يقولون ان اول من زرع فيه العنب نوح عليه السلام وصفة نبيذ هذا الاقليم وجودته يدلان على
نظارة اول من زرعه وقاعدة بلاد ارمنية عجمستان تسمى اريوان وهى مدينة مضروب حولها سور من الطين

اريوان (٢٠٠٠ بيت)

استولى عليها العجم من سنة ١٦٣٥ وعلى القرب منها جهة الجنوب الغربى يشاهد دير ارمنى شهير يسمى دير ثلاث
الكنائس وجبل عرارة الشهير* وهذا الجبل يمكن أن يعتبر أنه كالحد بين بلاد العثمانية وبلاد العجم* والارمن يحجون الى
هذا الدير الواسع المبانى والارجاء والبطرق يعيش فيه عيشة صعبة كعيشة الرهبان وذلك لان عادة الارمن أن
الانسان كلما زاد فى درجة القسيسية كثر صومه وزهده ومدينة نقجوان المشهورة باسم نقشوان قد اضمحلت
وتلاشت وصارت مدينة خوى هى المدينة الثانية من مدن هذا الاقليم

خوى (١١٠٠ بيت)

استطرادات فى البحث عن عدن وعن جنة آدم

ثم ان الجم الغفير من مؤلفى المشارقة بل ومن مؤلفى النصارى يجعل أن بلاد الارمن العجمستانية هى مبدأ النوع البشرى
ولها الفخار بذلك فيقولون ان اباء جميع البشر شاهدوا فى وادى عدن الموجودات مزينة بجمال الربيع الدائم
وان سفينة نوح فى زمن الطوفان الذى اهلك المشركين لكثرة ذنوبهم وآثامهم حفظت جنس البشر من الغرق و بعد
أن سارت بحرا محيطا لاساحل له رست وقذفتها الامواج على قلة جبل عرارة والظاهر أن المعنى الاول من هذين
المعنيين لاتعلق له بالثانى اصلا فلاأى شئ يجب أن نوع البشر تولد ثانيا وتجدد فى محل منشائه الاولى وخلقته*
والمجادلات الاولية والمباحثات القديمة التى تعقب بها العلماء فى قديم الزمان هذا المعنى المبهم لم تميز بين هذين المعنيين
ولم تفرق بينهما بل ابقت الكلام فيهما على حاله فبحثت غالبا عن الجنة التى هبط منها آدم وعن ارض عدن فى شط
نهر الفرات فكأنه من بين انهار الجنة الاربعة هو الذى لاشك بوجود هذه الاماكن به ولكن الخواجة دلوق

مذهب دلوق

الذى هو متدين كثيرا ولايميل للفلسفة سلم للفلسفة بعض اشياء لاتليق بشريعة النصارى وتؤيد الفلسفة وذلك لانه
اعترف بأن الجنة التى هبط منها آدم يجب أن تكون فى ارض قارة كانت موجودة قبل الطوفان وذهب الى أن هذه
الارض قد غرقت بالكلية وانه لامدخلية لنهر الفرات اصلا فى هذا البحث لان هذا الاسم واسم الحزقيل الدال
على دجلة لامانع من كون نوح عليه السلام هو الذى سمى بهما هذين النهرين تذكارا لانهار الجنة التى بقى
ذكرها متوارثا من جيل الى جيل فليسا من انهار الجنة فى شئ وهذا الرأى هو احسن ما يليق بمن يعتقد عصمة موسى
عليه السلام و يصدق كلامه فيه بوجه كلام موسى عليه السلام * وبعض علماء النمسا ممن لم يصلوا فى التدين
الى درجة دلوق بحثوا عن الجنة فى الارض الموجودة الآن اى اعتمدوا ان آدم خلق فى هذه الارض ولكن على وجه
غير موافق لدين النصارى الذى لا اعتزل فيه فرأى بعض علماء النمسا المتقدم أن الجزء الجغرافى الذى ذكره موسى فى سفر
الخليقة ليس من باب العقائد ولا من الديانة والوحى الذى يقطع بصدقه وانما هو حكايات تخيلية وقصص حماسية وآراء

مذاهب جديدة

مخلوقة بشرية غير الهية واخبار شائعة بين قبيلة رحالة متنقلة تولد منهم الاسرائيليون وتناسلوا منهم و بقيت الاخبار
فى الذرية فنقلها عنهم موسى عليه السلام وقد فتحت لارباب البحث ابواب المنازعات والمجادلات والاجتهادات
والتمذهب الى ماشاؤا فبينوا هذا المعنى باوجه واضحة ولكنها دائما لاتوصل الى درجة اليقين فمن قائل ان عدنا
معناها جميع بلاد العجم لانها ارض عامرة من قديم ازمان ومتمدنة فى سالف الاوان ويقابل عدنا بهذا المعنى بلاد
الهمل و بلاد المساكين وهى ارض نود التى طرد اليها قابيل حين قتل اخاه وارتكب هذا الاثم العظيم وايد هذا
بأن انهار الجنة الاربعة التى هى جيحون والرس المسمى ايضا فاسيس اوفيسون ونهر الفرات ونهر حزقيل
وهو دجلة تتصل بعدن اى بلاد العجم وهى منشأ النوع البشرى اى آدم وأن الجنة التى عاش فيها ابو البشر سميت
باسم فارسى عراقى هو فردوس فحرفه اليونان الى فرادوسوس وهذا الاسم يدل على جميع الجنات السلطانية
الفارسية ولهذا ايضا سميت به عدة اماكن خارج بلاد العجم الحقيقية فعلى هذا المذهب جنة ادم هى اقليم ايلما كان
من اقاليم بلاد فارس وآخرون قالوا ان عدنا اريد بها جميع بلاد الشرق التى كانت معروفة لاوائل الناس ونقلت
اخبارها فى عبارات متفرقة فجمعها علماء العبرانيين ومؤلفوهم ومنهم موسى عليه السلام فعلى هذا المذهب
الانهار الاربعة التى يلزم أن توجد فى عدن هى الفرات ونهر السند المسمى هندوقل ونهر اكتك او نهر جيحون
ونهر ايراباطى الذى سماه بطليموس بسنغا وهو المذكور فى كتب العبرانيين باسم فيسون واذا سلم هذا المذهب
الكثير الجراءة كانت ارض جنة آدم هى بلاد كشمير التى هى وادنضر والظاهر أن هذه الابحاث لاتؤدى الا الى نتائج

مشكوكة

مشكوكة لامعنى لها ومثلها الابحاث التي تتعلق بالاماكن التي استوت عليها سفينة نوح عليه السلام وبعبارة خالية عن التخيل سالكة طريق الظاهر هي الاماكن التي اجتمع فيها بعد طوفان عام من بقي من البشر ومنها انتشروا على الارض فاذا سلمنا على تأويل دلوق عموم الطوفان وأنه ناشئ عن خسف وفرضنا أن الارض التي ابتلعت كانت محل البحر المحيط الموجود الآن فلاغرابة في كون آثار باقية من جنس البشر ركبت على ظهر سفن رديئة وجاءت الى سفح جبل عرارة وسفح سلسلة جبال طوروس حين هبوط الماء فكان هذا السفح فوقه الماء فعلى هذا بلاد كردستان وبلاد الارمن في ذلك الوقت تباعدت ارضهما بغمر الماء لهما بأن صارتا جزيرة سطحها اقل ارتفاعا فوق سطح البحر مما عليه الآن فكان مزاج قطرها احسن من الآن ولما كانت بلاد الارمن في مركز القارة القديمة تقريبا كانت اشبه بمبدء طبيعي ينتقل منه النوع البشري الذي عمر اوروبا وآسيا وافريقة وهذا المذهب قابل للتأييد والتقوية ولكنه ليس الاقولا فرضيا تقديريا فالحق أن معارف التاريخ الغير الشرعي سواء كان متعلقا بالاخبار عن الامور السياسيات اوباحثا عن احوال تولدات الكائنات لا تجول فيما وراء الزمن الذي كان فيه عشائر نوع الآدميين منتشرين كالاشجار والنباتات والحيوانات على ظهر الارض لانفهم من حالهم دليل قاطع و برهان ساطع على انهم مشتركون في اب واحد ومتفرعون عن اصل كذلك

تنبيه عام في شأن التفحص في ذلك

ولكن لنرجع عن سبل التخليط * الى طرق التخطيط * ولنترك المتولعين بالغرائب * والمتطلعين الى العجائب * يبحثون عن سفينة نوح في جبل عرارة * لعلهم يجدون منها جذاذات اوكسارة * وقد خططنا في المقالة السابعة والاربعين في قسم كوه قاف اقاليم شروان وداغستان وكورجستان التي كانت سابقا في ايدي العجم ومكثت تحت ولايتهم مدة طويلة والآن معظمها في ايدي الروسية ولنبحث هنا عن الجزء العجمي الذي على بحر الخزر فنقول

يوجد على شرق بلاد الارمن واذربيجان وعلى جنوب شرق شروان اقليم خصب نضر الا أنه رديء الهواء وهو اقليم كيلان ومابه من مزارع الارز الكثيرة والجبال الكثيرة الاشجار صيرت قطره كثيف الهواء وقد اخبر بعض من جاء منه من السواحين أنه في اجتيازه الغابات التي تملأ هذا الاقليم احس حالا بوجع الرأس و بالتعب ولم يكن لذلك سبب الا ابخرة النباتات والاشجار والمياه الراكدة حتى ان كثرة رطوبة الهواء ادخلت الصداء في الساعات التي يحفظونها مع غاية الاهتمام وقد رصد اهل هذا الاقليم أن النساء والبغال والطيور تعيش فيه صحاح البدن واردأ هواء السنة يكون مدة اشهر يونية ويولية واغسطوس ويكثر المطر عادة في اشهر اقطوبر ونونبر ودسمبر وفي سنة ١٧٤١ من الميلاد نزل بكيلان مطر عظيم حتى ان اهل تلك البلاد مكثوا عدة ايام لايخالطون بعضهم الا على سطوح دورهم التي هي غير مرتفعة كثيرا ويكث الربيع عندهم عدة اشهر والمروج والغابات دائما مزينة بالازهار وارض كيلان في غاية الخصوبة يخرج منها التيل وحشيشة الدينار وجل الفواكه من غير خدمة و يكثر فيها البرتقان والليمون والخوخ والرمان وفي هذا الاقليم كما في شطوط نهر مسيسيبي بامريقة حشيشة الليانة التي هي حشيشة طفيلية تزاحم البلوط والدردار ولسان العصافير وتزيد في زينتها ظاهرا لكنها مضرة بها وكذلك دوالي العنب تتعلق بالاشجار وتخرج وحدها في الجبال من غير زريعة ولكن لعدم الخدمة لا يصل العنب الى درجة جودة بحيث يمكن أن ينتبذ اللهم الا اذا خلط بغيره من العنب الجيد واعظم ما يخرج بهذه البلاد الحرير ثم ان الكيلانية زرق العيون شقر الشعور صغار الوجوه وتقاطيعهم لطيفة كلطافة قدودهم وصغارهم ارباب جمال في صغرهم و يتغير جمال الذكور بالكبر والرجال نحاف الابدان ارباب وساخة وطباع غير قارة لاثبات لها ولهم لسان خاص بهم لا تعلق له بلغة العرب ولا بلغة العجم واهل هذا الاقليم نحو ٥٠٠٠٠ عائلة

كيلان
تخطيطات طبيعية
قطر

تولدات

اهل كيلان

ومن مدن كيلان مدينة رشت وهي قاعدة الاقليم وعلى فرسخين من البحر وهي في اعظم اراضي الحرير و بيوتها نحو ٣٠٠٠ بيت وبها ٢٠٠٠ دولاب لصناعة الحرير ومن مدن كيلان ايضا مدينة انزلي وهي مينا مطروقة لسفن روسية ازدراهان

مدن

وقد ذكرنا فيما سبق سلسلة الجبال التي تفصل كيلان ومازندران من بقية بلاد العجم و بينا ارتفاعها وطبيعتها الكلسية ونقول هنا ان الاودية الداخلة في هذه السلسلة والمتقية رياح بحر الخزر يابسة الهواء ذات مزاج مستمر وفصول ظاهرة عن فصول بلاد جيلان التي على البحر و بهذه السلسلة مجازان ضيقان مخطوطان احدهما يوصل من اردبيل الى استرا والآخر من قزوين بواسطة رودبر الى مدينة رشت وثم مجاز آخر يقرب لنعكران بين الجبال والبحر يوصل لاقليم شروان وهذا الجزء الجبلي من كيلان يسمى بلاد الديلم تسمية له باسم قبيلة

جزء كيلان اسمي ديلم

باقية الذكر عند العجم ذكرها موسى الخوريني وهو أول من ذكرها وسماها الدلمى ثم ان اسم الكيلانيين او الكيلاكية هو عين ما كان يسمى سابقا الكيلة وببلاد كيلان طوائف تسمى الامبرلية ومعناه اهل الوادى يسكنون بارض تنكيبون ويحكمهم خان مخصوص

امبرلية

مازندران

واقليم مازندران فى شرقى كيلان وهو اقرب شبها باقليم كيلان وذلك لان بجنوبه جبالا عالية وبشماله بحر الخزر وبين هذه الجبال وبحر الخزر اودية مستورة الارض بالغابات يشقها تيارات ماء سريعة الجرى والهواء فى مواضع كثيرة منها اعظم من هواء كيلان واهلها اقوى من اهل كيلان وصحة ابدانهم عظيمة ويقال ان حواجب اعينهم مقرونة اى شعرها متواصل ويقتاتون بالارز والسمك والثوم * والحنطة قليلة النجاح بهذا الاقليم ولكنهم يخدمون فيه قصب السكر وخروج هذا القصب فيه امر عجيب بالنسبة لدرجة العرض وهى ٣٧ التى هى قريبة من مركز آسيا والقصب ينضج بهذا الاقليم قبل نضج قصب الهند الغربية باربعة اشهر ويخرج منه كثير من الماء ويعتصره اهل البلاد ويجمعونه من غير صناعة ولا تعهد ولو تعهدوه كل التعهد لذهبت منه رداءة طعمه وقد حاول بعض الموسقوبية أن يعمر هنالك معملا لتكرير السكر فاختبر وجرب فلم يفلح

زراعة قصب السكر

بلفروخ (٥٠٠٠ بيت)

ساري (٤٥٠٠ بيت)

استراباد (٣٠٠٠ بيت)

اشرف (٤٠٠٠ بيت)

واحسن مدن هذا الاقليم مدينة بلفروخ او بلفروش واهلها ٢٥٠٠٠ وهى عامرة بتجارة الحرير ومن مدنه آمل وفيها يشتغل حديد الاقليم وهى ذات قنطرة عظيمة ومن مدنه ايضا سارى وهى مستقر خان هذه الولاية ومدينة استراباد وهى كورة ظريفة جميلة المنظر تكون فى بعض الاحيان مستقلة عن مملكة الفرس وهى ذات فبريقات قماش الحرير والصوف وبقربها يخرج نبات عظيم لصباغة الاحمر يستعمله العجم فى صبغ اقمشتهم ومن مدنه مشهدسر وهى مينا يحمل منها القطن والنيلة وعقاقير الهند ومنها مدينة اشرف وقد قصد شاه عباس أن يجعلها دار اقامته ومحل عماراته البحرية فهدمت قصوره بها قبل أن تسكن ويقال ان اهل مازندران نحو مائة وخمسين الف عائلة فيكون اهلها على ذلك من ستمائة الف نفس الى سبعمائة الف نفس

طبرستان

والجزء الكثير الجبال من اقليم مازندران يسمى طبرستان وهو مأخوذ اما من اسم امة كانت تسمى قديما طبورية او من اسم مركب من لغة العرب والكلدانية ومعناه جبال ذات غابات وفى هذا الاقليم مجاز طويل وهو المجاز الاصلى من ابواب الخزر يوصل من الرى الى آمل ومجاز آخر يوصل من مازندران الشرقى بواسطة ارض قومس الى خراسان وطرق الاسفار فى بلاد مازندران رديئة جدا لعدم السير فى السفن وذلك لان القوارب مفتوحة رديئة الادوات فلا تمكنها أن تقاوم الامواج وعواصف الرياح والبيوت بهذه البلاد مبنية بالطوب والمونة وسطوحها مبسوطة غير منحدرة واذا دخل غريب من الاعيان فى قرية اجتمع اهل البلد وزينوا اشجرة اكراما له ونصبوا معركة بحضرته ثم ان الكيلانية يلبسون طاقية صنوبرية الشكل وطاقية المازندرانية محفوفة بالفرا مستطيلة فتكون منتهية بحرف معوج ولهم ملبس كالعباءة الافرنجية وسراويل فهذا تراهم اقرب شبها بالافرنج ممن عداهم من امم العجم

اخلاق واداب

بلاد خوزستان اوخورستان

ومن بلاد العجم جزآن ينبغى ايضا أن يعتنى بشأنهما احدهما مائل الى جهة الخليج الفارسى وبحر الهند والآخر على ربوة التتار والخط الاول اولا فنقول

اذا ذهبنا من اصفهان وتوجهنا جهة الجنوب الغربى واجتزنا اولا جبال الاهواز التى كانت تسمى سابقا برخواطرا اى جبال النار وجدنا بعد ذلك سهلا عظيما ينعطف فيه ما لا يحصى من الانهر وبه يتسلطن حر رطب وليس به من الشجر الا النخل وبعض مزارع ارز وهذا السهل هو سوسيانة القديمة ولكن مدينة سوس التى معناها مدينة السوسن التى كانت سابقا اعظم بلاد اللذات والشهوات ودار كبار الملوك ليست الآن الا انقاضا وردوما ولفظ خوزستان الذى اشتهر به هذا الاقليم عند الجغرافيين من زمن دنويل قد ذهب ايضا وانمحى على ما قاله نيبوهر وصارت هذه الارض لا تسمى الا باسم لورستان ولكن علماء الافرنج المتشبثون بمعرفة اللغات المشرقية رصدوا أن الاسم الحقيقى العام للاقليم هو خوزستان وانه ينقسم الى اربعة اقسام * الاول قسم خورستان وهو عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان اوسية وقطره معتدل * الثانى خوزستان وهو عبارة عن قوسية القديمة والقوسية امة جبلية يخشى من صيال قطاع طريقها وهذا هو عين لورستان * الثالث سوزستان وهو سوسيانة الحقيقى * الرابع ايلام ويسمى ايلومايدة وهو يمتد جهة مصاب نهر الفرات وقد خرب اقليم ايلام قبائل عرب وكذلك سوزستان وهما قليمان خصبان رديئان وقبيلة كعب اشتهرت من منذ تغلب الشيخ سليمان سنة ١٧٦٥ من الميلاد على ثلاث سفن حربية من سفن الانكليز واستولى على جميع الخليج الفارسى ومدينة سوستر التى تحت يد العجم تتجر تجارة عظيمة فى اقمشة القصب والحرير

اسم هذا الاقليم واقسامه

خورستان

خوزستان

سوزستان

ايلام

سوستر (٣٠٠٠ بيت)

ومن سوستر يمكن أن ندخل مدينة رجبان ومجازات زنجران وهى ابواب سوسيانة اوسوزستان فى اقليم فارستان وهوما كان يسمى عند الاقدمين پرسيس وهواعظم اقليم من اقاليم المملكة وبه المدينة الثانية المهمة الشهيرة وهى مدينة شيراز وهى على كلام فرنكلين السوّاح قاعدة فارستان وهى موضوعة فى واد خصب يبلغ نحوستة وعشرين ميلا من الطول فى اثنى عشر من العرض مسدود من كل جهة بجبال عالية ومحيط هذه المدينة نحو اربعة اميال وعليها سور ارتفاعه نحو خمسة وعشرين قدما فى غلظ عشرة اقدام مع بروج مدوّرة بين كل برجين ثمانون خطوة والقلعة مبنية بالطوب وقبلها ميدان عظيم مملوء من طوبخانة مدافع رديئة وبها مسجد كريم وهو مسجد جليل الا أنه لم يتم والعجم المتأخرون يظهر أنهم يحسنون التزويق بالازرق والذهب على وجه ظريف لا يحصى وسوق الوكيل به حوانيت عظيمة مجتمعة وقبر حافظ شاعر العجم فى الشمال الشرقى على ميلين من السور

فارستان
مدينة شيراز
(٢٠٠٠٠ بيت)

ماحول شيراز

وليس فى الدنيا مدينة تكثر فيها امور المعاش وتحسن اعظم من شيراز ولا يتصوّر واد اعظم من وادى هذه المدينة فانه مفروش بزروع الارز والحنطة والشعير وتحصد فى شهر مايه الافرنجى ويتم الحصاد فى نصف شهر يولية ويوكل فيها كثير من الفواكه من اصناف فواكه الافرنج ولكنها اضخم منها بكثير واطعم واطيب رائحة لاسيما المشمش والعنب ومدينة شيراز هى فى اعظم قطر من اقطار الدنيا ولا يشعر فيها الانسان ابدا بشدة حر ولا برد ففى مدة الربيع يعبق فيها شذا الازهار من كل صنف وكل لون فتفوح فى الهواء الذى هو بطبعه معتدل لين وهزار البستان الذى يسميه العجم بولبوط هزاردستان والزقزيقة المسماة السكساكة ونحوها تضم فى هذا الفصل نغمها الى نغم الهزار فجميع هذه الظرائف اذا انضمت الى لطف اهل البلاد وادبهم تكون عذرا لاهل شيراز فى زعمهم انه لا نظير لبلدتهم فى جميع مدن الدنيا فمثل هذه المدينة وما حولها من المتنزهات اهل لان يتغزل فيها حافظ والسعدى وجامى والظاهر ايضا أن الذى اعجب هؤلاء الشعراء العشاق ارباب الظرافة هو نساء شيراز بجمالهن لاسيما سواد عيونهن ولكن هذه المدينة العظيمة لم تنج من مضار الفتن والقيامات فقد اخذت عنوة غير مرة وحرقت ونهبت

ولا يمكن أن يسافر الانسان خطوة ببلاد العجم من غير أن يصادف فى طريقه عدة آثار تدل على قساوة ارباب الفتوحات وعلى ما اصاب النوع البشرى من النكبات فعلى ١٢ فرسخا من مدينة شيراز جهة الشمال الغربى وعلى ثلاثة اواربعة فراسخ من قرية ميان تجد آثار مدينة اصطخر الشهيرة فى قديم الزمان باسم پرسبوليس وهى مدينة قديمة كانت سابقا دار سلطنة بلاد فارس وليس الذى هدمها هو اسكندر الاكبر كما زعمه قوانطس قرقس وانما هدمها فى القرن السابع من الميلاد العرب كما برهن على ذلك لنغليز فى تذكرته الغريبة الكثيرة المعارف وهذه الآثار على ارض مرتفعة مطلة على سهل واسع ويكتنف القصر الذى بهذه المدينة جبل على شكل مقعد مدرج يصعد اليه بسلالم من حجر ازرق وهى نحو ٥٠٠ سلم واول ما يتعجب منه الناظر حال دخوله ايوانان من الحجر ارتفاع كل ايوان ٥٠ قدما وتمثالان من صورة ما يقال له ابو الهول وهما قائمان منتصبان ضخمان ضخامة عظيمة ومزينان لجانبى الايوانين وعلى اعلى هذين الجانبين كثير من النقوش اليونانية والعربية الكوفية والفارسية وبها حروف على منوال رؤوس المسامير وبقرب الايوانين يرتقى على سلالم سهلة حتى يتوصل الى رواق الاعمدة الكبيرة وفى ناحيتى السلالم كثير من الصور المنقوشة ومن هذه الصور عدة متباعدة عن بعضها ويبدو الصورة شئ من الآنية ومن جملة هذه الزينة عربات نضرة مرسومة على الوجه اليونانى وابل وخيل وبقر وغنم وفى اسفل السلالم اسد مصوّر ويخالبه ثور وقد بقى من اعمدة الرواق خمسة عشر عمودا على حالها قائمة على ساقها وارتفاع العمود من سبعين قدما الى ثمانين ويمكن أن يقال انها من احكم صنعة واتقن عمل فى العمارة والبناء

آثار اصطخر

حروف رأس المسامير

ولما كان لا يمكننا بسط الكلام على هذه الآثار العظيمة حق لنا أن نقتصر على أن نقول ان ذلك القصر محيطه ٤٢٠٠ قدم من اقدام فرانسا والجنبة ستمائة خطوة من الشمال الى الجنوب وثلثمائة وتسعون من الشرق الى الغرب ويسمى فى بلاد الشرق باسم چلمنار يعنى الاربعين عمودا وقد يسمى تخت جمشيد اى كرسى جمشيد وهو من اوائل ملوك فارس

وغير المدن المتقدمة من مدن فارستان ليست الآن عظيمة * واصولها فسا وكزرون وفيروزباد وهنالك مدينة يحتاج للتنبيه عليها دون غيرها وهى مدينة يزد التى تكاد أن تكون فى وسط مملكة العجم وبعض الجغرافيين يجعلها فى عراق العجم وقال بعض آخر انها بولاية كرمان وهذه المدينة موضوعة بطريق كرمان الموصلة الى اصفهان واكثر اهلها المجوس وهم عبدة النار وهى ذات فبريقات السجاجيد والاقمشة مشغولة من وبر الابل واهلها

فسا (١١٠٠٠ بيت)
يزد (٤٥٠٠٠ بيت)

يتجرون في الحرير وقماش القطن وما حولها من الاراضي المتصلة بها محروثة مزروعة ويخرج منها اظرف حنطة ببلاد العجم وهذا مصداق المثل السائر عند العجم السعيد من اكل خبز يزد وفواكه اذربيجان وشرب خمر شيراز وكان عنده جارية كورجية

تنبيهات من الجغرافية الطبيعية

والغابات المتقدمة بجبال فارستان والمياه التي تسقي واديها العجيب تجعل هذا الاقليم اعظم من سهول عراق العجم التي هي قحلة رديئة فان جبال فارستان كثيرة البلوط والبتولا والسرو والضر ووهو شجر المصطكي ومزينة بهذه الاشجار واما السهول فهي ايضا مزينة بالرمان والدلب والبرتقان والعنب وقد فقدت الخيل بعض جودتها ولكن جنس الغنم ذوات الاذناب الغليظة لازال باقيا على حاله غير أن هذا الاقليم الظريف به صحاري واسعة جدا وسهول متسعة كثيرة الرمال وكثير من الصخور العقيمة * والصخور التي في نواحي داراب غرد يخرج منها شيء من التولدات

الموم او المومياء

شهير نفيس يسمى الموم وهو نوع من النفط رائق جدا وله رائحة طيبة ويعتني غاية الاعتناء بحفظ غار الجوانب الذي يقطر فيه هذا النفط وفي كل سنة يفتحه حاكم داراب ويأخذ منه مقدارا صغيرا ويبيعه لديوان ملك العجم ويعتقد العجم أن الموم مرهم عجيب به تشفي الجراحات المخوفة حالا

سواحل بحرية ابوشهر (١٢٠٠ بيت)

والسواحل البحرية من فارستان ذات مينتين مهمتين يسكنهما مشايخ عرب فالاولى وهي الابعد جنوبا ابوشهر ويسميها الفرنساوية بوشر ويسميها الانكليز بوشهر ثم ان السفن التي لا تأخذ من الماء الاثنى عشر قدما يمكن أن تصل في وقت المد الى البيوت وشيخ ابي شهر يحكم ايضا على جزائر البحرين ولهذا كان له عدة سفن معدة للحرب تسمى قلوبطة وتتمنى دائما مدينة شيراز التي اقرب مينا لها مينا ابي شهر أن مشايخ هذه المينا لا تخرج على سلطان العجم اصلا لان ذلك يعود بالضرر عليهم والثانية بندر ريغك وهي حصن ومن تعلقاته التزام عظيم

بندر ريغك

قبائل عرب على الساحل

وكثير من العرب المستقلين على سواحل الخليج الفارسي واغلبهم في مادة التعيش مستوون فان اغلب معيشتهم من التجارة البحرية وغوص اللولو وصيد السمك ويغتذون بالتمر والسمك وخبز الذرة وقليل المواشي التي عندهم تقتات ايضا بالاسماك وكل قرية من قراهم لها شيخ مستقل غير تابع لاحد ولا يدفعون لشيخها الا شيأ تافها واسلحة هؤلاء العرب المكحلة ذات الفتيلة والسيف والترس وسائر قواربهم تصير سفن حرب اذا ارادوا القتال واعظم قبائلهم قبيلة الهولة وهم

هولة

يتكلمون بلغة العرب على اختلاف فروعها وشعبها وجلهم سنية ولهذا تجدهم اعداء العجم عداوة مؤسسة فلا يتعاهدون معهم اصلا وبيوت هؤلاء العرب حقيرة جدا يستنكف العدو هدمها واذا هدمها يندم على تعبه ومشقته فيها ولما كان هؤلاء العرب ليس لهم ما يخافون عليه في البر كانوا بمجرد توجه عساكر العجم منهم تجدهم جميعا سواء كانوا اسكان مدن او قرى يركبون سفنهم التي هي صغيرة ويهربون في بعض جزائر من الخليج الفارسي

لارستان لار (١٥٠٠ بيت)

واقليم لارستان الذي منه حاشية على البحر تسمى كرماسير يعني بلاد الحر هو في الغالب جزء من ولاية فارستان وقاعدته مدينة لار وهي ذات فبريقات سلاح واقمشة حرير وهذا الاقليم وان كان كثير الرمال الا أن ارضه مملوءة بالبرتقان والليمون وشجر التمر هندي والتمر ويشرب فيه ماء الصهاريج المطرية ويتعهد بتسخينه ليخرج منه دودة معدية لانه لولا هذا التعهد لانتقلت تلك الدودة واقامت بين الجلد واللحم وهي كالشعرة رقة ولا تخرج من الجسد الا اذا ذاق الانسان باخراجها غاية الالم بل ربما خاطر بروحه وليس هذا الامر من خصوصيات هذا الاقليم بل هو منتشر في اكثر سواحل

بندر عباسي او غمرون (٥٠٠ بيت)

الخليج الفارسي ومدينة بندر عباسي هي مينا بصاقبة هرمس مشهورة باسم غمرون اكثر من اشتهارها بذلك الاسم وكانت سابقا اشهر مراسي الخليج الفارسي ومستودع جميع التجارات وكان البورتوغاليون قد استولوا عليها فساعد الانكليز عباسا الاكبر فطردهم منها سنة ١٦١٤ من الميلاد وتجارتها الزاهرة قد تلاشت الآن بل هجرها الفلمنكيون ايضا وانتقلوا منها الى جزيرة كرك ومستودع تجارة الانكليز الآن في البصرة وبندر كنغ مينا مطروقة

بندر كنغ (٤٠٠ بيت)

يتوارد عليها التجار اكثر من غمرون وهي بين غمرون وابي شهر وغمرون شديدة الحر وكذلك باقي الساحل فاذا لم يحذر الانسان من ذلك وعرض نفسه لاشعة الشمس وقت الظهيرة زمهامات بغتة وينجح في هذا الساحل زراعة قصب السكر وبين سيراف وباتان متسلسل صخور اشبه بمسلات متكسرة او ببروج مهدومة خربة فترآها عالية وسط ربوة يابسة قاحلة

جزائر الخليج الفارسي

وهذا الساحل بأسره محفوف بالجزائر وقد ذكرنا آنفا جزيرة كرك وتسمى الخرجة ويهواها الفلمنك لظرافة ارضها ومائها ومرساها ولذلك بنوا بها مدينة سنة ١٧٦٤ من الميلاد وهي مسدودة بدكات مرجان موضوعة على صخرة كلسية والظاهر أن طبيعة هذا الصخر تكون فيما عدا هذه الجزيرة من الجزائر الا جزيرة قيس فانها على مقتضى عبارة ابن الوردي يخرج منها الحديد الجيد واعظم هذه الجزائر اتساعا وخصوبة جزيرة كشميس التي سماها برتوغاليو

كشميس

القرن

القرن الحادى عشر من الميلاد باسمى قيسوم وبركت واسم بركت تذكرنا اسم ورقطا عند الاقدمين
ولاشئ من هذه الجزائر المتظللة بأشجار النارجيل والمورثة شهرة كشهرة جزيرة هرمز وسمعة اسمها ولكن

هرمز

هرمز اوهرمس انما هى صخر مغطى بالاحجار الملحية الحمر او المبيضة الخالية عن المياه التى تقبلها النفس ويندر بها
وجود النبات وقد كانت سابقا ذات تجارات عظيمة فكانت حائزة لاموال جميع التجار المشرقيين ومن منذ
سنة ١٦٢٢ من الميلاد هجرت وتنوسيت * والآن سكن بها الانكليز ليختبروا مكسبها لشدة
طمعهم فى ذلك

كرمان

ثم ان ولاية كرمان التى مدح الاقدمون اعنابها وحنطتها ومعادنها هى الآن شهيرة بظرافة شيلانها المتخذة
من وبر الابل وبأقمشتها المتخذة من شعر ناعم كالحرير وهو شعر صنف من المعز يشبه معز انجورة وفيها ايضا كثير
من العقاقير الطبية ومن الصمغ والموم والتوتيا ويكثر بها الورد وبها جبل قوفز اى القفص وهو مستور بخضرة دائمة
ولكن نصف داخل هذه البلاد صحراء واسعة ومدينة كرمان شهيرة بأنوال الشيلان والاقمشة ولكن لايظهر أن بها

مدن

فبريقات الآنية الصينية واسمها الحقيقى سرجان واما مدن كرماصين وولزغرد وبرداشير فليس بها شئ ينبغى
التنبيه عليه الا اسماؤها ومدينة خدا اوجدان بها على مايقوله اليهود مدفن استير الجميلة والحكيم

موجستان

مردوخس والجزء الساحلى من كرمان ردئ الهواء ويسمى موجستان يعنى بلاد التمر

مكران

وولاية مكران مجهولة للافرنج فهم لايعرفون حالة مدنها الراهنة فلا يمكنهم أن يتصدوا لتخطيطها وانما يقال

مدن

ان مدينة كيه يظهر أنها هى التى كانت فى قديم الزمان تسمى باسم جدروسيا ويقال كدروسيا وهو الاولى
وكانت قاعدة اقليم يسمى باسمها وهل هى قاعدة هذا الاقليم الآن كما ادعاه أوطر وفاقا للجغرافى العثمانى وهل هى
عين مدينة كيجة التى هى على كلام شرف الدين بندر الاقليم فعلى هذا تكون كيجة على قول الجغرافى العثمانى
مدينة قدر مدينة حلب فى العظم والاتساع بل وفى العمار * ومن محالها رأس غوادل وكان على هذا الرأس
سابقا مدينة تسمى مدينة غوادل ومن مدنها مدينة تيز ولها مينا لايطرقها الا القليل من الناس يحمل منها

هور وعرابة

ملان

الحرير والقطن والشيلان وهذه المينا تسمى شرباز وقبيلتا هور والعرابة يسكان آخر حد بلاد العجم الآن
كما كانتا على عهد اسكندر ومدينة ملان التى كانت تسمى سابقا ملانا هى على قول بعض المؤلفين بندر
اقليم صغير منفصل عن مكران وقد ذكرنا فى اثناء هذا الكتاب تخطيطات الاقدمين لاقليم مكران التى تكلموا
فيها على آفات الآس والغار المتفرقة فى صحرائه الرملية وسيوله اليابسة صيفا وغابات النخل التى يستر بعضها ساحله
وحرارة قطره المحرقة وفاقة اهله الذين يقتاتون فى عدة اماكن بالاسماك هم ومواشيهم ثم ان سياحى المتأخرين وجغرافيى
المشرقيين لم يزيدوا على ماقاله الاقدمون شيأ بالنسبة لهذه البلاد ولامانع من أن داخل هذا الاقليم به بعض وديان

بالوجه

خصبة طيبة وقبيلة البالوجة المستوحشة المنتشرة ايضا فى بلاد الهند هى هائمة سياحة فى بلاد مكران
التى يسكن بعضها على مايقال فرس مجوس

سجستان

واقاليم الشمال الشرقى تستدعى ايضا أن نخططها فنقول اولها اقليم سجستان ومايذكر فى شأنه ينسب الى ميثولوجية
العجم اى جاهليتهم لا الى الجغرافيا فان الحق أن الافرنج لايعرفون اسمها معرفة يقينية فانه يعنون عنها ايضا بغير الاسم
الذى ذكرناه فيقال سدجستان وسستان وساغستان اوساكستينة وهذا الاسم الاخير ذكره ايسيدورس

اصل الاسم

قبل ميلاد عيسى عليه السلام بثلثمائة سنة ثم ان علماء الافرنج المشتغلين باللغات المشرقية ارتبكوا فى اصل هذه الاسماء
ومأخذها ولم يحكموا بشئ فى شأن سجستان ولم يجزموا بكون معناه بلاد الكلاب او بلاد الذهب او بلاد
السهول وهذا المعنى الاخير مطابق لاخبار بعض السياحين الذين شاهدوا هذا الاقليم ولما كانت ارضه رملية مكشوفة
كان معظمها صالحا لزراعة الحنطة واغلبها مشغول بالمراعى وسكان المدن والفلاحون الذين هم من نسل العجم لاتنقطع
عداوتهم مع الرعاة ارباب المواشى الذين هم من ذرية الافغان وقد تتحرك الرمال وتتموج بهذا الاقليم فتغطى

مدن سجستان

فى بعض الاحيان اراضى واسعة وقرى كاملة والمشهور أن مدينة زرنج من اكبر مدن سجستان وقد بقى لها اسم سرنغة
الذى هو اسم قديم مدلوله عين مدلول درنجة وهو قدماء اهالى هذا الاقليم وهى تصطنع الآنية الصينية الجيدة
الصناعة والمدن الاخرى الكبيرة الموضوعة على نهر هندمند هى مدينة درغش وهى تذكرة اريسبة
او زريسبه ومدينة بست وكذلك مدينة رخج المسماة ايضا اروخاجة وقد ذكرها ابن حوقل وعلى
نهر آخر يصب فى بحيرة زرة مدينة فرا وهى الآن مجهولة لايعرف من احوالها الا القليل ولكن كانت
فى القرن السابع عشر من الميلاد تتجر تجارة عظيمة فى الحرير

سابلستان
وعلى ما يقتضيه كلام العارف بلغات المشرق الخواجه وهليه يكون مدلول اسم سابولستان اوسابلستان اقليما من بلاد العجم يشتمل على كورة اروخاجة وهي اراخوزيا القديمة وعلى كورة ويهند وقندهار وكورتا الغور وبميان هما الآن من اقاليم بخارى الكبرى وقد ذكرنا آنفا أن ارض اروخاجة على كلام اغلب المتأخرين داخلة في سجستان ولا يعرف من ارض ويهند الا مجرد الاسم ويظهر أن هذه الارض ربوة كثيرة الرمال يصب فيها ماء نهر صغير ويغيض في رمالها واما ارض قندهار فهي شهيرة جدا وهي طريق معتادة لمن يأتي من الهند الى بلاد العجم وقد جعلها الخواجة ذو يل من اراضي العجم ولنجر على ذلك في التقسيم ونقطع النظر عن التغييرات البوليتيقية الغير المحققة ومدينة قندهار كانت تسمى سابقا اسكندرية اوروبا بيسوم وهي الآن عظيمة التجارة كثيرة الغلال ومواد المعاش ولاسيما العنب والقاوون العظيم الطعم وارض قندهار التي بها صحارى عظيمة يظهر أنها بلاد افغانستان الاصلية اى ارض الافغان

ارض قندهار

اقليم خراسان تخطيط طبيعي
ثم ان اقليم خراسان اقليم واسع يستدعي وحده تخطيطا جغرافيا مبسوطا ولكن لنقتصر هنا على ذكر ما يحتاج للتنبيه عليه فنقول ان هذا الاقليم مجاور لبلاد التتار فلهذا كان به اختلاف عظيم في الحرارة والبرودة وارضه وان كانت في كثير من المواضع رملية خلية الا انه يخرج منها بكثرة ما هو لازم للمعاش ويخرج منها كثير من النيلة والعفص ودودة الصباغة وبهذا الاقليم كثير من التركمان وذلك لان به مراعي عظيمة لمواشيهم واعظم سجادات العجم وبسطها مشغولة في خراسان ويصنع بها اسلحة السيوف العظيمة الشهيرة التي تضاهي سيوف دمشق في قديم الزمان وبجبالها احجار اللعل والفيروزج وشهرة الخيل بهذا الاقليم وجودة جنسها تحملنا على أن نبحث فيه عن ارض تولد جنس الخيل العظيمة المسماة نيسانية الممدوحة في التواريخ وقد اتفقت كلمة المتقدمين على أن محل الهيبوبوطوس اى الاصطبل العظيم الذي كان به خيول الفرس في سهول بلاد الرى بحيث اذا ذهبت من اصطخر اومن بابل الى ابواب الخزر مررت بهذه السهول التي بها تلك الاصطبلات وقد جعل ايضا الاقدمون في الجملة ارض نيسان هي هذه الاصطبلات التي في بلاد ميديا اى اذربيجان ولكنهم ترددوا في صحة هذا التفسير ترددا قويا فاذا بنينا على هذه الفروض المتقدمة كانت خيل نيسان جنسا منتشرا كثيرا لان الهيبوبوطوس كان له ١٥٠٠٠٠ من اناث الخيل وقيل ٥٠٠٠٠ فقط ولكن اذا نظرنا الى أن كزرسيس ملك العجم كان بموكبه أمام عربة النصرة عشرة خيول نيسانية معدة لها ومزينة باحسن زينة وأن عربات هذا الملك العظيم يجرها خيول نيسانية بخلاف اتباعه وحشمه وخفره واهل موكبه حيث لم يعط لهم شئ من هذه الركوبات العظيمة اخذنا من ذلك تبعا لمنرط أن هنالك فرقا بين خيول الهيبوبوطوس الكبير المعدة لركوب جميع فرسان الدولة واصطبل الملك المخصوص به الذي هو في نيسا ولكن لا يعلم هي اى نيسا من الاماكن المسماة بهذا الاسم عند المتقدمين وجوابه أن الاقدمين جعلوا اصطبلات ملك العجم في بلاد ميديا ولفظ ميديا متسع المعنى على مقتضى عبارة هردوط فيمكن أن يشمل اقليمي هرقانيا وبرثينة فحينئذ لا مانع أن يقال ان نيسا التي على نهر تيجان والتي هي في محل ما كان في قديم الزمان يسمى نيسيية على نهر اخسوس كانت وطن هذه الخيول النيسانية التي كان يعتني بالبحث عنها وبركوبها ملوك العجم

الخيول النيسانية

ثم ان الحروب الداخلية التي وقعت بين اهل خراسان خربت منذ نصف قرن مدن هذا الاقليم العديدة ثم اخذت في العمار لكن مع البطئ فمنها مدينة هراة وهي في سهل واسع الارجاء مسقي بما لا يحصى من الجداول والغدران التي يخترقها مسافة بعد مسافة كثير من القناطر والقرى والنباتات وهذا الاقليم يتروح به نظر المسافر الذي كل بصره من رؤية صحارى افغانستان المتحدة الصورة والشكل ثم ان مدينة هراة وان كانت دون قندهار في الاتساع الا أن تجارتها اوسع دائرة من تجارة قندهار وامور المعاش بها كثيرة رخيصة ويأتي اليها بضائع افرنجية بواسطة الخليج الفارسي وكل ما فيها من الجوخ الغليظ يصنع في الاراضي المجاورة لها وقد مكثت هراة دار ولاية خراسان مدة من الزمان الى أن ظهر اول ملوك دولة العجم المسماة الصوفية فجعل دار المملكة مدينة الشمال الشرقي وهي مدينة مشهد التي فيها مدفن موزا احد كبار ائمة الفرس الاثنى عشر ويزعم الفرس أنهم من نسل موزا ومن مدن خراسان ايضا مدينة نيسابور وهي مدينة عظيمة ومنها ايضا مدينة كلات وهي منشأ نادرشاه الشهير ومنها نسا وهي شهيرة بكثرة الخيل والعيون وبها مقابر الاولياء والصلحاء ومنها مدينة روهي وهي مقر امير يسمى كاش خان شيخ ١٢٠٠٠ فخذ من الاشخاص الرحالة النزالة وبين نيسابور وهراة مرو الشاهجان ومرو الروذ وهما في واد خصب كان يسمى مرجيانا يلتقي بصحراء التتار

مدينة هراة

مدينة مشهد (٤٠٠٠٠ بيت)
نيسابور (٢٠٠٠ بيت)
روهي (٢٠٠٠ بيت)

واقليم

داهستان

واقليم داهستان وهوارض امة كانت تسمى سترا اهية واقليم جرجان الذى هو اقليم مدينة هرقانيا القديمة هما حد خراسان من جهة الغرب ويخرج بارضهما نظير ما يخرج بارض خراسان

قوموس وكوهستان

ويجب علينا فى تكميل تخطيط بلاد عجمستان أن نسرد كورتى قوميس اوقوموس وكوهستان فنقول هما اقليمان صغيران فكورة قوموس بجوار مازندران والعراق العجمى وهى تحتوى على مدينة دمغان وبهذا الاقليم عين يخرج منها فى بعض الاحيان ريح شديدة ينقل الناس والحيوانات وترفعها الى اعلى وتستأصل الاشجار وتسمى هذه العين بادخانة اى بيت الريح وتسمى ايضا چشمه باد اى عين الريح واما اقليم كوهستان فانما هو صحراء والظاهر أنه ذروة الربوة الوسطى ببلاد العجم ومدينة طبه وتسمى طاباس هى مدينة عظيمة ثم ان بعض الجغرافيين يجعل كوهستان من اقليم عراق العجم وبعض آخر يقول انهما من بلاد خراسان وجعلها حمد الله الجغرافى العجمى اقليما على حدته وقال انه يمتد الى بلاد الغور

طبه (١٥٠٠ بيت)

المقالة الخامسة والخمسون من تخطيط آسيا فى آخر تخطيط عجمستان

نبذة ادبية سياسية

قد ذكرنا فيما سبق اخبارا اجمالية تتعلق بپوليتيقة العجم فى عهدنا هذا والآن يجب علينا أن نبحث عن هذه الامة التى خططنا وطنها ولكن ينبغى لنا أن نعترف بان هذه المادة يظهر بها من الخفاء بقدر ما اشتملت عليه من النفع (يعنى ان خفاءها عظيم وفائدتها كذلك)

ايران وتوران اى العجم والتتار

اعلم ان الاقدمين كانوا يفرقون بين العجم جميعا وجميع الاسقوثية وهم قدماء التتار وكذلك مؤلفوا المشارقة يفرقون ايضا توران وهو اقليم اسقوثية اسيا من ايران او يران وهو بلاد العجم وايران مكتوب على مبانى اصطخر اريانة وهو عين اسم اريانة الذى كان معروفا لليونان غير أن بطليموس واراطشينس لم يطلقا اريانة الا على بلاد العجم الشرقية والظاهر أن ايران اواريانة بعد أن كان عاما لجميع بلاد العجم خصص بالدلالة على هذا الجزء وهو العجم الشرقية وذلك لان العجم والاذربيجانية لما صاروا فاتحين للممالك سموا بلادهم باسماء خاصة لتتشرف باسمائهم ولكن يظهر من كلام هردوط عموم لفظ ايران اواريانة حيث قال ان اهل ميديا كانوا سابقا يسمون ارية واسم ايران لم يهجر اصلا ببلاد المشرق فان الجغرافى الارمنى المسمى موسى الخوريني المولود بهذه البلاد عبر فى جغرافيته بلفظ آريا اواريانا واراد به جميع مملكة العجم فى القرن الرابع من الميلاد

ثم ان اسقوثية اسيا كانوا اعداء للفرس على الدوام لا يزول ما بينهم من الحقد فى وقت من الاوقات فلا يتوهم انهم طائفة واحدة اصلا حتى ان العجم كانوا يسمون الايسقوثية باسم سك ومعناه باللغة الفارسية كلب وكلام بعض المؤلفين الذين لا يوثق بهم يظهر منه أن الاسقوثية كانوا اسسوا فى قديم الزمان المجهول الحال الخرافى الاقوال والافعال دولة عظيمة ومملكة كبيرة محتوية على بلاد العجم وجميع بلاد اسيا الغربية ولكن اذا سلم أن هذه المملكة سبق لها وجود فانه

غارة الاسقوثية

لم يبق منها اثر ولم يدل التاريخ الاعلى غارة للاسقوثية حصلت قبل ميلاد عيسى عليه السلام بستمائة واربع وعشرين سنة ولا مانع من أن القبائل الرحالة النزالة من قدماء الفرس كقبائل القوسية والاوسيه والمردة وغيرهم من القبائل الرعاء كانوا بقايا من قبائل الاسقوثية الذين طردوا الى الجبال فاستمروا على تخريب السهول المزروعة بصيالهم وقطعهم للطرقات

البرثة

ثم ان امة البرثة التى ارجعت بعد اسكندر بمائتى سنة لبلاد الفرس حريتها واستقلالها بحكمها حتى صار لها بذلك الفخار العظيم كانت اسقوثية اوساقة على ما يقتضيه كلام بعض المؤلفين الذين هم من خيار الامور فى الوثوق بهم واما هردوط وغيره من المؤلفين ارباب الاقوال الراجحة والاراء الناجحة فقد ذكروا البرثة على انهم سكان اقليم من بلاد العجم الشرقية ولا دلالة من احوالهم واطوارهم وعاداتهم ولا من اسماء ملوكهم على أن اصلهم اسقوثى

فقد تبين من هذا كما هو الظاهر انه الى زمن فتوح بلاد ايران او العجم بالاسلام وتغيير احوالها بما ادخلته فيها شريعة خير الانام كانت تلك البلاد فى الواقع عامرة بجنس واحد متأصل فيها متولد بارضها وهذا الجنس تشعب عنه عدة امم تتكلم بلسان واحد وان اختلفت لغات هذا اللسان

لغات قديمة

ولو ابقى الدهر وارباب التخريب آثارا كاملة كبعض كتب يوثق بها وثوقا تاما ولا يمكن مناقضتها لقابلنا بين لغات العجم الاصلية ولكانت نتيجة هذه المقابلة تؤيد هذه الدلائل التاريخية الواقعية وتبينها وتزيدها وضوحا ولنذكر هنا

الزند زنداوستا

ما امكن لارباب المباحثات جمعه فنقول ان اقدم لغات العجم لغة زند وهو لسان كتب دين الفرس المسماة زنداوستا وهذه الكتب وان كانت مجردة عما يوثق به وثوقا كافيا فهى مشتملة على اخبار قديمة جدا بل الظاهر ايضا أن بها عبارات ونبذا قديمة سابقة على ما يدعى من افساد كتب الفرس المنسوخة واضاعتها المنسوب ذلك الى اسكندر الاكبر ويأبى فهم من له ذوق سليم وطبع مستقيم أن يرى أن هذه اللغة القديمة انما هى لغة شاذة جديدة ابتدعها المجوس المتأخرون من عند دياناتهم ولكن من يعتقد اقدميتها وانها لسان كتب وامم قديمة يصعب عليه أن يعين الاماكن التى كانت تستعمل فيها فمن كان من المؤلفين يعتقد اقدمية كتب الزنداوستا وصحتها جعل مقرها مختلفا بين بخارى التى هى ابعد نهاية جهة الشرق واذربيجان وهى اقصى نهاية جهة الغرب فيقول انه كان لا يخرج التكلم بها واستعمالها عن الاراضى التى بين هذين الاقليمين ولا مانع أنها كانت لغة مقدسة عند المجوس ليستعملا فى كتبهم فقط كلغة السنسقريط

البهلوية

عند علماء دين الهنود ويؤيد هذا أن بين لغة ازند والسنسقريط كثيرا من الاصول المشتركة واما اللغة البهلوية او البهلوانية اى لغة المقاتلين والشجعان فالظاهر أنها كانت مستعملة فى العراق العجمى وفى ميديا الكبرى وعند البرثة وادعى بعضهم أن هذه اللغة كانوا لا يستعملون غيرها فى ديوان الملوك الذين هم من نسل قيروس وعند امة

البرثة

البرثة وبها كثير من الالفاظ الكلدانية والسريانية وهذا الى حد يحسب اصلا أنها لغة من لسان الكلدانيين خلافا للمؤلف وليلس جونس فانه توهم ذلك ولغة البهلوانية على قول بعض المؤلفين لازالت الى الآن تستعمل عند بعض قبائل في شمال العجم لا سيما قبيلة بدّار في اقليم شروان وقال الجغرافي العثماني ان هذه اللغة مستعملة ايضا في جزء من اقليم فارستان ثم ان كتب المجوس الدينية ترجمت من لغة الزند الى لغة البهلوية وبلغة البهلوية ايضا كتابات منقوشة من زمن ملوك الساسانية ولكن ملوك الساسانية رفضوا على التدريج من سنة ٢١١ من الميلاد الى سنة ٦٣٢ من الميلاد لغة البهلوية فذهبوا الى جبال البرثية وادخلوا في بلاد العجم بامر ملوكي

لغة فارسية

وقوانين صريحة اللغة الفارسية يعني لغة اقليم فارستان الذي هو اقليم بلاد العجم الحقيقية وهذه اللغة اسهل من لغة البهلوية كما أن لغة البهلوية اسهل من الزند والظاهر أنها استعملت قبل ذلك في دولة العجم مدة طويلة ولا يوجد بغير هذه اللغة من لغات العجم تفسير غالب الاسماء الفارسية المعروفة لليونان والرومانيين ولما فتحت بلاد العجم بالاسلام في القرن السابع من الميلاد بطل اللسان الفارسي من ديوان ملوك العجم وفقد بهجته ورونقه وفي سنة ٩٧٧ في زمن الديلمية لما ارادوا أن يعيدوا لهذا اللسان قوته القديمة واستعماله وجدوه قد تغير حاله واختلط بكثير من الكلمات العربية الدخيلة ولكن الشعراء العظام وارباب الخطابات وانشاء الكلام انتخبوا منه لغة كثيرة الالفاظ والكلمات عذبة الاصوات والنغمات وسموها باللغة الفارسية الجديدة واللغة الفارسية القديمة المستعملة عند المجوس انما بقيت

اللغة الفارسية الجديدة

على ممر الايام ولم يعرض لها الانعدام بسبب تاريخ شاه نامة الفردوسي وبكتاب احوال سياسة الهندسة المسمى عين الاخبار المؤلف سنة ١٦٠٠ من الميلاد وذلك لان اللسان الفارسي الحقيقي كما ضعف في بلاد العجم التي تولد فيها زاد حسنا في ديوان سلطان المغول الاكبر والآن قد هجر الفارسي الجديد في شمال بلاد العجم بل وفي تهران دار المملكة وقامت مقامه اللغة التركية التي هي لغة خشنية فلسان الفارسي الجديد لا يلقب بلقب الدري يعني لغة ديوان الملك الا مجازا كما لقبه الفردوسي بهذا اللقب في عبارة نصها

اللغات الفارسية

وكان اللسان الفارسي منقسما الى سبع لغات مختلفة اربعة منها وهي السوكية والهروية والسجسية والسوالية قد هجرت الآن فلا يتعلق بها احد ولم تقوا اصلا واما الثلاثة الاخرى فليست كذلك وهي الفارسية والدرية والبهلوية فاللسان الفارسي شهير بعذوبته ولينه وهو مستعمل اصالة في اقليم اصطخر والدري مأخوذ من الفارسي القديم وهو شهير بظرافته ولطف عبارته ويتكلم به في مدن بالولوم والشاهجان وبخاري وزاد بعضهم مدينة باذقصان انتهت ترجمة عبارته فمن هذه اللغات لغة الهروي بفتح الهاء اوكسرها مع ضم الراء لمن فتح وتسكينها لمن كسر كانت مستعملة سابقا في خراسان ومنها السكزي اوالسجسي وكان مستعملا في سجستان والسوالي اوالزابولي وكان مستعملا في زابولستان ومنهم من زاد ايضا لغة صغد ولغة الخوزية وغير ذلك ولغة الاكراد لغة فارسية مشوبة بشيء من اللغة الكلدانية كالغة البهلوية

ارتباط اللسان الفارسي بالجرماني والغوتي اوالغوطي

ولنذكر هنا مادة غريبة تبدو من اللسان الفارسي القديم والجديد للجغرافيا التاريخية فنقول ان اللسان الفارسي في جميع لغاته وفي سائر الازمنة وجد به كثير من الكلمات الجرمانية اي النمساوية القديمة بل ووجد به ايضا كثير من التصريف والتركيب الالماني اي الجرماني وبه ايضا كلمات دانيمرقية واسلندية وانكليزية ليست بجرمانية بل غوطية محضة واغرب من هذا كله أن اللسان الفارسي في اشعاره يتبع في الغالب قواعد علم الشعر الاسلندي التي هي غريبة جعلية غير مبنية على امور عقلية وليس هذا التقارب قويا جدا ولا كاملا كما ذكره ليبنتز ونقل عباراته كثير من المؤلفين الذين يجمعون العبارات وينقلونها برمتها ومع ذلك فالشبه بين لغة الفرس والاسلندة قريب قربا بحيث يمكن للاسلندي اذا انتقل الى شيراز أن يتعجب غاية العجب حيث يرى أن الاسماء القديمة الفارسية والاسكندناوية يفسر بعضها بعضا فتفسر كلمات الاولى بكلمات الثانية وبالعكس مثلا مدينة باسرغادة التي اسمها معناه معسكر محصن من معسكرات العجم لو اريد أن يوضع لمدلولها اسم اسلندي لقيل پرساغرد والظاهر أن ليونان اخذوا لفظ باسرغادة من العجم وسموا به هذه المدينة

النتائج التي اخذت من هذا الشبه

ثم ان ارباب الاجتهادات والفروض والتقديرات والمذاهب والمباحثات بنوا على هذه المشابهة واستنتجوا من ذلك نتائج مبنية على الصدفة والاتفاق فقال بعضهم ان امة الغوطية الجرمانية هي ذرية فارسية نزلت ببلاد الجرمانية وقال آخرون ان ولاية كرمان هي بلاد الجرمانية في قديم الزمان وبعض المؤلفين الجامعين لكلام غيرهم توغلوا في هذا الشان وارتكبوا الجرأة في الركض في هذا الميدان حيث جدد بعض الايقوسيين الخطأ القديم الذي كان باطلا وهو خلط الايسقوثية والجيتة والغوطة وتجارى ايضا فرسهم من بلاد العجم الى ايقوسيا ببلاد الانكليز طريقا وهمية

لامم تخيلية لا وجود لها واخترع مواد مختلفة واصولا متباينة فهذه الهوسيات تزول بالكلية كانها اضغاث احلام اذا تذكرنا أن مشابهة اللسان الفارسي للغوطي ليست اقوى من المشابهة التي بين هذا اللسان بعينه ولسان السنسقريط الهندي وغيره من لغات هندستان وايضا يظهر أن اللسان الهندي السنسقري بينه وبين اللغة اليونانية واللاطينية تطير هذا الشبه وقد استقرى بعض المتأخرين لسان الصقالبة القديم الذي قربه من لغة الفرس معلوم قبل ذلك فرأى أن هذا اللسان بينه وبين لسان الالمان والاسلندية مناسبة اشد مما بينه وبين لسان الصقالبة المتأخرين فحينئذ هذه اللغات كلها يشابه بعضها بعضا فليست احداها اصلا للاخرى واما الها بل كلها لها اصل مشترك مجهول فهل ثم اناس من جنس واحد اهلوا هذه البلاد كلها في زمن سابق على كتابة التاريخ او أنه كان ثم تواصل ومخالطة نشرت في هذه البلاد جميع مواد التمدن المتحدة وادخلت الاصوات تحت ضوابط وقواعد يشابه بعضها بعضا فالحق أنه لا يعلم في هذا الشان حقيقة الحال وانما المحقق أن كلتا هاتين الامتين ليس لها حق على الاخرى يقتضي أنها اصل لها والاخرى فرع عنها

تركيب ابدان العجم

وتقويم ابدان العجم يجعل بينهم وبين الشوام والعرب واليهود قربا وذلك لان دم اجسادهم لطيف الان ألوانهم ضاربة الى الصفرة ولو في الاقاليم الجنوبية وفي اقليم فارستان وكرمان تجد ابدان العجم مائلة الى لون الزيتون لاسيما في الرجال بل يظهر ايضا أن في الاقاليم المجاورة للهند يكون لون الرجال السمرة وهم سود الشعور جبينهم مرتفع وانوفهم قنى وخدودهم ممتلآت وذقونهم عريضة وتقاطيع وجوههم في الاغلب على شكل البيضة والاعيان والاغنياء يتميزون عن غيرهم غالبا بحجم ابدانهم اى بمقدارها وذات الجمال من النساء لابد أن تكون ربعة لا بالطويلة ولا بالقصيرة طويلة الشعور السود واسعة الاعين مقوسة الحواجب طويلة الاهداب ذات لون ظريف وبياض مشرب بحمرة صغيرة الانف ضيقة الفم محصورة الذقن بيضاء الاسنان طويلة الجيد بارزة النهدين صغيرة اليدين والرجلين نحيفة الخصر ثقيلة الردف ناعمة الجسد ورجال العجم في الغالب اقوياء اشداء يصلحون للرياضات العسكرية ولكن يبوسة ابدانهم وحرارتها وامتلاؤها باجزاء ملحية تجعلهم عرضة لوجع الاعين

ملابس

وهم يلبسون على رؤسهم المحلوقة طرابيش طوالا حمراء وشكل العمامة وزينتها يختلفان باختلاف المناصب والوظائف والغنى وهوى النفس فعمائم الكبار والامراء عليها ريش وجلنك مغروس فيها ولؤلؤ والماس وعلى رأس الملك تاج في صورة الشمس اوكرة الارض واللحاء محترمة عند العجم يتعهدونها بالتنظيف غاية الامكان وفي الغالب يلبسون ثلاثة او اربعة ثياب بعضها فوق بعض ويتحزمون عليها بحزام والفلاحون لا يلبسون الاثوبا واحدا والغالب انه مربع الشكل وهذه الثياب يختلف طولها وعرضها باختلاف الاقاليم * والنساء يغطين رؤسهن بخرق قماش من الحرير المختلف اللون وثياب النساء الراقصات اقصر من ثياب الرجال واما نساء الاكابر فثيابهن تصل الى باطن القدم ولما كانت هذه الملابس واسعة وخفيفة كان يترآى على وجه من يلبسها الديانة والصلاح او الخفر والدلال الظريف والتبرقع في المدن امر لازم للنساء وعادتهن في بلاد الشرق الاسلامية لبس السراويل المسماة الشنتيانات فلهذا احتاج العجم أن يلبسن نساؤهن شنتيانات واسعة جدا متكلفة من القطن والزينة في الثياب نقصت من منذ القرن الاخيرة

حالة معيشة العجم

وعادة العجم انهم يأكلون مرتين او ثلاثا في اليوم يتغدون في نحو الظهر واحسن اكلهم هو ما يؤكل في العشاء والاغنياء يألفون اكل الارز المفلفل المسمى بلاو ويطبخون منه اصنافا والحنطة هي القوت المعتاد عند الناس والقاوون والفواكه والمربة امرها عظيم في ولائمهم واغلب اكابر البلاد يشربون النبيذ وان كانوا يعلمون حرمته ويعتقدونها ولكن آحاد الناس لا يتعاطون ذلك ولا يسكرون ومدة الاكل عندهم لا تزيد ابدا على ساعة لانهم ارباب سكوت وآداب للطعام ويمدح عند العجم النظافة في البدن والملبس والمسكن ولكن اخلاط الناس ارباب وساخة ويختن العجم اولادهم الذكور والخاتن لهم هو الجرايحية ولا يخفضون بناتهم ولكن العرب تفعل ذلك والزواج يحصل بتوسط الوكلاء وصداق المرأة عندهم جهازها لا غير وتذهب العروس عند زوجها ليلا بمحفل عظيم ترف فيه على نور المصابيح ونغمات الآلات وتعدد الزوجات واقع عندهم كغيرهم من باقي تلك النواحي الا أن الزوجة الاولى لها خصوصيات ويتنافس العجم في زينة الجنائز والاموات فالاغنياء تبنى لهم قبور عالية طريفة مزخرفة كقبور الائمة الاثنى عشر الذين يعتقد العجم انهم خلفاء النبي عليه الصلاة والسلام بالاستحقاق

رفاهية قديمة وجديدة

ورفاهية العجم الآن لها بعض شبه برفاهية العجم الاقدمين وذلك أن عندهم حدائق عظيمة وبساتين جليلة منعزلة وحدها تتنزه فيها نساء الاكابر لان غيرة ازواجهن عليهن تحجبهن دائما عن اعين الاجانب وحريمات الاكابر معمورة بالسراري الجميلات وعادة هذه الجواري أن يتغالين في الزينة الباطلة حتى يؤول الامر الى نفاد اموال سيدهن

وذهابها هباء منثورا وعادة الرجال الميل والتولع بالتزين من المعادن الثمينة او الجواهر مع أن هذا يوجب الارتخاء والتكسر كالنساء بل لم تزل عندهم بقية جاهلية وهى صبغ الحواجب واللحا بالسواد ثم انه قد وصل الى بلاد الافرنج امور نافعة من آداب قدماء العجم كاتخاذ الشمسيات والكراسى المنقولة والسجاجيد الصغيرة التى تفرش تحت الكراسى لوضع الارجل عليها وغير ذلك من عادات الرفاهية والراحة وقد كانت عادة ملوك العجم وامرائهم ان يأكلوا على صوت المغانى والآلات ورقص الراقصات اللاتى كن يسمين عند اليونان موسورجة وعند الفرنساوية بيادرة

راقصات

وكل ما قاله فى شأن ذلك سويداس واثينة يليق بمتأخرى العجم وينطبق عليهم ويناسب احوالهم حتى ان من سمع ذلك يظن انه منقول فى كتاب شردين ومن جملة الاشياء الباقية عندهم من العوايد القديمة موسم كلروزة اى نشر الازهار وذلك لان جمالة القطر وكثرة الوروع جعلت هذا الموسم مؤبدا ومن نخار العجم الذى هو فى الحقيقة من اكبر المذام كونهم على قول القدماء اول من ابتدع خصى الآدميين ليجعلوا لحريمهم حراسا جبابرة ليس فى قلوبهم رأفة ولا رحمة وذلك لان من المحقق ان اغوات الحريم الخصى كانوا فى سراية ملوك اصطخر اكثر عددا وشوكة من ديوان ملوك العجم المتأخرين سواء فى اصفهان او تهران وقد مدح افلاطون الحكيم ما كان عند قدماء العجم من تربية اولاد ملوكهم تحت ايدى أناس مقاطيع بعض الاعضاء وقد بقيت هذه العادة عند العجم المتأخرين (لعل مراده اعضاء التناسل) ومن احكامهم القديمة عدة انواع من العقوبات الخشنية الجبرية لم تزل باقية الى الآن وذلك انهم كانوا يسلخون عصاة امر الدولة بالحياة ويقطعون بدن العاصى نصفين ويفقأون اعين من يخشون منه فتنة فى الدولة واما قطع الآذان والانوف والايدى فهو من مسرات ملوك المتقدمين والمتأخرين من العجم وعادة العجم قديما وحديثا أن الانسان اذا جلد منهم بامر شاه العجم يأتى عند الملك ويجلس على ركبتيه ويثنى على الملك خيرا ويحمده على جميل صنعه حيث انه تذكره والقى البال منه وخطر فى خاطره وذلك لان الاذلال والاهانة والاستعباد القبيح لا يغضب اعيان العجم اصلا سواء فى قديم الزمان وحديثه ولا عجب فان من عوايدهم الآن أن ملازم ابواب الملوك والامراء يسمى كلب سيده وفى قديم الزمان كان ولاة الاقاليم والباشات على عهد ملوك البرثة تنام تحت مائدة الملوك ويتلقون مع غاية الاحترام والتعظيم ما يفضل من الطعام ويرمى لهم وكان ملوك العجم يظنون انهم ليسوا من البشر اصلا حيث ان رعاياهم كانوا يحيونهم بالسجود ويلقبونهم باخى الشمس والقمر فكانوا يقيمون مثل ملوك الدولة الصوفية المتأخرين فى بيوتهم مستوحشين لا يدنو منهم انسان وانما كانوا دائما بين النساء والخصى وجميع رعاياهم من غير استثناء سواء كانوا اكابر او اصاغر يلقبون عبيدا وبالجملة فجميع ما يشاهد الآن فى تلك المملكة من قبح الظلم والاستعباد يوافق بالكلية ما ذكره المؤرخون فى شان قدماء ملوك العجم لان القبائح وانواع الظلم متوارثة عندهم توارثا فاحشا فلم يبق الخلف منهم ولم يذروا من اوصاف سلفهم شيأ الا ورثوه عنهم

الطواشيه

عقوبات خشنية

عوايد دنيئة

القاب الفخار

وقد اشتهر عند كثير أن العجم هم فرنساوية آسيا وذلك لان اهل شيراز لهم شبه باهل باريس فى قوة مشيهم مع الخفة وسرعة دوران لسانهم وفصاحتهم فى المخاطبات كالتحيات والتسليمات وتفننهم فى التعبيرات وفى كونهم يسرون باقل ما يقال لهم من انواع التبسط والتعظيم وشدة تدقيقهم فى الملبس والزينة والغالب على العجم الذكاء والدقة بل حدة عقلهم شديدة مجاوزة للحد ثم ان المؤلف شردين وهو احسن مؤلفى نوادرهم وافق على انهم ارباب غش ومحبة لانفسهم منهمكون على اظهار ما عندهم من البضاعة ولا يفلحون فى شغل عام ولا ينجحون فى عمل ولا يحكمونه غاية الاحكام ولا يكتسبون الظهور بين امم الانام وليس ادبهم الا تكلفا باطلا وتلطفا عاطلا وكرمهم غير خالص من الرياء والحرص والطمع حيث يصلهم فى نظيره هدايا ويتراآى منهم أنهم يعتقدون فى انفسهم انهم احكم جميع الامم وافطنهم ومع ذلك فهم دائما يخوضون فى بحار الفتن والجور وتراهم ارباب لين جانب واصحاب مروءة وانسانية زمن الصلح بخلافهم فى وقت الفتن وحروب بعضهم مع بعض فيظهر أنه قد تغير دمهم وفار واعترتهم الحماقة وصاروا من الاشرار وتجد الغالب منهم والمغلوب والسالب والمسلوب والغنى والفقير والعظيم والحقير لا تنفك عنه البشاشة والبشر ولا يغيب فكره ولا يختل امره فتجد الانسان منهم يعقب شدة غضبه وتشاجره فرح بليغ ومسرة متجاوزة الحد

اوصاف عامة

ومع انهم اسلام فليس فيهم الغيرة الاسلامية والحمية المحمدية الموجودة فى غيرهم فان دينهم قد رق وايمانهم انمحق ولما كانوا شيعة من اصحاب على كانوا يبغضون العثمانية الذين يميلون الى عمر كما يبغضون ايضا غيرهم من امم الاسلام المخالفين لمذهبهم البديعى ففى موسم مولد سيدنا الحسين ابن الامام على رضى الله عنهما تسمع فى طرق شيراز لعن السادة السنية والظاهر أن هذا لمجرد المعاصرة السياسية بين مملكتى العجم والعثمانية والا فهذه لعداوة لا تشمل باقى الاديان فليس فى غير بلاد العجم قطر يكرم فيه نصارى الافرنج احسن من بلاد العجم واما اليهود والارمن فهم بها مهانون

دين

ولكن اقل من غيرهما من البلاد وكان العجم سابقا يشعرون المجوس بالاذى ومن منذ مدة طويلة تركوا ذلك بل الملك الموجود فى زمن تأليف هذا الكتاب يرخص فى بلاده اظهار عدة مذاهب اسلامية رغما عن انف علماء العجم فيرخص مثلا لطائفة الاسماعيلية التى يقيم كبير طائفتها فى مدينة قم فى اقليم عراق العجم فعلماء العجم يتجرعون هذه المصيبة وقد نزل بهم ايضا قبل ذلك فى مملكة نادرشاه الشهير نازلة اخرى اصعب من هذه وذلك أن هذا الفاتح كان صاحب سياسة مكينة * وبوليتيقية متينة * ولكن كان جبارا عنيدا * وشيطانا مريدا * فاضمر فى نفسه ان يجمع جميع فرق الاسلام فاحضر بين يديه كل ملا وامام * والامام معروف والملا عند العجم العالم بالعلوم الشرعية لاسيما علم الكلام * وسألهم ماذا يصنعون بما يصلهم من الوظائف والرواتب * فاجابوه تنفقها فى الخير والدعاء للدولة بدوام نجاحها فى كل جانب * ومنها ما هو للتعليم والتعلم * والتفهيم والتفهم * فقال لهم هذا الملك الظالم المهول * ان حالها منذ خمسين سنة يدل على عدم القبول * واما المكاتب والمدارس فانا اتكفل بها واوفى بلوازمها فلا يكن احد بخائف عليها وحيث ان جندى هو الذى يحمى الدين والمملكة * ففى الحقيقة هو الملا والامام المنقذ المهج من المهلكة * وامر أن تضبط اموال هؤلاء العلماء لبيت المال * وأن تكون لمصرف العساكر فى الحال والمآل

طائفة الزابية

وينبغى ان ننبه هنا فى عبارة مختصرة على أن فى بلاد خوزستان فرقة خوارج تنسب انفسها للاسلام وامرها غريب وحالها عجيب تسمى الزابية واخطأ من سماها صابئة وخلطها بالصابئين عبدة النجوم ووهم ايضا من قال انها من اهل سبأ باليمن المسماة عند اليونان السابية نعم وان كان لها اتباع فى البصرة والاحساء الا انه لا علقة بينها وبين سبأ اليمن ولا الصابئة وانما ابتدعها فى القرن التاسع من الميلاد خارجى يقال له نصايرى وكتب عبادته مؤلفة بعبارة لغة من اللسان السريانى شبيهة بلغة اهل بلاد الجليلة القديمة وبهذا تعرف البلاد التى تولد فيها ابتداع هذا المذهب ولما كانت فرقة الزابية تتبرك بالصليب وتعمل شيأ كعمودية النصارى ويسمون انفسهم اصحاب يوحنس توهم الناس أنهم فرقة تشعبت عن دين النصرانية ببلاد الجليلة التى هى اقليم صفد ولكن الظاهر أن هذا المذهب مناقض بما يبطله وذلك لان قواعده تقرب من قواعد الاسماعيلية ويشوبها شئ من عقائد المجوس ومعنى يوحنس على ما قاله بعض علماء اللغات المشرقية النور ولا علقة بينه وبين اسم سانت يوحنا فى الهند ولا مانع أن هذا بقية من الخرافة الكلدانية المتعلقة بنبى يسمى وانس اوهو فحل من فحول الرجال وهذا من اثر اتباع هذا النبى ثم ان الزابية يتقربون بذبح الدجاج والغنم وزواجهم مصحوب بكثير من الاحتفالات والاجتماعات المتعلقة ببقاء البكارة

حالة العلوم والفنون

ولنعد لتخطيط العجم فنقول ان العلوم والفنون كانت فى زمن دولة صوفية العجم ذات بهجة ورونق اعظم من جميع ولايات بلاد آسيا باسرها بعد زمن الخلفاء العباسية فانظر الى قصائد الفردوسى والسعدى وحافظ فانها ترجمت الى لسان الافرنج واعجبت اهل اوروبا وذلك لان ما اشتملت عليه من التخيل الحماسى بالغ الزهور * لا تشم منه الا رائحة الورد والمنثور * ولا يسمع من الفاظها الا تغريد الهزار والشحرور * ولا يشاهدها الانسان الا فى عالم السحر الحلال والولدان والحور * ولكن تجد المعانى كفارغ بندق * والبواعث النفسانية قل أن تصدق * وقد بقى بعض اشياء هينة تحتاج للتوضيح وهى أن ملك الفرس الموجود فى عهدنا هذا يحاول دائما أن يقوى ويشيع لغة العرب والترك والفرس وعلوم البلاغة وعلم العروض والعلوم الشرعية والطب والنجوم فنجد هذه العلوم تدرس فى عدة مدارس ولولا أن الدولة العثمانية كالحاجز بين المعارف الاوروبية * والقرائح الفارسية * تمنع من وصول هذه المعارف * الى اذهان ذات اللطائف * لما بقيت امة العجم فى العلوم والمعارف على هذا الحال * بل كانت تنتقل الى الكمال فى جميع الفنون بعد الاضمحلال * وحالة العجم لانا كرام ارباب المعرفة وهم الذين يحظون بالمناصب المهمة بخلاف بلاد العثمانية فان الحلاق بها والحجام * قد يتولى شيخ الاسلام * وقد يتقلد العتل العتال الوزارة * ويبلغ الجمال درجة الامارة * وليس من باب الواجب والشرط * فى ارتقاء المناصب عند الاتراك معرفة القراءة والخط

صنايع وتجارات الصينى

وذكا العجم قد تدرب على الصناعات فقد ذكر شردين على وجه مبسوط خلاصة فبريقات العجم وتجاراتهم فى القرن السابع عشر من الميلاد فقد وصلوا الى درجة كمال بالنسبة للتطريز على القماش والحرير والجلد وآنية الفخار العجمى تصنع فى جميع بلاد العجم ولكن الجيد منها يأتى من مدن شيراز ومشهد ويزد وكان فخار زرنج يساوى آنية الصين فى الدقة والصفاء والشفافية وكانوا يشتغلون منه آنية جيدة تقاوم حر النار لان مادته كانت صلبة جدا بحيث كان يصنع منه اهونة صلبة يسحق فيها عدة جواهر مختلفة والصينى الذى يصطنع الآن فى كرمان الشهير بخفته مشهور ايضا لغرض آخر * قال بلنياس ان الآنية المرهينية كان يحمل بعضها من هذا الاقليم الذى كان يسمى سابقا

الساغرى والسختيان

كرمانيا ولعل الآنية المرهينية انما كانت نوعا من الصيني المصنوع بطرق نسيت الآن وضاعت وفبريقات الجلود والساغرى والسختيان كانت ببلاد العجم من زمن ملوك البرثة بل وربما كانت من زمن الملك قوروس وقد بقيت موجودة حين سفر شردين ولم تزل الى الآن ايضا زاهية زاهرة والعجم يحسنون شغل النحاس ويتخذون قصدير جزيرة سومطرا

القسي والسيوف

لتبييض اوانى الاطبخة وكانت القسي الفارسية اعظم الاقواس ببلاد الشرق قال شردين ولا يمكن لارباب صناعة الاسلحة ببلاد اوروبا أن يقلدوا السيوف العجمية المصطنعة من الحديد والبولاذ على منوال السيوف الدمشقية القديمة المسماة طابانات والموسى عندهم ايضا جيد الصناعة وكذلك باقى ادوات البولاد كانت من غريبة فانه كان يمكن أن يقطع بموساهم فى الجواهر وكان فيه صلاحية عظيمة لنحتها وتزويقها زوا قاعظيما نيرامتينا لا يمحى ولكن فبريقاتهم التى يصطنع فيها الزجاج لم تكن كبير شئ واما اقمشتهم القطنية والصوفية من شعر المعز ووبر الابل وحريرهم

السجاجيد

وقماشهم المخيش والمشجر فان هذه كلها بلغت درجة عالية فى الجودة والسجاجيد العظيمة كانت تحمل من اقليم سجستان وذكر شردين انه فى زمنه كانت هذه السجاجيد تسمى سجاجيد الترك وذلك لانها كانت تأتى الى اوروبا من بلاد العثمانية والاقمشة المتخذة من وبر الابل تصنع اصالة فى اقليم كرمان والاقمشة المتخذة من شعر المعز تصنع اصالة فى جبال مازندران ولكن قماش القطن يحمل اصالة من بلاد هندستان والقماش العريض لم يكن معروفا عندهم بل كان يسد مسده نوع من اللباد وقد كان السلطان نفسه يرغب فى تجارة الحرير والمشجر والقطيفة والسجاجيد والحلى والظاهر أن هذه التجارة كانت قليلة النفع بالنسبة للبلاد واصول بضائع تلك البلاد كانت فى ذلك الزمان هى الحرير بسائر اصنافه وكانوا يبعثون الى بلاد الهند الدخان والفواكه المصنوعة مربات ولاسيما التمر والنبيذ والخيل والصينى والجلد على اختلاف الوانه وكانوا يبعثون الى بلاد الاتراك الدخان وآلات الطباخة والى بلاد الروسية الحرير المشغول

حالة فبريقاتهم الآن

وهذه الحالة لم تتغير عندهم كما هو الواقع بحسب الظن فانه يشتغل الآن ايضا سيوف عظيمة فى قزوين وفى خراسان وتعرف صفة البولاد الجيد المصطنعة منه تلك السيوف اذا وجد عليها عروق متموجة تكون على شكل فتلات الحرير ويسقطون بولادها بالذهب وهذه السيوف لا تنثنى ابدا وسيف قزوين قيمته من ستين الى ثمانين غرشا ولكن سيوف خراسان قيمة الواحد منها نحو مائة سقين (وهو المعروف بالبندقى او الشريفى) ومقدارها ٧٥٠ فرنكا فرنساويا والعجم والعثمانية يدقون جميع المعادن على البارد من غير وضعها على النار بل وحديد نعال الخيل ويقال ان هذا يجعلها صلبة ويعرف العجم الآن تبييض المرآى وصقل الالماس وشغله فظهر فى الجملة أنهم لم يفقدوا فنا من الفنون التى كانت مستعملة فى زمن شردين بل اضافوا اليها امورا جديدة فمن ذلك صناعة شغل التنصيص بالزجاج والمينا فانهم الآن يعرفون ذلك معرفة جيدة ويحسنون صناعته

عمارة بحرية وتجارات

ثم ان فقد خشب العمارة وحر القطر منعا العجم من انشاء عمارة بحرية فى مياناتهم على الخليج الفارسى وتجاراتهم البحرية لا تحصل الا على سفن غريبة واعظم تجاراتهم الكثيرة الربح هى التى كانت فى هرموز وغمرون مع الانكليز ومع عدة امم اخر ولكن حروبهم المستمرة ابطلت هذه التجارة وزعم بعضهم أن البضائع التى تدخر كل سنة فى خليج الفارسى قيمتها اثنا عشر مليونا من الفرنكات ويجلب الانكليز ثلثى هذا القدر والثلث الباقى يحمله المغاربة والهنود والارمن والعرب ووسق سفن هؤلاء التجار هو الارز والسكر والقطن والشاش الناعم المخطط او المطرز الذى يأتى من بنغالة بالهند وافاويه سيلان وجزائر الملوك واقمشة غليظة بيضاء وزرقاء من كورومندل بالهند وكذلك القاقلة المسماة بالحبهان والفلفل وسائر العقاقير الهندية ويمكن أن يترتب على استيلاء الدول الافرنجية على بلاد العثمانية باسيا أن يرجع للخليج الفارسى حالة القديم وذلك لان القوافل بين البصرة وسكلات الشام ستردد. أمن من السفر فى بحر العرب وكذلك اذا استولى الافرنج على تلك الناحية المذكورة فان نهر طونة يمكن أن يتلقى السفن التى تحمل من طرابزان ومن نهر فش بضائع بلاد العجم وايضا اذا تقوت مملكة الافغانستان بأخذ بخارى وخوارزم فان دولة الموسقو تبادر بأن تعقد معاهدة الافغان مصالحة ومشارطة صورتها أن تأذن دولة الافغان للموسقو أن ينعطفوا الى بحر الخزر بحصة من سفنهم المملوءة من الذهب الذى يحمل الآن من نهر كنك الى نهر التاميز (اى من الهند الى بلاد الانكليز لان نهر التاميز هو نهر لندرة ونهر كنك هو نهر الهند)

قماش رحالة نزلة

فهذه هى صورة تخطيط بلاد العجم جديدة بوجه عام لخصناها من كلام ارباب السياحات فكانت خلاصة دقيقة كلام السياحين بعضه ببعض ولكن نعترف بأن هذه خلاصة غير كاملة ولا نعدها كاملة تامة لانا عرفنا عدة تفاصيل الرحالة النزلة التى هى كثيرة ومنتشرة فى جميع ارض العجم حتى ان بعض ارباب السياحة من المتأخرين

ولكن اقل من غيرهما من البلاد وكان العجم سابقا يتبعون المجوس بالاذى ومن منذ مدة طويلة تركوا ذلك بل الملك الموجود في زمن تأليف هذا الكتاب يرخص في بلاده اظهار عدة مذاهب اسلامية رغما عن انف علماء العجم فيرخص مثلا لطائفة الاسماعيلية التي يقيم كبير طائفتها في مدينة قم في اقليم عراق العجم فعلماء العجم يتجرعون هذه المصيبة وقد نزل بهم ايضا قبل ذلك في مملكة نادرشاه الشهير نازلة اخرى اصعب من هذه وذلك أن هذا الفاتح كان صاحب سياسة مكينة * وبوليتيقية متينة * ولكن كان جبارا عنيدا * وشيطانا مريدا * فاضمر في نفسه ان يجمع جميع فرق الاسلام فاحضر بين يديه كل ملا وامام * والامام معروف والملا عند العجم العالم بالعلوم الشرعية لاسيما علم الكلام * وسألهم ماذا يصنعون بما يصلهم من الوظائف والرواتب * فاجابوه تنفقها في الخير والدعاء للدولة بدوام نجاحها في كل جانب * ومنها ما هو للتعليم والتعلم * والتفهيم والتفهم * فقال لهم هذا الملك الظالم المهول * ان حالها منذ خمسين سنة يدل على عدم القبول * واما المكاتب والمدارس فانا اتكفل بها واوفي بلوازمها فلا يكن احد يخاف عليها وحيث ان جندي هو الذي يحمي الدين والمملكة * في الحقيقة فهو الملا والامام المنقذ المهج من المهلكة * وامر أن تضبط اموال هؤلاء العلماء لبيت المال * وأن تكون لمصرف العساكر في الحال والمآل

طائفة الزابية

وينبغي ان ننبه هنا في عبارة مختصرة على أن في بلاد خوزستان فرقة خوارج تنسب انفسها للاسلام وامرها غريب وحالها عجيب تسمى الزابية واخطأ من سماها صابئة وخلطها بالصابئين عبدة النجوم ووهم ايضا من قال انها من اهل سبأ باليمن المسماة عند اليونان السابية نعم وان كان لها اتباع في البصرة والاحساء الا انه لاعلاقة بينها وبين سبأ اليمن ولا الصابئة وانما ابتدعها في القرن التاسع من الميلاد خارجي يقال له نصايري وكتب عبادته مؤلفة بعبارة لغة من اللسان السرياني شبيهة بلغة اهل بلاد الجليلة القديمة وبهذا تعرف البلاد التي تولد فيها ابتداع هذا المذهب ولما كانت فرقة الزابية تتبرك بالصليب وتعمل شيأ كمعمودية النصارى ويسمون انفسهم اصحاب يوحنس توهم الناس أنهم فرقة تشعبت عن دين النصرانية ببلاد الجليلة التي هي اقليم صفد ولكن الظاهر أن هذا المذهب مناقض بما يبطله وذلك لان قواعده تقرب من قواعد الاسماعيلية ويشوبها شيء من عقائد المجوس ومعنى يوحنس على ما قاله بعض علماء اللغات المشرقية النور ولا علاقة بينه وبين اسم سانت يوحنا في الهند ولا مانع أن هذا بقية من الخرافة الكلدانية المتعلقة بنبي يسمى وانس اوهو فحل من فحول الرجال وهذا من اثر اتباع هذا النبي ثم ان الزابية يتقربون بذبح الدجاج والغنم وزواجهم مصحوب بكثير من الاحتفالات والاجتماعات المتعلقة ببقاء البكارة

حالة العلوم والفنون

ولنعد لتخطيط العجم فنقول ان العلوم والفنون كانت في زمن دولة صوفية العجم ذات بهجة ورونق اعظم من جميع ولايات بلاد آسيا باسرها بعد زمن الخلفاء العباسية فانظر الى قصائد الفردوسي والسعدي وحافظ فانها ترجمت الى لسان الافرنج واعجبت اهل اوروبا وذلك لان ما اشتملت عليه من التخيل الحماسي البانع الزهور * لا تشم منه الا رائحة الورد والمنثور * ولا يسمع من الفاظها الا تغريد الهزار والشحرور * ولا يشاهدها الانسان الا في عالم السحر الحلال والولدان والحور * ولكن تجد المعاني كفارغ بندق * والبواعث النفسانية قل أن تصدق * وقد بقي بعض اشياء هينة تحتاج للتوضيح وهي أن ملك الفرس الموجود في عهدنا هذا يحاول دائما أن يقوي ويشيع لغة العرب والترك والفرس وعلوم البلاغة وعلم العروض والعلوم الشرعية والطب والنجوم فتجد هذه العلوم تدرس في عدة مدارس ولولا أن الدولة العثمانية كالحاجز بين المعارف الاوروبية * والقرائح الفارسية * تمنع من وصول هذه المعارف * الى اذهان ذات اللطائف * لما بقيت امة العجم في العلوم والمعارف على هذا الحال * بل كانت تنتقل الى الكمال في جميع الفنون بعد الاضمحلال * وحالة العجم الآن اكرام ارباب المعرفة وهم الذين يحظون بالمناصب المهمة بخلاف بلاد العثمانية فان الحلاق بها والحجام * قد يتولى شيخ الاسلام * وقد يتقلد العتل العتال الوزارة * ويبلغ الحمال درجة الامارة * وليس من باب الواجب والشرط * في ارتقاء المناصب عند الاتراك معرفة القراءة والخط

صنايع وتجارات الصيني

وذكا العجم قد تدرب على الصناعات فقد ذكر شردين على وجه مبسوط خلاصة فبريقات العجم وتجاراتهم في القرن السابع عشر من الميلاد فقد وصلوا الى درجة كمال بالنسبة للتطريز على القماش والحرير والجلد وآنية الفخار العجمي تصنع في جميع بلاد العجم ولكن الجيد منها يأتي من مدن شيراز ومشهد ويزد وكاشان فخار زرنيخ يساوي آنية الصين في الدقة والصفاء والشفافية وكانوا يشتغلون منه آنية جيدة تقاوم حر النار لان مادته كانت صلبة جدا بحيث كان يصنع منه اهونة صلبة يسحق فيها عدة جواهر مختلفة والصيني الذي يصطنع الآن في كرمان الشهير بخفته مشهور ايضا لغرض آخر * قال بلنياس ان الآنية المرهينية كان يحمل بعضها من هذا الاقليم الذي كان يسمى سابقا

كرمانيا

كرمانيا ولعل الآنية المرهينية انما كانت نوعا من الصيني المصنوع بطرق نسيت الآن وضاعت وفبريقات الجلود والساغرى والسختيان كانت ببلاد العجم من زمن ملوك البرثة بل وربما كانت من زمن الملك قوروس وقد بقيت موجودة حين سفر شردين ولم تزل الى الآن ايضا زاهية زاهرة والعجم يحسنون شغل النحاس ويتخذون قصدير جزيرة سومطرا لتبييض اوانى الاطبخة وكانت القسى الفارسية اعظم الاقواس ببلاد الشرق قال شردين ولا يمكن لارباب صناعة الاسلحة ببلاد اوروبا أن يقلدوا السيوف العجمية المصطنعة من الحديد والبولاذ على منوال السيوف الدمشقية القديمة المسماة طابانات والموسى عندهم ايضا جيد الصناعة وكذلك باقى ادوات البولاد كانت مرغوبة فانه كان يمكن أن يقطع بموساهم فى الجواهر وكان فيه صلاحية عظيمة لنحتها وتزويقها زواقا عظيما نبر امتينا لا يحصى ولكن فبريقاتهم التى يصطنع فيها الزجاج لم تكن كبيرشئ واما اقمشتهم القطنية والصوفية من شعر المعزو وبر الابل وحريرهم وقماشهم المخيش والمشجر فان هذه كلها بلغت درجة عالية فى الجودة والسجاجيد العظيمة كانت تحمل من اقاليم سجستان وذكر شردين انه فى زمنه كانت هذه السجاجيد تسمى سجاجيد الترك وذلك لانها كانت تأتى الى اوروبا من بلاد العثمانية والاقمشة المتخذة من وبر الابل تصنع اصالة فى اقليم كرمان والاقمشة المتخذة من شعر المعز تصنع اصالة فى جبال مازندران ولكن قماش القطن يحمل اصالة من بلاد هندستان والقماش العريض لم يكن معروفا عندهم بل كان يسد مسده نوع من اللباد وقد كان السلطان نفسه يرغب فى تجارة الحرير والمشجر والقطيفة والسجاجيد والحلى والظاهر أن هذه التجارة كانت قليلة النفع بالنسبة للبلاد واصول بضائع تلك البلاد كانت فى ذلك الزمان هى الحرير بسائر اصنافه وكانوا يبعثون الى بلاد الهند الدخان والفواكه المصنوعة مربات ولاسيما التمر والنبيذ والخيل والصينى والجلد على اختلاف الوانه وكانوا يبعثون الى بلاد الاتراك الدخان وآلات الطباخة والى بلاد الروسية الحرير المشغول

وهذه الحالة لم تتغير عندهم كما هو الواقع بحسب الظن فانه يشتغل الآن ايضا سيوف عظيمة فى قزوين وفى خراسان وتعرف صفة البولاد الجيد المصطنعة منه تلك السيوف اذا وجد عليها عروق متموجة تكون على شكل فتلات الحرير ويسقطون بولادها بالذهب وهذه السيوف لا تنثنى ابدا وسيف قزوين قيمته من ستين الى ثمانين غرشا ولكن سيوف خراسان قيمة الواحد منها نحو مائة سقين (وهو المعروف بالبندقى او الشريفى) ومقدارها ٧٥٠ فرنكا فرنساويا والعجم والعثمانية يدقون جميع المعادن على البارد من غير وضعها على النار بل وحديد نعال الخيل ويقال ان هذا يجعلها صلبة ويعرف العجم الآن تبييض المرآى وصقل الالماس وشغله فظهر فى الجملة أنهم لم يفقدوا فنا من الفنون التى كانت مستعملة فى زمن شردين بل اضافوا اليها امورا جديدة فمن ذلك صناعة شغل التفصيص بالزجاج والمينا فانهم الآن يعرفون ذلك معرفة جيدة ويحسنون صناعته

ثم ان فقد خشب العمارة وحر القطر منعا العجم من انشاء عمارة بحرية فى مينائهم على الخليج الفارسى وتجارتهم البحرية لا تحصل الا على سفن غريبة واعظم تجاراتهم الكثيرة الربح هى التى كانت فى هرموز وغمرون مع الانكليز ومع عدة امم اخر ولكن حروبهم المستمرة ابطلت هذه التجارة وزعم بعضهم أن البضائع التى تدخل كل سنة فى الخليج الفارسى قيمتها اثناعشر مليونا من الفرنكات ويجلب الانكليز ثلثى هذا القدر والثلث الباقى يحمله المغاربة والهنود والارمن والعرب ووسق سفن هؤلاء التجار هو الارز والسكر والقطن والشاش الناعم المخطط او المطرز الذى يأتى من بنغالة بالهند وافاويه سيلان وجزائر الملوك واقمشة غليظة بيضاء وزرقاء من كورومندل بالهند وكذلك القاقلة المسماة بالحبهان والفلفل وسائر العقاقير الهندية ويمكن أن يترتب على استيلاء الدول الافرنجية على بلاد العثمانية بآسيا أن يرجع للخليج الفارسى حالة القديم وذلك لان القوافل بين البصرة واسكلات الشام سرها الأمن من السفر فى بحر العرب وكذلك اذا استولى الافرنج على تلك الناحية المذكورة فان نهر طونة يمكن أن يتلقى السفن التى تحمل من طرابزان ومن نهر فاش بضائع بلاد العجم وايضا اذا تقوت مملكة الافغانستان بأخذ بخارى وخوارزم فان دولة الموسقو تبادر بأن تعقد معاهدة مصالحة ومشارطة صورتها أن تأذن دولة الافغان للموسقو أن ينعطفوا الى بحر الخزر بحصة من سفنهم المملوءة من الذهب الذى يحمل الآن من نهر كنك الى نهر التاميز (اى من الهند الى بلاد الانكليز لان نهر التاميز هو نهر لندرة ونهر كنك هو نهر الهند)

فهذه هى صورة تخطيط بلاد العجم الجديدة بوجه عام لخصناها من كلام ارباب السياحات فكانت خلاصة مقابلة كلام السياحين بعضه ببعض ولكن لنعترف بأن هذه الخلاصة غير كاملة ولا نعدها كاملة تامة الا اذا عرفنا عادة القبائل الرحالة النزالة التى هى كثيرة ومنتشرة فى جميع ارض العجم حتى ان بعض ارباب السياحة من المتأخرين

الساغرى والسختيان

القسى والسيوف

السجاجيد

حالة فبريقاتهم الآن

عمارة بحرية وتجارات

قبائل رحالة نزالة

قال انه يكون منها امة ثانية تكاد تكون مستقلة وفى الغالب بينها وبين العجم عداوة فان همل الترك او التركمان المنتشرين فى شمال المملكة يبلغ عددهم ٤٢٠٠٠٠ شخص وهمل قبائل الافشار فى اقليم اذربيجان نحو ٨٨٠٠٠ رأس ومن هذه القبيلة نشأ نادرشاه الذى كان جبارا فطنا فى كل الامور حسن التدبير وقبيلة قجر تشتمل على ٤٠٠٠٠ نفس وهى ساكنة حوالى مدينة تهران ومن هذه القبيلة نشأ الشاه الموجود الآن ولهذا كانت لغة الترك هى الغالبة فى ديوان فتح على شاه ومن هذه القبائل قبائل أكراد العجم ومنها قبيلة اردبلانى وهى اعظمها واهلها ٩٠٠٠٠ نفس وهذا الحصر لا يشمل الاكراد الفلاحين المشتغلين بالزراعة ومنهم قبائل لوره ويقال لوربانية واهلها نحو ١٤٠٠٠٠ نفس وهى رحالة نزالة تسيح اصالة فى الاقاليم الجبالية بين خوزستان والعراق العربى ومن اسم هذه القبيلة قيل لبلادهم اقليم لورستان ولهم لغة خاصة بهم ولكن لها بعض شبه باللغة الكردية حتى ان بعضهم توهم اتحادهما وحيث ان الحاج خليفة ذكر أن فى اقليم فارستان يتكلم بثلاثة السن الفارسى والعربى والبهلوى فالظاهر أنه يمكن أن يستنتج من هذا أن لسان قبيلة لورة المتقدمة الذى لا يعرف غيره فى فارس بعد الفارسى والعربى هو اما أن يكون البهلوى اولغة قديمة متشعبة منه واما ساحل الخليج الفارسى فكأنما هو متروك لقبائل العرب التى ذكرناها فيما سلف ولكن فى داخل البلاد ايضا قبائل عرب رحالة نزالة من ٩٠٠٠٠ نفس الى ١٠٠٠٠٠ والظاهر أن امة الجلاقية هى طائفة خاصة بجبال كيلان ويتكلمون بلغة خاصة بهم واما اهل وادى كيلان المسمون امبرلين يعنى سكان الشعاب فانهم يتكلمون بلغة متفرعة من اللغة الفارسية واما قبائل البدار والهسارية وغيرهم من القبائل المجهولة الحال فانها هائمة على شطوط نهر الرس المسمى بالافرنجية نهر اركس وجميع هذه القبائل الرحالة النزالة التى تسمى عند العجم الايلات هى منذ زمن طويل اعظم عساكر العجم وهى تفسد فى ارض العجم وتسعى فيها بالخراب كما كانت قبائل الغوطية فى قديم الزمان تهلك الحرث والنسل فى مملكة الرومان ولم يظهر من هذه القبائل قبيلة مثل ظهور قبيلة الافغان وتسمى ايضا قبيلة الاغوان والى الآن لا يعرف اصل هذه القبيلة المشهورة فى بلاد الهند باسم بطانة فهل هم نزلة ألبانية كما قاله بعضهم اخذا من اتحاد اسمى اغوان وألوهان فان اغوان يدل على الافغانستانية وألوهان يدل على الالبانية ومعنى افغان ألوهان ولكن اتحاد هذين الاسمين لا دليل عليه فهل هم قبائل من نسل الاسباط العشرة الاسرائيلية المنفيين فى بلاد ارزارث المسماة ايضا هزارث كما ظن ذلك بعضهم واسم هزارث الدال على اقليم من بلاد الافغانستان معناه باللغة الكردية والكلدانية التى هى لغة قريبة من لغة الافغان قبائل ايا ما كانوا فحينئذ هو اسم عام الدلالة والحق اننا اذا تأملنا فى كثرة عدة قبائل الافغان يغلب على ظننا أن هذه القبائل متولدة ومتأصلة فى الاقاليم التى هى بها فان اسكندر الاكبر حين قدم الى هذه الاقاليم وجد فيها قبائل عديدة اصحاب حروب وغارات فالظن انهم لم يزالوا الى الآن

وعلى كل حال فقبائل الافغان الاصليون مع من صاحبهم من القبائل الثانوية تشغل جميع الحافة الشرقية من بلاد العجم ثم ان فرقة الروهيلا التى صارت الآن ولاية مستقلة فى بلاد الهندستان خارجة من هذه البلاد وقبائل البلوج التى تسيح فى جميع اقليم مكران وفى بعض الهندستان مشهورة ايضا بانها من قبائل الافغان وكورة قندهار المسماة ايضا سركار قندهار يظهر أنها مركز قبائل الافغان الثابتة اى غير الرحالة النزالة وهذه الامة التى يظهر ان اهلها اكثر من مليون تحكم الآن بعض اقاليم هندية وهى بلاد كشمير وكابل وملتان وتحكم ايضا على اقاليم عجمية وهى بعض اقليم مكران وسجستان وقندهار وخراسان الشرقية ولما كان الافغان غلاظا شدادا ارباب شجاعة وسفك دماء لكنهم غير متحلى الطاعة لامرائهم ظهر من حالهم ادعاؤهم الخشنى واحتقارهم لجميع اسباب المعاش والتمدن فلا يشتغلون بها واما لسانهم فيسمى لسان البوكتو وقد رأى وليام يونس قاموسا من هذه اللغة فوجد بلغتهم شبها كثيرا باللغة الكلدانية ولما فتح التتار بلاد الافغان ادخلوا فيها دين الاسلام فهم سنية ولكن المشهور عنهم الآن انهم اكثر اهل الاسلام تساهلا فى الدين ثم ان ملبسهم الخشنى هو أنهم يلبسون قلنسوة صنوبرية الشكل وجبة من الصوف وسراويل ضيقة وليس لهم شبه بالهنود ولا بالعجم

ثم ان الافغان لا يغتذون الا بالخبز واللبن المنعقد ولا يشربون الا الماء واقليمهم يعتريه التغير بحيث انه فى اليوم الشديد الحرارة يظهر البرد العظيم ونساؤهم مخدرات ولكن غيرة رجالهم قليلة ولا يعتنون بكثرة النساء كاعتناء الهنود والعجم والترك ودولتهم التزامية ورؤساء البلاد يكونون فى قراهم المحصنة ولهم سفن فى البحر يركبونها ويصولون بها على ما لا حق لهم فيه لكن على وجه خفيف ولا يعتبرون رئيس دولتهم الذى يلقب بالشاه اللهم الا اذا ادعت المصلحة العامة لذلك كأن خيف على ذهاب دولتهم ففى هذه الحالة يؤدون للشاه حق الطاعة وعادة هذا الشاه أن يعامل رعاياه الافغانية مع غاية لين

قبائل تركمانية

قبائل الاكرد

قبائل لورة

قبائل العرب

قبائل مختلفة

الافغان

اصلهم

قبائل الافغان المسماة بطانة

لسان الافغان

ملابس

عيشة

دولة

اراد
قوة عسكرية

الجانب وعدم التشديد واوامره قل أن يصحبها اراقة دم ولا يظهر منه أنه عدوّ لأى فرقة من الفرق الدينية وفى زمن احمدشاه المؤسس لمملكة الافغان كان ايراد هذه البلاد نحو خمسة وسبعين مليونا من الفرنكات التورنية ولكن فى زمن تيمورشاه لم يبلغ ذلك الايراد الا نحو خمسة وعشرين مليونا وسبب ذلك ضعف هذا الملك واعظم قوة الافغانستانية الفرسان ومن هذه البلاد تشترى الخيول العظيمة بثمن بخس وكذلك من اقاليم التتار والعجم التى بجوارها وكذلك فرقة من المشاة مسلحة بالبندق هى جزء من جيش الافغانية وهذه العساكر المشاة اقوى من عساكر الهند القليلة التعليم فقد كانت عساكر احمدشاه ١٠٠٠٠٠ فارس من الخيالة واما تيمورشاه فلم يكن عنده من الفرسان الا ٣٠٠٠٠ وطوبجية الافغان مثل عساكرهم المشاة فى قلة التعلم وجيوشهم مؤلفة من اشخاص مأخوذة من عدة امم مختلفة ولكن احسن عساكر المملكة من كان مأخوذا من اقليم افغان

فهذا ما كانت عليه حالة مملكة الافغانستان منذ سنوات قلائل وهذه المملكة اقيمت وتأسست وتعضدت بالشقاق بين اهالى الممالك المجاورة لها فلم يظهر الآن أنها ذات قوة يمكن بها الغارة على غيرها ولا يظهر ايضا أنها ذات قوة تحفظ بها بلادها فى مستقبل الازمان

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية للبلاد العجمية المرصودة بعلم الهيئة

اسماء الاماكن	الطول درجات	دقائق	ثوان	العرض درجات	دقائق	ثوان	المنقول عنهم
بلفروخ	...		...	٣٦	٣٤	٤٣	تريزيل
تهران	...		...	٣٥	٣٩	٥٥	تريزيل وهو كسابقه من ارباب السياحة
قزوين	٤٧	١٣	٠٠	٣٦	١١	٠٠	بوشمب
اصبهان	٤٩	٣٠	٠٠	٣٢	٢٤	٣٤	كذلك
يزد	...		...	٣٢	٧	١١	تريزيل
هرموز	...		...	٢٧	٨	٠٠	كذلك
لار	...		...	٢٧	٢١	١٥	كذلك
بوشهر (بندربوشر)	...		...	٢٨	٥٩	٠٠	بيبوهر
شيراز	...		...	٢٩	٣٦	٣٧	كذلك
سينا اوسنه (وهى بحسب الظن سينا اوسينه التى ببلاد كردستان)	...		...	٣٤	٢٣	٣٥	سيمون وهو قنصل فرنساوى

وهذا جدول المقابلة بين الاقسام القديمة والجديدة من بلاد ايران او العجم

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
اسكروان (شروان) راجع الاقسام الثانوية فى المقالة السابعة والاربعين	ألبانيا راجع المقالة السابعة والاربعين	اسكاكيا وغيرها راجع المقالة السابعة والاربعين سكوش	كان عليها خانات من طرف الدولة الروسية.
اريوان او ارمنية العجم راجع المقالة التاسعة والاربعين	ارمنية العجم راجع المقالة التاسعة والاربعين	اريوان نخجوان خونج	فتح على شاه العجم
اذربيجان	ميديا اتروپاتين	تورين (تبريز) اردبيل مراغة ارمية	كذلك
جيلان او كيلان	جيل (بلاد القادسية)	ريشت	كذلك
الديلم خط لنكوران		استارا انزيليا لنكوران	خان من عمال دولة الروسيا
مازندران	الجزء الغربى من باشرية هرقانيا	بلفروج	فتح على شاه
(لواحق مازندران)			
١ طبرستان	طبيرى (بلاد طبيرى)	سارية	
٢ جرجان	هرقانيا	استراباذ	
٣ دهستان	ديى (بلاد ديى)	اكراف آمل	
خراسان	پارثينه	مشهد نيسابور تون	كذلك
	آريا	هراه روهى	سلطان او ملك قندهار يكاد يكون مستقلا
	مرجيانا	مارول رود	دولة لاربك بخارى
عراق العجم اصفهان اسكيريار قم قاشان الرى همدان وغيرها	ميديا مجه ميديا رجيانا قسبدنية (اريدور)	اصبهان (اصفهان) تهران قاشان قم قسمين (قزوين) همدان كرمانشاه وغيرها	فتح على شاه

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
(لواحق)			
قوهستان	طبيانة	الطبسين	
قومس	قومسين		
كردستان العجم	قسم من اسيريا وغيرها	سينا	فتح على شاه
		اسقوش بولاة	(تحت حكومتى القريزية والبلباسية المستقلتين)
خورستان	سوزيانا وهى باشوية	سوستيرا واتشوشتير	فتح على شاه
١ هوزستان	اوكسى (بلاد الاوكسية		
٢ سوزستان	سوزينا الحقيق		
٣ خوزستان او لورستان	قوسى (بلاد القوسية) او سيروميديا		
٤ ايلام	ايلامايس		(قبائل من العرب تكاد تكون مستقلة)
برسستان او برسستان (فارس	برسيس او العجم الحقيقية	اسكيراز (شيراز)	كذلك
١ خوره اشكيخ	پاريتاسين	قشا	
٢ قوباد		يزديكست	
٣ سابور (شيراز)		كازرون	
٤ ازدشير			
فرماسيرا وشيغلبهر	ميزنبريا يعنى الساحل الجنوبى	بندر ريغ	كذلك
٥ أرجان			
٦ ادشور (فيروزاباد)		بندر ابوشير فيروزاباذ	
٧ دراب	پاررجاد	ابرقوه	
٨ اصطخر	برسپوليس	دارابجرد	
٩ ارقوت		يرد	
١٠ يزد	ابراتيش طليوس		
لارستان	قسم ميزنبريا او عجمستان البحرية	اللار	كذلك
قسم قرمزير		تروم	
هرموزوهر اقليم كان	هرموزيا	هويت	
موجوداث القرون الوسطى		بندر عباسى او عمرون	(سيخ من مشايخ العرب مستقل بامارة مسقط و لقب بالامام)
كرمان	كرمانيا	كرمان والسرجان	كذلك
السرجان		بردشير	
بردشير		ولاشجرد	
ولاشجرد وغيرها			
مرحستان		مسو	

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
مكران مالان	جدروزيا مع ساحل الاكتيوفاچية عريت وهوريت (بلاد الهوريت)	التيز كيبه بندجابور مالان	اميراوعدة امراء اووال مستقل اوضعيف التبعية
سجستان (سيجستان)	درنجيانة ساكستينة ايسيدورس	زرنج فرّا درغش	الافغان اوملوك قندهار
زابلستان ١ اروخاجة ٢ الباميان ٣ غور	اراخوزيا باروپاميزادو (بلاد الباروپاميزادية)	رخج الباميان	كذلك
قندهار او افغانستان ١ قندهار ٢ بريا ٣ أزريدچات ٤ توران	باروپاميزادو (بلاد الباروپاميزادية)	قندهار	كذلك (تنبيه قد تطلق كلمة افغانستان او بلاد فغان على جميع ايمبراطورية افغان)

وهذا

وهذا جدول يتضمن بيان الاهالى القاطنين ببلاد العجم وهو مأخوذ من رحلات مكتوبة بخط اليد لعدة سياحين فرنساوية

(اولا) اهل الحضر سواء كانوا من اهل الفلاحة او من ارباب الفنون والصنائع

١ العجم المتأخرون ويقال لهم عند الامم الرحالة النزالة تاجيك اى الخراجيون وهم اخلاط من قدماء العجم والتتار والعرب والجرج ونهاية ما تبلغ عدتهم ١٠ ملايين تقريبا

٢ البرسيس او الجبير وهم بقايا المجوس الذين كانوا فى القرن الخامس والسادس بمدينة يزد وغيرها واقليم كرمان ومكران وعدتهم ١٠٠٠٠٠ تقريبا

٣ الافغان وهم قدماء الاهالى المتأصلين وذكر بعضهم أنهم فى الاصل من الجبال التى فى الجنوب الغربى من بحر الخزر (وهم ثلاثة اقسام)

أ الافغان الاصليون وهم اهل قندار وكابل واروخاجة وغيرها وعدتهم ٥٠٠٠٠٠

ب البلوچس راجع اهل البدو وهم الرحالة النزالة

ج الرهيلا او بطانة باقليم هندستان

٤ الجلاقية او قدماء اهل كيلان وعدتهم ٥٠٠٠٠

٥ الارمن بارمنية واذربيجان وعدتهم ٧٠٠٠٠

٦ اليهود باصفهان وشيراز وتهران وقاشان وعدتهم ٣٥٠٠٠

٧ الزابين ببلاد خوزستان وعدتهم من ١٠٠٠٠ الى ١٢٠٠٠

(ثانيا) اهل البدو وهم قبائل يتعيشون من مواشيهم وصيدهم ويسكنون البادية ولا يستوطنون محلا مخصوصا بل هم دائما على نية الانتقال (بمعنى انهم رحالة نزالة)

١ قبائل الترك

أ الافشار وعدتهم ٨٨٠٠٠ رأس وهم باقليم اذربيجان واقاليم اخرى كثيرة واصلهم من ارميه وينقسمون الى كازملو واركلو

ب القجر وعدتهم ٤٠٠٠٠ نفس ومؤسس هذه القبيلة هو فتح على شاه واصلهم من استراباذ احدى بلاد مازندران ومن ميرو احدى بلاد كردستان ومن شروان وغيرها من البلاد وينقسمون الى يوكرى باشى واشاغاباشى

ج المحدّم وعدتهم ٥٠٠٠ نفس وهم نازلون بمراغة وهى مدينة باذربيجان وهذه القبيلة بمكان من الشجاعة

د دومبلو وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى اقليم ارمنية بضواحى مدينتى خوى وسلماس

ه التركمان وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى اقليم اذربيجان قريبا من همدان بالعراق ومن مدينة كازرون بفارس

و التالبزة وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم نازلون فى مازندران وكيلان

ز الخرغوسلية وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم بضواحى همدان

ح البيات وعدتهم ٢٠٠٠٠ نفس وهم باذربيجان فى تهران ونيساور (بخراسان) وفارس وغيرها

ط الشازوند وعدتهم ١٤٠٠٠ نفس وهم نازلون بضواحى اردبيل والرى

ى الديسونشير وعدتهم ٧٠٠٠ نفس وهم فى شوشة باقليم شروان التابع للروسيا

ك الديبلير وعددهم مجهول وهم فى خلات من بلاد خراسان

ل فارس مودلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس وهم فى فارستان

م الخودبوند وعدتهم من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ وهم نازلون فى كيلان ومازندران

وهناك قبائل اخرى غير مهمة يبلغ عددها ثمانية وعشرين ولم نقف فى شأنها على تفاصيل كافية

٢ قبائل العرب

(اولا) رعاة العرب الذين نزلهم بتلك الجهة تيمورلنك

ا البسطامية وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم نازلون فى بسطام من بلاد خراسان
ب قبيلة التونى وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم فى خراسان ايضا
ج قبيلة الديندانى وهم نازلون بالواحات فى صحراء عظيمة ملحية
د قبيلة اغاخانى وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم بفارس السفلى
ه قبيلة الاهواز وهم نازلون فى سهول خوزستان
و قبيلة الثولاهى وعدتهم ٦٠٠٠ وهم فى كرمان
وهناك ثلاث قبائل اخر عدد كل منها من ٨٠٠٠ الى ٩٠٠٠

(ثانيا) عرب صيادون على الساحل الجنوبى

ا بنوخياب وهم فى خوزستان (ايلام)
ب عرب الهندیان وهم على سواحل فارس
ج بنوهول * كذلك
د عرب لنديه * كذلك (ولعلهم من مدينة لنديه)

٣ قبائل لورة

ا الزند وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى اصفهان وشمال فارس
ب الليخس وعدتهم ٢٠٠٠٠ نفس وهم فى فارس
ج الخوجلو * كذلك وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس
د الزنغنية وعدتهم ٦٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى كرمانشاه
ه الفيلية وعدتهم ٤٠٠٠٠ نفس وهم فى لورستان فيما بين سوستير وكرمانشاه
و البختيارية وعدتهم ٣٠٠٠٠ نفس وهم ايضا فى لورستان فيما بين سوستير وكرمانشاه
ز الخيروس وعدتهم من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى خامسى اوكامسى
ح الخرز نجرية وعدتهم ٧٠٠٠ نفس وهم بقرب كرمانشاه

٤ قبائل الكرد

(اولا) القبائل التى فى داخل كردستان

أ المخريس وهى قبيلة مستقلة فى وسعها أن تجمع فى اليوم الواحد ثلاثة آلاف خيال
ب الملباس وهى طوائف متفرقة ومستقلة بنفسها وفى وسعها أن تجند خمسة عشر الفا من المشاة ومن خمسة آلاف الى ستة من الخيالة
ج الغيافس وهم فى ممالك عبد الرحمن وهو رئيس مستقل على عائلات تبلغ عدتها من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ عائلة
د الغرار وهم فى ضواحى سنيه التى تحت حكم والى اى حاكم العجم
ه البراس وعدتهم ١٠٠٠٠ عائلة
و السسور ١٢٠٠ عائلة } منزل الجميع واحد
ز الليخ وعدتهم ١٠٠٠ عائلة
ح الخوتشنلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس
ط الشغاغيس وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهذه القبيلة محبة للصلح وهى من ارباب الزراعة والفلاحة ذات ثروة وهى منتشرة فى اذربيجان

(ثانيا) القبائل التى فى خارج كردستان

ا ارشوندية وهم باقليم تاروت قريبا من مضيق روتبار بين العراق ومازندران وعدتهم ١٠٠٠ نفس
ب البازيك وهم بين الرى وتهران وعدتهم ٣٠٠٠ نفس
ج الزعبرلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس وهم فى خراسان
د الاردلانية وهم فى خوزستان

ه البوانورد وهم فى خراسان وعدتهم ٨٠٠٠ نفس
و المودنلو وهم فى مازندران وعدتهم ٤٠٠٠ نفس
ز الامبرلو وغيرها
٥ القبائل المسماة بطانة
البلوج وهم فى اقليم مكران والهيبير والسروانية والعبدولية وكثير من القبائل الاخرى المتفرعة عن الاصل الذى تفرع عنه اهل افغانستان ولغة الجميع تكاد تكون واحدة وهم جميعا رحالة نزالة بل الاولى ان يقال انهم قطاع طرق ومقرهم الجزء الشمالى من بلاد العجم

(المقالة السادسة والخمسون في تخطيط آسيا)

• ابحاث تتعلق ببحر الخزر وبالمصب القديم لنهر اوقسوس وهونهر جيحون

لم تتعلق امال الجغرافيين بالبحث عن شئ اكثر من بحر الخزر وذلك لان الجغرافيا الطبيعية بحثت عن طبيعته المخصوصة وتجبت منها غاية العجب * والجغرافيا الجدلية المتعلقة بالمناقضة والابطال والتعديل والتجريح والجدال غيرت وضع هذا البحر نحو عشرين مرة كما غيرت شكله واتساعه على الخرطات مع أن الظاهر أن كلا من شكله وامتداده لم يحصل فيه تغير حقيقي من القرون الاولى التي اشتغل الناس فيها بالتواريخ

وضع اتساع

مثلا الارصاد الاخيرة الفلكية والاقيسة المحلية بينت لنا بحر الخزر وأنه يمتد من الشمال الى الجنوب اشبه بالمختنق ببروز بجزيرة أبشيرون والجزء الشمالي من هذا البحر شكله كشكل جون عظيم ينعطف من الشمال الى الشمال الشرقي ويقرب من حوضة بحيرة ارال فاذا مسحنا بحر الخزر بالخطوط المستقيمة التي يمكن رسمها ولم نحسب بغيرها وجدنا طوله ٣/٨ ١٢٢ مريامترا (٢٧٥ فرسخا) وعرضه من اضيق محل فيه ٧/٨ ١٧ مريامترا (٤١ فرسخا) وعرضه في اوسع محل فيه ١/٤ ٤٤ مريامترا (١٠٠ فرسخ) ثم ان اطلس كتابنا هذا يدل تفصيلا على وضع هذا البحر بعينه والواقع أن هذا الوضع امره محقق الا بعض شئ يسير

تاريخ خرطات بحر الخزر مذهب بطليموس

ولم يكن كذلك محققا ومعروفا قبل هذا العهد بمائة سنة فالخطأ الذى كان عاما لجميع القدماء الذين اعتقدوا أن بحر الخزر جون من المحيط الشمالي قد زال في القرن الثاني من الميلاد وذكر بطليموس الحقيقة المعروفة لهردوط بل ولارسطو وصار بحر الخزر على الخرطات بحيرة اوبحرا داخلا منفصلا من كل جهة عن المحيط وغيره من سائر البحور لا يتصل بواحد منها ولكن بدلا عن أن يعطى اطول اتساعه من الشمال للجنوب اغتر واوجعلوه يتجه من الشرق الى الغرب وذلك لانهم توهموا أن المحيط الشمالي اقرب مما هو عليه في الحقيقة وهذا احوج الى أن يكون المحل الذى تقتضيه ابعاد بحر الخزر المعروفة موجودا كما يمكن وايضا لان بحيرة ارال المعروفة معرفة ناقصة كانوا يعتقدون أنها جزء من بحر الخزر كما يدل عليه رأى الاقدمين فيما يتعلق بمصب نهر جيحون وهذا الرأى نبحث فيه في آخر هذه التذكرة وفي مدة القرون المجهولة في الاعصر الوسطى اقتصر اصحاب الخرطات على أن ينقلوا عبارة خرطة بطليموس فان بحر الخزر مرسوم على هذه الخرطة وشاغل فيها ٢٠ درجة من الشرق الى الغرب وكانت بحيرة ارال مخلوطة معه فكان يعتقد أن نهر جيحون يصب نحو المحل المرسوم فيه على خرطاتنا مدينة بلخ واول سياح عالم غير هذا النقل الفاسد الذى لا يظهر بارصاد فلكية هو تاجر انكليزى يقال له ينقنسون سافر سنة ١٥٨٥ وسنة ١٦٦١ من الميلاد على مصرف شركة تجارة انكليزية فسافر من ازدراهان ورأى السواحل الشمالية الى مصب نهر ينبا ورسا على منجسلاق ومنها مضى الى بخارى فسمى بحر ارال باسم بحيرة كيتايه وفي ثانى سفر من اسفاره بهذه الجهة وصل بواسطة كوه قاف الى الشطوط الجنوبية من بحر الخزر ثم سافر بعده بلديه كرستف بروغ الذى في سنة ١٥٨٠ من الميلاد اجتاز بلاد الروسيا فلما ركب البحر في ازدراهان سار بالسواحل الغربية من بحر الخزر وحدد عرضها في عدة اماكن وفي سنة ١٦٣٣ سافر الحكيم اوليار يوس مصاحبا لجماعة من الانكليز مبعوثة من طرف الدوق هولسطين الى شاه العجم من الدولة الصوفية فحدد هذا الحكيم عرض عدة اماكن من الساحل الغربى والجنوبى من بحر الخزر

اسفار ينقنسون وبرغ واوليار يوس

وجميع هذه الارصاد المنفردة بقيت مجهولة لبلاد اوروبا صاحبة المعارف اى انه صعب عمل خرطة فرنساوية وانكليزية وألمانية من القرن السابع عشر الذى جعل لبحر الخزر شكلا يقرب من الحقيقة بعض قرب واما خرطة جوان سطريوس الفلمنكى التى هى اشهر الخرطات فانها جعلت مدينة ازدراهان على الساحل الشرقى وجعلت جرائر نهر الاتل في وسط البحر والذى فتح للافرنج طريق الحقيقة في هذا الشأن هى امة الروسية فكأن الله تعالى جعل الحقيقة في هذا المعنى باقية لتظهر على ايديهم وبيان ذلك أن استيلاء بطرس الاكبر جار الموسقو على مدينة ازدراهان وجميع المقاصد السياسية التى اضمرها في نفسه كل ذلك كان في مبدأ الامر سببا للشكوك في شأن بحر الخزر ثم بعد ذلك صار سببا لاسفار وتفتيشات ادروغرافية اى متعلقة بالمياه ثم ترتب عنها خرطات هى في الواقع ونفس الامر خشنية غير منتظمة ولكن قل فيها الخطأ وظهر فيها الصواب وهذه الخرطات التى رسمت ايضا من سنة ١٧٠٠ الى ١٧١٠ باشر رسمها وزير الدولة كيرلوف وقبودان باشا سوامونوف وقبودان بيك قروبوس النرويجى وهى الآن نادرة عزيزة حتى في بلاد الروسية وفي سنة ١٧١٧ امر بطرس الاكبر ملك الروسيا بأن يسافر في بحر الخزر عدة ملاحين فلنكية فركبوا هذا البحر وساروا فيه ثلاث سنوات واخذوا صورته ورسموا خرطة بمعرفة شخص يقال له

خرطة جوان سطريوس

خرطات الروسيا الاولية

كرلوس

كرلوس وان وردين وفى زمن سفر هذا الملك الى باريس تحادث كثيرا مع العالم بالجغرافيا المسمى غليوم دلسلة (وكان من ارباب ديوان العلوم الفرنساوية المسمى اكدميه) فطلب هذا الجغرافى من الملك المذكور أن يسلم لديوان علوم باريس خرطة وان وردين وخرطة قپودان بيك قرويوس وكانت كلتاهاتين الخرطتين خالية عن تعيين الاطوال فلما امتحن هاتين الخرطتين ذلك العالم الجغرافى وجد فيهما ايضا خطأ فاحشا وذلك لان خرطة قرويوس جعلت ازدراهان على الساحل الشرقى من بحر الخزر وكررت المكان الواحد مرتين بجعل المسافة بينهما ازيد من مائة فرسخ وجميع العروض التى يمكن تحديدها على وجه التقريب بطريق سهل ولا يقع الخطأ فيها الا بنحو اربع دقائق او خمسة وقع بها الخطأ فى هذه الخرطة بنحو خمس درجات او ستة وخرطة وان وردين المسماة فى ذلك الوقت خرطة بطرس الاكبر كانت احسن من خرطة قرويوس الا أنه وقع فيها الخطأ فى تحديد عرض استراباد بثلاث درجات فالف هذا العالم الجغرافى رسالة ذكر فيها صور خرطات بحر الخزر الاربعة التى أنتجها كلام بطليموس وابو الفدا وقرويوس وبطرس الاكبر واضاف اليها نبذة مختصرة جدلية تبع فيها ارصاد بروغ وينقنسون واوليساريوس

خرطة جدلية للمعلم دلسلة

وقد مضت من ذلك الوقت عشرون سنة قبل أن يشرعوا فى تكميل جغرافية هذه الاقطار ليمتحنوا ذلك ويختبروه ثم ظهر بعد ذلك جماعة من تجار الانكليز واضمروا أن ينحوا طريقا موصلة للهند من طريق ازدراهان ثم ان الشهير برنس هنوية الذى كتب فى رحلته لبلاد العجم تاريخ هذا المشروع جاءه فى سنة ١٧٤٥ من طرف القبطانين ألطون وودروف خرطة جديدة فى بحر الخزر مشتملة على قليل من الارصاد التى لم تكن معروفة فيما سبق فالف هنوية ايضا خرطة اخرى ولما كانت هذه الخرطة مرسومة على منوال الخرطات القديمة المسطوحة افادت مجموعا غير مساو لما تقدم وفى نحو هذا التاريخ ظهر سياح ألمانى يسمى الحكيم لرشة فرصد ارصادا عظيمة تتعلق بساحل داغستان وشروان

اسفار هنوية وغير

ثم ظهر شهير الفرنساوية المسمى دنويل فوجد عدة نسخ مكتوبة باليد فى الخزانة الملكية الفرنساوية فانتخب منها خرطة جديدة رسم فيها بحر الخزر بعيدا جهة الغرب عن محله بدرجة وهو فى غيرها من الخرطات بعيد عما يستحقه بدرجتين وبعد ذلك بعشرين سنة ظهر شخص يسمى بونة اشتغل بالعلوم الادروغرافية اى المتعلقة بالمياه فظهر له فى هذه المادة العظيمة رأى آخر فسلم أن ارصاد القسيس بيزه لطول طرابوزان صحيحة وان كانت الآن قد قامت البراهين على انها باطلة بسبع درجات ونصف اى أنها زائدة هذا القدر وبرهن له ايضا دلسلة على عدم صحتها وايضا جعل مدينة جوريو على الطرف الشمالى من بحر الخزر وفاقا للارصاد العظيمة التى رصدها لوويتز الذى هو من اهل ديوان العلوم فى بلاد الموسقو فاذا جمعنا الرصد الصحيح مع الرصد الفاسد انتج ذلك أن بلاد كورجستان وغيرها من الاقاليم القوقازية البعيدة جهة الشرق بسبب عظم استطالة البحر الاسود ودخوله بها تجور على محل وسط بحر الخزر الذى جزءه الشمالى باق فى محله الحقيقى وبذلك كان لهذا البحر اتجاه مائل من الشمال الغربى ومن الجنوب الشرقى وزاد عما يستحقه من الطول بخمس وقد عارض دنويل هذا المذهب وابقى الاتجاه الحقيقى لبحر الخزر

خرطة دنويل الجدلية مذهب بونة

والغزوات البحرية التى كان من جملة رجالها غملين وهبليترل حصل بها تحديد صحيح لجميع العروض ولبعض الاطوال المتعلقة بالساحل الشرقى والجنوبى لهذا البحر وقد قوبلت ارصاد هذين السياحين بطول قزوين الذى حدده الخواجة بونشمپ وقوبلت ايضا منذ مدة يسيرة بالطرقات العديدة والمسافات التى ذكرها الضباط الفرنساوية الذين رجعوا من بلاد العجم فظهر أن هذه الارصاد كلها تحدد بها اتساع بحر الخزر ووضعه ولكن لما كان هذا البحر اقل بعدا جهة الشرق واكثر تضرسا وازورارا وانعطافا مما فى رسم دنويل كان له مع ذلك اتجاه يكاد يكون موازيا لخط نصف النهار كما ذكر ذلك ايضا هذا العالم الجغرافى المتقدم والجار بطرس

ارصاد جديدة

ولنعقب هذه التخطيطات الصعبة والمسائل الطويلة التى هى من علم الهيئة بالتخطيطات الطبيعية السهلة التى تعجب القارئ ولا تمل منها نفسه كالاولى فنقول ان بحر الخزر بحسب الظن القوى ذو تسوية اسفل من البحر المحيط والبحر الاسود وقد جعل اولويار التفاوت بينهما ستين قدما وجعله لوويتز خمسين قدما لا غير والظاهر أن اولويار لم يطلع على ابحاث لوويتز ثم ان رياح الشمال والجنوب التى تهب فى هذا الوادى المملوء بالماء ترفع مياه البحر وتخفضها بقوة فتختلف التسوية بنحو اربعة اقدام الى ثمانية وذوبان الثلوج يعين على زيادة الانهر التى تصب ماءها فى هذا البحر فمن هذه الانهر نهر الاتل ونهر اورال المسمى يايق من جهة اوروبا ونهر تيجان المسمى اوخوس ونهر كزل اوزن ونهر الكور من جهة آسيا وزعم بعضهم أنه رصد فيها اختلاف قرنى اى يقع فى كل قرن اى فى دور طويل وادعاء

تخطيطات طبيعية تسوية

اختلاف قرنى

بعضهم أنه من سنة ١٥٥٦ جارت مياه البحر على اراضى الروسية شمالا يحتاج الى البرهان وذلك لان عمق هذا البحر المتقدم ليس بعظيم الا من الطرف الجنوبى فان مجس المياه الذى طوله ثلثمائة وثمانون قامة لم يصل الى العمق واستظهر بعض علماء التولدات الرأى الذى ذكره قبل ذلك وارنيوس وهو أن بحر الخزر فى متقادم الاحقاب كان متسعا

انساعات قديمة جهة الشمال الغربى

اتساعا عظيما جهة الشمال الغربى بل كان بينه وبين بحر ازاق اتصال وذلك لان فى هذه الجهة اراضى منخفضة كثيرة الرمال ونباتات مالحة فى ارض مشوبة بالملح واصدافا صالحة لأن تكون من بحر الخزر وهذه الاشياء رصدها غملين وبلاس فى سائر سهول عمالة ازدراهان لاسيما فى المخاضين اللذين يصب فيهما نهر مانوج جهة بحر ازاق ونهر قوما جهة بحر الخزر وكان فى هذين المحلين البوغاز القديم بين البحرين المذكورين ومع أن هذا البوغاز انسد على التدريج بتراكم نهر دون ونهر الاثل ونهر كوبان بقى زمنا طويلا بلا بعد التقلب العظيم الاخير الذى حصل للارض فلهذا ظهر لنا أن التاريخ لا يدل فى كلام بعض المؤلفين من الثقاة على شئ من هذا واعتقادات جغرافيى القدماء فى شأن عظم اتساع بحر الخزر جهة الشرق لا علقة لها بهذا البوغاز فان سفر الارغونوط فى البحر لا يمكن تفسيره تفسيرا كافيا بوجود هذا البوغاز وانما يمكن تفسيره بغير ذلك (راجع المقالة الثانية من الجزء الاول)

خطا فى هذا المعنى

واما توهم بناء اتصال هذا البحر الداخل بغيره على كسر بوغاز اسلامبول المسمى البسفورة ونسبة ذلك الكسر الى طوفان مفسد فقد ظهر أنه على خلاف الحقيقة الطبيعية اليقينية وذلك لأن وادى البسفورة هو بوغاز طبيعى لم ينشأ عن حادثة شديدة وبيانه أن المياه المجتمعة من بحر بنطش وبحر الخزر لو ارتفعت الى تسوية يحصل عنها طوفان شديد عام يترتب عنه ما تقدم لكان هذا الطوفان يفيض ايضا على اودية اخرى غير وادى البسفورة وايضا هذه الطوفانات العامة الادعائية ليست على الظاهر الا فيضانات محلية من بعض اجزاء من بلاد اليونان

نتيجة

فنقول ان سد البوغاز القديم بين بحر الخزر وبحر ازاق كان له وقوع قبل الزمن التاريخى وان بحر الخزر والبرزخ القوقاسى او القوقازى كانا من زمن هردوط كما فى زمن بطليموس على حالهما الذى هما عليه الآن وان البركة التى تكلم عليها بعض مؤلفى البوزنطنية وفهم من كلامه أنها موجودة فى القرن الرابع من الميلاد فى شمال كوه قاف ليست اصلا غير بحيرة بلشرتزكوا التى هى موجودة الآن

صب المياه فى بحر الخزر

ولكن ان قال قائل اين تذهب جميع المياه التى تصب من عدة انهر عظيمة فى بحر الخزر فهل تصب فى مهواتين تتصلان بمياه الخليج الفارسى كما زعم بعض قدماء ارباب السياحة أنه رآهما قلنا كيف ذلك مع أن هاتين المهواتين كانتا فى جميع الازمنة عند ارباب الارصاد الصحيحة من قبيل الاوهام وذلك لان اوراق الصفصاف التى تظهر على سطح هذا الجون لا يلزم أنها اتت له من نهر جيحون وانما يمكن أن تأتى من نهر الفرات واما مياه بحر الخزر فانها تفقد ما زاد عليها بالتصعد ابخرة مثل ما يحصل للبحر المحيط والتصعد فيه شديد جدا وهذا يدل على دوام رطوبة الهواء فى داغستان وشروان وكيلان ومازندران

المهواتان المفروضتان

سواحل

وسواحل بحر الخزر المتكونة شرقا من جبال وعرة هى محفوفة جنوبا بسهول رملية وفى عمقها كثير من الاصداف التى هى فى حالة رسوم وآثار واصداف اخرى مستحجرة وبه كثير من الطباشير وحجر البلاط وحجر النور المسمى حجر البوريطش وبه ايضا كثير من القصب الفارسى يزاحم السواحل ويستر عن النظر مصب الانهر

طبيعة المياه

والماء الذى بقرب مصب الانهر اقرب للعذوبة ويصير ماء ملوحة متوسطة فى المحال العريضة من النهر فيشتمل زيادة على العناصر الاصلية العادية المركبة للمياه البحرية على مقدار عظيم من ملح اغلوبر والظاهر أن هذا الملح يتولد من تحليل النفط الذى هو كثير فى الجبال القوقاسية وعروقه يتراءى أنها تمتد الى البحر ورياح الشمال الغربى توجب تناقص الملحية وتزايد المرارة وشدة نورانية المياه الدسمة الطينية ببحر الخزر شاهدها بلاس ولكن اللون الاسود الذى يتراءى ظهوره فى المحال العريضة او المصاب اما أن يكون سببه تخيلات نظرية اى اختلاف النظر او أنه لم تحسن ارصاده والجليد يستر غالبا الاجوان الشمالية بهذا البحر

اسماك

وكثير من الطيور المائية تهوى شطوط تلك البحيرة العظيمة وكثير من السمك يتولد فيها لاسيما سمك الاسترجون وهو صنف من السمك الكبير البحرى وهو من اعظم ما يصطادونه فقد اخذوا منه فى عدة سنوات ثلثمائة الف الى اربعمائة الف

صيد السمك

ولكن يفضلون على هذا الصنف لحلاوة الطعم صنفا آخر يسمى الاسطرليط وهو الاسترجون المبرقش ويسمى عند الموسقوبية سونيجة يصطادونه ويخرجون منه الخبيارى والغراء الصلب وقد قدروا أنه اذا اصطيد من هذا السمك فى السنة مليون ونصف تكون قيمته مليونا من انواع النقود المسماة روبلة ثم ان صنف السمك المسمى عند الموسقوبية بلوجا هو ما يسمى عند الفرنساوية هوسون وهو ضخم ضخامة عظيمة حتى ان الواحدة لا يمكن أن تجر

الاثلاثة من الخيل ويوجد هذا السمك فى بحيرة ارال وفى البحر الاسود وفى نهر طونة وفى كار نهر سبير الى نهر لينا وقد اخذوا من بحر الخزر فى سنة واحدة مائة الف من سمك الهوسون فبيعت بثلثمائة الف واربعين الفا وخمسمائة من النقود المسماة روبلة وفى هذا البحر ايضا اسماك فوكيه اى من السمك الذى يسمى بقر الماء واصنافه الى الآن ليست محددة تحديدا جيدا واما اصناف الاصداف والنباتات البحرية فليست كثيرة

بقر الماء

وجزائر هذا البحر مذكورة فى تخطيطات الاقاليم التى ينسب هو اليها وفى الغالب أن الجزائر المرتفعة فاقدة المياه والنباتات واما الجزائر المنخفضة فليست فى الغالب الا دكا رمال يحدق بها القصب الفارسى ثم ان عدد المينات الامينة العميقة قليل جدا واذا انضم الى قلة المينات تغير الرياح بهذا البحر بغتة كان السير فيه خطرا جدا

جزائر

ولا ينبغى لنا أن نطيل الكلام بذكر جميع الاسماء التى توارد على هذا البحر لان سردها يؤدى الى ضياع الزمن وانما نقول ان اسمه عند الافرنج البحر القسپيانى والظاهر أنه منسوب الى قسپ وهو اسم لجبل كوه قاف وهذا الاسم من الاسماء القديمة لذلك البحر ولما كان هذا اللفظ شائعا فى لغة اليونان واللاطينية كان ايضا مستعملا فى اللغة الكرجانية والارمنية والسريانية واحبار اليهود وربانيهم يسمونه بالبحر الميت واما التسمية التركية وهى خوسغون دانغيزى فقد ترجمت بعدة اوجه ولا وجه منها له معنى معقول وقدماء القسطنطينية قبل الملك قسطنطين يسمونه كالعرب بحر الخزر باسم امة قديمة ذات شوكة عظيمة وفى التواريخ السنوية المؤلفة فى البلاد الموسقوبية اشتهر فى القرن العاشر من الميلاد باسم غولين سكواية ويقال خولين سكواية مورة باسم امة تسمى الخوالبة وهى امة صقلبية لا تعرف وانما يعرف أنها كانت ساكنة على نهر الاتل وفى خرطات الاعصر الوسطى فى زمن يتعذر تعيينه أن اسم هذا البحر ماردى سالا وترجمه الخواجة وله بلفظ بحر مالح والظاهر أن تسمية بحر الخزر بذلك انما هى باسم مدينة سارا المسماة سراى التى هى قاعدة بلاد قبجاق فان هذه المدينة مسماة فى بعض الخرطات باسم سالا ولا نذكر هنا تسمية هذا البحر المأخوذة من اضافته الى الاقاليم المتصلة به كتسميته بحر هرقانيا وغير ذلك ولكن ما يوجد فى كتب المجوس المسماة زندا واسطى عجيب جدا فان هذه الكتب المنكرة الدالة على كثير من الاخبار القديمة تسمى بحر الخزر تشكاية ديطى ومعناه ماء الحكم والقضاء فهل طوفان نوح المشهور فى البلاد المشرقية له مدخل فى خسف نشأ عنه حدوث بحر الخزر

اسماء هذا البحر المختلفة

ولما فرغنا من تخطيط التاريخ الجغرافى لبحر الخزر وجب علينا أن نضم اليه نبذة ابحاث متعلقة به طبعا وهى مسئلة شهيرة فى مبسوطات الجغرافيا وهى هل نهر جيحون كان سابقا يصب فى هذا البحر اولا

ابحاث متعلقة بنهر مصب جيحون

وجوابه اننا اذا اقتصرنا على قراءة الجغرافيا اليونانية والرومانية بوجه اجمالى ولم نثق بشهادة ما فيها وناقضنا هذه الشهادة ظهر من ذلك رأى موافق فى هذا المعنى فنجد نهر جيحون يصب فى بحر الخزر فى الذهاب يمينا من الشرق الى الغرب وقد ذهب الى ذلك المذهب اسطرابونيس وبلنياس واما بطليموس فقد صرح بذلك ولكن بعض القرائن تناقض اتفاق هؤلاء الحكماء على هذا الامر وذلك لان عظم الاتساع الذى جعله هؤلاء الجغرافيون لبحر الخزر من جهة الشرق وسكوتهم على بحيرة خوارزم يقتضيان أنهم كانوا يرون أن هذه البحيرة جزء من بحر الخزر وأنهم بادعائهم اجتماع نهر جيحون ببحر الخزر يكون قصدهم به اجتماعه الحقيقى ببحيرة خوارزم ومن كان بيده خرطة ظهر له ما قلنا بالتأمل اذا تذكر العبارة التى اثبتها اسطرابونيس من أن نهر اكزرطس وهو سورداريا يصب ايضا فى بحر الخزر على عبارتهم فان اتجاه مجرى هذا النهر يجعل مصبه فى بحر الخزر مستحيلا فحينئذ ما وقع فى هذا النهر من الخطأ البين وقع نظيره بالنسبة لنهر جيحون فما كان باطلا بالنسبة لاحدهما فهو باطل بالنسبة للآخر ولكن كلام بعض القدماء ممن يوثق بهم يقتضى أن مجرى نهر جيحون كان فى الزمن القديم كحالته التى هو عليها الآن وهذا البعض هو پونپونيوس ملا فانه بعد أن جعل هذا النهر يجرى من الشرق الى الغرب جعله يجرى على الاستقامة الى الشمال وجعل له مصبا فى خليج سماه بالخليج الاسقيثى فمن الواضح أن هذا النهر قبل وصوله الى بحر الخزر يلزم أن يجرى من الشرق الى الغرب ولو كان به انعطاف الى الشمال لما امكنه أن يلاقى حوضة الاحوضة بحيرة ارال التى يعتقد المؤلفون الذين تبعوا مذهب ملا أنها جون من البحر المحيط الشمالى المسمى الاسقيثى وتسمية دنوس البريجيطى لنهر جيحون على وجه مخصوص تدل على أنه لم يجعل مصبه فى بحر الخزر حيث جعل مصبه فى نهر الصغد او فى نهر خوارزم ولم يجعل مصبه اصلا عند امة لدربقة وهى امة تشغل ضواحى بحيرة بلكان فالظاهر حينئذ أنه عرف انعطاف هذا البحر جهة الشمال

خطأ مشترك بين القدماء

مذهب پونپونيوس ملا

ثم عبارة مهمة ذكرها بطرقليس ونقلها عنه اسطرابونيس تدل صراحة على أن نهر جيحون كان مصبه

رأى بطرقليس

فى المحل الذى هو عليه الآن ونص عبارته ذكر بعضهم أن نهر اوخوس المسمى تيجان يجرى فى داخل بلاد بخاوى وآخرون يجعلونه يجرى على حدود هذا الاقليم ويقولون انه مغاير لنهر جيحون الى حد مصبه وأنه ابعد منه جنوبا وان كان جميع النهرين يصبان باقليم هرقانيا والقائلون بأنه يجرى فى داخل بخارى يقولون ان هذين النهرين مختلفان ومفترقان من اصلهما ولكن يجتمعان وان فرش جيحون يكون فى الغالب من سبع استادات الى ثمانية من العرض ولاشك أن نهر ايكزرطس المسمى سورداريا من مبدءه الى منتهاه يخالف نهر جيحون وان كان يصب فى البحر الذى يصب فيه نهر جيحون قال بطرقليس ان احدهما بعيد عن مصب الآخر بنحو ثمانين فرسخا اسلاميا فارسيا والفرسخ الفارسى ستون استادة على قول بعضهم وثلاثون على قول بعض آخر وقيل اربعون

مسافات بين نهرى جيحون وسورداريا

انتهت عبارة اسطرابونيس . فاذا قسنا بفتحة بيكار المسافة الواقعة الآن بين المصب الابعد جنوبا لنهر سورداريا والابعد شرقا لنهر جيحون وجدناها درجتين وعشرين دقيقة وهذا المقدار يساوى الفين وخمسمائة واثنتين وتسعين استادة مما تقوم الدرجة فيه بالف ومائة واحدى عشرة استادة وتسع استادة وحيث كان الفرسخ مأخوذا له ثلاثون استادة فالمسافة على كلام بطرقليس تكون الفين واربعمائة استادة وهذا العدد هو قدر ما ذكره ايراطسثنيس كما نقله اسطرابونيس فيما تقدم فحينئذ المسافات القديمة والجديدة متفقة تقريبا وهذا الاتفاق يظهر أنه عجيب اذا امتحنا هذه المسافات المأخوذة على امتداد شطوط بحيرة ارال فتكون حينئذ ثلاثة آلاف وثلثمائة وعشرين استادة اوثلاثة وثمانين فرسخا كل فرسخ اربعون استادة فاذا جعلنا اقصى النهايات المصب الابعد غربا لنهر جيحون اوالابعد شمالا لنهر سورداريا كانت المسافة اثنين وثمانين فرسخا لكل فرسخ ستون استادة فحينئذ الاقوال الثلاثة التى ذكرها بطرقليس اوالتى ذكرها العجم الذين راجعوا عبارته تدل على أن مصبى جيحون وسورداريا كانا فى الزمان القديم على بعد واحد من بعضهما كما هما الآن فاذن كل منهما كان يصب فى بحر ارال

نتيجة

وقد بقى علينا أن نبرهن على أن اليونان والرومانيين لم يكن عندهم فى كتبهم معرفة صحيحة يقينية متعلقة بمصب نهر جيحون ولكن الاخبار التى التقطوها من اقوال غيرهم وعدة مسائل جغرافية وصلتهم الى آن استظهروا بها أن هذا النهر كان مجراه ومصبه فيما مضى هما عين مجراه ومصبه الآن فلم يجعله اليونان والرومانيون يصب فى بحر الخزر الا لنتيجة صادرة عن مذهبهم الفاسد بالنسبة لهذا البحر فهم فى الحقيقة جعلوا مصبه فى بحيرة ارال

اراء جغرافيى العرب والعجم

وكتب المشارقة يمكن أن يستخرج منها عدة معارف تزيل جهل الافرنج فى هذا المعنى لكن لما كان لا يمكن للافرنج أن يراجعوا الكتب المشرقية بلغتها الاصلية المؤلفة بها لم يمكنهم البحث تفصيلا فى آراء المشارقة المتعلقة بهذه الانهر وانما يقال ان ابن حوقل الذى تبعه ابو الفدا رسم نهر جيحون على وفاق خرطات الافرنج الجديدة وجعل مصبه فى بحيرة خوارزم التى يسمونها بحيرة ارال ثم ان ابا الفدا ذكر عبارة لم يقرها منقولة من كتاب رسم المعمور حاصلها أن ذراعا من نهر جيحون يصب فى البحر الاخضر يعنى الخليج الفارسى ونقل الجغرافى العثمانى الحاج خليفة عن حمد الله جغرافى العجم أن فرعا من نهر جيحون يتوجه جهة بحر الخزر ويجتاز فى طريقه وادى حرلاوة ويسمع له هناك خرير ودوى عظيم ثم ان عبد الكريم السياح الذى شاهد الاماكن من سنة ١٧٣٠ الى سنة ١٧٤٠ قال ان نهر جيحون لا يصب فى اقليم مازندران كما قاله بعض المؤلفين بل لا يصل الى بحيرة خوارزم لان فى طريقه احاديد لحاجة الزراعة فهى تشرب مياهه بالكلية اﻫ

اسفار الافرنج

وسياحو الافرنج فى القرن السادس عشر والسابع عشر من الميلاد يظهر أنهم عولوا على كلام بطليموس اكثر مما شاهدوه بأعينهم والا لما تناقضت عباراتهم غاية التناقض وذلك لان هنوية وبروسة وينقسون زعموا جميعا أنهم عرفوا فرعا من نهر جيحون يبس وكان سابقا تجرى مياهه اوجزأ من مائه فى بحر الخزر ولكن احدهم وجد مصب هذا الفرع بقرب سلسورة فى اثنين واربعين درجة ونصف وآخر منهم وجده فى جون بلكان الكبير فى تسع وثلاثين درجة واما اطلس الموسقو الذى ظهر عن قريب فجعله فى الجون الصغير المسمى بلكات وكما لا يعرف مصب هذا الفرع بوجه صحيح كذلك لا يعرف المحل الذى انفصل منه هذا الفرع من نهر جيحون عن الفرع الذى يصب فى بحيرة ارال فبعضهم جعل مبدء انفصاله فى هزرسب وآخرون فى وزيرفند وبعضهم ينحدر الى اورغنز بأن يجعله ينفصل هناك وبالجملة فتاريخ يبس هذا الفرع وتجفيف التتار له هو ايضا امر غير متين واقواله متناقضة فجغرافيو العرب الذين نقلنا آراءهم آنفا لم يسلموا يبس فرع من نهر جيحون فى الازمنة الجديدة فوجب أن يكون ذلك سابقا على زمن ابن حوقل يعنى القرن العاشر بخلاف الموسقوبية فانهم زعموا أن فى نحو سنة ١٧١٩ من الميلاد

اخبار الموسقوبية

جفف التتار هذا الفرع لمنع نية التغلب على البلاد

ولنبسط الكلام على حكاية الموسقوبية المتعلقة بتشعب مياه نهر جيحون وهو تشعب ادعاءى فنقول ان بطرس الاكبر سمع أن رمال الذهب تجرى فى نهر كزل داريا الذى يجئ من الشرق ويصب فى جيحون حتى توهم بعضهم أنه هو عين جيحون فاراد أن يتغلب على البلاد التى يرجو أن يجد بها معادن ذهب عظيمة ويتوصل بها ايضا لفتح تجارة بينه و بين الهند فبعث ملاحين ليبحثوا عن مصب كزل داريا الذى كانوا يعتقدون أنه يصب فى بحر الخزر فوجدوا نهرا لم يعينوه ولعله نهر تيجان فاعتقدوا أنه كزل داريا فلما استشار حكماء بلاده قضوا بانه نهر جيحون فعزم على غزوة وجهز لها ما يلزم وامر اسكندر بقويطز وهو ابن امير من امراء الجراكسة ويوزباشى وردبان لجيار الموسقو وكان خبيرا بلغة التتار أن يوصل فرقة قدرها ثلاثة آلاف نفس الى المصبات الادعائية لنهر كزل داريا وأن يتغلبوا على الاراضى المجاورة لهذا النهر فلما رأى التتار الموسقو قد رجعوا عدة مرات الى هذا المحل حولوا على ما يقال مجرى هذا النهر فسدوه بسد عظيم واوصلوه الى بحيرة خوارزم بثلاثة خلجان فوصل بقويطز بجيشه وبحث عن النهر الذى قصد أن يصعد فيه الى خيوا فلم يجده ولم يكترث بهذه الحادثة بل بنى قلعة من الحجر الكلسى ومن معجون الجير والصدف كالخافقى ولحم هذه الاحجار على رأس قراغنسكوى وجعل هذه القلعة رباطا لعساكره ثم هجم بعد ذلك بهم على خيوا فمضى خان خيوا ليلتقى معه قائدا جيشا جرارا ولكن لما كان مع عساكر الموسقو مدافع افرنجية انتصرت فى اقرب وقت على عساكر الخان فلما رأى الخان نفسه مغلوبا وايس من النصرة بعث لقائد عسكر الموسقو يسأله عن سبب هذا الحرب واى مظلمة للموسقو واى شئ يطالبونه منه فانه يدفعه فلما كان هذا الامير متولعا بهذا الفرع الادعاءى لنهر كزل داريا طلب من الخان أن يهدم السدود التى منعت النهر من أن يصب فى بحر الخزر ويرجع اليه مجراه القديم فاجابه هذا الخان بأن هذا العمل ليس فى طاقته ولا قوته فانه لا يمكنه أن يسد الخلجان التى جرى فيها هذا النهر الآن فاجابه القائد الموسقوبى بأنه يفعل هذا العمل مع اصحابه بشرط أن يضمن له الامان وعدم التعدى عليه وطلب من الخان رهينة فى نظير ذلك ففرح التتار بهذه المشارطة وسلموا الرهينة فاستخدمت رجال الرهينة عند الموسقو ليدلوهم على الطريق فدلوهم مدة خمسة ايام على الفراش الادعاءى اليابس من هذا النهر فلم يصادفوا فى طريقهم الا بركا صغيرة راكدة الماء ولحق عساكرهم ظمأ شديد فاشار عليهم الرجال الذين كانوا يدلونهم على الطريق باشارة مطمح نظرهم فيها الغش والغدر وهى أن يتفرقوا فرقا صغيرة ويسلكوا طرقا مختلفة فالجأت الضرورة رئيس هؤلاء الموسقو أن يتبع نصيحة اعدائه فبمجرد تفرق هذا الجيش القليل فى صحارى مجهولة ترصد لهم التتار واغاروا عليهم من كل جهة لقتلهم فضربوا اعناق بعضهم واسروا البعض الآخر وكان فيهم قائد الجيش فلما تمثل بين يدى الخان قطعه اربا ثم سلخوه وصنعوا من جلده طبلا باقيا فى مدينة خيوا علامة على النصرة لتدل من بعدهم على سوء عاقبة هذه الغزوة التى نواها الموسقو من غير تبصر فى العواقب فوصل الخبر الى بلاد الموسقو من العساكر الذين كانوا باقين فى قلعة قراغنسكوى لانهم هربوا فى السفن ومضوا الى بلادهم

فهل هذه الحكاية تقلب علينا اعتقادنا فى قديم مجرى نهر جيحون بل يظهر لنا أنه لا يمكن ان يحكم العقل بأن امة تتارية ضعيفة يمكنها فى سنة اوسنتين أن تعمل سدودا عظيمة توجب تشعب نهر عظيم الى عدة شعب فالاقرب أن يتصور أن فرقة من الموسقو بعثت مقدمة لترود المصب الادعاءى لنهر كزل داريا فعلطت فى استمرارها على الصعود مدة فرسخ اوفرسخين الى واد مملوء بمياه المطر التى صادفت هذه المقدمة فلما رأى التتار أن بقويطز قد تصدى لتحصيل غرض ادعاءى لم يوقفوه على حقيقة الامر حيث رأوا ان مصلحتهم انما هى فى الاخبار بخلاف الواقع

وجميع هذه المسائل يمكن حلها اذا كان ثم سياح صاحب معارف وبيده ميزان الهواء يذهب برا من غوريو الى استراباذ طائفا ببحر الخزر من جهة الشرق ثم ان خرطات الموسقو مرسوم عليها اودية رملية بين مجرى نهر جيحون الآن وبحر الخزر ولكن لا يعلم ماسبها ولا على اى قول من اقوال الثقاة بنيت عليه وقد ذكر جرجى فى تخطيطه لبلاد نرستو وعمان فى سياحته أن تلك الارض مملوءة بسلاسل جبال تخرج من صحراء الغرغيز وتمتد الى استراباد وتتصل بالكلية حوضة ارال من حوضة بحر الخزر

ولا يمكننا أن ننفى صحة هذه الدعوى لكن قد ذكرناجزالا واضحا على درجة تأذن به المعارف الموجودة فى عصرنا

غزوة اسكندر بقويطز فى نواحى بلاد خيوا مع التتار

مصيبة الموسقو

نتيجة هذه الحكاية

﴿ المقالة السابعة والخمسون فى تخطيط آسيا ﴾

التتار المستقلون المسمون بهذا الاسم حقيقة وارضهم تشتمل على بلاد بخارى الكبرى وخوارزم والتركمانيا وتركستان وبلاد الغرغيز او الخرخيز

الاقاليم التى على شرقى بحر الخزر ويرويها نهرا سيحون وجيحون تسمى عند اليونان اسقوتية اسيا طيقية فالظاهر أن الاسقوتيين الحقيقيين فى اوروبا وهم امم الجنس الفينى الذى تتكلم عليه فى محله سكنوا تلك البلاد

اسقوتية اسيا

باسيا فى ازمان متقادمة جدا لكن الامم الذين يجعلهم التاريخ اهالى بلاد اسقوتية آسيا يظهر أنهم لم يخالفوا فى اصلهم التتار الموجودين الآن والاسماء التتارية للانهر والجبال والاقاليم تتميز من بين الاسماء الفارسية التى ذكرها جغرافيو اليونان من عهد اسكندر ولم يوجد فيها اثر من اللغات الفينية فليست تتار آسيا من تتار اوروبا وهم الفينية وايضا من عصر اسكندر الى القرن الرابع او الخامس من الميلاد لم يثبت فى التاريخ أنه وقع مهاجرة وهيج عظيم حدث به فى آسيا نزلات جديدة من اوروبا

ولكن القبائل ذات الغارات الرحالة النزالة لا بد لها فى الغالب من تغير الرتبة والاسم والمكان فامم الساقة والمساجيطة محيت من الخرطات بين القرن الثانى والرابع من الميلاد ولم يبق لها اثر وبلاد الفرس وبوزنطيا عرفوا اسماء اتراك ماوراء النهر الذين هم ارباب سطوة واسماء الهونس البيض الذين يقال لهم ايضا افتاليطة وانما سميت بذلك لانها كانت

قدماء الترك

تسكن على نهر جيحون المسمى ابطلاه باللغة الفارسية والظاهر أنها امة تركية لا تغاير اصلا الاوزة المسماة اوزبك التى بعد عدة فتن بقيت صاحبة بخارى الكبرى ومستولية عليها ثم أن الترك الذين كانت دار مملكتهم طراز ثم اوترار سموا قطعة عظيمة من الارض باسم تركستان وجميع الامم الذين نسميهم بالتتار انما يسمون انفسهم جميعا باسم الترك ولم يعلم الى الآن هل يجب محو هذا الاسم من كتاب پونپونيوس ملا وكتاب بلناس وعلى فرض ثبوت هذا الاسم فيهما فهو موجود قبل تأليف هذين المختصرين وشهرته مذكورة فى كتب الاسلندية المسماة الساغا ويظهر منها أن بين امة الغوط والامم التركية لحمة وقرابة وآثار هذه القرابة توجد فى تشابه لغات هاتين الامتين

التتار او الترتار

ولم يشتهر فى بلاد اوروبا اسم التتار الا فى القرن الثانى عشر من الميلاد فقد ذكر ابو الغازى أنه يوجد من هذه القبائل التركية الرحالة النزالة قبيلة تسمى التتار وذكر أنها اعظم قبائل امة الترك العظيمة وقال ايضا ان هؤلاء التتار ينقسمون الى عدة قبائل وان احداها فى حروب وسفك دماء مع امة الصين وهذا يوافق ما فى تاريخ الصينيين وثم رأى آخر يرى أن اسم التتار اجنبى عن الامم التركية وانه جاء اليهم من بلاد الصين والواقع أنه يظهر أن الصينيين يسمون باسم تتار الامم الرحالة النزالة ببلاد آسيا الوسطى ثم ان بعض العلماء الصغار رسنا وهو الحكيم اثيان كاترومير عزم على أن يؤلف رسالة يبرهن فيها على أن التتار كانت امة موغولية وليست تركية

اطلاق اسم التتار

وعلى كل حال فاسم التتار تغير الى لفظ ترتار باللغات الافرنجية وكانت له شهرة عظيمة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الميلاد بحيث انه اغار على جميع آسيا الوسطى والشمالية فاباد اسم المغول وان كان المغول قد تسلطنوا على التتار والظاهر أن سبب هذا هو نصرات جنكيزخان ملك المغول وذلك أن التتار لما دخلوا تحت طاعته انتظموا فى سلك جيوشه وجيوش خلفائه فكانوا اكثر عددا من رعايا هؤلاء الملوك المغولية حتى آل الامر الى أن تنوسى اسم المغول الغالبين للتتار ومما يدل على ذلك أن لغة التتار صارت هى المستعملة فى البلاد الجنكيزية التى اهلها ارباب لغات مخصوصة لا يعرفون التتار من المغول وايثار لغة التتار على لغة المغول انما هو لكثرة عدد التتار الذين اقتسموا مع المغول فخار الغزوات والنصرات ولولا ذلك لما قدمت لغة التتار على الاخرى

الاختلاف بين التتار والمغول

ثم ان الاختلاف بين التتار والمغول بتقاطيع البدن وتناسب اعضائه وتقويم الجسم وباللسان كالاختلاف بين المغاربة والزنوج وذلك لان التتار قدودهم طوال ووجوههم افرنجية وان كان لونها مشوبا بالصفرة وشعورهم مسترخية ولحاهم طوال بخلاف المغول فان شكلهم مهول وذلك لانهم قصار جدا وانوفهم فطس وخدودهم بارزة واذقانهم قليلة الشعر وشعورهم واقفة يابسة فهذه هى حالة المغول المقيمين بالصحارى على أن بلاد هذين الجنسين منقسمة بالطبيعة الى قسمين طبيعيين وذلك لان المغول الذين هم امة القلموق فرع منهم يسكن جميع الهضبة الوسطى من بحيرة بلكاتى ومن جبل بلور الى السد الاعظم والى جبال سيولكى التى تفصل الفرع المذكور من المنجو وهى قبيلة من جنس التنغوزة واما التتار فقد انتهى امرهم أن صاروا مستولين على الاقليم الواسع الذى يمتد من جبال بلور الى بحيرة ارال والى بحر الخزر ويمكن أن تسمى ببلاد التتار او تركستان والمعنى واحد

ثم ان التتار سكنوا بخارى الصغرى بل واستولوا عليها لكنهم استولى عليهم ايضا فيها القلموق وايضا قد تملك التتار مملكة سبير المسماة ايضا تورا ومملكة قزان ومملكة ازدراهان ومملكة القرم وهذه الممالك يقال لكل واحدة منها خانة لان الحاكم عليها يقال له خان ولكن هذه الخانات الاربعة تغلب عليها الموسقو وبقى فيها كثير من التتار بعضهم على نهر تبول ونهر ارتيش الى ينسية فى سبير وبعضهم فى نواحى قزان وبقى منهم عدد قليل فى بلاد القرم وآوى الى جبل قوقاسة منهم بعض قبائل فهذا هو الاطلاق المتوسع فيه بالنسبة لاسم تتارستان اذا اعتبرنا بلاد التتار واما اذا اعتبرنا اسم التتار المستقلين فانا نجدهم محصورين فى بلاد ضيقة لا يشغلون الا القسم الطبيعى المحدود شمالا بجبال الجيدمزالو ومعنى هذه الكلمة مجرى ارتيش وغربا بمجرى اورال وبحر الخزر وجنوبا باقليم خراسان وجبال الغور وشرقا بسلسلة جبل بلور

حدود التتار

ففى الجهة الشمالية يفصل بلاد التتار من بلاد الروس برية ايسيم ونهر يايق وجبال بلور يفصلها من البلاد الصينية وفى جهة الغرب يكون بحر الخزر حدا طبيعيا لها واما من جهة الجنوب فليس لها حد طبيعى بهذه المثابة يحميها من غارات الافغان الذين استولوا على مدينة بلخ ولكن الجغرافيا تعتبر بلاد التتار كأنها تمتد جهة الجنوب الشرقى الى جبال هندوكوه التى تفصلها من اقليم كابل الذى هو اقليم من اقاليم الهند

وهذه البلاد اذا قطعنا النظر فيها عن برية ايسيم التى يتطلبها الموسقو يكون قياس ارضها ستين فرسخا مربعا ولكن الظاهر أن اهلها ليسوا ازيد من خمسة ملايين

وحاصل تقسيماتها الاصلية أن نقول ان فى جهة الشمال بلاد الغرغيز مع اقليمى قراقلبك وأرلسان وولايتى تشكنت وتركستان وعلى الغرب بحيرة خوارزم مع بلاد التركمان وفى الجنوب الشرقى بخارى الكبرى مع مدينة فرغانة وبلاد الصغد وبلاد اوسرونة وغير ذلك

طبيعة الارض

فبلاد تتارستان على هذا الحد الذى ذكرناه يمكن أن تكون الميل الغربى من الربوة الكبرى لبلاد اسيا الوسطى فهى عبارة عن حوضات متتابعة تتصل ببحر ارال وبحر الخزر ثم ان تسوية هذا الجزء العظيم بهذه البلاد لابد أن تكون منخفضة ولكن ثم جبال تحتاط بها كالدائرة من جهتى الجنوب والشرق وبعض الجزء الشمالى واصول الجبال بها جهة الشرق جبال بلور التى اتفقت جميع الاخبار على أنها سلسلة جبال مغمورة بالثلوج المستمرة وهذه السلسلة متواصلة فى الشمال الشرقى بجبال تسمى الالئ ويقال لها ايضا الالئ اولا وهى ببلاد الغرغيز وفى شمال بخارى الصغرى تتصل بجبل بغدو الكبير وهو اعلى جبل بأسيا الوسطى على قول المغول والتتار وجبال الالئ تسمى ايضا جبال المسرة على ما قاله بلاس وهى ذات زلاقات وفى الجنوب يكتنف بخارى الكبرى جبل هندوكوه وجبال الغور التى يظهر أنها عبارة عن امتداد سلسلة بلور وعلى كل حال فلا يعرف الافرنج فى هذه الجبال تقطعات الا حلقا ضيقا فى جنوب اندراب والجزء الشرقى من حوضة جيحون يكتنفه جبال مملوء بها ايضا وفى خلال هذه الجبال يحط النهر مسلكا غير بعيد من مدينة ترمذ وعرض هذا المجاز ليس الا مائة خطوة واسمه بالفارسى دهن شير ويسمى ايضا فم الاسد ومن اسمه يظهر أنه مهول وبعد ذلك تبتدئ السهول الرملة فتشاهد بين حوضتى جيحون وسيحون المسمى سورداريا امتداد سلسلة الجبال المسماة اكطو يعنى الجبل الابيض وهو فرع خارج من جبل بلور واما جبل كوجك طاغ اى الجبل الصغير الذى هو مرتفع فى بلاد غرغيز فانه كما هو الظاهر طرف الفرع الخارج من السلسلة الثانية وجبل اورال ينتهى بين منابع نهر تبول وقلعة اوركا ومن هنا ينفصل الى سلسلتين احداهما جهة الشرق تجتاز برية الغرغيز الى نهر اشيم وتسمى غرغيز اولونو يعنى غرغيز الجبل الاكبر ومن اشيم الى نهر ارتيش تسمى باسم جبل الجنسكى وهى كلمة روسية وتسمى باسم الجيدمشالو بلغة القلموق والاخرى ذات ارتفاع متوسط تهتدى جهة بحيرة ارال وتسمى باسم مغولدشار وهى تفصل بحر الخزر وتتواصل على مايظن فتسمى بجبال منجسلاك وهى بلاد التركمانيا الى خراسان

جبال بلور الالئ

مجازات دهن شير

اكطو

اولونو

الجيدمشالو

برية غرغيز

ثم ان البرية العظيمة التى هى سهول خالية عن الانيس وكل شئ تشغل مسافة تزيد على نصف بلاد التتار وبلاد الغرغيز هى مجموع تلك السهول الا ماندر وثم صحراء فى شمال بلاد بخارى الكبرى وصحراء اخرى على الغرب منها واقليم خوارزم تحيط به الصحارى من جميع الجهات فالشطوط الشرقية من بحر الخزر ليست الا سلسلة رمال طويلة وصخور مخلة والظاهر أن جميع الارض المسطوحة الداخلة بين سفوح الجبال وكذلك اودية الانهر هى ايضا يابسة عقيمة

انهر

وثم نهران عظيمان يرويان بلاد التتار المستقلة وهما آمو وسور ويضاف الى هذين الاسمين لفظ داريا ومعناه

نهرو جغرافيو المشارقة يسمون الاول جيحون والثاني سيحون

امو او جيحون

فنهر جيحون المسمى آمو يخرج من جبال بلور على اكثر من سبعين فرسخا في الشمال الشرقي من بلادخشان وكان يسمى اولا باسم هرات وبعد أن تصب فيه عدة انهر من جبل اكطو الذي يحتوى عليه شمالا ومن هندوكوه الذي يتركه جنوبا ينزل بقرب ترمذ في السهول ومياهه التي تزيد بنهر دهار المسمى نهر بلخ وبعدة انهر اخرى صغيرة تنزل من جبال الغور تهتدى جهة الشمال الغربي وتصب في بحر ارال الذي يظهر دائما أنه المصب الاصلى لهذا النهر وجميع مجرى ذلك النهر العظيم يفوق مجرى نهر دجلة لان الظاهر أن مجراه لا ينقص عن ثلثمائة وعشرين فرسخا وبه كثير من الاسماك المختلفة الاصناف

ومن الانهر التي تصب بعض مياهها اوكلها في نهر جيحون ثلاثة انهر مشهورة وهي نهر الصغد أي نهر سمرقند ونهر مرغاب ولكنه على ماقاله بعضهم يصب في بحيرة منقطعة عن نهر جيحون والثالث نهر كزل داريا يعنى النهر الاحمر وهو اطول الثلاثة واعظمها ومنه فرع يصب في بحر ارال

نهر السور او سيحون

ونهر السور المسمى ايضا نهر الساش يخرج ايضا من جبال بلور وبعد مجرى نحو مائتى فرسخ يصب في بحر ارال على الشرق وقد سمى ابن حوقل هذا النهر شاجه او شاش واول منبع لنهر السور هو نهر نارين الذى ينبع في جنوب بحيرة توسول في جبال الالت في محل اجتماعه بجبل بلور على القرب من منابع نهر تالاس وفي مدينة اوترار يزيد نهر سور من مياه طاراس حتى ان بعضهم يقول انه عين تالاس وآخرون يقولون ان نهر تالاس كنهر زوى يصب في الرمال اوفي بحيرة صغيرة ونهر السور يستعمل باقى مجراه في اجتياز صحراء يقال لها بوروق ولا مانع من أن عدة بحيرات صغيرة وبرك تجمعه بنهر سراسو الذي يجتاز بلاد الغرغيز والذي يجرى فيه ايضا نهر ايرغيز ونهر تورغاى وهما يصبان في بحيرة في شمال بحيرة ارال وعدة من هذه البحيرات والانهر مهجورة الآن ومنسية الذكر وقد كانت سابقا شهيرة بنصرات جنكيزخان واتباعه حين اغاروا على شمال بحر الخزر فانهم اذذاك فتحوا جزأ عظيما من بقية روسية اوروبا

بحيرة ارال

واعظم بحيرة في تلك الاقاليم هي بحيرة ارال وسماها بعضهم بحر النسور او العقبان وعند المشرقيين تسمى بحيرة خوارزم وتسمى ايضا بحيرة اوغوز ومياهها تكاد تكون عذبة وبها كبحر الخزر السمك المسمى بقر الماء والنوع الآخر المسمى استرجون ولكن لوكانت بحيرة ارال اتصلت ببحر الخزر في زمن من الازمان لم يكن محل اتصالهما الابوغازا ضيقا لان السهول التي تفصلهما منه مرتفعة جدا بل قال بعضهم ان بينهما جبالا حقيقية والشطوط الشرقية من هذه البحيرة مسطوحة سبخة

بحيرات مالحة

وغير هذه البحيرة من بحيرات التتار وان لم يكن شهيرا باتساعه فهو شهير بكون طبع مياهه الملوحة وقد ذكرنا فيما تقدم هذا النوع من البحيرات بما تقتضيه القوانين العامة في الجغرافيا الطبيعية

ومن الغريب أن البلاد الجبلية جهة منابع جيحون وسيحون ليس بها متراكم بحيرات عظيمة كما في سبير العليا وكما هو كثير عادة بجوار سلاسل الجبال الكبرى

قطر

وقطر بلاد التتار عادة طيب بل الحر في الاجزاء الجنوبية معتدل بقرب الجبال التي برؤسها الثلوج مستمرة ولوكانت موضوعة بموازاة اسبانيا واليونان وتركية آسيا فان قربها من صحارى سبير ومن جبال التبت يجعل صيفها معتدلا طريا والشتاء في شمال نهر سور تكون في بعض الاحيان باردة وقد ذكر لنا المؤرخ شرف الدين

وصف الشتا

صورة ماذاقته جيوش تيمورلنك المجتمعة على شط هذا النهر لتسير الى بلاد الصين فقال ان بعض العساكر فقد انفه واذنيه والآخر فقد اطرافه والسماء بهذه النواحى ليست الا غيوما كما أن ارضها مجرد قطعة ثلج انتهى

تولدات

والظاهر أن بلاد التتار ليس فيها لارباب السياحة من علماء المواليد الاصناف تولدات ومناظر من قبيل ما في الجهات القوقاسية وتمتد الارض ببلاد التتار فتكون في بعض الاماكن سهولا مبسوطة مستورة بحشيش خشن اومتراكم رمال متموجة وفي بعض آخر تخترقها انهر لاعدد لها وتلال ظريفة وجبال وعرة والغابات بها نادرة في الغالب كما في بلاد العجم الشرقية ولا مانع أن يكون بها غابات عظيمة مجهولة على جنبات جبال بلور وخصوبة ارضها تظهر على شط الانهر حتى ان النباتات في بعض الاماكن تتجاوز قامة الرجل والارز وكذا غيره من الحبوب يزرع فيها في عدة اقاليم مع التدبير والصناعة والنجاح ولوكانت هذه الاراضى في ايدى غير التتار لصارت زاهرة عامرة ومما يصح في بلاد بخارى

معادن

العنب وعدة اشجار مثمرة من اشجار اوروبا الجنوبية والظاهر أن جبال الجنوب الشرقي وجبال بلور وهندوكوه مشتملة على الذهب والفضة واللازورد وعلى نوع آخر مخصوص وعلى الياقوت الاحمر الذى هو بلورى دى اللون

لكن

لكن به ذبول ويسمى بالافرنجية ياقوت بلاسيا وانما سمى بذلك اخذا من اسم بلسقيا وهى أرض محلها غير محقق وفى القرن العاشر من الميلاد قبل تعطيل صناعة اهل البلاد المتأصلين بها بسبب الظلم كانوا يأخذون من فرغانة التى هى كورة جهة منابع سيحون النوشادر والزاج والحديد والنحاس والرصاص والذهب والفيروزج ومن ذلك

معادن قديمة

الوقت لستكشفوا فيها معادن الزئبق وكان ايضا بجبال زرقا عيون نفط وقفر وحجر يلتهب ويحترق كما قاله بعضهم وهذا الوصف يليق بفحم الحجر وسنبسط الكلام ازيد من ذلك فى ذكر الاراضى المعروفة معرفة جيدة ولكن لنذكر هنا تنبيها عاما وهو أن كلام اسطرابونيس الذى انتهت معارفه جهة جيحون يقتضى أن اسقوثية هذه الاقاليم ليس عندهم حديد ولا فضة وانما يكثر عندهم الذهب والنحاس واستخراج هذين المعدنين اسهل من غيرهما فلذا كان الغرض من الاعمال القديمة المعدنية الواقعة فى جبلى التاى واورال المعزية لامة الايغورية والفينية انما هو الذهب والنحاس

بلاد الغرغيز

ولنبدأ بتخطيطنا البلاد التتار بالوجه الشمالى فانه فى الحقيقة يمكن بواسطة قافلة موسقوبية من اورنبورغ الدخول فى هذه البلاد التى لم يذهب اليها سياحو المتأخرين كثيرا فنقول ان ارض الغرغيز الواسعة هى اول الجهات الشمالية والحدود بين هؤلاء القبائل الرحالة النزالة ومن جاورهم من الصينيين والروسية ليست محدودة على وجه ثابت وذلك

مقر قبائل الغرغيز الثلاثة

أن القبيلة الصغيرة من قبائل الغرغيز تعيش بين نهر يايق وبحر ارال وحوالى اورنبورغ والقبيلة الوسطى تسيح فى شمال بحيرة ارال الى نهر سراس فى الجنوب الشرقى وهى فى الغالب تنزل خلف جبال الجيد مشالو فى صحراء ايسيم ثم ان الروسية يدخلون فى خرطاتهم جميع هذه المسافة فى حدود سلطنتهم ولكن ولاية الروس على ذلك انما هى ولاية اسمية فقط اى فى الظاهر واما القبيلة الكبرى فان حكمها يمتد فى الجنوب الشرقى من بحيرة ارال على شطوط نهرى سراسو وسير والى مدينة تشكنت بل والى فرغانة اذ لا مانع من ذلك

طبيعة الارض
جبال

وانما عرفت هذه الاراضى معرفة هينة بواسطة غزوات الموسقو فظهر من ذلك على العموم أن الارض انما هى صحارى عالية كثيرة الرمال او جبال رملية مشوبة بتلال من الطفل ومقطوعة بسهول واسعة مالحة حيث تصب عدة انهر فى الرمال او فى برك وبحيرات مالحة وجبال اولوتو تبتدئ بتلال من الصفائح الطفلية والبلاطية ثم بعد ذلك تجتاز بصخور كاسية بل وصوانية ولو فى بعض المواضع وبها ايضا هدفات من حجر اليشب ومن حجر الكوارتز الذى لونه كاللبن وفيها عدة امارات تدل على وجود معدن النحاس والفضة والرصاص بها وكذلك حجر الطوباز على مازعمه بعضهم وثم جبل منعزل مركب من احجار الحديد المغناطيسى الرديئة وجبل آخر من الطلق وبجبال الجنسكى نظير هذه الاشياء المتقدمة ويوجد قبل هذه الجبال من جهة الجنوب صف من تلال الجبس

قطر
ورياح باردة
بحيرة اندرسك
المالحة

وفى هذه الارض مدة الشتاء ريح شمالية شديدة جدا مصحوبة بثلج وبرد شديد متجاوز الحد وبزوابع عنيفة جدا بحيث تجد عمود التراب يرتفع نحو ثلاثين قدما ولكن لا يقيم بها الثلج الا يسيرا من الزمن لاسيما جهة شطوط بحر الخزر والبحيرة المالحة المسماة بحيرة اندرسك بقرب شطوط نهر اورال المسمى نهر يايق تستحق على ماقاله بلاس أن تكون من عجائب المخلوقات وهى مستنقع ماء محيطه ثمانون ورستة مشوب بالملح كثيرا بحيث ان سطحه يظهر كله ابيض وثم عيون مالحة تصب فيه دائما مياها تمده بها والضباب الذى يتصعد منه يكون دائما متحملا لاجزاء ملحية وكذلك الشطوط تجد بها اختلاطا عجيبا من راقات طفلية ومرنية وتجد بها اصداف ام الحلول وبلور الشب والكبريت

نباتات

والنباتات المالحة متسلطنة فى هذا الاقليم المجدب ولكن ينبت على شطوط الانهر عدة اصناف من الاشجار وبهذا الاقليم ايضا فى مدة الصيف اودية او مخاضات ظريفة ولما كان خاليا عن المراعى الواسعة لم يكن به ما تقتات منه خيول الغرغيز

حيوانات اهلية

وابلهم وابقارهم واغنامهم ومعزهم وقد اخبر بعضهم الحكيم بلاس أن بعض احاد القبيلة الوسطى له من الخيل نحو عشرة آلاف فرس وثلثمائة من الابل وثلاثة آلاف او اربعة آلاف من الغنم ونحو الفين من المعز وهجنهم التى يجزونها كل سنة كالغنم يخرج منها مقدار عظيم من الوبر الشبيه بالصوف يشتريه منهم الموسقو او البخاريون وقوتهم المعتاد من نوع الغنم ذات الاذناب العريضة فتجد الكبش لذيذ الطعم فلذلك يبعثونه من اورنبورغ الى بتربورغ لاجل اكل الملك منها

حيوانات وحشية

واما الصحارى فبها كثير من الصيد والثعلب والذئب على اختلاف انواعها وعناق الارض وحيوان القاقوم وابن عرس وحيوان يسمى المرموط وفى جبال الجنوب والشرق تجد الاوعال وبقر التبت المسمى ياق والظبا والشكل المسمى ابن آوى وصنفا من الحيوان يظنونه النمر والكولان او حمار الوحش وحيوانا يسمى انيلوب سيغا والتاكيا او الفرس الوحشى والغرغيز يعلمون الصيد للعقبان من نوع يسمى عند الروسية البركوت وفى الاراضى

لسبخة الواسعة يكثر الاوز والبط وغيرهما من الحيوانات المائية وبها ايضا ثعابين بيض طول الواحد منها مايزيد على باع وهى مهولة يخشى منها عساكر الموسقو مع أن الغرغيز يقولون انها غير مضرة اصلا ويخشون ايضا نوعا من العناكب سميا اسود مستورا بالشعر له ثمانى اعين وغلظه كغلظ جوزة الطيب

سحنة الغرغيز

وامة الغرغيز تقاطيعها كالتتار فهم فطس الانوف صغار الاعين وليست عيونهم مائلة كالمغول والصينيين ويعيشون معيشة ذات قناعة وراحة فتطول اعمارهم وتحسن شيخوختهم وامراضهم المعتادة عندهم هى الحميات الدائرة المتقطعة والزكام والنزلة وتعسر النفس والداء الافرنجى منتشر عندهم ولكن يخشون كثيرا الجدرى

حالة سياساتهم

ولسان الغرغيز هو لغة من لغات التتار يفهمها التتار الآخرون ولكن تلفظهم شديد جدا يميلون الى العبارات الاشارية والرموز والكنايات والامراء ولاة العهد من الغرغيز شوكتهم قليلة فكل شئ يحكم به فى مشورة عامة فقد حكى بعضهم فى هذا العهد أن قبيلتى الغرغيز اللتين يقال لهما الصغرى والوسطى يبايعان ايمبراطور الموسقو بواسطة رسلهما الموكلين بالمبايعة عنهما ولكن لا يعترفون اصلا بأنهم رعاياه ولا يدفعون له شيأ من الميرى بل الامر بالعكس فان دولة الموسقو تبعث لهم هدايا صغيرة فى كل سنة وقوافل بخارى وخيوا وتشكنت تدفع قدرا معلوما فى نظير الاجازة لها بالسفر فى اراضى الغرغيز تحت خفرهم

اهل

واهالى القبيلة الوسطى والقبيلة الصغرى نحو ٣٠٠٠٠ عائلة لكل واحدة من القبيلتين فاذا قدرنا أن اهل القبيلة الكبرى ستون الف نفس بأن جعلنا كل عائلة ستة اشخاص كان اهل هذا الاقليم العظيم نحو ١٢٠٠٠٠٠

اخلاق وحالة معيشة

ولما كان الغرغيز احرارا ليسوا تحت اسر ظالم وكانوا لا يحتاجون الى شئ من لوازم معاشهم كانت معيشتهم اطيب مما يخطر بالبال فى شأنهم وذلك لان لحوم اغنامهم والبان حجراتهم تغذيهم وتجدهم يعتقلون الرماح وبنادق الفتيلة ويصولون على ما جاور بلادهم من الاقاليم وهم وان لم يكونوا سفاكين للدماء الا أن لهم مهارة فى قطع الطريق وتحيلا يضر بثغور الموسقو فيجيئون بسبى نساء القلموق لانهن يمكثن زمنا طويلا على زهو الشباب ثم ان هؤلاء القطاع الطريق يعيشون مع بعضهم كالاخوة ويستخدمون الاسرى الذين يسبونهم فى غاراتهم ويلبسون كملابس التتار وهى شروال عريض وحزمة محددة ويحلقون رؤسهم ويلبسون عليها قلانس على شكل المخروط الصنوبرى وطقوم خيولهم كثيرة الزينة وتغطى النساء رؤسهن برقاب نوع من حيوان يسمى هرون ويقال له دنكلة يرتبونه على شكل القرون ولما كان الغرغيز فرسانا متوحشين كانوا يحبون الالعاب والرياضات ورماحة الخيل وفى جنائز الاغنياء يفرق الوارث الشجاع عبيدا وابلا وخيلا وطقوما وغير ذلك من الاشياء الظريفة لمن غلب غيره فى الجرى والعدو على الفرس ويجتازون الانهار على قناطر مصنوعة من حصر الغاب المبرومة والمجموعة بعضها مع بعض وعندهم نوع من البارود للبندق الابيض يخفون صناعته لا بأس بالتفتيش عليه

اوهام وبدع

وفى اوائل القرن السابع عشر بعد أن كانت هذه الامة قبل ذلك خانية اتعظت بانذار امناء الدين من التركستان فختنت اولادها واسلمت ولكن وجدها الحكيم بلاس فى سنة ١٧٦٩ من الميلاد منهمكة على جميع الاوهام الفاسدة ومشتغلة كما كانت سابقا بامور السحر وتعظم الموتى وتكرمهم فتعمل فى كل سنة موسما التذكارهم

تجارة

والغرغيز يتجرون مع الروسية ومدينة اورنبورغ هى عادة مستودع هذه التجارة والقبيلة الوسطى تسافر للتجارة الى مدينة امسك فى اقليم سيبير وقد قوم بعضهم ما يذهبون به من الغنم فى كل سنة الى مدينة اورنبورغ فوجده مائة وخمسين الف رأس وزيادة على ذلك يتجرون ايضا فى الخيول والمواشى والاكباش وصغار الغنم والفراو وبر الابل والصوف المخيسر وفى بعض الاحيان يجلبون الى بلادهم المماليك العجمية والتركمانية ويأخذون بدل سلعهم ما يصنع فى المعامل والفبريقات لاسيما الجوخ واثاث البيوت ولما كانت دولة الروسية لا ترضى أن تسلمهم الاسلحة والزرد جلبوا ذلك من بلاد بخارى وخيوا فهم يستبدلونها بما عندهم من الابل والمواشى

تركستان

وفى جنوب بلاد الغرغيز كثير من الاقسام الصغيرة التى يشق على الانسان معرفتها اسما واكثرها مجهول الحال فجميع البلاد التى تمتد على شاطئ نهر جيحون الى سلسلة جبال اقطان كانت سابقا داخلة فى قسم تركستان القديم وهذا القسم كان معروفا سابقا لموسى الخورينى فى القرن الخامس من الميلاد ولعله هو الاقليم الذى كان يسميه العجم والعرب توران ثم ان هذا الاقليم الذى هو تركستان يلقب بالشرقى تمييزا له عن تركستان آخر يسمى الغربى وهو مشتمل على جزء من بلاد القلموق وبلاد بخارى الصغرى

تقسيم جغرافيي العرب

وكان اقليم تركستان مشتملا على ما قاله جغرافيو المشرقيين على اقليم فرغانة الذى به من المدن مدينة اندغان واشيكات وغيرهما على اعلى جيحون وكذلك على اقليم اوسروسانة الذى بندره يسمى كذلك وعلى اقليم ايلاق

اوايلستان

اوايلستان حيث يجرى نهر تنكات الذى يصب فيه سيحون وبهذا الاقليم مدينة اوترار وهى قاعدته القديمة وليست بعيدة من اطلال يسى التى هى قاعدة اقدم من مدينة اوترار وهذه المدينة يظهر انها هى التى كانت تسمى عند اليونان ايس دون اتثوتيقا ومن اقاليم تركستان اقليم الشاش وهو يمتد بالاستطالة على مصب نهر سيحون والسياحون من المتأخرين لا يعرفون الآن هذا التقسيم بل يذكرون ان اقليم تركستان فى هذا العهد اقليم صغير يسقيه نهر قرسو الذى يصب فى نهر السور وهو سيحون وارض هذا الاقليم بها خصوبة يخرج بها القطن والذرة والحنطة وابو فروة ولكن زراعتها متوسطة وفيه يشاهد العنكبوت السمى الذى ذكرناه آنفا وبه نوع من الضباب رجل الواحد مرتفعة قدر ربع ذراع وبه مدينة تسمى باسمين احدهما تركستان والاسم الثانى تراس بها الف بيت مبنية بالطوب وعليها أمير من امراء الغرغيز يحكم بها منذ قليل وباقى الاقليم قاعدته مدينة تشكنت وهى على شطوط نهر سيحون ويقال ان بيوتها ستة آلاف واهلها يتجرون تجارة هينة ويزرعون الخوخ والعنب والحنطة والقطن والحرير ولا يمكث الشتاء بها الا ثلاثة اشهر وبجبالها معادن الذهب والدولة يحكمها خان تنتخبه الرعية من العائلة الحاكمة وفى اغلب الازمان لا يكون هذا الخان الا خراجيا للغرغيز الذين تجوب عساكرهم المتوحشة اراضى تشكنت ثم ان كورة كوكانيا اوخوخانيا التى دخلت بها قوافل الروسية عن قريب يظهر انها عين الارض المسماة فى خرطات الافرنج كوجند اوخوجند

مدينة تركستان
مدينة تشكنت

امة القراقلبق

وامة القراقلبق تسكن ايضا على شطوط سيحون وتسمى هذه الامة نفسها قراقجاق اى السوداء او المبرية وهى قبيلة من تتار القبجاق الذين تحت حكم الغرغيز وهى تنقسم الى قبيلتين عليا وسفلى والقبيلة يقال لها اولوس وفى سنة ١٧٤٢ من الميلاد كانت القبيلة السفلى نحو خمسة عشر الف عائلة فطلبت أن تكون تحت حماية الروسية التى يسمى ملكها عندهم الجار الابيض ولكن اهلكها الغرغيز بسبب انها استعانت عليهم بالدولة الغريبة

التمعش

ورئيس الاولوس اى القبائل يزعم انه من نسل المصطفى عليه الصلاة والسلام وعندهم نوع من شرف الرتبة وحالة تعيشهم شبيهة بتعيش قبائل البشكير فى بلاد الروسية وخصوصهم التى يأوون اليها فى الشتاء ثابتة غير منتقلة واما عشش الصيف فمنتقلة ويتعهدون الزراعة وتربية الماشية ولما كانت خيولهم قليلة استعملوا ذوات القرون للجر والركوب ويجعون فى الاشتغال بعدة صنايع فيبيعون لمن بجوارهم السكاكين والسيوف والبندق وآنية الطبخ والبارود وهم اسلام يعرفون معرفة لا بأس بها عقائد دينهم وتصرف خانهم مقيد فلا يفعل الخان كما يختار بل يشركه فى الشورى علماؤهم الذين يسمون خوجات

بلاد التركمان
طبيعة الارض

والتركمان يسكنون الساحل الشرقى من بحر الخزر وارضهم رملية كثيرة الاحجار والحصى خالية عن المياه وسلسلة جبال موغلصار المسماة ايضا جبال منجيشلاك ليست عظيمة الارتفاع وانما هى وعرة مقطوعة بالسيول ويظهر منها على ساحل بحر الخزر صخور كلسية مملوءة بالاصداف الساحلية وطبقات الطباشير والطفل بانواعه وكثير من عيون النفط وبعض امارات من الرصاص والنحاس ويلتقى على الشطوط مجتمع صدف ورمل يلتحم فيه الصدف مع الرمل بواسطة مائع تستحجر به الاشياء وقد تكون هذه الاصداف مختلطة مع الرمال بنفط وعلى البعد من البحر تجد هذه الاجزاء قد صارت صلبة جدا ومياه هذا الاقليم مالحة بالكلية او مشوبة بالملوحة ونباتات هذه الارض قليلة الاصناف ومن اصنافها السلسولا المشرقية وهى تمتاز باشكالها المقنبة الموترة ويكثر بها الافسنتين وكذلك شجر الكباد ويتدفئون بشجر يسمى رهمنوس البينا واشهر الحيوانات عندهم الثعالب والسنانير الوحشية واكباش الشرق والابل ويظهر بها صنف من النمور الصغيرة بل ومن النمور الكبيرة ايضا على ما يقال والهوام ايضا تكثر بها لاسيما الفراش والجراد وتجد فى الاجوان والخلجان دود التريس الليلى يظهر منه فى الليل نور مشتعل فى الماء

نباتات
حيوانات

التركمان

ثم ان التركمان يختصون من بين غيرهم من التتار بشدة سمرتهم وكونهم اقل طولا منهم واعضاؤهم اشد تربيعا منهم ويعيشون فى الخيام او فى الكهوف المنحوتة فى الصخور فهم رعاء خشنيون يتشبثون بقطع الطريق ولا يتعمدون ذلك غالبا وهم منقسمون الى عدة قبائل رؤساؤها من امراء الغرغيز

قبائل

والروسية يقسمونهم الى امتين او الى ثلاث امم متعاهدة امة المنجشلاك وهى نحو الفين وخمسمائة عائلة الى ثلاثة آلاف واعظم قبائل هذه الامة قبيلة عبد الله ثم امة استراباذ او العجم التى منها قبيلة تقيوموت وهى اعظم قبائلها واهلها اثنا عشر الف عائلة ولها املاك جهة جنوب بلكان والتركمان يربون الابل والغنم بكثرة ولحوم غنمهم

مستطابة ويصطنعون من وبر الابل قماشا خشنيا ويزرعون يسيرا من الحنطة والارز والبطيخ والقثاء وهم فى ملابسهم واسلحتهم وعاداتهم كالتتار والعجم ويسكنون خياما من اللبد وامراؤهم ومشايخهم ليس لهم عظيم سلطة عليهم

منجشلاك جون بلكان جزيرة نفطونيا — ومدينة منجشلاك كانت سابقا مدينة عظيمة ولا يشاهد بها الآن الا خصوص وقتية يأوى اليها تجار الروسية وميناها من اعظم مينات بحر الخزر وجون بلكان مطروق كثيرا بسفن الروسية والجزائر القريبة من هذا الجون يخرج بها قليل من الارز والقطن وجزيرة نفطونيا بها كثير من النفط الذى هو طبقات تمتد الى باقو وتجتاز البحر فى اتجاه جنوبى شرقى وهذه الجزائر التى يسكنها التركمان فيها عدة مينات يمكن أن يجعل بها حواصل تجارات وتسمى كلها جزائر اوغرجى وهذا الاسم يطلق ايضا على الساحل القريب من هذه الجزائر ويدل ايضا على ارض تسمى ارض القثا

خوارزم — وفى جنوب بحيرة ارال يكل بصر الانسان من رؤية الصحارى المتساوية ثم يجد للراحة منظر ارض يسيرة الخصوبة تسمى عند العرب خوارزم وعند التتار كاريسيم وكذلك عند الروسية وتسمى عند الاقدمين خورزميا وتسمى ايضا باسم خيوا وهو اسم مدينة من اعظم مدنها وقد كان لاترالك خوارزم فى القرن الثانى عشر من الميلاد دولة عظيمة صاحبة قوة وبأس اضمحلت الآن وصارت مقصورة على اقليم خيوا الذى يمكن للفارس أن يطوفه فى ثلاثة ايام

قطر — ثم ان الجغرافيين من المشارقة يجعلون بلاد خوارزم باردة بالنسبة لبلاد العجم لان نهر جيحون ينعقد ماؤه كل سنة واخبار الروسية تدل على أن هذا الاقليم معتدل ولا يمكث الجليد به الا قليلا من الايام وتقل به الثلوج وتذوب بسرعة وصيفه غير شديد الحرارة ولكن خريفه ممطر

طبيعة الارض جبال — وجبال ويسلوقا التى هى فرع من جبال اوقتو تشغل جزأ من خوارزم الشرقية وبها معادن الذهب والفضة التى كانوا يستخرجونها فى سابق الزمان ثم نهت دولتهم الآن عن البحث عن اثرها ويقال انه يوجد بهذه الجبال الزمرد والسردوان وغيرهما من الاحجار النفيسة واعظم جزء من هذه البلاد سهول وارضه غالبا مركبة من طين طفلى يضرب الى الحمرة وهى صالحة للزراعة بانواعها ولكن الصحارى الرملية المتموجة المحيطة بالرمل قد تجور فى بعض الاحيان بمضارها على عدة مزارع كثيرة

نهر جيحون زيادته خلجان السقى — والنهر العظيم المسمى جيحون ويقال له ايضا آمو يجتاز هذا الاقليم وعرضه على ما قاله مورخو اسكندر نحو ست استادات او سبعة ولو فى الجزء الاعلى من مجراه وهو عميق لا يمكن لاحد أن يخوضه والجغرافيون من العرب وصفوه بنظير هذه الاوصاف وذكروا له بعض فيضانات فاذا وصل لسفح جبال ويسلوقا فى خوارزم انقسم الى عدة خلجان للسقى ويبقى فيه فرعان اصليان عظيمان احدهما تبقى مياهه فى جميع الازمان والفصول واما الفرع الآخر فانه ينتشر فى زيادته على سهل سبخ على حافاته فيكون مثل سائر الانهر الرديئة المراش يمكث بعض الاحيان يابسا فى عدة اماكن من مجراه

نباتات — ومما يخرج بارض هذا الاقليم الحنطة والارز والشعير وذرة بخارى والجوغورا وهى صنف من الارز والحمص والفول والعدس والقنب والدخان والقطن والقوشوط العجمى وهو نبات يستخرج منه الزيت وسائر انواع الفواكه المستطابة والتوت والعنب يكثران فى هذا الاقليم فينضج فيه العنب نضجا كاملا ولكن لكون اهله اسلاما يمنع عندهم عصيره نبيذا

حيوانات — وفى مروجه الطريفة يسرح كثير من البقر ولكن الخيل لا تجد الا يسيرا من المراعى التى بهذا الاقليم ويكثر به الطيور الاهلية وانواع المصيدات ذات الاجنحة توجد فيه بكثرة لمن يقتنصها

اهال — واهالى هذا الاقليم بعضهم تتار من قبائل مختلفة لاسيما قبيلتى الازبك والتركمان وبعضهم الآخر من قبائل بخارية فهو منقسم ايضا كما فى بخارى الى سرتية اى تجار والى تاجيق وهم رعاع الناس والبخاريون هم المتأصلون بهذا الاقليم حقيقة ثم ان امم التتار يسمون البخاريين الساكنين فى دولة خيوا باسم ارجنج وهو اسم مدينة قديمة كانت قاعدة بلادهم سابقا

ولاية خيوا دولة — ثم ان خوارزم منقسمة الى ولايتين هما الآن مستقلتان ولاية خيوا وولاية كونرات او ولاية الاراليين وولاية خيوا سطحها نحو ستمائة فرسخ مربع واهلها من مائتى الف نفس الى مائتين وخمسين الفا ورئيس دولتها خان له ديوان عظيم بالنسبة لدواوين ملوك التتار ولكن ليس له حكم الا فى الظاهر وانما وظيفته أن يختم بخاتم المملكة على جميع الخلاصات التى تقدم له وليست القوة والامر والنهى فى الحقيقة الا لاحد الاعيان الذى يقال له الايناق وهو

رئيس الديوان الذى هو مشورة الدولة واهل هذه المشورة هم ضباط العساكر ولا يتقلدون رتبهم الا برضاء الرعية وثم انسان آخر له نفوذ كلمة فى الدولة وهو ملاباشى اى رئيس الملا وهم العلماء ولا يندر بهذه الولاية قتل الخان بالسلاح او بالسم وقد انقرضت دولة الخان المتأصلة بهذه البلاد منذ خمسين سنة فاضطر اهل خيوا الى أن يختاروا خانهم من امراء الغرغيز المجاورين لهم ويقال ان عساكر خيوا تبلغ عشرين الف مقاتل بدخول التركمان و الازبك المحكمين من الخان وهذه العساكر اكثرها فرسان وسلاحهم القوس والرمح والسيف وقل أن ترى عندهم بندقا وما عندهم منه فهو من بندق الفتيلة

حالة عيشهم

ثم ان اهل خيوا الذين يسميهم الموسقو خيوانتز يعيشون على وجه يقضى بأنهم متمدنون تمدنا كافيا وكلام البرجندى يقتضى أن عقولهم واذهانهم احسن من غيرهم من امم التتار يصرفون هممهم فى الشعر ويميلون طبعا للموسيقى حتى ان اطفالهم اذا بكوا يظهر لبكائهم وصياحهم وزن وقد الف ابو الغازى امير خيوا كتابا يشتمل على تاريخ التتار ثم ان امم التتار يتعهدون اراضيهم بالزراعة ويربون دود القز ويشتغلون اقمشة الحرير والقطن

صناعة

والاقمشة القطنية التى تنسج من الحرير والقطن معا والذى يشتغل هذه الاقمشة هو النساء فى بيوتهن وليس عندهم اصلا فبريقة على منوال الافرنج ثم ان قوافل خيوا تحمل الى اورمبرغ الحنطة والقطن الخام واقمشة الحرير والقطن

تجارة

وثياب النوم المزركشة بالذهب مصنوعة جاهزة وتسمى الشالاتى وجلود الغنم وفى بعض الاحيان تحمل معها الى تلك المدينة نقودا عجمية وهندية وتشترى من بلاد الروسية البضائع الافرنجية وتشترى من التركمان خيلا وبقرا وغنما ومدينة خيوا هى ايضا سوق عظيم للممالك والتجارة الخارجية لهذه الولاية تساوى ثلثمائة الف روبلة وهى نحو مليون ومائتى الف فرنك

مدن

ومدينة خيوا على خليج خارج من جيحون ويحيط بها خندق وجدار من الطين وسور ولها ثلاثة ابواب وقلعة وثلاثون مسجدا ومدرسة عظيمة وبها ثلاثة آلاف بيت مبنية بالطين على نسق أبنية تلك البلاد واهلها نحو ١٠٠٠٠ وحولها الغيطان والكروم ومزارع الحنطة والقرى العامرة وكورة خيوا كلها تحتوى من الاهالى على ستين الفا وعلى احد عشر فرسخا فى شمال خيوا تجد مدينة اورغنز الجديدة على الخليج الذى عليه خيوا وبها عشرون مسجدا والف وخمسمائة بيت واهلها خمسة آلاف نفس وما بقى من اهل الكورة وهو خمسة وخمسون الفا يوزع على الاقليم ومن مدنها مدينة ساباط وكات وهما مدينتان صغيرتان احد اهما اهلها الفا نفس والاخرى الفان وخمسمائة نفس ومن مدنها ايضا مدينة انبارى وليس اهلها الا الف نفس ولكن كورتها احد واربعون الفا واقليم شنكا اهله سبعة وعشرون الف نفس ومدينته تحتوى على الفى نفس من ذلك وازاريس التى يظهر أنها مدينة هزارسب ابن حوقل اهلها الف وخمسمائة نفس واما هى مع الاقليم فاهلها احد عشر الفا وخمسمائة واما هرليان فهو مكان صغير بعد من القلاع وكورته عامرة جدا اهلها ستة عشر الف نفس فهؤلاء الاهالى المجتمعون فى مسافة عشرين الى ثلاثين فرسخا من الطول والعرض يرى فيهم اركان دولة عظيمة لو امكن لنزلة افرنجية أن تستوطن بين هؤلاء الامم المتمسكين غاية التمسك بدين الاسلام

الاراليون
مدينة كونرات

ثم ان الازبك الاراليين الساكنين بالسهول المجاورة لبحيرة ارال يسمون ايضا كونرات باسم مدينتهم الاصلية التى هى فى الحقيقة معسكرهم شتاء ومحيطها خمسة فراسخ وهى محصنة بسور من الطين ارتفاعه اثنا عشر ذراعا روسيا وابوابها تغلق عند الحاجة بالآلة المسماة باسم جك فلك ويقال جرخ فلك ودون هذه المدينة مدينة منهوف وكزلكوشا واما مدينة قبجاق فهى قلعة بها دائما من الرباط الف وخمسمائة نفس والارالية يحكمهم اثنان من البيكات منتخبان يدفعان لدولة خيوا ميرياسنويا نحو الفى دوكات ولكن لا يدفعانه فى حالة حربهم مع دولة خيوا وحربهم مع هذه الدولة يحصل فى غالب السنين والارالية مع قبائل قراقلبق والتركمان الذين يعيشون معهم يبلغون نحو مائة الف نفس وجميع هؤلاء الامم الذين هم ليسوا رحالة نزالة بالكلية بل عندهم نوع من العمران والتمدن يصطادون برا وبحرا ويضمون هذا الى ما يحصل من مواشيهم

بخارى الكبرى

واعظم اقاليم التتار واظرفها هو اقليم بخارى الكبرى ولكن حدود هذه البلاد تختلف شمالا وجنوبا على حسب تغير باس ارباب دولتها وهم امة الازبك التى تستولى عليها واما اقليم ماوراء النهر الشهير فانه جزء من بخارى الكبرى فى شمال جيحون

اقليم صغد

واشهر تلك الاقاليم واخصبها اقليم صغد وانما سمى بذلك باسم نهر يجتازه قال ابن حوقل يمكن السفر مدة ثمانية ايام فى بلاد الصغد من غير خروج من البساتين المستطابة وبجميع ارجائها القرى والضياع والمزارع العظيمة والغيطان

الكثيرة الربيع والكروم والقصور التى فى الخلاء والحدائق والمروج والغدران الجارية فى خلالها والحياض والخلجان وكل هذا يبدى لنا حسن تدبيرها وسعادتها

وذلك لان وادى صغد يتولد به كثير من العنب العظيم الكثير ومن القاوون والكمثرى والتفاح ومنه ينقل الى بلاد العجم بل والى بلاد الهند

سمرقند

وقاعدة بخارى الكبرى مدينة سمرقند على الشاطئ الجنوبى من نهر الصغد وليس عند الافرنج اخبار جديدة تتعلق باحوال هذه المدينة الشهيرة تفصيلا والظاهر أنها فقدت كثيرا من بهجتها وزهوها من عهد تيمور فانه كان بها قبل ذلك مواسم عظيمة بها يحصل نورانية للقصر السلطانى والمدينة والارباض التى حولها والرساتيق والظاهر أن مدينة سمرقند كانت فى ابتداء القرن الماضى محصنة باسوار من طينة الخوارة واكثر بيوتها كانت مبنية من طين ابليزى صلب وبعضها مبنى بالحجارة التى تخرج من مقاطع الحجر التى بجوارها وخان بخارى الكبرى كان ينصب معسكره فى المروج التى حولها وقلعتها كانت فى ابتداء القرن الماضى مشرفة على التهدم وهذه المدينة مشهورة فى جميع اقاليم الشرق بجودة ورق الحرير ويقال ان الافرنج نقلوا عنها ابتداع هذا الورق وذكر ابن حوقل أن معمل ذلك الورق كان معروفا من سنة ٦٥٠ من الميلاد

ما حوالى بخارى

وقال كنت فى كوهندز وهى قلعة بخارى فى قديم الزمان فنظرت حواليها فلم ار خضرة اعظم ولا اكثر من الخضرة التى حولها ولم ار بساطا من الازهار اوسع من ذلك وتزيد بهجة ذلك اذا نظرنا الى اختلاط هذه الخضرة بافق السماء الزرقاء فتجد الرياض الخلابية تعبر المدن زينتها البسيطة وهذه الرياض مكللة بتيجان البيوت المبنية فيها للنزاهة فلا عجب اذا طالت اعمار اهل بخارى اكثر من اعمار غيرهم من سكان خراسان وماوراء النهر انتهى

مدينة بخارى

ومدينة بخارى على نهر الصغد تنافس سمرقند فى كونها كانت ايضا دار الولاية وفى سنة ١٧٤١ من الميلاد زار وكلاء التجارة الانكليزية هذه المدينة التى تشرف على جانب سطح مرتفع على صورة ربوة مدرجة فوجدوا هذه المدينة واسعة الارجاء كثيرة الاهل يحكمها خان ويصطنع اهلها الصابون واقمشة القطن ويزرعون الارز ويربون الضرع ويأتيهم من بلاد القلموق الراوند والمسك وحجر اللازورد وغيره من المعادن النفيسة البدخشانية وكان عندهم نقود الذهب والنحاس واهلها متمدنون الا أنهم ارباب خداع ومكر قال الجغرافى العثمانى ان ارضها خصبة جدا بحيث ان المزرعة التى مساحتها دومان اودومانان اى فدان عثمانى اوفدانان تكفى فى قوت عائلة كاملة

اقاليم واش وكيلان وبذخشان

والجزء الشرقى من بخارى ارضه كثيرة الجبال فاقاليم واش وكتلان وكيلان تمتد الى جبال بلور ومن مدنه غير ما تقدم مدينة بذخشان وهى صغيرة لكنها حسنة البناء كثيرة الاهل واهلها ارباب ثروة عظيمة من الذهب والفضة واليواقيت التى توجد حولها لان السيول النازلة من الجبال عند ذوبان الثلج فى مبدا الصيف تجذب مقدارا عظيما من حبات الذهب والفضة وتذهب عدة قوافل الى بخارى الصغرى والى بلاد الصين فتمر بهذه المدينة وثم قوافل اخر تختار طريق التبت الصغيرة على الناحية الشرقية من هذه الجبال قال ابن حوقل ان ارض بذخشان اوبدقشان زيادة على ما فيها من معادن اليواقيت واللازورد بها مقدار عظيم من المسك ومدينة ترمذ مدينة عظيمة مبنية بالطوب

اقليم الغور

ثم ان اقاليم بلخ وطخارستان والغور هى فى جنوب نهر جيحون ويغلب على الظن أن اقليم الغور الذى مدينته تسمى مدينة الغور ايضا هو الآن جزء من مملكة قندهار ومدينة باميان التى هى من هذا الاقليم قد سبق ذكرها فى تخطيط بلاد العجم وهى شهيرة بعدة آثار منها عدة صور لا تحصى منحوتة فى جبالها

اقليم بلخ

ويحكى عن بعض التجار أن الافغان استولوا فى قديم الزمان على بلخ التى كانت تسمى فى الزمن القديم بقطر والتى هى احدى مدن بخارى الثلاثة وفى ابتداء القرن الماضى كان لمدينة بلخ خان مخصوص وكانت اعظم تلك المدن وكانت بيوتها مبنية بالطوب او الحجر وكان معظم قلعتها مبنيا بالرخام الذى كان يستخرج من الجبال المجاورة لها وكانت مطمح نظر امة العجم والهند ولما كانت الغيرة حاصلة من اهل العجم والهند وكل منهما لا يحب تمكن الآخر من هذه المدينة كانت بلخ فى امان من ذلك اكثر من امان الجبال التى تحتوى على بلخ ومن امان الصحارى التى تحدق بهذه المدينة من الجهة الاخرى

طخارستان

ومدينة اندراب هى قاعدة اقليم طخارستان وهى بقرب مجاز فى جبل منه يسلك جبال الهندوكوه وهذا المجاز كان يتعهد الخان حفظه مع غاية الاعتناء والاهتمام ولكن عبره الافغان وسلكوه وبقربه مقاطع حجر اللازورد الذى هو مادة اخذها سلف الافرنج من بخارى الكبرى ولازالت الى الآن بخارى تبعث هذا الجوهر

النفيس

التنفيس الى الافرنج

وهذا الاقليم العظيم الذى خططناه هو اقليم ماوراء النهر الذى ذكره مورخو العرب والتتار وفى هذا الاقليم كان كرسى تيمورلنك وكانت جميع الرسل المبعوثين من ملوك الدنيا تأتى خاضعة لرئيس هؤلاء المغول وفى سنة ١٤٩٤ من الميلاد طرد السلطان بابر وهو من نسل تيمور هو واتباعه من المغول ودخلوا فى بلاد الهندستان واسسوا فيها مملكة مغولية ثم ان التتار المنصورين الذين يسمون ازبك اقاموا دولة ذات شوكة فى بخارى فصار كرسى هذه الدولة يتعاقب عليه عدة خانات من سنة ١٤٩٤ الى سنة ١٦٥٨ من الميلاد ثم انقسم هذا الاقليم العظيم الى عدة ولايات من غير اذن احد من الخانات على اختلافهم

مملكة الازبك

سكان متاصلون

وامة الازبك التى يظهر أنها كانت ساكنة فى هذا الاقليم من القرن الثالث الى الرابع من الميلاد لم يبق منهم آثار جنسهم القديم وهؤلاء الساكنون المتولدون به يسمون التاجيك وهم اظرف من التتار بلطف شكلهم وظرافة تقاطيعهم ولهم شبه بتتار بلاد بخارى الصغرى كما يشبهونهم ايضا فى الملبس وملابس ارباب اليسار الحرير والفرا والثياب العظيمة للنساء هى ذات الطيات العريضة المختلفة ويزين شعورهن بضفائر اللؤلؤ ثم ان البخاريين يعيشون معيشة القناعة فيقتاتون اصالة الارز والحنطة والذرة ولاسيما الفاكهة كالقاوون والعنب والتفاح وغير ذلك ويستعملون كثيرا زيت السمسم وشرابهم الشاى المتبل بالانيسون وعصير العنب المسمى بالنبيذ الحلو وية عاطون الافيون وخبزهم من غير القمح

كيفية معيشتهم

وعادة البخاريين أن لا يحملوا السلاح اصلا بخلاف الازبك فان لهم خبرة بالرمى بالبندق بل ذكر بعضهم أن نساء الازبك اللاتى يفقن فى الملاحة نساء باقى التتار يتبعن ازواجهن فى الحروب بل ويقاتلن بجانب ازواجهن

لسان

ثم ان الازبك يتكلمون بلغة تسمى السغطيانية وهى لغة الترك اوالتركمان واما لغة البخاريين التى تستدعى ابحاثا غريبة فهى الى الآن لم تعرف حق المعرفة وقد وجد فيها عدة الفاظ جغرافية يظهر أنها فارسية وغوطية

دولة

والازبك والبخاريون دينهم دين الاسلام وهم على مذهب السنية وحكم الخان ليس مطلق التصرف بل هو مقيد بمدخلية الدين وبعض قوانين يقال انها عظيمة ويقال ان ولاة الامر ببخارى يجوز عزلهم شرعا

اهال

والى الآن لم تصل الى الافرنج اخبار صحيحة فى شأن اهل تلك البلاد ولا مانع أن هذه الولاية عند الحاجة يمكنها أن تجهز ثمانين الف مقاتل وكلام هنوية يقتضى أن خراسان كانت فى الزمن السابق لها من الايراد اربعة وعشرون مليونا من الفرنكات فى كل سنه فلا مانع من أن ايراد بخارى الكبرى يساوى ايراد خراسان وهذا اقل ما يمكن وذلك لان الخانات كانوا يأخذون فى قديم الزمان من التزاماتهم ومواشيهم اكثر من جميع المكوس

اوصاف البخاريين

ثم ان ابن حوقل الذى هو ابو الجغرافيا العربية ذكر لنا اوصاف امة بخارى فى هذه العبارة ونصها قد بلغ البخاريون فى الكرم والسخاء مبلغا بحيث لا يأبى احد منهم حق الضيافة فاذا وصل اليهم غريب بادر كل منهم بالاحداق به وكل منهم يريد أن يأخذه عنده فيقع التنازع بينهم ويتنافسون فيه فمن اخذه منهم غبطه من عداه فاذا كان احدهم لا يملك الا مايسد به الرمق اخذ الضيف فى خصه ورحب به واطعمه شيأ من ثمر زراعته ولهذا كانوا اغنيا القلوب عند شدة الفقر ولما كنت فى بلاد الصغد رأيت مبانى عظيمة شبيهة بقصر ابوابه مفتوحة بالكلية ومثبتة فى الحائط بمسامير عظيمة تمسكها عن أن تغلق فسألت عن ذلك فاجابنى بعضهم بأنه من منذ ما ينيف على مائة سنة لم يغلق هذا البيت ليلا ولا نهار وجميع الغرباء ايا ما كان عددهم لا يصدهم عنه شئ فى اى ساعة من الساعات وصاحب البيت دائما يحرص من قبل على ما يحتاج اليه لتلقى الناس والعلف الحيوانات ولا يسر ابدا الا اذا امكث الضيوف عنده مدة من الزمن فلم ار عمرى نظير ذلك فى ارض من الاراضى وذلك لانه فيما عدا هذه الارض جميع الناس سواء كانوا اغنياء او ارباب شوكة او لا ينفقون اموالهم فى هوى انفسهم وزينتهم وعلى اناس لا استحقاق لهم فى ذلك ولا فضل لهم الا كونهم ارباب فساد كالمنفقين سواء بسواء واما اهالى ماوراء النهر فان لهم عادة احسن من ذلك بالنسبة للاقتصاد وذلك أنهم يبنون خانات وقناطر وغيرها من الامور النافعة ففى بلاد ماوراء النهر لا تنزل بمدينة ولو من اقبح المدن بل ولو كانت فى صحراء الا وتجد فيها خانات لبيع الاكل والسكنى وتجد المسكن مشتملا على جميع الاشياء اللازمة للمسافر ففخر ماوراء النهر لا يمكن أن يحوه فخر اقليم آخر فقد خرج منه كثير من عظماء السلاطين وامراء العساكر الماهرين وليس من امم الاسلام من يفوق امة هذا الاقليم فى الشجاعة وكثرة الاهالى وطاعتهم لولاتهم تجعلهم احسن من غيرهم من باقى الامم الذين اذا انهزمت عساكرهم

آل امرهم الى عدم امكان تحصيل غيرها لمنع العدو عنهم الابعد زمن طويل ولكن فى بلاد ماوراء النهراذا حصلت هذه الحادثة بادرت قبيلة من القبائل بجبر خساره الاخرى انتهت

الحالة الراهنة

وجميع التمدن الذى ادخله الاسلام عند هذه الامة انكسف نوره وذهبت دولته وفخاره وذلك لان اخبار الموسقو الذين دخلوا فى بلاد خيوا وبخارى تدل على أنه يخشى على السياحين من النصارى أن يجدوا موانع تمنعهم وهى تشديد ارباب الغيرة الاسلامية

المقالة الثامنة والخمسون فى تخطيط آسيا ❋ بلاد سبير ❋ اوصاف طبيعية عمومية

بيان هذا التخطيط

اعلم أن صور تخطيطاتنا لابد أن تختلف باختلاف طبيعة الاراضى والاقاليم فقد يوجد اقاليم كبلاد عثمانية آسيا مثلا يجمع فيها اختلاف تسوية الارض فى مسافة ضيقة عدة امزجة للهواء وتولدات مختلفة واهالى متنوعة ومن الاقاليم ما تكون ارضه متسعة جدا فيتحصل فيه بتلك الاسباب الطبيعية دائما مسببات متحدة فاقاليم سبير اوآسيا الشمالية من هذا القبيل وايضا فى بلاد الشام وفى آسيا الصغرى مدن شهيرة فى تواريخ الدنيا استدعت أن يعتنى بها بل وفى بلاد العجم اقليم صغير به غالبا فوائد تاريخية واما سبير فلا شئ فيها من ذلك بل نحن خارجون عن موضوع التاريخ بالنسبة لهذه الولاية وذلك لان آثار الوقائع الماضية فى بلاد الدنيا لا تتصور هنا على وجه أن تدل فيها على عظيم شئ لصغرها وطبيعة هذا الاقليم الوحشية القحلة المتعاصية غالبة الى الآن على التمدن المشروع فيه فحينئذ يسوغ لنا أن نجمع هذه الاقاليم الواسعة فى تخطيط واحد ونختصر ذلك التخطيط الذى هو معروف جدا ومبسوط غاية البسط فى الكتب المترجمة من لغات النمسا والموسقو فنقول

كان قدماء اليونان والرومانيين يجعلون المحيط الاسقوتى يمتد على المسافة التى فيها ارض سبير واما بطليموس الذى كان اعلم منهم وامهر فقد جعل على الشمال الشرقى من بحر الخزر ارضا واسعة مجهولة فكانت نهاية معارف الجغرافية القديمة لا تزيد عن الجبال الاورالية وفى الاعصر الوسطى سمع السياحون ومنهم مرقبول التتار يتحدثون على وجه خفى فى شأن ولاية كثيرة الفرا ومحجوبة بالسحاب المظلم المستمر وفى سنة ١٢٤٢ من الميلاد

خانة سبير

اسس التتار على شطوط نهرى ارتيش واوبى خانة تسمى خانة سبير باسم قاعدتها وتسمى ايضا خانة تورا باسم نهر قريب منها ثم ان اسم سبير لا علاقة بينه وبين كلمة سوريا التى معناها باللسان الموسقوبى بلاد الشمال وان كانا متقاربين فى اللفظ جدا وقد ترتب على استيلاء القوزاق على هذه المملكة عدة استكشافات نشأ عنها اتساع حكم

التوسع فى اسم سبير

الروسية والمعارف الجغرافية حتى بلغت النهاية الشرقية بآسيا وقد اسلفنا ذلك فى الجزء الاول وصار اسم سبير يطلق على جميع الاراضى التى عرفت فى حادث الازمان بل اطلق ايضا على ممالك تتار ازدراهان وقزان التى اتحدت زمنا طويلا قبل ذلك مع مملكة روسية اوروبا على سبيل التوسع ومع ذلك فحيث كان هذا التوسع لا معنى له لزم أن لا نبقيه فى الجغرافيا ومن قرأ بالتأمل صورة تخطيط دولة الروسية المذكور فى خرطات مدرسة بتربورغ ظهر له أن اهل هذه المدرسة صاحبة المعارف ادركوا أن سلسلة الجبال الاورالية كما تقسم طبيعة مملكة الروس الى قسمين عظيمين تعين ايضا على وجه لا يتغير حدود سبير الحقيقية وايضا لا يخفى أن دنويل فى خرطة آسيا الظريفة وبوسشنغ فى جغرافيته وجورجى فى ذكره احوال بلاد الروسية جعلوا اسم سبير مقصورا على الولايات التى فى شرق الجبال الاورالية

حدود

فاذا علمنا أن سبير محصورة فى هذه الحدود علمنا ايضا أنها محدودة شمالا بالبحر المنجمد وغربا بالجبال الاورالية التى تفصلها من اوروبا ومن جهة الجنوب الغربى بجبال الجيديم شالو التى تفصلها من التتار المستقلة ومن جهة الجنوب بسلاسل الجبال التائية والسيانية والدورية وهذه السلاسل تفصلها من سلطنة الصين ومن جهة الشرق بالبحر المحيط الشرقى وببوغاز بهرنغ الذى يفصلها من امريقة الشمالية

اتساع

وطولها من الغرب الى الشرق لا يمكن أن يكون دون الف وخمسمائة فرسخ وعرضها من الجنوب الى الشمال يختلف ما بين اربعمائة فرسخ وسبعمائة وسطحها نحو سبعمائة الف فرسخ مربع يعنى أنه اكبر من سطح اوروبا بتمامها بجزئين من سبعة اجزاء اى سبعين ولو جعلنا اوروبا تمتد الى بحر الخزر

ويحتاج الان لامعان النظر فى سلاسل الجبال والسهول العظيمة الواسعة والانهر الاصلية فنقول

جبال اورالية

ان الجبال الاورالية التى تفصل سبير من روسية اوروبا تتجه من الشمال الى الجنوب بمسافة ٤٠٠ فرسخ وعرضها يختلف من عشرين الى اربعين وهى قليلة الارتفاع بين اقليمى باسوبى واوسا ويزيد ارتفاعها فى اقليم بتشورا وفى نحو ستين درجة وثمانية وخمسين من العرض بقرب مدينتى سوليكمسك وويرشوتوريا ترتفع ارتفاعا عظيما وتنخفض وتنبسط فى عرض اكتيرنبرغ ولكن تأخذ فى الارتفاع ثانيا ببلاد البشكير فى خمس وخمسين واربع وخمسين درجة من العرض ومنها جبل باودنسكوكامن وقد مسحوا ارتفاعه بقوانين علم المثلثات

ارتفاع

فوجدوه يرتفع ستة آلاف وثلثمائة وسبعة وتسعين قدما على سطح بحر الخزر وعدة رؤس من جبال الورشوتورية تبقى عليها الثلوج المستمرة ولا يعلم هل هذه الصفة توجد فى جبال البشكير اولا وجبل اورال فى الغالب هو ربوة مستطيلة مرتفعة من اربعة آلاف قدم الى خمسة آلاف وعلى هذه الربوة جبال ارتفاعها من الف قدم الى الف وخمسمائة

ولا تعرف حق المعرفة طبيعة جبال اورال الشمالية وانما يظهر أن الصخور الكلسية متحكمة فيها وهى خالية عن المعادن وغيرها فى زبلة الجديدة التى يظهر أنها متصلة بجبال اورال ومن ستين الى اربع وخمسين اوالى اثنتين وخمسين درجة من العرض كان استخراج المعادن سببا فى جعل هذه الصخور معروفة على سبيل التفصيل واذا صعدنا من جهة سوليكمسك وبرم اواوفا نجتاز اولا سلسلة تلال مرصوصة طبقات طبقات مركبة من حجر البلاط ومن ثقوب كلسية ثم نأتى على سلسلة صخور كلسية خالصة ليست مستحجرة ثم نمر بسلسلة جبال صفائحية متكونة اصالة من راقات طفلية واخرى على شكل القرن ومشتملة على مالا يحصى من احجار معدن الحديد التى هى تارة كالسلوك وتارة هدفات ثم نصل الى السلسلة الاصلية التى تقسمها الروسية الى ثلاثة اقسام اورال ويرشوتوريا واورال اكتيرنبرغ واورال البشكير وفى هذه السلسلة الاصلية يظهر حجر الصوان طبقات عظيمة وفى بعض الاحيان تجد عناصر هذا الصخر لاسيما الكورتز كما يرى بالقرب من دشجلغا كل عنصر على حدته ذا هدفات عظيمة وعلى المسيل الشرقى من هذه السلسلة تجد احجار صوان مصفحة يسميها علماء المعادن النمساوية والموسقوبية باسم غنيس وهنا ايضا كما فى الجهة المقابلة تجد وانت نازل جبالا صفائحية ثم تجد بعدها جبالا كلسية ولكن حدود جميع هذه الجبال هى اقل تقطعا من غيرها وفيها كثير من اصناف الصخور والمعادن وكذلك الحديد يوجد بها دائما بكثرة والصخرة التى يستخرجون ما بها فى بلاغوداد غلظها مائة وخمسون قامة بل هنالك تل كامل مركب من الحديد المغناطيسى ولكن زيادة على ما فى هذه الجبال من الحديد يوجد بها ايضا كثير من النحاس ويسير من الذهب والرصاص وحجر الحية واليشب والمرمر المحلى وسلسلتا اورال الكلسيتان منقوبتان بكثير من المغارات والكهوف ولكن المغارات المخروطية الشكل الكثيرة فى هذا الجبل من جهة اوروبا والمتسعة من هذه الجهة اتساعا عظيما لاسيما بقرب كونغور وبرم لا توجد فى هذه الجبال الا من جهة سبير

ثم ان جبل اورال يتفرع عنه جهة الجنوب عدة سلاسل جبال صغيرة منها جبال اوبشى سرت التى تدخل فى اوروبا ولا تظهر فى سبير وجبال غوبرانسكى وهى فرع منفصل عن اورال البشكيرية على الشرق من اورال تجتمع بجبال اولوتو وبجبال الجيدم شالو وهى التى تفصل كما اسلفناه صحراء الغرغيز من صحراء ايسيم وهذه الارض المرتفعة هى حلقة ارتباط بين اورال وربوة آسيا الوسطى

وجميع جبال سبير الجنوبية من ارتيش الى غرب بحيرة بيكال ليست الا روسا اى حروفا بارزة من الربوة الوسطى ومن السلاسل العظيمة التى هى مرتفعة على هذه الربوة وينبغى أن يتذكر الانسان دائما هذه الربوة وانها هى الاصل لهذه الارتفاعات ولا يقطع النظر عنها فلا يلزم البحث فى هذه السلاسل الصغيرة عن اتصال لم يكن بينهما

ثم ان جبل التاى الصغير هو مسناة اسفل من التاى الكبير الذى هو خارج بالكلية عن حدود سبير واما التاى الصغير فانه نهاية حدها وهو يمتد من الارتيش الى ينسية وفى خلال هذا الجبل حلق ضيق يسمى الادشبكان وهو اصل نهر اوبى وفى الجنوب ربوة عظيمة تفصل التاى الصغير من الكبير وفى الشمال واد يفصل هذا التاى الصغير من الجبال المعدنية المسماة جبال كليوان والصخرات الكلسية تعظم فى جميع الاجزاء المعروفة من جبل التاى الصغير وبه يوجد رخام قورالبطيقى وقد راى السياح شنجين روس هذه الجبال فوجد بها الصوان طبقات وعلماء المعادن من الموسقوبية شاهدوا بها معادن عظيمة من النحاس والرصاص والفضة واضمروا فى انفسهم أن يستخرجوها اذا فرغت معادن كليوان وقد مسح بعضهم بميزان الحرارة احد روس جبل التاى الصغير فوجده نحو خمسة آلاف ومائتين وثلاثة وار بعين قدما فوق تل شلنجنبرغ بقرب بحيرة كليوان

وثم شعبة صوانية انفصلت من جبل التاى الصغير وبرزت بين نهرى ارتيش واوبى وهى ترتفع كالمسلة نحو الف واربعمائة قدم الى الف وخمسمائة فوق السهول المجاورة لها وثم جبال صفائحية وكلسية كثيرة النحاس المشوب بالفضة والذهب تستر من جميع الجهات قلب الصوان وهى الجبال المعدنية التى فى كليوان والارتفاعات التى تهتدى صوب نهر اوبى من الميسرة الى التقائه بنهر ارتيش تسمى اورمان

وبين نهرى اوبى وينسية تجد جبال كتزنزك التى تتسلطن فيها الصفائح الطفلية وبها طبقات متينة من فحم الحجر حتى ان بعضها اشتعل بنار الصاعقة فمكث ازيد من نصف قرن وهو يحترق

وجبال السيانية بين نهر ينسية وبحيرة بيكال ومن رآها وجدها اقرب لكونها ربوة صخور من كونها سلسلة جبال بل الصيادون لا يأتون بها الا نادرا ثم ان الجرايجى وشيسماس ذهب اليها ليبحث فيها عن الراوند الحر فوجد بها كثيرا من الصوان وهذه الربوة تنقسم الى سلسلتى جبال على حافة نهر ينسية احداهما تسمى باسم هذا النهر والاخرى

طبيعة الصخور

جبل المغناطيس

تهاع ومغارات

فروع اورال

جبال سبير الجنوبية

جبل التاى الصغير

جبال كليوان المعدنية

اورمان

جبال كتزنزك

جبال سيانية

تسمى

تسمى باسم كرسنوار وهو اسم مدينة هنالك وكتلتها الاصلية صوان احمر مشتمل على النحاس
وفى الجنوب الغربى من بحيرة بيكال تبدى لنا بلاد سيبير بجمع جبال منتظمة وذلك أن سلسلة الجبال الوسطى
بآسيا تدخل هنا فى الارض الموسقوبية وتمتد فيها متواصلة وتسمى باسماء مختلفة ولا تزال متواصلة كذلك الى بوغاز
بهرنغ فتجد أولا دائرة جبال شامخة بها وادمرتفع فى حد ذاته وفى هذا الوادى تمتد مياه بحيرة بيكال وهى عميقة
فى حوضة من صخرة قل وجود الرمل بها وانما يرتفع من اسفلها قطع احجار كبيرة صوانية والجبال البيكالية مرتفعة جدا
فى شمال البحيرة وغربيها والظاهر من حالها أنها مركبة اصالة من الصوان ومن عناصر تلك الصخرة الميكا التى تظهر
فى الغالب على شكل صفائح منعزلة يمكن أن تستعمل بدل حجر البلاط وحجر الكورتز وهو حجر الزناد يتكون منه هنالك جبال
كاملة

جبال سبير الشرقية

جبال بيكالية

وثم سلسلة صغيرة اقل من المتقدمة تمر بجنوب نهر اونون وعلى امتداد ارغون وهذه الشعبة المرتفعة ارتفاعا
هينا هى كثيرة المعادن على اختلاف انواعها وتسمى باسم جبال نرجنسك وهى اقرب لحالة التصفح من حالة الصوانية
والسلسلة الاصلية تمتد من غير انقطاع فى الشمال الشرقى وتفصل زائد مياه نهر لينا من المياه التى تنزل فى نهر امور
ولما كانت هذه الجبال فى مبدئها هينة الارتفاع ومختلطة بالاقليم الجبلى المرتفع الذى بجوار بحيرة بيكال لم تسم
الا باسم كلى وهو جبال داوريا وجميع هذه البلاد على ما يقتضيه كلام بطرين يمكن أن تكون مشحونة بآثار بركانية
ويمكن أن يكون بها على شطوط نهر شيلوق فوهتان لجبال النار التى خمدت نيرانها او على الغرب بيسير من منابع نهر
اولكما تسمى السلسلة باسم جبال يبلانوية يعنى جبال التفاح لما أن شكل هدفاتها المركبة لها مستدير والمغول يسمونها
دابا وهو اسم شهير لانه يذكر اسم طابيس وهو حرف تنتهى به على ما قاله بلنياس وملا بلاد ايسقوثية آسيا
جهة الشمال الشرقى فاذا ارتفعنا وقربنا مستترين من البحر المحيط الشرقى وجدنا هذه السلسلة من ابتداء منابع نهر
ألدان تسمى باسم جبال استنووية ثم تسمى بعد ذلك باسم جبال اوختسك ولا تعلم علة هذه التسمية والظاهر أن
هذه الجبال صوانية وبرفيرية ولكن يوجد بها كثير من الجبال التى يكون منها الجبل بتمامه من اليشب الاحمر
والاخضر

جبال نرجنسك

جبال داوريا

جبال يبلانوية المسماة جبال دابا

جبال استنووية

وثم فرع منفصل يمتد بطول نهر اولكما بل ويمر بنهر لينا وهذه الجبال طبيعتها صفائحية وبها معادن الشب وفحم الحجر
ومنها ما يتكون على شطوط نهر لينا صخرات اهرامية متواصلة تواصلا عجيبا
والسلسلة الاصلية خلف نهر اوختسك لا تعرف الا قليلا قال بعضهم انه ليس بها انقطاع وانها تتصل الى بوغاز بهرنغ
وان كانت منخفضة انخفاضا عظيما وثم عدة فروع تمتد بين نهر لينا ونهر انديجركا ونهر كوويما وبين هذه الفروع
الجبالية والبحر المنجمد مسافة قليلة ولكن لا تصل الى شطه الذى على حافاته فى الغالب تلال منخفضة على ما قاله بلنغيس
وثم شعبة اخرى جبالية غير هذه الفروع اهم منها تدخل فى بجيجزيرة قمجتقا وبعد اختراقها تمتد ايضا كانها سلسلة
بحرية تتصل الى جزائر كوريلة ويابونيا وهذه الجبال التى هى جبال قمجتقا مستورة بثلوج دائمة ومشحونة
ببراكين منها ثلاثة جبال نارية شغالة تقذف لهبا وهى بركان اواتچا وبركان تلباچيق وبركان قمجتقا وهو مرتفع
جدا وثم غيرها من البراكين التى انقطع دخانها وقذفها اللهب ولكن هنالك ايضا جبلان يخرج منهما ابخرة يصحبها دوى
وهدير يخشى منهما أن تنقلب يوما وتصير براكين تقذف نيرانا وهنالك عدة عيون حامية وكثير من الكبريت الذى يستر
فى عدة اماكن الشط فى شكل حصى وهذا يدل على أن هذه السلسلة الجبالية مستعدة لحالة البركانية وقد ذكرنا
فيما سبق أن هذه البراكين لها وصلة ببراكين جزائر يابونيا ولكيو وفرموزة وجزائر فليبينة

جبال قمجتقا براكين النار

ولما انهينا الكلام على تخطيط جبال سيبير آن لنا أن نشرع فى تخطيط سهولها الواسعة المسماة اسطيبة التى
تشغل من ارض سيبير جزأ عظيما فنقول إنها مختلفة ومتباينة بعضها مع بعض بالنسبة لمناظرها وطبائعها فتجدها
فى بعض المواضع شبيهة بسهول امريقة المسماة ساوانة حيث ترى بها مراعى واسعة كثيرة الاعشاب الغزيرة
العالية وفى مواضع اخرى تجد طبيعتها مالحة وهذه الاسطيبات تشتمل فى الغالب على كثير من البحيرات وذلك لان المياه
اذا لم تجد مسيلا منحدرا تضطر الى أن تمكث دائما راكدة واقفة وقد سبق لنا أن بين مصبى نهر الدون ونهر الاثل
اسطيبة اى سهلا يشبه فراش البحر وعلى الشط الجنوبى من نهر الاثل يمتد سهل شبيه بذلك السهل يسمى اسطيبة القلموق
اى سهل القلموق وهذا السهل محدود جنوبا ببحر الخزر وبحيرة خوارزم وليس مفصولا شمالا من سهل السيم
الابجبال اولوتو وسهل السيم وهو من سبير يمتد جهة شطوط نهر توبول فى الشمال الغربى وجهة شطوط
نهر ارتيش فى جهة الشرق وفى هذه الجهة الاخيرة يجتمع بسهل برابا

اسطيبة

اسطيبة السيم

اسطيبة برابا

وهذا السهل يمتد بين نهرى ارتيش واوبى وبهما ينتهى جهة الغرب والشمال والشرق ويتصل من جهة الجنوب بجبال التاى الصغيرة وطوله مائتان وخمسون فرسخا وعرضه ستون فرسخا فاكثر الى سبعين وارضه طيبة يخترقها غابات من شجر البتولا وارض السيم مثل هذا السهل فى المنظر وان كان هذا المنظر بها نادرا وفى كل من هذين السهلين مقابر بها آثار مشايخ القبائل التتارية او المغولية

سهول سبخة جهة الشمال

وبين نهرى اوبى وينسية اقليم جبلى يفصل نهر شوليم من نهر ينسية ويجبره على أن يجرى جهة نهر اوبى ولكن هذا الارتفاع يضمحل ويتلاشى بنواحى مدينة ينسية وفى الجنوب الغربى من اقاليم منغاسيك مجامع تلال يجرى منها انهر صغيرة تذهب جهة البحر المنجمد فهى اشبه بجزائر فى وسط هذا السهل السبخ الذى يمتد بين اسفل اوبى واسفل ينسية فتجد هذا القسم سهولا ليست ارضه الا طينا يكاد أن يكون دائما منجمدا وفيه فى بعض محال نباتات ذابلة وبسط من الطحلب لكن ليس هذا السهل بركة مستمرة بل الجروف العالية التى بحافات نهر اوبى يظهر بها على وجه الارض طبقات مسطوحة من الاحجار الطفلية التى يظهر أنه يتقوم منها جزء عظيم من اساس هذه الارض

زنبلة الجديدة

ثم ان جزيرتى زنبلة الجديدة يجتازهما من الجنوب الى الشمال ممتد من الجبال الاورالية لكن يظهر أن الجزء الاكبر سهل سبخ مستور بالطحلب وقد اخبر بعضهم عن قريب أنه يوجد بها بحيرات مالحة

الارض التى فى شرق نهر ينسية

والاقليم الذى بين نهرى ينسية ولينا يسمى عند الموسقو اسطيبة وهو اسم لامعنى له ومثل هذه التسمية يقصد بها غالبا ستر جهل ارباب الاسفار والظاهر أن بها فى الحقيقة كثيرا من الاجزاء السبخة المسطوحة وبها اجزاء اخر تستحق أن تسمى اقاليم جبالية ونهر لينا بحافته غربا مرتفع مستمر به على القرب من ملتقى نهر ويلووى طبقات مسطوحة من الشست الرملى والكلسى وفراش من الطين الطفلى المخلوط بكثير من البوريطش المسمى حجر النور وثم اقليم آخر مرتفع يوجد فى الشمال الشرقى من اسفل تنغسكا ومنه يخرج نهر اولنك ونهر انبارى ونهر ختنغا وهذه الانهر تصب فى البحر المنجمد ثم ان الاقليم الذى بين نهر ينسيه ونهر انغارا (اعلا تنغسكا) ونهر اسفل تنغسكا يظهر به ارتفاع عجيب يشاهد فيه وسط التلول الصخرية بركة عظيمة تسمى بركة الزنبق كانها معلقة فيه وهذه البركة تساوى بركة لادوغا اتساعا

انهر

ويعلم مما سبق أن انهر سبير هى من اعظم انهر آسيا غير أن هذه الانهر تجرى فى خلال سهول خربة لما أن دوام الشتاء بها يمنع من وجود الفنون والتأنس والاجتماع ومياه هذه الانهر لاتعود على المدن العظيمة بالبهجة والعمار ولا تنقاد للمينات الجليلة ولا يدخلها سفن واسقة لخيرات الاقاليم البعيدة بل تجد بساطا عظيما من المياه تارة يكون على غابة مظلمة وتارة على ارض سبخة وتجد ايضا عدة عظام نخرة من حيوان المامو ط (وهى عظام الفيل والكركند) وهذه العظام تراها على وجه الارض بسبب علو المياه وجذبها لها وثم عدة قوارب للصيد تنتقل على وجه الماء بجانب اقاطيع طيور مائية لاحصر لعددها وكذلك كاب الماء الغير المؤذى المسمى قسطور يبنى وكره العجيب الصناعة من غير أن يخشى أن يتبعه احد فهذا كله اغرب ما يوجد فى انهر سبير ثم ان القبائل المتوحشة والجماعة المتغلبة عليهم ارباب الجهل

ارتيش

سموا هذه المياه باسماء اتفاقية لاتدل على معنى من المعانى الا بالاتفاق والصدفة فنهر ارتيش الذى هو نهر عظيم اصلى من مجمع الانهر الذى هذا النهر جزء منه مكث مدة مستطيلة وهم يعتقدون أنه نهر صغير يصب فى نهر اوبى ونهر ارتيش المذكور يجرى زمنا طويلا على ربوة القلوق ويجتاز بحيرة سيسانور الكبرى وينزل من خلف جبل التاى الصغير فيجرى ثمانين فرسخا قبل وصوله الى ارض الروسية ويمكن المسير فيه من بحيرة سيسانور وعرضه يختلف من مائة قامة الى مائتين ونهر اوبى يتكون من اجتماع نهرى كاتونيا وبى الذى يخرج من بحيرة ألطون

نهر اوبى

لكن نهر دشابكان الذى يصب وحده فى تلك البحيرة يظهر لنا أنه يلزم أن يعتبر منبعا لنهر اوبى وهذا النهر يزيد بقدر اصله عند انضمامه الى نهر ارتيش الذى يزيد قبل ذلك من مياه نهرى توبول وايسيم ومجرى نهر توبول مائة وعشرون فرسخا وعرضه من ثلاثين قامة الى مائة قامة ويتكون من نهر اوبى فى مصبه جون واسع ويمكن المسير فيه

نهرا توبول وايسيم

الى بحيرة ألطون وهو كثير السمك لكن سمك ارتيش المسمى اسطرجون اعظم من اسطرجون اوبى وكذلك مياهه اروق من مياه اوبى واذا انجمد نهر اوبى مدة من الزمن صار ماؤه مالحا منتنا وسبب هذا ابطاء مجراه وما يلاقيه فى ممره من الساحات السبخة ولكن ينظف ويروق فى زمن الربيع بما ينزل فيه من ذائب الثلوج

ينسية

وبعد تخطيط نهر اوبى يجب علينا تخطيط نهر ينسية فنقول هو اعرض من الاول واعظم منه وان كان دونه فى الطول وهو يتكون فى الجبال على الجنوب الغربى من بيكال باجتماع نهرى سسكيت وبيكم ثم يتوجه بعد ذلك

على

على الاستقامة جهة الشمال فيصب فى البحر الشمالى المنجمد ولكن يمكن أن نعتبر بالبرهان نهر ينسية الاعلى كأنه يصب فى نهر انغارا الذى هو على تنغسكا الذى يجىء من بحيرة بيكال فيجتمع به ولكنه يفوقه عظما وطولا بحيث يمكن أن نسمى نهر ينسية باسم انغارا الى مصبه فى المحيط الشمالى والمصبان الآخران الشهيران لنهر ينسية هما نهر بدكامينية تنغسكا يعنى تنغسكا الذى خلف الجبال واسفل تنغسكا وهو نهر اعظم من نهر الرين

تنغسكا

انغارا

ومياه نهر انغارا رائقة صافية بحيث تشاهد حصباؤها فى عمقها ولو بلغ عدة باعات وعلى البعد من بحيرة بيكال يكون فراش هذا النهر فى الغالب من مائة ذراع من العرض الى مائتين و ينحصر مسيرة ميل بين الصخور بحيث ان اصغر قارب لا يمكنه أن يسير فيه الا بغاية الاحتراس ومياهه تنكسر فى تموجها بالاحجار و يسمع لها دوى شبيه بمياه البحر عند عجيجه وهيجانه

سيلنغا

ونهر سيلنغا يصب فى بحيرة بيكال بعد أن يتلقى مياه نهر الاورشورن وغيره من الانهر التى منها نهر تولا الذى عرضه مائة وخمسون باعا ويجرى بالبطء على ربوة من الصخرات

لينا

وآخر الانهر الصغيرة بهذه الجهة نهر لينا وهو يخرج من غرب بحر بيكال بعد أن يتلقى مياه نهرى ويتيم واولكما الخارجين من جبال دوريان ويستمر على جريانه حتى يقرب من نهر ياقوتسك فى الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وهذا الاتجاه نافع جدا لانه يمكن المسير فيه مع غاية الامن الى الاقاليم البعيدة ومن ياقوتسك يجرى على الاستقامة الى جهة الشمال ويتلقى نهر ألدان جهة الشرق ونهر ويلووى جهة الغرب وفرشه عريض جدا وفيه كثير من الجزائر ثم ان السياحين فى مرورهم بنهر لينا يصعدون نهر ألدان وينحدرون بنهرى ميا ويادوما ويكملون طريقهم الى اوشتسك على شطوط المحيط الشرقى

ألدان وويلووى

اولينق واندبجركا وغيرهما

ومن الانهر الصغيرة التى تصب فى البحر المنجمد عدة انهر منها نهر تاز ونهر شاتنغا ونهر اولينق على الغرب من نهر لينا ثم نهر انديجركا على الشرق من نهر لينا المذكور ونهر كوويما على الشرق من نهر انديجركا وهذه الانهر عظيمة المجرى ولكن مياهها كأنها تضل على وجه خفى فى البحور التى لا يمكن الوصول اليها

والسواحل الشرقية من بلاد سبير المتقطعة كالقرون البارزة من جهة البحر المحيط ليس بها من الانهر الشهيرة شئ الا نهر انادير الذى مجراه مع ذلك غير طويل جدا

بحيرة بيكال

و بلاد سبير ليست خالية عن البحيرات فبحيرة بيكال هى بعد بحر الخزر و بحر ارال احدى البحيرات العظيمة الداخلة فى القارة القديمة وطولها مائة وثلاثون فرسخا وعرضها من ثلاثة عشر فرسخا الى ثمانية عشر وعمقها يختلف من عشرين باعا وسيا الى ثمانين وفى بعض الاماكن يبلغ مائتى باع كل باع سبعة اقدام ومنظر هذه البحيرة فى مجيئها من اركوتسك عجيب حتى ان الروسية الذين يسيرون فى هذه البحيرة يتحدثون عنها بنوع من الاحترام والتعظيم حتى انهم يسمونها البحيرة المباركة بل ويسمون الجبال التى حولها باسم الجبال المباركة ايضا ومياه هذه البركة عذبة ذات شفافية متجاوزة للعد ولا يجمد ماؤها الاحين دخول عيد الميلاد عند النصارى ويذوب جليدها فى غرة شهر ماية ويعتريها حركات بليغة حتى ان الريح اللينة تهيجها فى هذا الوقت بخلاف الزمن الآخر فانه قل أن تحركها فيه شدة الرياح العواصف ور بما غلى باطنها فى بعض الاحيان وفى وقت غليانها قد يكون سطحها مثل الجليد فترتج السفن فيه ارتجاجات مضرة ويوجد فى هذه البحيرة عجول البحر وكلابه وهذا الامر عجيب لان هذه الحيوانات لا تصعد على نهرى ينسية وانغارا وبهذه البحيرة نوع مخصوص من السمك يسميه الروسية سوليومنكا قال الخواجة بلاس ان هذا السمك انما هو مركب من شوك وشحم دهنى وقد تقذف امواج هذه البحيرة فى بعض المحال صنفا من القفر يسمى قطران الجبل

طبيعة مياهها

تولدات

بحيرة چانى

واما بحيرات سبير الغربية فانها شهيرة بكثرة عددها دون اتساعها فان بحيرة چانى طولها ثلاثون فرسخا وعرضها فى بعض الاماكن اثنان وعشرون فرسخا وهى فى جزء من سهل برابا المملوء بحيرات بعضها يتصل ببعض وعلى خرطات سبير المرسومة فى سياحات بلاس يعد منها نحو سبع وعشرين بحيرة فى المسافة الداخلة بين اومسك وكوليوان وسيميالتنوا بخلاف دنو بل فلم يعرف منها الا بحيرة او بحيرتين وسهل ايسيم يشتمل ايضا على عدة بحيرات كثيرة منها بحيرة كرغ أليديم وهى اعظمها وعدد البحيرات الصغيرة لا يحصى فى اقليمى ايسيت وكاثرينبرغ ففى نحو مسافة طولها مائة فرسخ وعرضها ثلاثون من شطوط نهر اوى الى مصاب نهر تورا وعلى امتداد السفح الشرقى من الجبال الاورالية لا نشاهد الا بحيرات اقل عددها على الخرطة الصغيرة فى اطلس بلاس نحو مائة بحيرة

بحيرة كرغ أليديم

بحيرات مالحة

والبحيرات المالحة ليست من خصوصيات السهول الرملية من الجزء الجنوبى بل يوجد منها ايضا فى الربوات وفى الجبال

المياه العذبة التي تصير مالحة

الباردة وهي جبال دورية وتوجد ايضا البحيرات المالحة في الاراضي المستنقعة المنجمدة في الشطوط الشمالية ومن اغرب ما يكون أن بحيرات الماء العذب يعتريها تغير فتصير مالحة مثال ذلك بحيرة سيديشوو في اقليم ايسيت (بين ضيعة توملبازسك وقلعة ازوير بنوغولوفسكا) فهذه البحيرة كانت سابقا مملوءة بالماء العذب ومنخفضة جدا وكثيرة الاسماك فزاد عمقها دفعة واحدة وصار ماؤها مالحا ومات ما فيها من السمك وغرق فيها نصف غابة بجوارها ولكن من سوء الحظ أن هذه الغرائب لم يشاهدها احد مع القرب منها الابعض من التتار ثم ان الحكيم سوكولوف خطط

بحيرات اقليم ايسيت

على وجه مفيد البحيرات المالحة الموجودة في اقليم ايسيت وهذه البحيرات المالحة متفرقة بين عدة بحيرات عذبة فتفقد شيأ من ملوحتها وذلك لانه يعرف عدة بحيرات كان الملح فيها متبلورا سابقا والآن لا يوجد بها الملح الا منحلا مذابا وفي بعض هذه البحيرات المالحة يوجد ملح بحري دون غيره وثم بحيرات مياهها مشوبة بهذا الملح ومنحلة فيه الى ما يزيد عن شبعه وتحمله للملح وفي بعضها تجد ملح الحامض ١ او ملح غلوبير الذي لا يجتمع في صورة البلور بل يكون حبوبا مدورة وثم بحيرات

ايلوى

اخر مالحة في سهل ايسيم واما بحيرة ايلوى ويقال ايضا بيلوا فهي من البحيرات الكثيرة الملح وهي موضوعة بقرب منابع نهر توبول ويخرج منها ملح ظريف عند امة البشكير ويأتي الغرغيز اليها مدة الصيف حين يذيب الحر ملحها فيستحمون فيها لاعتقادهم أن بها شفاء عدة امراض وبين نهري توبول وايرتيش في ارض ايسيم

بحيرة باميش

بحيرات ايضا مالحة مرة وفي وسط سهل برابا تجد بحيرة باميش التي محيطها عشر ورستات موسقوبية وملحها شديد البياض وينجمد ويتبلور فلا تخرج اشكاله عن المكعبات البلورية وقد قل الآن

وفي بلاد سبير الشرقية تجد البحيرات المالحة اقل اتساعا مما تقدم لكن من اركوتزك الى ياقوتسك تكون الجبال مملوءة من العيون المالحة وهذه العيون يتكون منها بحيرات في اكثر من موضع وقد شاهد المعلم بلاس بحيرة

بحيرة سلنجسكوا

سلنجسكوا فوجد بها ملح مر او العيون التي تصب فيها عذبة واصل المرارة يظهر أن يكون من الاناء الازرق الذي يشغل اسفلها

بحيرة ناتروش

وبحيرة ناتروش ببلاد دورية قريبا من زيزان ليست منفردة في بابها بل يوجد مثلها في عدة اجزاء اخر من بلاد سبير

بحيرة موچيسان

وبحيرة موچيسان توجد ايضا قريبا من نهر صغير يسمى أويبات يصب في نهر امكان ويسمع فيها صوت مزعج يدل على هيجان عظيم في جوف الارض شبيه بالهيجان الذي خسف السدود التي كانت حاصرة لبحيرة غوسينوا في ارض دورية ولهذا سميت تلك البحيرة باسم موچيسان فان موچيسان معناه يغلي ويهدر

مياه معدنية

وببلاد سبير عدة مياه معدنية لاسيما بجبال التاى ودورية فان سلسلة جبال اورال بقرب كاثرينبرغ يتولد منها عدة عيون زاجية اوحديدية ويوجد ايضا بقرب بحر بيكال عيون مشوبة بالنفط وبنوع آخر منه يسمى بطرولة وهذا الاقليم مملوء بالعيون الحامية ولكن اشهرها عيون تجيتقا التي خططها ليبس والحمامات التي

فوارات

اعتنى ببنائها كوشليو لنفع تجيتقا متكونة من نوع كالشلال منحدر يسقط منه الماء من نحو ارتفاع ثمانية قدم والتيار المتكون من المياه عمقه نحو قدم ونصف وعرضه ستة اقدام اوسبعة والماء فيه شديد الحرارة والظاهر أنه مشتمل على مقدار عظيم من الملح الراجي والبارودي مشوبا بطين جيري وعلى الغرب من جون بنيينا عين ماء حامية عالية تصب في نهر تواتوبا ومنها تصعد سحائب بخار شبيهة بالدخان

قطر

والآن قد عرفنا ارض سبير فلا نتعجب اذا رأينا أن طبيعة قطرها ليست على ما تقتضيه درجة عرضها الملكي وذلك لان ثلاثة ارباع سبير تكون في عرض نرويج ولابونيا ومنها قطعة على عرض لوندرة قاعدة مملكة الانكليز وعلى عرض بولين وشمال فرانسا وهذه القطعة مشتملة على جزء من اقليم كوليوان والاقليم المجاور لبحيرة بيكال

البرد الشديد

ولكن حر الاقاليم العظيمة من بلاد سبير لا يضاهي اصلا حر نرويج والبرد في الجزء الشمالي اشد وادوم من برد لابونيا وفي بعض الاحيان يحس بثقل البرد في الاقاليم الجنوبية التي على خمسين درجة من العرض الى خمس وخمسين والشتاء يستمر في غالب بلاد سبير نحو تسعة اشهر او عشرة ويبتدئ وقوع الثلج غالبا في شهر سبطمبر ولا يندر وقوعه في شهر ماية فاذا كانت الحبوب غير ناضجة في شهر اغسطس فانهم يعتقدون أنها ضاعت ولا ينتفع بها فقد يغمر الثلج الغلال قبل حصادها وعلى الشرق من نهر ينسية والشمال من بحيرة بيكال يكون امر الزراعة مجهولا

جليد مستمر

الامانذر والبرك الواسعة التي يخترقها نهر اوبى في آخر جزء من مجراه لا يدخلها ذوبان الجليد الا في نحو قدم وبقرب ياقوتسك في ستين درجة من العرض حس نملين الارض في الثامن والعشرين من شهر يونية فوجد ايضا الجليد ثلاثة اقدام الى اربعة من العرض وقال اهل قلعة ارغنسك انه في خمسين درجة من العرض لا ينحل

جليد ارضهم الا بذراع ونصف وذلك لان البرد الباطنى يمنع من حفر العيون وفى كراسنوارسك على ست وخمسين درجة من العرض وجد الحكيم بلاس أن الزئبق يجمد ويقبل التطرق

حرّ الصيف

وحرّ الصيف فى جميع سبير قصير المدّة الا أنه شديد يفاجئ بغتة وبقرب مدينة ياكونسك تجد التنغوز دائما عرايا والحبوب وغيرها من النباتات تكاد تنبت بمجرّد نظر العين لكن بقرب البحر المنجمد تحاول اشعة الشمس ليلا ونهارا تسخين تربة الارض المجبورة على الانجمادات الدائمة فلا ينفع فيها شئ بل وفى اثناء اطول ايام الدائرة القطبية تكفى ريح الشمال فى ستر المياه بقشرة جليد وفى صبغ اوراق النباتات بلون اصفر او احمر وفى الغالب لا تعيش النباتات بتلك الجهة الايسيرا من الايام وتزهر فى هذه المدّة القصيرة ويتكون فيها حبوب وربما نبتت بعض الاحيان فى البرك فاذا رفع الطحلب من هذه الاماكن التى نبتت فيها النباتات وجد بها جليد خالص

قطر الجهات القطبية

فرطونات

والرياح العواصف متواترة فى الجزء الجنوبى بين الجبال بخلاف شطوط البحر المنجمد فلا يسمع الرعد فيها الا قليلا وان شوهد البرق فيها متميزا ظاهرا وفى الاقاليم السفلى من نهر ينسية جهة البحر المنجمد يشاهد من ابتداء شهر اوقطوبر الى عيد الميلاد كثير من الفجر الشمالى ولا تظهر هذه الحادثة العجيبة ظهورا بليغا مثل ظهورها فى هذه الجهة

الفجر الشمالى

ولو أن هذا الاقليم الشديد البرودة الخالى عن لذات الصنائع وحلاوة المعيشة اثبت للسبير بين عوضا عن ذلك خصايص كما يؤثر عن فرقة القدماء المسماة الهيبربورية اى سكان البلاد الشمالية من انهم كانوا يجهلون بالكلية الامراض ولا يموتون اصلا الا بعد الهرم وكبر السن جدّا لقامت هذه الخصايص مقام ذلك لكن قطر هذا الاقليم وان كان مناسبا لصحة بدن الانسان الا أنه لا يخلو عن اسباب الامراض الوبائية وذلك لان الضباب المستمرّ الذى يستر السواحل الشرقية والشمالية من بلاد سبير يدخل بهاداء الاسقوربوط اى فساد الدم ويقال ان الامم ارباب الصيد والقنص يتحفظون من ذلك بشرب دم الحيوانات التى يقتلونها فيتعاطون الدم وهو حار وثم ايضا ضبابات كثيفة منتنة تتسلطن فى سهل برابا ولذلك تشاهد فى اهلها كثرة المواد الفاسدة حتى كأن ابدانهم معلولة وفى جبال دورية وجهة نسجنسك يتولد من الهواء المخزون فى الاودية الضيقة الفاسد بالابخرة المعدنية الحميات والصداع وفساد الدم المسمى اسقوربوط وفى جميع السهول تكون المواشى لاسيما الخيل عرضة لمرض يسمى الهواء وهو نوع من الطاعون يظهر له كبب وحبات وربما اصاب الانسان وينسب هذا المرض لهامة من الهوام تمشى فى الهواء سماها الحكيم لينة فوريا انفرناليس وهذه الآفة اهلكت سنة ١٧٨٥ من الميلاد نحو خمسة وثمانين الف فرس تقريبا

ضباب

اوباء

جائحة البهائم

وقد بقى علينا الآن أن نذكر ما يتولد فى بلاد سبير ولانذكر الا اصول التولدات فنقول ان هذه الولاية هى برّ الروسية ولكن من قديم الزمان قبل معرفة الناس لاسم الروسية كانت امة البرمية المسماة ايضا بيارمية امه اصلها فينى كما يقول الروسيون ان اسمها چوده عملت اعمالا واسعة فى جبال اورال و التاى بقى منها الى الآن آثار ولم يستخرج الروسية المعادن الا فى زمن ملكهم ألكسيس ميخايلوويچ واوّل من ألهمهم ذلك الشخصان احدهما دانيمرقى والآخر فلنكى ثم ان بطرس الاكبر فتح معادن برميا و سبير واستعان على ذلك بلغمية ألمانية واستولى من جاء بعده من الملوك الروسية على معادن كوليوان و دورية

تولدات

ابحاث معدنية

معادن الذهب الاصلية ببلاد سبير هى معادن بريزوف وفى اقليم كثرينبورغ على الشرق من الجبال الاورالية لم يستخرج منها الذهب الا فى سنة ١٧٥٤ ولم تصر عظيمة مهمة الا فى زمن ملكة الموسقو المسماة كاترينة الثانية فخرج منها من سنة ١٧٥٤ الى سنة ١٧٨٨ ذهب قيمته نحو ١١٩٨٠٠٠ روبلة منها الربح نحو ٨٠٠٠٠٠ وكان عدد العملة فى استخراجها نحو ثلاثة آلاف نفس منهم الف وماءتان يشتغلون دائما وحجرها بوريطش حديدى مخلوط بحجر الزناد وفيه الذهب ومع غاية الاعتناء بانقاء هذا الذهب وتنظيفه لا يمكن ابدا أن يصل الى درجة الخلوص ومن كل الف پود من الاحجار الغشيمة يستخرج من اربعين الى ستين زولاتنك من الذهب العظيم (والپود يساوى اربعين رطلا من ارطال الفرنساوية القديمة) وفى بعض الاوقات يوجد الذهب الابريز ولكن فى الغالب يشوبه بعض جواهر اخر لاسيما الفضة ومعادن بريزوف هى التى تستخرج بسبب ما فيها من الذهب دون غيرها واما معادن كوليوان و نرچنسك فانها معادن فضة ولا عبرة بذهبها لقلة ما يخرج منه فيها

معادن الذهب

وقليلا ما توجد الفضة الاصلية وحدها بل هى فى الغالب مشوبة بالذهب وتوجد فى احد جبال دورية مخلوطة بالرصاص وصنف الفضة المسمى الفضة القرنية يوجد جهة قلعة شلنجنبرغ فى جبل التاى الصغير حيث يكثر ايضا

معادن الفضة

المعدن الشبيه بالزجاج وهو فضة مخلوطة. بالانتموان المكبرت ومعدن الزرنيخ الاحمر ومعدن نحاسى "كبريتى" ومن منذ سنة ١٧٤٥ من الميلاد وهو تاريخ تغلب ملك الروسية على هذه المعادن الى سنة ١٧٨٧ اى فى ظرف اثنتين واربعين سنة خرج من هذه المعادن ٢٤٤٦٠ بودا من الفضة الرقيقة وما يزيد على ٨٥٠ بودا من الذهب النفيس ومجموعهما يزيد على ٣٠٠٠٠٠٠٠ روبلة والمصاريف فى مدة هذا الزمن كله باشتماله على التكرير والتنظيف فى مدينة بتربورغ لا تزيد عن ٧٠٠٠٠٠٠ روبلة فالربح حينئذ ٢٣٠٠٠٠٠٠ روبلة بل يظهر لنا أن هذا الايراد عظيم اذا نظرنا للثمن الحقيقى "لنقود النحاس التى تدفع فى الاجرة لا سيما وهذه النقود مضروبة فى نفس تلك الاماكن

معادن الفضة

ومعادن فضة نرچنسك التى فتحت سنة ١٧٠٤ من الميلاد موجودة فى دورية بين نهرى شلقا و ارغون وهى كثيرة العدد ولما كان محل استخراجها كثير الرصاص جدا وليس به من الفضة الا اليسير سهل خروج الفضة من الرصاص والشغالون به نحو ٢٠٠٠ وهنالك ايضا نحو ١٣٠٠٠ فلاح يشتغلون بقطع الخشب ومن سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧٨٧ يعنى فى ظرف ثلاث وثمانين سنة خرج من هذه المعادن ١١٦٤٤ بودا من الفضة ومن هذا المقدار استخرجوا من سنة ١٧٥٢ اثنين وثلاثين بودا ذهبا فالذهب والفضة معا قيمتهما عشرة ملايين من الروبلة

معدن النحاس

وغير معادن النحاس التى بجبال اورال معادن نحاس اخر فى جبال التاى والخارج منها خمسة عشر الف بود ولكن هذا شئ يسير بالنسبة لمعادن الجبال الاورالية واعظم المعادن بها ما كان من جهة سبير فى توريا و ازيليوسكوا وفى فرولوسكوا وفى اولغوسكوا وهى توجد فى منفصل الصخرات الصفائحية من الصخرات الكلسية المحضة وتوجد ايضا معادن عظيمة فى محال اخر وحاصل ما يخرج من جميع جبل اورال مندرج فى مضمون لوائح محصولات تامة البلاد ففى سنة ١٧٨٢ سبكوا فى هذا الجبل ١٩٠٧٥٢ بودا من النحاس منها ١٢٤٩٦٢ فى ايالة برمة والظاهر أن حاصل الجميع يبلغ ١٥٠٠٠٠ وهذا المقدار يخرج من ساحل سبير من سلسلة الجبال وتقدم أن البود اربعون رطلا ونحاس سبير لين جدا سهل التطرق وفى جميع المعادن الكبيرة التى ذكرناها يغلب النحاس المصدأ الاحمر والكربونات الازرق

ملشيطة

واما المادة المسماة ملشيطة اى النحاس المقطر الشبيه بالجليد فانها توجد بهذه الجهة فى درجة الكمال

معادن الحديد

واما معادن الحديد الموجودة فى جميع بلاد سبير فانها قليلة الاستخراج وانما يسبك الفلاحون الحديد فى نواحى كرسنورسك و ينيسيسك ولكن فى نرچنسك و كوليوان لا يعتنون بهذا المعدن تأثلين انه من المعادن العامة غير النفيسة واما فى اورال فانهم يعتنون به اكثر من غيره ثم ان المعادن توجد ايضا على حد سواء بجبال اورال من جهة اوروبا ومن جهة آسيا وقد بلغ المتحصل منها فى سنة ١٧٨٢ ثلاثة ملايين و ٩٤٠٤٩٠ بودا ومن هذه السنة لم يعلم حال المعادن وانما يقال ان معادن النحاس ضعفت عن حالها الاصلى" وقل محصولها بخلاف معادن الحديد فانها لم تنفد

معادن مختلفة

والظاهر أن سبير بها معادن كثيرة غير ما ذكرناه ولكن لم تعلم الى الآن كلها بل لا بد من ابحاث علماء المعادن فيما يتعلق بذلك والظاهر أن الزئبق مفقود فيها فى الاغلب وقد رأى المعلم لكزمان امواج البحر الشرقى" تقذف فى جون بنينسك من الزنجفر احجارا شفافة كالزجاج وفى سبير يوجد رصاص احمر فى معادن بريزوف فى حجر رملى" مشوب بمادة الميقا وبتلك المادة الجوهرية استدل على وجود المعدن المتطرق المستكشف عن قريب المسمى معدن الكروم ومن احجار سبير حجر الطوباز اى الياقوت الاصفر الرائق الشفاف وهو موجود بجبل آدون شولون فى دورية وفى جبل توچلنيا بقرب مرزنسك فى جبل اورال وقد وجدوه ايضا فى سهل الغرغيز وعلى سواحل البحر المنجمد

بريل

ففى مرزنسك يشاهد الزبرجد على شكل اعمدة صغيرة كل عمود تسعة افتار واما الحجر الازرق المسمى بريل سبير ويقال له ايضا اغومارين الغربى فهو كثير ايضا فى جبال دورية وجبال التاى وقد وجدوا عمودا منه ارتفاعه ثلاثون اصبعا وقطره خمس اصابع ولكنه تفتت وتكسر وذلك لان هذه الاشكال المنشورة دائما ذات فلول وانشعارات ثم ان كلا من الحجر الازرق والطوباز المتغير بالدخان يوجد غالبا فى صورة واحدة على قالب واحد بل فى بعض الاحيان يظهر أن احد احجار هذين الصنفين كاسن فى خلال الآخر الذى هو فى حالة الرخاوة ولا يندر هنالك زجاج حجر الزناد المسمى كوارتز فان احجار كوارتز تيپروق فى جبل التاى ذات لون وردى وما زعموه من الزمرد فى جبل اورال انما هو بلور اخضر واما الاحجار الجميلة المسماة شعور الزهرة فانها زجاج حجر الزناد الرائق وهى مشتملة على مواد كاشعة خضراء اوحمراء وهى توجد فى جبل اورال

اوبالة

ولا يعلم هل حجر سبير المسمى اوبالة من الصنف الحر اولا واما حجر الجزع المسمى طمار الموجود فى دورية فهو طريف جدا وحجر خلدونيا واحجار العقيق اليمانى" كثيرة هنالك واما حجر الغرناط

الحر

الحرّ فهو نادر غال ويسمى هذا الحجر حجر سيلان اوعقيق سيلان ويصقل في مدينة اكستارنبرغ وحجر
البرق المسمى اونطورينة الموجود في سيبر هو حجر زناد احمر اومائل الى السنجابية مشتمل على صفائح ميقا
بلون الذهب اوالفضة ويوجد منه في جبل اورال وبالصقل يصير كظاهر صدف اللؤلؤ واما حجر الروبليط وهو
حجر احجر الياقوت الذي يوجد في سرابلكا غير بعيد من مرسنسك فهو امر عجيب للمتولعين بالتحف المعدنية وهم
مضطربون في بيان اوصافه واما حجر البيقاليط فانما هو من مادة الانفيبول المتبلور على شكل مناشير
ثمان في جاريش بجبل التاى حائطا ارتفاعه عشرون قدما متكونا من احجار الفلدسبات الاخضر
والاصفر واليشم المختلف الالوان الصغير القطع والفلذات والرخام الاسود والابيض الشبيه بالصوان مع عروق خضر
والفرفير الاسود وفي جبل سلودنكا بقرب بحيرة بيكال احجار اللازورد الظريفة وحجر الميقا الشفاف
المسمى اخضر الموسقو يوجد في الدون و ماما وهما نهران يصبان في نهر لينا وهذه الاحجار توجد صفائح
كل صفيحة منها ثلاثة اقدام اواربعة واستخراجها في تلك النواحي هو من اعمال عدة جمعيات وشركات للفلاحين فهذه
الاشياء ايضا مما يسهل معرفته وهي جديرة بالذكر ولكن يشق علينا استيعاب جميع معادن هذه البلاد

روبليط

غرائب تولدية — حديد تولدي

وينبغي أن ننبه ايضا على أن من الغرائب كتلة الحديد التولدي التي وجدت في سنة ١٧٤٩ بين مدينتي اباكنسك
وكارولنواستروغ وقد بلغت زنتها الفا وستمائة وثمانين رطلا ويقال انها سقطت من السماء على ماذكره التتار واما
الاسبيست ومنه حجر الفتيلة فهو موجود في جبل اورال وهو جدير بالذكر وقد صنع منه بعضهم عن قريب اقمشة
وقلانس واكياسا وبعض على المكاتب ببلاد الروسية عرض للمشورة أن يصطنع منه الورق لدواوين الموسقوبية

اسبيست

قلب الصخر

وينبغي لنا ايضا أن ننبه على الطين الليثومرجي السيال المسمى قلب الصخرات فنقول انه يوجد على السواحل الشرقية
وتأكله قبائل التنغوزة وحده اوباللبن ولا يضرهم اصلا وبقرب الجبال الاورالية يخلطون في بعض الاحيان
الخبز بسحيق الجبس المسمى عند العامة دقيق الصخور ولكن آثاره مشؤومة وفي جميع بلاد سيبر يوجد على الصفائح
الشبية زنجرة تسمى سمن الصخر وهذه المادة الشبية يستعملها الناس هناك دواء للاسهال والامراض الافرنجية

سمن الصخر

مرتبة النباتات

واما مرتبة النباتات فانها اقل اصنافا وذلك لان شدة برد الاقليم تمنع من نجاحها ماعدا القوى منها فان البلوط والبندق
والحورة الرومية وشجر الدلب وشجر التفاح البرى لايمكن أن تقاوم برد شتاء سيبر بل لايوجد لها اثر في جهة الجبال
الاورالية ولا على شطوط نهر تبول ولكن توجد اشجار البلوط والبندق على شطوط نهر ارغون في طرف دورية
الا انها ضعيفة ذابلة واشجار السوسن واشجار لسان العصافير ينقطع اثرها في نواحي نهر ايرتش واما شجر الراتينج
الذي يخرج في نرويج الى حد سبعين درجة من العرض فانه لايخرج بتلك النواحي الا في الدرجة الستين من العرض
وينقطع فيما زاد عنها واما الراتينج المسمى بالمفضض فلا يصل الا الى الدرجة الثامنة والخمسين من العرض وعنب الثعلب
المعتاد الذي يخرج في غرونلند لايخرج الا الى حد توروخنسك على نهر ينسية وتفاح الارض يتناقص
غلظه جهة الدرجة الستين من العرض فينتهي في تلك الجهة بأن يشبه الحمص في القدر واما الكرنب فانه في هذه
الدرجة لايخرج رأسه اصلا ومع كون هذا القطر يتولد عنه ماذكر فلا يستنتج من ذلك أن انهر سيبر العظيمة لاتسقى
الا صحارى عقيمة بل يكتنف هذه الانهر غابات كثيفة كثيرة الاشجار وهي البتولا وشجر الخلاف وشجر الدردار وشجر
اسفندان التتار وشجر الحور الابيض والاسود وشجر حور الرجراج ومالايحصى من انواع الاشجار الراتينجية التي
منها ارز سيبر الذي يرتفع بعض الاحيان الى مائة وعشرين قدما وقطره يدل على أن عمره من نحو مائة وخمسين
الى مائتين واغلب اشجار الصنوبر العظيمة يوجد في شطوط ينسية وكلما بعدت الى الشرق تناقص ارتفاعه ويقصر
خلف نهر لينا جهة شطوط المحيط الشرقي ولكن يبقى تناسبه وشجر الحور البلساني تعبق منه رائحة عظيمة
ولو من بعيد ويخرج منه صمغ زكي الرائحة ولا يخرج ببلاد سيبر شجر التفاح ولا الكمثرى واما شجر الكمثرى البرية
جهة دورية فلا يخرج منه الاثمر من غير طعم وغلظه كغلظ النبق ولكن اشجار الحبوب والشجر المسمى روبوس
شاميموروس وشجر روبوس ارقطيقوس وشجر واقسينيوم كلها تكثر بهذه الجهة ويستخرج منها الاشربة
العظيمة والسهول مملوءة بنوع من شجر الكريز الكثير الاثمار المستعملة في نوع من النبيذ ومشمش سيبر لاينبت
الافي دورية وثمرته حامضة وشجر الكريز الكثير العناقيد ينمو في جميع سيبر ولكن المزروع يذبل فيما حول ايسيم
فاذا بعد عن ذلك يموت بالكلية

ارز سيبر

اثمار الاشجار

ازهار

وهذه الاقاليم الوحشية في مدة صيفها القصيرة تكون مزينة بعدة نباتات ظريفة فتجد جملة من اصناف جنس الاورخيس
المسمى نبات السحلب لها ازهار غريبة نيرة وهو متولد اصالة في غابات سيبر وكذلك نبات الاوفريس مونورخيس

ونبات السحلب الظريف المسمى سحلب كبوشون وزنبق الاودية والخربق الاسود والابيض واريس سبير وهو نوع من السوسن وكذلك شقايق النعمان النرجسي الازهار ونباتات البيغامون والبنفسج والبوطنطيل والاسطر اغالة الساطعة التي بالجبال وهذه الازهار تظهر في كثير من المواضع بجميع الوان ويعبق منها روائح عظيمة لا يمكن وجودها في الاقاليم الجنوبية وكل قطر من اقطار سبير به عدة ازهار خاصة

زهر جبل التاى

فزهر السبير في جبل التاى لا يشبه سبير قجتقا وازهار روبينير قرغان الظريف وشجرة الدفنة التائية والسافورة المشرقية وشجرة اللوز القصيرة والبوطنطيل ذو الجذع الصغير والاسفوديلة التائية والجنتيانا التائية والقرنفل الملقب بالعظيم و فوسبير كل هذه المذكورات لا تخرج الا بجبال التاى وفي سفح هذه الجبال تجد الاسطر الازرق والورد

ازهار دورية

الذي اوراقه كاوراق المسيكة والسنبل الوحشي وغير ذلك كلها تزيد التلول والمروج بهجة ونضارة وبلاد دورية محتوية على اعظم ازهار سبير فتجد الصخور ملونة بلونين ارجواني وذهبي وذلك بصنفين من الورد بدالية دورية وبشجر المشمش السبيري وبالمنثور الذي ازهاره ذابلة وينضم الى هذه الازهار الزاهية الوان بيضاء يققة ناشئة عن ازهار الكمثرى البرية والاغلنتيا والسنبق ذو العناقيد والسبيرة ذات الاوراق الاوسقوردونية وينبت في سفح تلك الجبال الشقايق البولصاطيلة وعود الصليب ذو الازهار البيضاء واسطاطيق الذهب واسطاطيق الورد ونحو عشرين صنفا من البوطنطيل و القنطوريون وتجد ايضا النبات المسمى جنتيانا أجيدا تنتشر ازهاره الظريفة الزرقاء والبيضاء على رؤس جبال البه الكثيرة الثلوج وكذلك النبات المسمى رودبول روز الذي يحسن به منظر

ازهار سبير الشرقية

البطائح التي تتمايل حولها اغصان صفصاف سبير الذهبية اللون و سبير الشرقية كثيرة الزنبق فمنها زنبق قجتقا وزنبق سارانة الذي يقتات بعرقه ولنذكر هنا نباتين وهما هيرقلوم بناقيا و هيرقلوم سبيرقوم فاذا يبس جذع هذين النباتين استخرج منه اهالى سبير نوعا من الزنجار حلو الطعم وهو قليل لا نفع له ولكن اذا قطروا جميع هذا النبات وجدوا به مائعا ردئ الطعم يطلب في قجتقا

عقاقير

وقد بحثوا عن الراوند الحر في بلاد سبير ولم يجد بحثهم نفعا وشجر الرابنطيق ينمو في الجبال الجنوبية من سبير على شرق ينسية وثم ثلاثة نباتات يمكن أن تستعمل بدل الشاى احدها يقال له سكسفراجه كراسيفوليا وهو ينمو على جبال بيبلوا بقرب نهر اوبي والنباتان الآخران هما رودودندروم دوريقوم و پوليپوديوم فلغرنس و ينبتان على اعالى صخور دورية والاخير يعالج به داء الاسقوربوط وداء الملوك

اقطار نباتية

ثم ان غملين رأى النباتات قد تغير وصفه حين جاوز نهر ينسية ولكن يصعب الافصاح عن مثل هذه التغيرات اذ من المعلوم أن عدة نباتات لا يمكنها أن تقاوم شدة البرد التي يحس بها عقب اجتياز ذلك النهر وقد شاهد ايضا الحكيم بلاس بجوار الجبال الاورالية نباتات بانونيا واذا صعدت في نهر ارتيش جهة جبال التاى شاهدت عدة اصناف من النباتات مخصوصة بسبير ويزيد عدد هذه الاصناف بعد عبور نهر ينسية لكن لا تكثر جدا الا على شرق بحيرة بيكال فنواحي دورية هي في الحقيقة اوطان هذه النباتات ولا تظهر تلك النباتات ابدا في الاقليم المسطوح الكثير الغابات الذي بين ينسية وبحيرة بيكال وانما يخرج به نباتات معتادة تتولد اصالة بالاقطار الباردة وتكثر ايضا في اوروبا ولكن على ارتفاعات الشمال الشرقي من نهر اوبي عدة نباتات مخصوصة بالجبال التائية

زراعة

وفي سبير الغربية على نهر اوبي تضمحل الزراعة وتنقطع بالكلية في الدرجة الستين من العرض وفي الجزء الابعد شرقا لا تنجح الغلال في اودسكوا في الدرجة الخامسة والخمسين من العرض ولا في قجتقا في الدرجة الحادية والخمسين واعظم الجبال المرتفعة في الحدود الجنوبية شديد البرد والقحولة فحينئذ ثلاثة اخماس سبير غير قابلة لشئ من انواع الزراعة غير أن الاجزاء التي في الجنوب الغربي خصبة خصبا عظيما وفي شمال كوليوان يكثر الشعير

اصناف الحبوب

فيضاعف الى اثنتي عشرة مرة وكذلك الهرطمان يضاعف الى عشرين والحنطة السوداء في هذه الارض السوداء الخفيفة تنمو الى ارتفاع عظيم ولكن اذا بذرت في اراض ارق من تلك الارض ضوعفت الحبة منها من اثنتي عشرة الى خمس عشرة واغلب الحبوب التي تنبت في اوروبا تنبت ايضا في جنوب سبير ولكن قل أن يزرع منها الجاودار اى حنطة الشتاء والشعير والهرطمان ولما كان التتار يحبون الخبز الابيض كانوا يجلبون الى بلادهم مع غاية المشقة يسيرا من الحنطة الجيدة وتصح الذرة في غرب سبير والقمح الاسود التتاري يبذر في سهل يسخن قبل البذر بالنار وهذه الارض في مدة نحو اربع سنوات يخرج منها كل سنة في نظير كل حبة عشرة الى خمس عشرة من غير أن يلزم تجديد البذر بل يكفي في بذرها الحبوب التي تسقط مدة الحصاد ولكن بعد سنوات يكثر العشب الردئ المضر بالنباتات ومثل

هذه

هذه الزراعة يلايم بالكلية اهالى سبير ارباب الكسل الذين يدقون الحنطة على نفس المكان الذى يحصدونها به ويحرقون فيه القش لابعاد تعب حمله

بقاء الزراعة على حالتها الاصلية

واذا سلمنا أن استخراج المعادن والسير فى السفن فى داخل البلاد والاقتصادات التجارية قد حصل لها نوع كمال هين فى بلاد سبير فى زمن ثلاثة او اربعة من ملوكها المتأخرين لانسلم اصلا ما قاله مؤلفو الروسية من أن الزراعة قد حصل لها تقدم وكمال بل هى الآن باقية على حالتها التى كانت عليها منذ خمسين سنة وذلك لان الحكيم بيل دنطرمونى نبه منذ نصف قرن على ماشاهده من كثرة الحنطة السوداء والارز والشعير والهرطمان فى جنوب توبلسك وجنوب بحيرة بيكال ولكن جميع الموانع التى يمنع بها القطر اتساع الزراعة عارضها بعضهم معارضة هينة فلا تنجح الغلال اصلا خلف الدرجة الستين من العرض ولا فى الدرجة العاشرة بعد المائة من طول باريس وفى الشمال يتلفها البرد وفى الغرب يمنعها الضباب من النضج فحينئذ ثلثا سبير فاقدان للحبوب وانما شرعت الآن زراعة تفاح الارض فى أن تسد مسدها

كتان
قنب
اورطية

والكتان المعتاد ينبت فى عدة اماكن من اورال والنبات المسمى لينوم بريثه يصل الى حد نوروخنسك والقنب ينبت فى الجنوب فى نحو الدرجة الخامسة والخمسين من العرض و يشاهد فى سفح جبال التاى أن بعض التتار يشتغلون الخيط والاقمشة من اوراق صنفين من نبات الاورطية ويكثر هنالك الهوبلون وهو حشيشة الدينار

حرتبة الحيوانات
رنة

واما مرتبة الحيوانات فانها تستوعب جزأ عظيما من تخطيط هذه الولاية الوحشية فمن الحيوانات الاهلية حيوان يسمى الرنة وهو اشهر الحيوانات الاهلية وقد سبق لنا أن المنطقة الباردة لما كانت واسعة فى آسيا نزل فيها حيوان الرنة فى عرض اسفل مما فى اوروبا وقد شاهد بلاس و سوقولوف منه اقاطيع كثيرة بالجبال التى على حافة بلاد المغول الصينية بقرب منابع نهر اونون بين الدرجة التاسعة والاربعين والدرجة الخمسين من العرض فحينئذ اقطار الرنة والابل المتباعدة عن بعضها من عشرين درجة الى ثلاثين فى الجزء الغربى من بلاد الفرنج يتصل بعضها ببعض وربما تلاقت فى الجزء الشرقى

منفعة هذا الحيوان

وحيوان الرنة هو من اعظم المخلوقات النافعة للامم الرحالة النزالة التى ببلاد القطب الشمالى فان هؤلاء الامم المساكين يجرون بهذه الحيوانات محلهم ويشربون لبنها ويغتذون بلحومها ويلبسون جلودها بل و يستعملون مثاناتها المسماة عند العامة بالمبولة فى حفظ المائعات وتسد عندهم مسد الزجاجات و يتخذون خيوطهم من مصارينها واعصابها ويبيعون قرونها الان لها مدخلية عند ارباب الادوية وغذاء تلك الحيوانات سهل لا كلفة فيه فانها تأكل نوعا من الطحلب الذى يوجد تحت الثلج وليس لها غذاء غيره ويمكن أن تستغنى عن الاصطبلات فى هذا القطر الذى لا يمكن أن تعيش فيه الحيوانات ولو كانت قوية وحيوان الرنة ليس له عظيم سير وان ذكر ذلك بعض ارباب التولدات وذلك لان هذا الحيوان ضعيف وربما ضاق نفسه فلا يمكن أن يجر به فى كل يوم الامسيرة اربعة فراسخ الى ستة ثم ان طائفة السمويد يقال للواحد منهم غنى اذا كان عنده من مائة الى مائة وخمسين من هذه الحيوانات وطائفة التنغوز الذين يقتصدون فى المعيشة يوجد عند الواحد منهم نحو الف من الحيوانات المذكورة واما طائفة الكوريالك فيقتنى الواحد منهم عدة الوف منها وذكر بعضهم أن طوائف الجوكجية عندهم رعاء يملك الواحد منهم نحو خمسين الفا من هذه الحيوانات

كلاب سبير

وكلب سبير يشبه الذئب وهو فى الغالب ملازم لحيوان الرنة وهو ايضا يجر العجل كغيره من الحيوانات عند عدة طوائف من تلك النواحى وهم امم القمجتقا و التنغوزة و السمويد و بعض من قبائل الاوستياق وهذه الكلاب شديدة العدو والجرى ولكنها وحشية يصعب استصحابها وقد تسقط غالبا مع العجلات ومع سيدها من اعلى المنحدرات والعقبات الصعبة لكون جرها العربات واهتدائها الى صوب مخصوص لا يحصل بالسهولة وبالجملة فهى رديئة فى مثل هذا العمل ثم ان القمجتقا يطعمون هذه الكلاب السمك الجاف

خيول

ولا يظهر أن تربية المواشى فى بلاد سبير بلغت درجة كمال وان كان يظن ذلك فى مثل هذه البلاد العظيمة المراعى فمن امم سبير تمتاز طوائف البورياطة و المغول بكثرة مواشيهم وذلك لان خيول المغول ذات جمالة خارقة للعادة فمنها ما هو مخطط كنوع من النمور ومنها ما هو مبرقش كنوع آخر منها واغلب الامم العظيمة الرحالة النزالة من اهل وسط اسيا يرغبون فى اكل لحوم الخيل ويؤثرونها على لحوم البقر وفى الغالب يجففونها فى الشمس والهواء ثم يأكلونها من غير تجهيز آخر غير ما ذكر فالاصطبل المسمى ادون عند اعيان المغول فيه نحو اربعمائة فرس ذكورا واناثا وقد جاء تتار سبير الغربية من بلادهم الى سبير بهذه الحيوانات التى تحبها ملتهم وهى الخيل فتجد تلك الحيوانات تسرح وحدها فى سهل براين اقاطيع اقاطيع واغلب خيول سبير لونها البياض واغنامها

غنم

من نوع ذنبه عريض ولكن لهؤلاء الامم طريقة خشنية فى تحصيل جلود الاكاش الرقيقة وهى انهم يشقون بطون النعاج الحوامل ويخرجون مافيها ويجهزون جلوده للاستعمال تجهيزا جيدا او بقر الروسية نقل منه الى بلاد سبير ليتطبع فيها فتناقص طوله ولكن زادت قوته وفى الغالب تجد الحيوانات الصالحة للربوة الوسطى من اسيا تمتد امتدادا مختلفا قلة وكثرة فى الجبال الجنوبية من سبير والابل تأتى اليهامع القوافل بل شوهد منها فى دوريه عند المغول الروسية

بقر

حيوانات وحشية

وهذه الارض بعد امريقة الشمالية وافريقة الجنوبية هى اوسع ميدان للصيد من سائر اجزاء الكرة ولكن الروسية اصطادوا كثيرا واهتموا بذلك واحرصوا عليه حتى ضعف حال الصيد بتلك الجهة فقل أن يصاد بها الآن شئ من حيوانات القنص بل اما أن تهرب او يقل عددها

حيوان السمور

واعظم حيوانات السمور يوجد الآن بقرب ياقتك و نرجنسك ولكنها تكثر فى قمجتقا ولهم فى اصطيادها وفى قتل الحيوان من غير اتلاف لجلده حيل متنوعة لاسيما الرماح القائمة المنفرجة وجلد الحيوان منها يساوى مائتين واربعين فرنكا فى نفس بلادهم وجلد الثعلب الاسود يباع بثمن يبلغ بعض الاحيان الف روبلة ويكفى غالبا فى دفع ميرى قرية بتمامها وثعلب الصخور او الجليد الذى لونه فى الغالب البياض وربما مال الى الزرقة يسكن المنطقة المنجمدة وقمجتقا والجزائر الشرقية وهذا الحيوان يضاهى القرد فى شدة مكره وخداعه وادراكه الشديد الضرر ومن الحيوانات التى تصاد لاخذ فراها حيوان القاقوم والمرموط والمرط والسنجاب وغير ذلك من الحيوانات التى هى دون ماتقدم فى الشهرة والجودة ومما يرغب فيه كثيرا حيوانات السنجاب الفضية اللون التلبوطية

الثعالب

الدب

والدب الابيض هو اشد وحوش سبير سطوة يصطاده الصياد الذى بيده رمح فيجد هذا الحيوان الاحمق جالسا على رجليه فيقرب منه الحديد الذى يقتله ودب البر ايضا كثير يقتلونه بالتحيل عليه بعدة وسايط فيتوصل الكورياك لتعلقه فى الشجر بواسطة الطعمة المربوطة بقطعة سير ويترقبونه فى الجبال و يضعون فى المسلك الذى يسلك منه عادة حبلا فى احد طرفيه ثقل جسيم جدا وفى طرفه الثانى عقدة جارية للطرف الآخر فاذا اصيد احد هذه الحيوانات من عنقه تعب من جرّه لهذا الثقل الجسيم فيأتى اليه و يضربه بشدة الغضب ويقذفه فى اسفل حفرة فيقع هو بنفسه فيها وبجبال دورية نوع صغير من النمر و يوجد الفهد وغيره فى سائر ارض سبير

وحيوان الايلان موجود ايضا فى سبير ولكن لايتجاوز الدرجة الخامسة والستين من العرض ويصطاد فى شهر مارث حين تذوب الثلوج فيزلق الصياد سطحها بمزالق من الخشب يمشى عليها فينقب الايلان الثلج فى كل خطوة ثم ينغمس فيه فيأخذه الصائد ومما ينبغى ذكره حيوان التاهيا وهو فرس الوحش فانه يوجد فى جميع سهول ايسيم وكذلك الكولان وهو حمار الوحش وحيوان آخر يسمى الديشهيطاى وهو حيوان بين الحمار والفرس ومن حيوانات تلك الجهة الايل ومعز الوحش وانواع الظباء و بعض خنازير وحشية على شطوط نهر ارتيش وحيوان المسك يوجد ايضا لكنه نادر وكثير من كلاب الماء لاسيما فى قمجتقا ولكن قط الرباد الذى ذكره بعض المؤلفين يظهر أنه لم يعرفه ابدا علماء النباتات هناك والظاهر أنه اشتبه عليهم بنوع من فارة المسك التى لاتسكن بلاد سبير الحقيقية بل على شطوط نهر كاما وسامرا والاثل والدون

فرس الوحش والديشهيطاى وغيرهما انواع الظبا فارة المسك

الارانب والفيران وبنات عرس

ثم ان بسبير ايضا عدة حيوانات صغيرة مختلفة ينبغى ذكرها فمنها ارنب دورية وارنب المغول المنتشر الى جزائر الوتينة وارنب الجبال الذى يدخر الحشيش اليابس ومن الحيوانات ايضا الفارة التى تلقب بالعمياء ولكنها ليست كذلك ومنها ايضا انواع اخرى من الفيران وبنات عرس ومن هذه الفيران صنف يسمى لمنغ وهو يهرب غالبا صفوفا صفوفا و يهتدى دائما على سمت خط مستقيم ومنه صنف يسمى الفار الانسى الاقتصادى وهذا الصنف يحتكر فى جحره مقادير عظيمة من العروق المغذية ومن البصل فيسلبها منه اهل سبير

هوام

والحشرات والهوام تضر دائما باهل البلاد والسياحين فان الناموس يكثر حتى يظلم به الجو بحيث يحجب السماء ومع شدة البرد هناك يضر البق بالمساكن وتصير به منتنة وهوام القاقرلاق الموجودة باسيا دخلت بلاد سبير ادخلها شخص يقال له كياخطا وانتشرت جدا حتى وصلت الى شطوط نهر الاثل والنحل لايمكن أن ينمو فى تلك البلاد

طيور

وهذه البلاد تكثر فيها الطيور كالبط والاوز الوحشى والدجاج البرى ودجاج الغابات والحجل ومن الطيور الطائرة فى الهواء الاوز القطبى واوز الارض الجديدة المسمى اناس غلسباليس و بسبير الشرقية و قمجتقا صنف من الاوز يعيش على البحر وفى بعض الاحيان تجد منه عدة آلاف مطروحة على الشاطئ

ومن

صيد السمك في البحر المتجمد

ومن العجائب أن الروسية لا يبحثون اصلا عن صيد حوت يونس في جزء البحر المتجمد الذي هو على الشرق من زنبلة الجديدة وهو في الحقيقة ليس الا بوغازا عظيما وعلى كل حال ففيه انواع القسيخ وغيره من الاسماك وكذلك الاسماك الكبيرة توجد فيه بكثرة ويصطاد السمويد من هذا البحر المتجمد اسماكا كالاسيافي اجوان او بي وكارا وفيه نوع من سمك الدولفين كل سمكة منه طولها ثلاثة ابواع ويصطاد ايضا من هذه الاجوان مقدار عظيم من نوعي السمك الذي يسمى احدهما شيكال والآخر اومول وسمك الاومول يصعد البحر المتجمد في كل الانهر ذات الاعماق الجرية كنهر ينسية ونهر لينا وغيرهما من الانهار التي في جهة الشرق ولا يدخل ابدا نهر اوبي الذي عمقه اناء ارضي وكذلك سمك اريوان الابيض ونهر اوبي به كثير من السمك العظيم على اختلاف انواعه ولا حاجة لذكر جميع هذه الاسماك لثقل اسمائها وانما نقول

صيد السمك في نهري اوبي وينسية وغيرهما

ان بعض هذه الاسماك يصعد من النهر الى البحر ومنها ما ينزل في البحيرات والجداول واغلبها يترك نهر اوبي بقرب الشتاء قبل فساد مياه هذا النهر تحت الجليد وفساد المياه الجارية تحت الجليد ليس له سبب الا كون الارض سبخة وكون مجرى هذا النهر العظيم بطيأ وسببه ايضا الاجزاء الملحية التي يحملها اليه نهر ارتيش و ايسيم وتبقى مياهه عظيمة خالصة بقرب مصب الانهر التي تكون ارضها حجرية وتأتي اليه لتصب فيه فتجد عدة اسماك تمكث في هذه الاماكن والمياه الفاسدة تزول في زمن الربيع حين ذوبان الثلوج فتصير مياه هذا النهر عظيمة جديدة والمياه التي بها بسبير الجير في نهر ارتيش يتغذى منها سمك عظيم يسمى الاسترجون وبه اسماك اخرى ذات ضخامة وطول وبالجملة فنهر ينسية ونهر لينا وغيرهما من انهار سبير المشرقية تكثر بها الاسماك العظيمة

صيد السمك في البحر الشرقي

والصيد على الساحل وجزائر البحر المحيط الشرقي كثير شهير لاسيما عند اهل الجغرافيا الطبيعية وذلك لان هذا البحر بين بلاد التتار المنجورية و سبير وقمجتقا وجزائر كوريلة هو بحر حقيقي داخل في البلاد واما البحر الداخل بين اسيا وامريقة وجزائر الوتيينة فهو مشارك لمقابله في الطبيعة والخواص فتجد في اقطارهما كثيرا من هذه الحيوانات الغريبة التي هي بين ذوات الاربع والسمك كحوت يونس ودب البحر وذئب البحر وكلب الماء ولنبق ذكرها عند تخطيط امريقة

آثار حيوانات البلاد الحارة

فهذا هو تخطيط بلاد سبير على ما تقتضيه حالتها الآن بالنسبة للجغرافيا الطبيعية وهو مخالف لحالتها في قديم الزمان حين وجود الحيوانات العظيمة التي كانت شبيهة بحيوانات المنطقة المحترقة وكانت تأكل الحشيش وتسرح في مراع لطيفة تقتضي أن يكون لهذه الارض قطرلين ومزاج معتدل وقد ذكرنا فيما سبق آثار الفيلة وقاتل الفيل وهو الكركدان وكذلك غيرهما من حيوانات المنطقة المحترقة التي وجدوها في سبير على امتداد نهر ايسيم ونهر ارتيش ونهر اوبي وينسية الى شطوط البحر المتجمد وعظام هذه الدواب توجد مختلطة بصدف بحري وبعظام اخرى تشبه أن تكون رؤس اسماك بحرية عظيمة ويصادف الانسان هذه العظام على حافات الانهر وعلى طبقات الارض الطينية ويندر وجود ذلك بارض حجرية وجزائر لياكوف ليست مركبة الا من حصى وجليد وعظام فيلة وكركدانات وجواميس واسماك كبيرة وقد وجدوا ايضا حيوانات كاملة ميتة من قاتل الفيل ومن فيلة سبير ووجدوا بعض جلودها باقيا على حاله لم يتغير

تخمينات في شان تلك الآثار

وهذه الآثار العجيبة الباقية من الحيوانات الغريبة الاجنبية عن قطر سبير الآن هي التي كانت تعمره سابقا فتولد عنها عدة تخمينات وحدسيات فرأى الحكيم بيبر أن هذه الآثار من فيلة جاءت مع جيوش المغول والتتار حين وصولهم الى هذه البلاد ولا فائدة في مناقضته اذ يبطل ما ادعاه وجود تلك العظام بكثرة في حذائها بقطع النظر عما وجد معها من آثار الحيوانات البحرية وعظامها فكلامه فاسد لا يحتاج لكثرة مناقشة وذهب الحكيم بلاس الى أن هذه الآثار نقلت الى سبير بطوفان ولكن ليس بها ما يدل على أن هذا الطوفان كان شديدا طويلا بل جميع القرائن تدل على أن هذه الآثار انما هي بقايا حيوانات عاشت في المحل الموجودة به آثارها ولكن لقائل أن يقول كيف يمكن أن تعيش هذه الحيوانات في اقليم عقيم بارد بل لو فرضنا أن سبير كانت في قديم الزمان ذات قطر اطيب من ذلك واخصب فان انقلابها الى هذه الحالة الراهنة يقتضي انها قد تغير سمتها ووضعها بالنسبة لمنطقة فلك البروج وللمناطق الارضية والواقع أن علماء الهندسة و الهيئة لا يسلمون انه حصل تغير في سمت الكرة بالنسبة لوضعها الفلكي وان سبق ما يقتضي أن قطر هذه الاقاليم كان سابقا اشد حرارة ولكن ما الذي يدل على انه كان مغمورا بمياه البحر وما كان احد ينتظر أنه يجد في سبير العمل العجيب لعرق اللؤلؤ الذي يتألف منه في بحار خط الاستواء جزائر جديدة وان كانت بحيرة كامشلوا على الشاطئ الايمن من نهر ارتيش الغير البعيدة من بطروبولوفسك تتراكم بها دائما مصاطب المرجان بل قال بعض المؤلفين ان عرق اللؤلؤ يصنع بها الى الآن مصاطب جديدة فاذا امتحن هذا الشئ امتحانا كاملا امكن أن يحدث عنه معرفة تاريخ طبيعة الكرة الارضية اي معرفة احوالها في الازمان

﴿المقالة التاسعة والخمسون من تخطيط اسيا﴾

ذكر امم سبير واقاليمها ومدنها

ولما فرغنا من تخطيط هذا الاقليم العظيم على وجه مخصوص ناسب أن ننظر اليه من جهتين مختلفتين باختلاف طبيعته بأن نقسمه بالنظر الى ما فيه من البلاد الى ولايات واقاليم وكورات ونقسمه تقسيما آخر بالنظر الى الامم الساكنين به والتقسيم الاول يسمى خوروغرافيا والآخر يسمى اتنوغرافيا وقد جرت العادة بالابتداء بالاول ولكن نبتدئ هنا بالثانى رجاء أن يكتسب تخطيطنا بذلك وضوحا ويكون اتم فائدة فنقول

امم السبيرية والقوزاق وغيرهم

ان الروسية والقوزاق وغيرهم من نزلات اوروبا نزلوا بلاد سبير واستوطنوا فيها لاسيما فى المدن والرباطات والثغور العسكرية فأهل سبير بعضهم من ذرية العساكر الذين استخدموا فى التغلب على هذه البلاد وبعضهم من ذرية المعاقبين ارباب الجنايات الذين طردوا الى سبير ونفوا اليها ويزاد على هذين الصنفين من اجتمع معهما من الامم المهاجرة والفلاحين الهاربين والتجار الذين طرأ عليهم التفليس وجاؤا الى هذه البلاد ليتعاطوا اسباب الغنى والثروة فهؤلاء الامم المتنوعة حين جاؤا الى تلك البلاد نزلوا فى صحراء واسعة فانضم اولا لخشونتهم الاصلية خشونة اخرى صدرت عن قطرهم الوحشى ومع أن الجهل والكسل وشرب الخمر يضر فى الغالب بسعادتهم وراحتهم وجد فيهم ارباب الاسفار خصالا حميدة مدحوهم بها وهى شدة كرمهم وسخائهم وبشاشتهم وطلاقة وجوههم وانتظام احوالهم بمحبة بعضهم لبعض وعدم وقوع الشقاق بينهم وقد كان السبيريون منذ قرن مشهورين بشراسة الاخلاق وخشونة الآداب حتى ان بطرس الاكبر چار الموسقو ظن انه لا يمكن عقابه لاهالى اسوج الذين كانوا اكبر اعدائه الا بنفيهم وطردهم الى بلاد سبير ولكن لما كان هؤلاء الاسوج ارباب شرف فى قومهم ومعارف بين ابناء جنسهم ادخلوا فى هذا الاقليم الذى نفوا اليه آداب اوروبا وعوايدها وصنائعها حيث انهم ارادوا تحسين احوال انفسهم

تقدم التمدن

فجر ذلك الى تحسين حال السبيريين فمن هنا حصل لسبير نوع من التمدن وذلك لان الاسوج اسسوا سنة ١٧١٣ من الميلاد اول مكتب فى مدينة توبلسك وعلموا فيه الصغار اللغة الالمانية واللاطينية والفرنساوية والجغرافية والهندسة وفن الرسم وفى سنة ١٨٠١ لقى الخواجة قطزيبو جماعة فى توبلسك يشتغلون بعلوم الفصاحة الروسية والفرنساوية والالمانية ووجدهم يلعبون العابا فرنجية فى تياترة سلطانية وينشدون فيها قصائده وهذا يدل على أن اهل سبير يتقدمون بالتدريج شيأ فشيأ بالنسبة للمعارف العقلية فهم يخدمون عقولهم ويعتنون قرائحهم وزيادة على ما حصل عند اهل سبير من التمدن الذى عاد عليهم من اقامة الاسوج عندهم وصل اليهم تمدن آخر من ولاة اقاليمهم وضباطهم ارباب التدبير والعسكرية فادخلوا فى مدن سبير آداب بتربورغ مع غاية الفخار وقصد الرياء والسمعة والمنافسة الموسقوبية وقد رأى الخواجة ليسيبس فى حارات مدينة اركوتسك عربات ظريفة تجرى فيها دائما ولكن الرفاهية التى حصلت فى آداب السبيريين لم تصل الى المدن الصغيرة ولا الى القرى المنبثة فى وسط الغابات الواسعة على حالة محزنة فتجد بعض ارباب الزراعة عنده المواشى بكثرة ومع ذلك لا يعرف منفعة الفضة ولا استعمال النقود والسكة بل يعيش معيشة كمعيشة اهل الزمن الاول وارباب الصيد يهيمون فى الصحارى على حالة تكاد تكون وحشية فينامون على الارض الجليدية ويشربون من اوراق الاشجار الخضرة بل ربما شربوا دم الحيوانات التى يصطادونها بالرصاص ومما يدل ايضا على تأخرهم فى التمدن أن الشخص من القوزاق الذين هم اخس الناس اذا ارسل الى السمويد او يوكاجير ووكل فى جمع الميرى اوضبط البلاد تجده فى مدينتى توبلسك و اركوتسك بعد أن كان لا يعرف من اهلها الشدة تشبه بهم يصير اشبه بالسلطان بسبب الوظيفة والمنصب الذى هو بصدده فيأخذ خصا يتخذه كالقصر له ويأخذ عكازة الجاويش كانها عكازة الملك واعظم طعامه السمك المسمى سومون وهو حوت سليمان وكذلك لحوم حيوان الرنة وكذلك رأس الدب فذلك الذ ما فى مائدته وبعض العائلات القوزاقية استوطنوا فى المدن واكتسبوا رتبة الدريانين يعنى اشراف البطارقة وتجار سبير الآن يسافرون غالبا من مدينة الى اخرى ومن سوق الى آخر وعدد الافرنج المقيمين فى هذه البلاد والذين هم من نسل الافرنج نحو نصف مليون الآن ويقال لذرارى الافرنج هناك سيبرياكه

معيشة ارباب الزراعة والصيد وغيرهم

اسماء القبائل التتارية البريوسة والكتشنزية وغيرهما

ثم ان قبائل التتار هناك عديدة وهى تشغل الجزء الجنوبى من ولاية توبلسك والقبائل الاشد بعدا جهة الشرق هم قبائل البريوسة و الكتشنزية وتسمى ايضا كتشنية والبلتيرة وهذه القبائل الثلاثة مختلطة فى نسبها بدم المغول وهى تسكن جهة نهر ابكان الذى يصب فى اعلى ينسية ومن تلك القبائل امة الكتشينية

غنية كثيرة المواشي وجوههم خالية عن اللحا فهي تدل على أن لهم نسبا بالمغول ومنهم جماعة كالسحرة عندهم شطارة وخفة في الامور يتزيون بملابس شبيهة بملابس الفرنساوية وفي الجنوب قبيلة تسمى السيانية وهي شاغلة لجبال عالية تسمى باسمهم وهذه القبيلة الرحالة النزالة لها شبه بقبائل المنجو وفي حوالى كوترنسك قبيلة من قبائل التليونة ويقال ايضا تلنغوتة واكثر قبائل التلنغوتة يعيش في بلاد القلموق بل يسميهم الموسقو القلموق الابيض فنهم من يضطر ويجبر على المعمودية والتنصر فيهمل بالكلية واجبات الملة اليونانية وشعارها ولسانهم هو لسان المغول لكنه ليس كاملا واذا نزلنا نهري تموسك وچوليم وجدنا امتين تتاريتين مسماتين باسمي هذين النهرين وقد نصرهم المطران فيلوفية وذلك أن فرقة من عساكر الروسية ذهبت تحت رياسة هذا القسيس فطردت هذه القبائل الى نهر چوليم فحكم هذا القسيس بأنهم بمقتضى الاحكام صاروا من اهل المعمودية ونظموا في سلك ابناء النصرانية والآن لما خلوا وانفسهم وتحرروا تدينوا بديانة على مقتضى عقولهم مختلطة من دين النصارى وعبدة الاوثان وتتار چوليم يتكلمون بلغة مركبة من لسان التتار ولسان المغول و بعض كلمات ياقوتية ومن القبائل المختلفة التى لاحظ لها فى الشهرة قبائل الابنزية وهم يسمون انفسهم آبا فى المفرد وآبار فى الجمع ويسكنون بين امم التلنغوتة واذا اجتزنا نهر اوبى وجدنا قبيلة البربنية وتسمى قبيلة البربنترية وهم يعيشون من صيد البحر ومن مواشيهم ومحل اقامتهم سهل عظيم يسمى باسمهم وبعضهم اسلام وبعضهم وثنى وتتار اوبى يسكنون على امتداد ميسرة نهر اوبى الى اطراف ناريم وتتار توبلسك يسكنون على شطوط نهر توبلسك من ثغور البلاد الى مصبه وامة التساليسة فى اقليم تارا يتكلمون بلغة هى عين لغة الامة المتقدمة وامة التورالتزية اوالتوراليية هى اعظم جميع تتار سبير تمدنا وتسكن المدن والقرى التى على شطوط نهر تورا من الجبال الى مايقارب نهر تبول وقد دخلوا المعمودية حين تنصرهم فغمسوا فى هذا النهر والذى عمدهم هو فيلوفية المتقدم وكان معه فرقة من القوزاق

السيانية

اتليونة

تتار تموسك وچوليم وغيرهم

الابنزية

البربنتيزية

تتار اوبى وتارا وغيرهم

واما التتار بتلك الجهة فى الغالب هم ارباب بنية قوية شديدة ومعيشتهم خالية عن الزينة والرفاهية لبقائهم فيها على اصل الفطرة مع القناعة والنظافة فهم بذلك محفوظون من اغلب الامراض المعدية والحادة الا الجدرى فان هذا الداء عندهم مضر جدا ونظافة التتار وقناعتهم منشأهما فى الغالب الدين المحمدى وذلك لان القرآن يوجب عليهم الوضوء والغسل للصلوات بل وعندهم اصول وفروض ولو على النساء فتجدهن يتبعنها فيما يتعلق بشؤنهن ومايليق بهن ولما حرم عليهم القرآن شرب الخمر حفظهم ذلك من مضار السكر الواقعة للموسقوبية واما تكليفهم بالصوم فانه ربما اضر بصحة ابدانهم وذلك لان التتار يصومون كل سنة من الفروض والنوافل مائتى يوم وخمسة ايام هذا مايقوله الافرنج وعدد قبائل التتار يبلغ مائة الف

اخلاق التتار

ولنتكلم على القبائل المغولية الذين استولى عليهم الروسية فنقول ان المغول الحقيقيين ساكنون جهة كياكتا وسلنجنسك وعددهم قليل وامة البورياته ويقال لهم برغابوراط هم جنس عظيم مغولى عمروا غالب اقليم ارخوتسك واقليم نرجنسك وهم نحو ٩٨٠٠٠ نفس وهم اقوى شبها بالقلموق ومنهم اناس ضخام الجثث وشعورهم قليلة ومنهم من لا لحية له ولونهم ذابل اصفر وليس لهم قوة ولا شدة وذلك أن الشخص من الموسقو الذى يساوى فى السن والقامة شخصا من البورياتة يقاتل عدة اشخاص من البورياتة ويظفر بهم والبورياتة مع ضعف بنيتهم صحاح الابدان لا داء بهم غير أنه يندر تقدمهم فى السن وقد كان الجدرى سابقا مضرا بهذه القبيلة مشؤما عليها فانقطع ضرره منذ رتب بيت لتطعيم الجدرى وتلقيحه بالبقرى فى مدينة ارخوتسك والجرب منتشر فيهم ومنشأه غذاؤهم وحالة عيشتهم وملبسهم ويستعملون للامراض المزمنة الحمامات الحامية التى فى شرق بحيرة بيكال واطباؤهم جماعة يسمون الخمانية وهم ارباب رقيا يحاولون علاج المرض بالذبح والطلاسم ويستعملون ذلك اكثر من المعالجة بالادوية ونحوها وقبيلة البورياتة تتكلم بلغة مغولية يابسة لاتفهم بسبب توارد تغييرا وضاع الحروف الساكنة وتبديلها

قبائل مغولية

بورياتة

بنيتهم

حالة معيشتهم

والنوع الثالث من الامم المتولدة فى آسيا الشمالية هى امة التنغوزة التى تسمى انفسها فى لغتها اووين ويسميها الصينيون سولون ويسميها اليوكاچير ايربيجية وهى من نسل اصل تشترك فيه مع امة تتار المنجو وتمتاز امة التونغوزة بانتظام اعضائها وتناسب تقاطيعها فهى فى العادة ذات قامات متوسطة قابلة للتثنى والانعطاف وحسنة الخلقة فتجد وجوههم اقل تسطحا من وجوه القلموق وعيونهم صغيرة وبصرهم حاد وانوفهم متناسبة ولحاهم خفيفة وهم سود الشعور وجوههم وسيمة ومناظرهم حسنة وهذه الامة ليست عرضة لكثير الامراض

تونغوزا واووين

مدنيتهم

ولكن لا يتقدمون فى السن كثير الطبيعة قطرهم وصعوبة معيشتهم وشدة اخطارهم وقد يفسد الجدرى عندهم الحرث والنسل ورؤساء دينهم الذى هو عبادة الاوثان هم ايضا اطباء وعند امة التونغوزة حاسة البصر وحاسة الشم فى غاية من الدقة واللطافة يتعجب من ذلك من رآهم واما باقى الحواس فانها اقل حدة من هاتين الحاستين فتراهم يعرفون

حالة معيشتهم

باقليمهم كل شجرة بخصوصها وكل صخر على حدته فيمكنهم أن يعينوا على وجه واحد طريقا ذات مائة ميل بتخطيط الاحجار والاشجار التى تكون فيها وبهذا يدلون السياحين بحيث يمكن للسياح بهذا التخطيط الذى تلقاه عنهم مشافهة أن يتبع الطريق وحده ويتبعون ما يصطادونه بمشى خفيف لا يظهر اثره على الاعشاب او الطحلب او الاشنة المسماة شيبة العجوز ولم ترض هذه الامة أن تدخل المعمودية ولا أن تتدين بدين النصرانية بل تمسكت بدين هو فرع من دين

دينهم

الحمانية او الشمانية فهم يعبدون صنما يسمونه بوا ويتزوجون بعدة نساء وامرهم يلقب طاى شاه والظاهر أن هذا الاسم مغولى ولسان التنغوزة لغة منجورية اى مأخوذة من لغة المنجو مخلوطة ببعض كلمات مغولية لاسيما الكلمات الدالة على التمدن والتحضر ويشتمل لسان التنغوز على نحو عشر لغات .

وهذه القبيلة الرحالة النزالة تشغل بمساكنها المنتقلة نحو ثلث سبير وتمتد من شطوط نهر ينسية الى بحر اخوتسك وتشغل فى الجنوب الجزء الشرقى من دورية واهل هذه القبائل التنغوزية فرسان عظام ويحسنون الرمى بالقوس

قبائل تنغوزية مختلفة

وجميعهم ارباب شجاعة وقوة وثم فرع آخر من سبير تسكنه امة التنغوزة وهو يمتد بين نهرى لينا وينسية الى اسفل تونغسكا وهم فقراء الحال كامة السمويد المجاورة لهم والتنغوزة النازلون على نهر لينا ويقال لهم اولينية يقتاتون من حيواناتهم المسماة الرنة ومن صيدهم البحرى والبرى ومن امم التنغوزة قبيلة تسمى لاموتة يعنى سكان الاودية وهى تشغل اقليم اوخوتسك الى حدود كورياكة وعدد الجميع لا يزيد على ٢٤٠٠٠ وفى سفح جبال اورال فى الشمال وعلى اسفل اوبى تجد عدة قبائل من نسل الفينية ولعلهم جاؤا من اوروبا لانه لا شئ يدل على أن الجنس الفينى كان متصلا بآسيا

ووغول

وقبيلة الووغول التى تسكن بين انهر تبول وبيرسو واوبى والجبال الاورالية قدودهم اصغر من الربعة وفى الغالب شعورهم سود ولحاهم قليلة ويشتغلون فى اغلب اوقاتهم بالصيد البرى ولهم فى ذلك نشاط ومهارة غريبة ويحسنون الرمى بالبندق والرماح ويعرفون ايضا شد المصايد والاشراك التى تستعمل لصيد الحيوانات الوحشية ويسمون انفسهم منسية ولسانهم مختلط ومركب من لغات عديدة

اوستياك اوبى

وامة اوستياك اوبى هى ايضا جنس فينى وهى من اعظم قبائل سبير عددا فان فيها من الذكور ثلاثين الف نفس واسم اوستياك معناه غريب اجنبى وقد اطلقه التتار خاصة على ثلاث قبائل مختلفة واوستياك اوبى ويقال لهم عند امة الووغول منسية يعتقدون أنهم من نسل امة البرمية وقبل دخول الاوستياك فى قبضة الروسية كان يحكمهم امراء من ملتهم فلذا كان مشايخ هذه القبائل من نسل امرائها الذين كانوا يحكمونها فى قديم الزمان وهذه الامة ليس عندها احرف هجاء ولا يعرفون الحساب والعدد وانما يعدون الى حد العشرة ولا يعرفون ما زاد عليها وهذه الصفة هى صفة من عداها من امم الفينية وهى نازلة فيما بين مدن سورغوت وبرزوف واوبدورسكوا

اخلاق الاوستياك وعوايدهم

قال بعض سياحى الموسقو ان قبائل الاوستياك قصار ضعاف وسحنتهم لا تمتاز بشئ مخصوص يميزهم عمن عداهم من الامم وشعورهم عادة ذات حمرة او شقرة ذهبية وملابسهم ضيقة متخذة من الجلود والفرا وللرجال علامة فى بشرتهم وللنساء صور على ظهور ايديهن وعلى اعضائهن وافخاذهن وخصوصهم المعدة للصيف على شكل الاهرام بخلاف المعدة للشتاء فهى مربعة مبنية بالخشب وهم بالطبع صيادون فى البحر ويغزون فى الشتاء غزوة عظيمة لصيد البر واغنياؤهم يقتنون حيوانات الرنة وليس هناك شئ اشد اتساخا من ظاهرهم ومعيشتهم غاية الهمرنة جدا وحياتهم تنتهى غالبا بالامراض المزمنة غير أن ابدانهم صحيحة لا سقم بها وان كان يعتريهم فساد الدم ووجع الاعصاب ولم يزالوا الى الآن عبدة

تعظيم الدب

اوثان واذا ارادوا مبايعة جار من جارات الموسقو عند توليته جثوا على ركبهم أمام جلد الدب او فاس يقتلون به الدب ويعطى لكل شخص منهم لقمة عيش على طرف سكين ويحلفونه يمينا صيغتها ان خنت الجار مدة حياتى اولم ادفع الميرى او هربت من بلدى او نحو ذلك افترسنى الدب وقتلتنى هذه اللقمة وقطعت رأسى هذه الفاس ومزقت كبدى هذه السكين فهذا هو المجلس المعتاد عند جميع امم سبير عبدة الاوثان وذلك لان الدب عندهم مبارك بحيث انهم قبل ذهابهم للصيد يقربون قربانا لهذا الحيوان واذا قتلوا دبا صنعوا موسما كفارة لهذه الخطيئة ووهبوا ذلك روح هذا الميت

قبائل امة السمويد

والظاهر أن جميع جنس السمويد نزل الى البحر المنجمد متتبعا مجرى نهر ينسية لانه يوجد الى الآن من اعلى ينسية

واما كان الى نحو الطرف الغربى من بحيرة بيكال قبائل اخوهينة لغاتها مشوبة كثيرا بكلمات من لغة السمويد بل قد تنسب هذه اللغات بتمامها الى لسان السمويد ومن هذه القبائل قبيلة سوايتة ويقال انها كثيرة الاهل فى بلاد المغول الصينية ومنها ايضا قبيلة الكيبالة وهى قبيلة تترك جثث اموات اولادهم معترضة على الاشجار وعندهم الارانب الجبلية تجمع الحشيش لتأكله فتأخذ هذه القبيلة ما جمعته الارانب التى يقال انها ذات فطنة عظيمة ومنها امة الماتورة وامة الغراغاسة والكماشنزة وكذلك اوستيالتاريم والاوفق بالطبع أن يقال ان اوستيالك بنسبة المسماة بنبوكول انما هى حلقة من سلسلة السمويد والظاهر أن هذه القبيلة الصيادة تختص بلغة قبيحة تصرف المؤرخين عن أن يبحثوا عن اصولها

سوايتة
كيبالة
الغراغاسة وغيرهم
اوستيالتاريم وغيرهم
السمويد

والسمويد الحقيقيون يشغلون ارضا واسعة مماوءة بالخليج والبحيرات وبلادهم محدودة من جهة اوروبا بنهر ميزن فى نحو اربعين درجة من الطول الشرقى وفى آسيا يصلون الى نهر اولنق بقرب نهر لينا فيكونون فى نحو مائة وخمس عشرة درجة من الطول الشرقى فطول بلادهم على الكرة خط ذو سبعمائة وخمسين فرسخا من مائة درجة الى مائتين من العرض اى الاتساع) (وقامات السمويد عادة من اربعة اقدام الى خمسة وفى الغالب بهم انحناء وسيقانهم قصيرة ورؤسهم غليظة مسطوحة وهم فطس الانوف والجزء الاسفل من وجوههم بارز وافواههم واسعة جدا وآذانهم عريضة واذقانهم قليلة الشعر وعيونهم صغيرة سوداء مفتوحة ولونهم زيتونى يبرق بالشحم وشعورهم سود واقفة يتعهدونها غاية التعهد وان كانت يسيرة ونساؤهم لينات القدود وتقاطيعهن ظريفة يصلن الى البلوغ بسرعة فاغلب بناتهم يصرن امهات فى سن احدى عشرة او اثنتى عشرة سنة ولكن الاكثر فى رجالهم العقم فقد ينقطع نسل الرجل قبل بلوغ المرأة ثلاثين سنة وهذه الامة الخشنية التى لشدة توحشها يمكن أن تسمى هونتنتوت الشمال لا تستعمل حيوانات الرنة الاهلية الا لجر العجلات وانما يغتذون بلحوم الرنات الوحشية وهم فى الرثاثة والوساخة كامة الاوستيالك ولكن فى الغنى والملبس احسن منهم ولا يعبدون الا اصناما خشنية فتجدهم يعبدون حجرا اوقطعة خشب ولهم حرص شديد على عدم النطق باسماء الموتى وعندهم جماعة سحرة كالحواة السحرة ارباب العاب ذات خفة فيعرزون السكين فى ابدانهم من غير أن تجرحهم اى يظهرون ذلك ويدعون انهم ارباب باطن والهام ومنهم من يعتريه بعد ذلك شدة الحماقة حتى يصير كالمجنون ومنهم من تجده بادفى مسه اوالنظر اليه يعتريه نوع من الكلب وشدة الغضب فينقلب على الارض ويصيح ويضرب جميع الحاضرين بكل ما يجده فى الارض حتى ان امة الروسية المعتادة على مشاهدة القبائل الوحشية يفزعون من هؤلاء الحواة الذين هم كرؤساء دين السمويد والنساء عند القبائل السمويدية محتقرات جدا يعشن فى غاية من التعب والمشقة فهن اشبه بالنجاسة الكلبية ويكلفونهن بأن يتعطرن او يتبخرن قبل دخول عتبة الخص وحظ هؤلاء الامم الرحالة انما هو رقص موزون على صوت غناء انفى وهى منقسمة الى عدة قبائل فنهم قبيلة الاوبدورية واليوراكة وهم اشهر هذه القبائل وجميعهم يبلغ عشرين الف نفس ولما كانت امة السمويد خارجة عن طريق الاعتبار ابقوا لغتهم على ما هى عليه فلم تشبه غيرها من اللغات وسموا انفسهم باسم نيتيز اى الناس كانهم سموا انفسهم ايضا شوزوفو اى الرجال او الذكور

بنية ابدانهم
بدع واوهام سحرة
نساء
قبائل مختلفة

وامة الياكوته او الياقوتة وهى على الغرب من بلاد السمويد وحوالى مدينة ياقوتسك وعلى شطوط نهر لينا الى البحر المنجمد يظهر أنهم تتار خبث اصلهم وخرجوا عن حكم المغول وذهبوا الى الاقاليم البعيدة ويسمون انفسهم سوشا فى المفرد وساشار فى الجمع ومنهم تتار من الكرسنوارك وهم فرع من التتار يسمى بهذا الاسم ولليا كونة عادة مباينة لعادات من جاورهم وهى طول الشعور وقصر الملابس المفتوحة واما الزناتة وشدة الاتساخ فلا يسوقهم فيها احد حتى ان بعض من يوثق به من المؤلفين اخبر أن المصاحن التى يسحقون فيها السمك اليابس متخذة من روث البقر المبيس بالجليد وعددهم نحو ٨٤٠٠٠ نفس

ياكوتة

وامة اليوكاجيرة تسكن الجبال التى يخرج منها كل من نهر انديجركا و كوويما وهم نحو خمسمائة عائلة وكلهم قد تنصروا ودخلوا المعمودية ويغتذون من الصيد ومن حيواناتهم المسماة رنة ولا يعلم هل هم من امة السمويد او من امة الياكونة او من القبائل الآتية

يوكاجيرة

وامة الجوكجة تسكن الطرف الشرقى من آسيا وعلى شرق اليوكاجيرة وعلى شمال الكورياكة وهى نحو الف عائلة يسكنون فى معسكرات صغيرة قريبة من الانهر وخيامهم مربعة الشكل وهى اربع عصى عليها جلود الرنة كالسقف وأمام كل خيمة رماح وسهام مركوزة فى الثلج معدة لدفع غارات الكورياكة عليهم بغتة مع أن امة الكورياكة من جنس تلك الامة وهم دائما فى حروب رديئة وفى وسط الخيمة فرن وفراشهم فروع صغيرة من الشجر

جوكجة
حال معيشتهم ولبسهم وغيرذلك

بنيتهم

ولكن لا يتقدمون فى السن كثير الطبيعة فطرهم وصعوبة معيشتهم وشدة اخطارهم وقد يفسد الجدرى عندهم الحرث والنسل ورؤساء دينهم الذى هو عبادة الاوثان هم ايضا اطباء وعند امة التونغوزة حاسة البصر وحاسة الشم فى غاية من الدقة واللطافة يتعجب من ذلك من رآهم واما باقى الحواس فانها اقل حدة من هاتين الحاستين فتراهم يعرفون باقليمهم كل شجرة بخصوصها وكل صخر على حدته فيمكنهم أن يعينوا على وجه واحد طرقا ذات مائة ميل بتخطيط الاحجار والاشجار التى تكون فيها وبهذا يدلون السياحين بحيث يمكن للسياح بهذا التخطيط الذى تلقاه عنهم مشافهة أن يتبع الطريق وحده ويتبعون ما يصطادونه بمشى خفيف لا يظهر اثره على الاعشاب او الطحلب او الاشنة المسماة شيبة العجوز ولم ترض هذه الامة أن تدخل المعمودية ولا أن تتدين بدين النصرانية بل تمسكت بدين هو فرع من دين الجمانية او الشمانية فهم يعبدون صنما يسمونه بوا ويتزوجون بعدة نساء واميرهم يلقب طاى شاه والظاهر أن هذا الاسم مغولى ولسان التنغوزة لغة منجورية اى مأخوذة من لغة المنجو مخلوطة ببعض كلمات مغولية لاسيما الكلمات الدالة على التمدن والتحضر ويشتمل لسان التنغوز على نحو عشر لغات.

حالة معيشتهم

دينهم

وهذه القبيلة الرحالة النزالة تشغل بمساكنها المتنقلة نحو ثلث سبير وتمتد من شطوط نهر ينسية الى بحر اخوتسك وتشغل فى الجنوب الجزء الشرقى من دورية واهل هذه القبائل التنغوزية فرسان عظام ويحسنون الرمى بالقوس وجميعهم ارباب شجاعة وقوة وثم فرع آخر من سبير تسكنه امة التنغوزة وهو يمتد بين نهرى لينا وينسية الى اسفل تونغسكا وهم فقراء الحال كامة السمويد المجاورة لهم والتنغوزة النازلون على نهر لينا ويقال لهم اولينية يقتاتون من حيواناتهم المسماة الرنة ومن صيدهم البحرى والبرى ومن امم التنغوزة قبيلة تسمى لامونة يعنى سكان الاودية وهى تشغل اقليم اوخوتسك الى حدود كورياكة وعدد الجميع لا يزيد على ٢٤٠٠٠ وفى سفح جبال اورال فى الشمال وعلى اسفل اوبى تجد عدة قبائل من نسل الفينية ولعلهم جاؤا من اوروبا لانه لا شئ يدل على أن الجنس الفينى كان متصلا بآسيا

قبائل التنغوزية مختلفة

وقبيلة الووغول التى تسكن بين انهر تبول وبيريسو واوبى والجبال الاورالية قدودهم اصغر من الربعة وفى الغالب شعورهم سود ولحاهم قليلة ويشتغلون فى اغلب اوقاتهم بالصيد البرى ولهم فى ذلك نشاط ومهارة غريبة ويحسنون الرمى بالبندق والرماح ويعرفون ايضا شد المصايد والاشراك التى تستعمل لصيد الحيوانات الوحشية ويسمون انفسهم منسية ولسانهم مختلط ومركب من لغات عديدة

ووعول

وامة اوستياك اوبى هى ايضا جنس فينى وهى من اعظم قبائل سبير عددا فان فيها من الذكور ثلاثين الف نفس واسم اوستياك معناه غريب اجنبى وقد اطلقه التتار خاصة على ثلاث قبائل مختلفة واوستياك اوبى يقال لهم عند امة لووغول منسية يعتقدون أنهم من نسل امة البرمية وقبل دخول الاوستياك فى قبضة الروسية كان يحكمهم امراء من ملتهم فلذا كان مشايخ هذه القبائل من نسل امرائها الذين كانوا يحكمونها فى قديم الزمان وهذه الامة ليس عندها احرف هجاء ولا يعرفون الحساب والعدد وانما يعدون الى حد العشرة ولا يعرفون ما زاد عليها وهذه الصفة هى صفة من عداها من امم الفينية وهى نازلة فيما بين مدن سورغوت وبرزوف واوبدورسكوا

اوستياك اوبى

قال بعض سياحى الموسقو ان قبائل الاوستياك قصار ضعاف وسحنتهم لا تمتاز بشئ مخصوص يميزهم عمن عداهم من الامم وشعورهم عادة ذات حمرة اوشقرة ذهبية وملابسهم ضيقة متخذة من الجلود والفرا وللرجال علامة فى بشرتهم وللنساء صور على ظهور ايديهن وعلى اعضاء هن وافخاذهن وخصوصهم المعدة للصيف على شكل الاهرام بخلاف المعدة للشتاء فهى مربعة مبنية بالخشب وهم بالطبع صيادون فى البحر ويغزون فى الشتاء غزوة عظيمة لصيد البر واغنياؤهم يقتنون حيوانات رنة وليس هناك شئ اشد التباسا من طاهرهم ومعيشتهم ناحرا لهم رثة جدا وحياتهم تنتهى غالبا بالامراض المزمنة غير أن ابدانهم صحيحة لا سقم بها وان كان يعتريهم فساد دائم يرجع للاعصاب ولم يزالوا الى الآن عبدة الاوثان وإذ ذر مسابعة جار من جارت الموسقو عند تولية جثوا على ركبهم أمام جلد الدب او فاس يقتلون به ... كل شخص منهم لقمة عيش على طرف سكين ويحلفونه يمينا صيغتها ان خنت الجار مدة حياتى اولم ادفع ... وشربت من ... ونحو ذلك افترسنى الدب وقتلتنى هذه اللقمة وقطعت رأسى هذه الفاس ومزقت كبدى هذه السكين ... هو امر المعتاد عند جميع امم سبير عبدة الاوثان وذلك لان الدب عندهم مبارك بحيث انهم قبل ... الصيد يقربون قربانا لهذا الحيوان واذا اقتلوا دبا صنعوا موسما كفارة لهذه الخطيئة ووهبوا ذلك ... الميت

اخلاق الاوستياك وعوائدهم

عبادة ...

جنس السمويد

وقد ... أن جميع جنس السمويد نازل ... بحر المجمد متتبعا مجرى نهر ينسية لانه يوجد الى الآن من اعلى ينسية

واما كان الى نحو الطرف الغربى من بحيرة بيكال قبائل اخو هينة لغاتها مشوبة كثيرا بكلمات من لغة السمويد بل قد تنسب هذه اللغات بتمامها الى لسان السمويد ومن هذه القبائل قبيلة سوايتة ويقال انها كثيرة الاهل فى بلاد المغول الصينية ومنها ايضا قبيلة الكيبالة وهى قبيلة تترك جثث اموات اولادهم معرضة على الاشجار وعندهم الارانب الجبلية تجمع الحشيش لتأكله فتأخذ هذه القبيلة ما جمعته الارانب التى يقال انها ذات فطنة عظيمة ومنها امة الماتورة وامة الغراغاسة والكماشنزة وكذلك اوستيالتاريم والاوفق بالطبع أن يقال ان اوستياك ينيسية المسماة بنبوكول انما هى حلقة من سلسلة السمويد والظاهر أن هذه القبيلة الصيادة تختص بلغة قبيحة تصرف المؤرخين عن أن يبحثوا عن اصولها

سوايتة
كيبالة
الغراغاسة وغيرهم
اوستيالتاريم وغيرهم

والسمويد الحقيقيون يشغلون ارضا واسعة مملوءة بالخليج والبحيرات وبلادهم محدودة من جهة اوروبا بنهر ميزن فى نحو اربعين درجة من الطول الشرقى وفى آسيا يصلون الى نهر اولنق بقرب نهر لينا فيكونون فى نحو مائة وخمس عشرة درجة من الطول الشرقى فطول بلادهم على الكرة خط ذو سبعمائة وخمسين فرسخا من مائة درجة الى مائتين من العرض اى الاتساع) (وقامات السمويد عادة من اربعة اقدام الى خمسة وفى الغالب بهم انحناء وسيقانهم قصيرة ورؤوسهم غليظة مسطوحة وهم فطس الانوف والجزء الاسفل من وجوههم بارز وافواههم واسعة جدا وآذانهم عريضة واذقانهم قليلة الشعر وعيونهم صغيرة سوداء مفتوحة ولونهم زيتونى يبرق بالشحم وشعورهم سود واقفة يتعهدونها غاية التعهد وان كانت يسيرة ونساؤهم لينات القدود وتقاطيعهن ظريفة يصلن الى البلوغ بسرعة فاغلب بناتهم يصرن امهات فى احدى عشرة او اثنتى عشرة سنة ولكن الاكثر فى رجالهم العقم فقد ينقطع نسل الرجل قبل بلوغ المرأة ثلاثين سنة وهذه الامة الخشنة التى لشدة توحشها يمكن أن تسمى هوتنتوت الشمال لا تستعمل حيوانات الرنة الاهلية الا لجر العجلات وانما يغتذون بلحوم الرنات الوحشية وهم فى الرثاثة والوساخة كامة الاوستياك ولكن فى الغنى والملبس احسن منهم ولا يعبدون الا اصناما خشنية فتجدهم يعبدون حجرا او قطعة خشب ولهم حرص شديد على عدم النطق باسماء الموتى وعندهم جماعة سحرة كالحواة السحرة ارباب العاب ذات خفة فيغرزون السكين فى ابدانهم من غير أن تجرحهم اى يظهرون ذلك ويدعون انهم ارباب باطن والهام ومنهم من يعتريه بعد ذلك شدة الحماقة حتى يصير كالمجنون ومنهم من تجده بادى مسه او النظر اليه يعتريه نوع من الكلب وشدة الغضب فينقلب على الارض ويصيح ويضرب جميع الحاضرين بكل ما يجده فى الارض حتى ان امة الروسية المعتادة على مشاهدة القبائل الوحشية يفزعون من هؤلاء الحواة الذين هم رؤساء دين السمويد والنساء عند القبائل السمويدية محتقرات جدا يعشن فى غاية من التعب والمشقة فهن اشبه بالنجاسة الكلبية ويكلفون بأن يتعطرن او يتبخرن قبل دخول عتبة الخص وحظ هؤلاء الامم الرحالة انما هو رقص موزون على صوت غناء انفى وهى منقسمة الى عدة قبائل فمنهم قبيلة الاوبدورية واليوراكة وهم اشهر هذه القبائل وجميعهم يبلغ عشرين الف نفس ولما كانت امة السمويد خارجة عن طريق الاعتبار ابقوا لغتهم على ما هى عليه فلم تشبه غيرها من اللغات وسموا انفسهم باسم نينيز اى الناس كما انهم سموا انفسهم ايضا شوزوفو اى الرجال او الذكور

السمويد
بنية ابدانهم
بدع واوهام
سحرة
نساء
قبائل مختلفة

وامة الباكونه او الياقوتة وهى على الغرب من بلاد السمويد وحوالى مدينة ياقوتسك وعلى شطوط نهر لينا الى البحر المتجمد يظهر أنهم تتار خبث اصلهم وخرجوا عن حكم المغول وذهبوا الى الاقاليم البعيدة ويسمون انفسهم سوشا فى المفرد وساشار فى الجمع ومنهم تتار من الكرسنو ارك وهم فرع من التتار يسمى بهذا الاسم وللياكونة عادة مباينة لعادات من جاورهم وهى طول الشعور وقصر الملابس المفتوحة واما الرثاثة وشدة الاتساخ فلا يفوقهم فيها احد حتى ان بعض من يوثق به من المؤلفين اخبر أن المصاحن التى يسحقون فيها السمك اليابس متخذة من روث البقر الملبس بالجليد وعددهم نحو ٨٤٠٠٠ نفس

ياكونة

وامة اليوكاجيرة تسكن الجبال التى يخرج منها كل من نهر انديجركا و كوويما وهم نحو خمسمائة عائلة وكلهم قد تنصروا ودخلوا المعمودية ويغتذون من الصيد ومن حيواناتهم المسماة رنة ولا يعلم هل هم من امة السمويد او من امة الياكونة او من القبائل الآتية

يوكاجيرة

وامة الجوكجة تسكن الطرف الشرقى من آسيا وعلى شرق اليوكاجيرة وعلى شمال الكورياكة وهى نحو الف عائلة يسكنون فى معسكرات صغيرة قريبة من الانهر وخيامهم مربعة الشكل وهى اربع عصى عليها جلود الرنة كالسقيف وأمام كل خيمة رماح وسهام مركوزة فى الثلج معدة لدفع غارات الكورياكة عليهم بغتة مع أن امة الكورياكة من جنس تلك الامة وهم دائما فى حروب رديئة وفى وسط الخيمة فرن وفراشهم فروع صغيرة من الشجر

جوكجة
حال معيشتهم ولبسهم وغير ذلك

ممدودة على الثلج وعليها جلود الوحوش وملابسهم رثة وسخة وطعامهم ردىء تسأم منه النفوس وتمجه الطباع وليست ملابس النساء الا جلود الها معلقة فى رقابهن ومعقودة بعقدة متى انحلت صرن عرايا وتقاطيع هذه الامة تخينة ولكن ليست انوفهم مسطوحة كانوف القمچتقا ولا عيونهم كعيونهم فى الصغر وقد حقق لسييس أن وجوههم شكلها كشكل وجوه اهل لمسيا وقد نص على ذلك قبله الحكيم كولك وهذه الامة ارباب براعة فى الرمى بالمقاليع يظهر أن لهم شجاعة ومهارة فى صيد الاسماك العظيمة المسماة بحيتان يونس فهم يصطادونها على منوال صيد أهالى اوروبا مع انهم لم يتعلموا ذلك من الافرنج اصلا

قبائل مختلفة

وامة الشيلاچية تسكن جهة رأس يسمى رأس الشيلاچية وكذلك امة الاشوشالات وامة البيسكولية على جزائر ايضا فى البحر المتجمد مجهولة الحال وهم من عشيرة امة الچوكچة

كورياكه

وامة الكورياكه التى لا يزيد عددها على الفى نفس تقتات مما عندها من حيوانات الرنة ومما يصطادونه جهة نهرى انادير و اولوتورا وامة الالوتورزية تتكلم بلغة لينة ولغة الكورياكه فى الغالب تقرب من لغة الچوكچة كما تقرب من لغة القبيلة الآتية

اهالى قمچتقا

و القمچادال اى اهالى قمچتقا ينقص عددهم كثيرا ولا زال آخذا فى النقصان بحيث يغلب على الظن أن هذه القبيلة لا تزال تأخذ فى الاضمحلال والتلاشى حتى يؤول امرها الى الانقراض واهلها قصار القامات جدا واكتافهم ضخمة ورؤسهم غليظة ووجوههم مستطيلة مسطوحة وعيونهم صغيرة وشفاههم دقيقة وشعورهم هينة ونساؤهم بشراتهن دقيقة وايديهن وارجلهن صغيرة وقدودهن متناسبة تناسبا غير كامل وليست هذه الامة عرضة الا لليسير من الامراض ولكن يشاهد فيهم كثيرا العرج ومن رأى ذلك منهم ظن أن هذه العوارض ناشئة عن اشغالهم واعمالهم الخطرة واعظم الآلام عندهم واشهرها امراض الاسقربوط المسمى فساد الدم وداء الفرنجى وهذا الداء كان معلوما عندهم قبل وصول الروسية الى بلادهم وليس بارضهم اطباء وتصعد الثلوج ابخرة ينشأ عنه الرمد كثيرا واما الجدرى فهو شبيه بالطاعون

داء الجدرى

نقد يهلك عائلة بتمامها ومع ذلك فالتلقيح مستعمل عندهم مدة مديدة وكل انسان منهم يعرف عمليته بأن يضع شوكة سمكة فى مادة الجدرى ومزاج الشخص منهم ذكرا كان او انثى حار جدا وذلك لان غذاءهم يوقد النار فى ابدانهم ويهيج دماءهم ومزاج قطرهم وكيفية عيشتهم يحدثان فيهم ميلا عظيما للفاحشة والفسق ولاهل الجنوب منهم عشش يقيمون بها

مساكن

صيفا وشتاء تسمى اسباس ويقال لها ايضا بلغان وهى مرفوعة على قوائم يبلغ ارتفاع كل قائمة منها اثنى عشر او ثلاثة عشر قدما وانما جعلوها على هذا الارتفاع ليحفظوا عليها سمكهم الذى هو بمفرده قوتهم ويلبسون على جلودهم قميصا من القطن وشروالا عريضا من جلود الظباء ونعالهم من جلود مدبوغة وقلانسهم من الفرا والرجال يشتغلون اصالة بصيد السمك وفى الصيف تذهب النساء الى الغابات للقط النباتات فيعتريهن فى هذا الفصل داء السرسام وهو داء يشبه هيجان نساء الرومانيين اللاتى كن كالكهنة ويجرون عجلاتهم الخفيفة التى يجلس السياح بجانبها بكلاب شبيهة بكلاب الرعاء ولا يستعملون فى ذلك حيوانات الرنة كغيرهم من اهل تلك النواحى وفى شمال قمچتقا خصوص محفورة تحت الارض والحر فيها اشد منه فى غيرها ولكن الهواء المخزون والابخرة التى تكمن فيها يتحصل منها هواء لا يطاق

وقد حان لنا الآن أن نشرع فى تخطيط الاقاليم والمدن التى ببلاد سيبير فنقول

اقليم يكاتيرنبورغ

اقليم ايكاتيرنبورغ هو من ولاية پرميا التى معظمها فى اوروبا وهو يشغل المنحدرات الشرقية من الجبال الاورالية ومدينة هذا الاقليم تسمى ايكاتيرنبورغ والاحسن أن يقال ييكاتيرنبورغ وبيوت هذه المدينة نحو الفى بيت وهى قاعدة ادارة عموم المعادن ومن مدن هذا الاقليم ايربيت وهى مدينة شهيرة بسوق عظيم يتجر فيه بتجارة عظيمة بين اوروبا و سيبير

خط ترويتزك

وخط ترواپتزك يحتوى على مدينة تسمى بهذا الاسم وهذا الخط من ولاية اورنبورغ وتلك المدينة هى مجمع قوافل القرغيز .

ولاية تبولسك ودائرتها

وولاية تبولسك تمتد على شطوط انهر اوبى و ايرتيش و تبول ولنبتدئ تخطيطها بتخطيط دائرة تبولسك وكورة تبولسك الواقعة على ملتقى هذه الانهر الثلاثة فى وسط سهل عظيم مقطوع ببعض ارتفاعات من الرمل فنقول ان قطرها وان كان شديد البرودة الا أنه قابل فى الصيف للحر العظيم ولا يندر أن يكون ميزان الحر الذى صنعه ريومور يرتفع الى ستة وعشرين او ثمان وعشرين درجة وتكثر فيه الرياح العاصفة والامطار فيه شديدة وكما أن الحر فيه لا يطاق صيفا فكذلك البرد لا يطاق فيه شتاء وميزان الحر ينزل فى الغالب الى اربعين درجة تحت الصفر ولكن هذا القطر الصعب

ملايم

توالدات

ملايم للصحة وليس به الامرضان متسلطنان وهما الامراض الافرنجية والجنات الباردة ولا يوجد فيه اصلا شجرة من الاشجار ذات الفواكه واما بستان الدولة الذى هو من غير شك اظرف بقعة فى تلك الارض فان اشجار الفول كانه مرسومة على دائر اللوحات التى تحدق بذلك البستان وشجرة الحمص فى سيبر وكذلك البتولا والبردينة وهى الحورة الرومية السوداء كلها محبوبة للاهالى تبولسك ويوجد بها ايضا اشجار صغيرة من عنب الثعلب الاحمر والاخضر وكل صنف من الحنطة يصح فيها وينجح والاعشاب تخرج فيها متكاملة متراكمة وارضها فى جميع الاماكن طين اسود خفيف لا يحتاج الى التسمين والتسبيخ والفلاحون بها ارباب كسل عن نقل الزبل شيأ فشيأ من اصطبلاتهم ومذاودهم وفى بعض الاحيان يضطرون لهدم بيوتهم من محل ابنائها فى محل آخر لان جبال الزبل التى تحتاطهم من جميع الجهات يشمون منها رائحة الابخرة التى تتصاعد من الزبل فتكون ريحها صعبة جدا عليهم ولو بالنسبة لحواسهم الغليظة الخشنية

مدينة تبولسك

ومدينة تبولسك واقعة على ميسرة نهر ارتيش تجاه مصب تبول وهى قاعدة ولاية سيبر بتمامها ففيها مقام الموالى وبها ايضا بطريق وهذه المدينة العليا ارتفاعها خمس وثلاثون قامة فهى اكثر ارتفاعا من المدينة السفلى المسماة بهذا الاسم وهما يتصلان بواسطة بعض سلالم تبلغ نحو مائتين وتسعين درجة وهذه المدينة عظيمة المنظر فى بعض محال منها كالقباب العديدة وابراج النواقيس ونحو ذلك وفى قلعتها قصر الوالى وهو ايضا حسن المنظر غير ان هذا القصر حصل به حريق فصار لا يرى رونقه وظرفه الاعلى بعد وحاراتها على غاية من الاستقامة والانتظام وهى مخشبة الارضية بالشواحى وبيوتها وان كانت جميلة الآن اغلبها من الخشب وقد زاد عدد اهلها بزيادة التجارة والعمارة فبلغوا نحو ستة عشر او سبعة عشر الف نفس ثم ان كلا من نهر ارتيش ونهر تبول قد يفيض فى بعض الاحيان على ما حواليها من الاراضى ويبلغ فيضانهما اربعين ورستة بالاستدارة وفى ذلك الوقت لا يمكن دخول المدينة الاعلى الماء وكثيرا ما تكون الحارات مملوءة بالقوارب الصغيرة التى يذهب فيها الانسان لحاجته وقضاء اوطاره قال كوتزبيو ان تبولسك يحيط بها صخور اقلعتها السيول على وجه عجيب ومن هنا يتعجب فى وقت المطر من السطح المائى العظيم الذى يكتنفها الى سفح غابات كثيفة تتوج الافق من كل جهة وهذا هو سبب كون عين الانسان المطرود المنفى ترتاح برؤية كل سفينة وشراعها لتوهمها أن عياله قادمون اليه فيها ليقتسموا معه ما حل به من المصائب والنكبات انتهى

آثار مدينة سيبر

وقد كانت مدينة سيبر قاعدة التتار مدة اقامتهم فى اقليم سيبر وهذه المدينة واقعة على ست عشرة ورستة من تبولسك على نهر صغير يسمى سيبركا وقل أن يوجد الآن من مدينة سيبر بعض آثار هينة وفى مدينة دميانسكوايام وهى محل بوسطة العربات على نهر ارتيش لا يتكون للكرنب رؤس وانما يخرج منه اوراق متفرقة وفى قرية سمروفوسكوايام التى هى فوق ملتقى نهرى ارتيش واوبى تشرع الخيول فى عدم تحمل صعوبة القطر ثم بعد ذلك يدخل الانسان فى الدائرة الواسعة التى يقال لها بريزوف وهى ممتدة الى جون كارا

دائرة بريزوف

واوبى وتاز ومساحتها اعظم بمرتين او ثلاث من فنلند ونرويج وهى مثلهما فى العرض الا انها دونهما فى العمران بنحو مائتى مرة او ثلثمائة وحر الصيف فى بريزوف فى الدرجة الرابعة والستين من العرض وهو على قصر مدته فى غاية الشدة والشتاء يخلفه الحر بغتة وفى العادة يبتدى الجليد فى آخر شهر اغسطوس وجليد نهر اوبى لا ينكسر ابدا قبل انقضاء شهر مايه وليس بها زراعة وانما يصح فيها الخضراوات وغاباتها عبارة عن شجر البتولا والتنوب وارز سيبر وكله عجز فيها بحيث صار لا ينمو زيادة عما هو عليه ويكثر بها الصيد المائى والسمك

اوبدوريا

والارض التى على مصب اوبى تسمى اوبدوريا وهو اقليم اقبح من الاول وذلك لانه بمجرد انحلال الثلج نحو شهرين

نباتات شمالية

ولو فى مدة اطول ايام الصيف لا تجد بها الا مستنقعات ينبت فيها القصب الفارسى من كل نوع ويختلط به اشجار صغيرة من شجر الصفصاف الردئ ومن شجر البتولا القصير الكبير الاوراق ومن شجر اللادن الذى يوجد فى المناقع ومن الشجر المتتابع المسمى اندروميدة ومن المشمش البرى الموجود بجبال ألبه وعلى الجبال الاورالية القليلة الارتفاع اشجار اللاريس التى ارتفاعها نحو قامة واشجار الحورة الرومية واشجار الصفصاف ويتكون من مجموعها فى بعض الاحيان اشجار كثيفة تنتشر على الجدران كاللبلاب وعلى شط البحر لا تجد الا علّيق الشمال وعليق البحيرات

دائرة سورغوت

ودائرة سورغوت على الجنوب الشرقى من دائرة بريزوف وشمال تبولسك وهى تحتوى على اراض مرتفعة كثيرة الغابات السخية وكان بها سابقا كثير من حيوانات السمور والثعالب والاردوا ومدينة سورغوت هى مدينة صغيرة على نهر اوبى

دائرة تورنسك
ودائرة تورنسك على الشرق من تبولسك وبها اراض قابلة للزراعة ومواد المعيشة بها قليلة الثمن ومدينة تورنسك بندر تلك الدائرة على نهر تورا وهي مدينة عظيمة بالنسبة لهذه البلاد

تخطيط الفلد مارشال مونيخ لاقليم بليم
وفي مدينة بليم اقام الشهير الفلد مارشال مونيخ عشرين سنة وكان نشطا نافعا الروسية الذين قابلوا صنيعه بالجحد وعدم الشكر وبالقسوة والخشونة ونصه في تخطيط هذه المدينة واقليم بليم مملوء بالغابات السحيقة التي لا يمكن عبورها صيفا ولو باصغر عربة وانما يعيشون بها في الشتاء بواسطة اخشاب طويلة طول الخشبة خمسة اقدام عريضة تحت القدم وعرضها ستة اصابع ويغطونها بجلود الرنة لئلا تزلق رجل الانسان واذا اراد اهل البلاد أن يصلوا الى داخل هذه الغابات استعملوا بيت الابرة الذي يصطنعونه بانفسهم حيث ان المغناطيس ليس نادرا عندهم في هذا الاقليم

دائرة تيومين
ودائرة تيومين في الجنوب الغربي من تبولسك وهي مفتوحة مطروقة اكثر من الاولى وأقل امتلاء بالغابات من دائرة تورنسك وتحمل الغلال الى غيرها من البلاد بل يشاهد فيها اشجار التفاح ومن مدنها مدينة تيومين وهي مدينة زاهرة على نهر تورا كثيرة الاهل من التتار وكثيرة الفبريقات الظريفة التي يصطنع فيها السجاجيد النفيسة وعلى بعض مسافة منها تجد قبر السياح استيلير الذي خطط لنا قمجتقا

دائرة يالوتوروبسك
دائرة تارا
ودائرة يالوتوروبسك على الشرق من المتقدمة ولا يوجد في غيرها مروج ادسم من مروجها وكل من جاء يأخذ منها واكثرها باق لم يقطع منه شئ لعدم المواشي التي تأكل جميع حشيشها والهوام بها كثيرة ودائرة تارا على نهر ارتيش في الجنوب الشرقي من تبولسك وارضها مسطوحة كثيرة الغابات والصيد ومدينة تارا على النهر المذكور وهي مدينة جميلة

دائرة كورغان
ايطالياسبير
ودائرة كورغان واقعة على جنوب دائرة يالوتوروبسك على نهر تبول قال والى تبولسك للخواجة كوتزبيو ان هذه الدائرة هي ايطالياسبير وذلك أن ارضها مشحونة بالازهار الظريفة والمواشي ذوات القرون والخيل كلها ترعى فيها من غير حارس وفيها كثير من الدجاج البري والاوز والحمام البري ومدينة كورغان هي في الحقيقة عدة اراض مجتمعة على نهر تبول وانواع المؤونات التي يتعيش بها اهلها تحصل بثمن بخس بخلاف بضائع

العاب بنات كورغان
اوروبا فهي فيها غالية جدا وقد تكلم الخواجة كوتزبيو على العاب بنات كورغان على شطوط تبول فقال على شط هذا النهر ميادين تجتمع فيها بنات المدينة لاستحمامهن وغسل ثيابهن وهذه الحمامات عندهن من الرياضات البدنية العجيبة فانهن يعتزن نهر تبول ويرجعن عائمات من غير جهد ولا مكابدة بل يتركن انفسهن زمنا طويلا لتيار الماء نائمات على ظهورهن ويتلاعبن غالبا ويتمازحن ويترامين بالرمال ويتبع بعضهن بعضا ويتغامسن في الماء ويمسك بعضهن بعضا ويرمي بعضهن بعضا في الماء فهن اشبه بعرائس البحر المذكورات في خرافة اليونان وبالجملة فيجلن في اللعب حتى ان المتفرج الذي لا معرفة له بذلك يخشى عليهن في كل وقت الموت والغرق ولكن جميع ما يعملنه خال عما يخل بالحياء والادب فلا يظهر منهن خارج الماء الا رؤسهن ولا يعرف الانسان كونهن من النساء الا بسبب الاهتزاز الذي تظهر به نهودهن فاذا اردن فراغ اللعب والخروج من الماء شرعن في ذلك مع كثير من العفة والحياء ويرجون من المتفرجين التباعد والذهاب عنهن فاذا ابى بعض الحاضرين الذهاب لكونه يحب أن يرى شيأ منهن اولسوء قصد اصطف نساء اللواتي خارج الماء وصنعن دائرة ضيقة حول البنات اللاتي يردن الخروج ورمين لكل واحدة منهن ملابسها بحيث تجدهن في اقرب مدة لابسات ثيابهن مع غاية الادب والعفة انتهى

دائرة ايشيم
وعلى الشرق من الدائرة السابقة دائرة ايشيم وهي متصلة بالسهل العظيم المسمى سهل نهر ايسيم اوايشيم حيث يسيح الغرغيز الذين هم من القبيلة الوسطى وقد كانت عادة هذه القبيلة الغرغيزية في قديم الزمان سلب الموسقو وربطهم في اذناب خيولهم وجرهم على هذه الحالة فلما شق ذلك على الروسية وارادوا منع ذلك اقاموا حصنا عسكريا ممتدا من شطوط تبول الى شطوط ارتيش وملاصقا للوادي المملوء من البحيرة المالحة المرة

دائرة اومسك
وقلعة بتروبولوفسكايا هي مقام عرضي رجال هذا الحصن ودائرة اومسك على نهر ارتيش جهة برية برابين وليس بها شئ من الغرائب وبندرها هو مدينة اومسك وبها كثير من المنفيين المطرودين

ولاية تومسك
وولاية تومسك مشتملة على الاقاليم التي على اعلى نهر اوبي وعلى نهر ينسية

اقليم توروخنسك
وفي طرف اقليم تومسك الشمالي دائرة واسعة تسمى منغازيسك وهي مشهورة اكثر من ذلك باسم توروخنسك وهي عبارة عن غابات وبرك وصحارى متتابعة وبهذا الاقليم دون غيره من اقاليم سيبر ثعالب الجليد والدب الابيض

والذئاب

تفصيل طبيعية

والذئاب وشعور هذه الوحوش به اكثف من شعورها بغيره واجود صفة وتكثر فيه الاسماك والطيور المائية وعلى شط البحر المنجمد على شرق ينسية برسو كثير من الحطب السابح على وجه الماء وقطره اشد صعوبة من قطر الاقاليم الاخرى التي على نهر اوبى فلا يزول منه الجليد اصلا الا فى آخر شهر يونية ولا تبدو اوراق الدردار واللاريس والصفصاف والبتولا الا مدة شهرين فقط وتفتح الازهار يظهر به قبل غيره والكتان الصلب له فى هذا الاقليم ازهار ضخمة ضخامة عجيبة ومدينة توروخنسك المسماة ايضا منغازيسك عامرة اهلها نحو الف نفس وخصوص القوزاق المسماة سموية واسعة تمتد نحو خمسمائة ورستة جهة الشمال وهذه الامة الشمالية تألف اقليمها المهول

دائرة ينسية

وفى جنوب توروخنسك دائرة ينسية تمتد على ساحل نهر يسمى بهذا الاسم وعلى نهر تونغوسكا الاعلى المسمى ايضا انغارا وفيها الحنطة واللحم والطيور بكثرة ولكن لا وجود فيها الاشجار الفواكه

ومدينة ينسية على نهر يسمى بهذا الاسم وهى حصن تجارة ومحيطها ست ورستات واهلها مشهورون بأنهم ارباب تحيل ومكر يشربون الخمر ويرتكبون الفسق

ناريم
جوليم
تومسك

ودوائر ناريم وجوليم وتومسك وكنسك تمتد فى الجنوب الغربى من الدائرتين السابقتين فالاولى وهى ابعدها شمالا عبارة عن ارض صيد قليلة المواشي والزراعة وفى دائرة جوليم بعض مواش ولا شئ بها من الزراعة وفى دائرة تومسك التى يجتازها نهر اوبى تجد الارض خصبة فى كل نوع من انواع الحبوب وبها مراع للخيل والبهائم ذوات القرون وتكثر فى انهرها اصناف السمك وقد استكشف الخواجة لكسمان حجر الفحم فى هذه الدائرة

مدينة تومسك

ومدينة تومسك على نهر توم الذى يصب فى نهر اوبى وهى ثالث مدينة من مدن سبير العظمة واهلها نحو احد عشر الف نفس وهم يزيدون دائما على التدريج والظاهر أن وضعها فى وسط سبير يجعلها فى المستقبل قاعدة هذه البلاد وهى مقام كثير من التجار الروسية والتتارية والبخارية والقلموق وهى ايضا مجتمع البضائع ومحل ميعادها واغلب اهل هذه المدينة روسكولنيقية اى خوارج شداد صعاب امورهم عجيبة يظهرون الصلاح وهم فى الحقيقة ارباب فساد وسكر كما ذكره بعضهم

دائرة كينسك

ودائرة كينسك تشتمل على جزء من سهل برابين ويخرج منها كثير من القاقوم

اقليم كوليوان

واقليم كوليوان كان على عهد كاترينة الثانية ولاية على حدته وهو الجزء الجنوبى من سبير الغربية والاقليم الذى بين اوبى وتوم ارضه خصبة ولكن حين رآه بلاس لم يجده مشحونا الا باشجار البتولا فقط ووجده ايضا قليل الاهل والعمران وفى هذا الاقليم بنيت مدينة كوليوان وهدمت ثم بنيت فى عدة اماكن ومدينة كوليوان الجديدة الموجودة الآن هى مدينة متوسطة على نهر اوبى اى ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة

دائرة سميبالاتنوا

ودائرة سميبالاتنوا هى الطرف الجنوبى من سبير الغربية وينبغى أن نتكلم عليها تفصيلا بالنظر للجغرافيا الطبيعية فنقول ان السهل الذى بين نهرى اوبى وارتيش طبيعته الملوحة وبجافات نهر ارتيش سلسلة تلال

قطر

من الرمل المتموج العميق ويكثر به موت البهائم وتجد فى عدة اماكن من الجزء الجنوبى الكثير الجبال مياها رديئة تجلب الحمى الدورية ومن كان بهذه الارض فهو عرضة للرياح العاصفة والفرطونات الشديدة ومع ذلك فالجبال

نباتات

المرتفعة هى فى الغالب محلة لا يمكن أن يزرع بها الا المخاضات وكلما ارتفعت جهة الجبال وجدت النباتات البرية والاشجار الكبيرة والصغيرة تزيد نضارة وحسنا فشجرة السدر واشجار الحور البلسانى والكرز البرى وشجر الافلوس الابيض والاحمر وعنب الثعلب الاحمر والجمان الابيض والاحمر والفاغية وجميع اصناف الورد البرى كل ذلك يستر شطوط اوبا وتوت الارض المسمى بالتوت الافرنجى يوجد ايضا بهذه الجهة غليظا اصفر يعجب الذوق والبصر وشطوط نهر شولبا مزينة بازهار الزوفا والنعناع المائى وحشيشة الدينار والقنب البرى والدالية السوداء المشرقية تشتبك فى الاشجار على شكل شجر اللبلاب وثم عيون ماء صاف يجرى تحت ظل الزهر المسمى زهر العسل التتارى واشجاره ضخمة وفى جبال التاى تجد النباتات الخاصة بمزاج جبال ألبة مثل الجانطيان الربيعى ومثل الانوبروخيس بجبال ألبة ومثل الورد المسمى درياس الذى لكل زهرة منه خمس اوراق ومثل النبات المسمى بوليغالا سبير ومثل الذهب الطريف المسمى اسبيرا ألطايقا ومثل ذهب الفوومثل الاشجار القديمة وجميع هذه الاشجار تمد ازهارها الطريفة حتى الى شطوط الثلوج

شلنجنبرغ

ومعدن شلنجنبرغ هو مع القرية المسماة بهذا الاسم اعظم موضع فى تلك الدائرة ويسمى عند الروسية زميو يسكايا غورا ومعناه جبل الثعابين وانما سمى بذلك لانه على جبل كثير الثعابين وقد اشتغلت امة الجردة فى هذا المعدن زمنا طويلا قبل الروسية

دائرة بيسك — وحوالى برنول فى دائرة بيسك تجد الهواء اعظم اعتدالا والصيف اشدحرا من الاجزاء المتوغلة فى الجنوب مثلا لانها اقرب للجبال وكل الاعشاب والخضراوات بل والخرشوف ينجح فيها ويصلح ومدينة برنول هى مدينة معادن وبها الف بيت تقريبا وفيها مسابك شهيرة وحواليها افران للجير ومحال لضرب الطوب وورشة للجليد

دائرة كوتزنيسك — ودائرة كوتزنيسك مع مدينة تسمى بهذا الاسم تمتد حوالى منابع نهر تومسك بل والى نهر ينسية وبها عدة اراض خصبة جدا ومنتزهات

دائرة اباكنسك — ودائرة اباكنسك على الشرق من الدائرة المتقدمة وهى على اعلى نهر ينسية ومع انها كثيرة الجبال فهى ايضا كثيرة المراعى الطيبة بل وبها مزارع خصبة كثيرة الغلال وبقرب مدينة اباكنسك تجد الحر لينا بحيث يمكن أن يصح

مبانى الامم القديمة — فيه البطيخ وهذا الخط كغالب ارض سيبير الجنوبية به كثير من الطومولوس القديمة وهى تلال معدة للدفن يسميها التتار قبور القشيان وما بها من زينة الذهب وغيره من المعادن يدل على أن الامة القديمة التى بنتها كانت بلادها عامرة بل يوجد على نهرى اباكان وجوليم تماثيل رجال كل تمثال نحو سبعة اقدام او ثمانية وعليها كتابة كثيرة بقلم قديم

دائرة كراسنوارسك — واذا انحدرنا الى نهر ينسية وصلنا الى دائرة كراسنوارسك وارضها خصبة جدا بحيث لا يحرث منها الا سطحها فقط من غير أن يوضع فيها شئ للتسبيخ ونحوه فيمكن أن تبذر بعد الحصاد مدة خمس سنوات او ستة بل واكثر من ذلك ولهذا كانت الغلال وامور المعاش بها هينة الاسعار جدا وهذا هو ما يحمل الناس على الميل الى لذات المآكل والتكاسل ويوجد بتلال الدفن التى بجبال كراسنوارسك كثير من الاسلحة وانواع الزينة والآنية التى كان يتخذها الاقدمون لصب دم القربان فيها وكذلك نقود الذهب والفضة والنحاس والحديد فهذه الاشياء آثار تدل على احوال الاقدمين ببلاد سيبير دلالة قوية وعلى انهم كانوا ماهرين فى الصنائع وثم صخرتان احداهما على شط نهر كوكسا

صخور كتابة — والاخرى على شط بيريوس وبهما كتابة مجهولة وتسمى هاتان الصخرتان بيسنوا كامن يعنى صخور الكتابة وثم صخر يشبههما على شط نهر توم تحت مدينة كوتزنسك منقوش فيه صور حيوانات

ولاية ايرخوتسك واقليمها — ولنتكلم على سيبير الشرقية الداخلة فى ولاية ايرخوتسك الواسعة المنقسمة اقاليمها الاربعة الى اقسام اخرى جغرافية وهذه الاقاليم الاربعة هى ايرخوتسك ونرجنسك وياقوتسك واوخوتسك فنقول

مدينة ايرخوتسك — ان مدينة ايرخوتسك هى قاعدة جميع الولاية وهى ايضا قاعدة الاقليم الذى يسمى بهذا الاسم وهذه المدينة هى مقر الوالى والاسقف وهى واقعة على شطوط نهر انغرا فى سهل ظريف على ثلاث وستين ورستة من بحيرة بيكال وهى من اعظم مدن سيبير اتساعا وظرافة وهى محصنة واهلها ١٢٠٠٠ واغلب اهلها تجار عظام واثاث بيوتها يأتى غالبا من بلاد الصين والنساء يلبسن اقمشة صينية وشرابهم المعتاد هو الشاى والامراض الخفيفة متحكمة هنالك كثيرا وقد انشأوا فى هذه المدينة مكتبا على منوال مكاتب يابونيا لتعليم الملاحة والامور البحرية وفى هذا المكتب خوجات من اهل يابونيا المتأصلين بها يعلمون بهذه الولاية لسان بلادهم وكذلك جماعة من دار الامارة البحرية الموسقوبية يعلمون ايضا فن الامور البحرية

تفاصيل طبيعية — وما حوالى ايرخوتسك ظريف وارضه خصبة وزراعته زاهرة وكلما قربت من بحيرة بيكال رأيت الارض جبالية على التدريج ووجدت حيوانات الصيد بكثرة مثل حيوان الايلان والايل والخنزير الوحشى وكثير من دولك شجر الخليج والدجاج البرى ودجاج الغابات والحجل ويكثر بهذه الارض الزلازل

دائرة كيرنسك — ودائرة كيرنسك على نهر لينا وارضها التى حواليها خصبة والزرع يخرج بها غليظا واسماكها التى تصطاد من الانهار القريبة منها عظيمة جدا وطعمها احسن جميع اسماك سيبير واهل هذا الاقليم يكثر عندهم السلع ويكون غلظها غير معهود عند غيرهم وهى قطعة لحم تبرز من البدن بل قد توجد هذه السلع فى بقر هذه البلاد

دائرة اسفل اودنسك — ودائرة اسفل اودنسك التى تمتد على غرب دائرة ايرخوتسك اغلبها مستور بغابات مظلمة سمجة لا تنبت الارض فيها الا الطحلب ونباتات البرك التى اغلبها يشبه نباتات بلاد الروسية وشمال اوروبا وقطرها بارد جدا

مدينة كياشتا — ومدينة كياشتا اوكياختا هى مدينة بنيت على حدود المغول فى دائرة اعلى اودنسك واشتهرت بالتجارة بين الروسية والصينيين وهى تحت جبل برغولتى المسمى جبل النسور والعقبان وهو مشرف على هذه المدينة وقد ابقى الصينيون هذا الجبل تحت حكومتهم فى آخر مشارطة لتحديد البلاد واحتجوا فى استحقاقهم لذلك بأن رأس هذا الجبل به مقابر سلفهم ثم ان مدينة كياشتا فاقدة للماء الطيب وليس حواليها الا الرمال وصخور وارض لا تقبل زراعة

اهل — الخضراوات الا قبولا هينا واصول اهلها هم تجار الروسية يعنى وكلاء من تجار مملكة الروسيا المقيمين بتلك النواحى ودابهم فى العيشة مناسبة مبنية على التأنس والاجتماع وهؤلاء التجار يعتقدون أن احسن ما يكرم به الغريب

هو أن يجبر على شرب الشاى على التوالى وأن يتعاطى من جميع انواعه واغلب اثاثهم وامتعة بيوتهم من بلاد الصين بل بعض ملابسهم من ملابس اهل الصين

مدينة سيلنجنسك

ومدينة سيلنجنسك هى مدينة اخرى من دائرة اعلى اورنسك قريبة من جبال رمل شاهقة منزلها شرع الآن فى تغطية حاراتها على التدريج واهل هذه المدينة يتجرون قليلا ثم ان دمهم وسحنتهم يدلان على انهم اختلطوا قديما بالمغول اختلاطا فاوياو توالدوا واهالى الروسية المستوطنون بهذه البلاد يؤثرون فى الزواج بنات البورياتة اى المغولية على غيرهن وهذا الزواج المركب من جنسين مختلفين يتولد منه جنس يسمى مولدا و يقال له فى لغتهم كارمكى ثم ان آداب رعاع الناس اغلبها من آداب البورياتة اى المغولية بل اهالى المدينة يؤثرون لسان المغول على لسانهم الاصلى وقطر سيلنجنسك معتدل يزول عنه الثلج فى آخر شهر مارث ولا يبقى له اثر فى اعالى الجبال المقابلة للجنوب والمواشى تشرع فى المرعى بعد العشرين من هذا الشهر ولا نظير لهذا القطر فى كثرة مجامع اشجار الكمثرى الوحشية وعنب الثعلب والدردار القصير واما جباله فهى مشحونة باشجار الروبينير القصير وهو نوع من الخضراوات

تنبيهات طبيعية

وفى هذا الاقليم ايضا اختلاف عظيم من جهة الارض والقطر ففى بعض الاماكن اودية ضيقة مظلمة باردة وفى بعضها الآخر سهول رملية حارة وعلى البعد من ذلك اعماق مالحة وفى مدينة سيلنجنسك يصح البطيخ و ينجح وعلى شطوط اودا لا تنضج الحبوب الا نادرا و بالجملة فهذه الارض صالحة لان تصير ارض زراعة ولو مع قليل من التعهد والخدمة

اقليم نرجنسك وهو الدورية الروسية

تفاصيل طبيعية

واقليم نرجنسك الذى يشتمل على دورية الروسية مستور بالجبال واما السهول التى فيه فليست فى الحقيقة الا اودية عظيمة بين الجبال وما فيه من الجبال لا يشاهد به الا صخرات وعرة يترآى انها معلقة فى الهواء ولهذا لا تجد اصلا مناظر ولا منتزهات غريبة والهواء الذى يستنشق به فيها يمكن مقابلته بهواء جبال ألبه والبرد فيه شديد ولو فى زمن الحر وما به من الشجر المتواتر المجتمع على هيئة غابات صغيرة هو عبارة عن شجر الصنوبر واللاريس والتنوب الابيض والاسود وارز سبير والبتولا السوداء وهى لا توجد فى غير هذا المحل من محال سبير ورؤس تلك الجبال التى تستمر عليها الثلوج بها دغلات من صنوبر لبيان وبها ايضا البتولا الصغيرة وغير ذلك من اصناف اخرى خاصة بتلك الجهة كحب العرعر والصفصاف واول شجر البندق والبلوط لا يظهر الا فيما وراء ارغون على ارض صينية وكثرة النباتات والمعادن النادرة بهذا الاقليم تفوق نباتات بلاد سبير ومعادنها والنباتات زاهية زاهرة فى هذا القطر الجبلى ففيه جبال كاملة بقرب شطوط نهر اونون الذى سطحه ملون من جهة بلون اللعل الناشىء من ازرار المشمش البرى واما المنحدر الآخر فهو مفروش بفراش ارجوانى نظيف من شجر الدفلا الذى يستره

مدينة نرجنسك المنفيون

ومدينة نرجنسك هى حد من حدود البلاد ولها قلعة من ناحية الصين وهى بعد تحقيقا اردأ محل فى بلاد الروسية ينفون اليه ارباب الذنوب ثم ان المنفيين المبعوثين الى نرجنسك يشتغلون بالمعادن وعددهم عادة نحو الف نفس الى الف وثمانمائة وندر أن بلغ عددهم الفين ولما اختلط جميع المنفيين بها وصاروا طائفة مخصوصة لبسوا كلبس العسكر وصاروا يأكلون كأكلهم ولا يكلفون الاشغال وقل أن يهرب انسان من تلك الجهة لصعوبة ذلك فان الصينيين يعاقبون كل من هرب ووجدوه باشد العقوبات وافظعها حيث انه لوث ارضهم ودنسها

اقليم ياقوتسك

واقليم ياقوتسك يحتوى على اعظم جزء من بركة نهر لينا وبعض حواش جنوبية على الغرب من لينا ذات قطر غير شديد بالكلية بل تطيقه النفوس ولكن من هذا النهر الى رأس جلاجنسكوا تجد الاراضى مضرسة بالجبال ومملوءة بالبرك وشديدة البرد و ينضج فيها الشعير فى ستة اسابيع الى سبعة ولكن حصدها غير متيقن وانما الصيد وحده يكفى فى المعايش بهذه الجهة وفى مدة سلطنة الشتاء تجد الجليد كالسلاح لمنع البرد و بيان ذلك أن الواح الشبابيك

استعمال غريب للجليد

التونغوزة

تتخذ عادة من صفحات من الميقا الشفافة المسماة بالزجاج الموسقوبى و يصطنع ايضا مانع آخر من الواح الجليد اصفى من ذلك بأن يجنوه بماء يسير يجمد حالا وشدة حرارة الصيف تحمل التنغوزة على أن يمشوا عرايا مثل اهالى امريقة فلا تجد عليهم الا قطعة جلد حول اصلابهم ومنهم من يغتذى ببصل السوسن الاصفر الكثير بهذه الاراضى فيتخذونه دقيقا ثم خبزا وعلى نغم الاغانى المقترحة والرقص الظريف يصطادون فى الانهر التى لم يحل جليدها الا يسيرا

مدن وغيرها

ومدينة ياقوتسك واقعة على غرب نهر لينا وهى قاعدة الاقليم وبها نحو مائة بيت رديئة البناء و يتجر اهلها فى فرا السمور وحوالى اولكمنسك التى هى بندر دائرة تسمى بهذا الاسم يزرعون بعض مزارع شعير ودائرتا اولنسك التى على نهر اولنيق وسهيغنسك التى على نهر لينا كلاهما صحراء يسيح فيهما فرق رحالة نزالة من الياقوتية

والتنغوزة ومدينة اولنسك هى ابعد مكان جهة الشمال من الارض يسمى باسم مدينة وليس وراءه مدن
الا حيد كومالسوركا يخرج نهر لينا من جبال ويكون فى ذلك المحل حسن المنظر عظيم الاوصاف ودائرة
ساشيورسك يسكنها امة اليوغاجيرة والجزية فى تلك الاقاليم يجمعها القوزاق الذين لهم بعض شرف فى تلك الجهات
وهم ساكنون فى ياقوتسك وجامكية كل واحد منهم فى السنة ثمانى روبلات وهم الامراء فى تلك المدينة وربما كانوا
ظالمين يخشى منهم فى تلك الجهات الشمالية

جزائر البحر المنجمد — وأمام هذا الجزء من ساحل سبير يظهر أن البحر المنجمد مملوء بالجزائر فالجزائر التى أمام مصبى نهر لينا ونهر يتا
هى كالساحل المجاور لهما وهى عبارة عن معاطن حشيش محترق بالارض موضوع على قاعدة من الجليد المستمر
ومن هذه المعاطن ما هو مشتمل على بحيرات غير كاملة الانجماد ثم ان هذه الجزائر المنعزلة مسكونة بحيوانات الدب والرنة

جزائر ليخوف — وثم جزائر اهم من ذلك استكشفها بعضهم فى شمال رأس سويتوا وقدرآها بعضهم فى سنة ١٧١١ وسنة
١٧٢٤ من الميلاد ثم تنوسيت فاستكشفها التاجر ليخوف سنة ١٧٧٤ فجاب منها اولا جزيرتين مسطوحتين ابعدهما
جنوبا فيه بحيرة حواليها رمال واراض رخوة فاذا بحث الانسان وجد بها متراكم العظام وهيا كل اجسام جاموس
وكركند وفيلة وفيها ايضا العاج ابيض جديدا كالذى يجلب من افريقة وعلى مائة وريستة من الجزيرة الثانية
وجد ليخوف جزيرة فتكفل الخواجة شواتوف الخبير بمعرفة الاراضى أن يبحث عنها فى السنة الثانية من
اطلاع الخواجة ليخوف وقد شاهدها ايضا الخواجة هيدنسطروم وهذه الارض هى ما تسمى سبيرا الجديدة

سبيرا الجديدة — وبها ساحل تستحجر به الاشجار وتوجد مستحجرة طبقات عظيمة منتظمة فى الرمال والطين وفيه عظام الفيلة بكثرة
وبها ايضا نهر عظيم يدل على انها ارض ذات اتساع وفيها بعض نباتات وبالجملة فقد ظن بعضهم انه لمح بها آثار آدميين
ولا مانع من أن تكون سبيرا الجديدة المذكورة طرفا شماليا لامريقة

اقليم اوختسك — والاجزاء الابعد شرقا من سبير داخلة فى اقليم اوختسك وهى ارض جبالية مستورة بالغابات السحنة ولا ينبت
فيها شئ من انواع النباتات النافعة للمعيشة بل اهلها مضطرون لجلب لوازم معايشهم من ياقوتسك وتفاح الارض
وهو البطاطس تنقص جودته فى تلك الجهة ومدينة اوختسك هى مينا للبحر يرتحل منها الروسية للذهاب الى قمجتقا
وامريقة وفيها تعمر سفن للتجارة

بلاد الجوكجة — وبلاد الجوكجة التى فى طرف آسيا جهة الشمال الشرقى يغتذى بارضها فى وسط صخورها اقاطيع من حيوانات
الرنة لا يمكن حصرها واغلب اهلها يقيم فى حفرات الصخور ويبنون ايضا خصوصا من عظام الحيتان العظيمة
وجزائر الاورس اى الدبات التى تحاذى الساحل الشمالى من ارض الجوكجة ذات نباتات اكثر من نباتات جزائر
ليخوف وفى بوغاز بهرنغ جزيرتان تسمى احداهما ايموغلين والاخرى الجيليم والظاهر انهما عين جزائر
كلرك التى تكلم عليها الانكليز وهما معمورتان بطوائف يقال لها اشوتلاش وهم صيادون ارباب شجاعة ينضجون
اطعمتهم على حفرات فى الصخور مملوءة بدهن السمك ويحرقون فيه فتائل من القصب الفارسى

بجيجزيرة قمجتقا — واما بجيجزيرة قمجتقا التى هى جزيرة عظيمة متصلة بالارض فهى دائرة اقليم اوختسك ولما كانت هذه الارض
مقطوعة فى جميع طولها بسلسلة جبال كانت مسقية من ساحلها بكثير من الانهر ولكن اكثر هذه الانهر غير عظيم
ولا قابل للسفر فيه واعظمها ثلاثة احدها نهر قمجتقا والثانى نهر اوتشا والثالث نهر بولشايا ريكا وشتاء هذا

الاقليم عشرة اشهر ومبدء الجليد فى اول شهر يولية فيمكث فيه الى شهر ماية لكن يشتد البرد فيه حتى يصل
الى اعلى درجة فى التكاثف وضباب البحر يجعل حره رطبا ولما كانت رياح هذه الارض غير ثابتة بل عرضة للتغيير
والتبدل بل كانت حرارة القطر كذلك فطالما ينتقل من الحر للبرد فى لحظة وثم عدة انهر لا تنعقد مياهها اصلا اما لسرعة
جريانها او لكون مياهها ذات طبيعة خاصة والزراعة لم تنجح فى هذه البجيجزيرة بل ولا فى قسمها الجنوبى واذا زرع الشعير

اختبار الزراعة — والهرطمان فى الاراضى المنتخبة تضاعفت الحبة مرتين او ثلاثة لان الرطوبة تمنع السبل من النضج ولكن اذا ابعدت
الزراعة عن البحر فالظاهر أنها تنجح زيادة عن ذلك ولهذا كانت الحبوب بها كثيرة الثمن فانها تنقل اليها الى حد
ارخوتسك ولو اهتموا بتربية المواشى لصارت مهمة عظيمة فان المراعى بها جيدة اذ الاعشاب بها تكون كالامواج
كما فى صحارى اقليم لويزيانة المسمى ساوانة

فتجد بهذه الارض اقاطيع البط والسمور والارانب والقاقوم والدبات والرنات وسواحلها دائما محفوفة بكثير من الاسماك
بسائر انواعها التى منها حيتان يونس ودب البحر وكلب الماء وغيرها وكذلك انهارها تشتمل على غالب انواع الاسماك
النهرية من غير أن يتعرض لصيدها احد فلا تؤكل الا فى زمن القحط ولا يصطاد من السمك الا سمك الصوسون الذى لحمه

عظيم

عظيم وهو يخرج من البحر ليصعد الى الانهر وهو موجود بكثرة بحيث انه قد يقطع مجرى الانهر بل ذكر السياح استيلير أن الكلاب والدبات تأكل من هذه الاسماك على قدر الامكان وكذلك سمك الفسيخ هو ايضا كثير جدا بحيث يمكن أن يصطاده الانسان بدلو وكذلك اصناف الطيور غريبة ايضا كما أن عددها امره عجيب وذلك لان طيور البحر لا يمكن احصاؤها واما طيور البر فمنها العجلوم وسبعة اصناف الاوز واحد عشر من البط البرنى و يوكل فى هذه البلاد النسور والعقبان واشجار اللاريس والحور الابيض تستعمل لعمارة البيوت والسفن ويكثر بها شجر البتولا و يستعمل فى العجل والقشر الاخضر من هذه الاشجار يقطع قطعا صغيرة دقيقة و يوكل مع الخبيارى وهو نوع من البطارخ ومن عصير طلع هذا الشجر يعتصر شراب مقبول وقل أن يحرقوا الاحطب الصفصاف اوالحورة الرومية حتى ان اهل البلاد ربما اكلوا ايضا قشر شجر الصفصاف واما قشر الحورة فيصبغون به الجلود وعرق زنبق السارانة يسد فى الغالب مسد الخبز وشجر الانجرة المسمى ايضا القريص يقوم مقام الكتان والتيل وبها ايضا كثير من النباتات الطبية بل و ينتفع ايضا بالنباتات البحرية ومن هذه النباتات البحرية الفوقوس وهو يكثر بجوار البحروشم اصناف من النباتات البحرية وهى الدولقيس المسمى ايضا بلماطوس والاسقولنطوس والسقشار بنوس وهذه الاصناف الثلاثة توكل كالكرنب والنبات الاخير منها يخرج من الماء ويكون مغطى باحجار متبلورة شبيهة بالسكر ولكنها مركبة من مجرد ملح بحرى مشوب بمادة لزجة من النبات

ومدينة نشنى قمچاچسك هى بندر على نهر قمچتقا وقرية بلشرتزكوا وقرية بطروبولووسك على جون اوتشا وهما فى الحقيقة من الاتساع والكفور

وجزائر الاوتيسة هى من امريقة كما هو واضح فلا تمكن البرهنة على انها من آسيا ولكن جزيرة بهرنغ والجزيرة المسماة جزيرة النحاس يلزم أن نخططهما فى تخطيط قمچتقا لانه يظهر أن هاتين الجزيرتين ممتدتان جهة الشرق فنقول ان جزيرة بهرنغ الاقرب الى قمچتقا انما سميت بذلك باسم بحرى دانيمرقى مات على شطها وهى غير عامرة وارضها صوانية والشتاء بها على سواحل البحر غير شديد فلا يشاهد فيها اجليد يمكث بها ولكن رؤس داخل هذه الجزيرة التى جعل الحكيم استيلير ارتفاعها الف قامة مغمورة بالثلوج المستمرة وليس بهذه الجزيرة اشجار بل يكتنفها احجار مرصوصة واما مدنواسطروا يعنى جزيرة النحاس فانها سميت باسم النحاس التولدى الذى يوجد على الشط فى غرب الجزيرة وليس البحر هو الذى يحمل قطع النحاس وانما توجد فى الحصى الذى تتكون منه الجروف موضوعة كالكلاء فى صنف من العروق وفى سنة ١٧٦٢ من الميلاد استخرج البحرى ميلنسكى نحو اربعمائة رطل من النحاس وقد فرغ الآن عرق المعدن وكلتا هاتين الجزيرتين معمورة بما لا يحصى من الثعالب القطبية واما كلاب الماء وبقر البحر وحيتان يونس فانها تجتمع فيها اقاطيع اقاطيع

وبلاد سبير التى فرغنا من تخطيطها العام والخاص هى ايضا ميدان للمقاصد البولتيقية ومجال للنيات السياسية ومحال لمعاملات التجار وافكار الفلاسفة يعنى أن كلا من ارباب هذه الحرف يلاحظها بما تقبله من فنه فمملكة الروسية تنتفع انتفاعا كاملا من استيلائها على سبير التى هى ثلث آسيا وذلك أن اقاليمها التى فى اوروبا تحميها من الاغارة من هذه الجهة و يكون لها ربح عظيم من الملايين العديدة الناشئة من المكسب الصرف الوارد لها من المعادن ومن التجارات مع الصين ومن امريقة فهذه هى الثمرة التى اكتسبتها الدولة الموسقوبية من فتوح بعض القوزاق المسمى يرمكتيموفيو وتجارة سبير رابحة بالنسبة لتجار روسية الموسقو لاسيما وهى مختصة بهم بحيث لا يزاحمهم فيها غيرهم من الاجانب وذلك لان الانهر العظمة بهذه البلاد وهى اوبى وينسية ولينا والانهر الصغيرة التى تصب فيها كلها تتقارب او تتباعد بالمناسبة بحيث يمكن أن تحمل البضائع كلها على السفن من كياشتا الى داخل روسية اوروبا وهذه الطريق تستدعى ثلاث سنوات اى ثلاثة فصول من فصول الصيف القصير المدة واما الطريق برا فانها تستدعى سنة كاملة وذلك لانه فى سنة ١٧٩٠ من الميلاد بلغ مصرف نقل البضائع من كياشتا الى بتربورغ من طريق البر ست روبلات فى كل پود و بلغ من طريق البحر اربع روبلات لا غير

ومدينة توبلسك هى مستودع البضائع الاصلى ومركز جميع ما يصل من اوروبا ومن سبير ومن الصين التى جل بضائعها يحمل الى بلاد الروسية شتاء بواسطة العجل وقوافل القلموق التى تصل الى توبلسك مدة الشتاء تجلب منها فى مقابلة بعض امور المعاش الذهب والفضة وتأخذ منها عدة بضائع من انواع النحاس والحديد المختلفة والبخاريون الذين يأتون اليها فى الشتاء يجلبون اليها جلود الاكباش المجعدة واقمشة قطن بخارى واقمشة حرير الهند وربما جلبوا اليها ايضا احجارا نفيسة ومدينة توبلسك هى ايضا مستودع الفراء النفيسة المعدة للملك

نباتات

اعشاب بحرية

اماكن

جزيرة النحاس

تنبيه عام فى شأن سبير

تجارة سبير

واما غيرها من المدائن التى لها اهتمام بتجارة الفرا فهى مدينة توسك وهى شهيرة ايضا لاسيما بالبيع للقلوق ميتفول ومدن كرسنوارسك وينيسسك وتوروخنسك وكذلك ياقوتسك فى شرق سبير والثلاثة الاخيرة شهيرة بالشراء

ومدينة ايرخوتسك تستحق أن تؤثر على غيرها من جميع مدن سبير بالنظر لحركة تجارتها واتساع دائرة بضائعها وذلك أن حسن موقعها يفتح لها ثلاث طرق للتجارة وهى طريق كياشتا وطريق سبير الشرقية وقمجتقا وطريق سبير الغربية والروسية والتجارة فيما عدا تلك المدن تجارة استيداع اى مخزن واما التجارة فيها فهى اخذ وعطاء نافق والمبادلة مع الصين اغلبها فى ايدى تجار ايرخوتسك الذين اغلبهم لهم حوانيت ووكلاء فى كياشتا واسفار البحر الى جزائر البحر المحيط الشرقى والى سواحل امريقة تصدر غالبا عن تجار يشتركون فى ذلك من ايرخوتسك الى تلك السواحل وهذه التجارة الروسية الامريقية تجعل فيما سيأتى دولة الموسقو ذات مخالطة ومعاشرة مع ولاية كندا الانكليزية ومع اهل الاقاليم المجتمعة والتجارة الآن لازمة للروسية التى لا يمكنها بدون امريقة أن تكفى سوق كياشتا من بضاعة الفرا وهى تشترى من هذا السوق الشاى والننكين والحرير وهذه البضائع صارت من الامور التى لا يستغنى عنها عند اهل سبير وذلك لان جميع النساء من نساء الاكابر الى نساء القوزاق يتعاطين شراب الشاى ويلبسن من نسج الصين وتجار الصين دائما يبحثون عن القاقوم وغيره من الفرا والاقمشة والمرأى وغير ذلك من آثار الصنائع الافرنجية وهذه التجارة اكثرها بالمقايضة والمبادلة وبعضها بالمعاملة ثم ان معدل حساب التجارة على الموسقوبية كانت خسارته اربع ملايين فى هذه السنين الاخيرة وهذه الخسارة كانت ظاهرة معروفة لانه كان الاحسن أن يشترى الشاى والننكين من اول تاجر ويجعل ربح مصرف التجارة لعربجية سبير وملاحيهم فان هذا خير من اخذ هذه البضائع من عند الامم ارباب الاسفار البحرية من اوروبا وجلبها منهم وايضا يمكن للروسية أن تستخرج لنفسها جزأ عظيما من تجارة البضائع المستبدلة التى تحتاج اليها فى اقامة التساوى والتكافؤ

ميزانية التجارة

هذا جدول يتضمن بيان اقاليم سيبر واهاليها

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالى	المدن وسكانها
سيبر الغربية (ولاية برمة) اقليم ايكاتيرنبورغ			
١ دائرة ايكاتيرنبورغ	معادن وغابات وبعض حبوب	روسية وألمانية وبرمياك	ايكاتيرنبورغ وعدد اهلها ٦٠٠٠
٢ دلماتوف	غابات ومزارع ومروج	كذلك	كمنسكو استروغ واهلها ١٨٠٠
٣ شدرنسك	مزارع	كذلك	ايرتسكو استروغ واهلها ٢٦٠٠
٤ كامشلوا	كذلك	كذلك	كامشلوا واهلها ١١٠٠
٥ أليبويسك	معادن ومروج	كذلك	نيشنى نويانسك واهلها من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠
٦ ايربيت	مزارع ومروج وبساتين	روسية وبرمياك	ايربيت واهلها ٢٤٠٠ (سوق)
٧ ورشوتوريا	مزارع هينة وغابات ومعادن	روسية وووغول	ورشوتوريا واهلها ٣٠٠٠
(ولاية اورنبورغ) دائرة ترواتزك	مروج وغابات	روسية والبشكير	ترواتزك واهلها ١٥٠٠
(ولاية توبولسك) (اقليم واحد) ١ دائرة اومسك	شعير ودخن وجاودار ونحو ذلك وقنب	برابنتيزية وروسية	اومسكيا واهلها ٢٠٠٠
٢ ايسيم	مروج وقمح وبحيرات مالحة	روسية وقوزاق وتتار	ايسيم واهلها ١٠٠٠
٣ كورغان	مروج وقمح وغابات وثمار	روسية وقوزاق	كورغان واهلها من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠
٤ تارا	شعير وجاودار وحنطة سوداء على الغرب من نهر ايرتيش ومروج على الشرق	روسية على الغرب من ايرتيش وتتار وكذلك روسية وتتار وبرابنتيزية على الغرب	تارا واهلها ٢١٤٠
٥ يالوتوروبسك	جاودار وشعير وجميع انواع الحبوب ومروج	روسية	يالوتوروبسك واهلها ٢٠٧٠
٦ تيومين	جاودار (غير محقق) وشعير وهرطمان ونحو ذلك وقليل من الخضروات وليس بها ثمار اصلا	روسية وتتار	تيومين او اينجا واهلها من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠

اقسام	مزارع ومولدات ذات اهمية	اصناف الاهالي	المدن وسكانها
٧ تورنسك	جاودار وشعير وهرطمان في السهل والجهة الجنوبية	روسية وتتار ووغول	تورنسك واهلها ٤٠٠٠
٨ تبولسك	جاودار وشعير وهرطمان في الطرف الجنوبي	روسية وتتار	تبولسك واهلها ١٢٣٦٠ (١٧٠٠٠)
٩ سورغونت	لا يزرع بها شيء من الحبوب وليس بها مواش اوربية	اوستياك اوبي وروسية	سورغونت واهلها ١٥٠٠
١٠ بيريزوف	ليس بها مواش وانما يوجد فيها حيوانات الرنة والدب والسمور وغير ذلك	اوستياك وسموید وروسية ووغول	بيريزوف واهلها ١٥٠٠
(ولاية تومسك) اولا * اقليم تومسك			
١ دائرة توروخنسك	لا تزرع بها الحنطة ولا يوجد بها مروج وفيها حيوان الرنة وكلاب سيبير وغير ذلك	اوستياك ينسية وتنغوزة وسموید وروسية وقوزاق وايوخاجين	توروخنسك واهلها ١٠٠٠
٢ يانيسك	يكاد أن لا يكون بها مزارع	تنغوزة وروسية	يانيسك واهلها ٦٠٠٠
٣ ناريم	يكاد أن لا يكون بها حبوب وبها يسير من المواشي	اوستياك ناريم او اوستياك سموید وروسية	ناريم واهلها ١٥٨٠
٤ چوليم	جاودار وشعير (غير محققين)	روسية وتتار	چوليم او آچنسك واهلها من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠
٥ تومسك	جاودار وشعير وهرطمان وغير ذلك	روسية وتتار واوستياك سموید وكالچنز	تومسك واهلها ١١٠٠٠
٦ كاينسك	مروج ويصاد بها السمك وتزرع بها الحبوب	برابنتزية وروسيه	كنسك واهلها ٣٠٠٠
ثانيا * اقليم كوليوان			
٧ كراسنوارسك	مروج وجاودار وحنطة وشعير وغير ذلك	روسية وتليووت	كراسنوارسك واهلها ٣٥٠٠
٨ اباكنسك	مروج وزراعة الحنطة بها قليلة	روسية وتليووت وسغانية وكيراغاسية وسويوت وكوييال وبيريوسية وغيرهم	اباكنسك واهلها من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠

اقسام	مزارع ومولدات ذات اهمية	اصناف الاهالى	المدن وسكانها
٩ كوتنسك	مروج وحنطة ومعادن	روسية وتتار وابنزية وغيرهم	كوتنسك واهلها ٣٠٠٠
١٠ كوليوان	حبوب متنوعة ومعادن	روسية وغيرهم من الامم السابقة	كوليوان واهلها من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠
١١ بيسك	معادن فى الجهة الجنوبية وحبوب ومروج	روسية وتتار	بزنول واهلها ٦٠٠٠
١٢ سميبالاتنوا	معادن ومروج وبحيرات مالحة ويصاد بها السمك	روسية وبرابنتيزية	اسميوغورسك اوشيلنجيرغ واهلها من ١٥ الى ١٦٠٠
ب سبير الشرقية (ولاية ايرخوتسك)			
اولا * اقليم ايرخوتسك			
١ دائرة ايرخوتسك	جاودار وحنطة وهرطمان (ترسل الى البلاد الاجنبية)	روسية وبوريتية وتنغوزة	ايرخوتسك واهلها ١١٢٥٠
٢ اودنسك العليا	جاودار وحنطة وهرطمان ودخن وحنطة سوداء وقنب (فى الوديان)	روسية ومغول وبوريتية وكارنسكى اوميتيس	سيلنجنسك واهلها ٢٦٠٠
٣ اودنسك السفلى	جاودار وحنطة وهرطمان	روسية وبوريتية وسويوت	بيشنى * اودنسك (اودنسك السفلى) واهلها ١٥٠٠
٤ كيرانسك	جاودار وحنطة الصيف وشعير وارضها طيبة التربة متغيرة القطر	روسية وتنغوزة	كيرانسك واهلها من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠
ثانيا * اقليم نرچنسك			
٥ دائرة نرچنسك	ارضها جبلية ويزرع بها قليل من الجاودار وحنطة الصيف والشعير ويخرج بها القنب	روسية وبوريتية وتنغوزة	نرچنسك واهلها ٣٠٠٠
٦ دورونسك	ارضها جبلية ومزارعها الوديان	روسية ومغول وغيرهما	دورونسك واهلها من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠
٧ برغوزنسك	قليلة الزراعة وبها غابات وبحيرات مالحة ومرة	روسية وبوريتية شورنسك (شورنسكى باتركى)	برغوزين واهلها من ٢٠٠ الى ٤٠٠
٨ سترتنسك	معادن ومصايد البر والبحر	بوريتية وروسية	نرچنسكوا ساوود واهلها من ٩ الى ١٠٠٠
ثالثا * اقليم ياقوتسك			

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالى	المدن وسكانها
٩ دائرة ياقوتسك	بها صيد البر والبحر وقد اختبرت فيها زراعة الشعير	روسية وياقوتة	ياقوتسك واهلها ٤٠٠٠
١٠ اولكمنسك	يزرع بها الشعير قليلا وبها حيوان الرنة ويخرج بها الميكا الشفافة	ياقوتة وروسية	اولكمنسك واهلها ٣٠٠
١١ اولينسك	يوجد بها حيوان الرنة وصيد البر والبحر	ياقوتة وقوزاق	اولينسك واهلها من ١٠٠ الى ١٥٠
١٢ شيغانسك	بها صيد البر والبحر والعاج المعدنى وغير ذلك	يوكاجيرة وقوزاق	شيغانسك واهلها كالتى قبلها
١٣ ساشيورسك	بها صيد البر والبحر	كذلك	ساشيورسك واهلها كذلك
رابعا اقليم اوخوتسك			
١٤ دائرة اوخوتسك	ليس بها زراعة اصلا ولا ينجح فيها تفاح الارض	تنغوزة وروسية	اوخوتسك
١٥ ايشيجنسك	بها حيوان الرنة وغيره ويخرج بها نعناع الماء وتفاح الارض القصير الساق	كوريالة وقوزاق	ايشيجنسك واهلها ٥٠٠ (سوق للامم الرحالة النزالة)
١٦ اكلانسك	بها حيوان الرنة والدب ويصاد بها السمك	چوكچة وكوريالة وقوزاق	اكلانسك واهلها من ١٠٠ الى ٣٠٠
١٧ نيشنى قمچتقا	ليس بها زراعة اصلا وبها مروج ومن الحيوانات الدب والرنة والكلاب	قوزاق وروسية وقمچتقا	بترو پولوفسك واهلها من ١٢٠ الى ١٥٠

وهذا جدول لبيان المسافات التى بين بعض مدن سبير (بقياس الورستة) وبموجب التقويم المعتمد الذى اقرته الحكومة

	بترجورغ	تبولسك	ارخوتسك	تومسك	ياقوتسك	بيريزوف	توروخنسك	اولنسك	اوخوتسك
تبولسك	٣١١٥								
ارخوتسك	٥٨٢٣	٢٧٠٩							
تومسك	٤٥٤٤	١٤٢٩	١٢٧٩						
ياقوتسك	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٢٤٨٦	٠٠٠٠					
بيريزوف	٠٠٠٠	٠٨٧٩	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠				
توروخنسك	٠٠٠٠	٢٩٧٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	(١٠٧٥)			
اولنسك	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٣٤٨٦	٠٠٠٠	١٠٠٠	(٢٣٦٥)	(١٢٩٠)		
اوخوتسك	٩٢٥٩	٦١٤٤	٣٤٢٦	٤٧١٥	٠٩٥٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	
نيشنى قمچاتسك	١١٦٩٩	٨٥٨٤	٥٨٧٦	٦١٠٠	٣٣٩٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٢٤٤٠

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية لبلاد سبير على حسب الارصاد الفلكية

اسماء الاماكن	اطوال درجات	اطوال دقائق	اطوال ثوان	عروض درجات	عروض دقائق	عروض ثوان	اسماء المنقول عنهم
اباكنسكوا اوستروغ				٥٤	٠٠٠٧		ميسر شميد فى الجزء
							السادس عشر من كتابه
ارغون * نهر ارغون							المسمى الجرانيل الجغرافية
(منبعه بحيرة دولاى)				٠٤٩	٠٠١٧		كذلك
اواتشا	١٥٦	٢٦	٠٣٠	٠٥٢	٠٠٥١	٠٠٤٥	كتاب معرفة الازمان
برنول	٠٨١	٦	٠٤٥	٠٥٣	٠٠٢٠		تقويم بتربورغ الذى طبعته
							اكدمية العلوم
بيريزوف				٠٦٣	٠٠٥٦	٠٠١٤	كذلك
بولشيرزكوا اوستروغ	١٥٤	٣٠		٠٥١	٠٠٥٤	٠٠٣٠	كتاب معرفة الارمان
راس قجتقا	١٥٩	٤٠		٠٥٥	٠٠٥٥	٠	كتاب لابيروز
راس اولوترسكوى	١٦٦	٥٥		٠٥٩	٠٠٤٨		كذلك
راس چوكوتچوا الشمالى	١٨٧	٥٦		٠٦٦	٠٠٠٥	٠٠٣٠	تقويم بتربورغ
راس چوكوتچوا الجنوبى	١٨٤	٠٩		٠٦٤	٠٠١٤	٠٠٣٠	كذلك
راس سنت ناده	١٧٦	٤٥		٠٦٢	٠٠٥٠		كتاب معرفة الازمان
ايكاتيرنبورغ	٥٨	٠٢٠	٥٦	٠٥٦	٠٠٥٠	٠٠٣٨	جدول الارصاد الملحق
							بخارتة الروسيا وهو اثنتا
							عشرة ورقة
كذلك	٥٨	٠٣٠		٠٥٦	٠٠٥٠	٠٠١٥	كتاب معرفة الارمان
ياقوتسك	٠١٢٧	٠٢٢	٠١٥	٠٦٢	٠٠٠١	٠٠٥٠	كذلك
كذلك	٠١٢٧	٠٢٣	٠٤٥	(كذلك)			تقويم بتربورغ
يانسيسك	٠٨٩	٠٣٨	٠٣٠	٠٥٨	٠٠٢٧	٠٠١٧	كذلك
ايرخوتسك	٠١٠١	٠٥١	٠١٨	٠٥٢	٠٠١٦	٠٠٤١	كذلك
كذلك	٠١٠٢	٠١٣	٠٣٠	٠٠٥٢	٠٠١٨	٠٠١٥	كتاب معرفة الازمان
كياشتا				٠٥٠	٠٠٢٠		تقويم بتربورغ
كيرنسكوا اوستروغ	١٠٥	٤٢	٤٥	٠٥٧	٠٠٤٧		كتاب معرفة الارسان
كوليوانسك				٥١	٠٠١٩	٠٠٢٣	تقويم بتربورغ
كويما (السفلى)	١٦٠	٥٨		٦٨	٠٠١٨		كتاب معرفة الازمان
كراسنوارسك	١٠٠	٣٧	٣١	٥٦	٠٠٠١		تقويم بتربورغ
كذلك				٥٦	٠٠٠٩	٠٠٣٠	ميسر شميد فى كتاب الجرائيل
							الجغرافية
ناريم				٥٨	٠٠٥٤		تقويم بتربورغ
نرچنسك				٥١	٠٠٥٦		كذلك

اسماء الاماكن	اطوال درجات	دقائق	ثوان	عروض درجات	دقائق	ثوان	اسماء المنقول عنهم
كذلك				٥١	٥٧		ميسر شميد فى كتاب الجرانيل الجغرافية
اوخوتسك	١٤٠	٥٢	٣٠	٥٩	٢٠	١٠	تقويم بتربورغ
كذلك	١٤٠	٥٣	٣٠	(كذلك)			كتاب معرفة الازمان
اولكمنسك	١١٧	١٤	٣٠	٦٠	٣٤		تقويم بتربورغ
اومسكيا (حصن اومسكيا)				٥٤	٥٨	٥	كذلك
بتروبولوفسكيا (الميناء)	١٧٦	٢٧	٤٥	٥٣	١	٢٠	كذلك
كذلك	١٧٦	٢٨	٤٥	٥٣		١٥	كتاب معرفة الازمان
سيانسكوا اوستروغ				٥٣	١٠		ميسر شميد فى كتاب الجرانيل الجغرافية
سيلنجنسك	١٠٤	١٨	٣٠	٥١	٦	٦	تقويم بتربورغ
كذلك	١٠٤	١٢	١٥	(كذلك)			كتاب الجرانيل الجغرافية فى الجزء السادس عشر
سميبالانسك				٥٠	٢٩	٤٥	تقويم بتربورغ
سمينوغارسكيا (حصن سمينوغارسكيا) اوشلنجنبرغ	٧٩	٤٩	٣٠	٥١	٩	٢٥	خارتة الروسيا
سورغوت				٦١	١٦		تقويم بتربورغ
تبولسك	٦٦	٥		٥٨	١٢	٣٠	كتاب معرفة الازمان
كذلك	٦٥	٤٥	٤٣	٥٨	١١	٤٣	تقويم بتربورغ
كذلك	٦٥	٤٥	٤٤	٥٨	١١	٤٨	خارتة الروسيا
تومسك	٨٢	٣٩	٣٠	٥٦	٣٠		كتاب معرفة الازمان
كذلك	٨٢	٤٩	٣٦	٥٦	٢٩	٣٩	تقويم بتربورغ
اودنسك (السفلى اونشني)	٩٦	٤١	٣٠١	٥٤	٥٥	٤٢	كذلك
اودسكوا أوستروغ				٥٥	١٨		كذلك
ورشتوريا				٥٨	٥٠	١٥	كذلك

وهذا

وهذا جدول يتضمن بيان الزراعة فى بعض اقاليم سبير

دوائر	مقدار ما يزرع من الاراضى حبوبا	غابات	مروج
دلماتوف	٩٧٥٥٢ دستينا (وهو ١١٥٨ هكتارا والهكتار فدانان افرنجيان و٩٢ قصبة افرنجية وبعض زيادة او ٩٤٧٧٨ قدما)	٢٢٤٦٣١ دستينا	
شدرنسك	١١٥١٣٠	٢٤٣٨٥	٢٠٩٧١
كامشلوا	١٢١٦٣٠	من ١٤٦٢٤١ الى ٤٩٨٥١	
اريبت	٥٦٥٩٩	٢٠١٧٧	٢١٧٠٨
ورشتوريا	١٠٦٧٩٩	١٧٨٦٥١	٤٢٣٣١
تورنسك	٢٠٠٠٠	من ٢٠٠ الى ٣٠٠٠٠٠٠	
تيومن	١٥٠٠٠	من ١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠٠	
يالبتورف	٢٠٠٠٠	من ٣٠ الى ٤٠٠٠٠٠	
ايسيم	٣٠٠٠		
تارا	١٢٠٠		
سيسك	١٠٠٠		

(وهذا جدول يتضمن بيان تاريخ الاستكشافات التى حصلت فى سبير)

عدد السنين من الميلاد	
١٢٤٢	قدم شيبان بالتتار الى بلاد سبير واسس بها خانة سبير المسماة تورا
١٢٤٦	جعل كربينى امم السمويد من جملة الامم التى ادخلها المغول تحت الطاعة
١٥٥٨	كانت تجارة تروغانوف ببلاد سبير
١٥٦٣	ادرج ايوان وازيليوتش اسم سبير فى لقب جارات الموسقو
١٥٨٠	تغلب يرماق تيموفيوف على خانة سبير المسماة سبير الغربية بطائفة من القوزاق
١٥٨٤	هاجر الروسية من سبير
١٥٨٧	اسس الروسية تبولسك
١٥٩٨	كان موت كوتشوم خان وبموته انتهت مقاومة التتار
١٦٠٤	كان بناء مدينة تومسك
١٦١٨	كان بناء مدينة يانيسيسك ومدينة كوتزنيسك
١٦٢١	طبع قبريان مطران تبولسك تخطيط سبير ونشره
١٦٣٦	نزلت الدونما الموسقوبية فى نهر لينا وحاذت فى سيرها شطوط البحر المنجمد
١٦٣٩	وصل دمترى كوبيلو الى شواطئ البحر المحيط الشرقى
١٦٤٦	رحل بومشلان من كويما الى انادير واجتاز الرأس المسمى رأس چوكوچى
١٦٤٨	وقعت هذه الرحلة بعينها من دسنيف وهو كسابقه من القوزاق
من ١٦٤٨ الى ١٦٥٨	بنيت مدن ايرخوتسك وياقوتسك ونرجنسك
١٦٩٠	استكشف اهل ياقوتزك قمچتقا
١٦٩٥	كانت اول غزوة من غزوات الموسقو فى قمچتقا
١٧٠٦	كان استكشاف الطرف الجنوبى من قمچتقا
من ١٧١١ الى ١٧٢٤	استكشف جماعة من تجار ياقوتزك جزائر واراضى على شمال مصب كل من نهر لينا ونهر ايانا
من ١٧٢٠ الى ١٧٢٦	ساح دانيال ميسرشميد ببلاد سبير فى الجهة الشمالية الى توروخنسك وفى جهة الشرق الى نرجنسك

عدد السنين من الميلاد	
١٧٢١	ساح استرالنبرغ الى ينسية
١٧٢٧	توجه ويتوس بهرنغ صاعدا فى الجهة الشرقية حتى وصل الى ٦٧ درجة و ١٨ دقيقة من العرض وجاوز رأس جوكوتچى ولم ينظر امريقة اصلا
١٧٣٣	سافر كل من لو يز بهرنغ وهو من جزيرة كروايير ومولير وغملين قاصدين غزوة عظيمة
من ١٧٣٣ الى ١٧٤٣	طاف غملين وهو من علماء النباتات بلاد سبير حتى وصل فى الجهة الشرقية الى ياقوترك وكيرنسك وفى الجهة الشمالية الى توروخنسك وفى الجهة الجنوبية الى نرچنسك وسيانسكو اوستروغ وقد وقعت هذه السياحة بعينها من مويير وفيشير بوظيفة مورخين وباحثين عن الآثار القديمة
١٧٣٨	سافر الضابط اوزن بحرا من نهر اوبى الى نهر ينسية وساح الضابط لاپتيوف برا من ساحل ينسية الى نهر لينا
من ١٧٣٩ الى ١٧٤٠	حصلت مثل هذه الرحلة من لينا الى كوليما
١٧٤٠	وصل استيلير احد علماء الطبيعة الى قمچتقا واقام بها حتى مضت سنة ١٧٤٣
١٧٦٠	بعثت اكدمية العلوم مسائل وقضايا الى سائر الحكام وغيرهم واثبت يلسنير الكورلندى حاكم اوخوتسك بعدة ابحاث متنوعة أن ولاية جوكوتچى بحيجزيرة منفصلة عن امريقة بينهما فيه جزيرتان
١٧٦٤	اطلع سند وهو قبطان سفينة موسقوبية على بوغاز بهرنغ وعلى الساحل القريب من امريقة وسافرت سفينة تجارية من كوليما الى انادير
١٧٦٥	طاف لكسمان احد علماء المعادن والنباتات بلاد سبير حتى وصل الى شمال قمچتقا
من ١٧٦٨ الى ١٧٧٤	كانت رحلة پلاس الكبيرة حيث اقام فى بلاد سبير من سنة ١٧٧٠ الى سنة ١٧٧٣ ثم ارتحل الى دورية واطلع رفيقه سويوه على بلاد اوبدورية
١٧٧١	طاف برية الغرغيز كل من نيقولاس رتشو احد الرؤساء الموسقوبية وبردانس احد علماء ايليريا ومعهما فرقة من العساكر الموسقوبية
من ١٧٧١ الى ١٧٧٢	سافر الى بلاد سبير العالم فلك وهو من المتبحرين فى علم النباتات وفى سنة ١٧٨٥ نشر جورجى اوراق رحلة هذا العالم واشهرها بالطباعة
١٧٧٢	اطلع جورجى رفيق فلك على بحيرة بيكال بجميع اجزائها وعلى جبال دورية واورال وغيرها
١٧٧٥	اطلع كل من ليبشو وايكوانو على ارض كبيرة فى شمال رأس سويتوا
١٧٨٧	سعى بلينغس وهو من سياحى الانكليز فى السياحة من كوليما الى انادير من طريق بوغاز بهرنغ بدون ثمرة
من ١٧٩١ الى ١٧٩٣	وقع مثل هذه السياحة فى بحار قمچتقا
من ١٧٩٠ الى ١٧٩٥	ارتحل سيورس احد علماء النباتات والاجزاجية الى الجبال الجنوبية من سبير
١٨٠٤	كانت غزوات كروزنسترن ولنغسدورف وتيلزيوس وغيرهم

المقالة المكملة للستين
فى تخطيط آسيا * القسم الوسط

ويشتمل على بلاد القلموق والمغول وبخارى الصغرى

عدم الاخبار الصحيحة

لما فرغنا من تخطيط الاطراف الشمالية من آسيا ناسب أن نعقب ذلك بذكر المناطق الوسطى التى لا يعرفها الجغرافيون الا باخبار لا تفيد شيأ صحيحا وحكايات قديمة بعضها فى الغالب يزيد فى الخطأ وبعضها لا يفيد الا امورا مبهمة وذلك لانه من القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر التى شاهد فيها السياحون من الافرنج الاقاليم المسدودة عليهم الآن كثر ما زالت مدن وذهبت اماكن وانقرضت امم وتعطلت اراض عن الزراعة وزرعت صحارى وجميع اسفار قربين وربروقيس ومرقو بول وبغوليطى وهيثون ذكرناها سابقا فى تخطيطات جغرافية الاعصر الوسطى واما هذه الاخبار فلا نذكر منها شيأ الا مع غاية الاحتراز والاحتياط لعدم الاخبار الصحيحة التى يعتمد عليها فى هذا الشان فنقول

اقسام جديدة وقديمة

ان الجزء الاوسط من آسيا الذى نفصل منه التبت يشتمل على خمسة اقسام جغرافية احدها المغولية المسماة ايضا موغولستان الحقيقى وهى فى شمال الصين وجنوب ايرخوتسك والثانى القلموقية المسماة ايضا سنجارية وهى على الغرب من المغول وعلى الجنوب من كوليوان والثالث بخارى الصغرى المسماة بالتركستان الشرقى وهى على شرق بخارى الكبرى وعلى شمال كشمير والرابع تنغوت المسمى ايضا بلاد القلموق الشرقية وفى وسط هذه الاقاليم الاربعة صحراء كوبى مع واحات آمل ولوب وغيرها وهى القسم الخامس ثم انه فى قديم الزمان كان يدخل فى ايسقوثية ما وراء جبل ايموس حاشية من اقليمى سنجارية وبخارى الصغرى * ومجرى الانهر ومنظر بحيرة بلكاتى نور يوجبان ظن كون البحر المحيط الشمالى مجاورا جدا لها وأن اسم دابا المغولى الذى معناه جبل اطلق على رأس تابيس الادعاى الذى اشتهر أنه نهاية آسيا فى الشمال الشرقى جهة بلاد الايغور * وبلاد سريق التى تنسب الى القدماء كانت مشتملة كما اسلفنا على الاجزاء الغربية من التبت وسريناغور وكشمير وتبت الصغرى ولا مانع أنه ايضا كان يدخل فيها حاشية من بخارى الصغرى * وهذا الاسم كان معروفا فى زمن اميان مرقلين فى القرن الرابع من الميلاد ثم محى بالكلية فى القرن الخامس منه نعم ان موسى الخورينى كان يعرف مدينة تسمى سورهيا التى تسمى سرامطروبوليس ولكن كان يسمى الارض التى كانت مدينة سورهيا قاعدتها باسم جنيا اوجانستان فالظاهر أنه كان يجعل هذا الاقليم مشتملا على آسيا الوسطى لا سيما بخارى الصغرى وقد جعل بلاد السنا ابعد شرقا ، وبلاد السنا هى الصين وهل اسم جنيا يذكر أن الصينيين كانوا يتغلبون على هذه الولايات فى الزمن السابق او ان هذا الاسم معناه بلاد الجن او الآلهة كما أن اسم سريق يمكن أن يكون معناه باللسان القديم الهندى بلاد السعادة * لا يعرف ذلك على التحقيق ، والظاهر أن تلك الاراضى مكثت ستة قرون بعد القرن الخامس وهى معروفة باسم خطايا اوخطاى ، ومنها خطاى البيضاء اى الحرة وخطاى السوداء اى الميرية * ولا يعلم هل كان اسم خطاى علما على الصين استعمالية او هو اسم مشتق من كلمة تتاريه معناها جبال صحرائية * وعلى كل فاقليم خطاى شهير فى الجغرافيا من القرن الثالث عشر الى منتصف القرن السابع عشر من الميلاد * ومن المحقق أن هذا الاسم كان يطلق اصالة على شمال الصين الذى مكث مملكة مستقلة مدة طويلة * ولكن الظاهر أنه كان يمتد حكمه على بلاد المغول والتنغوت واما معنى قره خطاى اوخطاى الميرية فانه كان يختلف اتساعا وضيقا باختلاف بخت السلاح اى نصيبه نصرة وغلبة

راس تابيس

سريق

جانستان موسى الخورينى

خطايا اوخطاى

التوسع فى اسم التتار

وثم اسم آخر اشد ابهاما من هذا امكث زمنا طويلا وهو يطلق فى الخرطات الجغرافية على المنطقة الوسطى من آسيا بل على شمال هذا الجزء وشرقه * وهذا الاسم هو تتارستان مع تقسيماته * فكانوا يسمون فى القرن الثالث عشر والرابع عشر باسم تتارستان جميع مملكة المغول على عهد جنكيزخان ومملكة التتار على عهد تيمورلنك وفى مدة تمزق هذه المملكة الاخيرة ظهر شخص من نسل جنكيزخان يسمى ايسان بوغاخان واسس ولاية مستقلة فى بخارى الصغرى وكانت قاعدة هذه المملكة دائرة بين مدينتين وهما بيش بليغ فى الاول وكاشغر فى آخر الامر وفى هذا الزمن بعينه عادت امم القلموق الاربعة المتعاهدة الذين يسميهم الافرنج ايلوثة الى ما كانوا عليه قديما من الحرية والاستقلال وعينوا لانفسهم حاكما يسمى كنتايش أوحان تيدشا . وفى هذا الزمان ايضا ضعفت دولة المغول فى الصين وهربت ذرية جنكيزخان الى قره قوم وهذا المحل كان قاعدة آسيا بتمامها فى زمن جنكيزخان ولم يصر بعد ذلك الامدينة لقبيلة كلكاس ثم لما تفرق بعضهم من بعض صار جميع المغول يدفعون

الخراج للصينيين ثم للمنجو الذين هم حكام الصين عن جديد وقد ابطل الروسية الذين كانوا فى ذلك الزمن ممالك التتار وهى مملكة ازدراهان وقزان وسبير وادخلوا تحت حكمهم فى نواحى بحيرة بيكال عدة قبائل مغولية * وهذه الفتن المختلفة والتغيرات تسبب عنها فى الجغرافيا تميزات عظيمة بين التتار الموسقوبية المشتملة على تتار ازدراهان وقزان وسبير والتتار الصينية المركبة من بلاد المغول والمنجو والتتار المستقلين وهم ولايات بخارى الكبرى وبخارى الصغرى وقلموق ايلوثة والغرغيز والتركمان * وهذه الاقسام الثلاثة التى صار تقسيمها الآن مهجورا حصل فيها سابقا منذ نصف قرن بعض تغير * وذلك أن القلموق الذين تغلبوا سنة ١٦٨٣ من الميلاد على بخارى الصغرى واكسبوا انفسهم الهيبة عند اهل الصين والروسية اصابهم بعد أن مكثوا نصف قرن وهم اصحاب قوة وباس ونخار جميع آفات الحرب المدنى * ولما سلط الصينيون على هؤلاء القلموق امة المغول ادخلوهم تحت الطاعة وهم الى الآن تحت اسرهم * فبلاد التتار الصينيين تمتد الآن على الربوة الوسطى من آسيا ولكن الاليق أن يغير هذا الاسم الذى لا معنى له

ثلاثة اقسام التتار

وقد ذكرنا فيما سبق الجبال التى على ربوة آسيا الوسطى او المحيطة بها وتبعنا جريان الانهر التى تخترق القطر المنجمد * فاذا سأل سائل عن بنية هذه السلسلة وعن تركيبها لم يجد الا ما يوقعه فى الشك والتردد فان هذه الربوة لا يدرى هل هى باقية على تسوية متساوية تقريبا او مرتفعة جهة مكان مركزى او عدة اماكن مركزية وهل يتشر فيها عدة مجامع جبال منخفضة فوق قواعدها كجبال الجديم شالو فى بلاد الغرغيز او أن ارتفاع الثلوج على رؤس التاى الكبرى وجبل بغدو الاكبر يدل على ارتفاع اعظم من ذلك جهة داخل بلاد القلموق من التيت اولا وهل هذه الصحارى مملوءة بسهول رمل اسود كما قيل الى الآن اولا وهل يوجد بها جبال ثانوية اولا وهل طبيعة صوان الجبال التائية والسيانية والدورية يشترك فيها سلاسل الجبال الكبيرة الموجودة بداخل الربوة (اذا كان بها جبال) او أن تلك السلاسل الجبالية عبارة عن متراكم طفل يابس ممزوج بالحصى كالجبال التى بقرب السد الاكبر الصينى الذى ذكره اسطنطون او أن وسط هذه الربوة الآسيانية مشتمل كما هو الظاهر على جبال واسعة من الرمال وعلى ما لا يحصى من جميع عناصر الكرة * واما البراكين فالظاهر أنه ليس بهذه الربوة اصلا جبال نار غير خامدة لكن هل بهذه الارض الواسعة عدة آثار قديمة تدل على تقلبات بركانية كالتقلبات التى رآها المعلم بطرين فى دورية اولا وهل يوجد فى هذا القسم المجاور للهند عظام فيلة وكركندات كما فى سبير اولا

ملحوظات فى شأن ربوة اسيا الوسطى

فهذه مسائل مهمة لا يصعب أن يسأل بغيرها فى هذا المعنى * وجميعها باق الى الآن من غير جواب * ولم ير احد من علماء الاراضى الافرنجيين هذا القسم العظيم الذى هو سدس القارة القديمة * ومن الغرابة أن علماء الاراضى مع كونهم لم يشاهدوا هذا القسم الفوا اصولا وقواعد فى علم الارض

وكذلك معادن هذه الاراضى مجهولة فلا يعرف من معادن هذا القسم العظيم الا بعض اشياء معرفة هينة * وهى معادن القصدير التى تنسب لبلاد المغول الحقيقية وكذلك جبال الذهب (التاى) التى سميت بها سلسلة جبال كبيرة ومما يعرف ايضا اخبار اقدمية فن المعدنجية عند المنجو المجاورين للمعادن العظيمة التى بجبال دورية الروسية وكذلك الآلات والادوات المصطنعة من الذهب والحديد الموجودة فى القبور القديمة وكذلك يعرف رأى بعضهم أن انهر بخارى الصغرى فيها التبر الداخل فى تجارة كاشتا

معادن

وجميع الاخبار متفقة على أن البرد شديد جدا فى وسط آسيا ويقوى ذلك الارتفاع والعرض * فقد وجد الخواجة دولابيروز سواحل بلاد المنجو فى عرض تسع واربعين درجة مغمورة بالثلوج فى شهر اوغسطوس * ورأى رسل شاروخ فى بلاد القلموق ارضا منجمدة فى عمق اصبعين وقت الانقلاب الصيفى * ولكن يوجد فى داخل هذه الربوة عدة اقسام معتدلة بالنسبة لما تقدم

قطر

ونباتات وسط آسيا باشتماله على اقليم التبت مجهولة لنا الا ماندر فانه لم يسافر احد من ارباب المهارة فى العلوم التولدية الى هذه البلاد وانما ارتفاع ارضهم وشدة برد شتائها يوجبان أن يظن انه لا يوجد بهذه الربوة شئ من نباتات الاقاليم التى هى اعظم منها اعتدالا فى آسيا * ولكن القطن والعنب ادخلهما فيها ارباب الزراعة بعد أن لم يكونا * و ذا تبعنا الاخبار المبهمة التى ذكرها السياحون المتقدمون واضفنا الى ذلك ما نعرفه من النباتات التى تخرج على السواحل البحرية من بلاد التتار ظهر لنا أن بعض النباتات التى بهذه الربوة نظير النباتات التى فى شمال ألمانيا المخلوطة ببعض اصناف اشجار سبير

نباتات

و لاد سيا الوسطى واسعة جدا ومشتملة يقينا على اصناف جديدة بل وعلى ازهار خاصة بها غير المعروف فى غيرها

* والافرنج

والافرنج لايعرفون الى الآن النباتات المتولدة بهذا الاقليم (ماعدا النباتات التي تنتسب الى سبير والهند) الانبات
السرخس المسمى پوليبديوم باروميتز وغيرذلك من نباتات يخرج منها الراوند و ينبت بعضها على الجبال و بعضها
في الصحاري

حيوانات

والحيوانات السائبة الهائمة في الصحاري تعرف بروبتها وظهورها في سبير وفي بلاد الصين وجميع الحيوانات
الاهلية النافعة للانسان تكون في هذه الاراضي فالخيول الوحشية المسماة عند القلموق طاقيا وعند المنجو
طاهي موجودة بهذه الجهة وكذلك الكولان وهو حمار الوحش يسكن الصحاري والسهول المفتوحة ولا يتجاوز
هذا الحيوان اصلا الدرجة الثامنة والاربعين من العرض وهو مأكول اللحم عندهم وثم نوع ثالث من هذا الجنس

حيوان بين الحمير والخيل

بين الحمير والخيل يسمى دوجيتاي ويسمى ايضا ميونة وهذا النوع يوجد قطاطيع على شطوط انهر اونون
وارغون وامور وفي صحراء كوبي والى حدود الصين والتبت وهذه الحيوانات قابلة للتأنس وهي ذات
ادراك اكثر من ادراك الحمير المعتادة ولكن لا تفقد تماما طبيعتها الوحشية وكذلك الابل ذات السنامين توجد

بقر الوحش

في صحاري المغول الكثيرة الرمال لا صاحب لها و بقر الوحش يكثر في المراعي الرطبة المفتوحة وقرونه المعوجة ووراءه
وشعره الشبيه بالحرير الذي طوله نحو شبر تحت البطن واذنابه الشبيهة باذناب الخيل كل هذا يدل على انه ليس من نسل
البقر الاهلي * وقد صح بالاختبار في ارخوتسك أن هذا البقر يتأنس وتسهل تربيته ورعيه مثل البقر الاهلي ولكن
لبنه به طعم الشحم * ثم ان الجبال التي يخرج منها عين نهر امور تدل على الحدود الجنوبية التي هي نهاية ما توجد فيه
حيوانات الرنة * ولكن اذا نزلنا من تلك الجبال وهبطنا خمس درجات وجدنا في الدرجة الخامسة والاربعين من
العرض حيوان الايلان وعلى الجبال الوعرة كثير من الحيوانات الهائمة وهي الغنم الوحشية والمعز والظباء

حيوان المسك

وحيوان اليوقطين الذي يوجد نظيره بجبل قوقازة وغيرذلك من انواع الظباء والمعز * وحيوان المسك الذي
يهوى الاراضي الواسعة المنعزلة يسكن بلاد المغول والدورية والاقطار الجبالية التي يسقيها نهر امور
وفي الجنوب يدخل في التبت وفي الصين الى حد تنكين وفي جهة الغرب الى حد جبال كشمير ووجد
الحكيم بلاس هذا الحيوان في الشمال على شطوط نهر ينسية جهة كراسنوارسك ومن الحيوانات الوحشية
بتلك الجهة الدب الرمادي والاسود والثعالب المعتادة وحيوان يسمى الكرسالك وآخر يسمى قراغان وكذلك الفهد

قراقال

الابيض المسمى عند القلموق ابرجيس وحيوان يسمى قراقال وآخر يقال له المانول وكل هذه الحيوانات
تشبه النمور الكبيرة والصغيرة وكذلك النمور الصغيرة كثيرة معروفة بهذه الجهة ولكن ليس من المحقق أن احدا شاهد بها
النمور الحقيقية * وبآسيا الوسطى ايضا حيوانات الفراء التي توجد بسبير كالقاقوم والردوا والسمور وثعالب
المياه التي تكثر على شطوط البحيرات الكثيرة في بلاد القلموق * وجميع اصناف الارانب وكذلك حيوان السنجاب
يوجد ايضا بهذه الجهة * و بذكرنا لهذه الحيوانات التي سردناها واقتصرنا فيها على مجرد تسمية اصول حيوانات آسيا
الوسطى يستدل على أن جميع ما تفرق في الاماكن العديدة يجتمع في ركن من اركان الدنيا * وهذه الربوة كربوة افريقة

طيور

هي نقطة مركز نزل فيما حولها عدة اجناس من الحيوانات وبآسيا الوسطى من الطيور كثير لاسيما طير بف
متولد بها وهو بين السمان والطاووس يقال له عند الصينيين لوان ويسميه علماء التولدات فازيانوس ارغوس
و يقال انه يوجد في الصين وفي سومطرا

ولنشرع الآن في التخطيط الخاص لكل بلد مبتدئين بالارض الاقرب للتبت والتتار المستقلين فنقول

بخارى الصغرى

ان الاقليم المسمى من غير مناسبة بخارى الصغرى يمتد على خرطة دنويل بين الدرجة الرابعة والثلاثين والثالثة
والاربعين من العرض و بين الثالثة والسبعين والحادية والثلاثين من الطول بالنسبة لمدينة باريس ولكن برهن

وضع

المايور رينيل على أن هذا الجزء من خرطات دنويل خطأ اذ لا مانع من أن الحدود الغربية تبعد عن هذه البلاد
الى الدرجة السابعة والستين من الطول وعلى كل حال فمدينة قاشغر اوكاشغر ويركند وختن موضوعة
في الغرب ازيد مما جعلها لها دنويل * ورسالة ميراللواء الصيني التي نقلها عنه غروسيير تدل على أن المسافة
من الصين الى قاشغر ازيد من مائة فرسخ عما هي عليه في خرطة دنويل

وعلى كل فبخارى الشرقية اقليم يسكنه من قديم الزمان امم التتار وهم الذين يحكمونه وهو داخل في امم تركستان
و يلزم أن يكون حده من جهة الشمال والشرق بلاد القلموق ويتصل من جهة الجنوب بالتبت الصغيرة وبالاجزاء
المجهولة من بلاد التبت الكبيرة و ينفصل جهة الغرب من بخارى الكبرى بجبال بلوربل وبالربوة المرتفعة المسماة
سهل پامر حيث يظهر أن نهر السند يخرج هنالك

طبيعة الارض الانهر

ونهر يركند يجتاز هذه الارض من الغرب الى الشرق ويصب فى بحيرة لوب التى يظهر أنها تتلقى كثيرا من الانهر الصغيرة التى تصب فيها * ويظهر من حال الارض انها سهل فى وسط البلاد وعلى كل فليس فى داخل البلاد شئ من سلاسل الجبال * ولكن فى الشمال والغرب تجد الارض محصورة بجبال اوربوات * وقال بعضهم ان بهذه الجبال او الربوات عدة معادن ذهب او فضة * ولكن لا يعرف صناعة استخراجها احد من اهل البلاد المتأصلين بها ولا من القلموق وانما يقتصرون على جمع تبر هذه المعادن الذى تجذبه السيول بكثرة عند ذوبان الثلوج فيجمعه هؤلاء الناس ليذهبوا به الى الصين والى مدينة تيولسك وهى دار ولاية سبير * وفى هذه الجبال ايضا احجار نفيسة وجواهر

اقليم قاشغر

وكلام مرقبول يقتضى أن اقليم قاشغر اتساعه مسيرة خمسة ايام وهو كثير المدن والقصور والبساتين والاراضى العظيمة التى يخرج بها العنب الجيد الذى يتخذ منه النبيذ وبها ايضا كثير من الفواكه الاخرى ويزرع فيها القطن والكتان والقنب * ثم ان سرعسكر الصين الذى استولى على اقليم قاشغر سنة ١٧٥٩ من الميلاد كتب لبعض احبابه ان الارض نحيفة واهل هذا الاقليم بخلاء يعيشون معيشة القناعة وفيه نحو ٦٠٠٠٠ عائلة وسبع عشرة مدينة والف وستمائة قرية وضيعة * ولكن الظاهر أنه اراد أن يتكلم على جميع بخارى التى سميت باسم قاشغر ومدينة قاشغر كانت سابقا دار اقامة خانات بخارى الشرقية واهلها على ما يقتضيه كلام سرعسكر الصين الفان وخمسمائة عائلة وهى مبنية بالطوب

اقليم يركند

واقليم يركند واقع فى شرقى قاشغر وهو خصب كثير القطن وبه جميع ما يلزم للمعيشة * قال مرقبول ان اهله ارباب مهارة فى الفنون واغلبهم سمان السيقان ولهم غدد عظيمة * ومنشأ ذلك الملح الذى يشربونها فان بها خاصية هذا الامر * ومدينة يركند واقعة على نهر يركند * وهى الآن مشهورة بأنها قاعدة بلاد بخارى وذهب الخواجة بتيس دلاكرواش فى تعليقاته على كتاب شرف الدين الى أن يركند اسم مرادف لقاشغر فمدلوله مدينة قاشغر وليس اسم مدينة اخرى وهو مردود باخبار مرقبول وسرعسكر الصين

اقليم خوتن

واقليم خوتن اوخوتان واقع على الشرق الجنوبى الشرقى مما قبله وهو مسيرة ثمانى مراحل كما ذكره مرقبول ويزرع فيه القطن والكتان والقنب والحنطة والعنب وغيرها من النباتات واهله ارباب مهارة فى الصنائع وشجاعة فى الحروب

اقليم كاريا

واما اقليم كاريا اوكريا الواقع على شرق خوتن فليس هو ما سماه مرقبول باسم كريان ولا كاريت اوقاريط وسنذكر كلا منهما عند الكلام على جنوب التبت ومملكة برمان ويظهر أن هذا الاقليم من بخارى الصغرى واما الاقليمان الآتيان فانتسابهما الى بخارى الصغرى ليس فى الظهور كاقليم كاريا بل هما دونه فى ذلك

اقليم بوام

قال مرقبول وفى الجنوب الشرقى من خوتن اقليم بوام وهو كثير المدن والقلاع وبمدينته التى هى قاعدته نهر صغير يخترقها وبهذا النهر احجار نفيسة كالخلدونيا واليشب ويخرج بهذا الاقليم كثير من الحرير انتهى واما دنويل وفرسطر فانهما جعلا هذه الارض واحات بجوار بخارى الصغرى ولما كان لفظ بوا كلمة من لغة التبت ومعناها اقليم او عمالة خطر لنا أنه لا مانع أن يكون اقليم بوام هو الجزء الشمالى من التبت

مدينة قيرشيان

قال مرقبول وجميع هذه الاقاليم جزء من تركستان الكبرى واول مدينة تسمى قيرشيان اوقيارطيام واذا سرنا من قيرشيان مدة خمسة ايام فى داخل ارض كثيرة الرمال والمياه المالحة وقليلة المياه العذبة وصلنا الى مدخل الصحراء الكبرى المشتملة على مدينة يقال لها يوب ويقال لها ايضا لوب واقعة بين الشمال الشرقى والشرق من بوام انتهى ولا يفهم من عبارته أن قيرشيان اقليم منعزل على حدته على شرق بوام كما ظنه المترجمون لكلامه فلأى شئ يسير الانسان اولا طريقا طويلة معوجة من الجنوب الشرقى ثم يصعد الى الشمال ليسير ثانيا الى الجنوب الشرقى كما فهموه من كلام مرقبول وزعموا أنه سار تلك الطريق بنفسه فهل نص على أنه ذهب بنفسه الى اقليم بوام كلا بل الواقع انه ليس فى كلامه ما يفيد ذلك وايضا قوله اول مدينة يمكن أن يكون معناه قاعدة تركستان وهى يركند التى سميت فيما سبق قرخان (لعله قيرشيان) فلعلها هى مراد مرقبول ولو فرضنا صحة ما قلناه لزم تقريب مدينة لوب وتقصير مجرى نهر يركند وتطويل الصحراء

ذكر نبذة لمعيشة فى غربت ابي سين

وتركستان الشرقية اقليم كان سابقا كثير الثروة والطراقة وقد افسده التتار فى زمن مرقبول وكان عرضة لاغاراتهم وافسادهم ويوجد به الخلدونيا واليشب وكان لاهله مواش عظيمة وكان كل انسان منهم يخفى بعد الحصاد غلاله

تحت الرمل فى مطمورة لايعرفها غيره لان الرمل المتموج الذى بالصحارى يغطى المكان فى اقرب وقت ولما كانوا دائما يخافون من السلب والنهب كانوا لايحملون عندهم الا ما يلزم لمؤونتهم شهرا واحدا والظاهر أن هذا التخطيط يليق باهل هذه البلاد الآن

اصل الاهالى

ولايعلم لام بخارى الصغرى اصل ولا آداب واخلاق الا القليل من ذلك وهم وان كانوا متولدين مع بعض القلموق الا انهم بالاصالة بخاريون متأصلون لونهم السمرة وهذا لا يمنع من كونهم ارباب جمال وحسن تركيب وتقويم فى البنية ولغتهم تسمى الرغشيان وهى عين اللغة التركية الا أن فيها كثيرا من الكلمات الفارسية

قال بنطنق ان التتار يسمون اولاد البلد فى تركستان الشرقية وبخارى الكبرى باسم تاجيق ومعناه يدفعون الميرى ولايحملون السلاح ابدا اى لايشرعون فى الحروب ولهذا كانوا محتقرين عند التتار الذين يأخذون من كل مدينة اوقرية من تلك البلاد فردة مرتبة واهل تركستان الشرقية يتميزون عمن عداهم من الامم الرحالة النزالة ببلاد المشرق بعدم انقسامهم الى قبائل ثم ان خصوص النصارى الذين سافروا الى بلاد الصين فرقوا بين البخارية والتتار ولكن هل المراد هنا بالتتار القلموق الذين تغلبوا على البلاد و بالبخاريين التتار الحقيقيون وهم الاتراك محل نظر

ملابس

وملابس الرجال لا تصل الى مادون بطن الساق الغليظ وهى محصورة بحزام كملابس اهالى له واما النساء فيلبسن ملابس شبيهة بذلك الا انهن يتحلين بالقرط فى آذانهن واقراطهن طويلة شبيهة باقراط نساء التبت وشعور رؤسهن منقسمة الى ضفائر طويلة متساوية مزينة باشرطة الحرير ويخضبن اظافر ايديهن بالحناء وكل من الذكور والاناث يلبس سراويل ونعالا من الجلود الموسقوبية وستر رؤسهم كالاتراك و بيوتهم مبنية بالآجر ومزينة ببعض امتعة مصطنعة فى بلاد الصين وشرابهم المعتاد هو الشاى فيستعملونه مع اللبن والسمن والملح على منوال اهل آسيا الوسطى وتباع النساء عندهم وتشرى ولذلك كانت البنات ذوات الجمال رأس مال غنى والديها

قلموق

والقلموق يمكن أن يعتبر أنهم المغول الغربيون وجبل بغدو يفرق بين قبائلهم وقد دخلوا منذ سنة ١٧٥٩ من الميلاد تحت طاعة سلطان الصين واعترفوا له بالسيادة عليهم ثم ان خان تيشاكان يمكنه أن يجهز ٢٠٠٠٠ مقاتل من بخارى الصغرى بأخذه من كل عشر عائلات شخصا واحدا فهذا يلزم أن يكون عدد العائلات مائتى الف عائلة وهذا القدر ينتج أن اهل بخارى الصغرى نحو مليون ويظهر أن القلموق بقطع النظر عن ايلوثت كوكونور كانوا نحو مليون

ارض القلموق

وارضهم تتصل بالصين شرقا وبالتتار غربا وهى من جهة الشمال على حافة سبير وتختلط حدودها فى الجنوب بحدود التبت وسطحها قدر سطح فرانسا وايطاليا واسبانيا مجتمعة وعروضها كعروض تلك الاقاليم الافرنجية ولكن شتان بين قطرها وتولداتها وآدابها وقطار تلك البلاد الافرنجية وتولداتها وآدابها

واقاليم تلك البلاد الواسعة التى هى فى الحقيقة جديرة بأن تسمى صحارى وواحات لانعرفها الا على وجه هين ناقص

كنكاراغيا

ثم ان القسم الذى سماه دنويل كنكاراغيا هو الاقليم المرتفع الذى ينبع منه نهر ارتيش والظاهر أن قطر هذا الاقليم هو ابرد جميع اقطار القارة القديمة واصعبها فتجد بجبل بغدو وبغيره من الجبال المجاورة ثلوجا مستمرة

انساهان تلا

والسهل المسمى انساهان تلا اى السهل الابيض هو من اعلى سهول الدنيا ويمكن أن يقال نظير ذلك فيما حوالى بحيرة

رنغى تلاس

زيزان والظاهر أنه ينبغى البحث فى جبل بغدو عن اقليم رنغى تلاس الذى ذكره هرقيول قائلا انه اقليم يخرج منه البولاد وحجر الاسبسطة وهو حجر الفتيلة وانه على ست عشرة مرحلة من اقليم آمل

سنجارية
بحيرة بلكاش

والاقليم الذى يسمى باسم سنجارية حقيقة هو حوضة اوربوة مقعرة مجوفة رهو محدود شمالا بجبال اولوغ و يقال اولوطاغ وجنوبا بسلسلة جبال الالا وفيه بحيرات متتابعة منها بحيرة بلكاش وهى آخر جميع البحيرات واكبرها ويقال انه يصعب الطواف حول هذه البحيرة فى مسافة خمسة عشر يوما وهى تقريبا درجتان ونصف من الطول وازيد من درجة من العرض وثم نهر يقال له نهر ايلى يزيد بكثير من التيارات ويصب فى هذه البحيرة الراكدة

معسكر هرقاش

وعلى شطوط نهر ايلى كثير من المراعى العظيمة التى رغبت فيها قبيلة سنجارية التى هى من قبائل القلموق وحملتهم على المهاجرة اليها وبنوا فيها قاعدة ولايتهم فكان خانهم تيداشا مقيما فى محل يسمى هرقاش وكان فى هذا المحل كثير من الخيل والغنم السمينة الاذناب وكانت بها بهائمهم ذوات القرون وابلهم قليلة العدد قال بعض مؤرخى المشارقة ان تيمورلنك وقف على جبل اولوغا لينظر السهل العظيم الذى يمتد فى سفح هذا الجبل ويرى حسن منظره الذى

بلاد ارغانوم

هو اشبه ببحر من الخضرة والظاهر أن هذا السهل العظيم هو الذى سماه ربروقيس السياح باسم ارغانوم وسماه

ابو الغازى باسم ابرغون كند

امة الويغور وبلادهم

والجبال التى فى جنوب سنجارية تشتمل كما قاله دنويل على عمارات امة الويغور المسماة ايضا امة الايغور وهى سلف ام الجار والطاش تحيك ويمكن اجتياز هذه الجبال من غير مشقة الا فى حلق شنجز فحينئذ لا مانع أن هذه الجبال فى الحقيقة ليست الا ربوات متواصلة اعلى من الاراضى التى هى لها بمنزلة القاعدة وقد كان اقليم الويغور فى سابق الزمان عامرا بالزراعة والتجارة ويرويه كثير من الانهر الصغيرة وكان تمدن هذه الامة قبل الميلاد بقرنين وكانوا يتكلمون باللغة التركية ويكتبون من اعلى الى اسفل كأهل الشام فى قديم الزمان وحروفهم الهجائية التى الف فيها

جيشا

الخواجة لنكليز رسالة يظهر انها مأخوذة من لغة الدواناغارى وهى كتابة هندية وكانت بلادهم ايضا تسمى جيشا والظاهر انها امة كانت تسكن هذه الارض سابقا ولعلهم من نسل الامة القديمة المسماة مهاجيطة وهذه تشتمل ايضا

تورفان

على اقليم صغير يسمى اقليم تورفان وهو واقع على مهبط ربوة ويغور فى شمال بحيرة لوب ومدينة تورفان مدينة عظيمة يردها التجار الذين يذهبون من بلاد العجم الى بلاد الصين وهى المعروفة بطرسوس (ترفو) التى تكلم عليها الملك هيثون وجعلها قاعدة مملكة الويغور العامرة

وعبارة هيثون ان دولة طرسوس ذات ثلاثة اقاليم ولاتها يلقبون ملوكا ويقال لاهل البلاد واغور وهم لا يشربون الخمر ولا يأكلون ما فيه روح ويزرعون الحنطة بكثرة ولا وجود للعنب عندهم ومدنهم ظريفة كثيرة الهياكل المعدة لعبادة الاصنام ويشتغلون بالفنون والعلوم ولا يصلحون للحروب ولهم طريقة مخصوصة بهم فى الكتابة ولكن قد تداول كتابتهم من جاورهم من القبائل انتهت

مدينة لوب

ومدينة لوب التى ذكرها مرقوبول واقعة على نهر يركند فيه مصبه فى بحيرة لوب بشئ يسير واذا اردت أن تخرج من بخارى الصغرى وتسافر الى الصين نزلت بهذه المدينة لتجهيز ما يلزم فى عبور الصحراء العظيمة التى هناك

اقليم آمل

وثم طريق اخرى توصل الى الصين بواسطة آمى المسماة آمل ويقال لها ايضا خامول وهو اقليم صغير تكتنفه الصحارى من كل الجهات قال بعض القسيسين ان قطره فى الصيف غير شديد الحرارة وقل أن يخرج بارضه القاوون والعنب فاذا خرج بها القاوون كان جيد الصفة ويدخر مدة الشتاء ليتخذ فى اطعمة مائدة سلطان الصين وبعض المؤلفين جعل فى هذا الاقليم مقاطع احجار العقيق والالماس واهله شداد طوال يحسنون المسكن والملبس واغلبهم اسلام انتهى وفى زمن مرقوبول كانت هذه الامة وثنية فلذلك قال فى تخطيطه لهم انهم متوحشون ولكنهم طيبون ارباب

عادة غريبة

بشاشة وثروة بما يخرج عندهم من محصولات اراضيهم ويشتغلون بالغناء والرقص انتهى فاذا نزل بارضهم غريب واراد أن ينزل ببيت احد منهم خيروه فاذا اختار بيت انسان اسكنه مع حريمه وبناته واقاربه وبلغوه جميع ما يشتهيه وترك الرجل بيته له وبحث فى المدينة عن جميع ما يعين هذا الضيف على السرور ولا يدخل الدار ما دام هذا الضيف فيها ومدة هذا الزمن يحظى الضيف بجميع حقوقه وقد اراد منغوخان ابطال هذه العادة الغريبة فكان ذلك اضيع من دمع على طلل فان اهل هذا الاقليم يرون أن ذلك من اصول العبادات ويعتقدون أنهم اذا هجروا هذه العادة كانت مزارعهم عرضة لأن تصاب بالجدب والقحط

تنغوت

واذا اجبنا السهول الرملية المحية المقومة للصحراء الكبيرة المسماة صحراء كوبى وصلنا الى اقليم كانت فى القرن الثانى عشر من الميلاد هى دولة التنغوت القوية والظاهر أنها كانت تمتد جهة الشمال الغربى من الصين على ارض قبائل السيفان بل وعلى التبت جميعها او بعضها وقد بسط الكلام على ذلك مرقوبول والظاهر أن المدينة

خنجو

التى سماها كنبيو وجعلها قاعدة بلاد التنغوت هى مدينة الصينيين المسماة خانجو وأن سانجو ليست

ارجى

الا مدينة سيتان وعلى خمس مراحل من جنوب كنبيو جعل مرقوبول بلاد الارجية ويقال الارجيول وفيها حيوان لمسك والبقر المزعج الصوت وسمان الصين والمتأخرون يسمون بلاد التنغوت باسم كوكونور ويقال ايضا هوهونور يعنى البحيرة الزرقاء وهذه البحيرة تسمى عند جغرافيى الصينيين رنشاى ومدينة

ستشو

ستشو هى مدينة عظيمة واقعة على نهر صغير يصب فى نهر بولنقير الذى يجرى فى الصحراء ويصب فى بحيرة تسمى هرنور

سوقرر

وحدود التنغوت والتبت لم تزل مجهولة الى الآن ولم يقف احد على حقيقة امرها فاقليم سوقرر الذى ذكره مرقوبول وقال انه ينبت به الراوند يمكن أن يكون هو الاقليم المرسوم فى خرطة التبت المسمى باسم سوق وهذه الخرطة هى التى رسمها القسيسون المبعوثون لتلك النواحى وعلى الاقرب من ذلك يمتد اقليم سرى وقد دل بعض التجار

مدينة سلين او سرين

البخاريين الذين حلوا الراوند الى كياكتا للخواجة بلاس ان مدينة تسمى سلين (ولعلها مدينة سرين) واقعة فى الجنوب الغربى من بحيرة هوهونور على نهر يصب فى نهر هونغو وكل الاقليم جبال عالية قلة ينبت فيها الراوند فى شقوق الصخور فى محال رطبة وتستخرج عروق الارض فى شهرى ابريل ومايه وتنظف وتعلق فى الاشجار انتهى

اقليم سيفان

والاقليم الذى تسكنه امة السيفان التى تتكلم بلغة التبت واقع فى مجمع الصين والتنغوت والتبت ويسمى باسم توسان وكان سابقا مملكة عظيمة ولكن تناقص عظمه فى القرن التاسع من الميلاد والسيفان السود هم النازلون على نهر هونغو المسمى ايضا هرامورين (ومعناه النهر الاسود) وهم اقل تمدنا من السيفان الصفر النازلين على شطوط نهر يتسكيانغ يعنى النهر الاصفر وخيل هذه البلاد صغيرة ولكنها معتبرة لقوتها وخفتها وفى انهرها قطع الذهب

القلموق وبنية ابدانهم

والقلموق الذين تحت سيادة الصين اى فى التزام الصين هم الحاكمون على جميع تلك الاقاليم التى خططناها او على اكثرها وليس بينهم وبين المغول كبير اختلاف وهم الآن على ما وصف به بعض السياحين امة الهون فاقبل فى الهون فى قديم الزمان من الاوصاف يوجد الآن فى القلموق وذلك انهم فى الغالب ارباب قامات متوسطة ويكثر فيهم وجود القصار ويقل وجود الطوال ولما كانوا من صغرهم يحملون وانفسهم كانت ابدانهم حسنة الخلقة واعضاؤهم خالصة غير مرتبطة والخواص التى تمتاز بها وجوه القلموق هى أن عين الواحد منهم زاويتها مائلة الوضع الى جهة الانف وحواجبهم سود قليلة الشعر وقوس الحاجب نازل منخفض وهم فطس الانوف وانوفهم مبطوطة جهة الجبهة وعظام خدودهم بارزة ورؤسهم ووجوههم مستديرة جدا وعادة ادخال رؤسهم فى القلانس وغمسها فيها بالكلية يظهر أن ذلك اعانهم على فصل آذانهم من رؤسهم زيادة عن العادة ولكن عظم آذانهم زيادة على العادة بكثير هو ايضا مما اختصت به بنيتهم دون غيرهم وهم يتعهدون اسنانهم وتمكث طريفه بيضاء الى حد الهرم وبشرتهم دائما بيضاء يعتريها صفرة مائلة الى السمرة بسبب حر الشمس فى الصيف ودخان الخصوص فى الشتاء وليسوا جميعا مستوين فى هذا اللون بل يختلف باختلاف الناس وبالذكورة والانوثة ومن نساء القلموق كثير من ذوات الوجوه الحسنة ويزيد فى بياضهن سواد شعورهن وحواس الشم والسمع والبصر فيهم لا يمكن أن يتصور كيفيتها الافرنج لحدتها فانهم يشمون دخان المعسكر ويسمعون مشى الخيل الخفيف ويميزون فى سهولهم الواسعة ادق الاشياء البعيدة عن ابصارهم على وجه عجيب جدا

قبائل القلموق

والقلموق يسمون انفسهم فى لغتهم باسم دربين اورويط يعنى الاخوة الاربعة المتعاهدة وهذه الامم الاربعة المتعاهدة احداها امة الشوشوته المسماة عند الصينيين سيفان وعددها خمسون الف عائلة وهى تسكن نواحى بحيرة هوهونور والثانية امة السنجارية وهى فى اقليم سنجار وكانوا سابقا ارباب شوكة ثم آل امرهم الآن أن صاروا من عشرين الف عائلة الى ثلاثين الفا والثالثة امة الترغوتة وكانت قد سكنت اولا فى الروسيا بسهل ازدراهان وعدتهم من ستين الف شخص الى سبعين الفا ثم رجعوا فى سنة ١٧٧٠ من الميلاد ودخلوا فى بلاد القلموق والرابعة امة الدربيتة الذين اجتمع بعضهم مع الترغوتة وبعضهم الآخر مع السنجارية والظاهر أن المدن يسكنها غير هذه القبائل الرحالة النزالة من البخاريين والصينيين بل ومن القلموق اهل الحضر والاقامة

والقلموق يحبون المعاشرة والمخالطة والولائم والضيافات ويكرهون الاكل وحدهم من غير ضيوف فاعظم مسراتهم أن يقسموا مع احبابهم جميع ما عندهم من المآكل

ملابسهم

وملابس رجالهم شبيهة بملابس اهالى [illegible] فى الاكمام فانها ضيقة ومضمومة مما يحاذى طرف الساعد من جهة الكف ورعاع الناس يلبسون جلود الغنم ولباداتها وفى الصيف يستر البنات من الرقبة الى اوساطهن ورجالهم يحلقون رؤسهم الا بعض غدائر من الشعر بخلاف النساء فلا يحلقن ارائة شعرهن الذى هو لهن كالحلية فتبقى شعورهن كثيفة حتى يبلغن اثنتى عشرة سنة وهو زمن بلوغهن فيجمعنها حينئذ ضفائر ويجعلنها حول رؤسهن فاذا تزوجن جعلنها فرعين وسدلنهما على اكتافهن

مساكنهم

ومساكن القلموق خيام او خصوص او انصاف خصوص متخذة من شجر الخيزران مسقوفة باللبد صالحة لتحمل الامطار والثلوج

اشغالهم

ثم ان القلموق يؤثرون حرية عيشتهم التنقلية وخصوصهم القابلة لأن تحمل معهم حيثما ساروا على جميع راحات المدن المنتظمة والعيشة الحضرية ويرون أن الصيد وتربية المواشى وعمل الخيام من نسب ما يليق بالحر المولود فى الصحارى واما النساء فيشتغلن بامور البيوت وعليهن نصب الخيام ورفعها ونطقيم الخيول وسياستها اوقات البطالة

نادرة بالنسبة للنساء كما انها كثيرة بالنسبة للرجال وقد حاول الصينيون تعويد القلموق على الزراعة ولا زالوا يحاولون ذلك والظاهر انهم يتوصلون الى تعليمهم ذلك على وجه الصعوبة وقطرهم القحل وارضهم اليابسة جعلا هذه الاقاليم خالية عن اكثر الزراعات الخلائية مما يجعلان هذه الزراعات غير محققة النفع

لبن الخيل

ولبن الحجرات مقبول عند اغلب امم آسيا يؤثرونه على لبن البقر وهذا اللبن في حال حلبه يكون اشد سيالية من لبن البقر ولكن له طعم هين غير لذيذ يؤذي ذوق الافرنج فاذا ارادوا تحميضه في آنية صالحة لذلك استحال طعمه الى الحموضة وصار كالنبيذ مقبول الطعم وقل أن يخرج منه قطرات من الزبد وللقلموق صناعة في اتخاذه شرابا مسكرا يسمى ارقا وان كان ضعيف الاسكار وقال بعضهم انه يسمى كوميس وليس الامر كذلك فان كوميس كلمة تتارية لاقلموقية ومعناها لبن الخيل

واغلب قوتهم اللبن واللحم السمين لاسيما الصيد وذلك لانهم لا يذبحون الحيوانات الاهلية

صناعة

وهم يصطنعون اللبادات التي يغطون بها خيامهم ونساؤهم يجهزن الجلود للصناعة مع غاية المهارة ويصطنعن منها كثيرا من الادوات ويصطنع الرجال بانفسهم بعض اسلحتهم ولغة القلموق هي كلغة المغول مخالفة بالكلية للسان التتار بالنسبة

لسان

للالفاظ والقواعد ويعرف منها اسماء اعلام هونية وكثرة الالفاظ ذات المقطع الواحد تجعل لها شبها بلغة التبت والصين ولما كانت خالية عن حروف التعريف وعن اغلب الضمائر وحروف الربط والعطف وعن تقييد الافعال بالظروف كان يظهر انها اشد الالسن احتياجا لغيرها وان كانت من اقدمها وجودا ويقال انها ذات ترنم يطرب عند سماعها ولها آداب واشعار

شعر

ثم ان حكايات هذه الامم المشتملة على الشكوى والحزن تجد الفاظها محزنة مهولة كطبيعة ارض اهلها فالصخور والسيول والحوادث السماوية تذكر فيها بجانب السير والمعجزات والكرامات التي تشبه ما يقوله الهنود وتجد ايضا في كتبهم نوادر صادقة القضايا تعجب جميع الامم * مثلا حكاية القبيلة الهاربة مبدوءة بهذه العبارة وهي قد كدرت مياه البحيرة الواسعة بعد نزح غضبها وزوال هيجانها فهكذا حالة تعكرات الدنيا وذهولها الساكن انتهى وهؤلاء القبائل الرحالة النزالة عندهم اشعار كل قصيدة منها نحو عشرين قطعة اودورا فما فوق وهم يحفظونها وتتواتر عندهم بالنقل فينشدها بينهم منشدوهم فيصغون اليها ويتأملونها ويتعجبون منها غاية العجب وزيادة على ما عندهم من الكتابة المغولية المؤلفة من اربعة واربعين حرفا يجمعونها كالعمود لهم ايضا كتابة هندية تسمى الاونكالك وهي مستعملة في الصيغ السحرية والفاظ الشعوذة الخارقة للعادة

قوانين سياسية

ثم ان الافرنج لكبرهم وجهلهم يرون أن امم آسيا الاحرار متوحشون مجردون عن الآداب والاحكام وفي الحقيقة خانات آسيا يظهر انها مثل ممالك الافرنج القديمة الالتزامية في الاعصر الوسطى وقد قسموا القلموق الى ثلاثة اقسام مختلفة وهم اشراف البلاد ويسمون العظام البيضاء وآحاد الناس وهم الرعايا الارقاء المستعبدون ويسمون العظام السوداء وامناء الدين وهم من نسل هذين القسمين ورجالهم احرار ونساء الاشراف يسمين باللحم الابيض ونساء الرعايا يسمين باللحم الاسود فالنسب يعرف بالعظم خاصة وشوكة خان تيدسا اي الامير الرئيس هي عدد رعاياه وعظمهم دون اتساع اراضيه فان اتساع الاراضي في تلك الجهة غير معتبر ورعية كل رئيس يقال لها اولوس وهي منقسمة الى اقسام يقال لكل منها ايماق وكل ايماق مؤلف من مائة وخمسين عائلة الى ثلثمائة وكل ايماق ايضا له رئيس يسمى سيسان ومعناه شريف فاذا كان ثم خان عظيم كان قائدا لجميع الامراء دون غيره في الامور المهمة العامة المصلحة والميري الذي يؤخذ منهم انما هو عشر المواشي وغيرها من الاملاك ولكن في وقت الحصار يحضر جميع الرعايا راكبين

سلاح

خيولهم ويتمثلون بين يدي الامير فيطرد منهم من لاقدرة له على حمل مشاق الحرب وسلاحهم القسي والرماح والسيوف وقد يتسلحون بالاسلحة النارية والمقاتلون من الاغنياء يلبسون درعا من الزرد بحلقات متعشقة في بعضها كالزرد الذي كان يلبس سابقا في اوروبا الى القرن الخامس عشر من الميلاد

دين

ودين القلموق وجميع الامم المغولية والمنجورية والتبتية هو دين دلاي لاما ورئيس ديانتهم يختارونه من امة السيفان الصفر التي ذكر الخواجة بلاس انها قبيلة من قبائل القلموق وسنتكلم في تخطيط بلاد التبت على هذا المذهب الداني وانما اقول هنا ان القلموق تحت طاعة مشايخ دينهم فيتبعونهم وتنفذ عليهم كلمتهم اكثر من مشايخ اديان من عداهم من اهل الارض فهم الذين يرشدونهم الى مصالحهم فلا يقدمون على شئ بدون مشورة كهنتهم الذين يزعمون انهم يسألون آلهتهم ويأخذون كثيرا من اموال هؤلاء الرعايا الذين هم اشبه بالبهائم ويعيشون ارغد عيش في الراحة والسعادة وهم مكلفون بعدم الزواج مالم يسافروا والاساغ لهم أن يواقعوا صاحبة المنزل المضيفة لهم وسفرهم غالب كثير

مغول — صحراء كوبى

واذا جاوزنا جبل بغدو دخلنا ارض المغول الحقيقيين وفى وسط هذه البلاد ربوة باردة عقيمة وهنا تنتهى صحراء شامو المسماة صحراء كوبى وهذه الصحراء طولها خمسمائة فرسخ او اكثر وتمتد شعوبها الغربية والجنوبية جهة بلاد التبت وبخارى الصغرى وارض آمل وارض لوب وغيرها من الواحات الخصبة تتخلل هذه الصحراء وتقطع فى كل مسافة صورتها الهائلة وبها مروج على طول الانهر تجد بها كثيرا من اقاطيع الخيول المغولية تهيم وحدها واليها يأوى متوحشو الجشطائية فينقضون عليها بالسرعة ليأخذوا شيأ من اعشابها

بلاد شرامغول

والاقاليم المجاورة للسد الاكبر الصينى تشبه من حيث قطرها بلاد ألمانيا ويظهر أن الاغلب فى ارضها الطين الطفلى وقد رأى الانكليز فى مدينة زيهول على حدود المغول فى عرض احدى واربعين درجة وثمان وخمسين دقيقة جهة الشمال اشجار الجوز الرجراجى والدردار والجوز والبندق ولكن تجد على الجبال اشجار الصنوبر صغيرة واشجار البلوط كبيرة معجزة والمغول الصفر المسمون شرامغول يهيمون فى تلك البلاد بخلاف الكلكا المسمين بالمغول السود فانهم

بلاد كالكا مغول

يسكنون الاقاليم التى بشمال الصحراء الكبرى وهذه الاقاليم المجاورة لبلاد سيبير مجهولة الحال الا ماندر منها وكلام بلاس وسوقولوف وبطرين يقتضى أن دورية الروسية ذات حر عظيم وجبالها التى ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة مستورة بغابات ظريفة من اشجار الصنوبر والبتولا والدردار وشجر الحور بخلاف سهولها فان بها مراعى لكثير من المواشى وتصلح لزراعة عدة انواع من الغلال فبالقياس على ذلك يمكن أن يؤخذ بالحدس والتخمين أن دورية الصينية وبعض اجزاء شمالية من بلاد المغول ذات قطر شبيه بقطر دورية الروسية وتولدات شبيهة بتولداتها وكان مبدأ سفر الارسالية الموسقوبية الاخيرة فى تلك الجهة فى وسط الشتاء ثم انتهى سفرها بعد أن سارت ثلثمائة وستة

جبال

(اى نحو سبعين فرسخا من الحدود) ففهم من هذا أن البلاد ذات سهول محله وجبال وعرة كثيرة الاشجار غالبا ويكثر فيها الخنزير البرى والايل والايلان ولا يعرف فيها غير ذلك وثم جبل مقدس عند المغول يقال له خان اولا يعنى الجبل الملوكى وعليه كثير من الهياكل والمقابر وقد ظن بعضهم أن المعادن التى يستخرج منها الصينيون القصدير توجد فى هذه البلاد ولكن من المحقق أن الصينيين صبوا مسابك الحديد بقرب بحيرة اروا على خمسين وستة من كياكتا ونجعوا فى ذلك

انهر

ونهر هونغو يخترق جزأ من بلاد المغول الجنوبية وفى الجهة الوسطى وعلى الشرق كثير من الانهر الصغيرة التى تنيض على الرمال وفى الشمال نهرا سلنغا واورشون يصبان فى بحيرة بيكال بخلاف نهرى كرلون واونون فانهما يتعاونان على امداد نهر امور العظيم الذى ينزل فى بلاد المنجو

بحيرة اتساهان

وفى سفح جبال بغدو بحيرة عظيمة تسمى كوسوغول وثم ايضا غيرها من البحيرات الواسعة وقد خطط مرقبول بحيرة قيبغا التى يظهر لنا انها بحيرة اتساهان او اتساهان نور وقد كان للخان الاكبر بيت للنزاهة على شطوط هذه البحيرة وكانوا يشاهدون فيها حيوان العلجوم والكركى والحجل والسمان كثيرا ولكن لشدة البرد لا يأتى اليها الخان الا فى الصيف

مدن

وقد ظن بعض المؤلفين أن هذا الاقليم كان سابقا مشحونا بالمدن العظيمة ولكن الاظهر والاقوى أن المغول لم يكونوا سابقا ارباب عدد كثير من الناس ولا ثروة وافرة ولا ارباب صناعة بحيث يبنون مدنا يصدق عليها اسم المدن حقيقة

قرقروم

بل الظاهر أن مدينة قراقروم المسماة باللغة الصينية هولين كانت دار سلطنة المغول وأن بناءها ليس الا بالطين والخشب والظاهر ايضا انها كانت دار الاقامة فى الصيف كما هى الآن مدينة زيهول التى تلقى فيها سلطان الصين رسولا من طرف الافرنج يسمى مقرطينية ومدينة زيهول بها سراية عظيمة على منوال مبانى الصين وبها ايضا بساتين عظيمة واسعة وبعض هياكل لعبادة الاصنام وكثير من الخصوص الدينية فجميع هذا اذا هجر واهمل يزول فى اقل من مائة سنة فلا عجب اذا بحثوا من غير طائل عن آثار مدينة قراقروم التى هى على كلام دنويل واقعة على نهر انغوى مورن فى نحو اربع واربعين درجة من العرض ونحو مائة واربع درجات من الطول ولكن كلام الخواجة فيشر يقتضى انها واقعة على شطوط نهر اورشون وانها على مائة درجة وواحدة من الطول وعلى سبع واربعين درجة من العرض ثم ان امراء مغول كالكا واحبارهم كانت اقامتهم منذ مليل بمعسكر يسمى اورغا على ثلثمائة وستة من كياكتا الواقعة على نهر تولا وقد تغير هذا المعسكر فجعل مدينة وسموه قيرة وليس بها

قيرة

الا هياكل ومساكن لامناء دينهم وبيت نائب ملك الصين وكلها مبنية بالخشب وما عدا ذلك كله خيام الى الآن

مدن اخر

ومدينة ميماچين مدينة صغيرة على طرف حد الروسية وهى قاعدة التجارة مع كياكتا وكذلك مدينة ناون ذات بيع وشراء واقعة على مسيرة شهر فى الجنوب الشرقى من البوسطة الروسية المسماة زوروشيتو على نهر ارغون

وتجار هذه المدينة يأتون الى ناون مسلحين بالقسي والسهام ومعهم اقمشة جيدة الصفة ولغة اهلها ليست صينية ولا مغولية

المغول بنيتهم

ثم ان المغول كالقلموق وجوههم مسطوحة واعينهم صغيرة مائلة وشفاههم غليظة واذقانهم قصيرة قليلة الشعر وآذانهم عريضة ناتئة وشعورهم سود مقوية للونهم الاسمر المائل الى الحمرة والصفرة الا أن المغول اعظم تحضرا من القلموق بسبب اقامتهم في قديم الزمان كثيرا في بلاد الصين فلذلك كانوا اشد تطرقا واكثر قابلية للتأدب واعظم كرما ونشاطا واقوى ميلا للشهوات واللذات ثم ان روسية دورية يرون أن النساء المغولية اكثر نسلا وولادة من نسائهم كما أنهن كثيرات الصناعة والسرور والبشاشة

دين

ثم ان كتب دين المغول مكتوبة بلسان التنغوت اوالتبت وفي كل ايماق معلم مكتب ثم ان اللاماوهم امناء دينهم وكذلك رؤساؤهم يلقبون بلقب خوطقتو وهم على غاية من الاحترام والتعظيم عندهم وهم ايضا من طرف دلاي لاما الاكبر الذي هو رئيس دين المغول

طريقة المعيشة

وتعدد الزوجات وان كان مرخصا عندهم الا انه قليل و يتزوجون وهم صغار السن والنساء يلبسن قون الرجل بالمواشي وبخصوص الغنم وعندهم نار مشتركة في وسط الخيمة وفي الصحارى فيستدفئون على ارواث البقر اليابسة وخيام اعيانهم مفروشة من داخلها باقمشة الحرير واسرتهم مفروشة بالسجاجيد العجمية وترى في مساكن اعيانهم آنية القصدير والفضة والصيني واما خيام الرعاع فانها متخذة من صنف من اللبد وقد يبنون في بعض الاماكن هياكل صغيرة حولها خصوص وعشش لامناء دينهم

ملابس

ويحلقون رؤسهم ولا يبقون منها الا خصلة من الشعر و يلبسون طربوشا احمر مسطوحا الا سيما عند مغول شرا ويلبسون سراويل عريضة وعنتار خفيفة ضيقة الاكمام و يحتزمون بحزام لمسك السيف والسكين وسائر ما يلزم لشرب الدخان و يلبسون من فوق ثيابهم الجوخ ويجعلون اكمامه واسعة و يلفون ارجلهم بقماش من الكتان و يلبسون فوقه الجزمات من الجلد وهي في العادة سوداء اوصفراء وزينتهم لا تصل الى استعمال القمصان ويغتذون باللحوم ويخلطونها في بعض الاوقات بالخضراوات ويشربون في العادة الماء و يحبون الالبان والسمن والكوميس ولكنهم الآن تعلموا شرب العرقي وماء العسل ولاسيما شراب الشاي ومواشيهم هي الخيل والابل والبقر والغنم والمعز ونساؤهم يدبغن الجلود ويقلعن الاعشاب المأكولة ويجهزن ما يدخر للشتاء فيملحن ما يحتاج للتمليح و ييبسن ما يحتاج للتيبيس و يقطرن شراب الكوميس وهو روح لبن الخيل والرجال يصطادون انواع الحيوانات والطيور العديدة التي تكثر في تلك الصحارى

طبخ غريب

الواسعة فاذا اراد المغول السفر انضجوا غنما كاملة في جلودها فيسلخون اولا الجلد بتمامه كالكيس و يملؤنه بالماء ويضعون فيه اللحم مجردا عن عظامه و يضعون فيه ايضا على التوالي بعض احجار محمرة فينضج اللحم بالكلية ويكون مرقه عظيما

سير هؤلاء رحالة البرارى

فاذا اشرفت المراعي على الخلاص رأيت جميع القبائل يرفعون خيامهم وهذا يقع في السنة من عشر مرات الى خمس عشرة مرة ففي الصيف يتوجهون جهة الشمال وفي الشتاء جهة الجنوب فتجد محفلا عظيما مؤلفا من المواشي والرجال والنساء والاطفال ووراء هذا الموكب بنات يغنين بالاغاني الموزونة وملاعب هؤلاء القبائل الهائمة كثيرة الحظ والسرور وهي

الالعاب والاغاني

ميدان المسابقة على الخيل حتى ان بناتهم يجدن رماحة الخيل فتجد اصوات الاغاني مصحوبة بالآلات كالمزامير وغيرها وبالمصارعة وهذه الاغاني متعلقة باختراعات ظريفة ومملوءة بعجائب الاحدوثات التي تحكي عن فحول الرجال الا أن انغام اصواتهم خشنية غير مقبولة ولعب الشطرنج هو اللعب الممدوح عندهم وجثث الملوك والامراء وكبار مشايخ دينهم تحرق في محفل عظيم ومقابرهم في العادة يحدق بها اسوار مزينة بعصي عالية عليها الوية مضحكة

زواج الاموات

وقد ذكر حرق بول لهم عادة ناشئة عن الاوهام والوساوس ولا يعرف هل هي باقية الى الآن عندهم ام لا وهي انه اذا فقد عائلتان صغيرين عزيزين مختلفين بالذكورة والانوثة جعلوا بين روحيهما عقد زواج يسمى زواج الاموات وهذا العقد يشهر عند مقابر الصغار كالموسم وبه تقع المصاهرة والمحبة بين اقارب هذين الصغيرين كأن بينهم لحمة ونسبا

كتابة وحروف هجاء

ثم ان المغول وان كانوا دون القلموق في البدع والاوهام الا أن لهم عبادة ظاهرية يظهر اثرها اكثر من القلموق وذلك انهم يبنون هياكل بعضها من الحجر وكتبهم اكثر من كتب القلموق ولهم غير كتابتهم العادية نوع كتابة اخرى يقال لها اقشار جاءتهم من امة التنغوت وحروف هجائهم المعتادة ثمان وتسعون علامة بعضها يدل على مقاطع ومخارج كاملة ويظهر أن اغلب هذه الحروف مستعارة من حروف الويغور واللسان المغولي غير معروف جدا وهو عين لغة القلموق التي ذكرناها آنفا

دونه ديوانية

وخانات المغول الجنوبية هم جميعا تحت حكم سلطان الصين يدفعون له ميرياسنويا و يأتون الى ديوانه خاضعين اذلاء

وأما

قوانين

واما خانات الكلكا وهم المغول السود فليس عليهم ميرى بل يعطيهم سلطان الصين جامكية هينة والظاهر أن سبب ذلك كونهم كالثغور والرباطات يحفظون البلاد من غارات الروسية ثم انه ينبغى لنا قبل تتميم تخطيط التمدن الناقص الغريب عند امم المغول أن نقول انه من سنة ١٦٢٠ من الميلاد وضع المغول كتاب قوانين كاملا عليه ختم اربعة واربعين ما بين امير ورئيس وقصاص اغلب الذنوب فى هذا القانون المغارم وفيه ايضا ان جميع ما يصنعه الرعايا من الاشياء المفيدة النافعة يعطى لهم فى نظيره جوائز وتحف وكل من منع اللبن عن المسافر عوقب بدفع خروف وفيه جواز الاختبار بالنيران لاقرار المدعى عليه وكذلك الايمان التى يضمن بها الاعلى تزكية الادنى وهذه الاحكام كانت سابقا ببلاد اوروبا فى الاعصر الوسطى

※(المقالة الحادية والستون في تخطيط اسيا)※
وبلاد المنجورية وبجيجزيرة كورة اوقورة

لائحة اجمالية تتعلق ببلاد المنجو

المنطقة الوسطى في آسيا تحيي ببلاد المغول وبسلسلة جبال سيولكى والانهر لاتنعطف اصلا على سهول مرتفعة وانما تنعطف الارض من جهتيها وهما جهة بحر اوختسك وجهة البحر الاصفر ونباتات الاقطار المعتدلة واشجارها تشرع في الظهور بعد أن كانت قد خفيت لكن في الشرق سلسلة جبال شامخة على حافات شطوط بحر كورة ممتدة في داخل الجيجزيرة وهى تعادل بارتفاعها واتساع غاباتها الآثار النافعة المتولدة عن حر الشمس وذلك لان هذه الجبال وان كانت ذات عرض كعرض فرانسا وايطاليا الا انها عرضة للشتاء الطويل البارد ولكن الاقسام الوسطى التي يسقيها نهر امور يجب أن تحظى كما هو الظاهر بقطر احسن من ذلك واما كون الزراعة لاتعظم فيها فاذلك الاتكاسل اهلها وجهلهم فالجزء الذى على البحر الاصفر وهو اقليم لياوتنغ يظهر أن حره شبيه بحر ألمانيا وفرانسا الشمالية

جبال

والجبال التي حول زيهول ليست مرتفعة جدا وليس بها شئ من سلاسل الجبال المنتظمة الشكل وانما منظرها كمنظر امواج البحر المضطرب وهى مركبة من طفل صلب مختلط بحصى ولا مانع من أن سلسلة الجبال العالية التي بحافة بحر التتار منفصلة عن الجبال الوسطى بآسيا وفي الشمال جبال استنوا لها عدة فروع ممتدة جهة شطوط نهر امور ولكن لايعرف شئ بالنسبة لطبيعتها وعلى هذا الساحل يتجمد الماء و يقع الثلج في اثناء شهر سبطمبر الافرنجي

امور المسمى سغالين

ونهر امور يخرج في بلاد المغول من جبل كنتة ويسمى اولا بنهر اونون ثم اذا كثرت مياهه بصب نهر انغادا فيه قريبا من نرجنسك يسمى امور هذا هو رأى الجغرافيين الصينيين واما الروسيون فيسمون هذا الفرع المجتمع باسم شلكا ونهر شلكا اذا غزرت مياهه بمياه نهر كرلون الاكبر يسمونه نهر امور ونهرا شلكا وكرلون متساويان في المجرى والحجم تقريبا ونهر امور يسمى عند المنجو والتنغوزة سغالين اولا وهو يتلقى جهة الجنوب نهرين عظيمين وهما سنجارى اولا الذى يسمى عند الصينيين شنتنجيان ونهر اوزورى ويقال اوسولى ويسميه الصينيون بهذين الاسمين وهو يصب في بحر اوختسك صانعا جونا عظيما ممدودا في الشرق بشطوط جزيرة سغالين ويتصل في الجنوب ببحر كورة المسمى بوغاز التتار واتصاله به انما هو بواسطة فرجة ضيقة والحشائش البحرية تخفى مصب هذا النهر بعض خفاء ولما كان عميقا كان ركوبه سهلا لخلوه عن الصخور والمخاضات وشطوطه محفوفة بغابات عظيمة ثم ان الروسية يشكون كثيرا من خيانة الصينيين وذلك انهم سنة ١٦٨٩ من الميلاد اخذوا من ايدى وكلاء الروسية بغتة بطريق القهر والغلبة الجزء الاسفل من ذلك النهر العظيم الذى لابد منه لكل من استولى على سبيرا الشرقية مع أن قوزاق الروسية غرسوا باسفل هذا النهر فيما سبق راية الروسية علامة على انهم تملكوه

تقسيمات صينية

وبلاد المنجورية التي خططها جغرافيو اوروبا على وجه مختلف خططها جغرافيو الصينيين على وجه واضح فجميع اقليم المنجورية هو ولاية شجين ويقال شين يغ وهى منقسمة الى ولايتين صغيرتين احداهما ولاية فنتين وتسمى ايضا لياوتنغ وهى في الجنوب على البحر الاصفر والثانية ولاية منجو على نهر امور وبحر كوره

اقليم لياوتنغ

واقليم لياوتنغ خططه السلطان كيان لنغ في كتاب يسمى مدح الموكدين وهو كتاب هين بارد بالنسبة لاشعاره الا انه نافع بالنسبة للجغرافيين وعبرته في مسافة ١٠٠٠٠ لى (وهو تقريبا عشر فرسخ افرنجى) توجد جبال متتابعة ووديان متتالية واراض مجدبة ومسقية وانهر عظيمة وسيول بهولة وغدران لطيفة الانعطاف ورياض نضرة وغابات لاتصل اليها اشعة الشمس وجبل الحديد والجبل المطرز يظهران على بعد عظيم وعلى الجبل المطرز بركة

اشجار

مياهها لايزيد ولاينقص ابدا انتهت وقد ذكر هذا السلطان الشاعر من جملة اشجار هذه البلاد شجر الراتينج المسمى بالتنوب وشجر السرو وشجر الصنط وشجر الصفصاف والمشمش والخوخ والتوت * وحبة الحنطة تضاعف في ابها مائة حبة ورياضها قابلة لنبات القيصوم وهو صنف من الشيبة وكذلك النبات المسمى حبق راعى ولكن هذان النباتان يزرعان في الصحارى وكذلك نبات يسمى جنسنغ يخرج في جميع الجبال ومعنى اسمه ملك النباتات وقد قال فيه بعضهم أن الانسان لو كان قابلا للبقاء لجعله هذا النبات باقيا ومن الحيوانات الموجودة بتلك الجهة النمر كما ذكره كيان لنغ

حيوانات

وقال انه غير مخوف والظاهر أن مراده بالنمر الاسد الذى لابد له المرسوم في كتاب نيوهوف وذكر ايضا نوعا من النمورة وظاهر أنه من النمورة الصغيرة وكذلك الخيل الوحشية ونوعان آخران من النمورة الصغيرة وقط الرباد وحيوان السمور

وكلابهم قليلة النبح نهارا والظاهر أنها من جنس كلاب سيبير والسمك عظيم بين طيورها الكثيرة التي تعمر مزارعها وغاباتها وشطوط انهرها والسمك العظيم المسمى اوسترجون الملقب بسلطان الاسماك وكذلك غيره من انواع الاسماك العظيمة يقتات به قبائل كاملة وصدف اللؤلؤ عظيم هنالك ويزاد على ذلك تركيا الحديد واليشب

مدن

ومدينة موكدن المسماة باللغة الصينية شين يتغ كانت قبل فتح الصين دار اقامة آخر ملوك المنجو الملقبين بالشوندى اوالجوندى وبها عدة هياكل لاسيما الهيكل الذي يتبدد فيه ملكهم وحده اول يوم من السنة وهذه المدينة مضروب عليها سوران محيط الخارج منهما يزيد على اربعة فراسخ ومدينة ليا ويتغ هى ايضا مدينة عظيمة

مدينة موكدن

اقليم منجو

وباقليم منجو الذي يخرج منه النحاس والحديد واليشب واللؤلؤ الفرامدينة متوسطة تسمى مدينة منجو وكذلك مدينة يندن المسماة باللغة الصينية صين الصين (ويقال لها صينية) وهى محل اقامة امراء المنجو فى قديم الزمان وقد بنى لهم ذراريهم مبانى عظيمة ولايعرف الى الآن محل هذه المدينة حقيقة وهنالك ايضا مدينة ونلين وهى اعظم مدن تلك الارض ومدينة نين غوتا وهى بندر ولاية عسكرية خاصة بالعساكر واما مدن اتزيجاكار ومرغن وسغالين اولا فهى قلاع صغيرة مرسومة على خرطات دنويل

مدن

يوبى

قبيلة غليا كى

واسم يوبى يدل على صيادى السمك الرحالة النزالة وهم اهل الساحل الشرقى الذي شاهد بعض محاله لابيروزة قليل الحظ فوجد اهله فقراء اخيارا خالين عن المكر والمعروف من اسماء هذه القبائل قبيلة غليا كى التى تشغل شطى نهر سغالين عند مصبه وهو نهر امور وكذلك قبيلة تكى اواجانى ومبدؤها واقع على اربعة عشر يوما من سفر البحر صعودا واهل هاتين القبيلتين يلبسون فى الصيف جلود السمك وقبيلة التكية تجر العربات بالكلاب واما قبيلة غليا كى فانها على مايقال تستعمل فى جر العربات دببات مؤلفة

لائحة تتعلق بالساحل الشرقى

واغلب الساحل الشرقى من بلاد المنجو على مايقتضيه كلام لابيروزة صحراء خالية عن العمران وتجد فى جميع ارجائه نباتات ظريفة تذكر ملاحى الفرنساوية بغابات وطنهم الطريفة التى بعدوا عنها وعلى الجبال الشاهقة تمتد فروع البلوط واغصانه ويخرج الصنوبر كأنه هرم اخضر وفى سفحها تجد اشجار الصفصاف تمتص مياه الانهر واشجار البتولا والاسفندان ونجر الزعرور تهتز من هبوب الرياح والزنبق والورد والسوسن تعطر المروج وبالجملة فتجد هذه البلاد كاوربا زمن الربيع وازهارها كازهارها لكن لايوجد من الآثار مايدل على تاريخ ابتداء الزراعة فيها ولامايدل على انه كان بها اناس يسكنون شطوط هذه الانهر وانما كانت معمورة بالدب والايل اللذين خطا هنالك فى خلال الاعشاب العالية التى تبلغ فى الارتفاع اربعة اقدام وانما هنالك مقبرة وبعض آلات لصيد السمك تدل على أن قطاع الطرق من تلك القبائل يأتون بعض الاحيان من داخل هذه البلاد لصيد السمك الذي يكثر فى مصاب الانهر فمن الغريب وجود صحراء مطلقة خالية وقابلة مع ذلك للزراعة واقعة على ابواب سلطنة الصين القديمة التى لكثرة اهلها وشدة عمارتها يحدث فيها بعض الاحيان جدب وقحط عظيم ومع ذلك لايخرج اهلها منها الى هذه الصحراء ثم ان بحر يابونيا الذي يتصل بهذه السواحل يقذف اليها كثيرا من المروج السابحة على وجه الماء من الاعشاب البحرية فتجد الملاح يفزع من ذلك غالبا ظنا منه أن سفينته قد جذبت بارض جديدة يترا أى له انها خارجة من المياه التى خفيت عن بصره بهذه الارض ويشاهد غالبا فى الضباب المنتشر الذي يحاصر تلك البلاد خيالا زجاجيا ناشئا عن صورة السواحل المرتفعة المبسوطة من غير أن يكون له حقيقة فاذا قرب منه ظن أنه يمكن أن يرسو عليه فاذا هو يذوب ابخرة ويتصاعد فى الهواء

الحشائش البحرية

خيالات زجاجية

اهل

وبلاد المنجو كلها على ماقاله جغرافيو الصين سبعة واربعون الفا وماية واربعة وعشرون فلاحا يدفعون الميرى والخراج والظاهر أن هذا العدد بالنسبة لغير اهلها المتأصلين وانما هو كما يظهر عدد اهل القبائل المبعوثين من الصين وهذه البلاد تقوم بمؤنة عشرة آلاف من عساكر المنجو

منجو

قبائل مختلفة

والمنجو من صنف عظيم يسمى التنغوزة عند الروسية والتتار وان كان يسمى فى لغته اوون والدورية من المنجو الا انهم مختلطون بالمغول وثم عدة قبائل كالدوجرية على شط نهر امور جهة وسط مجراه وكقبيلة السولون على نهر ارغون وغير ذلك وهذه القبائل لاتمتاز عن بعضها الا بيسير التمدن فهى متفاوتة فيه وكان المنجو يسمون سابقا باسم نيوجة وفى ايام شهرتهم بهذا الاسم استولوا قبل القرن الثانى عشر من الميلاد على قبائل اللوآوس المسماة ايضا خيتان وكانت خيتان قبل ذلك سيدة النيوجة فكانت النيوجة تدفع لها الميرى وكانت النيوجة ايضا تسكن اقليم موكدن وفى سنة ١١١٥ من الميلاد غارت النيوجة على شمال الصين فاسس امراؤهم الدولة المسماة دولة كين ومعناها دولة الذهب ثم لما زالت دولة النيوجة وهزمها المغول رجعت

الى جبالها المتوحشة ثم خرجت ثانيا من هذه الجبال سنة ١٦٤٠ من الميلاد واشتهرت باسم منجو وشرعت في فتح بلاد الصين بتمامها فاستولت عليها فصار اهل الصين تحت طاعتها الا أن طاعة الصينيين لهم كانت مشوبة بالعداوة ثم كانت متقطعة بخروج عن طاعة الدولة زمنا بعد زمن

ثم ان المنجو عرفوا الزراعة بل ولهم تلك الاحكام والسياسات قبل اخذ بلاد الصين وتوسيعهم البلاد *وامتداد شوكتهم وعظمهم اضر بنسبهم لان احسن عشائرهم هربوا الى بلاد الصين وتركوا بلادهم الاصلية

دين — وكلام قسيسي الافرنج يقتضي أن المنجو ليس لهم هياكل ولا اصنام وانما يعبدون الها واحدا قادرا يسمونه ملك السما ولكن دينهم الذي ببلاد الصين يقرب من دين الخانية او الشمانية ثم ان ببلاد آسيا الوسطى ثلاث امم عظيمة منهم امة المنجو وهي دون غيرها تقرب من حالة التمدن لا سيما منذ فتوح الصين وتقدمهم في التمدن لا زال في الزيادة لان آخر ملك من ملوكهم امر أن اعظم كتب الصين يترجم الى لغة المنجو وهذه الامة ذات شكل وبنية اقوى من شكل الصينيين الا أن تقاطيعها دون تقاطيع الصينيين في الايذان بالجمالة والحسن وارجل نساء المنجو ليست مشوهة كارجل نساء الصين ويسترن رؤسهن بالازهار الطبيعية والمصطنعة وثياب المنجو كثياب الصينيين في الغالب

لغة — ثم ان الالسن الثلاثة وهي لسان المنجو ولسان التتار ولسان المغول يخالف بحسب الاصالة بعضها بعضا فقد الف الخواجة لنغليس قاموسا في لغة المنجو ذكر فيه أن تلك اللغة هي اكثر لغات التتار معارف واكملها علوما من غير استثناء للغة التبت وان كانت هذه اللغة لم تدون الا في اوائل القرن السابع عشر من الميلاد فانه في هذا الوقت

حروف الهجاء — امر سلطان المنجو العلماء أن يرسموا صورة الحروف على مقتضى قواعد المغول فخرجت حروف هجاء المنجو وكانت عبارة عن الف وخمسمائة مجمع من المقاطع وقد شرع الخواجة لنغليس في ترجيعها الى تسعة وعشرين حرفا واغلب تلك الحروف له ثلاثة اشكال باعتبارات مختلفة وهي وجوده في ابتداء الكلمات وفي اوساطها وفي اواخرها

تنبيهات تتعلق بلسان المنجو — وليس اغرب ما في هذه اللغة هو كثرة الكلمات الدالة على حكاية الاصوات ولا كونها لين اللغات حيث انها لا تقبل ابدا الاحرفين صحيحين ساكنين متواليين من غير توسط حرف علة او حركة ولا كثرة الحروف التي تربط الكلمات بعضها ببعض وتقييد المعاني ولا كثرة تصريف الافعال كاللغة العربية والعبرانية فان هذه الصفات لا يستغل بها الا ارباب العلوم اللغوية وانما فيها نادرة تعد من مبحث تاريخ هجيج الامم ومهاجرتهم لا بأس بايرادها هنا فنقول ان لغة المنجو التي هي الآن متسلطنة في لطرف الشرقي من غرب اوروبا تشتمل على كثير من الاصول المشابهة لاصول اللغات الافرنجية وليست هذه الكلمات التي هي محل المشابهة مما يتعلق بالفنون حتى يقال انها جاءتهم من اسرى النمساوية الذين جلبهم المغول الى آسيا وليست ايضا كلمات من حكايات الاصوات ونحوها حتى يقال ان تشابهها جبري في كثير من اللغات وانما هذا التشابه واقع بين لغة المغول ولغة الغوثة او الغوطة الجرمانية او اللاطينية اليونانية وقد سلف أن هذه اللغات تشابه ايضا لغة الهند القديمة وذلك في لغة المنجو يظهر انه شبيه بلغة السلتية والفلتية وهم قدماء الفرنساوية ولا بلغة الصقالبة وانما لها بعض شبه بلغة السرماطة او اللثوانية بل ولها ايضا شبه بلغة الهند الجرمانية وهذه الاصول المشتركة بين لغات مفترقة منعزلة اصحابها متباعدة بلادها جدا تدل على أن المنجو اصلهم من نواحي العجم والهند

كورة — وبين جزائر يابونيا وبلاد المنجو تمتد جزيرة كورة التي تتصل شرقا ببحر يابونيا وغربا بالبحر الاصفر المسمى جون بكين ولا مانع أن هذه الارض يبلغ طولها مائتين وثلاثين فرسخا الا أن لمثل هذا الطول يوجد خارج الجزيرة حقيقية وعرضها من الشمال والجنوب يبلغ تسعين فرسخا فاكثر الى مائة الا أن المحل الذي تبتدئ منه هذه الجزيرة ابتداء حقيقيا لا يكون عرضها فيه الا من ثمانية واربعين فرسخا الى خمسين فليست بجزيرة كورة اقل من ايطاليا الا بشيء يسير

وبهذه الجزيرة من مباحث الجغرافيا الطبيعية سلسلة جبال عالية تمتد من الشمال الى الجنوب ويترأى انها تتصل بجبال المنجو فاذا دخلنا تلك الجزيرة رأينا هذه السلسلة تدنو من ساحل بحر يابونيا بالغرب من ذلك الساحل ... متوسل جهة الشرق تسمى كيانغ يون يعني ارض العيون والمحيط العام لهذه الارض هو في جهة البحر ... المعروف في بجزيرة كورة نهران

انهار — كبيران احدهما يسمى يالو والآخر يقال له تومن فالاول يصب فى البحر الغربى والثانى فى البحر الشرقى وكلاهما فى الشمال خارج الجزيرة الحقيقية وهما يخرجان من جبل واحد مرتفع جدا يسميه الصينيون شنغ يشن والمنجو يسمونه شن اليا يعنى الجبل الدائم البياض

قطر — ثم ان كورة وان كانت مساوية لايطاليا فى العرض تقريبا الا ان [illegible] هابارد جدا ويقال ان سبب ذلك هو ما بها من الجبال وقال بعضهم ان الجزء الشمالى ينزل فيه الثلج بكثرة بحيث [illegible] طرق تحته للذهاب من بيت الى آخر [illegible] الارض خصبة حسنة الزراعة

معادن — ومن معادن تلك البلاد الذهب والفضة والرصاص والحديد والطوباز والملح المعدنى

حيوانات — واما الحيوانات المشهورة بها على ما قاله ربجيس فهى الخنازير الوحشية والدبات وحيوانات السمور (جهة الشمال) وكلاب البحر وثعالب الماء وحيوان الايل وتكثر فى انهرها الاسماك وبانهرها ايضا على ما قاله الخواجه هامل الذى زعم انه اقام بها تسع سنين حيوان القيمان وهو نوع من التمساح يبلغ طول الواحد منه نحو ثلاثين قدما الى اربعين وقد سمع القسيسون المبعوثون الى تلك الجهة أن بها دجاجا طويل الاذناب والظاهر انه نوع من الديوك البرية وبها خيل ارتفاعها ثلاثة اقدام فقط

نباتات — وجبال الشمال مستورة بغابات واسعة لا يخرج منها الا الشعير وعرق الجنسنغ الذى هو عظيم عند الصينيين والاقاليم الجنوبية بهذه الجزيرة كثيرة الارز والذرة وقمح البانيس (الذى يستخرج منه النبيذ) وبها ايضا القنب والدخان والليمون والحرير وثم شجرة شبيهة بالنخل يخرج منها صمغ يكون الطلاء به كالتذهيب فى اللمعان

اسما كورة — والاسمان الحقيقيان لجزيرة كورة هما كاولى وهو اسم قديم باق الى الآن ومتداول على الالسن وچاوسين وهو اسم جديد يستعمل فى اصطلاحات الدولة ومخاطباتها وكلا هذين الاسمين مأخوذ من اسم الدول التى حكمت هذه البلاد

اقاليم — وهى منقسمة الى ثمانية اقاليم اقليم كنغ كى فى الوسط واقليم ينغ انغان واقليم هوانغ هاى واقليم چوصين وهذه الثلاثة على البحر الغربى واقليم تسون لو فى الجنوب واقليم كينهان واقليم كينغ يوون واقليم هين كنغ على البحر الشرقى وهذه الاقاليم مشتملة على اربعين مصرا عظيمة وثلاثة وثلاثين مدينة من الدرجة الاولى وثمان وخمسين من الدرجة الثانية وسبعين من الدرجة الثالثة

مدن — ومنظر المدن التى فى كورة هو كمنظر المدن الصينية وانما بيوتها مبنية بالطين من غير صناعة وليس فيها راحة ومرافق لساكنيها وتجد البيوت فى عدة اماكن مبنية على اوتاد او شواخ فى الارض تكون كالاساس وبيوت الاكابر ذات منظر اعظم من ذلك ويحدق بها كثير من البساتين الواسعة ومن مدنها كنغ كى تاءو فى اقليم كنغ كى وهى قاعدة هذا الاقليم ودار اقامة الملك والسور العظيم الذى اقامه اهالى كورة لحمايتهم من غارات المنجو تهدم وصار خرابا ثم ان تعدد انكسار المراكب عند جزيرة كلبارت جعلها شهيرة وهى منفصلة فى الجنوب من جزيرة كورة

اهالى كورة بنيتهم وصفاتهم — ثم ان اهالى كورة ارباب قدود حسنة الخلقة وسحنتهم لطيفة واخلاقهم مهذبة وهم منذ اعصر فى اسر الغرباء فلذلك اعترتهم عيوب الاستعباد فهم الآن منهمكون على الشهوات وكذبهم كثير وهم ارباب جبن ومعتادون على الغش والسرقة حتى ان الصينيين قد يقعون فى اشراك غشهم واذا قذفت الرياح الشديدة السفن على ساحلهم اخذوا من بها من المسافرين اسرى وهذه العادة كثيرة عند اغلب الخشنين لخوفهم

والامراض الوبائية تجبر اهالى كورة على انهم ينقلون المرضى الى الخلاء ويتركونهم من غير أحد يتعهد امورهم وهذه عادة جارية عندهم

عوايد — والزواج بين الاقارب محرم عندهم الى الدرجة الرابعة ويزوجون اولادهم فى سن سبع سنين اوثمانية وتقيم الزوجة فى بيت الزوج ويجوز عندهم تعدد الزوجات ولكن لا يجوز للرجل أن يدخل فى بيته الا زوجة واحدة [illegible] النساء فى كورة كما فى الصين تسكن فى مساكن خفية لا يراهن احد من الاجانب

واجسام اعيان الناس تختص دون غيرها بعد الموت بأن تحفظ ثلاث سنوات فى تابوت قبل أن تدفن ومقابرهم على الجبال ويدفنون بجانب الميت سلاحه وآلاته وجميع ما كان يستعمله فى حياته اذا ما جرت به عادتهم

[illegible] — وقد نقل الصينيون الى كورة فنونهم وعلومهم وعاداتهم وعلماء كورة طائفة مستقلة تمتاز بريشتين معلقتين فى قلنسوة الانسان ويتخذون عدة امتحانات كما فى الصين ومعرفتهم مقصورة على آداب كنفوسيوس وهم يستعملون اللسان الصينى وحروفه واما العامة فلغتهم مغايرة جدا لذلك اللسان وهى كلغة المنجو فى كونها حروف هجاء خاصة ويكتبون بقلم متخذ من شعر الذئب ويطبعون كتبهم بواسطة اشكال وصور من الخشب ولسان اهل كورة معروف

الى جبالها المتوحشة ثم خرجت ثانيا من هذه الجبال سنة ١٦٤٠ من الميلاد واشتهرت باسم منجو وشرعت في فتح بلاد الصين بتمامها فاستولت عليها فصار اهل الصين تحت طاعتها الا أن طاعة الصينيين لهم كانت مشوبة بالعداوة فمن ثم كانت متقطعة بخروج عن طاعة الدولة زمنا بعد زمن
ثم ان المنجو عرفوا الزراعة بل ولهم قابلية للاحكام والسياسات قبل اخذ بلاد الصين وتوسيعهم البلاد وامتداد شوكتهم وعظمهم اضمحلت بلادهم لان احسن عشائرهم هربوا الى بلاد الصين وتركوا بلادهم الاصلية

دين

وكلام قسيسي الافرنج يقتضي أن المنجو ليس لهم هياكل ولا اصنام وانما يعبدون الها واحدا قادرا يسمونه ملك السما ولكن دينهم الذي ببلاد الصين يقرب من دين الجانية او الشمانية ثم أن ببلاد آسيا الوسطى ثلاث امم عظيمة منها امة المنجو وهي دون غيرها تقرب من حالة التمدن لاسيما منذ فتوح الصين وتقدمهم في التمدن لا زال في الزيادة لان آخر ملك من ملوكهم امر أن اعظم كتب الصين يترجم الى لغة المنجو وهذه الامة ذات شكل وبنية اقوى من شكل الصينيين الا أن تقاطيعها دون تقاطيع الصينيين في الايذان بالجمالة والحسن وارجل نساء المنجو ليست مشوهة كارجل نساء الصين ويسترن رؤسهن بالازهار الطبيعية والمصطنعة وثياب المنجو كثياب الصينيين في الغالب

لغة

ثم ان الالسن الثلاثة وهي لسان المنجو ولسان التتار ولسان المغول يخالف بحسب الاصالة بعضها بعضا فقد الف الخواجة لنغليس قاموسا في لغة المنجو ذكر فيه أن تلك اللغة هي اكثر لغات التتار معارف واكملها علوما من غير استثناء للغة التبت وان كانت هذه اللغة لم تدون الا في اوائل القرن السابع عشر من الميلاد فانه في هذا الوقت

حروف الهجاء

امر سلطان المنجو العلماء أن يرسموا صورة الحروف على مقتضى قواعد المغول فخرجت حروف هجاء المنجو وكانت عبارة عن الف وخمسمائة مجمع من المقاطع وقد شرع الخواجة لنغليس في ترجيعها الى تسعة وعشرين حرفا واغلب تلك الحروف له ثلاثة اشكال باعتبارات مختلفة وهي وجوده في ابتداء الكلمات وفي اوساطها وفي اواخرها

تنبيهات تتعلق بلسان المنجو

وليس اغرب ما في هذه اللغة هو كثرة الكلمات الدالة على حكاية الاصوات ولا كونها الين اللغات حيث انها لا تقبل ابدا الاحرفين صحيحين ساكنين متواليين من غير توسط حرف علة او حركة ولا كثرة الحروف التي تربط الكلمات بعضها ببعض وتقيد المعاني ولا كثرة تصريف الافعال كاللغة العربية والعبرانية فان هذه الصفات لا يشتغل بها الا ارباب العلوم اللغوية وانما فيها نادرة تعد من مبحث تاريخ هيج الامم ومهاجرتهم لا بأس بايرادها هاهنا فنقول ان لغة المنجو التي هي الآن متسلطنة في الطرف الشرقي من غرب اوروبا تشتمل على كثير من الاصول المشابهة لاصول اللغات الافرنجية وليست هذه الكلمات التي هي محل المشابهة مما يتعلق بالفنون حتى يقال انها جاءتهم من اسرى النمساوية الذين جلبهم المغول الى آسيا وليست ايضا كلمات من حكايات الاصوات ونحوها حتى يقال ان تشابهها جرى في كثير من اللغات وانما هذا التشابه واقع بين لغة المغول ولغة الغوثة او القوطة الجرمانية او اللاطينية اليونانية وقد اسلفنا أن هذه اللغات تشابه ايضا لغة الهند القديمة ولاشئ من لغة المنجو يظهر انه شبيه بلغة السلتية او القلتية وهم قدماء الفرنساوية ولا بلغة الصقالبة وانما لها بعض شبه بلغة السرماطة او اللثوانية بل ولها ايضا شبه بلغة الهند الجرمانية وهذه الاصول المشتركة بين لغات مفترقة منعزلة اصحابها متباعدة بلادها جدا تدل على أن المنجو اصلهم من نواحي العجم والهند

كورة

وبين جزائر يابونيا وبلاد المنجو تمتد جزيرة كورة التي تتصل شرقا ببحر يابونيا وغربا بالبحر الاصفر المسمى جون بكين ولا مانع أن هذه الارض يبلغ طولها مائتين وثلاثين فرسخا الا أن ثلث هذا الطول يوجد خارج الجزيرة الحقيقية وعرضها من الشمال والجنوب يبلغ تسعين فرسخا فاكثر الى مائة الا أن المحل الذي تبتدئ منه هذه الجزيرة ابتداء حقيقيا لا يكون عرضها فيه الا من ثمانية واربعين فرسخا الى خمسين فليست بجزيرة كورة اقل من ايطاليا اللهم الا شيأ يسيرا

جبال

وبهذه الجزيرة من مباحث الجغرافيا الطبيعية سلسلة جبال عالية تمتد من الشمال الى الجنوب ويترأى انها تتصل بجبال المنجو فاذا دخلنا تلك الجزيرة رأينا هذه السلسلة تمتد على ساحل بحر يابونيا بالقرب من ذلك الساحل والاقليم المتوغل جهة الشرق يسمى كيانغ يون يعني ارض العيون والمهبط العام لتلك الارض هو في جهة البحر الاصفر والسواحل والجزائر التي بقربها هي كثيرة الصخور يصعب القرب منها ومن المعروف في جزيرة كورة نهران

كبيران

انهار

وكبيران احدهما يسمى يالو والآخر يقال له تومن فالاول يصب في البحر الغربي والثاني في البحر الشرقي وكلاهما في الشمال خارج الجزيرة الحقيقية وهما يخرجان من جبل واحد مرتفع جدا يسميه الصينيون شنغ بيشن والمنجو يسمونه شن اليا يعني الجبل الدائم البياض

قطر

ثم ان كورة وان كانت مساوية لايطاليا في العرض تقريبا الا انها باردة جدا ويقال ان سبب ذلك هو ما بها من الجبال وقال بعضهم ان الجزء الشمالي ينزل فيه الثلج بكثرة بحيث [illegible] طرق تحته للذهاب من بيت الى آخر [illegible]

معادن

الارض خصبة حسنة الزراعة ومن معادن تلك البلاد الذهب والفضة والرصاص والحديد والطوباز والملح المعدني

حيوانات

واما الحيوانات المشهورة بها على ما قاله ريجيس فهي الخنازير الوحشية والدببة وحيوانات السمور (جهة الشمال) وكلاب البحر وثعالب الماء وحيوان الايل وتكثر في انهرها الاسماك ويوجد بها ايضا على ما قاله الخواجه هامل الذي زعم انه اقام بها تسع سنين حيوان القيمان وهو نوع من التمساح يبلغ طول الواحد منه نحو ثلاثين قدما الى اربعين وقد سمع القسيسون المبعوثون الى تلك الجهة أن بها دجاجا طويل الاذناب والظاهر انه نوع من الديوك البرية وبها خيل ارتفاعها ثلاثة اقدام فقط

نباتات

وجبال الشمال مستورة بغابات واسعة لا يخرج منها الا الشعير وعرق الجنسنغ الذي هو عظيم عند الصينيين والاقاليم الجنوبية بهذه الجزيرة كثيرة الارز والذرة وقمح البانيس (الذي يستخرج منه النبيذ) وبها ايضا القنب والدخان والليمون والحرير وثم شجرة شبيهة بالنخل يخرج منها صمغ يكون الطلاء به كالتذهيب في اللمعان

اسما كورة

والاسمان الحقيقيان لجزيرة كورة هما كاولى وهو اسم قديم باق الى الآن ومتداول على الالسن وچاوسين وهو اسم جديد يستعمل في اصطلاحات الدولة ومخاطباتها وكلا هذين الاسمين مأخوذ من اسم الدول التي حكمت هذه البلاد

اقاليم

وهي منقسمة الى ثمانية اقاليم اقليم كنغ كي في الوسط واقليم ينغ انغان واقليم هوانغهاي واقليم چوصين وهذه الثلاثة على البحر الغربي واقليم تسون لو في الجنوب واقليم كينهان واقليم كينغ يوون واقليم هين كنغ على البحر الشرقي وهذه الاقاليم مشتملة على اربعين مصرا عظيمة وثلاثة وثلاثين مدينة من الدرجة الاولى وثمان وخمسين من الدرجة الثانية وسبعين من الدرجة الثالثة

مدن

ومنظر المدن التي في كورة هو كمنظر المدن الصينية وانما بيوتها مبنية بالطين من غير صناعة وليس فيها راحة ومرافق لساكنيها وتجد البيوت في عدة اماكن مبنية على اوتاد او شواخ في الارض تكون كالاساس وبيوت الاكابر ذات منظر اعظم من ذلك ويحدق بها كثير من البساتين الواسعة ومن مدنها كنغ كي تاو في اقليم كنغ كي وهي قاعدة هذا الاقليم ودار اقامة الملك والسور العظيم الذي اقامه اهالي كورة لحماية وطنهم من غارات المنجو تهدم وصار خرابا ثم ان تعدد انكسار المراكب عند جزيرة كلبارت جعلها شهيرة وهي منفصلة في الجنوب من جزيرة كورة

اهالي كورة بنيتهم وصفاتهم

ثم ان اهالي كورة ارباب قدود حسنة الخلقة وسحنتهم لطيفة واخلاقهم مهذبة وهم منذ اعصر في اسر الغرباء فلذلك اعترتهم عيوب الاستعباد فهم الآن منهمكون على الشهوات وكذبهم كثير وهم ارباب جبن ومعتادون على الغش والسرقة حتى ان الصينيين قد يقعون في اشراك غشهم واذا قذفت الرياح الشديدة السفن على ساحلهم اخذوا من بها من المسافرين اسرى وهذه العادة كثيرة عند اغلب الخشنين لخوفهم

والامراض الوبائية تجبر اهالي كورة على انهم ينقلون المرضى الى الخلاء ويتركونهم من غير أحد يتعهد امورهم وهذه عادة جارية عندهم

عوايد

والزواج بين الاقارب محرم عندهم الى الدرجة الرابعة ويزوجون اولادهم في سن سبع سنين او ثمانية وتقيم الزوجة في بيت الزوج ويجوز عندهم تعدد الزوجات ولكن لا يجوز للرجل أن يدخل في بيته الا زوجته الاولى والظاهر أن النساء في كورة كما في الصين يسكن في مساكن خفية لا يراهن احد من الاجانب

واجسام اعيان الناس تختص دون غيرها بعد الموت بأن تحفظ ثلاث سنوات في تابوت قبل أن تدفن ومقابرهم على الجبال ويدفنون بجانب الميت سلاحه وآلاته وجميع ما كان يستعمله في حياته هذا ما جرت به عادتهم

لسان وعلماء وغير ذلك

وقد نقل الصينيون الى كورة فنونهم وعلومهم ولغاتهم وعلماء كورة طائفة مستقلة تمتاز بريشتين معلقتين في قلنسوة الانسان ويمتحنون عدة امتحانات كما في الصين ومعرفتهم مقصورة على آداب كنفوسيوس وهم يستعملون اللسان الصيني وحروفه واما العامة فلغتهم مغايرة جدا لذلك اللسان وهي كلغة المنجو في كونها لها حروف هجاء خاصة ويكتبون بقلم متخذ من شعر الذئب ويطبعون كتبهم بواسطة اشكال وصور من الخشب ولسان اهل كورة معروف

قليلا فلا يمكن تحقيقه واعتباره وهو مشتمل على كلمات من لغة الصينيين وكلمات من لغة المنجو واغلب كلماته لا يظهر انه من احدى اللغتين فهل لغة كورة مجاورة للغة اهل جزائر يسو وكوريلة او ان بجزيرة كورة وجزيرة يابونيا كان لهما لغة متأصلة بين اهلهما امة متأصلة قبل نزول قبائل الصين والمنجو عندهم وجواب ذلك موقوف على من يسافر من السياحين الى تلك الجهات فى المستقبل فيستقصى الاخبار ويتتبع الآثار

دين
ثم ان فلسفة كنفوسيوس وحكمته هنا كما فى الصين هى المذهب المتسلط بين الاكابر والعلماء واما دين عبادة الاوثان المسمى فوهى اوبوضها فله كثير من الاتباع المتمسكين به وقد قال رسل كورة لقسيسى النصارى فى بكين ان البنز وهم حكماء الصين فى كورة مبغوضون عند الاهالى فلذلك اضطروا الان ينبوا هيا كل خارج اسوار المدينة

طوائف عباد
وثم طوائف عبادا وجمعيات دينية اهلها يعيشون معيشة قاسية ويتجلدون فى تلك البلاد على مكابدة انواع العذاب ويتمسكون باموراالديانات والاحتفال لها ولا يجنون من ذلك ثمرة الا الاحتقار من جميع الناس فمن هؤلاء المترهبين من يقتضى مذهبه أن يكون محلوق الرأس وأن لا يأكل اللحم وأن يجتنب النساء بالكلية

صنائع
تجارة
واهالى كورة يصنعون من القطن ورقا ابيض صلبا ويصطنعون المراوح والورق المصبوغ الملون ويشتغلون قماش الكتان الرفيع وباقى فروع اكتساباتهم غير معروف ويشترى منهم الصينيون هذه البضائع ويعطونهم بدلها الشاى والحرير واهالى كورة يتجرون ايضا بعض تجارات مع اليابونية فتأتى بضائع اليابونية فى مدينة بوشان وقال بعضهم فى مدينة كين شان وهى الفلفل والاخشاب الطيبة الرائحة والشب وقرون الجواميس ويعطيهم اهل كورة بدلها الرصاص والقطن والحرير الخام وعرق الجنسنغ والاعوضوهم عنها سبائك فضة صغيرة لان نقودهم ليست الا من النحاس خاصة

سياسة
ثم ان كورة كانت منقسمة الى عدة ولايات صغيرة فاستولى عليها اخلاط اهل الصين وادخلوا فيها التحضر والتمدن وكان رئيسهم اميرا يسمى كتسة فوضع هذا الفاتح العاقل احكاما وقوانين حسنة فصاروا سعداء وصارت ايامهم سعيدة غير أن هذا العصر السعيد كان قبل الميلاد باكثر من الف سنة والظاهر أن اليابونية والمنجو والصينيين استولوا على كورة بالتعاقب ولكن لم يمكث فيها الا الصينيون ثم ان ملوك كورة صاروا كغيرهم من العمال الذين يدفعون الميرى لمملكة الصين فهم الى الآن يبعثون الى مدينة بكين ميريا سنويا ويبعثون رسلا من طرفهم لملك الصين فيتلقاهم بدون امتياز ولا اعتناء ومع ذلك فملك كورة فى محله ظالم مطلق التصرف وله ديوان كثير الناس وسراية مستكملة الادوات واللوازم وهى التى تكسب كرسيه زيادة الرونق والبهجة وجميع اهل البلاد يلزمهم أن يشتغلوا للملك مدة ثلاثة اشهر وله ايراد عظيم من التزاماته ويضيف الى هذا الايراد ما يأتيه من العشر الملوكى الذى يؤخذ من جنس اصناف التولدات والمحصولات فيكون العشر من جنس نصابه والظاهر من اخبار الخواجة هامل أن جميع اشراف تلك البلاد يحكمون على ارضهم الالتزامية مع غاية الظلم والاجحاف وهم الذين يختصون دون غيرهم بمزية تبليط بيوتهم بالطوب الاحمر والرعايا مكلفون بأن يقيموا تحت السقوف المتخذة من القش والعيدان ولا يبلطون سقوفهم اصلا

قوة عسكرية
وعساكرهم وان كانت كثيرة جدا لكن لا تخشى سطوتها مثل الافرنج وذلك لان سلاحها هو البندق الردئ والقسى والسباط واما سفنهم الحربية فهى اعظم من سفن الصين والظاهر أنها تقليد للغلايين البورتغالية وهى مطقمة بالمدافع والحراقات والقلاع التى على اعالى الجبال محافظوها رهبان شجعان فهم اهل الثغور والرباطات وكلام بعض المتأخرين من ارباب الاسفار يقتضى أن اليابونية لهم التزام وولاية على جزء من كورة ولكن الخواجة كروسنسترن يظن أن قيصر يابونيا ليس له جهة كورة الا جزيرة انسوسيما الواقعة فى بوغاز كورة

وهذا جدول اجمالى يتضمن بيان امم شمال آسيا ووسطها وشرقها وهذه الامم كلها تسمى باسم التتار على ماتداولته الالسن

ا جنس التتار

ا اتراك او تتار جنوبية

١ اتراك تركستان
٢ التركمان على شرق بحر الخزر ببلاد العجم وارمينية وآسيا الصغرى
٣ الاوزبك فى اقليم خيوا وبخارى الكبرى
٤ اهل بخارى فى مدائن بخارى الكبرى والصغرى والظاهر أنهم متولدون من اختلاط العجم وقدماء السيرية والتتار
٥ القرمان او اتراك قرمانيا القادمون من تركستان
٦ العثمانية او اتراك اناطولى واسلامبول وغيرهما وهم ايضا قادمون من تركستان

ب تتار شمالية

٧ تتار نوغاييس فى بلاد القرم وكوبان وبيسربى ويقال لهم منكات وبينهم وبين المغول اختلاط ولحمة نسب
ا) بودزياك فى بيسربى
ب) يدسان فى بلاد القرم وعلى نهر كوبان
ج) ينبوالوك على كوبان
د) كوبنيان كذلك
ه) كوموك فى جبل قوقازة الشرقى
و) بازيان فى اعلى قوقازة وغيره
انظر المقالة السابعة والاربعين
٨ كومانيان وهم قادمون من سواحل كوما بسفح قوقازة واقامتهم فى كومانيا الكبرى والصغرى ببلاد المجار
٩ تتار كپچاك وكانت خانة كپچاك تشتمل على قازان واورنبورغ واصطراخان وهم على اقسام
ا) تتار قازان ولغتهم فصيحة جيدة وهم اعظم التتار تمدنا
ب) تتار أوفا واورنبورغ
ج) البشكير وكان بينهم وبين قدماء البلغار والفينية مواصلة واختلاط وهم مقيمون فى ولاية اورنبورغ
د) مكيجرياك وهم كالذين قبلهم
ه) قراقلپك وهم فى شمال بحيرة ارال
١٠ الغرغيز او غرغيز كيزاك وهم مقيمون فى سهولهم بتركستان فى بلاد خيوا وغيرها
١١ التتار السيبرية وهم بقايا التتار اهالى خانة سيبير اوتورا
ا) التورالنز وهم على نهر تورا
ب) تتار تبولسك
ج) تتار تارا
د) تتار تومسك
ه) البربنتيزية وهم فى سهل بربا

ج التتار الذين لهم بالمغول مزيد التئام واتحاد وا كيد ارتباط واختلاط

١٢ تتار كراسنوارسك وكوتزنيسك وامة السويتة (انظر تخطيط سبير فى المقالة التاسعة والاربعين)
١٣ الكاجنزية كذلك

بقية التتار المذكورين

١٤ تتار چوليم على نهر چوليم
١٥ امة التليوتة او القلموق البيض والابنزية والبلتيرية والبيريوسية وهم على اعلى ينسية
... اليقاقوتية وهم على نهر لينا

... جنس المغول

ا المغولة
الكلكاس وهم بشمال صحراء كوبى
الاورنوش بشمال السد الاكبر
... اتومت بالشمال الشرقى من بكين
النيمان كذلك
الكورچين كذلك جهة اتسيپاقار ببلاد المنجورية
الجهارية على مائة وثمان وثلاثين ورستة فاكثر الى خمسمائة واربع وثلاثين من شمال بكين
الكرلوزة على الف ومائة وثمان وثلاثين ورستة كذلك
الصنيوت وغيرهم

ب القلموق اودربن اورت (ايلوثة)
١ الكوسوت وهم حوالى بحيرة هوهونور وفى بلاد التبت وكذلك السيفان الصينية وهم قسمان
ا) السيفان الصفر
ب) السيفان السود
٢ السنجارية ويقال لهم ايلوثة وهذا الاسم مقصور عليهم
٣ الدربيتة وقد انضموا الى السنجارية والتورغوت
٤ التورغوت وكانوا لا يهاجرون الامن بلاد القلموق الى الروسيا وبالعكس
تنبيه * لامانع من أن بلاد القلموق فيها قبائل اخرى من بقايا امة الويغور فى اقليمى آمل وطرفورت وغيرهما

ج البوريتة وهم حوالى بحيرة بيكال

ج جنس المنجو او التنغوزة

ا المنجو الحقيقية
١ أنيوتجه او منجو تنغوتا (البغدواچى وهم قدماء اصول الروسية)
ا) اپارى
ب) الموهو وغيرهم
٢ الميائو او الخيتانية وهم ملة قديمة من لياوتونغ
٣ الداؤرية او التاغورية
ا) السلون وهم حوالى جبل سيولكى
ب) هومارى على نهر امور المسمى ايضا سغالين قبل اجتماعه بنهر سنجارى اولا
٤ الدوچيرى على نهر امور فوق امة هومارى ثم نقلتهم دولة الصين الى داخل المملكة
٥ المنجو بيشور اى الصيادون ويقال لهم يوبيتس الصينية
ا) النتكى او فياتا
ب) الغليكى او كيچنغ (واصلهم غير محقق)
ج) الاوروچى وهم حوالى جون قسترية

بقية المنجو المذكورين
- د البيجي وهم متوغلون جهة الجنوب
- ه المنجو المقيمون بشمال جزيرة سغالين

ب تنغوزة او اوونس
- ١ تنغوزة شسور اى [illegible] الصيد والقنص وهم جهة الشمال على انهار تونغوسكا
- ٢ تنغوزة بستور اى رعاة حيوان الرنة وهم جهة الجنوب حوالى بحيرة بيكال وغيرها
- ٣ تنغوزة بيشور اى الصيادون ويقال لهم لاموتة وهم جهة الشرق

تنبيه * هذه الاقسام مجهولة ولا يعرف منها الاسبع لغات او ثمان معرفة هينة والصينيون يسمون التنغوزة شيغوية وسولون كما أن الايوكاجير يسمونهم ايريغى وهم اى التنغوزة يسمون انفسهم آووس ودونكى

د جنس السمويدية

١ السمويد الحقيقية وهم من بيچوريا باوروبا الى ماوراء نهر ينسية
- ١ بيچوريان او انغوريان وهم على الشرق من بيچوريا
- ٢ اوبدريان او أوبيودير على نهر اوبى
- ٣ تيهيبودير كذلك
- ٤ غاريزى على بوغاز ويغاتز
- ٥ تاسرويسكى (اسم روسى) وعلى نهر تاس
- ٦ ايوراك على الشرق ممن قبلهم
- ٧ توروخنسكوا (اسم روسى) جهة مصب نهر ينسية

ب اوستياك ناريم وتومسك

ج اقوام اعلى ينسية
- ١ كماجنزية وهم على نهر كام
- ٢ تراغام وتيجنزة على نهر تازووا
- ٣ توبنسكى على نهر توبا متفرقين فى اماكن مختلفة
- ٤ كوابال فيما حوالى كرتزنسك وكراسنوارسك
- ٥ ماتور ويقال لهم مادور على نهر توبا
- ٦ السويتة فى جبال سيانية

تنبيه * الظاهر أن هؤلاء الاقوام هم اصل السمويد الحقيقى

ه جنس الفينية او الجنس الذى بينه و بين الفينية التئام واختلاط
- ا ووغول
- ب برمياك
- ج اوستياك اوبى وغيرها

انظر جدول الامم الفينية فى الجزء الخامس المتعلق بتخطيط اوروبا

و اجناس شرقية لا تعرف الا قليلا

ا اوستياك ينسية
- ١ اوستياك بيوكول
- ٢ آرنزة وهم فى خط كراسنوارسك
- ٣ كوتوزة على نهر قان او خان
- ٤ آزانة وهم على نهر أوسولكا متفرقين فى اماكن مختلفة

ب الايوكاجير وهم على مصب نهر لينا ويسمون انفسهم اودون دومنى ويسميهم الكورياك ايادل

ج چوكچه او چوكوچه
- ١ چوكوچى وهم جهة الشرق
- ٢ شيلاچى جهة الشمال
- ٣ جزائرلية اشو شالات وغيرهم

د كورياك

١ چانجو وهم على خليج پنينا
٢ التموهوتو وهم رحالة نزالة
٣ الايلوتيتات او الاولوترزى وهم على نهر اولوتورا

ﻫ [illegible]بدال ويسمون [illegible] ايتلمن

ز الكوريليان ويسمون [illegible] اينو ويسميهم مؤرخو ياپونيا موصين وهم اهالى جزائر كوريلة الكبرى والسو[illegible] جزيرة سغالين (انظر المقالة الثانية والستين)

ح اهل كورة وغيرهم

(المقالة الثانية والستون)

في تخطيط آسيا

ذكر يابونيا مع جزائر يسو وكوريلة وليوكيو وذكر ابحاث ومجادلات تتعلق بجزيرة يسو

بحر يابونيا

وعلى شرق المنجورية تمتد حوضة بحر يابونيا الذى طرفه الشمالي تجاه المواجهة لابيروزة بوغاز التتار وهي تسمية خالية عن المناسبة وهذا البحر المظلم الكثير الضباب والرياح العاصفة يكتنفه سواحل وعرة خالية عن الانهر الكبيرة ويتصل من جهة الشمال ببحر اوختسك بواسطة بوغازين ابعدهما جنوبا من مصاب نهر امور يفصل البر من جزيرة سغالين وهو مملوء بالرمال والقصب الفارسي بحيث لايمكن أن يدخل فيه قارب فضلا عن سفينة وبوغاز لابيروزة المسمى سابقا بوغاز تسوءى مشتمل شرقا على مجاز يوصل الى بحر يسو وهو جزء من بحر اوختسك وبوغاز سنجارية تدخل منه امواج البحر المحيط الاكبر الشرقي وفي جهة الجنوب ينفتح بوغاز كورة على بحار الصين وثم سلسلة جزائر عظيمة كالحاجز تفصل البحر المتوسط اليابوني من البحر المحيط الاكبر وطولها نحو سمتائة فرسخ وتتصل بجزائر كوريلة من جهة الشمال الشرقي وبجزائر ليوكيو من جهة الجنوب واليابونية يسكنون احسنها

ابحاث جدلية تتعلق بارض يسو

ولكن في شمال المملكة اليابونية جزيرتان عظيمتان يتكون عنهما مع عدة جزائر صغيرة ارخبيل مستقل اى مجمع جزائر منعزل على حدته وفي هذا المحل كان ارباب الجغرافية الجدلية يرسمون ارضا شهيرة تسمى يسو وكانوا يظنون اولا أن هذه الارض المذكورة في الاخبار المتعلقة بجزيرة يابونيا ارض قارة اوجزيرة عظيمة بين آسيا وامريقة ثم جعلوها متصلة بارض قمجتقا يعنى أنهم قالوا ان ارض يسو تجتمع بما كانوا يسمونه في ذلك الوقت بلاد التتار الروسية لان قمجتقا لم تعرف الا في سنة ١٦٩٦ من الميلاد واسفار موريس الفلمنكي الذى كانوا يسمونه على سبيل الخطا باسم اوريس وكان قبودان سفينة تسمى القصطر يقوم هي اول مابين هذا القسم من اقسام الارض فعرفوا على وجه التحقيق أن هذه الاراضي منفصلة عن آسيا جهة الشمال الشرقي كما أنها منفصلة من يابونيا جهة الجنوب ولكن بقيت ثلاثة امور مجهولة لاتعرف حق المعرفة وذلك أن تسلسل الارض التي رآها وريس كان جزيرة محدودة طاهرة وكانت تسمى جزيرة الولايات ولكن في جهة الشرق ارض الشركة كانت متسعة ومبهمة وبعض الاسفار التي لايعتمد عليها لاسيما اسفار جوان دغاما او حنادغاما تدل على ان هذه الارض التي هي ارض الشركة تمتد الى امريقة وايضا لما سارت سفينة قصطريقوم بجانب السواحل الشرقية والشمالية الشرقية من جزيرة متسوماى التي هي ارض يسو دفعتها التيارات عن بوغاز تسوءى والضباب اخفى البحر عن ابصار ركابها فوصلت الى الساحل الجنوبي والشرقي من جزيرة سغالين ظنا أنها تسير على ساحل ارض يسو فلهذا كان لامانع من كون بعض الجغرافيين ظن أن جميع هذه السواحل عوضا عن أن تكون جزيرتين ليست الا بجزيرة واحدة متصلة بارض التتار الصيني وقصارى الامر أن جرنال السفينة الفلمنكية المسماة برسكة لم يطلع عليه احد فلذا كان لايدرى هل هؤلاء السياحون حددوا بوغاز سنجارية كما هو معروف الآن اولا ولما كان الطرف الشمالي من يابونيا مجعولا على درجتين اوثلاث درجات في البعد الجنوبي زيادة عما يستحقه تولد من هذا فراغ عظيم بين ارض يابونيا وارض يسو مع أنه لايلزم أن يكون بينهما على ماتقتضيه الخرطات اليابونية الا فرع من البحر ضيق جدا وفي نحو هذا الزمن عرفوا باخبار القسوس الصينيين عدة تفاصيل في شأن جزيرة سغالين وفي شأن وجود بوغاز يسمى تسوءى وقد رأى القسيس دبزنجه هذا البوغاز ووصف تياراته واخبره بعض الناس أن الارض التي في الجهة الثانية وهي جزيرة سغالين كانت تسمى اينومكسورى وقد وقفوا الآن على معنى هذا الاسم وهو جزيرة الاينوس وهم امم يسو وكوريلة وغيرها وكانوا في سنة ١٦٢٠ من الميلاد لايعلمون له معنى ولايفهمون له مدركا في الجغرافيا ولما جمع الجغرافيون بين هذه الاصول الناقصة لم يستنتجوا منها الا خلاصات غير موافقة مع تبحرهم وكثرة علمهم في هذا الشان فقد جرب دنويل مرتين أن يرسم هذه الاراضي فكان رسمه الاخير غير مطابق للحقيقة وليس هذا بعجيب فانه مما جرت به العادة في الجغرافية الجدلية وذلك أن هذا الجغرافي جعل بوغاز تسوءى في محله الحقيقي ولم يخطئ في ذلك لكن جمع جنوب جزيرة سغالين المسماة اينومكسورى بقارة المنجورية التي كانت تسمى في ذلك الوقت بالتتار الصينية ورسم هذه الجزيرة بعينها في ابعاد صغيرة تجاه مصب نهر امور

اسفار سفينة قصطريقوم وسفينة برسكة

خطا في بوغاز سنجارية

استكشاف بوغاز تسوءى

مذهب دنويل

ولما شاهد الروسية جزائر كوريلة المجاورة لقمجتقا التي تحت حكمهم انتهى امرهم أن وصلوا الى يسو

وذلك أن خوزروسكى القوزاقى وصل سنة ١٧١٣ من الميلاد الى جزيرة كوناشير وكانت فى ذلك الوقت بجوا

سفر اسپنجنبرغ وغيره

من سواحل يسو على رأى الفلمنكية وفى سنة ١٧٣٦ ميلادية كان فى خدمة الروسية شخص يسمى اسپنجنبرغ الدانيمرقى فبحث عن جزائر أروپ التى هى ارض الشركة وعن أتركو التى هى جزيرة الولايات وعن كوناشير وجيخوتن وعن متسوماى وهى يسو ووصل الى يابونيا ولم يكن له سفينة ولا آلات صالحة لاعانة معارفه وشجاعته فامتحن هذه الجزائر المتقدمة واختبرها وفى سنة ١٧٧٧ من الميلاد طاف بوتوشكو الروسى جزائر اتركو وأروپ من الجهة الغربية ولكن هذه الاشياء المستكشفة جعلت فى الجنوب بزيادة عما تستحقه فى الواقع لانهم انما نظروا الى مذاهب الجغرافيين بالنسبة لما يتعلق بوضع سنجارية ثم ان الخواجة لسپس اختصر كتب هذه الاستكشافات الموجودة فى دفاتر الموسقوبية فألف فى ذلك رسالتين غير صحيحتين حيث ضلت بهما الجغرافيا الجدلية فى اودية الشكوك والتخمينات الباطلة

سفر لاپيروزة

ثم ان لاپيروزة سيء الحظ شرع فى هذا الاستكشاف من طريق حقيقية صحيحة فدخل من جهة بحر يابونيا فوجد الخليج الذى يفصل بلاد المنجو من اراضى يسو ووصل الى بوغاز كثير الرمال يفصل هذه الاراضى من الارض القارة واجتاز بوغاز آخر يسمى بوغاز لاپيروزة فحصل بذلك للعلوم الجغرافية اخبارا جديدة فيما يتعلق

سفر بروغطون

بهذا الارخبيل ثم ان بروغطون اثبت منذ قليل صحة الخرطات الفلمنكية وخرطات قنفر بالنسبة لما يتعلق ببوغاز سنجارية المسمى بوغاز متسوماى فله المنة على الجغرافيين حيث عرفهم بواسطة تفتيشاته الساحل الشمالى من يابونيا وتحققوا سعته ودرجة عرضه غير أن بروغطون افادهم موادا جديدة تحتاج للمجادلة والمباحثة حيث اثبت أن البوغاز الذى بين بلاد المنجو وجزيرة سغالين لا وجود له

المباحثة فى وجود بوغاز سغالين

ولما التجأ لاپيروزة بسبب الرياح وغيرها الى ترك البوغاز من غير أن يتبصره بتمامه سأل مع غاية التدقيق اهالى الجزيرة واهالى الارض القارة فاخبره اهل الجزيرة المتأصلون بها أن ارضهم يحيط بها الماء ورسموا له البوغازات التى تفصلها من الارض القارة يعنى البر الاصلى واخبره اهل الارض القارة أن القوارب حين مجيئها من مصب سغالين لتذهب الى جون قاسترية تجر من فوق لسان ضيق من الارض الرملية المستورة بحشائش بحرية وقد رأى هذا السياح البحرى أن عمق الماء ينقص نقصا بينا غير تدريجى جهة طرف الخليج ولا يشعر احد فيه بتيار فالظاهر أن هذا السياح اعتمد من هذا كله أن البوغاز له وجود الا انه مشحون بالرمال وغيرها وليس مفتوحا منه الا مجاز ضيق لا يمكن دخوله الا للقوارب الصغيرة واما بروغطون فانه زاد على ذلك حيث قال انى لما بعدت بثمانية فراسخ جهة الشمال زيادة عن لاپيروزة وصلت الى جون ليس فيه الا باعان من الماء وهو مسدود من جميع النواحى باراضى منخفضة رملية وايقن أن هذا اللسان الارضى الذى اطلع عليه اهل قوارب ليس مقطوعا وأن ارض سغالين انما هى

دليل الخواجة كروسنسترن

بجيجزيرة وقد حاول الخواجة كروسنسترن الذى لم يقرب من هذا البوغاز ولكنه شاهد البوغاز الذى فى مصب نهر سغالين أن يعضد رأى بروغطون بادلة مبسوطة فاستنبط مما وجده فى الجون المصنوع من هذا النهر من المياه التى تكاد تكون عذبة ادلة مبسوطة ظهر لاصحابه انها قطعية وذلك انه لو كان هذا الجون المسمى جون سغالين يتصل بالخليج المسمى بوغاز التتار ولو اتصالا هينا لكانت المياه المالحة من هذا الخليج الذى هو فرع من البحر تختلط بمياه جون سغالين وقد تعضد الخواجة المذكور بشهادة اهل جون قاسترية التى ذكرها لاپيروزة وبما قاله بروغطون وانهى كلامه بقوله لا شك فى وجود برزخ كثير الرمال يجعل جزيرة سغالين متصلة بالارض فتكون بجيجزيرة ولكنه جوّز أن هذا الضيق متأخر وأن جزيرة سغالين استحقت هذا الاسم وقت رسم الخرطات الجديدة اليابونية والصينية فان جميع هذه الخرطات تجعلها منفصلة عن الارض القارة

رد الادلة السابقة

ومن سوء الحظ أن هنالك امورا بحرية وسياسية منعت الخواجة كروسنسترن أن يذهب الى المحل نفسه ليثبت وجود هذا البرزخ وقد ظهر لنا أن ادلته السابقة مردودة فان علة عدم دخول المياه المالحة من بوغاز التتار الى خليج سغالين انما هى كثرة ازورار الشط وانعطافه ووجود جزائر صغيرة ورمال متراكمة ونحو ثلاث بوغازات ضيقة مملوءة بالقصب الفارسى الذى ينبت وينمو على جميع هذا الساحل المشحون ايضا بالمروج السابحة على وجه الماء المزروعة بالحشائش البحرية فاذا كان فى غرب هذا البوغاز المسدود لسان ارض منخفضة مقطوعة بنهرين صغيرين كما انه يوجد نهر آخر صغير فى شمال مصب سغالين فى المحل المسمى عند الروسية جيليزكا بيرولوكا وعند الصينيين غولة فالاوفق بالطبع أن اهل هذا الساحل البرى اى المنسوب للارض القارة يمكن أن يجذبوا فى بعض الاحيان قواربهم الصغيرة الى ماوراء هذا اللسان ليجتنبوا ركوب البحر الصعب بالنسبة لهذا البوغاز كما كان يفعله القوزاق فى القرن السابع عشر

من الميلاد فانهم لما نزلوا سغالين وارادوا أن يذهبوا الى ادسكوا اختاروا أن ينقلوا قواربهم ويمروا بها على لسان ارض جيلزكيا وآثروا ذلك على الطواف حول الرأس الذى سماه كروسنسترن فى كتابه رأس رومبرغ فعلى هذا الفرض الذى تؤيده التفاصيل المرسومة على خرطة دنويل العجيبة يظهر أن بروغطون قد اخطأ حيث ظن أن الجون الصغير الذى بجانب هذا البوغاز هو نفس هذا البوغاز وأيضا اذا كان هذا البحرى صادف برزخا من الرمل ولو فرضنا أنه متسع اتساعا عظيما فلأى شئ لم يشاهد من اعلى صوارى سفينته البحر الذى يتصل بالجهة المقابلة

فهذه هى الاسباب التى احوجت جميع الجغرافيين الراغبين فى معرفة الحقيقة أن يبقوا البوغاز على ماهو عليه فى كلام دنويل والقسوس والخرطات الصينية واليابونية الدالة على وجوده بين جزيرة سغالين وبلاد المنجورية حتى يتيسر لهم ما يكشف الغطاء عن هذا المقام ويزيل عن هذه المسئلة اللبس والابهام

نتيجة

ثم ان الخواجة كروسنسترن الذى بحثنا فى مذهبه بالنسبة لما يتعلق بتلك المسئلة عرف مع غاية التدقيق السواحل الغربية من جزيرة يسو والسواحل الجنوبية الشرقية والشمالية من جزيرة سغالين فكانت رحلته ورحلة لابيروزة ورحلة بروغطون هى التى جعلت مادة عامة يستمد منها جميع الفوائد المحققة فيما يتعلق بهذا الارخبيل ولكن الخواجة تطسنغ الفلكى الذى اقام فى يابونيا زمنا طويلا افادنا فوائد يؤخذ منها تفاصيل عظيمة توضح لنا جغرافية هذه الاقاليم وتاريخها حيث الف فى ذلك تخطيطين لبلاد يابونيا فلنقتبس منهما ما يلزم ذكره فى هذه البلاد مبتدئين بالساحل الشمالى من يابونيا فنقول

كتب تطسنغ التى بخط اليد

ان جزيرة متسوماى واقعة فى شمال جزيرة نيفون وتسمى فى لغة اليابونية يسو يعنى الشط وتسمى عندهم ايضا موسين يعنى الاجسام المستورة باللحا وذلك لان امة الموسين كانت سابقا تسكن الاجزاء الشمالية من يابونيا الى جبل اوياما ثم طردت على التدريج الى جزيرتها الاصلية فتغلب عليهم فيها غيرهم من الغرباء عدة مرات ولم يحفظوا حريتهم واستقلالهم الا فى الجزء الجنوبى من جزيرة سغالين وكلام كروسنسترن يقتضى أن هذه الامة تسمى نفسها اينوس وهى ذات قامات قليلة الطول واجسامهم اشد من اجسام اليابونية وهم سود اللحا الكثة حتى ان لحاهم تستر وجوههم وذلك أن لحية الرجل منهم تختلط بشعر من شعر رأسه اسود به يسير من التجعيد وهم جميعا ذكورا واناثا يرسمون على شفاههم بالوشم عدة صور مختلفة من صور الازهار والحيوانات وملابس اغنيائهم اقمشة يابونيا والصين واما آحادهم فيلبسون اقمشة متخذة من خيط يستخرج من قشر نوع من شجر الصفصاف واولادهم يتعلمون فى سن العشر الغوص فى البحر والوثب على حبل مشدود والاينوس يحسنون هاتين الرياضتين فنهم من يثب ارتفاع ستة اقدام او سبعة وهم يتبعون حيوانات الايل فى الجرى واعظم سلاحهم القسى والسهام فتجد الفرق الصغيرة من اليابونية تغلب الوفا من الاينوس ثم ان مشايخ القرى الذين مشيختهم متوارثة من اب عن جد يعترفون بأنهم خراجيون للامير اليابونى المقيم فى جزيرة متسوماى ويدفعون له الميرى من جلود ثعالب الماء وكلاب البحر والدب والايلان والقسطور وسمك الصومون المسمى سمك سليمان والبازى وغير ذلك مما يخرج فى ارضهم وهم يعيشون مع بعضهم من غير شرائع ولا عبادة ولا يعرف لهم من الامور الديانية الا اراقة اشربة واضرام نيران لتشريف صنم يسمونه كواى وهو معبود اليابونية وليس عندهم حروف هجاء ولا سكة ولا نقود والتجارة عندهم تكون بالمبادلة والمقايضة فيذهبون الى جزيرة من جزائر كوريلة ويحطون بها بضائعهم ويرجعون الى سفنهم فينزل الكوريلية الى هذه البضائع فينظرونها ويثمنونها ويضعون بضائعهم بجانبها وبعد هذه المبايعة السكوتية يحصل القبض والتسليم وتعدد الزوجات عند اهل هذه الجزائر مباح والزناء يعاقب فاعله اذا زنى بمتزوجة مالم يأخذ ممن راودته عن نفسها قرطها للرهن فانه بهذا الرهن يصير فى امن من زوجها الذى خانته فى فراشه والاخوة يتزوجون اخواتهم وقبائلهم كالعشائر التى يندر اجتماع بعضها ببعض والحزن على الاموات عندهم هو عبارة عن قتال مصطنع بين الاقارب وهو وان كان ظاهريا الا انه فى الغالب يقع فيه الجرح واراقة الدم فهذه هى النوادر الصحيحة الغريبة التى ذكرها مؤلفا اليابونية فى اوصاف اهالى يسو والملاحون من اهل اوروبا لم يزيدوا شيأ محققا بالنسبة لهذه الاوصاف وقد زعم بروغطون أن هذه الامم كثيرة الشعر جدا فى جميع ابدانها * قال كروسنسترن وهذا من باب المبالغات كما يشهد له ارباب الاسفار من الفلمنك والذى يظهر لى أن الاخبار اليابونية صحيحة ثابتة انتهى

جزيرة متسوماى المسماة يسو الحقية

امة الموسين المسما اينوس

الوشم

ملابس

رياضة

دين

تجارة سكوتية

قتال الحزن

والظاهر أن لسان الاينوس مباين للسان اليابونية والمنجو واهالى تجتقا وذلك انه قوبلت عدة كلمات

لغة



منتخبة بكلمات نظيرها بمعناها فى عدة السن من السن اهالى آسيا والاقيانوسية فلم تفد شيأ يدل على أن اهل هذه الجزائر بينهم وبين احد من اهالى آسيا او الجزائر الاقيانوسية قرابة والظاهر أننا لو دققنا فى هذه المادة لاحوجنا ذلك الى مواد لا يسعنا تحصيلها وهذا اللسان وان كان اقل ترنما ولينا من لسان اليابونية الا انه لا يبلغ فى الخشونة واليبس ما فى لسان غيرهم من الامم الوحشية المتبربرة

تخطيط طبيعي بجزيرة يسو

وجزيرة يسو بها من جميع الجهات جبال مرتفعة مستورة بخضرة عظيمة حيث يكثر بها شجر التنوب والخلاف وغير ذلك من الاشجار وتنجح بها حشيشة دوسة الحمار المسماة حشيشة السعال والزنبق وهذا يدل على برودة الاقليم ورطوبته وبها كثير من النباتات ذات الشعشاع فتجد القصب الفارسى يعظم فيها طولا وضخامة كما فى مصب سغالين ومن انواع الزراعات التى زرعها اليابونية للتجربة ونجحت بارضهم الذرة والحمص والفول وحيوانات الجزيرة هى العقاب وثلاثة اصناف من اصناف البازى والادباب والايل ومن عادة اهل هذه الجزيرة انهم يأخذون الدب

للدب الاهلى

فى حال صغره فترضعه المرأة من نسائهم ثديها وتربيه كالكلب او الخنزير المؤلف حتى اذا كبر جعلوه فى قفص ومع اعتنائهم بتربيته يقتلونه اذا سمن فتبكى العائلة لفقده على رؤس الاشهاد لكنها تأكل لحمه وهذه العادة كعادة الاوستياك ثم ان الثعالب البحرية والكلاب البحرية والبقر البحرى كلها مذكورة فى كتابى يسوكى باسماء مختلفة وحوت يونس المسمى البالينه يصطاد فى الاجوان ومصاب الانهر كثيرا من سمك النيسنغ وهو نوع من السردين * وسمك الصومون يكثر ايضا بحيث يمكن اخذه باليد وحيوان السنغسو البحرى وهو دود العلق الذى يمص الدم يبحث عنه اليابونية ويشترونه والغذاء المعتاد عند اهل تلك النواحى هو الطحلب البحرى وغيره من انواع الفوقوس

مدن واماكن مشهورة

ومدينة متسوماى اى مدينة البوغاز مبنية على الطرف الجنوبى من الجزيرة وهى حصن يابونى لا يمكن الدنو منه من جهة البر وغيرها من المحال الحربية يمتد من جهة الغرب الى الطرف الشمالى فاذا سرنا بمحاذاة الساحل الغربى وجدنا جزائر اوزيما وكوزيما واوكوزيرى وريوزيرى والاخيرة مشتملة على جبل لنغل الذى ذكره لابيروزة

عدة جزائر مختلفة

ثم جزيرة ريفونسيرى والجون الكبير الذى يدخل فى الارض يسمى عند الروسية استروغونوف . وآخر مدينة فى الشمال هى نتجياب وسماها كروسنسترن تترنبو واما سوايا فهى واقعة على جون متوغل جهة الشرق وعلى ساحل الشمال الغربى امم الاينوس وهم وان كانوا رعايا اليابونية الا انهم ساكنون وحدهم فى هذا الساحل وقريتهم العظيمة تسمى اتكيس وهى واقعة على ساحل الشمال الشرقى ثم ان ضابطا من ضباط الروسية يقال له لكسامان شاهد فى سنة ١٧٩٢ من الميلاد مينا كموررو التابعة لقرية اتكيس ولا نعرف هذا الاسم وهو اتكيس فى نحو مائتى اسم من الاعلام المذكورة فى نسخ الخواجة تطسنغ المنسوخة باليد وانما عبر عنها باسم اتسكيسى وثم خليج لا اسم له يفصل جزيرة يسو من جزيرة شيخوتن التى هى احدى جزائر كوريلة وهى التى يدعى ملكيتها اليابونية وقد طاف الفلمنك وبروغطون الساحل الجنوبى الشرقى فوجدوا ارضه مستورة بالغابات العظيمة * والجون المسمى بلكانوباى يعنى جون البركان هو ذو حوضة مستديرة

جون البركان

لطيفة الشكل وكل هذا يحمل الانسان على توهم وجود بركان بهذه الجهة شغال مستمر الحركة ولكن لا دليل على ذلك

ثم ان اليابونية يقسمون الجزيرة الى خمس دوائر ولكن لا يعلم الى الآن حد كل واحدة منها على حدته

جزيرة سغالين المسماة ايضا اوخويسو

ففى شمال جزيرة متسوماى تمتد بالاستطالة جزيرة سغالين التى يسميها اليابونية اوخويسو يعنى يسو العليا ويقال لها كيتايسو يعنى يسو الشمالية او يسوخطاى اى الصينية واما الاينوس فانهم كما قال جغرافيو اليابونية يسمونها كرافو وهذا الاسم يضاف اليه فى لغة اليابونية لفظ سما الذى معناه جزيرة وكلام كروسنسترن يقتضى أن اهلها يسمونها سلدان وقال لابيروزة انهم يسمونها چوكا والظاهر أن هذا الاسم الاخير انما هو اسم قرية اصلية من قراها مكتوب على خرطة دنويل بلفظ چوشين والظاهر أن هذين الاسمين هما ايضا اسما محال مشهورة بها عند اهلها

اسماء مختلفة

اوصاف الاهالى

وقد اطلع لابيروزة على الساحل الغربى وخطط آداب اهله تخطيطا عظيما وذكر اخلاقهم واوصافهم فقال ان عقول هؤلاء الفقراء الجزائرية تقاوم صعوبة اقليمهم التحمل الذى لا يخرج به شئ وهم صيادون برا وبحرا ويشمرون شفاههم بانواع الوشم ويشتغلون القشة من قشر الصفصاف فهم مثل امة الموسين الذين هم اينوس يسو ولغتهم بها بعض كلمات جرمانية ومنجورية وجزيرتهم عالية جدا من وسطها ومسطوحة من جهة اطرافها الجنوبية التى يظهر أن ارضها مناسبة للزراعة والنبات فى اشد الانبات جدا وغاباتها مشحونة باشجار الصنوبر والصفصاف والبلوط والبتولا والبحر

المذى يتصل بسواحلها كثير الاسماك وانهرها وجداولها كثيرة الصوموں وصنف آخر منقوش جيد الصفة وبتلالها اشجار الورد والحشيشة المسماة انجاليكية اى حشيشة الملائكة وزنبق البصل

امور محلية غريبة

وقد اطلع كروسنسترن على جون انيوا الذى هو الطرف الجنوبى بتلك الجزيرة وكان لليابونية على هذا الجون بلد فهدمها الروسية ويغلب على الظن أن اليابونية يبعثون الى هذا الجون نزلة من قبائلهم ليستوطنوا به وجميع الساحل الشرقى الذى اطلع عليه كروسنسترن وجد به اودية كثيرة الاشجار خلفها جبال مغمورة بالثلوج شامخة يظهر انها تناطح السحاب وعلى احدى وخمسين درجة تنخفض الارض فلا تجد الا رمالا وتلالا من الرمل وامة الاينوس تسكن جهة الجنوب واما الساحل الشرقى فيظهر انه قفر لا عمارة به وانما تم نزلة من قبائل المنجو ساكنة بالساحل الشمالى الشرقى المجاور لمصب نهر سغالين

جزائر كوريلة المسماة ايضا كوروميسى

وفى الشمال الشرقى من جزيرة يسو تمتد سلسلة جزائر تبلغ الطرف الجنوبى من قمچتقا ويسميها الروسية جزائر كوريلة وهى عندهم نحو اثنتين وعشرين جزيرة بادخال جزيرة يسو فيها واما اهل هذه الجزيرة فيعدون غير ارضهم الحقيقية خمسا وثلاثين جزيرة يسمونها كوروميسى والظاهر أن هذا الاسم يابونى ومعناه طريق الحشيش البحرى واما خرطات رحلة كروسنسترن فليس فيها من تلك الجزائر الا ست وعشرون جزيرة واما ما بقى منها فيعلم بالفحص عنها فى الاجزاء الشرقية من جزيرة يسو وقد ذكر دنويل أن هذه الجزائر منها تسع وعشرون فى شمال خليج البوصلة وأن مجموعها اربع وثلاثون

تقسيم طبيعى

ومجمع هذه الجزائر المسمى ارخبيلا ينقسم طبيعة الى قسمين وهما سلسلة الجزائر التى فى جنوب مجاز البوصلة والسلسلة التى فى شماله فاحداهما مجاورة لجزيرة يسو وتزعم دولة يابونيا انها من حقها وهذه السلسلة حرية بأن تسمى كوريلة الكبرى والسلسلة الاخرى قريبة من قمچتقا تسمى كوريلة الصغرى

كوريلة الصغرى

فجزائر كوريلة الصغرى يسكنها طوائف قمچتقية هاجروا من بلادهم الاصلية حين قرب الروسية منهم وليس بهذه الجزائر الاسلسلة صخور وعرة عقيمة واغلبها بركانية واكبر هذه الجزائر جزيرة تسمى بوروموشير وجزيرة سومچو بها امارات دالة على معادن الفضة وجزائر اناخوتان واراماخوتان وسياس خوتان وغيرها من الجزائر ذات براكين خامدة وجزيرة راشوتقا المسماة عند كروسنسترن جبل ساريچو هى دائما محترقة متقدة وكذلك جزيرة ايكرما وفى جزيرة اوسيشير عيون حامية تنبع مع غاية الشدة

كوريلة الكبرى

واما كوريلة الكبرى فانها تؤذن بكثير من المنافع لمن ينزل بها من الامم ارباب العقول والنباهة فجزيرة اوروب بها كثير من التنوب والكريز البرى ومن هنا ابتداء ارض الكوريلية الشعرانية وهم من جنس طوائف الاينوس الذين هم فى جزيرتى يسو وسغالين وجزيرة ايتوربو ذات غابات ظريفة يخشى عليها كل يوم من هيجان بركان النار وجزيرة كوناشير سهولها وجبالها مشحونة بشجر اللاريس والتنوب الظريف ويخرج بها ايضا نوع من الصنوبر وقد ظن استلير واسپنجنبرغ انهما شاهدا العنب بل والليمون البرى اليابونى فى جزيرة شيخوتان وهو الظاهر كما يظهر ايضا أن هذين السياحين لم يجدا البلوط والجوز الا على ساحل متسوماى التى هى جزيرة يسو

استكشافات بنيووسكى

وينبغى أن نبحث فى جزائر كوريلة الكبرى عن جزء من الاستكشافات الادعائية التى ادعاها بنيووسكى حيث ظن لشدة تولعه بالاستكشاف انه رأى فى كوناشير مدنا عظيمة كانوا يصيدون فيها اللؤلؤ والجزيرة التى سماها جواغان ادزون ووصفها بأنها كثيرة النحاس لا وجود لها اصلا كما لا وجود لجزيرة ماماس ادزون الكثيرة الذهب ولكن ذكر جغرافيو اليابونية أن فى جزيرة يسو اقليما يسمى فيغاسى وقرية تسمى كوا ويظهر أنهما جزيرتا فياسى وكاويث اللتين ذكرهما املاح مملكة له وما نسب الى هذه الاقاليم من معدن الذهب والنحاس والخيل واللؤلؤ الاحمر الذى هو المرجان هو من باب الهذيان والظاهر أن هذا الجغرافى اللاهى قد بالغ فى جعله مدينة متزا بها الف خص وان كانت موجودة ومعروفة باسم متريچ فحينئذ ينبغى أن لا يتهم هذا السياح اعنى بنيووسكى بالكذب والغش عن تصد فان هذا ليس دأبه

سلطنة يابونيا

وقد حان لنا الآن أن نخطط ولاية اغلبها مفصل مع اطناب اكثر مما ذكرناه من الولايات ولقصد عدم تكرار الاشياء المعروفة لجميع الناس حاولنا الاقتصار والايجاز فنقول ان الجزائر الثلاث التى يكتنفها كثير من الجزائر الصغيرة

اسماء مختلفة

وهى نيفون وكيو وسيكوسيو كف هى عبارة عن مملكة يابونيا وقد تسمى ايضا سلطنة يابونيا وقد سماها الصينيون اولا ينغ هو يعنى معمل الشمس ثم سموها نوكوه يعنى مملكة العبيد ثم سموها ايضا يبن او ييون يعنى اقليم الشمس المشرقة وقد سماها مرقوپول باسم محرف وهو اكسيپنغو وجزيرة كيوسيو عرضها من الشمال الى الجنوب

اتساع

درجتان اوخمسون فرسخا تقريبا واعظم اطوالها نحو ثمانين فرسخا واما جزيرة سيكوكف فطولها ستة وثلاثون فرسخا وعرضها عشرون فرسخا وجزيرة نيفون الكبرى تتجه من الجنوب الغربي الى الشمال الغربي ولا ينقص طولها عن ثلثمائة فرسخ ولكنها ضيقة جدا فى سائر امتدادها بحيث لا يزيد وسطها عن ثلاثين فرسخا من العرض وان كان يمكن أن يكون عرضها ضعف ذلك اذا احسبنا من كلا طرفى الجزء بن البارزين فينتذ سطح اراضى الولايات اليابونية يمكن أن يساوى ستة عشر ألف فرسخ مربع واهلها من خمسة عشر مليونا الى ثلاثين كما ذكر ذلك الحذاق وهذه الولاية متمدنة عامرة وهى بعيدة واقعة فى اطراف آسيا ولم تزل الى الآن مغلقة على ارباب الاسفار لا يجدون فيها مسلكا لاجحافهم لخوف اليابونية وسياستهم

جبال

وجميع هذه البلاد مضرّسة بالجبال والتلال وسواحلها مشحونة بصخور وعرة يصادمها دائما امواج البحر الكثير الرياح العاصفة بل السهول دائما محددة بكثير من الانهر والجداول ولكن التلال والجبال والسهول الكثيرة النباتات المتنوعة الغريبة تدل على كثرة البراعة والمهارة الانسانية فى خلال آثار التقلبات الطبيعية واشهر جبال يابونيا هو جبل فوسى الذى هو دائما مستور بالثلوج فى اغلب السنة وبجواره جبال فاكونى حول بحيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم وبعض الجبال بها كثير من البراكين الا أن اغلبها كثير الاشجار المخضرة والعيون الصافية ويقال انه يوجد بقرب فيرندو جزيرة كلها بركانية ويقال ايضا ان هناك عدة جزائر بركانية فى البحار المجاورة لتلك النواحى وفى اقليم فيغو بركان يقذف كثيرا من اللهب والحجر

براكين

انهار

وانهر يابونيا ليست طويلة المجارى فنهر يدوغوا الذى يمر بمدينة اوزاكا به عدة قناطر من خشب الارزة طول الواحدة ثلثمائة قدم فاكثر الى ثلثمائة وستين ونهر اوينغوا ونهر فوزى غوا هما ايضا نهران متسعان سريعا الجرى ونهر اومى على ما يقتضيه تاريخ اليابونية خرج من الارض فى ليلة من الليالى

بحيرات

ومن اكبر البحيرات بحيرة بوتز التى يصب فيها نهران احدهما جهة مدينة مياقو والآخر جهة اوزاكا وهذه البحيرة طولها خمسون فرسخا يابونيا كل فرسخ منها مسيرة ساعة على ظهور الخيل وعرضها ثلث هذا المقدار وحوالى هذه البحيرة سهل ظريف معظم عند اهل تلك البلاد لما فيه من الاصنام التى تبلغ عدتها ثلاثة آلاف صنم

قطر فصول

وهذه الجزائر اليابونية يتعاقب عليها اشدة الحر والبرد فحر الصيف غالبا يعتريه طراوة بالنسيم الذى يهب من البحر وفى الشتاء تأتى اليها رياح الشمال او الشمال الشرقى فيتراءى انه مشوب باجزاء جليدية فتجد الزمن بها متغيرا مختلفا فى جميع السنة وينزل بها مطر غزير لا سيما فى الستسا كى يعنى اشهر المطر التى تبتدئ فى وسط الصيف

وكلام ارباب الارصاد يقتضى أن اعلى درجات الحر بمدينة ناغازاكى فى شهر اوغسطوس ثمان وتسعون درجة واعظم درجات البرد خمس وثلاثون فى شهر ينوية والثلج يمكث عدة ايام على الارض حتى على الاجزاء الجنوبية وفى اغلب ليالى الصيف يسمع صوت الرعد ويكثر ايضا بهذه البلاد القرطونات والرياح العاصفة والزلازل * والمطر الطيب بانضمامه الى الشغل وخدمة الارض وتسمينها بالسجنة يغلب على عقم الارض وقحولتها

زراعة

ثم ان من جملة احكام اليابونية شدة التكليف بالزراعة لان جميع الاراضى عندهم يجب زرعها الا الجبال الوعرة التى لا يمكن ارتقاؤها وذلك لان ارباب الاراضى يزرعون ارضهم بغاية الاجتهاد والنجاح وهم معافون من جميع الحقوق والخراجات الالتزامية ولا يدفعون شيأ لامنا دينهم على سبيل الوجوب وليس بها ابدا اوسايا للميرى خاصة به فاذا خلت ارض عن الزراعة بأن قصر صاحبها عن زرعها زرعها من كان له مزيد اهتمام من جيرانه واستولى عليها وتقل عندهم المروج ولكنهم يتعهدون الارض بالتسمين تعهدا عظيما حتى ان كيفية تسمين الارض بلغت عندهم اقصى درجات البراعة وعلى جنبات التلال الوعرة جدران مبنية بالحجر وعليها اسطوح من الارض مبذورة من الارز والخضراوات والارز هو الحب الاصلى عندهم وكذلك الحنطة السوداء والجاودار والقمح والشعير ولكنها تزرع نادرا وبها تفاح الارض الذى هو نوع من الكمأة الا أنه غير جيد الصفة ولكن ينجح فيها عدة انواع من الفول والحمص واللفت والكرنب واذا زرع الارز فيها فى شهر ابريل حصدوه فى شهر نومبر الذى يزرعون فيه الحنطة ويحصدونها فى شهر ينوية والشعير ايضا يمكث دائما فى الارض مدة الشتاء ثم ان نباتات يابونيا تضاهى نباتات الصين والظاهر أن منشأ ذلك هو أن اليابونية غالبا يأخذون من الصينيين جميع النباتات التى يرونها نافعة وبالعكس * وشجرة الشاى التى هى صغيرة تنبت فى الزروب من غير زراعة والخيزران الظريف يكثر فى جميع المخاضات من البحر والزنجبيل والفلفل الاسود والسكر والقطن والنيلة تزرع فيها وتنجح نجاحا عظيما وتكثر وان لم تكن متأصلة بها كما هو الظاهر اذ هى متأصلة بالاقطار التى هى ابعد جنوبا فى آسيا وفى داخل الاراضى ينبت بجوانب الجبال التى ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة شجر الغار الهندى والكافور وكذلك

نباتات

اشجار برية

نبات

نبات يسمى وهوس الطلا يخرج من قشره صمغ راتينجي يظهر انه اصل الطلا بالسواد الهندي ولا يمكن تقليده اصلا وبها ايضا النارنج الحلو الصيني وبها ايضا نارنج بري يخرج من الليمون اليابوني الذي يظهر انه من خواص هذه البلاد والنبات الافرنجي يلتبس بنبات آسيا الجنوبية فاشجار اللاريس والسرو والصفصاف المسمى التي تظهر في جميع البلاد المعتدلة بين يابونيا والبحر الابيض ينتهي هنا وجودها في الجهة الشرقية وكذلك الخشخاش الذي يخرج منه الافيون وكذا اللعل الابيض والجلبا

اشجار مثمرة

ولا يوجد في بلاد يابونيا شجر التفاح ولكن يوجد فيها الكمثرى ضخمة جدا وبرتقان البنبلوس الذي تجد البرتقانة منه قدر رأس الانسان وكذلك تين كاكي وبرتقان غليظ جدا واليابونية يعرفون عمل المربة بالعطريات من الموز وغيره من الفواكه كالجوز ونحوه ويستخرجون زيت الاكل والاستصباح من السمسم ومن اشجار اخرى

النباتات المستعملة في الصنائع وغيرها

كالسوماق والكافور والغار والازدرخت وشجر الطيب ويربون دود القز بكثرة ويخرج من شجر القطن قطن عظيم ويصطنعون من شجر الابخرة المسمى قريصا حبالا عظيمة تمكث زمنا طويلا ويشتغلون الورق والمراوح من قشور صنف من شجر التوت ومن شجر يسمى ليقووال ومن صنف من النخل يسمى الرندير ويشتغلون القناني من القرع الفارغ والامشاط من خشب يسمى الناجي ويشتغلون كثيرا من اثاث البيوت من خشب اللندرا وخشب الدنتز المسمى يورا وهو شيء اشبه بالجمان وكذلك من التنوب والصنوبر البري والسرو وشجر يشبه السرو يسمى شجر الايف عظيم الاوراق وشط البحر يعجب الناظر لما فيه من الاشجار المتنوعة كشجر الجوز والنخل وشجر يسمى السيقاس وآخر يسمى الميموس * والاشجار الصغيرة الحية التي تفصل بين الاملاك والاراضي هي عبارة عن شجر يسمى سريس يابونيا وعن شجر البرتقان ذي الاوراق الثلاثة وعن الغردينة ونوع من الدالية وغير ذلك وكذلك توجد عدة عقاقير نافعة في الطب كالسوسن المضعف الموجود في يابونيا وكحشيشة تسمى حشيشة قارون العطرية وكذلك عرق يسمى شيشينا عز فقدا لهم الخواجة ثونبرغ الاسوجي ونبات يسمى قوريطا من نباتات يابونيا والكافور والمقسا ونبات يسمى عود الهزارجشان وعرق المنغو

حيوانات اهلية

ثم ان الصناعة ازالت من جميع مملكة يابونيا حيوانين وهما تيوس المعز والكباش وذلك لان تيوس المعز مضرة عندهم للزراعة وكثرة القطن والحرير تسد مسد الصوف وكذلك يتلفون الخنازير لكونها مضرة فلا تجد منها عندهم الا اليسير بجوار نغازاكي والظاهر أن الصينيين هم الذين ادخلوها في هذه الجهة وبالجملة فهذه الجزائر بها يسير من ذوات الاربع فقد ظهر للسياح ثونبرغ أن عدد خيول المملكة بتمامها يساوي ما يوجد في اقليم واحد من اقاليم اسوج وليس بها الا اليسير من المواشي ويستعملون في اشغال الزراعة كثيرا من الجواميس التي ظهورها محدودبة وكذلك ابقار صغيرة ولما احب بعض ملوكهم الكلاب جعل على الدولة مصرفها اي أن قوتها يفرض على المدن ولا زالت الكلاب عندهم مألوفة محترمة

غذا اليابونية

واصول غذاء اليابونية السمك والنباتات واما الدجاج والاوز فانما يربونهما اصالة بقصد اخذ بيضهما ويزيدون على الخضراوات المعتادة كل صنف من اصناف النباتات البحرية كالفوقوس والاولوة التي تطبخ بعدة طرق

حيوانات وحشية

* وحيوانات الصيد ليست كثيرة عندهم فيصيدون الاوز الوحشي وكذلك الدبولة الوحشية والجل ويقل بها وجود الدواب الوحشية ذوات الاربع وفي شمالها تجد الدب الاسود المبرقش بعلامتين لونهما البياض على شكل الهلال يكونان في منكبيه ويأكلون لحمه الذي يشبه لحم الضأن ولكنه متعاص عنه ويظهر الذئب في اقاليم الشمال وكذلك الثعالب الا أن الثعالب مبغوضة عندهم لاعتقادهم انها شياطين في صورة حيوانات

معادن

معدن الذهب

والمعادن النفيسة هي الذهب والفضة وتكثر في سلطنة يابونيا ولا شك في وجودها قديما كما عرف ذلك البرتوغال ثم الفلمنك الذين كانوا يحملون منها كثيرا والذهب بهذه المملكة يوجد في غالب الاماكن ولكنه لحفظ ثمن هذا المعدن ببقاء قلته يمنع اهل يابونيا من حفر عمق ازيد من المحدود فلا يمكن فتح معدن من المعادن ولا استخراجه من غير اذن صريح من سلطانهم وثلثا الخارج منه يكونان للسلطان والباقي لاصحاب الارض وقد يوجد الذهب في الرمال ولكن اكثره يخرج من احجار يور يطش النحاس المذوبة بالكبريت واعظم المعادن واصفاها معادن سادو في جزيرة كبيرة من الجزائر المجاورة لجزيرة نيفون ومن المعادن التي من الرتبة الثانية معادن سورمغا ويظهر أن الفضة كانت سابقا اكثر مما هي عليه الآن فان اليابونية يرونها اندر من الذهب وان كان الذهب في جميع الاماكن اغلى قيمة منها ويقال ان في اقليم بونغو وكذلك الاراضي الشمالية جهة كامي معادن فضة عظيمة ولكن ثم جزيرتان

جزائر الذهب والفضة

مشهورتان باسم جزائر الذهب والفضة ويسميان بلغتهم جزائر جنسيما وكنسيما ويظهر أنه لا وجود لهما الا خيالا لا نتشار بذلك الا أن يكون ذكرها في الكتب للدلالة على بلاد مكسيك لكون اليابونية كان بينهم وبين اهالي مكسيك

مخالطات قديمة اوانهم قلدوا حكايات بطليموس فى ذكره قطرا يسمى قطر الذهب وآخر يسمى قطر الفضة

معادن نحاس

وكثير من الاقاليم معظم ثروته من النحاس المخلوط بالذهب وهو اعظم ما يحملونه الى البلاد واظرف النحاس واعظمه تطرقا نحاس ساروغا وأسنجه وكينوه وكونى ونحاس كونى هو اعظم النحاس تطرقا ونحاس ساروغا يشتمل على مقدار عظيم من الذهب ويوجد ايضا كثير من معادن النحاس فى ستسوما ويظهر أن الحديد فى بلاد

معادن حديد

يابونيا اندر من جميع المعادن لكنه يوجد فى عدة اقاليم وهى ميماسلا وبتسيو وبيسن واليابونية يشتغلون الحديد قليلا وانما يستعملونه فى صناعة السلاح والسكاكين والمقصات والآلات اللازمة ويضربون السكة من الذهب والفضة

معادن مختلفة

وقد هادى اليابونية الخواجة ثونبرغ بالعنبر فكان منه ذو اللون المائل للسمرة والصفرة وأفادوه أنهم وجدوا هذا العنبر فى ابزخويهما الكبريت يكثر فى بلاد يابونيا وحجر الخفاف يدل وجوده عندهم على أن البراكين كانت فى قديم الزمان متأججة بارضهم وفحم الحجر على ما يقال يوجد فى اقاليم الشمال وكذلك حجر العقيق الاحمر الذى به عروق بيض وهو يستعمل فى الازرار والعلب وكلام قنفر يقتضى أن حجر التوتيا نقل الى يابونيا من تنكين ويوجد القصدير فى اقليم بونغو ولعل هذا القصدير ادعائى وانما هو نحاس ابيض من بلاد الصين وعندهم نفط يضرب لونه الى الحمرة يستعملونه فى المصابيح وقد رأى السياح ثونبرغ حجر الفتيلة وطين الصين والرخام الابيض وقد نقلوا من يابونيا الزيبق المكبرت المتبلور على شكله الاصلى وعلى صورة قطع صغيرة صفائحية ثم ان البارون وورنب وهو عالم نمساوى مستوطن فى بتاويا وصل اليه من يابونيا حجر الفتيلة والاوسكرل الدقيق الاجزاء مثل الشعر والادروفانه

الاحجار الساقطة من الجو

وهذه الاحجار سقطت من الجو وتسمى احجار الصواعق ويقال لها فى لغة اليابونية كاميناري سكى وببلاد يابونيا عدة عيون حامية معدنية يستحم بها اهل البلاد لمعالجة عدة امراض

ثم ان الاقسام العظيمة من سلطنة يابونيا يقال لها فى اللغة اليابونية كوكف اى ولايات وهى امارات وامراؤها يدفعون الميرى لسلطان يابونيا الملقب كوبو وهى نحو سبعين كوكفا

مدن يدو

وقاعدة سلطنة يابونيا تسمى يدو وهى فى خليج على شرق نيفون وليس لبيوتها الادور واحد او دوران وفيها حوانيت بطول الحارات وميناها غير عميقة بحيث لا يمكن للسفينة الافرنجية أن ترسو الا على بعد خمسة فراسخ وسراية السلطان يحيط بها جدران من الحجر وخنادق وقناطر توضع وترفع عند الحاجة فالسراية وحدها قدر مدينة عظيمة لان محيطها خمسة فراسخ كل فرسخ مسيرة ساعة بخلاف محيط المدينة بتمامها فانه لا بد فى طوافه من احدى وعشرين ساعة وجميع امراء سلطنة يابونيا الحاكمين فى الولايات يقيمون نصف السنة فى مدينة يدو واما عيالهم فيقيمون

سراية سلطان يابونيا المدنية

فيها دائما كأنهم رهن على اماناتهم وبسراية السلطان كثير من المساكن وهى كما تقدم شاغلة مسافة عظيمة من الارض وبها ديوان له مائة حصير وطوله ستمائة قدم وعرضه ثلثمائة ولها برج مربع يدل على فضل السلطان على غيره ولا يجوز لغيره أن يصنع مثله فى هذه المدينة وان كان كل واحد له أن يفعل جميع الاشياء فى بلاده والترامانه والسقوف مزينة بثعابين مذهبة والاعمدة والسقوف تصنع من خشب الارزة والكافور وغيرهما من الاخشاب النفيسة ولكن جميع الفراش منحصر فى حصر بيضاء مزينة بالاهداب والسجافات المشغولة من الذهب

بيوت آحاد الناس

وبيوت آحاد الناس من الخشب الملون بالبياض بحيث يكون منظرها كأنها مبنية بالحجارة والدور الاعلى من تلك البيوت معد لحفظ الامتعة والغلال واما الدور الارضى فانه عبارة عن عدة مساكن بينها وبين بعضها حواجز تحجز حريم كل من حريم الآخر وليس عندهم كراس ولا طاولات وانما يجلسون على الحصر حتى ان الامير اذا نصب ديوانه لا يجلس الاعلى سجادة

مدن مختلفة

واذا ذهبنا من يدو الى الشمال الشرقى وجدنا مدينتين عظيمتين احداهما تسمى غسيما والاخرى تسمى نمبو واذا توجهنا جهة الجنوب الغربى وجدنا عدة مدن منها مدينة أودووارا يصنع فيها القشو وهو التراب الطيب الرائحة ببلاد يابونيا ومنها مدينة اخوساكى وهى ذات قنطرة عظيمة ومنها مدينة خوانا وهى من اكثر معدن يابونيا غنى ويسارا وبها قلعة يحيط بها الماء وهى بندر اقليم يسمى أوواري وهو اقليم خصب يسمى باسمه جون اوواري

مدينة مياقو

ومدينة مياقو هى ثانى مدينة من مدن المملكة وهى واقعة فى الاراضى على نحو اربعة وخمسين فرسخا من الجنوب الغربى من يدو وهى فى سهل مسطوح وهى اعظم محال الفبريقات والتجارة وتضرب فيها السكة السلطانية وديوان الداير الذى هو خليفة دين يابونيا مركب من عدة من الحكماء مقيمين فى هذه المدينة وهذه المدينة تطبع

فيها جميع الكتب وقد بين لنا قنفر أن عدد اهل هذه المدينة سنة ١٦٧٤ من الميلاد كان ٤٠٥٦٤٢ شخصا الذكور منها ١٨٢٠٧٠ والاناث ٢٢٣٥٧٢ باخراج ديوان الدائرى الذى فيه خلق كثير وسراية هذا الخليفة اليابونى واسعة لا يدخلها احد من الغرباء بخلاف هياكل هذه المدينة المقدسة عند اليابونية فقد اطلع عليها كثير من الناس وخططوها نحو هياكلها هيكل يسمى هيكل ديبوطس وهو اكبر جميع هياكل يابونيا زينة مع انه مبنى بالخشب وبه صورة مذهبة لمعبودهم جالسة على زهرة على نمط اصنام الهنود وعرضها من بين المنكبين اربع قامات ويمكن أن يجلس فى كف هذا الصنم عدة اشخاص والرؤس الهرمية من الهياكل والقصور تناسب احسن المناسبة ما يكتنف المدينة من التلال الكثيرة الاشجار التى يخرج منها عدة عيون صافية المياه

هيكل ديبوطس

وبجوار مياقو خمسة اقاليم باقية لامداد ديوان السلطنة تسمى غوكيناى ويخرج بها الارز والخضراوات بكثرة ومنها اقليم يقال له ستز ويسمى ايضا سدسيو فيه مدينة عظيمة تسمى اوساقا وهى مينا مياقو واحدى مدن المملكة العظيمة ومابها من الخلجان التى تشقها ويعبر فيها على قناطر من خشب الارزة يذكرنا مدينة البندقية ولما كانت هذه المدينة كثيرة الحظوظ والمسرات وامور المعاش نحو هين انجذب اليها جميع ارباب البطالات والشهوات ومن مدن اقليم ستز ايضا مدينة يقال لها فيوغو واقعة على جون اوساقا وهى ذات مينا كثيرة الاشجار المصفوفة ومن مدن اقليم فاريما مدينة تسمى مورو وهى مشتملة على مينا طبيعية وفيها يشتغل جلد الخيل على منوال ما فى الروسية

اقاليم تسمى غوكيناى
مدينة اوساقا

ومدن الساحل الشمالى والغربى من جزيرة نيفون لا تعرف الاسماؤها وكذلك مدن جميع جزيرة سيكوكف التى لم يدخلها ارباب الاسفار ويعرف من جزيرة كيوسيو مينا نغازاكى الشهيرة وتسمى ايضا نغازاكى وهى دون غيرها اختصت بأن يؤذن للسفن الاجنبية أن ترسو عليها وهى باقية للفلمنك والصينيين فهم الذين يختصون الآن بدخولها وكانت اولا قرية ثم صارت مدينة مهمة عظيمة التجارة والفضل فى ذلك للبرتوغال وهى الآن سبع وثمانون حارة كل حارة منها طولها ستون قامة وهذا هو القياس الشرعى عندهم لكل حارة فحينئذ يمكن جعل عدد البيوت نحو الف بيت لا غير ومنظر هذه المدينة من جهة البحر غريب لا يمكن رؤية مثله فى البساتين العظيمة الافرنجية وعندهم صخرة طولها مائتان وثمان وثلاثون خطوة كانت سجنا لتجار الفلمنك

نغازاكى

وجزيرة كيوسيو المسماة جزيرة سيكوكف كانت سابقا مملكة مستقلة وهى مشتملة على مدن عظيمة فمن مدنها مدينة سنغا وهى شهيرة بجمال نسائها وفبريقات الصينى الذى يكاد يكون شفافا ومنها كوكورا التى يسافر منها الانسان الى سيمونوسيكى بجزيرة نيفون وكذلك مدينة قنغوكسيما التى نزل بها البرتوغال حين استكشاف هذه البلاد وجزيرتا فيرندو واماكوزا كانتا فى وقت استكشاف البرتوغال شهيرتين بكونهما اول مأوى لدين النصرانية وجزيرة اتسوزيما الواقعة بين جزيرتى كيوسيو وكورة هى عبارة عن امارة كانت سابقا تدفع الميرى لدولة كورة قبل دخولها فى ميرية اليابونية وتنتهى مملكة يابونيا فى الجنوب الغربى بجمع جزائر غوتو

مدن مختلفة

وجزيرة لكيو الواقعة فى الجنوب التى هى غير جزائر ليوكيو ليست مفصولة من كيوسيو الا ببوغاز ضيق وعليها حاكم يلقب بالدائرى يعنى خليفة الدين يدفع الميرى لامير ستسوما واهل هذه الجزيرة يحصدون الارز مرتين فى السنة ويزرعون اراضيهم على صوت الآلة ونغمات الاغانى المفرحة وبوغاز وندياءمن يفصل تلك الجزيرة من جزيرة تناوسيما ومن سلسلة جزائر صغيرة تمتد فى اتجاه مجمع جزائر ليوكيو

جزيرة لكيو

وحكم اليابونية يحتوى فى الجنوب الشرقى على مجمع جزائر صغير به جبل نار لم يزل الى الآن محرقا وبه ايضا عدة جبال خامدة النيران التى تحت الارض واعظم هذه الجزائر جزيرة يقال لها فنسيسيو وارتفاعها ثمانون قامة وهى صعبة المرتقى من جميع الجهات ولا يمكن صعودها الا بواسطة سلالم من حبل مربوط فى اعلى الصخرات وفى هذه الجزيرة ينفى الجلساء والندماء المغضوب عليهم فيشغلون زمنهم بنسج اقمشة الحرير على حسب ما يخطر بخيالهم من التصوير العجيب والرسم الغريب

جزيرة فنسيسيو

واليابونية حسان الخلقة احرار عندهم سهولة فى حركاتهم وبنيتهم قوية ليسوا بالطوال ولا بالقصار ولونهم المائل الى الصفرة قد يضرب احيانا الى السمرة وربما كان بياضا مصفرا ونساء الاكابر منهم حيث انه يندر تعرضهن للهواء من غير قناع ترى بياضهن كبياض نساء الافرنج ومدار اوصاف اليابونية المميزة لهم عن غيرهم على عيونهم فان شكل عين الواحد منهم يبعد عن الاستدارة فتكون العين مستطيلة صغيرة غائرة فى الرأس فلا تجدهم دائما ارباب غمز ورمز

اليابونية
بنية ابدانهم
اعينهم

واجفان عيونهم مستطرقة شقاعميقا واهدابهم موضوعة فى اعلى من مكانها المعتاد عند غيرهم من الامم واغلبهم عريض الرأس قصير الرقبة غليظ الانف كانه مجدوع وشعورهم سوداء كثة براقة والظاهر أن ذلك انما هو بسبب الدهن الذى يدهنون به

اصل اليابونية

واذا عرفت هذه الاوصاف الطبيعية وجدتها تليق بجنس الصينيين مع اختلاطه بقبيلة مغولية اومنجورية وذلك لان تاريخ اليابونية بعد أن بسط الكلام على الآلهة وفحول الرجال اعقب ذلك بالاعتراف بأن اليابونية استمدوا اول تمدنهم من نزلة صينية نزلت بارضهم ولبثت عندهم واكسبتهم التمدن والتحضر ثم انتهى تاريخهم بملك صينى يسمى صين موسى يصورونه على شكل رجل رأسه رأس ثور لانهم يزعمون أنه علمهم الزراعة وتربية المواشى

لغة

لكن اللسان اليابونى الذى هو دليل قوى على اصل اليابونية لادلالة فيه على أن اهالى هذه الجزائر لهم اصل اجنبى خارج عن بلادهم وليس فيه الا اليسير من الكلمات الصينية ولا علاقة بينه وبين لسان المنجو ولا لسان اهالى يسو والكوريلية ولادعاء بعضهم أن لغة اليابونية لها شبه بلغات التتار لادليل عليه ومن المعلوم أن الكلمات اليابونية ليست ذات مقطع واحد كالكلمات الصينية ولتصريف افعال اللغة اليابونية وكيفية تركيب كلامها اسلوب غريب * واللسان اليابونى المسمى ايوجى يستعمل فى الاشعار والمحاورات واما امناء دين اليابونية وهم البنزة فانما يكتبون كتبهم الدينية باللسان الصينى الذى نسبته لاهالى تلك النواحى كنسبة اللاطينى للافرنج

ازمان تاريخية

فان قال قائل ان اليابونية المتأصلين ببلاد يابونيا تغلبت عليهم قبيلة مغولية اومنجورية فتعلمت القبيلة الغالبة لسان المغلوبين قلنا فى اى زمن كانت هذه الاغارة وذلك لان التاريخ المقدس عند اليابونية اوله اقامة الوراثة وتقريرها فى خلافة الدائرية الذين هم ملوك بالنسبة لما يتعلق بالدين يعنى أن اوله كان قبل تاريخ النصارى بستمائة وستين سنة ولازالوا يؤرخون به الى سنة ١٥٨٥ من الميلاد وفى هذا الزمن اغار عليهم الغرباء مرتين فطردهم اليابونية عن بلادهم فكانت غارة المنجو عليهم سنة ٧٩٩ من الميلاد وحكايتها كثيرة الخرافات وفى سنة ١٢٨١ من الميلاد شرع المغول فى الاستيلاء على بلاد يابونيا وكان رئيسهم منغوخان وكان ذلك بعد تغلبهم على الصين باربع عشرة سنة وقد بين الحكيم اميوط فى كتابه المترجم من لغة الصين تاريخ هذه الغزوة على ماذكره مؤلفوا الصينيين فكانت خلاصة كلامهم أن عساكر الصينيين اجتمعوا مع عساكر كورة فبلغوا مائة الف مقاتل واعطى الكوريون للصينيين تسعمائة سفينة حربية فجاءت الرياح العاصفة والفرطونات فاغرقت هذه التجريدة وبددت شملها واليابونية يعتقدون أن هذا انما كان بعناية آلهتهم الذين دفعوا عنهم هذه المصيبة وانما جميع الاشخاص الذين قواص آسيا ودخلوا بلاد اليابونية حتى كثر بهم عدد اهلها محصورون فى بعض قبائل صينية اوكورية هاجروا من بلادهم اليها

نتيجة

والظاهر أن اليابونية كباقى الامم الاصلية من الدنيا فى كونهم ابوريجينية اى أن اصلهم موجود قبل ظهور التاريخ فاذا كانوا قدموا الى هذه الجزائر من الارض القارة فانما هاجروا اليها قبل تخلق الالسن وهم يعرفون على وجه مبهم انه يوجد قبل جنسهم جنسان آخران فى جزيرة نيفون وحدها وهما جنس الموسى المسمى ايضا بالجنس الكوريلى الشعرانى جهة الشمال وجنس آخر زنجى فى الجنوب والظاهر أن هذا الجنس الاخير انما كان جنس امة الهرافورا الذى بجزائر فلبينة فالظاهر أن هذه الاقاليم المنعزلة وحدها كان فيها كثير من الامم الاولية التى ظهرت ظهورا بالغا ثم انقرضت بالكلية وجهلت لما عداها من اهل الارض

سياسة كوبو الدائرى

ثم ان الدائرى وهو السلطان خليفة الدين الذى يعتقدون أنه من ذرية آلهتهم عن له سنة ١١٤٣ من الميلاد بسبب ضعفه أن يجعل بجانبه رئيسا عسكريا يلقب بلقب كوبو ويلقب ايضا اتريوغون فاستخدم رئيسا على العساكر فتقوى الكوبو بالانتصار والفتوحات وبالغش والمخادعات وفى سنة ١٥٨٥ من الميلاد جرد الكوبو عن السلطان الديرى آخر حكم سياسى كان له فصار مجردا عما عدا المصالح الدينية ومن هذا التغير يمكن أن تعتبر دولة يابونيا انها مملكة وراثية موريخية اى مطلقة التصرف مقواة بعدة من الامراء الذين منصبهم وراثى مطلق وغيرة هؤلاء الامراء من بعضهم والرهن الذى يجعلونه فى مدينة يدو كلاهما يكفل طاعتهم لصاحب الدولة وهو الكوبو وكل امير منهم مفوض له فى ايراد التزامه اوولايته فارادة يصرفه فى مصالح ديوانه واسداد عساكره واصلاح الطرق وما يلزم للبلاد من المصاريف وعند اليابونية طائفتان من الامراء وهما الديميوس اى امراء الرتبة العليا والسيوميوس اى امراء الرتبة السفلى ومناصب امراء كلتا الدولتين وراثية وامراء الرتبة السفلى يختصون بأن يمكثوا فى دار المملكة ستة شهور من السنة زيادة على كونهم مكلفين بابقاء عائلاتهم فيها على الدوام كالرهن

الاحكام السياسية المدنية

ثم ان السياحين يستحسنون قوانين يابونيا حتى ان قنفر يفضل احكامهم على احكام اوروبا وذلك لان القصاص عندهم سريع فكل من الاخصام يحضر بين يدى القاضى فيصدر الحكم من غير اجل لكن لم يذكر هذا السياح اصلا شيأ من الاحكام وايضا هو متهم فى مدحه لقوانينهم حيث لم يزل يستحسن القانون اليابونى الذى يمنع دخول الغرباء فى يابونيا كما يحرم على كل يابونى أن يخرج من بلده ومن خرج عوقب بالقتل بفعل قنفر هذا القانون لمصلحة عظيمة مع أن هذا مجرد دعوى وكلام سونبرغ يقتضى أن قوانين اليابونية قليلة العدد جدا الا أنها نافذة الحكم مع غاية التشديد ولا يحابى فيها احد اصلا غاية ما هنالك أن ارباب الجنايات من الاغنياء قد يعفى عنهم اذا دفعوا غرامات عظيمة فمجرد الذنوب عقابها الموت ولكن الحكم بذلك لا بد أن يصدر من المشورة الخصوصية التى عند سلطانهم ولما كانت تربية الاطفال وتأديبهم حقلوا اجباله مدخلية فى صلاح الدولة كان الآباء كفلاء بذنوب اولادهم لانه يلزمهم تأديبهم على ما يحدث منهم من العيوب وولى الحسبة عندهم مستيقظ منتبه لجميع ما يحدث من الخلل وفى كل قرية قاض اصلى يسمى نمبان وهو مكلف بالحسبة بل سكان كل حارة يكفلون كلهم جميع الذنوب الواقعة من واحد منهم فلهذا كان يجب عليهم أن يعينوا وكيلا يحفظ انفسهم واموالهم وفى كل قرية مكان يحيط به اوتاد وفى وسطه كتابة بحروف غليظة مشتملة على قانون الضبط هذا ولا تنكر أن وارنيوس الفلكى الذى هو مؤلف كثير الاطلاع ذكر احكام اليابونية على وجه يفيد أنها لا تستحق كل هذا الاستحسان وذلك أن عقاب الذنوب فى القرن السابع عشر يدل على انهاذات جبر عظيم وقساوة وخشونة فقد ذكر أن من العقوبات الكثيرة الوقوع تقطيع المذنب اربا اربا وفتح بطنه بسكين وتعليقه بكلاليب من حديد تدخل فى اضلاعه واحراقه فى الزيت بعد غليانه وهذا عقاب العامة واما الاكابر فانهم فى ذلك الوقت كانوا يختصون دون غيرهم بأن يشقوا بطون انفسهم بايديهم وكذلك المعلم ولنطين ذكر أن شريعة اليابونية خشنية مؤسسة على سفك الدماء وليس من مدح احكام هذه البلاد أن الذنوب نادرة فيها الان هذا لا يدل على المدح اصلا وذلك لانه لا يمكن خلاف ذلك فى ولاية كل واحد من اهاليها ضامن لذنوب جاره وكل العائلات او القرى بتمامها تعاقب اشد العقاب جزاء على ما وقع من الذنوب من واحد من اهلها ومع أن هذه القوانين تشتمل على تقليل الذنوب والآثام ففيها ايضا عدم الراحة للبرئ وعدم السرور للناس والجمعيات اوليس أن الانسان يختار أن يسرق من متاعه شئ مرة او مرتين فى عمره و يؤثر ذلك على كونه دائما عرضة لان تشق بطنه فى نظير سرقة وقعت من جيرانه وبالجملة فتناقص النوع البشرى فى المعارف وارتكابه للخسة وخبث اصله بعد أن كان طيبا كل هذا يمكن أن يجعل هذه العقوبات الشديدة المهولة امر الازما ضروريا فمن ذا الذى يجزم بأن اوروبا امنت فى جميع ايامها المستقبلة من أن يكون لها على تداول الايام احكام يابونية بهذه المشابة وسد عظيم صينى

عقوبات خشنية

اهال

واما ما كانت سياسة يابونيا فمن الثابت أن اهلها كثيرون جدا بل وجبالها التى هى اكثر اراضيها مزروعة وبها طريق جادة تسمى طوقيدو وهى احدى الطرق السبعة الكبيرة بمملكة يابونيا ويرى فيها احيانا من ارباب الاسفار اكثر مما يرى فى حارات مدن الافرنج العامرة وقد نقل وارنيوس عمن يوثق به أن عدد عساكر الامراء والولاة ثلثمائة وثمانية وستون الفا من المشاة وثمانية وثلاثون ألفا من الخيالة وذكر ايضا أن الكوبو وهو السلطان السياسى له عسكر خاصة نحو مائة الف من المشاة وعشرين ألفا من الفرسان فاذا جمعنا الجميع وجدناهم اربعمائة وثمانية وستين ألفا من المشاة وثمانية وخمسين ألفا من الفرسان

عساكر

وهذه العساكر اذا كانت موجودة فى الحقيقة عندهم تدل على أن اهلها عشرون مليونا فصاعدا الى ثلاثين

ملاحة وامور بحرية

واما سفن اليابونية فلا تستحق التكلم عليها اصلا لما انها مسطحة فى موخرها فلا يمكنها أن تقاوم عمل الامواج عند شدة الرياح وهم وان قلدوا الصينيين فى استعمال بيت الابرة الا أن ملاحيهم ليس عندهم براعة ولا معرفة على أنه يتعجب من انهم كانوا سابقا يسافرون بحرا كما ادعاه بعضهم الى جزيرة فرموزة او الى جاوى فان العقل السليم لا يصدق بذلك وخرطاتهم تقتضى أن سفرهم جهة الشمال كان يمتد الى ساحل امريقة المجاور لبوغاز بهرنغ الذى كانوا يسمونه فوزنغ والآن قل أن جاوزوا جزيرة يسو وقد ذكر اهل هذه الجزيرة أنهم سافروا فى قديم الزمان الى ارض تسمى راكوسيما يعنى بلاد الاسد البحرية والظاهر أنها هى جزيرة بهرنغ او بحيجزيرة قجتقا فسفرتهم كسفرة الارغونوط

ايراد

وقد ذكر وارنيوس ايراد دولة يابونيا وبين ايراد كل اقليم على حدته فجعل مجموع الايراد ٢٨٣٤ طونة من الذهب على طريقة حساب الفلمنك فاذا جعلنا طونة الذهب مائتى الف فرنك واربعين الف فرنك كان المجموع ٦٧٠١٦٠٠٠٠ فرنكا وهذا الايراد لا يشمل ايراد الاقاليم والمدن المختصة بالسلطان ولكن هذا الايراد لا يعتبر أنه

ايراد اهلي نظراً الى انها تدفع من الاصناف لامرائه مختلفة وزيادة على ما للسلطان من ايراد التزاماته او اقاليمه الخاصة به له ايضاً خزينة عظيمة فيها الذهب والفضة

مذاهب دينية

ثم ان اليابونية في عباداتهم على مذهبين اصليين وهما مذهب سنطو ومذهب بتسو فالمذهب الاول يقر بوجود الهٍ على يجل عن ان يصل اليه تعظيم البشر وعن ان يتعهد شؤنهم ومصالحهم فلذلك يتخذون آلهة اخرى ادنى منه ويعتقدون ان ارواح الصلحاء تسكن في اقطار مستنيرة بجوار فلك الافلاك واما ارواح الاشقياء فانها تهيم في الفراغ الى ان تذوق عقابها

مذهب سنطو

عبادة اصلية

وهم وان كانوا لا يعتقدون مذهب التناسخ الا ان ارباب التشديد منهم المقلدين لمذهب السنطو لا يأكلون لحم الحيوان ويحترمون سفك الدماء ولا يمسون الرمم اصلاً وآلهتهم يقال لها صين او كامي وهياكلهم تسمى ميا وهذه الهياكل مشتملة على عدة مساكن واروقة مصنوعة على حسب عوايد البلاد بزينات يمكن ان يرفعها الانسان على حسب مراده وعلى ارضها المخشبة حصر قش مفروشة وعلى السطوح من كل ناحية خوجة كافية لغطاء ما حول الهيكل من المصاطب التي يتمشى عليها الناس ولا تجد في هذه الهياكل صورة تكون عندهم تمثالاً لآلهتهم الغير المرئية وانما في بعض الاحيان يحفظون بها في علبة صورة صغيرة يجعلونها صورة اله من آلهتهم الثانوية وفي وسط الهيكل مرآة واسعة مصطنعة من المعدن تذكر الانسان ان افعاله لا تخفى على خالقه وذلك ان عيوب البدن الظاهرية تتشخص كما في هذه المرآة فكذلك عيوب الروح لا يمكن ان تخفى على بصر المتصف بالقدم والبقاء ومواسم عباداتهم ومحافلها ظريفة بل مفرحة وذلك لان هذه الامة تجعل آلهتها ذوات يحبون تفريق السعادة وتوزيعها

مذهب بتسو

واما مذهب بتسو فانه متأصل في بلاد الهندستان وهو عين الدين الذي يسمونه بوضا او بودة ويزعمون انه متولد في بلاد التبت او في جزيرة سيلان قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون ولما كان هذا الدين منشوراً في آوى وسيام والصين وكورة كان به بعض حكم غريبة اجنبية ولكنه يقول دائماً بتناسخ الارواح وهو يخوف الكفار بنار مهولة فيها صراط الارواح ومهاوي المياه والنار وغيرهما من صور وخيالات مخيلة في جبال الالب التبتية ويذكر ايضاً صفة جنة منقسمة الى اقاليم ومدن وبيوت مثل جنة سويدنبرغ وهذه الجنة تسمى غوكورالك يحكمها اله يقال له اميدا ولما كان دين البتسو مخلوطاً كثيراً بدين السنطو يعني الدين اليابوني القديم صعب تمييز قواعد كل من المذهبين ويمكن انه على توالي الايام يصير تمييز احدهما عن الآخر متعذراً

حكماء الفلاسفة

وبمملكة يابونيا ايضاً حكماء فلاسفة مذهبهم يسمى سجوطو او اسيوطو وهو قريب من مذاهب الحكماء البطنانية اي الذين يحبون لذات النفس وشهواتها وان كان حكماء اليابونية يذعنون مثل كنفوسيوس حكيم الصين ان اصل الشهوة الخالص هو الفضيلة وهؤلاء الفلاسفة يعتقدون وجود روح لجميع العالم لكن لا يعبدون الالهة السفلية وليس لهم عبادة ولا هياكل وزعم بعضهم ان هؤلاء الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة لا يبغضون دين النصرانية وان عددهم نقص حين عقاب النصارى بتلك البلاد وذلك لانهم ارادوا ان لا يتوهم احد فيهم انهم نصارى فبادروا باعترافهم بآلهة بلادهم في الظاهر فقط دفعاً للريبة

دخول دين النصرانية بتلك البلاد

ومن سنة ١٥٤٩ الى سنة ١٦٣٨ من الميلاد استمر القسيسون العيسوية في نشر ملتهم والدعاء الى دينهم بتلك النواحي وحصل لهم محنتان عظيمتان هلك فيهما كل من وقع منهم فذهبت كنيستهم الجديدة هباء منثوراً ففي سنة ١٥٩٠ من الميلاد هلك فيهما منهم عشرون الف نصراني وكلام القسيسين يقتضي انه في سنة ١٦٣٨ قتل من النصارى سبعة وثلاثون الفاً والظاهر ان ذلك انما هو لكون دخول العيسوية في السياسات وتحيلهم فيما كان في اول الامر سبباً لبغض دولة يابونيا لدينهم الذي يزعمون انهم متمسكون به مع انه ينهى عن الطمع وهم طماعون والظاهر ايضاً انه انضم الى ذلك الغيرة التجارية التي وقعت في قلوب الفلمنك من البرتوغال فسلطوا عليهم فحصل للبرتوغال نصيب من هذه المصيبة ومن هذا الزمن الشهير صار دين النصارى مبغوضاً عند اليابونية والواقع ان الحق مع اليابونية لانه لو نزل قسيسون من بلاد يابونيا على مينا هاور دغراسة وذهبوا الى مدينة روان في فرانسا واحرقوها كما صنع قسوس النصارى ببلاد يابونيا لكان ضابط المملكة الفرنساوية يعاملهم اسوء المعاملة

تقدم العلوم والاداب والفنون

وتمدن اليابونية يظهر لنا انه كتمدن الصينيين باق على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص لكن لما كان عند اليابونية درجة كمال في التمدن مشتملة على آثار فنية ادبية اي تتعلق بالديانات كان يرجى عندهم تقلب عظيم وتغير وزيادة في التمدن وذلك لان من طباعهم الرجولية والشهامة اكثر من الصينيين وعندهم ايضاً درجة حرية سياسية تقربهم من اهالي

اوروبا

اوروبا فهم بشجاعتهم وذكاء فهمهم يقربون من الافرنج ويقال ان لسان علومهم هو اللسان الصيني القديم وحروفهم الهجائية يظهر أن صورها مشتبهة كثيرا بصور حروف الصينيين الا انها تدل على حروف لا على كلمات بخلاف حروف الصينيين فان صورها تدل على الكلمات ولا يعرف الصينيون قراءة كتب اليابونية بخلاف ارباب المعارف من اليابونية فانهم يحسنون قراءة الكتب الصينية ثم ان الخواجة تطسنغ الذى ألف كتابا عظيما فى تخطيط يابونيا جاء من يابونيا بكتب مطبوعة تدل على عظم هذه الامة وبراعتها وحروف المطبعة عندهم ليست متنقلة متحركة ولا يطبعون الا من جهة واحدة وعند الخواجة المذكور كتاب فى اشكال الحشائش مرسوم وملون مع غاية الاهتمام يعجب الناظر فيه وقد استصحب معه ايضا فى رجوعه خرطات وصور أراض لطيفة نافعة فى علم رسم الارض وان كانت خالية عن الاطوال والعروض ثم ان اليابونية نقشوا نقود دولتهم قبل ظهور عيسى بستمائة سنة كما نقشوا علامات العشائر الاصلية وشعائرها وهم يقرؤن ويكتبون ايضا باللغة الفلمنكية وقد شرعوا فى تعلم الطب والمواليد الثلاثة على مقتضى الكتب الفلمنكية وهم الى الآن يجهلون علم الطب ومعرفتهم فى الهيئة غير جيدة فيقسمون الزمن تقسيما متعبا وسنتهم قمرية تبتدئ تارة فى شهر مارث وتارة فى غيره وفى كل تسع عشرة سنة يلحقون بهذه السنين شهرا مكررا سبع مرات فتوافق السنة الشمسية ويظهر أن مدارسهم تفوق على مدارس من عداهم من اهل آسيا فلا تسمع فى مكاتبهم اصوات العصى ولا السياط بل تسمع فيها الاغانى الاحتفالية المتعلقة بمدح ابطالهم والموكلين بحفظ بلادهم ممن يزعمون الوهيتهم ويعظمون الاشعار ويفوقون اهل اوروبا فى بعض الفنون فعندهم اناس ماهرون فى شغل النحاس والحديد لا سيما الاسلحة البيضاء فانها عظيمة عندهم والزجاج كثير فى بلاد يابونيا حتى انهم يشتغلون فيها النظارات وتصاوير اليابونية كثيرة الالوان الزاهية ناقصة التركيب والرسم

ومساكن اليابونية ليست مركبة الا من دورين فقط بسبب الزلازل وبيوتهم لا تعجب ذوق الافرنج وكذلك اثاثهم وملابسهم وعرباتهم وان كان لا ينكر أنهم ارباب صناعات وهندسة وهى منقسمة الى عدة مساكن بواسطة حواجز متنقلة وداخل البيت مزين بالتصوير والاوراق المذهبة او الملونة واثاث البيت به لمعان بسبب الطلاء اللين الذى لا يعتريه تغير وثيابهم واسعة الا انها لطيفة جيدة القماش المتخذ من القطن او الحرير الذى يصطنعون اغلبه فى بلادهم ويشتغلون ايضا بانفسهم الحلى والمشابك والقروط التى هى من ملابس النساء وكذلك يشتغلون نعال القش التى يخلعونها على باب البيت وقلنسوات الحشيش التى يصطحبونها معهم فى السفر وبالجملة فيصطنعون كل ما له مدخلية فى لذاتهم وراحة انفسهم وعربات نسائهم ظريفة مريحة ويستخرجون من الارز نوعا من العرق يسمى ساكى ويقال له ايضا زقى وهو شراب مخدر جدا

ثم ان اليابونى معتدل الطبع ضحاك فانه يحلق نصف رأسه والباقى يبقيه ويرفعه الى وسط رأسه وفى سفره يتزر بمئزر ضخم من ورق مدهون بالزيت وتحيته عبارة عن انحنائه عدة مرات كالركوع وبيده دائما مروحة وكل هذا امره عجيب غير أن اليابونية يفتخرون بشدة تدقيقهم فى النظافة حتى انهم يجعلون الافرنج ارباب وساخة وليس فيهم حمية الافرنج وقت المشاجرة فترى الرجل منهم اذا اشتدت به الاساءة لا يجيب المسيء بكلمة مؤلمة وانما اذا اخذته ثورة الحدة حتى اخرجته عن طور العقل انتقم من خصمه بسلاحه الذى لا يفارقه اصلا وهو الخنجر فاذا تعذر عليه الانتقام منه قتل نفسه

وشريعة اليابونية لا تبيح الا التزوج بواحدة ولكن للانسان منهم أن يتسرى بالجوارى وللجوارى أن يمكثن معه والمرأة تحت يد الزوج فاذا غضب عليها فليس لها عليه شيء ونساؤهم وان كن غير محبوسات فى البيوت يندر خيانتهن للعرائس فاذا اطلق الرجل زوجته ألزمت ان تمكث محلوقة الرأس دائما واحتفالهم للزواج لا زينة به فتجد المرأة المخطوبة بأسفل الدار توقد مصباحا وزوجها يوقد منه مصباحا آخر والعادة عندهم ايضا أن البنت المخطوبة ترمى فى النار الشخشيخة التى كانت تلعب بها فى حال صغرها

وفى يابونيا يحرقون اجسام الموتى من الاعيان ويدفنون من عداهم ويشهرون عيدا يسمى عيد المصابيح كما يقع ذلك فى بلاد الصين ولكنهم يضيفون اليه زيارة القبور فى اوقات معلومة ويطعمون بقصد الشياطين اطعمة وسمكا ويغنون لهم ويفعلون رسوم التحيات وحظ جميع الناس هو التياترات المحزنة والمفرحة وليست ألعابهم فى ذلك دون ألعاب الامم المتمدنة ويكثر بها الراقصات وكذلك الراقصون الذين هم اقل حياء من النساء لما فيهم من الرخاوة والخنث وعندهم ايضا كثير من بيوت الروانى ويعينونهن على ذلك اعظم مما فى ولاية اخرى

وعندهم الطرق متعهدة تسهل سلوكها والتوصل منها ولا شيء من الجرائد يضر بنفاق سلع التجارة الداخلية ومع أن ميناتهم

تقسيم الزمن

مدارس

مساكن
اثاث
ملابس.

اوصاف اليابونية

نساء وجوار

الاحتفال للجنائز
التياترات

تجارة داخلية وخارجية

مسدودة دون اطماع الافرنج فعليها كثير من السفن الكبيرة والصغيرة وحوانيتهم واسواقهم مملوءة بسائر انواع المواد المعاشية وفى المدن اسواق كبيرة عامة يتردد اليها عدة من الامم وتجارة اليابونية مع الصينية مهمة فيحملون الى بلاد يابونيا الحرير الخام والسكر والتربنتينة وهى صمغ البطم والعقاقير وكان اليابونية يحملون الى خارج بلادهم قضبان النحاس والطلا وصمغ اللك وكلام تطسنغ وثونبرغ يقتضى أن كسب التجارة الفلمنكية مع اهل يابونيا ليس بالغاية فى العظم وذلك لان قبانية الفلمنك لا تستعمل للتجارة الاسفينتين وشكل السكة اليابونية عجيب وعند الخواجة تطسنغ نقود شكلها بيضاوى محدب ونقود الذهب تسمى كوبنغ ونقود الفضة تسمى كوداما وقد يرسم عليها فى بعض الاحيان صورة ديكوك وهو عندهم اله الثروة فيصورونه جالسا على زنبيلين من الارز وفى يده اليمنى مطرقة وفى اليسرى كيس والنقود التى جمعها الخواجة تطسنغ تاريخها قبل الميلاد بثمانمائة سنة

فهذه هى الولاية المنفردة فى آسيا التى مدحها ارباب الاسفار من علماء تلك البلاد مثل ثونبرغ وذمها القسيسون وارباب الاسفار شبهوها بجنة مشتملة على انواع الزراعات واما القسيسون فانهم لم يذكروا فيها الا آثار دم الشهداء من ملتهم وتخطيطات وارنيوس والنطين يظهر انها اغضبت الفلمنك حين تأليفها واما الخواجة تطسنغ فانه كان فلمنكيا اقام بهذه البلاد وكان معتبرا عند اقارب سلطان يابونيا وكانوا يأتمنونه على اسرارهم فألف كتابا عظيما يتعلق بالتاريخ والسياسة والجغرافيا فيما يخص هذه البلاد والظاهر أنه اشتغل بذلك مع التفرغ وشدة الغيرة قبل غيره

ارخبيل ليوكيو

والظاهر أن سلسلتى الجبال اللتين تخترقان كورة ويابونيا يتقاربان ويستمر اتجاههما تحت سطح الماء فيتكون منهما سلسلة مجامع جزائر صغيرة تمتد من يابونيا الى جزيرة فرموزة وفى هذا القسم البحرى الذى لا يعرف الا قليلا تجد ولاية ليوكيو المسماة لكيو وهى ولاية عامرة مرغوب فيها واول ما يتعلق بها من الاخبار العظيمة هى اخبار رسول صينى يسمى سوباكوونغ الذى بعث سنة ١٧١٩ من الميلاد فلخص رسالته القسيس غوبيل واخذ زبدة رحلته واما قنفر فهو فى الحقيقة اول من تكلم عليها وسماها باسم جزائر لكيو لكن على وجه مبهم

وكلام غوبيل يقتضى أن هذه الجزائر المتقدمة من جزيرة كيوسيو التى هى أبعد جنوبا من جزائر يابونيا الكبيرة وبها عدة انواع من سلسلة الجزائر الكبيرة والصغيرة تتصل بجزيرة فرموزة فنها ست وثلاثون غير الجزائر التى فى يابونيا وفى جنوب كيوسيو سبع جزائر صغيرة وجزيرة كبيرة تسمى تنكسيما وهى تابعة لسلطنة يابونيا

جزائر تانا واوفو وغيرها

وفى جنوب هذه الجزائر السبعة تجد ثمانى جزائر اخرى يحكمها ملك ليوكيو ويسمونها اوفوشيما يعنى جزائر اوفو والجزيرة العظيمة فيها تسمى فى البلاد اوفو ويسميها الصينيون تاتو يعنى الجزيرة الكبيرة وهذه الجزائر خصبة عامرة الاجزيرة ككيا وهى نظير اوفو فى كونها كثيرة الغابات الارزية الظريفة العظيمة

جزيرة ليوكيو الكبرى

وفى الجنوب الغربى من هذه الجزائر جزيرة عظيمة تسمى بجزيرة ليوكيو طولها من الجنوب للشمال ستون فرسخا تقريبا والملك يقيم فى الاجزاء الجنوبية بقصر يسمى شولة بقرب المدينة الملكية المسماة كانشنغ ولها مينا تسمى نبكينغ وعلى غربى هذه الجزيرة الكبيرة عشر جزائر اخرى عامرة كثيرة الاهل والخصب الاجزيرة لنغ هونغ شو يعنى جزيرة الكبريت لانهم يأخذون منها كثيرا منه وعلى شرقى فرموزة سبع عشرة جزيرة داخلة تحت حكم ملك ليوكيو

تولدات

والجزيرة الكبيرة كانت منقسمة منذ أربعمائة سنة الى ثلاث ولايات فلذا كانت تسمى فى بعض الخرطات جزيرة الملوك الثلاثة واستكشفها الصينيون فى القرن السابع من الميلاد ثم اخذت بعد ذلك بسبعمائة سنة وجزيرة ليوكيو كثيرة الارز والحنطة والخضراوات والبطيخ وشجر القشطة والبرتقان والكادو والليمون والشاى والزنجبيل والقاقلى والكافور وخشب الصباغة والوقود والحرير والشمع والملح وبها ايضا المرجان واللؤلؤ وحيواناتها البقر والغنم والايل والطيور

اهال

واهلها متأدبون ومشايخ دينهم البنزة اى كهنة البابونية واغلبهم متعلم فى يابونيا وكتب الدين والادب والعلوم مكتوبة بالحروف الصينية ولكن المتداول فى الاستعمال المعتاد انما هو حروف اليابونية ولسانهم يغاير لسان الصينيين وان كان مركبا من كثير من الكلمات الصينية واليابونية وفى سنة ١٧٢٠ من الميلاد انشأ بها السلطان كينغ هى كتبخانة وامر أن يبنوا فى اعظم هذه الجزائر هيكلا لكونفوسيوس

صناعة

وفى هذه الجزائر معامل الورق والحرير والسلاح وثم ارباب شغل يحسنون صناعة الذهب والفضة وغيرها وسفنهم التى تسير فى البحر المالح مرغوبة للصينيين واليابونية

وملك ليوكيو يدفع لسلطان الصين ميرياسنويا من الكبريت والنحاس والقصدير والمرجان وصدف اللؤلؤ ولا يمكنه أن يختار زوجاته الا من ثلاث عائلات ولا يعرف ايراده ولا قوته

اخبار القبودان بروغطون

ويمكن أن تقابل الآن هذه الاخبار التي ذكرها القسيسون باخبار القبودان بروغطون فكلام هذا الملاح الانكليزي يقتضي أن ولاية ليوكيو التي سماها ليوچو عبارة عن مجمعين من الجزائر فالمجمع الابعد جنوبا والاصغر قدرا يسمى جزائر ماجوكوسيماه والمجمع الاكبر هو جزيرة تيپين سهان وهي اقرب جزائر ليوچو المسماة بهذا الاسم حقيقة التي هي قريبة المسافة اذا سرنا جهة الشمال الشرقي والجزيرة المسماة ليوچو الكبرى تمتد من الجنوب الى الشمال وهي نحو اربعة وثمانين ميلا من الطول او خمسة وثلاثين فرسخا منه وعرضها ثمانية عشر ميلا بالنسبة لاعرض اجزائها وهي الجزيرة الاصلية من مجمع جزائر ليوچو وميناء نيشان مدينة وهي قاعدة الولاية وجميع هذه الجزائر ودار هذه الولاية الصغيرة وهي على ما قاله بروغطون واقعة في الشمال الغربي واهالي جزائر ليوچو وماجوكوسيماه بينهم مقاربة ومشابهة وهم اقرب لكونهم يابونيين الاصل من كونهم صينيين ويكتبون ويقرؤن بلسان اليابونية الذين يتجرون معهم وهم يتجرون ايضا مع الصينيين ويدفعون لهم الميري كما يتجرون مع جزيرة فرموزة ويربون الخيل والمواشي الكبيرة وصنفا عظيما من الخنازير مباينا للصنف الموجود في الصين

والظاهر أن الجزيرة التي سماها هذا الملاح الانكليزي باسم تيپين سهان هي التي سماها القسيسون تاپين وكذلك سمى هؤلاء القسيسون مجمع جزائر صغيرا جدا في الجنوب الغربي من ليوكيو باسم ماجي والظاهر انه عين اسم ماجوكوسيماه الذي ذكره بروغطون لان سيماه او سيما مرادف للفظ جزيرة ولكن توسع بروغطون فيه فجعله شاملا لجميع مجمع الجزائر الجنوبي والمدينة الاصلية من ليوكيو واقعة في الشمال على ما يقتضيه كلام هذا الانكليزي وفي الجنوب كما يقتضيه كلام القسيسين ولعل هذا الانكليزي اراد الميناء واراد القسيسون نفس المدينة ثم ان اتساع هذه المدينة حصل فيه مبالغة في الاخبار القديمة واختلاف الرسم انما نشأ من أن الكاف الصينية التي تشبه الكاف الاسوجية ليس لفظها مثل تركيب التاء والشين ولا مثل الكاف الفرنساوية فيمكن التعبير عنها بجملة حروف مجتمعة مثل التاء والكاف او التاء والغين فلهذا اختلفت كتابة اسم هذه الجزائر وهي ليوكيو التي تحتاج الى امتحان وتفصيل اكثر من ذلك

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية المرصودة على سواحل المنجو و يسو ويابونيا وكورة

اسماء الاماكن	عروض			اطوال			اسم المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوانى	درجات	دقائق	ثوانى	
سغالين							
راس ايليزآبيته	٥٤	٢٠	٠٠	١٤٠	٢٥	٠٠	كروسنسترن
راس غلوواچيف	٥٣	٣٠	١٥	١٣٩	٣٥	٠٠	كذلك
راس پسيانس	٤٨	٥٠	٠٠	١٤٢	٢٥	٠٠	كذلك
راس امو‌ا	٤٦	٢	٢٠	١٤١	١٠	٢٠	كذلك
كذلك	٤٦	٣	٠٠	١٤١	٨	٤٥	لا پيروزة على حسب ما صححه داچليت
كذلك	.	.	.	١٤٢	٢٠	٠٠	على ما تقتضيه خرطة رحلة لا پيروزة (غلط مقياس الزمان)
راس كريلون	٤٥	٥٤	٠٠	١٤٠	٣٥	٠٠	خرطة كروسنسترن (لا پيروزة وكتاب معرفة الازمان)
كذلك	٤٥	٥٤	١٥	١٣٩	٣٨	٣٩	لا پيروزة على حسب ما صححه داچليت
كوريله							
خليج نادسهدا بقرب جبل ساريچف	٤٨	٢	٠٠	١٥٠	٣٢	٣٦	كروسنسترن
يسو							
راس سوويا	٤٥	٣١	١٥	١٣٩	٣١	٠٠	كذلك
راس رومنزوف	٤٥	٢٥	٥٠	١٣٩	١٤	٣٠	كذلك
(نوتزمبون)							
جزيرة ريوشيرى او جبل لنغل .	٤٥	٢٣	٠٠	١٣٩	٥٠	٠٠	حرطة لا پيروزة (غلط)
كذلك	٤٥	١٠	٤٨	١٣٩	١	٥٠	لا پيروزة على حسب ما صححه داچليت
كذلك	٤٥	١١	٠٠	١٣٨	٥٢	١٥	هرنير وكروسنسترن فى ارصاد مكررة محررة
راس مالسپينا	٤٥	٤٢	١٥	١٣٨	٥٨	٣٠	كذلك
راس نوولروف	٤٣	١١	٠٠	١٣٧	٥٣	٣٠	كذلك
(اكوموب)							
جزيرة اكوزير (فى الوسط) . . .	٤٢	٩	٠٠	١٣٧	١٠	٠٠	كذلك
راس نادسهدا	٤١	٢٥	١٠	١٣٧	٤٩	٣٠	كذلك
جون البركان	٤٢	٣٣	١١	١٣٨	٣٢	٣٢	بروغطون
يابونيا							
راس سنجارية	٤١	١٦	٣٠	١٣٧	٥٤	٠٠	كروسنسترن
راس الروسية	٣٩	٥٠	٠٠	١٣٧	٢٤	٠٠	كذلك
راس نوتو	٣٧	٣٦	٠٠	١٣٥	٣٤	٠٠	كتاب معرفة الازمان
جزيرة اتسوس (فى الطرف الشمالى)	٣٤	٤٠	٣٠	١٢٧	٩	٣٠	كروسنسترن
تنغازاكى	.	.	.	.	.	.	
راس دنويل	.	.	.	.	.	.	
راس تنبو	.	.	.	.	.	.	
ساحل المنجورية وكورة	.	.	.	.	.	.	
راس رومبرغ	٥٢	٢٦	٣٠	١٣٩	٢٤	٤٥	كروسنسترن

جون

اسماء الاماكن	عروض			اطوال			اسماء المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوانی	درجات	دقائق	ثوانی	
جون قاستريه	٥١	٢٩	٠٠	١٣٩	٣٩	٠٠	لا پيروزة وكتاب معرفة الازمان .
رأس مونتى	٥٠	٣٠	٠٠	١٣٩	٣٣	٠٠	كذلك
جون دوسوفرن	٤٧	٥٣	٠٠	١٤٧	٢٠	٠٠	كذلك
جون دوترناى	٤٥	١٣	٠٠	١٣٥	٠٩	٠٠	كذلك
جزيرة داجليت	٣٧	٢٥	٠٠	١٢٩	٠٢	٠٠	كذلك
انساكوتى (كورة) .	[illegible]	٣[illegible]	٠٠	١٢٧	٢٣	٠٠	كذلك
كليارت (جزيرة كليارت)	٣٣	٠٧	٤٩	١٢٣	٥٨	٤٢	

تنبيه * فى يابونيا ثمانية وستون اقليما وستمائة قسم سياسى ضربنا عن جدولها صفحا الان هذا الجزء من كتابنا قد زاد على ما قصدنا بالايراد وجمعه فكان عدم ذكره فائدة اخرى

(المقالة الثالثة والستون)

(من تخطيط آسيا في بلاد الصين الحقيقية)

(الجزء الاول)

(في التخطيط العام)

تقدم المعارف

قد ذكرنا فيما تقدم الصينيين اكثر من مرة واستظهرنا أن الجغرافيا القديمة لاتصل الى البلاد البعيدة التي هي مقر هذه الامة الصينية المنعزلة عن باقي بلاد الدنيا وذكرنا كلام السياحين من العرب الذين كانوا في القرن التاسع من الميلاد وكذلك قسيسوا القرن الثالث عشر ومرق پول الشهير في اسفارهم الى بلاد خطاى ومنجي المسماة مهاصين يعني الصين الشمالي والجنوبي فلا حاجة الى اعادة هذه المنازعات وانما نقول ان اسفار ربروقيس ومرق پول بقيت زمنا طويلا مجهولة وان باباروومة المسمى بيه الثاني الذي كان صاحب معارف خطط سنة ١٤٤٨ من الميلاد بلاد الصين تابعا في ذلك لرحلة صغيرة مختصرة ألفها نيقولاس قنطى الذي شاهد تلك البلاد قبل تأليف البابا المذكور بنصف قرن على أن هذا البابا يظهر من كلامه أن عنده شكا في صحة ماقاله هذا السياح ولكن لم يصل الافرنج الى معرفة هذه البلاد الابتعريف ملاحي البرتوغالية الذين جاؤا بعد وسقودوغاما فانهم ذكروا اخبارا صحيحة في تقويم بلاد الصين واتساع ارضها وعظمها ومن هذا الزمن كثرت المعارف ولازالت تتجدد من سفراء الملوك المبعوثين الى الصين الذين رأوا ديوان ملك الصين والطرق العظمة وكذلك بعض تجار سكنوا في ضواحي مدينة من مدن الحدود وممن عرفنا ذلك عدة قسوس دخلوا بلاد الصين وجالوا في جميع ارجائها وتعجبوا فيها من كل شيء وصدقوا كل شيء ولكن لما كان عندهم اخلاص في التأليف كان للقارى أن يستنبط من كلامهم مافاتهم من الامور المهمة التي لم يذكروها الانادرا وكذلك مما توصلنا بمعرفته لتلك البلاد كتب الجغرافيا الصينية وان كانت اسماؤها صعوبتها لاتفيدنا الا اشياء هينة فلهذا كان تخطيط الصين يضطر فيه الى التكرار

دولة الصين

وفتوحات سلاطين دولة المنجو المسماة خطاء باسم التتار اتسعت دائرتها على اعظم جزء من الاراضي المسماة باسم التتار المستقلة وهذه التسمية باطلة دائما لان اغلب هذه البلاد يسكنه القلموق والمغول لا التتار وفي وقت هذه الفتوحات دخل الروسية في سبير فصار وسط القارة القديمة نقطة ملاقاة لامتين خارجتين من طرفين متقابلين فتجد امبراطوريتين عظيمتين احداهما تتصل بالقطب والاخرى تجاوز المدارين وبعد أن كانتا مفصولتين بمسافات عظيمة جدا هما الآن متصلتان وهما امبراطورية الروسية وسلطنة الصين واتصالهما بواسطة خط طوله ألف ومائة فرسخ تقريبا من اطراف

حدود الارض

بحيرة بلكاشي الى مصب نهر امور وهذا الخط الطويل هو في الغالب ينتهي باتجاه الجبال التائية والسيانية والدورية ولكن قد توصل الروسية في دورية الى توسيع حدودهم خلف الجبال الى شطوط نهر امور وبحيرة بلكاشي وجبال الالث وجبال بلور تفصل مملكة الصين غربا من بلاد الغرغيز والاوزبك وغيرهم من الامم المستقلة عن بلاد التتار الحقيقية وبهذا كان استيلاء الصينية يقرب في الشمال والشمال الغربي من حدود روسية آسيا اذ امتد ايضا من الغرب ومن الجنوب الغربي على اقطار التبت الواسعة فبهذا كادت حدود الصين تتصل بحدود البلاد التي في حكم الانكليز جهة بنغالة واراضي سيرينا غور الصغيرة ونپول وغيرها وجبال غارو وهي من هذه الجهة آخر حاجز بين سلطنتي الصين والهند واذا بعدنا عن ذلك شرقا وجدنا سلطنة برمان تتصل بالاقليم الصيني المسمى ايون نان وبلاد سياموا لاتتصل بحدود الصينيين واما مملكتا لاوس وتنكين فهما متصلتان بها بل ربما كانتا ميريتين للصين

البحور التي تتصل بالصين

والبحر المحيط الشرقي بعد احداثه كثيرا من الاجوان والبوغازات يتصل بسواحل سلطنة الصين واتصاله بها في مسافة نحو الف وثلثمائة فرسخ من حدود تنكين الى مصب نهر امور والذي يتصل اولا بجون تنكين وبحر الصين هو الاطراف الجنوبية من السلطنة وخليج فرموزة يفصل جزيرة فرموزة من الارض القارة والبحر الازرق والبحر الاصفر يمتدان احدهما وهو الاول بين الصين وليوكيو وياپونيا والثاني بين الصين وكورة وقد ذكرنا فيما سبق بحر ياپونيا وطرفه الذي عرفه لاپيروزة يسمى بوغاز التتار تسمية خالية عن المناسبة ولايعرف هل الصينيون يدعون لانفسهم جزيرة سغالين او چوكا وهي بلدة يمكن أن تصير فيما بعد مهمة ويمكن أن طمع الروسية الذي هو دائما قوى يدعوهم الى الاستيلاء عليها ونهاية بلاد المنجو تسمى التتار الصينية تسمية فاسدة وهي تحاذي بحر اوختسك الذي سماه المتأخرون بذلك واما دنويل فسماه بحر قمچتقا

اتساع المملكة

ومملكة الصين الداخلة في هذه الحدود تمتد طولا نحو ١٢٥٠ فرسخا اذا حسبنا من مدينة قاشغر الى مصب نهر

امور

امور لم تبرعرضها على امتداده من الجبال السيانية الى الطرف الجنوبي من الصين تجاه جزيرة هاى نان على خط مقداره سبعمائة وخمسون فرسخا

والسطح الهندسي لهذه المملكة يمكن أن يكون تقريبا ٦٥٠٠٠٠ فرسخ مربع وهو اقل من عشر سطح الارض المعمورة بيسير

الصين الحقيقية

وليس الغرض لنا هنا الا الصين نفسها فنقول ان هذه البلاد يظهر لنا اتساع اراضيها حيث يزيد سطحها على ١٩٤٠٠٠ فرسخ مربع واهلها مائة وخمسون مليونا على ما قاله بعضهم وقال آخرون انهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون مليونا وليس هذا الاتساع في الحقيقة محدودا بحد طبيعي والسد الاكبر الصيني يفصل بلاد المغول من بلاد الصين شمالا وعلى الغرب تفصل الحدود السياسية الامم الرحالة النزالة وهم القلوق المسمون ايضا ايلوتة من الهوهو نور والسيفان وحدود مملكة الصين هي من جهة الجنوب تحديد بلاد الصين الحقيقية

اقسامها واتساعها

ولنذكر لك هنا جدول اقسام الصين الحقيقية واتساعها وتبع في ذلك الاخبار التي ذكرها المندرين اى العالم الصيني المسمى شوتازنغ واخبر بها الامير الانكليزي المسمى مقرطيني حين سفره الى بلاد الصين بوظيفة سفير من طرف الدولة الانكليزية الى ملك الصين وهذه صورة الجدول المذكور

اقاليم	اميال مربعة	اكر (وهو فدان افرنجي ونصف تقريبا)
بي جي لي	٠٥٨٩٤٩	٣٧٧٢٧٣٦٠
كيانغ نان * اسم لاقليمين .	٩٢٩٦١	٥٩٤٩٥٠٤٠
كيانغ سي	٧٢١٧٦	٤٦١٩٢٦٤٠
جي كيانغ	٣٩١٥٠	٢٥٠٥٦٠٠٠
فوكيان	٥٣٤٨٠	٣٤٢٢٧٢٠٠
هوكوانغ { هوبي / هونان }	١٤٤٧٧٠	٩٢٦٥٢٨٠٠
هونان	٦٥١٠٤	٤١٦٦٦٥٦٠
شانتونغ	٦٥١٠٤	٤١٦٦٦٥٦٠
شان سي	٥٥٢٦٨	٣٥٧١٥٥٢٠
شنسي { شنسي الحقيقية / كان جو }	١٥٤٠٠٨	٩٨٥٦٥١٢٠
سيشون	١٦٦٨٠٠	١٠٦٧٥٢١٢٠
كوونغ تونغ	٧٩٤٥٦	٥٠٨٥١٨٤٠
كوونغ سي	٧٨٢٥٠	٥٠٠٨٠٠٠٠
يونان	١٠٧٩٦٩	٠٦٩١٠٠١٦٠
كتشيو	٦٤٥٥٤	٤١٣١٤٥٦٠
	١٢٩٧٩٩٩	٨٣٠٧١٩٣٦٠
	١٤٤٢٢٢ فرسخا مربعا	

اسما

وهذا الاقليم كان مشهورا بعدة اسماء فأهله يسمونه جون كوه ومعناه مركز الارض وذلك لان الصينيين يفتخرون بأن جميع البلاد انما هي حواش واطراف لبلادهم ولكن ارباب الاسفار من الاسلاميين من اهل القرن التاسع من الميلاد يطلقون اسم الصين على بلاد الصين الجنوبية ويسميها العجم باسم چين واصل هذا الاسم غير محقق وامة السينة المذكورة عند الاقدمين وان كانت ابعد في الغرب من جميع اجزاء الصين الجنوبية الا أن مشابهة الاسماء عظيمة تامة بحيث لا يمكن أن يقال ان هذه المشابهة لا معنى لها ويظهر لي أن اسم سينة انما هو اسم قديم من اسماء الاجناس موضوع للدلالة على جميع امم التبت والصين والهند التي خلف نهر الكنك

جبال

وقد وقع في جغرافية الصين الطبيعية من الشكوك العسرة الوضوح ما صارت به هذه البلاد العظيمة على اقل مما تستحقه

من الفائدة وزعم بعضهم أن بلاد الصين تنقسم قسمين طبيعيين بكثيرى الجبال احدهما فى الجنوب الشرقى والآخر فى الشمال الغربى ولنذكرهما فنقول

سلاسل جبال جنوبية

اما سلسلة الجبال الكبرى الجنوبية فانها تظهر بين اقليمى ايونان وكتشيو ولايدرى هل هى متصلة اتصالا ظاهرا بجبال الانب التبتية او هى منفصلة عنها وهذه السلسلة تمتد بين اقاليم كوون سى وكوون تونغ وفوكيان جنوبا واقليمى هوكوان وكيانغ سى شمالا وتتجه اولا من الغرب الى الشرق حتى اذا وصلت الى حدود فوكيان تنعطف الى الشمال الشرقى وبذلك تفصل اولا حوضة نهر يان تسكيانغ من حوضة نهر هون كيانغ جنوبا ثم تفصل نهر يان تسكيانغ من البحر شرقا وثم شعبتان من هذه السلسلة تقطعان حوضة يان تسكيانغ قطعا معترضا بحيث يجب ان الاقاليم الثلاثة وهى اقليم سچون وهوكوان وكيانغ سى تكون ارضها ارفع سمكا من غيرها وتكون كثلاثة سطوح مدرجة والسلسلة الاصلية ذات مرتقى صعب لاسيما فى اقليمى كنشيو وكوانسى حيث تقيم بها قبائل متوحشون لم يدخلوا الى الآن تحت طاعة الصينيين ولكن لم يتحقق ارباب السياحة الا الجبل الصغير المسمى ميلنغ الذى يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف قدم فوق سطح بحيرة يوينغ وهذا الجبل الصغير يحيط به عدة جبال اصغر منه مهابطها كثيرة الاشجار والحشائش الكبيرة ومنظره وحشى عجيب والظاهر بمقتضى العلامات أن احجار الصوان التى هى كالورق وصخرة حجر الزناد هى المتحكمة فى هذه السلسلة الجبالية المنحية الشبيهة بجبال ابنين التى فى ايطاليا بل هى ايضا اشبه فى العظم بجبال البرنات التى بين اسبانيا وفرانسا

سلاسل جبال شمالية

واما القسم الجبلى الذى فى الشمال الغربى فهو اقرب لان يكون سطوحا مدرجة اوربوات من كونه سلاسل جبال كما تدل عليه خرطات دنويل * ثم هذه الخرطات مرسوم عليها الجبال بوجه غير واضح غير أن عليها امارة الصحة والتدقيق وفى غرب اقليم سچون سلسلة جبال تتجه على موازاة نهر يالون من الجنوب الى الشمال ثم تدخل بعد ذلك فى اقليم سيفان فتسمى هنالك باسمى كنتالالا ودهات سى كو وغيرهما ثم تنعطف من هذا القسم الكثير العيون الى جهة الشرق وتدخل فى اقليم شنسى وتسير فيه على موازاة نهر هويهو ثم تسير على موازاة نهر هوانهو وتنتهى فى اقليم هونان * وفى شمال اقليم شنسى وفى بلاد منچوارتوس ينعطف نهر هوان هو نحو ثلثمائة فرسخ شمالا ويشتمل من جهات ثلاثة على الربوة الجبلية المنعزلة وحدها

طبيعة جبال شنسى

واقليم شنسى مملوء بالجبال التى يظهر انها من سلسلة خارجة من شطوط نهر امور فى داخل بلاد المغول والفروع الثانوية من هذه السلسلة قد ذكرها الخواجة جيلان واغلب تلك الجبال شاهق وكلها فى الغالب كالصخرات القحلة واول طبقة منها هى فى الغالب من الرمل والحجارة التى تستحيل زجاجا والطبقة الثانية من حجر كلسى صلب ذى حباب وعقد كثيرة زرقاء والثالثة من حجارة السجيل الصلبة الزرقاء وربما كانت حمراء تضرب الى السمرة وهى طبقة كثيفة جدا خالية عن الانتظام وفى بعض محال منها يكثر اكسيد الحديد حتى انه يكسب حجارة السجيل صبغة الحديد المسماة ازنكان وتجد فى عدة اجزاء من اطراف بلاد المغول عروقا عمودية من حجر الاسباط الابيض ومنه ماهو ابيض وازرق على رؤس الجبال الشامخة وترى كتلا عظيمة متفرقة من الصوان

ولا يظهر فى تلك الجبال اصلا ما يدل على اثر النار بل كانت سابقا مشحونة بالغابات والآن لا ترى فى رؤسها ولا فى المواضع المتميزة منها الا نو لدات عاجزة لا تنمو

واقليم سان تون متكون اغلبه من معظم بحيثجزيرة جبلية وجباله المشتملة على معادن الفحم يتكون منها مجمع جبال منعزلة عن بقية جبال الصين والجبال الخمسة الشامخة من هذه السلسلة تسمى عند الصينيين روس الخيل

سهول

واعظم سهول الصين ما كان فى اقليم كيان نان بين النهرين العظيمين وهما نهر هوان هو ونهر ينغ سن كينغ ومن هذين النهرين مع نهر هوكيان الواقع فى الجنوب يتركب ثلاث حوضات كبيرة تشتمل على الاقسام الكثيرة الخصوبة من هذه البلاد واغلب سواحل الصين يظهر انها وعرة رملية تكتنفها المخاضات

انهر هوان هو

ثم ان نهر هوان هو اى الاصفر انما سمى بذلك لما يجذبه من الطين فى جريانه وله منبعان معروفان وهما بحيرتان واقعتان فى ارض قلوق هو هونور المسمين ايضا شوشوت ولكن ماذكره دنويل يقتضى أن النهر الابعد غربا من هاتين البحيرتين يصح أن يعتبر مبدأ لنهر هوان هو ومن اطلع على النهر المذكور من هذه الجهة وجده اشبه شئ بنهرى الرين والرون من جهة منبعهما وبالجملة فلا شئ اصعب من تحديد منابع الانهر الكبيرة وتعيينها على وجه الصحة

ينغ تس كينغ

ونهر ينغ تس كينغ اى النهر الازرق يخرج من شمال التبت قريبا من صحراء كوبى وماذكره دنويل واروميث

فى تحديد

فى تحديد اوضاع المنابع المذكورة انما هو من باب الحدس والتخمين ومبنى على روايات متعارضة ونقول متناقضة

وهذان النهران الخارجان من منبع واحد كأنهما توءمان ينزلان بسرعة من الربوات العظمى التى بآسيا الوسطى وكلاهما يلاقى فى جريه فرعا من الجبال بواسطته ينعطف كل منهما الى جهة على حدته وينفصل عن الآخر انفصالا تاما فتجد نهر هوان هو ينعطف الى جهة الشمال ونهر ينغ تس كينغ ينعطف الى جهة الجنوب ومسافة ما بينهما اربعمائة فرسخ ويتراآى للناظر أن احدهما متجه نحو بحار المنطقة المحترقة والآخر ذاهب فى صحارى المغول ذات الثلوج ثم يتقاربان على حين غفلة كأنهما تذكرا الاخاء القديم فترى كلا منهما يقرب من الآخر ويسعى فى طلبه وينعطف نحوه فيسيران معا فى سهول اشبه بسهول الجزيرة (تركية آسيا) وبعد أن يتلاقيا تقريبا فى السهول المذكورة بواسطة الخلجان والبحيرات يستمران على الجريان مسافة ثلاثين فرسخا ثم يمسكان عن هذا السير العظيم ويقفان وينتهى منهما هنالك الجريان

ومن جملة الانهار الصغيرة التابعة لهذين النهرين العظيمين ما يضاهى اعظم انهار بلاد اوروبا فمن ذلك انهر فون هو وهوى هو وهواى هو التى تصب فى النهر الازرق كنهر يالون كينغ الذى يبلغ مجراه تقريبا مائتين وخمسين فرسخا ومن ذلك ايضا نهر انجو المسمى ايضا ين كينغ ونهر لا كينغ ونهر ايون كينغ التى تصب فى النهر الاصفر واما نهر ايوان وايون فيصبان على الصحيح فى بحيرة تونغ تنغ هو كما أن نهر خان يصب فى بحيرة بو ينغ هو ثم تصب هاتان البحيرتان فى النهر الازرق وهو ينغ تس كينغ فكل نهر من هذه الانهر الصغيرة الواقعة فى وسط الصين يضاهى نهر لوارة ونهر الرين ونهر البه .

وفى الصين ايضا نهران كبيران مستقلان استقلالا تاما لا تبعية لهما بنهر هوان هو ولا بنهر ين تس كينغ احدهما نهر هوان كينغ جهة الجنوب وهو يخرج من جبال ايون نان ويجرى مسافة مائتين وسبعين فرسخا ثم يصب فى جون كنتون وثانيهما نهر باى هو جهة الشمال وهو يصب فى جون بكين بعد أن يصب فيه نهر يان هو ثم ان كثرة الانهر الكبيرة والصغيرة عند الصينيين تعود عليهم بالمنافع الجمة فيما يخص الزراعة والسياحة الداخلية غير أن مياه الشرب عندهم قليلة الجودة ومنشأ ذلك على ما يظهر هو أن الانهر تنزل بسرعة من جبال شامخة

فتجذب معها كثيرا من المواد الاجنبية ثم تجرى على ارض سبخة مع البطء والانعطاف فى السير

والظاهر أن بعض اقسام الصين مشحون ببحيرات اغلبها كبير جدا فقد ذكر الخواجة دوهلد أن بحيرة تونغ تينغ هو الواقعة فى اقليم هوكنغ محيطها يزيد على ثمانين فرسخا وتجد من شواطئ هذه البحيرة الى مدينة ووتشان فى مسافة خمسين فرسخا من الطول والعرض عدة كبيرة من البحيرات التى تكاد تكون متلاصقة ومن ثم سمى هذا الاقليم اقليم هوكونغ ومعناه ارض البحيرات فمنها بحيرة بو ينغ هو باقليم كيانسى ومحيطها ثلاثون او اربعون فرسخا ويصب فيها اربعة انهر عظيمة لا اقل من كون احدها يساوى نهر لوارة قريبا من مدينة انجرس والسفر بهذه البحيرة خطر جدا وتجد فى جنوب مدينة تنكين بحيرة يقال لها تيهو يكتنفها تلال ذات منظر بهيج وفى شمال تلك المدينة ايضا بحيرتان متسعتان جدا وهما بحيرة هونتس هو وبحيرة خيوهو وهذه البحيرات كلها وصلة بين دولة الصين وغيرها من الدول الاجنبية وهى اشبه بمنتزه يجتمع فيه الحظوظ والمسرات وبحياض تكثر فيها الاسماك فترى فيها زوارق خفيفة يمكن حملها تتلاعب وتجوز على مياه تلك الحياض الراكدة وتشاهد فيها من الطيور المائية رخما يرسلونه ليصيد لهم السمك فينقض على السمكة ويصيدها فان لم يكن مرسله وضع فى عنقه حلقة تمنعه من الازدراد والابتلاع ما صاده

وقد ابدى الصينيون ما يستدل به على انهم ارباب معارف وفنون حيث جمعوا جميع المياه الموجودة فى ارضهم بواسطة عدة خلجان يتعجب السياح من طولها وحسن وضعها وتناسبها وهى من العمق على مسافة تكفى لسير السفن فى جميع فصول السنة الا أن ما يرى هنالك من السدود او الجسور التى يتخللها فرج ومنافذ لمرور تلك المراكب صعودا وانحدارا ليس جيد الوضع ولا محكم الصناعة ثم ان انهر الصين وخلجانها هى دائما مشحونة بالسفن الموسقة بسائر انواع المؤونات حتى انه ربما اعتقد الانسان أن مياه الصين يوجد عليها من الناس بقدر ما يوجد منهم على الارض والخلجان المذكورة محفوفة من جوانبها بأرصفة مبنية بالحجارة وفيها بعض قناطر بديعة البنيان غير أن السير بها بطىء لان السفن فيها غالبا يجرها الرجال وبالجملة فأرض الصين تروق الناظر وتعجب الخاطر لكثرة خلجانها وصخورها وغاباتها ومزارعها وما يحيط بها مسافة بعد اخرى من الضياع والقرى وقد جمع فيها بين العجائب الطبيعية والعجائب الاصطناعية فتراها هنالك متقاربة

ومتجاورة واشهر خلجانها هو ما يسمونه الخليج السلطانى وطول مجراه نحو ستمائة فرسخ وهو وصلة للمخالطة بين مدينتى بكين وكنتون وكان احداث هذا الخليج فى اواخر القرن الثالث عشر من الميلاد على عهد حفيد جنكيزخان وهذه المسافة الطويلة البحرية لا ينقطع اتصالها الا بقدر مرحلة يقطعها المسافر فى اجتياز جبل معترض هنالك بين اقليمى كوانتونغ وكيانسى

قطر — ثم ان اختلاف القطر فى اقاليم الصين يتزايد بما لا يكاد ينكر من التأثيرات الناشئة عن جبال اسيا الوسطى حيث انه يخرج منها فى الغالب برد ينتشر على ما جاورها من البلاد وايضا قرب البحر المحيط من بعض الاقاليم البحرية يجعلها معتدلة المزاج طيبة الفصول

عواصف — وعواصف الرياح التى تخرج على جزيرة فرموزة تصل مضارها وتخريباتها غالبا الى السواحل القريبة من الصين ولم يزل فى تاريخ الصين ذكر الفرطونة التى اغرقت الدونمة الكبيرة التى كانت معدة لفتح بلاد يابونيا وهنالك ايضا زوابع تنور فى خليج تنكين ثورانا هائلا فتضر ايضا بنواحى الصين البحرية

حرارة — ولما كان جنوب الصين قريبا من مدار السرطان كانت حرارته اشد من حرارة اقليم بنغالة غير أن حرارة الاقطار الصينية تلطفها رياح الموسون وهى رياح دورية تهب فى بحر الهند مدة معلومة وقد بلغت الحرارة المتوسطة فى مدينة كنتون تسع عشرة درجة حسبما دلت عليه ميزانية ريومور والظاهر أن الرياح المعتدلة التى تهب بالاستقامة من الشرق الى الغرب لاتصل الى الجهات الجنوبية من الصين وان وصلت اليها فليس على وجه الاستقامة ولا تستقر بها الا يسيرا وما نقله السياحون فى شأن رياح الموسون يظهر أنه متناقض فان رياح الشمال الغربى انما تكون فى فصل الربيع وفصل الصيف ورياح الجنوب الغربى والجنوب انما تكون فى اواخر فصل الخريف غير أن كلا منهما يتغير غالبا

والاقسام الشمالية والغربية من الصين قطرها اشد برودة من قطر اقسام اوروبا الموافقة لها فى العروض ومنشأ هذا الاختلاف بين القطرين المذكورين انما هو ارتفاع ارض الصين وكون تلك الارض مشوبة بملح البارود وما يغمر الجبال الوسطى بآسيا من الثلوج فى اغلب السنة

شدة الحر والبرد — وشدة البرد والحر فى مدينة بكين اعظم منها فى مدينة مدريد وان كانتا على عرض واحد تقريبا فتشتد بها البرودة فى جميع ايام شهور دقمبر وينوية وفبرية واغلب ايام شهرى مارث ونومبر ثم يعقب هذا البرد على الفور حرارة شديدة فلا يوجد فى الحقيقة بمدينة بكين الا فصلان وهما فصلا الشتاء والصيف واذا جرينا على ماذكره القسيس اميوت فى ارصاده وجدنا الحد الاوسط فى اقصى درجات الحرارة

قطر بكين

	درجات	دقائق	
يبلغ	+ ٣١		كما فى ميزان ريمور
والحد الاوسط فى اقصى درجات البرد	— ١٠	٦	كذلك
ومقدار التفاضل	٤١	٠	كذلك
والحرارة المتوسطة فى السنة	١٠	١	كذلك

رياح — ثم ان شدة الرياح هى غالبا عظيمة فى مدينة بكين فتجدها فى فصل الربيع والخريف تهب عند شروق الشمس وتسكن عند غروبها وتجلب معها فى الغالب غبارا اصفر كثيرا حتى كأنه فى رأى العين مطر من الكبريت والظاهر انه متحلل من طلع ازهار اشجار الصنوبر واشجار التنوب القريبة من مدينة بكين والظاهر ايضا أن رياح الشمال والجنوب الغربى متسلطنة على تلك الاراضى

امطار — وقلما نزل فى مدينة بكين مطر مدة الشتاء وكذلك الثلج وانما تكثر بها الامطار فى شهر يونية ويولية واغسطوس واعظم اشهر السنة صحوا هو شهر نومبر ويكثر الضباب فى شهرى دقمبر وينوية والعدد المتوسط لايام المطر فى كل سنة ثمانية وخمسون يوما ويشاهد غالبا فى بكين طلوع الفجر من جهة الشمال وعدة حوادث اخرى ضوئية تحكى هذا الفجر الشمالى وان كانت تظهر فى النهار وتغيب فى اسرع وقت

زراعة الحنطة والخضراوات — ومن اطلع على تخطيط نباتات الصين عرف من اول وهلة ما احتوى عليه نفيس زراعتها من الكنوز واسباب الثروة التى اعظمها الارز وان كان فى الشمال الغربى اقسام باردة او حارة لا ينجح فيها هذا النبات فيستغنى عنه فيها بالحنطة ويزرع الصينيون الكمأة والقلقاس الافرنجى واللفت والبصل والفول ولا سيما نوع من الكرنب الابيض يقال له عندهم بتسائى واغلب الاراضى الصينية القابلة للزراعة معتدا انما لزرع اقوات الاهالى ولا يعرف عندهم عادة استراحة الارض

واهمالها

واما الهائدون زراعة فلا تجد عندهم الا قليلا من المراعى والغيطان المزروعة بالهرطمان والفول واللفت لاجل غذاء المواشى وترى الجبال الشامخة قد صارت سهلة خصبة من كثرة الاستعمال فتجدها متقطعة الى عدة سطوح اذا رأيتها من بعد حسبتها اهراما عظيمة تبلغ فى الارتفاع عنان السماء منقسمة الى عدة طبقات واعجب من ذلك انك

سقى الارض

تشاهد مياه الانهر والخلجان والعيون تجرى فى سفح الجبل ثم ترتفع من سطح الى آخر حتى تصل الى قنته بواسطة قواديس مشدودة على شكل ما يسمى بالتونس يحملها رجلان ويديرانها لاجل السقى وفى رؤس هذه الجبال يحفرون حياضا تجتمع فيها الامطار ثم تنزل من عدة مجار فتروى جوانب تلك الجبال واما اجزاؤها الشامخة جدا او القحلة جدا فيغرسون فيها اشجار الصنوبر واللاريس

آلات الزراعة

ومحاريثهم ساذجية ليس لها الا مقبض واحد وليس لها سكة حيث انه لا يوجد عندهم اصلا اراض غير متعهدة ولا حشائش يلزم ازالتها حتى يحتاج الى السكة المذكورة ويبذرون القمح فى مجار بواسطة جرة والبذر بهذه الكيفية قد جرب منذ مدة يسيرة فى بعض اقسام انكلترة والبذر بالجرة فى بلاد الصين انما هو من عمل اولاد الزراعين ونسائهم وقد يستعمل الصينيون فى استخراج الحبوب من السنابل اسطوانة غليظة ويذرون الحنطة دائما بآلة تشبه بالكلية الآلة التى ظهرت فى اوروبا منذ قرن تقريبا

حيوانات الحرث

والحيوانات المعدة عندهم للحرث والحمل وكذلك المعدة للاكل يجعلونها غالبا فى اصطبلات ويأتون اليها بعلفها والعلف الاصلى للخيل هو الفول والتبن الناعم المعتنى بتنعيمه وفى الاقاليم الشمالية يحرثون على البقر لشدة البرد هنالك على

تسبيخ الاراضى

الجاموس ومع ذلك هو مقدم على البقر متى امكنت تربيته ولا حاجة هنا الى ذكر ما يستعمله الصينيون فى تسبيخ الاراضى من الوسائط المتنوعة على سبيل التفصيل لان ذلك يوجب السآمة والملل وانما نقول انه ما من شئ من الجواهر المنتنة ومواد العفونة الا وله دخل فى زراعة الصينيين البطيئة

وضع الضياع

ولفلاحى الصينيين فى وضع مساكنهم كيفية تساعد بالكلية على تقدم فن الزراعة وايناع ثمرته فترى مساكن كل ضيعة متفرقة متباعدة عوضا عن كونها متقاربة متجاورة وليس عليها اسياج ولا ابواب ولا ما يقيها من الحيوانات المفترسة واللصوص والنساء يربين دود القز ويغزلن القطن الذى هو عام الاستعمال عند عامة الاهالى ذكورا واناثا دون خواصهم ثم ينسجنه اقمشة لما أن هذه الصناعة خاصة بالنساء فى سلطنة الصين

وما تصنعه دولة الصين لفن الزراعة من الاحتفالات التشريفية لا يكاد يجهله احد ولكن لا بأس بايراد طرف من ذلك على سبيل الاختصار فنقول انه فى اليوم الخامس عشر من الشهر الموافق لاوائل شهر مارث من كل سنة يصنع

موسم الزراعة

السلطان بنفسه احتفال حرث الاراضى فيتوجه فى موكب عظيم الى الغيط المعد لذلك ويصحبه الامراء الذين من نخبة السلطنة ورؤساء المحاكم الجسيمة الكبيرة وجم غفير من كبار الدولة فينزل الضباط واهل منزل السلطان فى جهتين من جهات الغيط يحدقون بهما وينزل فى الثالثة كبار الدولة على اختلاف مراتبهم والرابعة معدة لسائر فلاحى الاقليم الذين يسارعون الى مشاهدة تشريف صناعتهم باشتغال رئيس دولتهم بها وذلك أن السلطان يدخل الغيط وحده ويسجد على الارض تسع مرات للاله المسمى عندهم تيان اى اله السماء ثم يرفع صوته بدعاء وضعه امناء دينهم يطلب فيه من الذات العلية أن يبارك له فى شغله وشغل رعيته ثم يذبح ثورا بوصف كونه امام الدولة تقربا الى الله تعالى الذى بيده جميع الخيرات وفى أثناء تقديم هذا القربان الى المذبح يؤتى للسلطان بمحراث يجره ثوران مزينان بأفخر زينة وابهجها فعند ذلك يخلع شعار السلطنة ويقبض بيده على المحراث ويخط به فى الارض عدة خطوط من اول الغيط الى آخره ثم يدفعه لكبار الدولة فيحرثون به ايضا على التعاقب وكل منهم يبدى فى ذلك ما عنده من الاجتهاد والرغبة ثم يختمون هذا المحفل بتفريق دراهم ومقاطع قماش على من حضر من الزراعين وامهر هؤلاء الزراعين هو من يتمم ما بقى من عمل الحراثة بحضرة السلطان وبعد تميم الحراثة وتسبيخ الارض يأتى السلطان ثانيا ويبذر غيطه مع الاحتفال بحضور جميع الزراعين ووزراؤه يفعلون هذا الموسم ايضا فى اليوم بعينه بسائر اقاليم الدولة

الاراضى التى لا تصلح للزراعة

ومع ذلك لا ننكر أن بعض من يوثق بهم من السياحين وجدوا حالة الزراعة فى سلطنة الصين اقل تقدما وبهجة مما اجمع عليه الناس فى شأنها فانك تجد على طريق بكين باقليم كنتون اراضى واسعة جدبة وجبالا قحلة لا تصلح للزراعة اصلا وتجد هنالك ايضا ارضا عاقولا منظرها محزن كمنظر اراضى اريطانيا ويذكر الصينيون أن الاقاليم المتوغلة فى جهة الغرب كان بها ايضا اراض عقيمة

الاشجار ذات الاثمار

وحيث انهينا الكلام على الاراضى المعدة لزراعة الحنطة ناسب أن ننتقل الى الكلام على البساتين فنقول انه يكثر عند الصينيين الاشجار ذات الاثمار الا أن فن غرس الاشجار عندهم باق على حاله لم يتقدم فانهم لبقائهم على عوايدهم القديمة

لم يصلحوا بواسطة تعهدهم للاراضى وخدمتها الانواع الاشجار المتأصلة ببلادهم ببعض اصلاح فقط فتجد ثمارهم النفيسة وفواكههم اللذيذة لا تبلغ فى الطيب وحلاوة الطعم اثمار اوروبا وامريقة فانهم لا يعرفون تطعيم الاشجار اصلا وعلى كثرة الكروم فى اغلب اقاليمهم لا اعتناء لهم باستخراج النبيذ بل اغلب عنبها يباع زبيبا ومن اشجار الصين المثمرة شجرة الليمون الموجودة فى اوروبا وشجر يسمونه ستروس شيننسيس وهو اسم لثلاثة انواع من شجر البرتقان يقال لاحدها كمات وثمرته فى الحجم تساوى ثمرة الكريز وهنالك ايضا ابو فروة الصينى المسمى ايضا شاه بلوط وشجر الموز والتمر هندى وشجر التوت والغوابير وهو شجر يشبه ثمره ثمر الرمان واشجار اخرى غير ذلك وفى بعض الاخبار مايدل على أن عدة ثمار من ثمار اوروبا كعنب الثعلب والتوت الشوكى والزيتون لا يعرفها الصينيون اصلا واما الكرنب واللفت والكمأة فهى معظم طعامهم حتى ان زراعة هذه النباتات بلغت عندهم الغاية فى التقدم والاستكمال

شجر الشاى

ولكن اقتضت الحكمة الالهية ان يوسع على الصينيين بما يلايم طبيعة ارضهم فان الشاى لما صار من البضائع المهمة الضرورية لسائر الملل الافرنجية عاد ذلك على اهل الصين بالمنافع الجمة وكان يعرف بهذه البلاد من انواع الشاى نوعان يقال لاحدهما تياويريدس وهو الشاى الاخضر والثانى تيابوهيا وهو الذى يجفف فى الشمس ولكن ذكر بعض الماهرين من علماء النباتات كالخواجة وتينات والخواجة سلسة أن التيا اى الشاى ليس منه هنالك الانوع واحد تحته عدة اصناف وذكر ايضا الخواجة اسطنطون ان النوعين المتقدمين ليس لهما الاشجرة واحدة غير أن لهم فى النوع الثانى بعض عمليات تسلبه خاصية الحرافة ويشتد بها لونه الاصلى وقد افادنا الخواجة دوغين أن الشاى الاخضر والشاى الاسود يختلفان بحسب الاصل بمعنى أن احدهما من اقليم كيان كان والاخر من اقليم فوكيان وايضا ليس فى الشاى الاسود خاصية السرف والضراوة التى فى الاخضر وهنالك انواع اخرى من انواع الشاى تعرف عند التجار بالشاى السلطانى والكونغو والسنغلو وما اشبه ذلك وهذه الاسماء انما جاءتها من طبيعة ارضها او من اقليمها ومما يكسب الشاى رائحة مخصوصة مزجه بورق الزيتون الطيب الرائحة ثم ان شجر الشاى لا ينجح كل النجاح الا فى الارض المحددة بخليج كنتون جنوبا وخليج ينغ نس كينغ شمالا وكلما توغلت فى الشمال او الجنوب وجدت زراعته قليلة المحصول هينة النفع

شجر الكافور والتوت وغير ذلك

وشجر الكافور ينمو بهذه الاراضى نموا عظيما بحيث يعد من جملة الاشجار التى يتخذ منها اجود اخشاب العمارات واظرفها واما فروعه فيستخرج منها العطر المعروف بالكافور * وقشر شجر التوت يصنع منه قماش وورق وهنالك شجر دسم يستخرج من ثمره دهن لونه يضرب الى الخضرة يستحيل بالصناعة شمعا ولا تخفى شهرة الدهان الصينية وهى متخذة من صمغ يستخرج من شقوق شجرة يسمونها ستشى ستشو وشجر عود الند يضاهى فى الصورة والارتفاع شجر الزيتون وتجد تحت قشره ثلاثة انواع من الخشب * احدها خشب اسود كثيف ثقيل ويسمى خشب النسر وهو نادر الوجود * والثانى يقال له كلمبولك وهو خشب خفيف كالاخشاب المتعفنة * والثالث يوجد قريبا من قلب الشجرة ويسمى خشب الكامبة وهو غال فى بلاد الهند كالذهب لطيب رائحته وشدة نفعه لداء الفالج وثم ايضا شجر البمبو

شجر البمبو

وهو نوع من الخيزران ينمو فى الاراضى السبخة وجذوره لخفتها تستعمل فى عدة اشياء فيقطعونها وهى صغيرة لينة ثم يشقونها ويصنعون منها حصرا فاذا تركوها حتى كبرت ضاهت فى الصلابة اعظم خشب العمارات المتينة ويصنعون من أليافها ورقا *

قصب السكر وغيره

وقصب السكر يوجد فى بلاد الصين الجنوبية وما يجلبه الافرنج من السكر هو معدود من بضائع هذه البلاد ومثله فى ذلك النيلة * والقطن ايضا هو من المحصولات الكثيرة بتلك النواحى بخلاف شجر القرفة والقرنفل وجوز الطيب فانها نادرة الوجود بل لا وجود لها الا فى الاقاليم المتوغلة جهة الجنوب

العقاقير والنباتات الطبية

ثم ان الخولنجان والسباريناو الراوند هى من جملة بضائع الصين ولكن يظهر أن الراوند يأتى من بلاد المغول والتبت

اشجار الغابات

ولا يرى فى سهول الاقاليم البحرية من اقاليم الصين شئ من الغابات العظيمة وانما يكثر ذلك فى الجبال وكذلك فى الجهات الغربية فتجد هنالك كثيرا من شجر الصنوبر واللاريس وترى اشجار الصفصاف المستحى والتين الهندى وشجر الحياة وشجرا آخر يقال له هيبسكوسموتابليس وكثيرا من الاشجار الاخرى يتكون عن مجموعها غابات صغيرة وقد تنمو متفرقة فى اماكن لم تستعمل للزراعة الى الآن او كانت تزرع ثم تركت لغرس تلك الاشجار

حيوانات اهلية

والصينيون يربون جميع الحيوانات الاهلية الموجودة باوروبا كالخيل والحمير والبقر والجاموس والكلاب والقطط والخنازير الا انها قليلة عندهم وخيولهم قصيرة غير جيدة التركيب والابل الصينية غالبا ليست اكبر من الخيول الافرنجية

واما غير ذلك من انواع الحيوانات فهو لطيف جدا لاسيما الخنازير * والمعتاد من نوع الكلاب في الجنوب من اقليم كنتون الى اقليم تونغ شين جن الكلاب السلوقية ذات الآذان القائمة بخلاف ما اذا توغلت جهة الشمال الى بكين فانك تجد الكلاب المعتادة هناك عادة مرتخية الآذان دقيقة الاذناب

حيوانات وحشية

وفي جنوب الصين تكثر الفيلة الى ثلاثين درجة من العرض الشمالي باقليمي كينغ نان وايون نان وحيوان الكركدن المسمى ايضا ام القرن وقاتل الفيل يسكن شواطئ البحيرات في اقليمي ايون نان وكونسي وكلام كل من دوهلد وتريغولت يقتضي أن الاسد ليس من الحيوانات المتأصلة ببلاد الصين بل هو غريب طارئ فيها ولكن يظهر أن الحيوان الذي ذكره نوهوف وسماه باسم النمر هو عين الاسد المعروف للقدماء غير أنه لا لبدة له وقد تكلم عليه اوبين ورآه الخواجة اولبير على شواطئ الفرات وقد شاهد مرقوبول الاسد في اقليم فوكيان ويوجد ايضا في دار الملك المسمى كوبلاي خان والظاهر أن النمر الحقيقي يوجد في الاقاليم المتوغلة في الجنوب كما يوجد بها ايضا انواع مختلفة من القردة فمنها ما هو طويل الذراعين بلا ذنب ومنها ما هو كبير جدا بشع المنظر يقلد الانسان في جميع حركاته حتى في الضحك * وحيوان المسك الخاص بربوة وسط آسيا قد ينزل بعض الاحيان في الاقاليم الغربية من الصين ويوجد في غابات الصين الايل والخنزير الوحشي والثعلب وحيوانات اخرى بعضها ليس معروفا حق المعرفة

طيور

والطيور الاهلية كثيرة ببلاد الصين لاسيما البط فتجد منه هناك اسرابا كاملة تسبح في الخلجان وفي المساء يدعوها اصحابها الى بيوتها بالصفير * وكثير من طيور هذه البلاد يمتاز بلطافة شكله وبهاء لونه فمن ذلك الحجل المتلون بلون الذهب والفضة كما يشاهد غالبا مرسوما على ورق الصين وهو الآن زينة محال الطيور عند الفرنج وكذلك صنصن الصين (نوع بط صغير) فانه يمتاز بعرفين ظريفين لونهما كلون البرتقان * وحشرات هذه البلاد كفراشها ممتازة ايضا بحسن

حشرات

شكلها الخاص بها ويكثر فيها دود القز والظاهر انه متأصل بها * ثم ان الرسوم التي رسمت في الصين تقتضي أن اصناف السمك الموجودة باوروبا توجد كلها تقريبا في البلاد الصينية بل ذكر كل من الخواجة بلوك والخواجة لاسيبيدة عدة اصناف من السمك خاصة بتلك البلاد فمن ذلك الدوراد الصيني وهو سمك ذهبي اللون يزين به الصينيون الحياض كالفرنج واصله من بحيرة في سفح جبل شامخ يسمى تين كخ قريبا من مدينة جنغ هو باقليم جي كينغ ثم نقل منها الى باقي الاقاليم الصينية ونقل بعد ذلك الى بابونيا واول ما نقل الى انكلترة في سنة ١٦١١ من الميلاد

اسماك

سمك الدوراد

معادن

ويكثر بمملكة الصين معادن الفضة ولكنها تستخرج قليلا ولعل منشأ ذلك هو جهل الصينيين واكثر ما يستخرج الذهب من الرمال التي على امتداد الانهار في اقليمي سي جوان وايون نان قريبا من حدود التبت ولا تضرب في الصين نقود الفضة ولا الذهب وثم جوهر معدني ابيض يقال له توتوناغ يصنع منه الصينيون الاواني والشمعدانات وحقيقته مبهمة الى الآن فذكر بعضهم انه عند الصينيين هو الخارصيني او التوتيا المعدنية وقال بعضهم ان توتوناغ الصين عبارة عن مخلوط اصطناعي مركب من اجزاء معدنية مختلفة واما توتوناغ الهند فهو عند هذا البعض ليس الا الخارصيني او التوتيا المعدنية الخالصة المنقاة من الرصاص كل الانقاء ونص الخواجة دوغينة على أن التوتوناغ مخلوط طبيعي من الرصاص والحديد الخاص باراضي الصين وفي اقليم هوكنغ معدن يستخرج منه التوتوناغ بكثرة

توتوناغ

نحاس

وباقليم ايون نان وعدة اقاليم اخرى نحاس اصفر تضرب منه النقود الصغيرة التي يتعامل بها في المملكة بتمامها وهناك ايضا نوع غريب من النحاس الابيض يسميه الصينيون بوتنغ ويسميه غيرهم بكفنغ ومايعرف في شأن هذا المعدن لا يكفي في تعريف ماهيته وبيان حقيقته بيانا شافيا وانما اقول كما قال كينومون هو عبارة عن مركب من النحاس والحديد والنيكيل (وهو معدن ازرق صلب يقبل التطرق قليلا) ولاجل زيادة تليينه وتاطينه يخلط بالتوتوناغ والاحسن أن يخلط بمقدار من الفضة يكون على الخمس منه

واقل المعادن وجودا في بلاد الصين هو معدن الرصاص والقصدير واما ما ينقل منهما بقصد التجارة الى اقليم كنتون فهو مجلوب من بلاد التبت وبابونيا ومعادن الزيبق يلزم أن تكون كثيرة في اقليم ايون نان وان كان سياحوا الفرنج لم يعثروا على محالها * والزرنيخ الكبريتي المعروف بسم الفار الذي هو عند الفرنج سم قوي التأثير يصنع منه الصينيون كثيرا من الشخوص والاواني الصينية واذا اراد الانسان منهم أن يتعاطى شربة وضع في اناء من هذه الاواني خلا او عصير ليمون وتركه فيه بعض ساعات ثم تعاطاه

زرنيخ

احجار ثمينة

وببلاد الصين من الاحجار حجر اللازورد واليشب والمازر واليشم النفراطي وحجر المغناطيس والصوان والبرفير

وعدة انواع مختلفة من المرمر والسياحون يطلقون اسم حجر الموسيقى على نوع من الرخام الاسود له رنين قوى وقد اصطنع الصينيون عدة تماثيل من حجر اللرد المسمى ايضا بحجر الطلق الغرافى والظاهر أن داخل سلطنة الصين يشتمل على عدة كثيرة من الجواهر المعدنية النافعة او المرغوبة الا أن ما ذكره فى شأنها دعاة النصرانية والصينيون من الاخبار غير كاف فى بيانها والوقوف على حقيقتها ولا يدرى هل الياقوت يعد من جملة احجار الصين النفيسة ام لا ويوجد فى داخلها ايضا حجر القورندون المسمى ايضا سبات ادمنتين وانواع مختلفة من البلور ولا بأس أن نبين هنا المواد الثلاثة التى تتركب منها الاوانى الصينية فنقول احداها مادة البيتونتسى وهو نوع من حجر القلدسبات الجلى المائل الى البياض والثانية القولين وهو نوع من القلدسبات الذى على شكل الارجيلى والثالثة الشوكاو او الباريط الكبريتى

وفى عدة اقاليم من الاقاليم الشمالية يوجد فحم الحجر بكثرة فيسحقه الصينيون ويعجنونه بالماء ويجعلونه خبزا ويجففونه والظاهر أن الملح المعدنى نادر فى الصين الشرقى ويسد مسده عندهم الملح البحرى * وملح البارود كثير فى الاقاليم الشمالية والغربية

(المقالة الرابعة والستون)

من تخطيط آسيا فى بلاد الصين الحقيقية

(الجزء الثانى)

فى تخطيط الاقاليم والمدن

قد اسلفنا لك ما يتعلق بحالة الصين الطبيعية من التخطيط المختصر العام المشتمل على اصح ماذكر فى هذا المعنى من الاخبار المتنوعة ولنتبع ذلك بالتخطيط الخاص المتعلق بالاقاليم* مبتدئين منها بالاقليم الذى فيه الآن تخت السلطنة الصينية ولكن هل يلزمنا أن نورد هنا ما اورده مؤلفو الصينيين من المدن التى عدتها الف وخمسمائة واثنتان وسبعون والهياكل التى عدتها الفان وسبعمائة وستة وتسعون والقناطر التى عدتها ثلاثة آلاف ومائة وثمان وخمسون والعمارات التى عدتها عشرة آلاف وثمانمائة وتسعة والبحيرات التى عدتها سبعمائة وخمسة وستون والجبال التى عدتها اربعة عشر الفا وسمائة وسبعة كلا بل كما اجتنبنا الاختصار المخل الذى سلكه جغرافيوا الانكليز فى تخطيطهم نجتنب ايضا العيب المقابل لذلك من التطويل الممل الذى سلكه هؤلاء الصينيون فى تخطيطهم ولا نلتفت الى ماوضعوه من الاسماء العديدة التى اصطلحوا عليها وانما نسلك فى ذلك مسلكا وسطا فنقول

اقليم بجيلي

ان اقليم بجيلي الواقع على خليج بجيلي فى جنوب السد الاكبر يخرج به الحبوب وتكثر فيه المواشي وتقل فيه الغابات ويستخرج من جباله الشامخة التى باكناف بكين جميع ماتحتاج اليه بلاد هذا الاقليم من فحم الحجر ومعادن هذا الفحم لا تنفد ابدا مع عموم استعماله فى تلك البلاد ويستخرج من هذه الجبال ايضا يسير من الذهب والحديد وارض هذا الاقليم مشتملة على ملح البارود والرمل وهواؤه بارد ملايم للصحة

بكين

واعظم مدن هذا الاقليم مدينة بكين قاعدة السلطنة الصينية ودار اقامة السلاطين عادة وهى واقعة فى سهل خصب على البعد من السد الاكبر بعشرين فرسخا وهى على شكل مربع مستطيل وتنقسم الى مدينتين احداهما مدينة التتار والاولى أن تسمى مدينة المحجورية وفيها سراية السلطان وهى مع الاخرى التى هى مدينة الصين غير منتظمة الشكل ومحيطها ستة فراسخ واسوار بكين يبلغ ارتفاعها خمسين ذراعا حتى انها تحجب المدينة عن النظر وابوابها وان كانت خالية عن الزينة بالتماثيل والنقوش الا انها لافراطها فى الارتفاع تظهر للعين من بعد أنها على غاية من العظم والبهجة وقبوات تلك الابواب مبنية بالرخام وباقيها بالطوب العريض المتحم بعضه ببعض بواسطة الخافقى الجيد واغلب حارات تلك المدينة مستقيم معتدل لا اعوجاج به واكثرها اتساعا يبلغ فى العرض مائة وعشرين قدما وفى الطول فرسخا واحدا فمن ثم كانت نيرة ويتردد اليها الهواء دائما وهى تروق الناظر وتعجب الخاطر وحوانيتها التى يباع فيها الحرير وغيره من بضائع الصين هى فى العادة تشغل الحارة بتمامها وبعض البيوت المنخفضة تجد واجهاتها محزنة لا تسر الناظر واما سراية السلطان فان بهجتها من حيث زخرفة البنيان دون بهجتها من حيث كثرة مبانيها واصحنها

سراية السلطان

وحدائقها فانك اذا نظرت من داخل اسوارها رأيت مدينة صغيرة يسكنها ضباط السلطان واتباعه وجم غفير من الصناعية كلهم فى خدمة السلطان وذكر الاب ارتيير الفرنساوى احد الطائفة القسيسية المسماة اليسوعية وكان قد اذن له فى دخولها والتفرج عليها أن محيطها يزيد على فرسخ وأن واجهة بابها تتلألأ وتلمع بالتصاوير والطلاء والدهان ومافى داخلها من الاثاث وانواع الزينة والزخارف هو من اعظم ما يوجد فى بلاد الصين والهند واوروبا من الاشياء النفيسة المرغوبة وحدائقها متسعة وفيها جبال على ابعاد متناسبة من بعضها وارتفاعها من عشرين قدما فصاعدا الى ستين ويتخللها اودية صغيرة ترويها مياه الخلجان وعند تلاقى هذه المياه كلها يتكون عنها بحيرات وبرك كبيرة تجرى فيها زوارق لطيفة وحافاتها مزينة بمبان حسنة الانتظام مختلفة الشكل بحيث لا تجد منها اثنين بينهما مشابهة وفى كل واد من الاودية المذكورة منتزه واسع بحيث يصلح مسكنا لامير من كبار امراء اوروبا مع خدمه وحشمه وشجر الارز الذى تؤخذ منه الاخشاب المستعملة فى عمارة هذه المنتزهات هو من مدينة بكين على خمسمائة فرسخ ومن البحيرات السابقة بحيرة قطرها يزيد على نصف فرسخ فى وسطها جزيرة من الصخر تعلوها سراية عظيمة فيها ماينيف على مائة غرفة متواصلة ببعضها وترى على الجبال والتلال اشجارا وازهارا ظريفة طيبة الرائحة ويكتنف الخلجان صخور مصنوعة صناعة متقنة حتى كأنها من الصحارى والقفار الطبيعية وكل ذلك له منظر يدهش الرائين ويأخذ بألباب الناظرين وعلى رؤوس اعلى الجبال تجد اشجارا كبيرة تحدق بقصور وبيوت معدة للخلوة والنزاهة

وهياكل بكين لا تساوى سراياتها وللسلطان فى بلاد الصين دين جديد مناسكه فى الابهة والاحتفال اقل مما فى التتار* والمندرية وارباب المعارف الذين ينتخب منهم ولاة امور المملكة الصينية يعظمون كونفسيوس ولا يعبدونه

وانما يجتمعون لاظهار شرفه وتعظيمه في مبان لطيفة وان كانت ساذجية خالية عن الزينة والزخرفة

اهال

ثم ان الانكليز يقولون ان اهل مدينة بكين تبلغ عدتهم ثلاثة ملايين وهو تخريف قد افرطوا فيه عن عادتهم وذلك أن هذه المدينة لا تسع مساحتها هذا القدر من الناس ولو وقفا فانظر هذا التقدير الذي هو من باب الهذيان مع ما ذكره الموسقو الذين عاينوا تلك المدينة واثبتوا انها في الاتساع تساوي مدينة الموسقو مرتين بدون زيادة وأن سراياتها مع ما فيها من البساتين تشغل منها مسافة عظيمة وأن بيوتها ليست متقاربة من بعضها اكثر من بيوت مدينة الموسقو ونحن نعلم أن مدينة الموسقو المذكورة مع كونها اكبر من باريس ليس بها من الاهالي الا نحو ثلثمائة الف فقط وقس على ذلك جميع المدن المبنية على منوال بنيان آسيا فعلى ذلك عدة اهل بكين ستمائة الف نفس ونهاية ما تبلغ عدتهم سبعمائة الف

مدن مختلفة

ومدينة بوتنغ فو هي محل اقامة الوزير الذي هو نائب السلطان على اقليم بجيلي وفي جنوب هذه المدينة بحيرة صغيرة مشهورة بكثرة ما ينبت فيها من النبات المسمى نينوفر ويقال لها عند الصينيين ليوهوا وازهار هذه النباتات البنفسجية او البيضاء او التي اختلط بياضها بالحمرة تعلو على وجه الماء بمقدار ذراعين او ثلاثة واوراقه تموج فوق المياه وجميع اجزاء هذا النبات حتى جذوره المعقدة تستعمل في الطعام وغيره

ثم ان هذه المدينة يمر منها من خرج من بكين قاصدا اقليم شنسي وهي من اعظم الطرق واظرفها فان ارضها مستوية مزروعة وطريقها منتظمة وعلى جوانبها اشجار في عدة اماكن وهي مطروقة لجميع المارة من اناس وعربات ودواب

اقليم شنتون

وبجنوب خليج بجيلي ترى بجزيرة بعضها جزء من اقليم شنتون الذي يخترقه الخليج السلطاني الاكبر وعلى هذا الخليج تجري جميع الزوارق الذاهبة من الجهات الجنوبية الى مدينة بكين وهذا الاقليم المحدب بالطر لطبيعة ارضه التي هي عرضة لان تكون في غاية اليبس لندرة الامطار بها تجد به عدة بحيرات ومجاري مياه واهوية تكون على جزء من ذلك الاقليم سهل متسع على جانبي نهر هنالك ويخرج به الحنطة والدخن والدخان ولا سيما القطن وهو أهم محصولات هذا الاقليم كما انه أهم محصولات اقليم كينغ نان المجاور له

وفي البراري دود يشبه السرفة يتولد عنه حرير ابيض تتعلق خيوطه بالاشجار الصغيرة وتنسج منه [illegible] غليظة الا أن بها صفاقة ومتانة

مدن

وقاعدة هذا الاقليم مدينة يقال لها اتسينان فو وهي شهيرة بحريرها الابيض الناصع ومن مدنه ايضا مدينة ابونشو فو وهي مدينة كبيرة عامرة وفي خطها مدينة اخرى تسمى كيوسيو هيو وهي شهيرة بكونها مسقط رأس كنفوسيوس المتقدم

اقليم كينغ نان

واقليم كينغ نان يوجد فيه مصب النهرين العظيمين اللذين هما نهرا هوانغو وهينغتسكينغ وهو من اعظم اقاليم الصين خصوبة وتجارة واكثرها ثروة ويكتنفه خليج نكين الداخل في قاع البحر الاصفر واهله اكثر اهل الصين تمدنا وينسجون اقمشة الحرير والقطن وورقهم ومصنوعاتهم المدهونة جيدة ثمينة وكان قدماء سلاطين الصين سابقا يقيمون بهذا الاقليم حتى طرأت احوال تتعلق بمصالح دولتهم فاضطروا الى القرب من التتار فانحصروا بمدينة بكين وجعلوها دار اقامتهم واعظم محصولاته هو الشاي الاخضر وجباله التي يتراءى للناظر انها مركبة من عدة طبقات كبيرة ظاهرة من حجر البلاط يخرج منها الحديد المغناطيسي والنحاس ويسير من الفضة

مدينة نكين

ومدينة نكين التي كانت سابقا قاعدة سلطنة الصين واقعة على نهر كينغ بقرب مصبه ومحيطها وحدها باسوارها يبلغ اثني عشر فرسخا ولكن ذكر دعاة القسيسين الذين يحررون الصدق في اخبارهم أن الجزء المعمور الآن المشغول بالمساكن من هذه المدينة يعادل ثلث مدينة باريس فقط فان سورها القديم هو الآن في وسط الغيطان المزروعة ولا مانع من أن هذه المسافة الواسعة لم تكن مشغولة قبل ذلك الا بالدور والبساتين وكان بهذه المدينة سابقا رواية لطيفة فأحرقها المنجو (سنة ١٦٤٥) من الميلاد ولم يبق بتلك المدينة من المباني الاخرى سوى ابوابها التي بها

البرج المبني بالصيني

اللطيفة وبعض هياكل كالهيكل الذي فيه البرج الشهير المبني بالصيني وهو برج له تسع طبقات ولا يصل الانسان الى اعلاه حتى يصعد ثمانمائة واربعة وثمانين درجة فيجد رأسه كما ذكره الصينيون مزينا بقطعة ذهب على شكل جوزة الصنوبر وخارج البرج منقوش من سائر الجهات بدهان تامة اللون منها الاحمر والاصفر والاخضر واجزاء هذا البناء الظريف على غاية من التناسب والتداخل حتى كأنه قطعة واحدة ويوجد باركان كل رواق منه نواقيس معلقة لا تحصى كثيرة فاذا حركتها الرياح سمعت لها رنينا كرنين الفضة وبالجملة فمدينة نكين اشهر مدن الصين في العلوم والمعارف

فان

فان كتبخاناتها اكثر من كتبخانات غيرها من سائر المدن وللاطباء بها كدمية اصلية اى مجمع علماء ويصنع بها الشمشمن الاطلس خالية عن الزينة اومرسوم عليها اشكال الازهار وهى اجود الشمشة هذا النوع فى بلاد الصين وفى الجنوب الشرقى من تنكين تجد مدينة سونشوفو تخترقها الخلجان وهى دار لا مهر لاعبى الكمودية ولعب البهلوانات

مدينة سونشوفو وغيرها

والحواة ووطن للنساء الحسان ذوات القدود الرشيقة والاقدام الصغيرة الدقيقة ومظهر لما يميل اليه ذوق الصينيين من اللطائف وزى الملابس واللغة ويجمع لاهل الدعة والبطالة واصحاب الحظوظ والملاذ من اغنياء الصينيين حتى انهم يقولون ان الجنة فى السماء ومدينة سونشوفو جنة الارض وثم ايضا مدينة اخرى مبنية فى الماء يقال لها لونغ كينغ فو تدخلها السفن من سائر الجهات ثم تسير الى البحر القريب منها ولاهلها تجارة عظيمة فى القطن ويذهبون به الى البلاد الاجنبية ومدينة چين كينغ فو وهى من ابواب الصين من جهة البحر وبها قوم شداد البأس للرباط والمحافظة وجدرانها العالية التى يبلغ ارتفاعها فى بعض المحال ثلاثين قدما مبنية بالآجر الضخم وحاراتها مبلطة بالرخام

جزيرة صين الصين

وعلى البعد من شاطئ ينغ تس كينغ بمسافة خطوة تجد جزيرة غريبة يقال لها صين الصين او جبل الذهب وهى مرتفعة الجوانب بجدار ومحصونة بالبساتين والبيوت المعدة للنزهة حتى كانه اجتمع فيها صنع الله وصنع البشر فاتحفاها بمنظر يأخذ بالالباب ويستلب العقل اى استلاب وهى تنسب لسلطان الصين وفى السهل الذى بأطرافها ينمو اكثر من غيره شجر القطن الغريب الذى يتخذ منه القماش المعروف فى اوروبا باسم تنكين وله وبر يخرج على ازهاره ولونه الاصلى البياض مع الصفرة الضاربة الى الحمرة وهذا اللون يبقى فيه بعد الغزل والنسج

القطن الذى يميل لونه الى الحمرة

مدينة ينغتشوفو وغيرها

ومدينة ينغتشوفو محيطها فرسخان وذكر بعضهم أن عدة اهلها مع سكان القرى التى حولها تبلغ مائتى الف نفس والظاهر أن هذا القدر وهمى لا دائمى وهى سوق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ومحل لتوزيع الملح ومدينة اينغن كينغ فو يحكمها وزير مخصوص من نواب السلطان ومدينة هوى تشو التى هى اكثر مدن الاقليم توغلا جهة الجنوب اهلها مشهورون بالمهارة فى التجارة شهرة كبيرة فانهم يغشون الصينيين الذين يغشون الناس وبها ايضا يصنع اجود ما يكون من حبر الصين

اقليم اتشى كينغ

وفى جنوب اقليم كينغ نان وشرقيه اقليم اتشى كينغ وهو اقليم ذو ثروة منشأها اشتغال اهله بتربية دود القز وما فيه من فبريقات الحرير وعلى شواطئ نهر اتشينغ سهول لا تضاهى فى النضارة والبهجة لان الناظر يجد لها عند كل خطوة يخطوها منظرا يغاير ما قبله حيث يرى اولا بجانبى النهر صخورا شامخة لا نبات بها ثم ينظر هذا النهر فيجده قد انعطف الى جهات اخرى ثم يظهر له على حين غفلة رياض انيقة تروق الناظر وتعجب الخاطر * وكثرة انعطافات هذا النهر مما يشفى عليل السياحين المتولعين بالاطلاع على تلك الجهات وبعد ذلك يرى منظرا آخر حيث يجد اهل الزراعة هناك مشتغلين بحصاد الارز وقصب السكر وحمل ما تحصل من ذلك الى طواحين ومعاصر بالغة حد الكثرة على شواطئ ذلك النهر

مدينة هانتشوفو وغيرها من المدن ليام پو

وقاعدة هذا الاقليم مدينة هانتشوفو وهى من اهم مدن الصين واعظمها وتكاد تكون واقعة فى مركز السواحل والجهات البحرية وفى احدى جهتيها مصب الخليج السلطانى وفى الاخرى نهر اتشينغ وهى مستودع البضائع التجارية الواردة من الاقاليم الشمالية والجنوبية ومدينة تنغ پوفو التى يسميها الافرنج ليام پو هى من اعظم المدن وبها مينا عظيمة يأتى اليها فى كل سنة تجار الصين من سيام وتاويا للبحث عن الحرير ولاهلها تجارة عظيمة مع اليابونية لان المسافة بينها وبين تنغازاكى مرحلتان فقط ويأخذ منها الصينيون الحرير والقماش والسكر والعطريات والنبيذ ويجلبون اليها النحاس والذهب والفضة * ومدينة شاوكنغ فو تخترقها خلجان ذات مياه رائقة جدا وبها حارات كبيرة على غاية من النظافة ومبلطة بحجارة كبيرة بيضاء منحوتة وبعض بيوتها وابواب

اصحاب المكر والخداع من الصينيين

النصر بها مبنى بتلك الحجارة على خلاف العادة فيها واهلها فى مقام اللجاج والمجادلة اعظم الصينيين مهابة ويخشى منهم فى ذلك اكثر من غيرهم حتى انه لا احد من وزراء الصين ولا من كبار اعيانها الا ويود أن يكون له كاتب سر من اهل هذه المدينة

اقليم فوكيان

واذا انتقلت من اقليم اتشى كينغ الى جهة الجنوب وجدت اقليم فوكيان وهو وان كان من الاقاليم الصينية الصغيرة الا انه معدود من اشهى اقاليم هذه المملكة لان موقعه يلايم الصيد والملاحة والتجارة وهواؤه حار جدا الا انه خالص ملايم للصحة

واراضى هذا الاقليم يرويها كثير من الانهر والعيون التى تنزل من الجبال فيديرها الزراعون مع النشاط والمهارة

لاجل سقي الارز * واعظم محصولات هذا الاقليم الشاي الاسود و يوجد به ايضا المسك والاحجار النفيسة ومعادن الحديد والقصدير والزابيبق ويصطنع فيه اقمشة الحرير والنيل والقطن وقضبان البولاد والخام والمصطنع * ومن الاثمار اللذيذة التي تكثر به البرتقان الذي طعمه كطعم العنب المسكي * وقاعدة هذا الاقليم تسمى فوتشوفو وهي مدينة شهيرة لاسيما بحسن موقعها وتجارتها العظيمة وكثرة علمائها وظرافة انهارها التي تجري فيها الزوارق الصينية الكبيرة حتى ترسو عند اسوارها وكذلك بقنطرتها العجيبة التي عدد عيونها يزيد على مائة عين مبنية بالاحجار الطريفة البيضاء وهي تخترق خليج المدينة * ومدينة ايان بنغ فو الواقعة على منحدر جبل يجري بسفحه نهر مين هو ليست من المدن الكبيرة جدا لكنها مشهورة بانها من اظرف مدن المملكة * ومدينة انشنغ تشوفو قريبة من مينا اموى التي هي مستودع كبير للتجارة يتردد اليه اسبانيول جزيرة مانيلة

فوتشفو وغيرها

وترى تجاه ساحل فوكيان جزيرة كبيرة ظريفة يسميها الصينيون تيوان ويسميها اهل اوروبا على ما ذكره البرتوغال فرموزة وهي من اعمال فوكيان

جزيرة تيوان اوفرموزة

ولم يدخل الصينيون هذه الجزيرة الا في عهد السلطان كنغ هي وهي الآن تنسب اليهم منذ طردوا منها الفلمنك (سنة ١٦٦١) من الميلاد وكان هؤلاء قد تغلبوا عليها فاخذوها من البرتوغال وفيها سلسلة جبال تقسمها الى قسمين احدهما القسم الشرقي يسكنه الصينيون منذ خروج الفلمنك منه والثاني باق للاهالي المتأصلين

ثم ان ساحل جزيرة فرموزة الذي تحت حكومة الصينيين جدير بالاسم الذي اطلقوه عليه لان ارضه ظريفة جدا وهواؤه دائما رائق خالص وقطره صحو وارضه خصبة ينجب فيها سائر انواع الحبوب وكذلك الارز وقصب السكر وتكثر بها الغابات العظيمة وتروى بمياه مجار عديدة تنزل من جبال شامخة كثيرة الاشجار واهل هذا الساحل يركبون عادة البقر لقلة الخيل والحمير عندهم وتقل به ايضا الحيوانات الوحشية ما عدا الايايل والقردة فانها توجد هنالك اقاطيع واهله يكثرون من اكل السمك ويصنعون منه انواعا متعددة ويكثر في غاباته الدجاج البري والقبج والحمام ولو كانت الزلازل بهذه الجزيرة قليلة بحيث لا يترتب عليها تخريبات وكانت مياه انهارها تصلح للشرب كصلاحيتها لخصوبة اراضيها لما تمنى اهلها شيأ حيث يخرج بارضهم جميع ما تتوقف عليه الحياة من الامور الضرورية والاشياء اللذيذة

تخطيط هذه الجزيرة الطبيعي

وعلى هذه الجزيرة وال من الصين معه عشرة آلاف من المحافظين غير أن حكومة الصينيين انما هي على الجهة الغربية منها وفيها مدينة يقال لها تيوانفو كثيرة الاهالي والثروة وحاراتها منتظمة مستقيمة وتمكث مغطاة سبعة اشهر او ثمانية من السنة لاجل وقايتها من حر الشمس وفي جوانبها مخازن وحوانيت لطيفة بها بضائع الحرير والفرفوري وانواع الدهان وغير ذلك من البضائع المرصوصة على وجه عجيب فهي اشبه شيء بالمجازات الطريفة التي تسر الانسان عند التنزه بها لولا ما فيها من كثرة الازدحام وعدم جودة تبليطها وبهذه المدينة حصن حصين بناه الفلمنك وسموه حصن زيلنديا ومينا واسعة عميقة لا يمكن الوصول اليها الا من مسالك ضيقة ليس فيها من الماء الا ثمانية اقدام او اثنا عشر وبين هذه المينا والساحل الصيني مجمع جزائر صغير يشتمل على جزائر بونغو المسماة ايضا جزائر بسكادور وهو عبارة عن موردة لطيفة ومنزلة مشرفة على خليج فرموزة

مدن وحصون وغيرها

والقسم الشرقي الجبلي من فرموزة يسكنه قوم خشنيون لا يعرفون شيأ من الحكومات المنتظمة وهم في اللون والسحنة كاهل جزيرة ملقا واهل جزائر بحر الجنوب ويتكلمون بلسان مخالف لجميع الالسنة المعروفة للافرنج ويظهر أن فيه ايضا عدة قبائل متأصلة به وصنفا من الناس لونهم يشبه لون الزيتون وبجوارهم صنف من الزنج طوال القامات جدا كالعمالقة حسبما افاده السياح والنطس وذكر ايضا أن اخصاص الفرموزيين من الخيزران وأن عندهم اثاثا وامتعة مختلفة وآنية من جلد الايل وذكر غيره من السياحين انه لا يوجد في اخصاصهم كراس ولا دكك للجلوس ولا سفر للاكل ولا فرش ولا اثاث وانما فيها نوع من الكوانين مرفوع عن الارض بمقدار قدمين يطبخون فيه

لهال

وقوتهم الحبوب الدقيقة والصيد الذي يقنصونه بالجري لانهم في العدو اصحاب خفة وسرعة عجيبة ويكتفون في فراشهم باوراق لينة يقتطفونها من اشجار كثيرة في ارضهم ولباسهم عبارة عن خرقة من قماش تستر ما بين السرة والركبة ويشمون جلودهم وشما يغور الى داخل ابدانهم ويرسمون به عدة صور مضحكة كصور الاشجار والحيوانات والازهار ويتجلدون على مكابدة الآلام الشديدة الناشئة عن وشم هذه الصور التي هي من انواع الزينة عند هؤلاء الاقوام الخشنيين ولا يحظى بهذه المزية الا من فاق منهم على الاقران في المسابقة في الصيد والقنص فيحكم له بها اكابرهم ولكن يسوغ لهم جميعا أن يسودوا اسنانهم ويلبسوا الاساور والاطواق والاقرطة واما اهل الجزء الشمالي من تلك الجزيرة فيلبسون جلود الايايل التي

كيفية معيشتهم

يقتلونها

اوهام فاسدة

يقتلونها فى الصيد لما أن قطرهم اقل حرارة من قطر اولئك الاقوام فيتخذون من تلك الجلود ثيابا بدون اكمام و يصنعون قلنسواتهم من أوراق الموز على شكل اسطوانى ويعبدون عدّة آلهة ولكن لا يبالغون فيما يصنعونه لها من الاحتفالات وامناء دينهم النساء خاصة ولا يرخصن للمرأة أن يكون لها اولاد الا اذا بلغت فى السن ستا وثلاثين سنة ويحافظن على العمل بهذا القانون الخشنى بعوائد ذميمة تنفر منها الطباع ثم ان اوهامهم وان كانت لا تعرف الا قليلا الا أن الصراط الذى تصعد عليه ارواح الاخيار والهاوية التى تهوى اليها ارواح الاشرار يدلان على أن ديانتهم لها ارتباط وعلاقة بديانة اهل آسيا الوسطى وكان بعض القرموزية منذ قرن محافظا على بعض آثار من دين النصرانية ومن لغة الفلمنك التى كانوا اعلموها الهم ولهم فى دفن الموتى كيفية قريبة مما عند اهل جزائر البحر المحيط الاكبر وذلك انهم يبقون اجسام الاموات مدّة طويلة وهى مسجاة محجوبة فى بعض محال حتى تجف * ولنرجع الى تخطيط ارض الصين القارة فنقول

اقليم كوان تون

ان اعظم اقاليم الصين الجنوبية هو اقليم كوان تون الواقع فى الجنوب الغربى من فوكيان وهو محدود من جهة الغرب بمملكة تون كين وهذا الاقليم خصب جدا كثير المحصولات من جميع انواع الحبوب والاثمار * وفيه معادن الذهب والاحجار النفيسة واللؤلؤ والقسدير والعاج والاخشاب العطرية الطيبة الرائحة التى يصنع منها جميع انواع العمارات ومن محصولاته النادرة الخاصة به الشجرة التى يسميها البرتوغال خشب الحديد لما انها تشبهه لونا وصلابة وثقلا حتى ان خشبها الثقيل لا يعوم على وجه الماء * وقاعدة هذا الاقليم مدينة كنتوشوفو التى يسميها الفرنج كنتون

كنتون

اوقنطون وهى من أعمر مدن الصين واغناها وميناها هذه المدينة دون غيرها من سائر المينات الصينية يتردد اليها اهل اوروبا ومحيط سور المدينة المذكورة يبلغ تقريبا فرسخين والسهل الذى بجوارها مشحون بتلال نخلة واودية خضراء ومدن صغيرة وضياع وبروج عالية وهياكل ومساكن معدّة للمندرية وهذا السهل يروى على وجه لطيف بحيرات وخلجان و بعض فروع صغيرة خارجة من نهر تا تجرى عليها زوارق وسفن لا تحصى وتشتمل هذه المدينة على كثير من قوسرات النصر المسماة ايضا طاقات الغزا والهياكل المزينة احسن زينة بالتماثيل والاصنام و يكثر ازدحام الناس فى حاراتها حتى لا يتيسر للمار أن يتابع المشى فيها وبها قليل من تجار الصين الذين يستصحبون عائلاتهم الى اى محل كانت به مصالحهم وان كانت ثروتهم هينة و ينزلون بهم فى القرى البعيدة عن المدينة او فى الخلاء

اهالى

وذكر الاب ليقونتة أن اهالى هذه المدينة تبلغ عدتهم مليونا وخمسمائة الف ونقصها الاب دوهلد الى مليون وتعقبهما الخواجة سنورات بأن ما ذكراه من قبيل المبالغة المفرطة او الهذيان ونص فى رحلته على انه حرر عدتهم مع جماعة من الصينيين فوجدهم لا يزيدون على خمسة وسبعين ألفا غير انه لم يطلعنا على طريقة حسابه فى هذا المعنى بل ظهر لنا منه ما يدل على عدم ميله الى الصينيين فلا يوثق حينئذ بكلامه فى شأنهم كيف ووكلاء تجار الانكليز بمدينة كنتون افادوا اصحاب كولك عدة تفاصيل فى هذا الشان تدل على أن اهل هذه المدينة وقراها يبلغون مائة وخمسين ألفا وانه يوجد فى الزوارق التى عدتها اربعون ألفا مائة الف نفس من غير زيادة وان زعم الانكليز اكثر من ذلك فيكون حينئذ اهل كنتون مائتين وخمسين ألفا

مكاو

واما تجارة هذه المدينة فسيأتى الكلام عليها فى محلها اللائق بها وانما ينبغى لنا أن نستمر على ما نحن بصدده من تخطيط البلاد والاراضى فنقول ان مدينة مكاو عبارة عن موطن للبرتوغال واقع على لسان صغير من الارض يتصل بجزيرة هنالك وليست هذه المدينة مشهورة الا بعظمها القديم وكان فيها من المحافظين حين ارتحل اليها السياح مقرطنى ثلثمائة او اربعمائة من عساكر الرتب واهلها على ما ذكره الخواجة رنواردو وستنكروا ثلاثة وثلاثون ألفا وثمانمائة الصينيون منهم يزيدون على النصف ثم ان هذه البقعة الصغيرة استولى عليها البرتوغال زمن شوكتهم ومشروعاتهم العظيمة ومكثوا فيها مدة طويلة وهم يتجرون تجارة عظيمة مع البلاد الصينية التى كانوا يكثرون التردد اليها دون غيرهم ومع ولايات اخرى من آسيا الشرقية لاسيما يابونيا وتونكين وللانكليز الآن عدة ارساليات بحرية الى مكاو برسم البرتوغال

مغارة كموانس

ويقرب احدى الربوات العالية بهذه المدينة مجمع صخور يتكون منه كهف يسمى مغارة كموانس ويقال ان بعض الشعراء المسمى كموانس نظم فى هذه المغارة قصيدته الشهيرة المسماة لوزيادة وقد رسم بعض الانكليز القاطن بمدينة مكاو فى بستانه صورة هذا المحل البهيج الذى كان ملجأ لهذا الشاعر السيئ الحظ الجيد القريحة •

جزائر لارون

ويقرب مدينة مكاو مجمع جزائر لارون التى يكثر بها دائما ارباب الصيال البحرية الذين ينقضون فى اغلب الاوقات على السفن الصغيرة الصينية التى تتردد بين مكاو وكنتون وتحاذى فى سيرها السواحل ولو كان لاهل تلك الجهة ادنى شئ من صولة دول اوروبا وبطشهم لقطعوا دابرهم على اسهل وجه لكن دولة الصين لم تزل تبذل

وسعيها فى التخلص من شرّهم ولم يجد سعيها نفعا فان هؤلاء الصائلين بينهم وبين العصاة والمبغضين للدولة من الصينيين الذين بداخل المملكة مزيد اتحاد وارتباط

جزيرة هينان

والطرف الجنوبى من اقليم كانتنغ وارض الصين القارة يمتد على شكل شبه جزيرة ضيقة جهة جزيرة هينان التى من شأنها انها تنقاد لاحكام دولة الصين عند عدم القدرة على القيام عليها والخروج عن طاعتها

وسطح هذه الجزيرة يزيد على ألف وثمانمائة فرسخ مربع والقسم الشمالى منها عبارة عن سهل مستو بخلاف الجنوبى فان فيه جبالا شامخة وهواء تلك الجزيرة ردىء لا يلايم الصحة وماؤها غير مأمون الضرر ما لم يسخن ✻ ومع ذلك فيها انهر عديدة وتكثر بها الامطار فى بعض الفصول فتصير ارضها بذلك خصبة فى زراعة قصب السكر والنيلة والقطن ولا سيما زراعة الارز الذى يحصده الاهالى غالبا فى كل سنة مرتين وقاعدة هذه الجزيرة يقال لها كيون تشوفو وهى واقعة على رأس فى البحر وترسو السفن تحت جدرانها

اهالى

واغلب اهلها المتأصلين بها لهم منظر بشع وصورة مهولة وقاماتهم قصيرة جدا وألوانهم كلون النحاس وشعورهم يجمعونها ويدخلونها فى حلقة ويجعلونها على جباههم ✻ واجسامهم تكاد تكون عارية عن اللباس ونساؤهم ينقشن على وجوههن خطوطا زرقا من النيلة يرسمنها من العيون الى منتهى الوجه ويعتقدن أن ذلك من الزينة وتحسين الهيئة وهم جميعا رجالا ونساء يعلقون فى آذانهم اقرطة من الذهب والفضة وسلاحهم القسى والسهام الا أن لهم مزيد نشاط فى استعمال نوع من السلاح المسمى باليطقان فيستعملونه دون غيره فى اشغال النجارة وقطع الاخشاب والعاقول عند مرورهم بالغابات

معادن

وزيادة على ما فى وسط هذه الجزيرة من معادن الذهب يوجد فى الجزء الشمالى عدة أتربة معدنية ذات الوان مختلفة تجلب الى كنتون لاجل نقش الفرفورى ولعظم ما يوجد من الاخشاب هنالك هو ما يؤتى به من جبال هيناب اما الطيب

اخشاب نفيسة

رائحته او لنقشه وانفس هذه الاخشاب بعد خشب النسر هو ما يسميه الفرنج بخشب الورد او خشب البنفسج وثم ايضا خشب اصفر لا تنكر جودته وهو مشهور بانه لا يعتريه تلف ولا فساد وتصنع منه اعمدة صغيرة تباع بأعلى ثمن وسواحل

استخراج اللؤلؤ

هذه الجزيرة يستخرج منها اللؤلؤ فيقال ان الصينيين يستخرجون من ام الخلول عصارة تستحيل بعد اليبس والصلابة الى مادة نفيسة وذلك أن ام الخلول اذا ظهرت على وجه الماء تفتح صدفتها فيدخل فيها الصائد خيطا من خيوط الكتان يربط فيه اكرا من الصدف او يدخل فيها كما هو عند بعضهم قطعة سلك معدنى فاذا جرح هذا الحيوان خرج منه مواد غريبة مائية تستحيل الى صدف او الى لؤلؤ وكان القدماء يعرفون مثل هذه العمليات فقد ذكر الخواجة لينوس انه منذ نصف قرن عثر على كيفية استخراج اللؤلؤ من ام الخلول

اقليم كينغ سى

و يفصل اقليم كنتون من اقليم كينغ سى جبل كبير يسمى جبل ميلان احدثوا عليه طريقا تزيد على الفرسخ بيسير وعلى اطرافها مهاو مخوفة وفى الجبل ايضا هيكل مبنى لبعض المندرية الذى امر باحداث الطريق المذكورة وهى عبارة عن ممر مطروق كحارات المدن الكبيرة

فاذا جاوزت الجبال التى هنالك انكشفت لك اودية ظريفة وخلوات نضرة حسنة الزراعة ومع ذلك فاقليم كينغ سى وان كان على غاية من الخصوبة لكن لا يخرج بارضه الارز بكثرة بحيث يكفى اهله على كثرتهم فلذا اشتهروا بالاقتصاد ورذيلة البخل التى فيهم اوجبت لهم استهزاء الصينيين من الاقاليم الاخرى وسخريتهم منهم وما عندهم من البحيرات والنهيرات مملوء بالسمك المسمى حوت سليمان وبسمك الاريوان والاسترجون وجبالهم كلها ما بين مشحون بالغابات او شهير بالحشائش والنباتات الطيبة وبمعادن الذهب والفضة والرصاص والحديد والقصدير ويصطنع فى ذلك الاقليم اقمشة ظريفة ويعصر فيه من الارز نبيذ يستطيبه الصينيون وللاقليم المذكور شهرة عظيمة بالفرفورى الذى يصطنع

مدن

فيه بمدينة كنغ تى تشنغ المعدودة من القرى مع أن دعاة النصرانية يذكرون أن اهلها يبلغون مليونا ولم يذكروا مثل هذا العدد لمدينة نان شنغ فو التى هى قاعدة الاقليم

الفرفورى

والفرفورى المصنوع هنالك هو اعظم البضائع التجارية بهذا الاقليم وهو الفرفورى الحقيقى لان ما عداه من الانواع التى تصنع فى كنتون وفوكيان وغيرهما لا يصل فى الاعتبار عندهم الى درجة العجمى فى بلاد اوروبا

اقليم هوكنغ

واقليم هوكنغ المتسع واقع فى وسط مملكة الصين ويخترقه نهر ينغ تس كينغ ومعظم ارضه مستو تقطعه البحيرات وترويه النهيرات التى يصطاد منها مقدار جسيم من السمك الجيد وشواطئها مشحونة بالطيور الوحشية ويخرج ريف هذا الاقليم ما يكفى فى غذاء مواشيها على كثرتها ويخرج بارضه جميع انواع الحبوب والاثمار لا سيما البرتقان والليمون بسائر انواعه وبالجملة فهذا الاقليم يعرف عندهم بشون غلال المملكة وفيه معادن الحديد والقصدير ويستخرج

فيه

فيه الذهب من الرمال التي تنزل بها السيول من الجبال

المدن

ومدينة بوتشنغ فو التي هي قاعدة هذا الاقليم تكاد تكون واقعة في وسط مملكة الصين بتمامها ولها سور يشبه سور باريس وتجارة عظيمة في ورق الخيزران الذي يصنع فيها ومدينة هنغ ينغ فو ليست منفصلة عنها الا بنهر بوتشنغ فو وهي ايضا مدينة عظيمة ذات تجارة جسيمة

ومدينة كين تشيو فو الحصينة معدودة عندهم من ثغور المملكة وهي واقعة في الشمال الغربي على سفوح جبال هنالك

اقليم هونان

واذا انتقلت من هذا الحصن رأيت اقليم هونان المعدود من الولايات الصينية الظريفة لاعتدال قطره وخصوبة ارضه حتى ان الصينيين يسمونه بستان المملكة ويزعمون أن فوهي وهو اول من اسس حكومتهم الموزخية جعل هذا الاقليم دار اقامته ومقر حكومته وهو في الحقيقة اقليم معتدل المزاج هواؤه ملايم للصحة ويخرج منه بكثرة سائر المحصولات على اختلاف انواعها كالحنطة والارز وفيه مروج واثمار لذيذة من سائر الاصناف ومواش عديدة * فهذا هو حاصل ما في ذلك الاقليم العظيم الذي يكاد يكون كله ريفا وغيطانا ما عدا الجهة الغربية منه فان بها جبالا مشحونة بالغابات والاشجار

المدن

ومن مدنه مدينة كي سونغ فو وهي مدينة كبيرة كثيرة الثروة والاهالي واقعة على نهر هونان الا انها في محل منخفض بحيث تعلو عليها مياه ذلك النهر فهي من حيث موقعها عرضة لاخطار عظيمة مع ما فيها من الجسور المجعولة لحفظها من فيضان المياه ففي سنة ١٦٤٢ من الميلاد امر السلطان بقطع احد جسورها قاصدا اغراق امير من امراء الصين كان قد عصى عليه وخرج عن طاعته وذهب خلف هذا الجسر فغرق فيه ثلثمائة الف من الاهالي * وكان الصينيون سابقا يعتقدون اعتقادا جازما أن مدينة هونان فو هي مركز الارض لانها كانت اذ ذاك وسط مملكتهم

البرج الفلكي

ومدينة تنغ من هيان وهي شهيرة بالبرج الذي انشأه بها الشهير انشوكنغ وكان يرصد النجوم فيه وبها ايضا آلة يزعمون انه كان يأخذ بها طل الزوال ليعرف ارتفاع القطب وكان هذا الرجل موجودا قبل عيسى عليه السلام بنحو ألف سنة ويزعم الصينيون انه هو الذي اخترع البوصلة وهي بيت الابرة

اقليم شانسي

وقد آن لنا أن نشرع في تخطيط الجزء الواقع في الشمال الغربي من الصين فنقول ان اقليم شانسي هو أحد الاقاليم الصغيرة بتلك الجهة وهو محدود من جهة الشرق باقليم بيچيلي ومفصول من شمال المغول بالسد الاكبر وفي تاريخ الصين ما يدل على أن قدماء الصينيين كانوا يسكنون هذا الاقليم لاعتدال قطره وطيب هوائه وارضه وان كانت جبلية لكنها خصبة يكثر بها الدخن والقمح ولاسيما العنب الذي اذا اراد الصينيون أن يعصروه نبيذا لم يكن عليهم في ذلك كلفة ولكنهم يؤثرون تركه حتى يجف ويتزبب

و يوجد به ايضا الفرفوري والمرمر وحجر اليشب بسائر انواعه المختلفة الالوان وحجر ازرق يستعمل لنقش الفرفوري وتلوينه ويرى في جميع جهاته معادن حديد كثيرة وبحيرات مالحة يستخرج منها الملح ومياه معدنية

المدن وغيرها

وقاعدته يقال لها مدينة تاي اوان فو وهي مدينة كانت سابقا ظريفة جدا كثيرة القصور التي كان يسكنها امراء من العشيرة السلطانية المسماة تاي منغ انشو الان هذه المباني العظيمة قد تخربت كلها ولم يتفكر احد في تجديدها ثم ان هذه المدينة يصطنع فيها سجاجيد على منوال سجاجيد الترك وبها ايضا تجارة عظيمة في آلات الحديد التي تصنع بها ومحيط هذه المدينة القديمة الكثيرة الاهالي يبلغ ثلاثة فراسخ تقريبا وعلى الجبال المجاورة لها مقابر لطيفة مصنوعة من المرمر او احجار النحت وقوصرات النصر وتماثيل الابطال والسباع والخيل وحيوانات اخرى وكل ذلك يحيط به اجمة من شجر الصرو القديم المعروس على شكل طاولة الشطرنج

اقليم شين سي

واقليم شين سي هو اكبر اقاليم الصين ويتصل ببلاد المغول وقلموق هوهونور والسيفان وهواؤه معتدل فلذا جعله سلاطين الصين دار اقامتهم مدة عدة قرون واهله اقوى الصينيين واشجعهم واحسنهم قدودا فمن ثم كان عساكرهم دائما اشد بأسا وهيبة في القلوب من غيرهم ويخرج بأرض هذا الاقليم كثير من العقاقير والنباتات الطيبة وينبت في جباله من الحشائش ما يكفي في غذاء كثير من المواشي لاسيما البغال وتنمو به الحنطة والدخن في اسرع وقت حتى ان الحراثين يتركون الغنم في مدة الشتاء ترعى ما على الارض من الحشائش لتنبت ثانيا في وقت الربيع بقوة جديدة ويرى في حوالي لين توفو على يمين سيفان بقر وحشي وكذلك على ما يقال نوع من النمر

المدن وغيرها

وقاعدة هذا الاقليم يقال لها سنغنفو وهي بعد بكين من اظرف مدن الصين واكبرها ومحيطها يبلغ اربعة فراسخ وبعض ابوابها ظريف ذو ارتفاع غريب خارق للعادة وفيها قصر قديم كان يسكنه قدماء ملوك هذا الاقليم

ويحافظو هذه المدينة من عساكر المنجو الاصلية المعدة لحماية شمال الصين وفي سنة ١٦٨٥ من الميلاد حين حفر اساس لبعض البيوت بالقرب منها عثر على لوح من المرمر مكتوب عليه بالخط الصيني كلمات سريانية منقوش فوقها صورة صليب فاجتهد جمع من العلماء في البحث عن معرفة هذه الكلمات وما معها من التماثيل والصور فوجدوها مشتملة على اثنين وستين علامة منقوشة بالحروف الصينية مع الترتيب والتناسق على تسعة وعشرين عمودا فتأملوها فاذا هي عبارة عن رسالة تتضمن اصول دين النصرانية وعدة مسائل تتعلق بالقوانين القسيسية واسماء الامبراطرة والملوك الذين كانوا سببا في نشر هذا الدين الذي اظهره في تلك الجهة دعاة من قسوس النسطورية سنة ٦٣٥ من الميلاد قدموا اليها من بلاد العجم والشام وكان لهؤلاء الدعاة في الصين عدة كنائس من عهد مرقو پول يعني سنة ١٣٠٠ ميلادية

آثار نسطورية

ثم ان طرف اقليم شينسي الممتد على شكل شبه جزيرة في الشمال الغربي بين بلاد المغول وتماوق هو هونور يقال له خط كنتشيو اوكنسو (والخط بلغتهم فو) فلذا لم يتكلم عليه دعاة النصرانية الا بطرف هين الا اسنوتتون فانه أطنب في الكلام عليه حتى اراد أن يجعله اقليما

خط كنتشيو

واذا توجهت الى الجنوب الغربي دخلت اقليم ستشوان فتراه كأغلب الاقاليم الصينية في الكبر وكثرة المحصولات فانه وان تخرب سابقا بحروب التتار لكنه من وقتها استقر حاله وحسنت احواله ويخترقه نهر ينغ تس كينغ الاكبر فيكسب الخصوبة لجميع اجزائه وسائر اراضيه ومن محصولاته الكثيرة الحرير والنبيذ والقمح والاثمار وفيه معادن الحديد والقصدير والرصاص والزئبق وهو شهير بالعنبر وقصب السكر والاحجار المغناطيسية النفيسة والاحجار اللازوردية الظريفة اللون ويرغب في خيله لانها وان كانت صغيرة الجسم لكنها لطيفة جياشة

اقليم ستشوان

وقاعدة هذا الاقليم تسمى تشنغ توفو وهي مدينة كانت سابقا من اعظم مدائن الصين وألطفها فلما تخربت في مدة الحروب الداخلية سنة ١٦٤٦ من الميلاد كسائر الاقاليم فقدت كثيرا من عظمها وبهجتها القديمة ومع ذلك هي عامرة آهلة كثيرة التجارة ذات موقع حسن لانها واقعة على جزيرة متكونة عن عدة انهر

ومدينة لونغنغو لكونها واقعة على رساتيق التتار كانت دائما مشهورة بأنها من اعظم مدن هذا الاقليم واهمها وهي محصنة بعدة قلاع وحصون كانت تلك المدينة سابقا احوج اليها من الآن

المدن وغيرها

ومن هذا الاقليم تتوجه الى اقليم معروف بقلة العمران ورداءة الزراعة يقال له كويت شيو وهو اقليم كثير الجبال الصعبة المرتقى التي مكثت مدة طويلة وهي مأوى لاقوام مستقلين بانفسهم معروفين باسم سنغ ميوس وقد سعى سلاطين الصين غير مرة في عمارة هذا الاقليم فبعثوا اليه قبائل كاملة لاجل الاستيطان به فظهر ان هذه الوسائط كلها لا تكفي في عمارته الى الآن وقباالته لا تكفي ايضا في القيام بمصاريف ومؤونة المحافظين المقيمين لكثرتهم فلذا اضطرت الدولة الى جعل ذلك على طرف الخزينة السلطانية وبجباله معادن الذهب والفضة والقصدير والنحاس والزئبق ويستخرج من أحد اقسامه نحاس تضرب منه نقود صغيرة يتعامل بها في سائر ارجاء المملكة وخيوله اعظم خيول الصين ولا وجود فيه للحرير بل يقوم مقامه هناك اقمشة تصنع من بعض حشائش تشبه القنب وتصلح اتم الصلاحية لان يتخذ منها ملابس الصيف

اقليم كويت شيو قبيلة خشنية

وقاعدة هذا الاقليم يقال لها كواي ينغ فو وهي من اصغر مدن الصين لان نهاية ما يبلغه محيطها فرسخ لا اكثر وبعض بيوتها مبني بالطين وبعضها بالآجر واهل مدينة ستشوفو وان كانوا اقل اهل الاقليم خشونة الا انهم متوغلون في اودية الجهالة لا دراية لهم بشيء من علوم الصين وهم دائما حفاة ويمشون على الصخرات مع السرعة العجيبة

المدن

وفي جنوب هذا الاقليم الجبلي يمتد اقليم كنغ سي وهو اقليم لا يعد من اقاليم الصين الفائقة في العمران وانما يخرج به الارز بكثرة حتى انه ينقل منه الى اقليم كنتون ما يكفي اهله ستة اشهر من السنة مع ان ارضه ليست جيدة الزراعة الا في السهول الجنوبية لاعتدال قطرها وطيب هوائها بخلاف الجهة الشمالية منه فانها ليست الا اراضي عقيمة وجبالا مشحونة بالغابات الكثيفة

وبهذا الاقليم جميع انواع المعادن لاسيما معادن الذهب والفضة الا ان اصول حكومته تمنع اهله من استخراجها وبه ايضا شجر القرفة وهي اطيب رائحة وطعما من قرفة سيلان

اقليم كنغ سين

وقاعدته يقال لها كي لنغ فو وهي واقعة على نهر ايتا وبارضها اعظم الاشجار التي يصطنع منها الكتاب الحبر وقد عاين فيها مرقو پول دجاجا له شعر كشعر السنانير وهو ما يسمى بدجاج الحرير

وثم مدينة يقال لها كنغ سى اهلها معروفون عند الصينيين بالتوحش لان فى اخلاقهم خشونة مباينة كل المباينة لما يعهد فى الصينيين من اللين والسهولة

اقليم يون نان

وفى طرف الجنوب الغربى من هذه الجهة تجد اقليم يون نان وهو من اعم اقاليم المملكة واكثرها ثروة وهو مجاور لممالك أوى ويغوولوس وتنكين ويخترقه عدة انهر وهواؤه معتدل وبجباله معادن الذهب والفضة والنحاس والقصدير والجواهر لاسيما الياقوت وبه ايضا المرمر المتلون طبعا بألوان مختلفة يوجد هنالك على شكل الجبال والازهار والاشجار والانهار والاطلال وخيول هذا الاقليم وان كانت صغيرة الجسم الا انها جياشة وبه من الحيوانات الايل وهو لا يزيد فى الغلظ عن الكلاب الفرنجية المعتادة واهله وان كانوا اقوياء اشداء لكنهم اهل لين وبشاشة ولهم مزيد رغبة في العلوم والمعارف وكان يسكنه اولا امة يقال لها لولو

ملة لولو

وكان يحكمها عدة امراء اخذ بها الصينيون حروبا طويلة بقصد ادخالها تحت الطاعة ثم عزموا على تشريف امرائها بتشريفات المندرية وأن يجعلوا لذراريهم الحق فى وراثة ذلك بشرط أن يبايعوا حاكم الاقليم ويذعنوا لاحكامه وأن لا يحوزوا ارضا الا باذن السلطان ولا يقدموا على شئ دون علمه ورضاه * وهذه الامة تساوي الصينيين فى قامتها وتزيد عليهم فى التجلد على مشاق الاشغال ولها لغة تخصها وكتابتها ككتابة امناء الدين فى مملكتى بيغو وأوى كما انها فى الديانة كذلك فمن ثم بنى امناء الدين المذكورون فى شمال هذا الاقليم هياكل واسعة مباينة لهياكل الصينيين ويدعى ملتزمو هذه الامة أن لهم التصرف المطلق على رعاياهم المنقادين لهم كل الانقياد

المدن وغيرها

وما نعرفه فى شأن مدن هذا الاقليم يسير فذكر بعضهم ان قاعدته المسماة يون نان فو الواقعة على شواطئ بحيرة واسعة عميقة هنالك مكثت زمنا طويلا وهى دار اقامة لامير من عمال الصين ويصطنع بها قماش الاطلس والسجاجيد والظاهر ان تجارة المعادن بها عظيمة ومن مدنه ايضا تشين كينغ فو وهى واقعة ايضا على بحيرة فى محل ظريف مبتهج ومنها ايضا مدينة ووتنغ فو وهى مشهورة بانها من اسوار ثغور المملكة

(المقالة الخامسة والستون)

(من تخطيط آسيا)

(الجزء الثالث)

(فى بيان حالة الصين السياسية)

يتعلق بها ابحاث كثيرة بحيث لو تصدينا الى استيعابها كلها تفصيلا لجرّ ذلك الى التطويل الممل فان هذه التفاصيل التى لا تليق الا بكتاب مؤلف فى خصوص الجغرافية السياسية اى علم احوال الممالك تخرجنا عن حد الاختصار المقصود لكتابنا هذا المؤلف فى عموم الجغرافية وايضا قد مارس هذه المادة حذاق اهل اوروبا فلم يخرجوا منها على طائل فلا نريد أن نظهر الفضل عليهم ببيان هذه التفاصيل التى توجب الحيرة وتشوش الذهن حتى ممن عاين تلك البلاد الغريبة وانما لهذه الدواعى نقتصر على ايراد نبذة مختصرة تتعلق بذلك فنقول

سحنة الصينيين

أن الصينيين لهم شبه بالمغول من حيث تقاطيع وجوههم وتركيب عظام رؤسهم فان رؤسهم تكاد أن تكون على شكل اربع زوايا وانوفهم قصيرة غير فطساء ولونهم الصفرة ولحاهم خفيفة فهذه هى الاوصاف الخاصة بالمتأصل منهم واما انحراف وضع الاعين فالظاهر أنه مشترك بين المتأصلين منهم والنزلاء المستحدثين كاهل يابونيا وكورة ثم ان هذا الصنف الخارج من آسيا الوسطى لكونه اقام عدة قرون فى قطر معتدل لطيف المزاج صار ذا طبيعة واخلاق خصوصية وعادت تقاطيع وجوههم نحيفة مقبولة ولا يخفى أن هنالك بونا بعيدا بين اهل الجنوب من الصينيين واهل الشمال وكذلك بين سكان الجبال وسكان السهول والسواحل ولا يخفى ايضا أن ألوانهم مختلفة كثيرا ولكن ليس عندنا من الاخبار ما يكفى فى بيان اختلاف تلك الالوان الكثيرة المنتشرة التى تميز القلوق الخشنيين من اهل كنتون المخادعين

جمالهم

ويعتقد نساء الصين انه لاجمال الا فى ضيق العيون وغلظ الشفاه يسيرا ونعومة الشعور وسوادها كخشب الابنوس وصغر الارجل جدا وهذا الوصف الاخير هو الذى عليه مدار الجمال عندهم فلذا كن يعتنين به كل الاعتناء حيث يشددن القمط على ارجل صغار البنات شدا عنيفا حتى تجدهن اذا كبرن تمايلن فى المشى لعدم ثبات اقدامهن واما الرجال فالسمن عندهم علامة على الفراغ والدعة ومعدود من ألقاب الاعتبار والشرف بخلاف النحافة فان صاحبها معدود من العامة المجردين عن المعارف واكمل اوصاف الرجولية عندهم هو ترك تقليم الاظفار ومن عادتهم صبغ شعورهم ولحاهم بالسواد*

جور احكامهم

والصينيون فى الاخلاق والعوايد كغيرهم من سائر الامم المستعبدة ذات الصنائع والتجارات فتوجد فيهم الفضائل والرذائل فان حكومتهم الطلبية المطلقة التصرف احدثت عندهم صورة الحكومة البطريقية فلما اهمل ظلمة حكامهم الترتيبات العسكرية كثرت الفتن والتقلبات حتى آل امر مملكتهم أن وقعت فى ايدى الغرباء المتغلبين وهم المنجو ومن وقتئذ انضم سوط التتار الى عصا الاب التى كانت فى قديم الزمان لها الصولة والحكم فى بلاد الصين ومن جملة القوانين الصينية التى تحامى عن المملكة وتضيق دائرة الشوكة الايمبراطورية قانون يسوغ للمندرية والقضاة أن يعظوا الايمبراطور فى بعض الاحيان وينهوه على ما وقع فى حكومته من الخلل لكن على وجه الارشاد والاحتشام فان كان هذا الايمبراطور فاضلا اثر فيه وعظهم وعاد ذلك على الاهالى بالمنفعة غالبا * ثم ان الايمبراطور يكنى نفسه بابن الله المقدس الذى لا شريك له

عبادة الايمبراطور

فى حكم الارض ويأبى رعيته الاكبر ويقرب الرعايا القرابين الى تمثاله وسرير ملكه ويعبدونه فيسجدون بين يديه واذا خاطب اعيان ديوانه جثوا على ركبهم لاستماع اوامره ويقاسمه فى هذه العبادة كل من حوله من الامراء * وجميع حظيانه على كثرتهن لهن حكم ونفوذ كلمة باسمه وعلى جاهه بل مثلهن فى ذلك الخصيان الذين هم اغاوات الحرم المعدون لحرسهن وحفظهن وعند خروج هذا الايمبراطور المعدود من انصاف الآلهة يبادرون بالدخول فى مساكنهم لان كل من صادفه فى طريقه قتل فورا ما لم يدر ظهره نحوه او يسجد على الارض وتغلق سائر الحوانيت التى يمر بها ولا يمشى ابدا الا اذا مشى امامه ألفان من الضباط حاملين سلاسل وفؤوسا وعدة آلات اخرى تنبىء عن ظلم الحكومات المشرقية

المندرية

وهنالك تسع مراتب من الضباط المسمين عند الافرنج بالمندرية قائمون بالوظائف المختلفة مدنية كانت او عسكرية

وهؤلاء المندرية مطلقوا التصرف فليس لشوكتهم حد تقف عنده فهى كشوكة الايمبراطور الذى يقلدهم بوظائفهم فاذا مر أحدهم بمدينة واستحسن قتل احد من الناس اوقفه بين يديه ليضرب حتى يموت من غير أن يجد نصيرا يتجاسر على

حمايته

حمايته والذب عنه واذا قصد مدينة سبقه اليها مائة جلاد مهولون يجرون اليها كالسعاة لاخبار اهلها بقدومه اليهم فيه يجون عليهم صياحا اشبه بعواء الكلاب فكل من نسى ولم يقف بجانب الحائط فى الصف منتظما لم يشعر الا وقد اوجع ضربا بالسلاسل او بعكاكيز الخيزران مع أن هذا المندرى نفسه ليس فى حماية من العصى الايمبراطورية فان الايمبراطور يضربه بها متى ظهر منه ادنى تعد او خيانة

بيان الخطا الواقع فى وصف حكومة الصين

وهؤلاء المندرية لم يوجد فيهم شئ مما ذكره فى وصفهم ولتير حيث قال انهم فلاسفة مشتغلون بمحاسن الدين الطبيعى ولطائفه فهم بعد أن ظهروا على الشهوات النفسانية التفتوا الى اخوانهم من الناس وصرفوا هممهم فى رعاية ما فيهم من الفضيلة الواهية كرعاية الوالد لولده ووصفهم ايضا بأنهم ممن يحب الوطن ويحافظ مع الاستقامة على الحرية وعموم العدالة ويذب عنها مع الشهامة والحمية وليس كما قال بل هم مجرد اتباع لحاكم ظالم مطلق التصرف ولقلة مرتباتهم كانت معيشتهم مما يكتسبونه بالجور والظلم

دوام القوانين الصينية وعدم نسخها

ثم ان القوانين الصينية المشتملة حسبما يزعمون على الحكمة وحسن التقنين يمكن أن ترجع فى بيانها ووصفها الى كلمتين بأن تقول انها عبارة عن قواعد حسنة سياسية ومواعظ لطيفة ادبية ولا ينسخ الايمبراطور منها شيئا لانه لا تسوغ له أن يفعل ما شاء وكذلك المندرية فانها تبيح لهم ظلم الرعايا وهنالك محاكم صورية يمكن للشخص من احاد الصينيين أن يرفع اليها الشكوى من رئيسه وان كان جازما بالعقوبة على هذه الجسارة واما اشرافهم فلا يقع بينهم نزاع ولا مخاصمة اصلا لانهم اذا رفعوا عصاهم على الاهالى رأوا طائر السوط السلطانى يحوم على رؤسهم وذلك شبيه بحكومة التتار الظلمية حيث تشدد على الكبار وتجبرهم على الاتحاد والالتئام ولا يقع من اهالى الصينيين معارضة ولا قيام اصلا فانهم اولا مجردون عن الشجاعة وقوة الجنان وان كانوا بمكان من النباهة والحذق فيرون أن الامن على بعض اموالهم العزيزة عندهم وحفظه بالعبودية والتذلل لساداتهم والمعيشة تحت اقدامهم خير لهم من المخاطرة بضياعها كلها وثانيا ما الداعى للمعارضة والقيام وهم كما يقع الاختلاس فى اموالهم يسوغ لهم الغش فى الموازين والبضائع * ومحاكمهم لا تعرف الانصاف والعدالة فى القضاء وفصل الخصومات الا أن ذلك انما هو بالنسبة لمن كان لحقه يزعم انه لا يلزمه دفع الحصول فمن ثم كان الغنى منهم منعم البال مرتاح الخاطر والفقير محكوما مضيقا عليه فتجد الفلاحين غالبا لشدة جوعهم وضنكهم يتخذون السرقة وقطع الطرق الكبيرة حرفة فاذا قبض عليهم صلبوا ما لم يكونوا قواة شداد البأس والا فان ظهروا على العساكر المبعوثة لقبض عليهم وقعت المداولة بينهم وبين الحكومة فى شأن الصلح حتى يصطلحوا او تتركهم الدولة على حالهم يستقلون بأنفسهم فى محالهم التى آووا اليها ويترتب على ذلك فى الغالب ايراد يسير للحكام

الظلم والاستعباد

رسوم

وبالجملة فالرجل من الصينيين مجبول من صغره على امر واحد لا يعرف غيره وهو الطاعة والانقياد ومكلف برسوم عديدة لا تتركه يعدل على ممر الاوقات عن احترام ارباب الرتب والمناصب فى الجمعيات فكل خطوة يخطوها تبجيل واحترام وكل كلمة ينطق بها تحية وسلام ولا يخاطب سيده الا وهو يلاحظ انه كلا شئ بالنسبة اليه ويستحضر انه عدم بين يديه

حروف الكتابة

ثم ان أهم سياسة الدولة الصينية وامتن قواعدها الاصلية قانون يسلب من الانسان ايا ما كان خاصة الاقتراح وابداء خواطر جديدة حيث يمنعه من بيان ما سنح به خاطره بعلامات محسوسة موافقة فى الدلالة لالفاظ لغته وربما أشعرت عبارتنا هذه بأننا نريد التكلم هنا على الحروف الصينية * فنقول ان هذه الحروف قد شبهها بعضهم بحروف المصريين القديمة المسماة بالهيروغليفية وهو خطأ وانما يمكن تشبيهها بالحروف البازغرافية التى طالما استهزأ بها اهل اوروبا وسخروا منها * ثم ان اللغة العلمية الصينية هى عبارة عن كونهم جعلوا القواعد الاصلية اى التى تدعو اليها الحاجة غالبا على ترتيب مخصوص وادرجوا تحت هذه القواعد سائر ما فى لغة العامة من المعانى او ما تجود به خواطرهم منها ووضعوا لكل قاعدة اصلية علامة واحدة تدل عليها وهذه العلامة اختيارية من عندياتهم ليست مميزة الصورة بل هى بشعة الشكل ولما كانت هذه العلامات هى مبادى اللغة كانت ايضا اصلا باقيا لعلامات اخرى معنوية موضوعة بوضعهم واختراعهم تدل على القواعد المتعلقة هى بها * وعدة هذه المبادى مائتان واربعة عشر واما العلامات الاخرى المتفرعة عنها فتزيد على ثمانين ألفا وكلها لا تدل على ألفاظ يعبر بها عنها بل على معان وقواعد بواسطة النظر والحفظ فمن ثم كانت هذه العلامات الاختيارية لا دخل فيها لحركة الفكر وجولان الذهن ولا تحيط العبارة الا بمعشار عشرها * وجودة الاشعار والقصائد الصينية عبارة عن عدم القدرة على انشادها فترى أعاظم علماء هذه البلاد يتسابقون الى رسمهم بالمراوح فى الهواء حروفا لا دلالة لها على شئ من كلمات اللغة المتداولة بين العامة

اللغة الصـ[illegible]

ثم ان لغة الصين المتداولة بين الناس مركبة من اجزاء لا تزيد على سبب واحد وقل أن يوجد بها ثلثمائة وخمسون كلمة متغايرة المدلول بالنسبة لمن يسمعها من الافرنج غير أن الصينيين بواسطة انعطاف الصوت وتغيره يفهمون منها مدلولات عديدة فكلمة تجوين مثلا يختلف مدلولها باختلاف الصوت فتدل على معنى سيد وخنزير ومطبخ وعمود وكريم وعلى التجهيز والعجوز والاسير والمسجون ومع هذه الصناعة تجد في الغالب الصوت الواحد يوافق عدة حروف ومعان مثلا كلمة تو بالاختلاس تدل على الشمال والبياض وشجر السرو والمائة من العدد وغير ذلك وعلم النحو عندهم هو احوج ما يكون الى الالتفات لانه على غاية من التوحش والغرابة فانه في الحقيقة لا يتعرض لشيء من اعراب الاسماء ولا تصريف الافعال وانما يستمد ذلك تطويف الكلام ودوران الكلمات على وجه واه ومنهج ضعيف واما اللغة العلمية المستعملة في التأليف فانها لا تقبل شيأ من ذلك وانما يجمع المؤلف الكلمات مجردة عن الارتباط والالتئام ويترك للقارئ فهمها ومعرفة مناسباتها فاذا اراد أن يفيد مثلا أن البحر لا حد وله كتب بحر ولا حد * ثم ان ما احتوت عليه هذه اللغة من ضيق الدائرة والابهام واليبس ووحدة السياق والاحتياج الى الالتفات مما صارت به مستهجنة مبتذلة بالنسبة الى المعاني العلمية يدل من حيثية اخرى على تقدم تلك اللغة واصالتها بل يظهر انها اصل للغتى التبت والانامينة

بيان ما لهذه اللغة وحروفها الهجائية من التأثير

وهذه الكيفية العديمة الشكل هي التي ابقت بمقاصدها او بوسائلها ما افضى بالصينيين الى الابتذال والانحطاط من صغر العقل وبقائه فيهم على عهد الصبا وجعلتهم في الغالب من ادنى الامم الوحشية فان لغتهم المتداولة بين العامة من مبدأ امرها غير مستكملة وعقول الاهالي لم تتسع دائرتها لان الطوائف العلماء منهم لم تكن تعرف التعبير عن مقصودها الا بلسان آخر لا يكاد يفهمه الا القليل غير أن معارف الطائفة الممتازة لا يمكن انتشارها واتساع دائرتها بمجرد الكلام والتعبير لان الكلام في الغالب لا يطابق ما يدل على تصوراتهم من العلامات والاشارات فجر ذلك الى تناقص انوار هذه المعارف بل ربما كانت تتلاشى بالكلية وتزول من صدور حفاظها فان اللغة الغير الناطقة التي لا يتأثر بها القلب ولا يدرك بها العقل هي اشبه بفهرسة غير مفيدة يشتغل بها الفكر والحافظة فقط مع أن في النفس قوى عديدة كلها تحتاج الى البسط والاتساع ولا قوام للنفس المفكرة الا بخواص هذه الوسائل اللطيفة بحيث لو اقتصر على خواص احدى هذه القوى واهمل ما عداها لاختلت معادلة آلة الادراك العظمى وفترت قوتها او ضعفت حركتها ومن هنا كان وقوف عقول الصينيين وعدم اتساعها حتى كأنهم باقون على حالة الطفولية فان ذلك فيهم اشبه بفقد الحاسة والعمى الذى ينشأ عن الاقتصار على ممارسة علم دون آخر كما يقع عند المهندسين والنحويين والطبيعيين الذين يضعون الاسماء الاصطلاحية للنباتات

علوم

ولا يصح اطلاق كلمة علم على معارف الصينيين بحيث تكون كغيرها من منقولات هذا الفن فانها ليست الا امورا واهية حافظوا عليها حتى كأنها انائس ورثوها عن حكمائهم الاقدمين ومشرعيهم الاولين وليس لهم معرفة بمصالح النوع البشرى ولا يعنيهم منظر الكائنات العجيب على الاشتغال بالتفحصات والابحاث المستدعية للجرأة والاقدام التي تمتع بها علماء الفرنج وربما تاهوا احيانا في اوديتها وضلت عقولهم في الجولان بميدان دائرتها فنجد الفلسفة العقلية الشهيرة في الصين محصورة في الوعظ والحث على الانقياد للقوانين والشرائع وفي الارشاد بالدقة والتحصيل الى اداء التحية مع الخضوع والتواضع والى الآداب الهزئية التي هي عندهم عبارة عن الادب والاحتشام ولا يعرفون اصول تحسين الكلام والتأليف ولا اصول تنظيم المباني ولا اتقان الرسم والتصوير بحيث تكون الصورة المرسومة موافقة للاصلية اتم موافقة

بساتين الصين

واما الطف وضع بساتينهم وتقسيم اراضيهم فما ذاك الا لكونهم يأخذون بالدقة صورة محل طبيعي خال عن الانتظام لكنه مبتهج حسن المنظر فينسجون على منواله فاذا نظرت هنالك وجدت صخورا شاهقة يخشى سقوطها واوقنا طر معلقة على مهاو واشجار صنوبر عتيقة متفرقة على جوانب الجبال الشامخة وبحيرات واسعة وسيولا شديدة الجريان ومساقط مياه مزبدة لها دوى عظيم وبعض تماثيل رؤوسها شامخة كالاهرام في خلال هذا الاختلاط والاختلال فهذا هو منظر اراضى الصين تفصيلا وبساتينها اجمالا * ثم ان الصينيين لهم في اجراء العمليات الحسابية سرعة عجيبة خارقة للعادة الا أن طريقتهم في ذلك مباينة لطريقة الافرنج مع أنهم قبل دخول الافرنج في بلادهم كانوا يجهلون الرياضيات وجميع ما يتعلق بها من الفنون وليس لهم اتقان في الارصاد الفلكية وما كان عندهم من المعارف التي هي مما فوق الطبيعيات فلم يكن الا في صدور حكمائهم وعقول فلاسفتهم فلذا لم تبق الفنون التي ادخلها عندهم اليسوعية على رهبتها بتلك البلاد لا مدة قليلة ثم تلاشت واندثرت في ايام الملك كنغى المعاصر لكرلوس الثاني ملك اسبانيا ولويز الرابع عشر

الطباعة

(ملك فرانسا) والظاهر أنها لا ترجع اليها بعد ذلك وقد زعم كثير أن الصينيين عرفوا فن الطباعة قبل الفرنج وليس ذلك

على

على اطلاقه بل يقيد بالنقش المطبوع وهو البصمة فانهم لم يعرفوا اصلا سبك حروف الطباعة التي تنقل بل ينسب اختراع ذلك للفلمنك او الالمان وانما كان للصينيين قبل ظهور المطبعة في اوروبا بعدة قرون ورزنامات مطبوعة بقوالب خشبية

الحرف والصنائع

والمعارف الميكانيكية هي التي كانت دون غيرها متقدمة ومرغوبا فيها عند الصينيين فكانت صناعتهم في فبريقات القماش والصيني والسمان الصيني وغير ذلك من الفبريقات المستمرة هناك عجيبة لا يمكن تشبيهها الا باشغالهم في المحافل والمزارع كانشاء الخلجان وتمهيد الجبال وعمل البساتين ولكن تجد في كثير من اشغالهم ما يدل على صدق هذه القاعدة وهي كل ملة نشأت في الاستعباد لا يمكن أن تبلغ درجة كمال في الفنون الميكانيكية

الملاحة والبوصلة

وقد تكلمنا فيما سبق على رداءة سدودهم وعدم اتقانها واما فن الملاحة عندهم فهو ايضا غير عجيب ولا مستحسن وان كانوا قد استكشفوا قبل الفرنج خاصية حجر المغناطيس وهي اتجاهه الى جهة القطب والبوصلة عندهم شائعة كثيرة الاستعمال والابرة المغناطيسية التي يستعملونها معلقة مع الدقة واللطافة وحركتها شديدة غريبة فانك تراها تضطرب كلما تغير وضع علبتها او يتراءا لا تتجه الى جهة المشرق او المغرب وتسمى البوصلة عندهم طنغنان شنغ ومعناه الابرة التي تدل على الجنوب لان فيها علامة من المغناطيس يعرف بها القطب الجنوبي كما أن في البوصلة الافرنجية علامة يعرف بها القطب الشمالي

السفن

ولكن سفنهم كبيرة جدا حتى ان منها ما يحمل ألف برميل واطرافها على غاية من الارتفاع فهي لصد الرياح كالحصن المنيع ويتلف منها في الماء اكثر من النصف لانها اذا رست على البر لا يمكن اقلاعها من الارض اصلا ويتخذون الانجر اي المراسي من الخشب ولا يعرفون من الآلات والمقاييس ما يعرف به الفرنج عمق الماء وارتفاعه وملاحوهم جهلة كصغار ملاحي الفرنج فمن سافر منهم الى يابونيا او جزائر الطيبيه اهتدى في سيره بالنجوم كبقية الامم المتوحشة الخشنية ومن اقلع الى بتاويا وملقة اوكيدا جعل البر دائما نصب عينيه

القنج

ومع ذلك عندهم لطيفة جديرة بالمدح ويستعملونها في الانهر وهي مدهونة بدهن اصفر لطيف جدا وشراعاتها المتخذة من الحصر اللطيفة متينة ثقيلة والحبال التي يسحبون بها المراكب الصغيرة متخذة من قشر شجر الخيزران ويتراءى أنها متينة ايضا بالنسبة للتجربها وان كانت بالنسبة لغيره لا تسد مسد حبال القنب والكتان التي هي جيدة جدا في بلاد الصين

وتمدح بعضهم مباني الصين وآثارها مع أن فيها ما يستحسن كبعض طرقها السلطانية وقناطرها ذات العين الواحدة وبروجها العالية التي على شكل الاهرام وبواباتها المسماة باقواس النصر فهي وان كانت خشنية الا انها عظيمة فاخرة وكذلك سدها الاكبر فانه مما يتعجب منه اكثر من ذلك وهو سور شهير يمر باعلى الجبال ويخترق اودية عميقة ويمتد من اقليم شنسي الى ونغهي اي البحر الاصفر على خط يبلغ اربعمائة وخمسين فرسخا وهو في عدة محال منه ليس الا مجرد حصن كسائر الحصون وفي بعضها تجد اساسه من الصوان وبناءه بالآجر الحافق

السد الاكبر

ثم ان كلا من الخواجة ستونتون والخواجة دوهلدو حقق أن هذا السد قديم بلا شك وأثبت الثاني انه بني قبل ميلاد عيسى عليه السلام بمائتين وخمس عشرة سنة بامر اول سلطان من دولة تسين ولكنه ذكر في بعض مؤلفاته انه اسس بامر السلطان الثاني من هذه الدولة وعليه فيكون تأسيسه قبل الميلاد بمائة وسبع وثلاثين سنة وذكر بيل وهو من مهرة السياحين أن بناءه انما كان سنة ١١٦٠ ولم يتعرض احد من جغرافيي المشارقة ممن كان قبل الميلاد باكثر من ثلثمائة سنة لذكر شيء في شأن هذا السد ومرقوبول وان كان من اهل القرن الثالث عشر لم يكن عنده في هذا المعنى معرفة ولا المام مع انه اطال الاقامة في خطاي بشمال الصين وفي بلاد المغول والذي يظهر أن هذا السد لم يبق على بنائه القديم بل بني وهدم عدة مرات على حسب اقتضاء سياسة المملكة وعليه فالسد الموجود الآن غير قديم فلا عجب حينئذ في بقائه الى هذا العصر

ما قيل في قدم هذا السد

ولا حاجة الى ذكر اخلاق الصينيين المتأصلين بتلك البلاد على وجه الدقة والتفصيل لان ذلك يشوش ذهن من اطلع على كتابنا هذا وانما نقول ان بيوتهم مبنية بالآجر او السجيل اليابس وأعلاها من الخشب وليس لها في الغالب الا طبقة ارضية وبيوت التجار لها طبقة ثانية عليا يخزنون بها امتعتهم وبضائعهم وتجد ظاهر المباني مزينا بالاعمدة والازاج وللصينيين ميل الى اواني الازهار المعروفة بالقصاري فتراها في سائر اماكنهم لنضرة المنظر بالخضرة وغيرها من الالوان المتنوعة

البيوت

و بيوت اعيانهم تخالف هذه المساكن باصحنها الواسعة وبساتينها واما المساكن المدبرة (الخالية عن الاسراف) فهى قليلة الزينة والزخرفة حتى ان المرائى فيها قليلة مع انها كما هو الظاهر آتية على طبق اذواق مثل هذه الامة صاحبة الطيش والخفة

الملابس

* ثم ان ملابس الصينيين عبارة عن ثياب طويلة ذات اكمام عريضة وحزم من جيد الحرير واما القمصان والسراويل فيغيرونها على حسب الفصول ولا يلبسون فى الشتاء الا الفراء التى ادناها جلد الضأن واعلاها جلد القاقوم و يلبسون على رؤوسهم قلانس صغيرة على شكل الاقماع وتختلف باختلاف درجات الناس وفى اعلى القلنسوة زر عريض من المرجان او البلور او الذهب وجوهر هذا الزر ولونه علامتان على المناصب وبالجملة فملابسهم ساذجية خالية عن الزينة والرفاهية متساوية على نسق واحد ولا يمتاز السلطان عادة من بين خاصته الا بدرة ضخمة على قلنسوته

المواسم العامة

واهم شئ فى مواسمهم العامة النيران الاصطناعية وحرائق الشنلك وذكر بعضهم أن الصينيين يفوقون فى ذلك غيرهم وان كانت عادتهم اطلاقها بالنهار كأنهم يخشون معاينتها اذا اطلقوها ليلا والظاهر أن تياتراتهم التى اطنب فى مدحها الخواجة ماكرنى لم يستحسنها الخواجة دى غينس ، وشكسبيارية بكين (اى مؤلفو الحكايات والاشعار بها) لا يلتفتون اصلا الى وحدة الزمان والمكان وهذه القاعدة (اى الوحدة المذكورة) وان كانت هينة فى حد ذاتها الا انها مبنية على اصل لا يسع ملة من الملل انكار اهميته وهو ان كل ثمرة من ثمرات العقل لا بد فيها من اتحاد الغرض والفكر فكأن ذلك شرط مقرر لا بد منه فى احوال العباد من حيث اخلاقهم وادراكاتهم ثم ان الطراجيدات الصينية (اى الحكايات المحزنة التى تذكر مع الغابهم) يتخيل فيها غالبا أن اللاعب يقطع فى طرفة عين مسافات كبيرة و يظهر للناظرين بمظهر احد الامراء وتراه فى مبدأ اللعب على شكل ولد صغير * وبأثر ذلك يظهر لك بمظهر شيخ كبير

ملعب الغناء وضرب الآلات

وفى ملعب الغناء وضرب الآلات تجد الحاضرين فى تعجب وحيرة مما يرونه فيها من محادثة الطيور والحيوانات قال الخواجة دى غينس لما رجعنا من بكين اتحفنا المندرية بكونهم فرجونا على قطعة من العابهم يسمونها برج سيهو تسمية لها باسم برج واقع على شواطئ بحيرة قريبة من مدينة هنغ تيوفو باقليم چكيننغ فرأينا فى افتتاح اللعب الجن راكبين على الثعابين وهم سائرون للتنزه مع بعضهم قريبا من شواطئ البحيرة ثم حضر شاب على صورة قسيس من قسوس تلك الجهة فعشق جنية من نسائهم واخذ يسايرها و يتحدث معها فأصغت الى حديثه مع منع اختها لها عن ذلك ثم تزوجت به وحملت منه ووضعت فى الملعب ولدا قام يمشى حالا فلما رأى الجن هذا الامر الفاحش غضبوا لذلك وطردوا الشاب المذكور وصاروا يرمون البرج بالصواعق حتى انهدم وصار على الحالة التى يرى عليها الآن انتهى

ولو انضم الى ما عندهم من هذه الالعاب الغريبة كون اللاعب يأتى بجانبه لاعب اخر من غير أن يشعر به وكونه اذا اراد أن يظهر أنه يدخل بيتا مثلا لا يقتصر على انه يخيل للناظر أنه يفتح بابا و يرفع قدمه ليجتاز العتبة مع أن ذلك لا حقيقة له اصلا وكونه يظهر للرائى أن بيده عصى فيتخيل له أنه راكب فرسا لكانوا بذلك عارفين بفن الدراماتيقة

مثالب الصينيين وعيوبهم

ثم ان السياحين الذين طرقوا مينات الصين كثيرا وترددوا اليها غير مرة تعجبوا من عدم استقامة حال هؤلاء الناس وقلة امانتهم ورجا قلت هذه العيوب بقلة الوسوسة والارتياب ، وثم مثالب اخرى يظهر انها عامة فى سائر البقاع الصينية كالكسل وجود الطمع فى اعيانهم وكالوساخة فى رعاعهم فترى الاغنياء منهم لا يتناولون الطعام بايديهم لما يرون فى ذلك من المشقة عليهم بل لهم عبيد يضعون لهم الطعام فى افواههم واما الفقراء فلا يدعون شيأ وجدوه بل يأكلون سائر الحيوانات الميتة بالامراض وربما اعتبر لتلك الامة العديدة مثل هذه العادة للضرورة وذلك ايضا هو السبب فى طرح الاولاد فى الطرق

طرح الاولاد

وهى عادة قديمة جدا لكنها مع ذلك لا تعم جميع البلاد الصينية حتى انكرها بعض من لا يوثق به من السياحين فتجد رمم الاولاد التى يطرحها اهلها من الفقراء اذا من مصاريف دفنها يجمعها الحرس من حارات بكين

وبالجملة فالصينيون اناس خشنون مستعبدون قائمون دائما بوظيفة الخدمة وقل أن تنحوا عن مسالك التذلل والخضوع التى يسلكها من ارد الارتقاء من اراد التردد الى ساداته واستجلاب ميلهم اليه بالمحبة والاقبال وندر أن يتوهم فيهم شئ من الغيران والحماسة وهذا فيهم ناشئ عن جبنهم وامتناعهم

لا ادرية

كل الامتناع عن تعاطى الاطعمة الحارة والاشربة المسكرة وانما يتعاطون عادة شراب الشاى فهو كثير الاستعمال عندهم فتجد فى الصباح اهل البيت

منهم

منهم يجهزون منه اماكن كبيرا ولا يزالون يغترفون منه مدة اليوم بتمامه وبالجملة فقد ظهر للافرنج أن الاطعمة الصينية رديئة تمجها الطباع لكن ليس ذلك لجهل الصينيين بفن الطباخة واهمالهم البحث عن تحسين الاطعمة واتقانها بل لعاداتهم والرسوم الجارية فى بلادهم ففى الغداء الذى امر به سلطان الصين لسفراء الفلنك وكان يحيتهم على تلك المائدة الخواجة دوغينس لم يمد احد من الحاضرين يده الى الصحاف الموضوعة المعتبرة كأنها من يد السلطان الا بعد اداء التحية بالانحناء ورسوم التشريف واتفق ايضا أنهم احضروا فى بعض الايام لهؤلاء السياحين سمكة كبيرة ظريفة من سمك الاستورجون وكان لهم اليهاشية زائدة فلم يمكنهم تقطيعها ليتعاطوها الا بعد ان استغرقوا ربع ساعة فى اداء ما يلزم لهذه السمكة العظيمة من التحية ورسوم التشريف

الغداء

وتعدد الزوجات عند الصينيين مباح للاكابر والمندرية فالسلطان متزوج بعدة زوجات وامر الزواج عندهم منوط بالاهل والاقارب فاذا اراد الانسان أن يخطب بنتا اهدى الهدايا لاهلها ولا يمكن من رؤيتها الا بعد العقد واشهار النكاح والنساء بتلك البلاد فى نوع من الاسترقاق فنجد الفلاح يقرن فى الحرث بين زوجته وحماره

الزواج

ومن عوايدهم المستحسنة عقلا جعل مقابرهم خارج اسوار مدنهم حيث يحفرونها فى التلال القحلة حتى لا تضر اشغال الزراعة بتراب الاموات وعلامة الحزن عندهم اللباس الابيض لان هذا اللون لكونه اشد الالوان قبولا للادران والاوساخ يدل على حزن صاحبه وعدم اهتمامه بشأن نفسه كالعادة واذا مات شخص من عشيرة ودفنوه فى المقبرة احتفلوا لزيارته فيجتمعون حول قبره ويولمون الولائم ويهبونها لروح ميتهم بل يظهر أن ارواح آبائهم واسلافهم معتبرة عندهم كأنها آلهة قد تأنست ووقع بينها وبينهم معاشرة وائتلاف ومثل هذه التخيلات مما يوجب الحنان والرأفة ويدل على أن القلب لم يضع شئ من حقوقه حتى عند الصينيين

احترام القبور

والظاهر أن دين الصينيين الاصلى فرع من دين السثمانسم الذى موضوعه عبادة الكواكب وما يوجد فى العالم من الاشياء الشهيرة وقد بطل هذا الدين القديم بما عرض فيه من المذاهب المختلفة التى منها مذهب كونفوسيوس الذى هو فى الغالب شبيه بمذهب اليونان والرومان المسمى ستويسيسم (اى فلسفة زينون) وقد آثر ارباب الدولة الصينية هذا المذهب اعنى مذهب كونفوسيوس على غيره ظنا منهم أنه يمكنهم أن يستنبطوا منه نوع ديانة سياسية وصار له عندهم موقع عظيم كفلسفة زينون عند اليونان والرومان غير أن كتب كونفوسيوس المسمى ايضا كونغ فوتسه مشحونة بالعقائد الفاسدة والاوهام الكاسدة واما مذهب لاوكيون المسمى ايضا لاوتسه فله شبه بمذهب الفيلسوف ابيقور حيث كان اصحابه يميلون الى المعيشة فى الراحة والبطر فى الالهيات الا أنهم يستحسنون ممارسة علم الفلك والسحر فلهم ديورة وعبادة مخصوصة

الدين

فلسفة كونفوسيوس وغيره

ولكن لما سئم الاهالى من تكاليف هذا الدين وتشديداته بادروا الى اجابة دعاة البراهمة الذين قدموا اليهم من بلاد الهند سنة ٦٥ من الميلاد ولما تلطف دين هؤلاء الدعاة بالتخفيف وعدم الكلفة وسموه دين فو تمسك به اغلب الصينيين وهو مشحون بالاوهام الملايمة لطبيعة المشرقيين المجبولين على الجبن والخوف وامناء دين فو يقال لهم بونزة وهم كثيرون جدا حتى قيل ان فى الامبراطورية الصينية منهم اكثر من مليون ومعيشتهم جميعا من الصدقات وهؤلاء الشحاذون الذين تعتقد بركتهم هناك متحلون فى الظاهر بحلية التواضع والخضوع ومنطوون فى الباطن على اشد الكبر والحرص والظاهر أن النسطورية الذين انتشروا فى الصين فى القرن الثامن من الميلاد ادخلوا فى تلك البلاد بعض رسوم دينية مخالفة لاصول دين النصرانية فكان يرى أن هذا المذهب قد تعضد وتقوى بالنواقيس والمصابيح واداء التحية وغير ذلك من الرسوم الصينية الآن فى ديانة الصينيين امر اغرب وهو أن البونزة لا يرون أن نصب الأخونة للاكل حول محاريبهم من جوانبها ليس امرا منكرا يسخط اصنامهم ويغضب اوثانهم فلا شئ اكثر فى الصين من عادة الاجتماع فى الهياكل لشراب الشاى اوغيره من الاشربة ما داموا يبخرون معبوداتهم بقضبان اخشاب عطرية طيبة الرائحة يحرقونها تحت انوفها

عبادة فو او فوهى

واما سلاطين التتار (او المنجو) فهم على دين دلى لاما فلذا كان لهم حمية شديدة فى المحاماة عن هذا الحبر حتى انهم جعلوا فى بلاد التبت عساكر صينية لحفظ ماله من الايرادات والمحصولات .

ثم ان هذه المملكة المتسعة يلزم أن يكون محصول تجارتها فى اقاليمها بالعا مبالغ جسيمة غير أنا لا ندرى جنس هذه التجارة ما هو على أنا لو عرفنا ذلك ما كان الا شيأ هينا قليل الجدوى واما تجارتها مع الملل الاجنبية فلا نسبة بينها وبين اتساع الدولة وكثرة ثروتها ويسارها فقد خرج منها سنة ١٨٠٦ ميلادية من صنف الشاى خمسة واربعون

التجارة

البضائع الخارجة والداخلة

مليونا من الارطال يبيع منها ثلاثة عشر مليونا للامريقة ومليون للدانيمرقة والباقى للانكليز وخرج منها من صنف السكر عشرة ملايين من الارطال ومن صنف قاش النكين أحد وعشرون ألف قطعة ومن صنف الخار صيني او التوتيا المعدنية ثلاثة ملايين من الارطال وهذا غير النحاس والبوراق اوملح الصاغة والشب والزيبق والفرفورى وصمغ اللك والقصدير والزنجفر وكذلك القرفة ثلثمائة ألف رطل والراوند والمسك واصناف اخرى من العطريات وكان نقل هذه البضائع منها على مائة واثنين وعشرين سفينة من السفن الافرنجية منها ثمانون انكليزية وتسع وثلاثون امريقية وثلاث دانيمرقية وكانت هذه السفن قد جاءت اليها من صنف الارز بستة وثمانين مليونا من الارطال واتت معها ايضا بالقطن والجوخ والقماش والزجاج وجلد حيوان السكلاب وكلب الماء والثعلب وبخشب الصندل والفوفل والجاوى وغير ذلك من العطريات وانواع الطيب وهذه السفن وكذلك المراكب التى سافرت الى ايوفى مينا فوكيان التى يذهب اليها اسبانيول مائلة للبحث عن اقمشة النكين وغيرها جاءت ايضا الى الصين بمبلغ من النقود يبلغ ثلاثة ملايين وثلثمائة وثمانين ألف قرش فاذا نظرنا الى أن بضاعة الشاى وحدها كانت قيمتها تبلغ ثمانين مليونا من الفرنكات وأن غيرها من البضائع الاخرى التى تخرج منها الى البلاد الاجنبية كانت قيمتها لاتنقص عن خمسين اوستين مليونا عرفنا أن خسارة اوروبا فى النقود هينة لاتصل الى الحد الشائع على ألسنة الناس فانها تناقصت بالتدريج سنة ١٨٠٤ وسنة ١٨٠٥ و ١٨٠٦ من الميلاد

الهنست

وامر التجارة مع الافرنج فى قانطون مفوض لجمعية اعضاؤها اثنا عشر تاجرا من اعيان التجار يسمونهم بالهنست ولهم مكاسب عظيمة وارباح جسيمة غير أن هناك مندرية ارباب حرص وطمع وجماعة من امناء الجمارك اهل مهارة ونشاط ومترجمين ارباب حيل وخداع معيشتهم جميعا على طرف الهنست والافرنج وبالجملة فنوائد هذه التجارة التى هى بحسب الظن مستوية الوجود والعدم عند اغلب الصينيين تحت ايدى هؤلاء الناس واهالى قانطون

العساكر

ولاشك أن بلاد الصين يمكن أن تستغنى عن جزء عظيم من عساكرها الكثيرة عددها جدا على ماذكره السياحون قال بعضهم ان بها من العساكر مليونا وار بعمائة واثنين وستين ألفا وخمسمائة وتسعين ومنهم من قال مليون وثمانمائة الف من غير كسور وايا كان فلا نتعقب منهما قولا * ومن المحقق حسبما ذكره ثقاة الصينيين أن الدونما

الدونما

السلطانية الصينية تبلغ عدتها تسعة آلاف وتسعمائة وتسعا وتسعين سفينة بلا زيادة ولا نقصان وذلك قليل بالنسبة لمثل هذه المملكة التى عدة اهاليها ثلثمائة وثلاثة وثلاثون مليونا كما افاده جناب المندرين جوناتزين بالحرير والكتابة لجناب اللورد ماكرتوناى

الاهالى

وهل هذا العدد البالغ حد الكثرة يؤخذ قضية مسلمة مع مافى جدول تقويم البلدان المجموع بأمر السلطان كيان لونغ منذ نصف قرن من أن عدد الفلاحين المضروب عليهم خراج الاراضى ليس الاخمسة وعشرين مليونا ومع مايوجد من دفاتر التعداد القديمة المفيدة أن عدد أهالى الصين لم يزد منذ خمسة عشر قرنا الا من ثمانية وأربعين مليونا الى ستين وهذا بخلاف جداول تعداد الاهالى التى حررها الاب ألرستين سنة ١٧٤٣ من الميلاد فانها اذا قوبلت بالجداول التى حررها ماكرتوناى سنة ١٧٩٥ من الميلاد تفيد أن الاهالى فى بعض الاقاليم قد زاد عددهم ثلاثة امثاله واربعة امثاله وبالجملة فى اطلعت على اى تقويم من هذه التقويمات وجدت فيه خطأ بينا ومقادير مكررة بعينها مرتين واخرى متناقضة ليس فيما بينها مناسبة اصلا

النظام العسكرى

وقد ذكر جماعة من الثقاة الخالين عن الاغراض فى تقاويمهم أن اهالى الصين الحقيقية مائة وخمسون مليونا وأن جيشها الذى يبلغ عدده خمسمائة ألف اوستمائة ألف من العساكر المنتظمة ومليونا من الاقوام الرحالة النزالة المعدودة فى زمرة العساكر ليس له وقع ولا هيبة الا بكثرة عدده فقط والظاهر أن الصينيين لجهلهم بفن الطوبجية والحركات العسكرية لاسيما وهم مجردون عن الشجاعة والتولع بالحروب يغلبهم اقل جيش من العساكر الافرنجية كما وقع لهم غير مرة فى اغارات اقوام آسيا الوسطى

ملحوظات فى الرد على من مدح الصين

وهذا التخطيط الذى ذكرناه موافق لما نص عليه لابيروزة وكروسنسترن وباروو ودوغينس وبعض كون الدعاة افتروه ولم ينكروه ومع ذلك فلا يكاد يقبله اناس من اهل اوروبا يمدحون الصين ولم يخرجوا من ديارهم وفى القرن الماضى ظهر جماعة من اهل الحمية مدحوا الصين وهم مابين حزبين قويين حزب الفلاسفة الفرنساوية وحزب اليسوعية فانهما تنافسا فى مدح قوانين تلك المملكة وثروتها فاما الفلاسفة فكانوا لايدرون مايقولون واما

اليسوعية فكانوا على خلاف ذلك ولكن المنصف لا يرى ترجيح دين كونفوسيوس الذى هو الدين الاصلى فى الصين على دين النصرانية وايضا من البعيدان الملل ذات الحرية والقوة من اهل اوروبا تستحسن ما عليه دولة الصين من الظلم والتشديد فى قوانينها العديمة الجدوى وكذلك اسوارها العظيمة المعدة لمنع الوصلة والمخالطة مع الاجانب

زعم قدم مملكة الصين

ويلزم أن نخص من الآراء التى ابداها اهل الحمية والعصبية فى هذا المعنى ما ابدوه منها فى شان قدم الصين على زعمهم فنقول لا يخفى أن اعداء دين النصرانية قد اعتنوا كل الاعتناء بالبحث عن بعض امم متقادمة العهد جدا وسابقة فى الوجود على طوفان نوح (عليه الصلاة والسلام) بل وعلى عهد الخليقة كما نبه عليه موسى (عليه الصلاة والسلام) والمارد ما ابدوه فى شأن مصر و بابل من زعم قدمهما ودعوى تقادم عهدهما بترجيح ذلك الى الحقيقة وعدم المبالغة انصرفوا من هذه الدعوى الى زعم مثلها فى الهند والصين فان الامور العجيبة اذا كانت بعيدة اجنبية كان لها عظيم وقع فى النفوس فلذا كانت مملكة الصين عندهم معدودة من الممالك التى بلغت الغاية فى التمدن والعمران من قبل الميلاد باربعة آلاف وخمسمائة سنة فيكون حدوثها كبدء الخليقة قبل الميلاد بعشرة آلاف أو عشرين ألف سنة وقد اخذ بعض الدعاة الذين ذهبوا الى تلك الجهات هذه الآراء قضية مسلمة من غير تعقب ولا اعمال فكر فى نتائجها وماذاك الا لجهلهم وقصدهم الافتخار بقدم هذه المملكة زاعمين انهم اول من ارشد بها العقول واخرجها من ظلمة الجهالة وقد عثرنا على مجموعة تاريخية ركيكة العبارة رديئة الاسلوب مترجمة من اللغة الصينية فوجدنا فيها أن فوهى اسس مملكة الصين قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وأن هونغ تى حكم بعد ذلك بثلاثة قرون على دول آهلة عامرة كان يبلغ طولها اربعمائة فرسخ وعرضها ستمائة

قبل الميلاد بألفين وتسعمائة وثلاث وخمسين سنة

ما اقيم من الادلة على بطلان هذا الزعم *

لكن من سوء حظ المملكة الصينية أن ظهر من اهلها جماعة من ثقاة المؤرخين فانكروا جميع الخرافات التى تحكى عن فوهى و هونغ تى بل ولم يعوّلوا على الاخبار المتعلقة بحكومة اياو الذى هو بحسب الظن ليس الا رمزا من رموزهم و يقال انه كان قبل الميلاد بثلاثة وعشرين قرنا ولكن لو قيل ما كانت اعمال اياو المذكور قيل فى الجواب انها عبارة عن كونه جفف بركا وصاد حيوانات وحشية وزرع ارضا قفرة وكان له التزامات غير واسعة حتى انه كان يطوفها فى كل سنة اربع مرات و بعد ذلك بعشرة قرون اطلعنا على أن ملوك الصين صاروا ينتقلون من اقليم الى آخر مع رعيتهم الذين هم اقوام رحالة نزالة كملوكهم و ينزلون مثلهم تارة فى غور من الصخور وتارة فى اخصاص من الطين وفى العصر الذى انبعث فيه معارف كونفوسيوس كانت ارض الصين بتمامها من جنوب الخليج الرزق قفرة غير معمورة و بالجملة فلا يوجد فى تاريخ من تواريخ الصين ما يدل على وجود مملكة كبيرة بتلك الجهة فى ذلك العصر وليس فيها من الآثار الشهيرة ما يدل على قوة مشيدها ولا عبرة بما فى كتب ذلك العصر المكتوبة فى اوراق سريعة التلف ولم تزل تنسخ وتنقل لعدم القطع بصحتها وايضا قد اثبت بعضهم انه قبل الميلاد بقرنين ظهر ملك خشينى من ملوك الصين فأمر بالكتب التى كانت فى ايامه فبحث عن آخرها حتى لم يبق لها اثر بالكلية فيلزم اذن أن نسلم لعلماء الصين فى قولهم ان تاريخ الصين لا يزيد على ثمانية قرون او تسعة قبل الميلاد خلافا لمن زعم قدم هذه المملكة وادّعى أنها متقادمة العهد جدا فان ذلك ناشئ عن اغراض جماعة من ادباء المتأخرين وعن افتخار سلاطين تلك الدولة واعتنائهم باسمهم

قبل الميلاد بألفين وثلثمائة وسبع وخمسين سنة *

دولة الصين القديمة * قبل الميلاد بألف سنة واربعمائة وواحده *

قبل الميلاد بخمسمائة سنه واحدى وخمسين)

قبل الميلاد بمائتى سنة وثلاث عشرة *

ملحوظات فلكية

فان قيل ان هناك ارصادا وتنبيهات فلكية اعترف بصحتها اعظم المهندسين وتاريخها قبل الميلاد بألف ومائة سنة فالجواب أن هذه الارصاد بقطع النظر عن كونها تقبل البحث والمناقشة وكونها ليست من مقترحات المتأخرين من علماء الصين لا تدل الا على انه قبل الميلاد بألف ومائة سنة كان فى الصين قبيلة ومدينة متمدنة تخرج منها جماعة من العلماء فلا مانع أن آسيا الشرقية اذ ذاك كانت كأوروبا فيها اناس كاليونان ومدينة كمدينة اثينا (التى هى مدينة الحكماء) وشتان بين ذلك وتأسيس مملكة كبيرة كما أن هناك بونا بعيدا بين ألف ومائة سنة وألفين وثلثمائة سنة الذى ترى تمدن اليونان والرومان فانه ظهر وانقرض فى اقل من تلك المدة

عادة اكل لحوم الآدميين التى كانت سنة ١٣٠٠ من الميلاد

رابعا لا ريب فى أن بلاد الصين بعد الميلاد بيسير كانت فى العالب منقسمة الى دول صغيرة فلو كان تمدنها موجودا قبل الميلاد لزم انه تلاشى وانقرض عدة مرات اذ فى القرن الثالث عشر كان اهل اقليم فوكيان بأرض الصين الجنوبية المسماة منجى يأكلون مع النهم وفرط الشره لحوم الآدميين ويفضلون منهم من كان صحيح الجسم سليم البنية ويشربون دماء من يأسرونه فى الحرب ويرسمون جلودهم بالحديد المحمى

فيسمونها بسمات وصور كالملل التى بلغت اقصى درجات التوحش والخشونة وقد نقلناذلك عمن كان مقلدا بادارة
خط من اخطاط هذه الدولة وكيف لا وكل من راى الصين من عهد مرقبول الى عهد دوغيس
عاين فيها امور المصلح اتم الصلاحية لتسكين الحمية واضعاف الرغبة عمن مدح تلك البلاد وهو عنها قاصى
الديار بعيد المزار

وهذا الجدول يتضمن بيان اهل الصين الحقيقية ومقدار ايراداتها ومحصولاتها تلخصناه من كتاب الجغرافية الصينية المسمى دزيني تونديشى

(الدان مدّ صيني مقداره اثنا عشر الفا وسبعون ابهاما مكعبا واللانا من الموازين الصينية)

اسماء الاقاليم	عدد الفلاحين الذين يدفعون الخراج	مقدار الخراج الوارد من القمح ح	مقدار الخراج الوارد من النقود ط
يتشيلي	٣٣٤٠٥٤٤	١١٨١٦٢ دان	٢٤٢٢١٢٨ لانا
كيج نان	٤٢٥٦٧١٢	١٨٩١٢٤	٥٣٢٧٦١٤
شنسى	١٧٩٩٨٩٥	١١٠٠٥٤	٢٩٧٣٢٤٢
شنتون	٢٤٣١٩٣٦	١٢٧١٤٩٤	٣٤٦٣٢٢٤
هونان	٢٥٢٧٤٥٦	٢٤٩٤٧٦	٢٦٠٥١٩١
ذى بى	٢٢٦٢٤٣٨	١٩١٩٥٥	٤٤٥٠٧١٤
شان چو	٤٥١٦٩٣	٥٢٠٦١٨	٣٠٠٥٠٦
چى كيج	٣١٢٤٧٩٨	١٣٦٣٤٠٠	٢٨٥٦٧١٩
كيج سى	٣٣٧٠٦٩	٩٤٢٠٦٥	١٩٧٥٧١١
هوكوان	٧٥٢٩٧٠	٦٠٩٥٠١	١٣٠٨٧٦٩
سى چوان	٦٥٠٢٠٨	......	٦٥٦٤٢٥
نوكين	١٥٢٨٦٠٧	٢٩٧٤٦٢	١٠٣٠٧١٢
كوان تونغ	١٢٠١٣٢٠	١١٤٥٧٩	١٢٨٦١٩٨
كوانغ سى	٢٢٠٦٩٠	٦٧٧٥٥	٣٧٥٩٧٤
ايون ان	٢٣٧٩٦٥	٢٢٧٦٢٦	٢٠٩٥٨٢
كوى چيو	٤١٠٨٩	١٢٣٠١٥	١١٨٠٩٤
	٢٥١٦٥١٣٩٠	٦٣٩٦٢٨٦	٢٨٣٦٠٨٠٠

وهذا الجدول يتضمن عدة اهل الصين فى القرون الاولى

بيان الازمنة	عدد العائلات	عدد النفوس
فى القرن الاول من الميلاد حصل تعداد اهل الصين فكان عددهم	١٢٢٣٣٠٦٢	٥٩٥٩٤٩٧٨
وفى سنة ٧٤٠ من الميلاد فى عهد الدولة التنغية بلغ عددهم	٨٤١٢٨٠٠	٤٨١٤٣٦٠٠
وفى سنة ١٣٩٣ من الميلاد فى ايام هونغوو بلغ عددهم	١٦٠٥٢٨٦٠	٦٠٥٤٥٨١٢
وفى سنة ١٤٩١ من الميلاد فى ايام هياوتسونغ بلغ عددهم	٩١١٣٤٤٦	٥٣٢٨١١٥٨
وفى سنة ١٥٧٨ من الميلاد فى ايام وان لى بلغ عددهم	١٠٦٢١٤٣٦	٦٠٦٩٢٨٥٦

بيان عددهم فى القرون المتأخرة

		على حسب تعداد الاب آلرستين سنة ١٧٤٣ من الميلاد	على حسب تعداد ما كرتناى سنة ١٧٩٥ من الميلاد
		نفوس	
اقليم فولغ تيان		٦٦٨٨٥٢	(قال ما كرتناى لما كان هذا الاقليم من بلاد التتار لم نتكلم عليه فى تعدادنا)
			نفوس
بچيلى		١٥٢٢٢٩٤٠	٣٨٠٠٠٠٠٠
كينغ نان وهو على قسمين			
الاول غان هوى	٢٢٧٦١٠٣٠	٤٥٩٢٢٤٣٩	٣٢٠٠٠٠٠٠
الثانى كيان سو	٢٣١٦١٤٠٩		
اقليم كينغ سى		١١٠٠٦٦٠٤	١٩٠٠٠٠٠٠
جى كينغ		١٠٤٢٩٦٩٠	٢١٠٠٠٠٠٠
فوكيان		٨٠٦٣٦٧١	١٥٠٠٠٠٠٠
هوكونغ وهو على قسمين			
الاول هوبة	٨٠٨٠٦٠٣	١٦٩١٠٤٢٣	٢٧٠٠٠٠٠٠
الثانى هون نان	٨٨٢٩٨٢٠		
اقليم شنتون		٢٥١٨٠٧٣٤	٢٤٠٠٠٠٠٠
هونان		١٦٣٣٢٥٠٧	٢٥٠٠٠٠٠٠
شنسى		٩٧٦٨١٨٩	٢٧٠٠٠٠٠٠
شين سى وهو قسمان الاول سنغان		٧٢٨٧٤٤٣	١٨٠٠٠٠٠٠
الثانى خان سو		٧٤١٢٠١٤	١٢٠٠٠٠٠٠
سى چوان		٢٧٨٢٩٧٦	٢٧٠٠٠٠٠٠
كوانغ تونغ		٦٧٨٢٩٧٥	٢١٠٠٠٠٠٠
كوانغ سى		٣٩٤٧٤١٤	١٠٠٠٠٠٠٠
ايون نان		٢٠٧٨٨٩٢	٨٠٠٠٠٠٠
كوى چيو		٣٤٠٢٧٢٢	٩٠٠٠٠٠٠
		١٩٨٢١٣٧١٣	٣٣٣٠٠٠٠٠٠

*(المقالة السادسة والستون من تخطيط آسيا * بلاد التبت)*

ملحوظات عامة

قد خططنا فيما سبق غرب آسيا وشمالها ووسطها وشرقها ولم يبق علينا منها سوى تخطيط الجزء الجنوبي الذي يجري فيه نهر السند ونهر الكنك ونهر براما بوتر ونهر ايراوادي الخارجة كلها من ابطح مائل جهة الجنوب مفصول مع ذلك بجبال كبيرة من بقية آسيا الجنوبية وهذا الجزء الجنوبي هو بلاد التبت فلنشرع الآن في تخطيط هذه الولاية الجليلة التي هي منشأ لعدة مذاهب دينية ومتسلطن فيها الاوهام كما أن البرد ايضا متسلطن فيها اذ التخطيطات الجغرافية لا تدنس مثل هذه الارض المقدسة التي يزعم حاكمها انه خليفة الله على صخورها وغاباتها واديارها فنقول

تخطيط مرق بول لبلاد التبت

ان بلاد التبت وان كانت معروفة للافرنج من القرن الثالث عشر من الميلاد الا انها مكثت مدة طويلة وهي غير مطروقة لارباب السياحة منهم فلم يدخلها مرق بول اصلا وان كان قد خططها تخطيطا غريبا يستدعي الميل اليها والاطلاع عليها فقال ان بلاد التبت كانت مشتملة على ثماني ممالك خربت بعضها جنود كوبلاي خان وكان بها من الحيوانات الوحشية عدد كثير كالنمل حتى ان السياحين لاجل التحفظ من هجوم هذه الحيوانات عليهم اوقدوا النار في غابات الخيزران الكبيرة التي كانت مشحونة بها ارض هذه الولاية وكان في الجزء المعمور منها عدة عوايد

عوايد غريبة

غريبة متسلطنة فيها منها أن اهلها المتأصلين بها كانوا لا يرغبون في زواج البنات الغنيات اولات الثروة واليسار اللاتي يرغب فيهن من يريد الزواج من الرجال في بلاد اخرى ويبحثون عنهن كل البحث ومنها ايضا انهم كانوا يترجون من نزل في ديارهم من الاجانب ويلحون عليهم كل الالحاح أن يعلموا بناتهم اسرار العشق ودقائق المحبة ويتركوا لهن بعض تحف وهدايا هينة علامة على هذه المعاشرة الوقتية فيعلق البنات في اعناقهن هذه التحف الموجبة للمعزة وكلما كثرت تحف واحدة منهن ايقنت أنها تجد لها بعلا وكان يستخرج من ارض هذه الولاية الذهب والمسك والمرجان انتهى

عدة اقاليم مختلفة ذكرها مرق بول

وقد ذكر ايضا مرق بول أنه يوجد في غرب التبت اقليم كانكلو او غانكلو وهو اقليم فيه بحيرة كثيرة اللؤلؤ وكثير من حيوانات المسك المسماة عنزي ومعادن الفيروز والذهب والنباتات العطرية والظاهر أن هذا الاقليم يشبه أن يكون هو اقليم غندش المذكور في كتاب زندوستا وتكلم عليه ايضا فرشتا وهو قطر يجري فيه نهر الكنك من منبعه الى ثلاثه وهو محدود من جهة الشرق بنهر بريوس الذي هو بحسب الظاهر نهر براما بوتر او برهما بوتر وهو نهر تندحرج مع مياهه شذرات الذهب ويصب في البحر المحيط الاكبر ومتى اجتزت هذا النهر دخلت اقليم كاريام الذي قاعدته تسمى ياسي وهو اقليم كثير الخيل والذهب والارز غير أنه تخرب بما فيه من الثعابين الكبيرة وكان لاهله لغة مخصوصة بهم وكانوا يتعاطون الخمر المستخرج من الارز وكان هذا الاقليم سببا في الحرب التي وقعت بين الخان الاعظم وملك ميان (آوى) وبنجالا (بنجالة) فاستولى الاول عليه وعلى اقليم بوتيا الذي هو بجوار الاقليم المذكور والظاهر أن اقليم بوتيا هو عين اقليم بوتان الذي تكلم عليه المتأخرون فعلى ذلك يكون اقليم كاريام الذي نص المتصدون لشرح الجغرافية على انه الى وقتنا هذا من بخارى الصغرى هو عين اقليم اسام مع قاعدته القديمة المسماة آزو والظاهر أن اسم كاريام له نوع شبه باسم

عادة الحضانة

جارو لجبال هنالك وبالقرب من هذا الاقليم اقليم يسمى اردرندام او اركلادام او كاريدى كان من عادة اهله أن الرجال بعد وضع نسائهم يلازمون الفراش اربعين يوما لحضانة المولود ويلتزمون تعهده وخدمته وكان من عاداتهم ايضا أن كل عشيرة لا تعبد الا ارواح اسلافها وكان هذا الاقليم كثير الذهب جدا حتى كان الرجال من اهله يسترون اسنانهم بصفائح صغيرة من هذا المعدن وكانوا يستبدلونه بالفضة وزنا بوزن من غير مفاضلة وكان يأتي اليه

السحرة المسمون شامان

اهل اقليم ميان لعدم وجودها عندهم وكان فيهم سحرة يزعمون أنهم يشفون المرضى بتلاوة عزائم سحرية يرتلونها كالغناء وهم يرقصون حين تلاوتها مع اضطراب والتواء مهول ولا يزالون كذلك حتى يصرع الشيطان احدهم فيسقط على الارض ويتكلم في شأن نوع القربان الذي يلزم أن يتقرب به لهـ .... وح التي يتكلم عن لسانها ولا شك أن هذه الطائفة هم حزب الشامان الموجودون الآن وكانت قاعدة هذا الاقليم سابقا مدينة يقال لها نوكان ويطلق هذا الاسم ايضا على نهر عظيم يأتي من بلاد التبت الى آوى فعلى ذلك يكون اقليم كاريدى هو نهاية الجنوب الشرقي لبلاد التبت ولعل هذا الاقليم هو وطن ملة الكاريان المنتشرة في آوى شمال مرق بول يعرف في تلك الجهات ايضا مدينة يقال لها سينعلو والظاهر أنها مدينة ديسنكلو التي رسمها على الخرطة دعاة النصرانية لما جاؤا الى تلك الجهة

اشتباع دائرة المعارف من زمن مرق بول

فهذا هو ملخص ما نقله مرق بول في هذا المعنى من الاخبار المهمة النافعة وان كانت الى وقتنا هذا مما لا يعبأ به ولا يعتنى بشأنه فان عدم العناية بها في غير محله لانها اكثر فائدة مما حرره الاب اندرادا سنة ١٦٢٦ من الميلاد وليس في الاخبار ما هو اثبت منها الا ما جمعه دعاة يكين في اوائل نصف القرن الثامن عشر من الميلاد واما ما الاحظه في ذلك هوراتيو دلابنا احد الرهبان المسمين قبوجين الذي اقام ثماني عشرة سنة في تخت بلاد التبت فهو غير محرر وبالجملة فغاية ما وقفنا عليه من الاخبار في شأن تلك البلاد العجيبة المرغوبة من حيث ما اشتملت عليه من الآداب والامور العلمية والطبيعية رحلتان صغيرتان لاثنين من الانكليز كانا قد بعثنا الى بعض الامراء من اساقفة بلاد التبت الجنوبية (احدهما يقال له بوجل وكانت رحلته سنة ١٧٧٤ من الميلاد وثانيهما يسمى تورنير وكانت رحلته سنة ١٧٨٤) وكذلك بعض معارف ملخصة من نسخ بلسان التبت مكتوبة بالقلم وجدت عند القلوق وبعض اخبار اخرى حكاها مشافهة بعض الموسقو الذين على دين دلي لما

حدود التبت

ونعني باسم التبت هنا جميع الولايات الواقعة في شمال الهندستان وشرق بخارى الكبرى وجنوب بخارى الصغرى والجنوب الغربي من بلاد تنغوت (اذا ابقينا هذا الاسم على معناه الحقيقي) وغرب الصين والشمال الغربي من امبراطورية البرمان وفي هذه الدائرة المتسعة العظيمة يمكن أن بلاد التبت الصغرى ومملكة لاداق الواقعة في غربها وكذلك اقليم بوتان الواقع جهة الجنوب تعتبر كأنها بلاد مستقلة برأسها واما حدها من جهة الجنوب الشرقي فليس معلوما كما ينبغي و يظهر أن في جهة الشمال اقاليم كاملة لم نحط بها علما ولم نقف في شأنها على خبر

وقد جعل السياح دنويل بلاد التبت في الدرجة الخامسة والثلاثين ولكن حقق احد اليسوعية المسمى تيافنتالر أن التبت الكبرى واقعة في الشمال الشرقي من بلاد كشمير وأن التبت الصغرى في الشمال الغربي منها واقصر الطرق الموصلة الى بلاد قشغر هي التبت الكبرى ولكن لما كان سلوك هذه الطريق غير مأذون كان من قصد تلك البلاد يسير اليها من طريق التبت الصغرى التي قاعدتها يقال لها اسكردون (بكسر الهمزة والكاف ويقال اسكردرن بفتحهما) وهي واقعة على البعد من الحدود الشمالية من كشمير بثماني مراحل وفيما وراءها تجد بلاد الشتار واذا ارتحلت من هذه البلاد في خلال الغابات الكثيفة وصلت بعد خمس عشرة مرحلة الى ثغر التبت الصغرى ومن هنا تسير القوافل خمسة عشر يوما حتى تصل الى قشغر فيظهر من ذلك عند التحقيق انه لا اقل من أن نجعل لبلاد التبت درجتين من جهة الشمال زيادة على ما هي عليه في خرطات دنويل فان موزطاغ (يعني جبال الثلج) على ما حكاه بعض الموسقو هي الثغر الشمالي لبلاد التبت وهي في الدرجة الثامنة والثلاثين ولا مانع أن تلك الاراضي يسكنها اقوام قليلون رحالة تحت تبعية ملوك التبت وليست في الواقع من بلاد التبت حسبما ظهر لدعاة النصرانية المبعوثين الى تلك الجهات ولعل هذه البلاد هي بلاد ترك السند المرسومة على خرطات دنويل بل لا مانع أن ترك السند والتبت الصغرى شيء واحد لان الظاهر أن ترك السند هي التركستان الواقعة على نهر السند

اسماء متنوعة لبلاد التبت

وليس لهذه الولايات اسم محقق شامل لجميعها بل اسمها كحدودها في الاضطراب وعدم التعين فان اهلها يسمونها بونت أو بهوت وقد يزيدون عليها كلمة يد التي معناها بلدة فيقولون بهوت يد والظاهر أن معنى هذا الاسم بلد معبودهم المسمى بودها واما اسم التبت او التيبت او التوبات فهو وان كان معروفا عند الفرس والعرب الا انه على ما يظهر غير مستعمل عند اهل تلك البلاد ولعله محرف عن كلمتين من اللغة التبتية تركب منهما وهما تن وبوت ومعناهما بعد التركيب مملكة بوت والصينيون يسمون تلك الولايات ديشان ويسميها المغول بران تلا يعني بلاد الين وقد يطلقون عليها اسم تنغوت

الجبال

وقد اطنب الجغرافيون في الكلام على سلاسل الجبال المتسعة في بلاد التبت ومع ذلك فلم يمكنهم اصلا أن يخططوها تخطيطا جغرافيا يبينون به اتجاهها او اتساعها غير أنا نقول ان الجبال التي في جهتي الغرب والجنوب يترا آى للناظر من اول وهلة انها سلسلة شامخة عظيمة الارتفاع يخترقها نهر الكنك ونهر جغرا وهي في الحقيقة عين جبال سواليق وجبال جورك وخلف هذه الجبال اودية واسعة وبطائح عديدة بعضها في ارض الهندستان وبعدها جبال هماله او همة او هما كوت التي كان يسميها القدماء ايموس او هيمودوس والظاهر أنها من منابع نهر الكنك الى ثغور أسام منحنية على شكل نصف دائرة من جهة الشمال الغربي والجنوب الشرقي *وعلى شمال نهر سمبو سلسلة موازية للسلسلة المتقدمة الا انها اعظم منها ارتفاعا جهة الشمال حتى ان من صعد عليها يرى كثيرا من البحيرات الكبيرة والظاهر أن اعلى اجزاء هذه السلسلة هو الجزء الاوسط الواقع في جنوب بحيرة

تركيرى

تركيري وهذا الجزء يقال له كواران ولا مانع أن هذا الاسم كان يطلق على تلك السلسلة بتمامها وان كان اسم كنتيل لا يطلق الا على الجزء الغربي منها وهذا غاية ما يعرف الى الآن من تلك الجبال وما عدا ذلك مجهول فلا يدري هل في شمال التبت سلسلة اخرى شامخة او سلسلتان كما لا يعرف هل هاتان السلسلتان هما اللتان يقال لاحداهما بلسان الهند كنتيس وللاخرى بلسان الصين كنسكان او هما اللتان يقال لهما بلغة التتار بوزطاغ وبالجملة فلا مانع أن تلك الجبال كانت منعزلة عن بلاد التبت لا تعلق لها بها وأن التبت تسلطهم على الدوام للتتارق و المغول اتصلوا على التدريج بربوة آسيا الوسطى من جهة الشمال

وأعظم اودية هذه الجبال يتجه من الغرب الى الشرق ولا مسلك لاغلبها الا من جهة الجنوب الشرقي ومثل هذه الكائنات الطبيعية هي من اعظم الاشياء الجديرة بالتنبيه عليها ومزيد الالتفات اليها بل هي الاليق بالعلم النظري فيما يخص الارض

وجبل شمولاري الواقع على ثغر بوتان قريبا من حصن فاري هو من أعظم الجبال ارتفاعا وفي الجهة الغربية ترى قلة جبل لمبور التي يظهر انها كانت بركانا ثم طفئت ناره

وأعظم انهار التبت هو نهر سمبو ويقال له ايضا برهميوتر وبروماپوتر وبرهماپوتر وهو نهر برهما ومنبعه جهة الاراضي الغربية من الجبال التي يخرج منها نهر الكنك الا انه يجري اولا جهة الشرق وجهة الجنوب الشرقي ويقطع مسافة ثلثمائة وستين فرسخا الى حدود التبت وآسام ومن هنا ينعطف الى الجنوب الغربي ثم يندفع كأنه مجبور على ذلك فيجتمع مصبه بمصب نهر الكنك بعد أن يقطع مسافة مائة وأربعين فرسخا

الانهار
نهر برهماپوتر

ونهراهونهو وكيانكو يخرجان من الحدود الشرقية لبلاد التبت واما نهر كبوج الاكبر ونهر ميكون دولاوس ونهر نوتيان الذي يعتقد بعضهم انه يصب في جون پيغو بقرب ولاية مرتبان ونهر ايراوادي الواقع في تلك الولاية فالظاهر انها تخرج من جبال ألبه التي في التبت الشرقية بخلاف نهر سرجو المسمى ايضا ديغرا فانه يخرج من الجانب الجنوبي من جبل امالة وبعد أن يقطع مسافة ماثنين وخمسين فرسخا يتلاقى بنهر رابادي المتقدم

وهذه الاقطار الجبلية تشتمل على عدد عظيم من البحيرات وأعظمها بحيرة تركيري فان طولها نحو سبعة وعشرين فرسخا وعرضها سبعة فراسخ وقد رسم امناء الدين من الصينيين الذين لهم المنة دون غيرهم في عمل خرطات بلاد التبت عدة بحيرات في تلك الخرطات وجعلوها في الجهات الشمالية وقد ثبت أن من هذه البحيرات بحيرة غريبة جدا يخرج منها ملح الصاغة الخام وكذلك البحيرة الواقعة في جنوب مدينة لسا المعروفة في الخرطات الافرنجية ببحيرة يمرو او يلته تام اليست دون المتقدمة في الغرابة حيث قالوا في وصفها انها اشبه بخندق متسع عرضه نحو فرسخين محيط بجزيرة يبلغ قطرها نحو اثنى عشر فرسخا واما البحيرات الصغيرة الواقعة في جنوب التبت الحقيقية فانها في مدة الشتاء تصير جليدا جامدا عظيم العمق جدا

البحيرات

ومزاج هواء بلاد التبت متقارب بعضه من بعضه في الشبه اتم المقاربة وكذلك هواء كل فصل يشبه بعضه بعضا في مدة ذلك الفصل وفي زمن رجوعه الدوري والظاهر أن الفصول في تلك البلاد تنقسم كانقسامها في بلاد بنجالة ففصل الربيع فيها من شهر مارث الى شهر مايه يظهر به في الجو تغيرات عظيمة وحرارات شديدة ولا ينقطع فيه صوت الرعد اصلا وفصل الرطوبة من شهر يونيه الى شهر سبطمبر تنزل فيه امطار غزيرة مستمرة تستمد منها الانهر حتى تفيض مياهها على الشواطئ ويشتد جريانها حتى تصب في خليج بنجالة فتفيض مياهه ايضا * ومن شهر اوقطوبر الى شهر مارث تجد السماء صحوا على الدوام وقل أن ترى بها ضبابا او غيما يحجب لونها اللازوردي ويحصل في هذا الفصل برد شديد يمكث منه ثلاثة أشهر والظاهر أن برد تلك الجهة اشد من البرد في جميع اقسام اوروبا فان هذا البرد الشديد المؤلم اذا وصل في حدود تلك المنطقة التي سموها بالمنطقة الحارة الى الدرجة السادسة والعشرين من العرض يساوي برد جبال أليه اذا وصل الى الدرجة السادسة والاربعين من العرض ايضا

القطر
مزاج الهواء

وقطر بوتان البارد الكثير الجليد يلطف وتخف شدته في جنوب جبال همالة وقد ذكر تورنير ان هذا الاقليم مع ما فيه من الجبال المشوهة القبيحة المنظر تكتنفه الخضرة دائما وتزينه غابات كثيرة الاشجار الغليظة العجيبة الارتفاع فان مهرة ارباب الزراعة مهدوا انحدارات تلك الجبال وحرثوها وزرعوها حتى صارت جوانبها مشحونة بالبساتين والمزارع والقرى واما التبت الحقيقية فلم يرفيها تورنير المذكور الا تلالا منخفضة كثيرة الصخور لا يرى فيها شيء من اثر النباتات وسهولا خالية ذات منظر بشع ومرأى محزن يشبه بعضه بعضا وشدة بردها تجبر اهلها على الالتجاء

قطر بوتان

الى حفائر الاودية او الكهوف والمغارات

النباتات الزراعة

ونباتات التبت لا تعرف الا قليلا لان الاخبار العلمية فى هذا الشأن لم تتكلم الا على الجزء الجنوبى الواقع بين الدرجة السابعة والعشرين والتاسعة والعشرين من العرض * والزراعة هنالك تصادم عدة موانع طبيعية تعوقها فانه اذا ما ان دخول فصل الشتاء عمت المياه الاودية ولكن لحرارة الشمس ينضج الزرع فى اقرب وقت فاذا جاء فصل الخريف وصار الوقت صحوا وابلغ راتقا حصد الزراعون مزارعهم ونشروها على الارض لتجف وتيبس ثم يدرسونها بالبقر * والحبوب المعتادة فى تلك البلاد هى القمح والشعير والجلبان واما الارز فلا يصح الا فى الاقطار المتوغلة فى الجنوب ويكثر هنالك اللفت والقرع والخيار * وأغلب النباتات التى اعتنى بذكرها السياحون توجد فى اوروبا و بنجالة على حد سوآء ويكتنف سفوح الجبال اجمات من الخيزران وشجر الموز وشجر الجوز وشجر البتولا وشجر السرو ونوع آخر يشبهه وهنالك ايضا شجر الديش بوداق المسمى ايضا لسان العصافير وهو على غاية من الكبر والطرافة بخلاف اشجار الصنوبر والراتينج المسمى ايضا شجر التنوب فانها صغيرة عاجزة لا تنمو ويكثر على رؤس الجبال الكثيرة الثلج نبات يقال له روم اوند ولا توم وهو نوع من الراوند يستعمله أهل تلك البلاد وثم ايضا اشجار الخوخ والمشمش والتفاح والكمثرى والبرتقان والرمان مغروسة وغير مغروسة تخرج فى البرية وحدها بدون فعل فاعل وقد زاد على ذلك سوندرس من صنف الاشجار الصغيرة والنباتات عنب الذئب وشجرا صغيرا يقال له ابريل ثمره اسود وآخر يسمى ابريل كانيبرج وشجر التفاح ذا الشوك ويوجد ايضا فى الصين كما يوجد فى التبت وهو معدود فى الولايتين من أعظم المخدرات واقواها وهنالك نوع من شجر الغار له جذور اهاطعم القرفة ورآئحتها وسماها مرق پول زنجبيلا وهى كثيرة فى بلاد التبت و بتلك البلاد ايضا نبات القاقلى سرسنيقة ويستعملونه فى عمل الفقاع المسمى بلغتهم شونغ

الحيوانات

ويقل فى بوتان الحيوانات الوحشية ما عدا القردة فانها كثيرة ببلاد التبت ويوجد فيها ايضا حيوان المسك الذى يجب بنفسه فى جبال الية الكثيرة الجليد ولكن يتبعه نوع صغير من النمور وانواع اخرى تقاربه والظاهر أن لنمر الحقيقى لا يهوى القرار بهذه الاقطار الا نادر الشدة بردها ومن حيوانات تلك البلاد الدب والفرس الوحشى والسبع وفيها ايضا كما قال مرق پول كلاب كبيرة كالحمر * والخيول المتأنسة بها صغيرة الجسم الا انها على غاية من الشدة والجوح والمواشى فيها متوسطة القامة وبها كثير من الغنم وأغلبها صغير رؤسها وسيقانها سودآء وصوفها ناعم لطيف ولحمها لذيذ جدا حتى انهم يا كلونها نيئة بعد تجفيفها فى الهوآء البارد وتتبيلها بالثوم والتوابل ويكثر بها ايضا المعز وهى شهيرة بلطافة الشعر الذى يصنع منه الشيلان وهذا الشعر يوجد تحت طبقة اخرى من الشعر اخشن من السفلى وثم ايضا بقر خواره كخوار الخنزير وشعره طويل كثيف واذنابه ظريفة المنظر لطيفة الحركة والتموج وهو فى بلاد المشرق معدود من امور الزينة والرفاهية

السمك وغيره

وقد ذكر مرق پول ان السمك يوجد بكثرة فى بحيرات التبت واقره على ذلك من بعده من السياحين بل كلامهم يدل على أن فيها أنواعا من السمك لا تعرف فى التاريخ الطبيعى المؤلف فى خصوص الاسماك وذكر ايضا مرق پول انه يخرج من تلك البحيرات المرجان

المعادن

ثم ان المعارف المتعلقة بمعادن تلك البلاد قد ازدادت واتسعت دآئرتها منذ سياحة تورنير فان هذا السياح لم يجد فى بوتان الا الحديد وشيأ يسيرا من النحاس ولكنه وجد فى التبت الحقيقية معادن كبيرة كثيرة المحصول فرأى فيها الذهب بكثرة كما نبه عليه ايضا مرق پول وذلك انه يوجد بعض الاحيان فى مجارى الانهر دقيقا كالبارود وتارة يوجد شذرات اوعروقا متفرقة غير منتظمة والمادة التى يتكون فيها هذا المعدن هى حجر الصوان وعلى البعد من مدينة تسشولمبو بمرحلتين معدن رصاص مادته كبريتية مخلوطة برصاص يتراءى منها انها محتوية على فضة ويستخرج أهل التبت ايضا معادن الزنجفر وهى كثيرة الزيبق ويستعمل هذا المعدن لمداواة الدآء الافرنجى اوداء الصفراء وهنالك علامات واضحة تدل على أن [illegible] الاراضى معادن النحاس ويكثر فيها الملح المعدنى [illegible] استخراج هذه المعادن فى الغالب قليل لقلة الوقود بهذه البلاد [illegible] اما المياه المعدنية فهى فيها كثيرة ومن محصولات التبت الخاصة بها

ملح البوارق

ملح البوراق الخام المسمى ايضا ملح الصاغة والبحيرة التى يخرج منها هذا الملح وكذلك الملح المعدنى هى على ما قاله سوندرس الذى كان فى رحلته صاحبا لتورنير واقعة على البعد من شمال تسشولمبو بخمس عشرة مرحلة ولا يصب فى هذه البحيرة شئ من الخلجان ولا من العيون لانه يحيط بها من سائر جهاتها جبال كثيرة الصخور وانما تمدها عيون مياهها تميل الى طعم الماء المالح والظاهر أن هذه العيون تخرج من نفس هذه البحيرة الراسب فيها ملح البوارق

فمن اراد استخراجه اخرجه منها قطعا كبيرة ثم يكسر تلك القطع حتى تصير صغيرة ليسهل عليه نقلها ويعرضها للهواء اليابس ويظهر أن هذه المادة مع كونها تستخرج منذ مدة مديدة لم تنقص نقصا بينا فكأنها تتجدد على الدوام وذكر بعضهم أن محيط هذه البحيرة لا ينقص عن سبعة فراسخ ويمكث عليها الجليد مدة كبيرة من السنة * وملح البوراق يستعمل في التبت للحم الاشياء والصاقها ببعضها ويستعان به على سبك الذهب والفضة ولا ريب أنه سيكشف في هذه الاقطار الجبلية عن كثير من الامور الطبيعية الغريبة فهي حرية بأن ينتظرها علماء الطبيعة والمتولعون بوصف الاشياء الطبيعية ونهاية ما نعرفه الآن في شأن تلك البلاد انها شبيهة ببلاد السويسة فهي عبارة عن مينا عظيمة بالمشرق وقد عاين سوندرس في شمال مدينة تسيزودون صخرة غريبة يتراءى لناظرها من اول وهلة انها ستة اعمدة او سبعة ذات محيط عظيم ويجدها في الارتفاع تبلغ نحو مائة قدم وهذه الهضبة العظيمة التي انفصل منها جزء عن الجبل واقعة موقعا حسنا على مسقط مياه عظيم

اقسام جغرافيه

ثم ان اقسام التبت الجغرافية فيها لبس وابهام كبير لان لفظ هوت تبت (اى التبت العليا) ولفظ تبت دوملبو (اى التبت الوسطى) ولفظ باس تبت (اى التبت السفلى) مبهمة غير واضحة المدلول وقد سمى الاب جيور جيوس بعض الاقاليم بالاسماء الآتية فسمى المملكة الواقعة في جهة الغرب المشتملة على التبت الصغرى باسم لاطاق واطلق اسم ناغارى على مملكة اخرى تشتمل على هور مع بحيرة تركيرى وعلى كينغ ودوم وامارة كهنغ وهذه الاربعة واقعة في جهة الشمال واطلق اسم امدوا على المملكة الواقعة في جهة الشرق (وهى التى سماها مرق بول باسم ارندام) وسمى المملكة الواقعة في جهة الجنوب باسم بريدبونغ اوبرامازبونغ وهو الذى وضع ايضا اسم تكبو التى سماها بعض سياحي الانكليز باسم بوتان واسم كمبو او كنكوبو ووضع اسم أو على الاقليم الواقع في الوسط المسمى في جغرافية الصينيين باسم وى وكذلك اسم اقليم زنغ او شنغ ومثل ذلك ربما اوجب التشكيك والابهام واحوج الى كثرة الاسئلة في هذا المقام

ما وقع من الشك والتردد في شأن هذه الاقسام

فيقال مثلا هل لادالث مملكة مستقلة بنفسها كما زعمه بعضهم وهل اقليما هور وكينغ ليسا من اقسام مملكة ناغارى * واما اقليم دوم فالظاهر أنه داخل تحت اقليم كاهان * وهل اقليم كمبو غير داخل في تكبو * ولا يخفى انه بواسطة هذا التقليل الحاصل بادخال بعض الاقسام تحت بعضها يمكن رد هذه الاقسام كلها الى ثماني ممالك وهو الموافق لما ذكره مرق بول ولكن البحث في هذا المعنى مما لا طائل تحته لوقوع الاشتباه بين الاسماء الصينية والتبتية والمغولية وعدم صحة الخرطات التى رسمها امناء دين الصين

مدن ومبان

ثم انا لا نعرف في شأن مدن التبت الا القليل والظاهر أن اغلب المحال المرسومة على الخرطات ليست الا مجرد قرى اعنى اخصاصا مجتمعة حول الهياكل * ومجموع مدن التبت ست عشرة مدينة حسبما دلت على ذلك الجغرافية الصينية الصحيحة وتخت الحكومة يسمى لسا او دساسا وهو في اقليم أو على سهل متسع وهذه المدينة وان كانت صغيرة الآن بيوتها مبنية بالحجارة مع الاتساع وجودة التشييد وزيادة عن كونها مقر الحكومة التبتية هى ايضا وطن مندرانية الصين المحافظين عليها وهى ايضا عامرة بالتجار وارباب الحرف والصنايع وعلى البعد عنها من جهة الشرق بسبعة اميال انكليزية جبل شهير يسمى بوتالا ومعناه الجبل المقدس وعليه قصر اللما الاكبر * وكلام الصينيين يقتضى أن هذا

قصر اللما الاكبر اى كبير امناء الدين

الاسم اى بوتالا انما وضع للقصر المذكور واما الجبل فاسمه مربولى ولهذا القصر او الهيكل قبة مذهبة وارتفاعه اثنان وستون باعا صينيا وفى خارجه اهرام عديدة وهى على ما يقال من الذهب والفضة وفى داخله عشرة آلاف اودة تشتمل على عدد كبير من الاصنام المتخذة من الذهب والفضة * وعلى القرب من مدينة لسا محل يقال له سرا وهو عبارة عن دير مع مدينة فيها كنيسة تسمى ايضا سرا كانت سابقا دار اقامة امناء الدين * وهناك دير يقال له تسهولمبو وهو دار اقامة اللما الثانى وفيه ثلثمائة او اربعمائة محل يسكنها الرهبان زيادة على ما فيه من الهياكل والقبور وقصر اللما * وهذه المساكن كلها مبنية بالاحجار وسقوفها مسطحة متساوية ومحاطة بشجر الخلنج او بفروع منه رفيعة وقد ذكر تورنير قصورا وحصونا غير ذلك * ثم ان القناطر هنالك على اشكال غريبة وانواع بديعة فتارة تجدها على شكل سلاسل

قناطر

جبال ممتدة من مهواة الى اخرى وتارة تراها مركبة من خشب احد اطرافها قار على الشاطئ والآخر عليه سقف صغير وهذا الشكل اشبه بالجزء الاعلى من الشكل المثمن

مدن مختلفة

وفى الجنوب مدينة يقال لها تاسيزودون وهى دار اقامة امير بوتان تابع اللما الذى في دير تسهولمبو وعلى غربيها مدينة عظيمة جدا تسمى لاطاق وهى تخت المملكة وقد تكلمنا فيما سبق على مدينة سينغلو او ديسنكلو بمقتضى ما ذكره مرق بول وتكلم هو على مدينة سوق او سوقور التى ينمو بقربها نبات الراوند الحقيقى

وهذه المدينة على ماذكره فورستير تاسب لبلاد التبت وقد ذكرناها فى تنغوت هى ومدينة سليم او سرين وهى محل عظيم للتجارة يتردد اليه الصينيون

التبت الصغرى

والظاهر أن التبت الصغرى ولاية اخرى غير التبت الكبرى سواء بالنظر الى طبيعة الارض او بالنظر الى السياسة وهى واقعة فى الشمال الغربى وفى شمال كشمير وقاعدتها مدينة يقال لها اسكردو او اسكردون وهى التى يظن أن فيها اعظم منابع نهر السند ومن ارباب التجارة من يخرج من كشمير على طريق مستقيمة الى يرقند فيمرون فى طريقهم بالتبت الصغرى وبعد أن يتقابلوا مع بعضهم فى مدينة لادالث يسافرون منها و يكون معظم سيرهم على شاطئ نهر الهند الذى ينبع من الجبال الواقعة فى الشمال الغربى من مدينة يرقند فى خلال غابات عظيمة ثم يتجه جهة الجنوب ولا يزال جاريا حتى يقطع مسافة مرحلتين من تلك المدينة ثم ينقطع جريانه على حين غفلة من هذه الجهة و ينعطف جهة الشرق فيجرى مسافة عظيمة جهة سيغور التى يظهر انها مدينة سيكير المرسومة على خرطات دنويل وفى هذه المدينة يتحول عن اتجاهه الى جهة حدود الهند

تنبيهات فى شأن بلاد بلور

والظاهر أن التبت الصغرى مشتملة على عدة اقاليم مشهورة فى الحكايات والتواريخ القديمة فمنها اقليم بلور الواقع فى شرقى اقليم بذخشان او بلاسيا وكان هذا الاقليم مشتملا على بعض جبال باردة دآئما فى جميع فصول السنة حتى كأن الشتاء قد تحكم بها لا يفارقها اصلا وفيها اناس متوحشون يتنقلون بين غاباتها الكثيفة ولكن كان بين سلاسل هذه الجبال سهل متسع فيه نهيرات كثيرة يتكون منها نهر عظيم على شواطئه رياض مخضرة انيقة تتلاعب فيها اقاطيع الظباء حتى لو جاء الهافر هزيل ضعيف لعادت اليه قوته وتراجعت اليه صحته فى اقرب وقت وكان هذا السهل يسمى

سهل پامير

پامير والاولى أن يقال پانير ومعناه ارض المنابع ولا يناسب أن نهمل من تخطيط مرق پول هذا الاقليم الذى يخرج منه نهر السند وهو فى الحقيقة عبارة عن طرف الشمال الغربى من التبت الصغرى بل نقول ايضا ان فيه من

پارستان وغيره

الجهة المقابلة اعنى جهة الجنوب الشرقى جبل پارستان مع مدينة پادير التى يسكنها كما سبق امة البادوى التى ذكرها هردوط واسة البارانى التى ذكرها ميلا ثم ان اسم بلطستان المعبر عنه فى اللسان السانسكرتى باسم بلدشان الذى يظهر أنه يدل على جميع التبت الصغرى يذكرنا اسمه بلطة التى ذكرها بطليوس وبالجملة فهذا الاقليم ينسب الى الهند الذى تكلم عليه الفرس وهردوط وكتيرياس وصار فيما بعد من ملحقات بلاد سريق ولا مانع انه سيكون طريقا مستقيمة لمن اراد من الفرق العسكرية الدخول فى كشمير من طريق الهندستان

طباع اهل التبت

و يظهر أن العوايد التى ذكرها مرق پول باق بعضها الى الآن فى اقاليم التبت الواسعة * والاخبار التى تجددت لا تشتمل فى هذا المعنى الا على بعض تنبيهات غير كافية بل هى عن هذا المقام بمعزل وقد وصف تورنير اهل التبت بالحلم ولين العريكة وذكر أن رجالهم شداد البأس ومحننهم قريبة من المغول ولون نسائهم السمرة المتحلية بالحمرة الناصعة الشديدة فهن كالاثمار التى تؤثر فيها الشمس تأثيرا شديدا وبالجملة فهؤلاء الناس على غاية من الصحة وسلامة البنية لاعتدال هوآء بلادهم الجبلية وطيب نسماتها

الزواج

والزواج عندهم لا يستدعى مقدمات كبيرة ولا تمهيدات عظيمة بل متى رضى اهل البنت بالخاطب واقترن بخطيبته ذهبوا بها الى داره فتجتمع حينئذ اصحاب كل من الجانبين ومن له معرفة بهما ويحتفلون احتفال الزواج ويمكثون ثلاثة ايام وهم فى حظوظ وافراح ورقص وموسيقى و بمجرد انقضاء هذه المدة ينعقد النكاح ولا مدخل فى ذلك لاسناء دينهم اصلا لانهم محرومون من جميع ما فيه شائبة مخالطة للنساء ومع ذلك فعقدة النكاح عند هؤلاء الناس لا تحل ولا تنفسخ ابدا فلا يجوز للزوج أن يطلق زوجته اذا لم تعجبه كما لا يجوز لها أن تفارقه ما لم يشترط ذلك فى صلب العقد واذا حصلت المبارزة

تعدد الازواج

امتنع على كل منهما التزوج ثانيا * وهذا الامر مختص ببلاد التبت وهو تعدد الازواج على العكس من باقى بلاد المشرق فان النساء فى التبت يجوز لهن أن يجمعن بين عدة ازواج * ولا كبر الاخوة مزية انتخاب الزوجة ولكنها تصير بعد انتخابه اياها مشتركة بينه وبين اخوته ولو بلغ عددهم ما بلغ ومثل هذا الامر المضر بالاهالى لم يوجد الا عند العرب [illegible] او النبطية على ان پلاس تردد فى ذلك

الجنائز

وذكر السياح روبروقيس أن التبت كا[illegible] عادة شنيعة وهى اكلهم اجسام من يموت من اقاربهم [illegible] من [illegible] والهرم ثم تركوا هذه العادة وعوضوها بعادة اخرى وهى شربهم فى جماجم اسلافهم واما المتأخرون من السياحين فلم يتكلموا على هذه العوايد اصلا وانما ذكروا أن بقايا جسم اللاما الاكبر محفوظة فى تابوت كبير واجسام [illegible] امناء دينهم تحرق و يحفظ رمادها فى صور صغيرة مجوفة واما اجسام العامة المدنسة بالخطايا فانها ترمى [illegible] كبير مضروب عليه سور

اللغة

واللغة العامة المتداولة ببلاد التبت تشبه اللغة الصينية الضيقة لتأثرها في كثرة المقاطع وعدم حروف المعاني وعدم تغيرا واخر الكلم فالتبت كالصينيين لا يمكنهم التكلم من غير ان يستعينوا في الافادة باشكال يرسمونها في الهواء بأيديهم او في الرمل فلذا كانت تآليفهم التي عثر عليها عند القلموق على غاية من الغموض وعدم المفهومية ولهم لغة اخرى مقدسة كاللغة السانسكريتية (عند الهنود) لا يستعملونها الا في تأليف كتبهم الدينية وقد نص روبروقيس قبل تورنير

الحروف الهجائية

على أن التبت يكتبون مثل الافرنج من الشمال الى اليمين ويسمون الحروف التي يستعملونها في نسخ الكتب التي تطبع اوشن واما الحروف التي يستعملونها في المكاتبات والمراسلات ونحو ذلك من الامور المعتادة الجارية بينهم فانهم يسمونها مين وكلا النوعين حروف هجائية غير أن كثرة اقتصارهم على بعض الحروف في الالفاظ والاسماء تجعل كتابتهم شبيهة بكتابة المقاطع واجزاء الكلمات (عند الفرنج) والسنة عندهم قمرية والشهر تسعة وعشرون يوما

الحرف والصنائع

وصناعة هذه الامة عبارة عن فبريقات تصنع فيها الشيلان او الاقمشة من الصوف * وشعر المعز العظيم الذي تتخذ منه هذه الشيلان ينقل وهو خام الى كشمير كثيرا ويحمل الصينيون من التبت التبر الاصفر والمرجان وجلود صغار الضأن والمسك والاقمشة الصوف ويسمون اليها الشائي والفرقوري ويحمل ايضا من التبت الى مملكة نيبال الملح الاندراني وملح الصاغة والتبر وتأخذ في مقابلة ذلك نقود الفضة والنحاس والارز واقمشة غليظة من القطن وكان التبت سابقا بواسطة طريق نيبال يتجرون مع بنجالة تجارة هينة في التبر وملح الصاغة والمسك ويرجعون منها باصناف الجوخ والتوابل والابزار واقمشة القلوع والزمرد والياقوت الازرق وحجر اللازورد ونوع آخر من الحجارة السوداء البراقة فلحق الصينيين من ذلك غيرة وبخل فسدوا مسالك التبت على التجار الاجانب واستبدوا بها

ولما كانت اصول ديانة التبت لا تسوغ ضرب النقود كانت معاملتهم من نقود الفضة الرديئة التي تأتي اليهم من بلاد نيبال

الدين

ولبلاد التبت مزية على غيرها من البلاد وهي انها كرسي سلطنة الدين المتحكم على جميع بلاد اسيا الوسطى ورئيس هذا الدين او مشرعه يقال له دلى لما او دلى لاما وهو امير هذه البلاد وقاضيها وهو الذي يقبض ايراداتها ومحصولاتها مع ما كان السلاطين الصين عليها من نفوذ الكلمة واطلاق التصرف بحمايتها نه الحامي لدين هذه البلاد والقائم بالرباط في ثغورها الاصلية * ثم ان اوهام آسيا الوسطى تنقسم الى ثلاثة مذاهب اصلية وهي الشامانسم و البرامينسم

الفرق بين الشامانسم والبرامينسم واللامسم

واللامسم فاما الاول فلا يمكن للاهالي أن تقصر في تعظيمه واحترامه الاماندر لانه اقدم تلك المذاهب وقد تكلم على ذلك استرابون او اسطرابونيس وكليمان او كليمانت الاسكندراني وپورفيره وسموا اصحاب كل مذهب من الثلاثة باسم يخصهم فسموا المذهب الاول حرمان والثاني سرمان والثالث سمانيان وكان رؤساء الاول اي الشامانسم يهتمون بممارسة الفلسفة ورؤساء الثاني اي البرامينسم يعترفون بأن عليهم الفضل والمنة لرؤساء الاول في جميع ما لديهم من العلوم والمعارف حتى انهم الى الآن يقرؤن ما عندهم من الكتب القليلة التي اخذوها من رؤساء الشامانسم مع رعاية الادب والاحترام كما يفعله الافرنج في الكتب اليونانية واللاطينية ومع ذلك فقدماء اصحاب البرامينسم اتهموا رؤساء الشامانسم بعبادة الاصنام فآذوهم واجحفوا بهم وطردوهم من بلاد الهندستان بالكلية ولكن لم يتوصلوا الى ذلك الا بالتدريج فلما اغتنموا الفرصة ونالوا مرامهم لم يبق جهة نهر الكنك منذ ستمائة سنة احد من رؤساء مذهب الشامانسم ولا من اتباعهم المتمسكين بمذهبهم وكان قدماء الشامانسم لا يقولون بتعاقب الزمان والمكان والترتيب في حق تداول آلهتهم التي لا تحصى بخلاف اصحاب مذهب اللامسم اي الذين على مذهب اللما فانهم على خلاف ذلك حيث يقولون ان اللما الاكبر لا يتغير فيه وصف الالوهية وانما بواسطه امر خفي يتشكل باشكال مختلفة ويظهر للناس بما يشاء من الصور البشرية مع بقائه على الالوهية التي لا تنفك عنه اصلا ولا تتعدد بتعدد تلك الصور

اتساع دائرة دين الشامانسم

وقد تفرع عن مذهب الشامانسم اوهام باطلة وعقائد عاطلة تدين بها قدماء المغول وحافظوا عليها وتوارثوها خلفا عن سلف بطريق الرواية لا بالتدوين في الكتب لانهم اميون لا يعرفون فن الكتابة * وينسب الى هذا المذهب ايضا جميع عقائد الامم الوثنية ببلاد سيبر كالبورياتية والياقوتية وبعض التتار الذين ليسوا على دين الاسلام ولا دين النصرانية ويسمى هذا الدين ايضا باسم سوموناخودوم وهوونش شهير يعبده اهل سيام واهل بغو ويعبده ايضا امم آخرون يسمونه باسماء مختلفة فيها رائحة هذا الاسم فيسميه المغول شيشموني والقلموق شاحامونا والتبت ماحاموني وهذا الاسم الاخير باللسان السانسكريتي ومعناه القديس الاكبر ويسمى عند الصينيين شاخا

وهو وثنهم الشهير الذى سمى منذ تأليهه باسم فو او بودا

مابين الشامانسم وفو وبودا من المشابهة

قال العالم فيشير مانصه الظاهر أن فو هو عين بودا الذى تكلم عليه سابقا سنت جيروم فان كلمة بود على ما يظهر تدل من حيث هى على الالوهية ويدلك على ذلك أن بوديتو او بودستان الذى هو اسم لمملكة التبت معناه اقطار الالوهية وهو اسم مركب من بود و ايتو وانما غير الصينيون كما هو رأى الفرنج الباء بالفاء لان حرف الفاء لا يوجد له عند التبت ولا المغول فى الحروف الهجائية ويظهر أن كلمة بود ينطق بها ايضا على وجوه مختلفة عند الهنود و المغول ومن اسماء سوموناخودوم ايضا بوتزيات (ومعناه السيد بوتى) والبورياتية يسمون آلهتهم او كهنتهم باسم بو وكلمة بودا تطلق فى سواحل نهر الكنك على يوم الثلاثاء وكذلك بوداقاران فى اللغة السانسكريتية كما ان بودا يدينا و فانيوت و بودا كيروهى تطلق على اليوم المذكور عند اهل ممالك سيلان و سيام و ملبار ويظهر مما ذكرناه أن سوموناخودوم وشيشيموفى او شبيموفى و شاشاموبا و شاكا و فو و بودا كلها اسماء لمعبود واحد

اصل كلمة شامان

ثم ان لوبير وهو مؤلف محقق وعالم مدقق حقق أن كلمة شامان منقولة من لغة بالى وهو لسان ألفت منه كتب اهل سيام الدينية ومعناها المتفرد المتوحد وهذا المعنى مطابق بالكلية لما ذكره كليمان الاسكندرانى فى شأن طائفة السرمان حيث قال انهم طائفة تميل الى الوحدة والانفراد لا يستوطنون مدنا ولا يسكنون بيوتا باسهم قشور الاشجار وغذاؤهم المحصولات الطبيعية الخارجة من الارض بدون فعل فاعل ولا يشربون الا الماء فى حفناتهم وقريب من ذلك ما ذهب اليه كثير من أن كلمة شامان معناها الانسان المجرد عن الشهوات النفسانية وزيادة على ذلك فلفظ شامان ولفظ تالبوان مترادفان على معنى واحد الا أن الاول اصله من لسان بالى والثانى من اللغة المتعارفة المتداولة فى دول سيام

اصل دلى لما

ثم ان فيشير جعل دين التبت اى دين دلى لما اصلا جديدا وذلك لانه وجد فيه اصولا وقواعد من دين البوديسم ممزوجة باصول اخرى من دين النصرانية من جهاتها النسطورية حتى ان التبت انفسهم يقولون ان تاريخهم الصحيح لا يزيد على سبعمائة وتسعين سنة قبل الميلاد وسياحو القرن الثالث عشر لا يعرفون دين دلى لما والظاهر أن روبروقيس كان له به المام غير أنه لم يتكلم الا على غيرة بعض نصارى النسطورية وحميتهم الدينية وذكر أن رئيس دينهم اسقف مقيم بمدينة من مدن الصين تسمى سجين وتكلم ايضا على عبادة اخرى مستعملة عند عبدة اوثان سماهم توينان وجعلهم من طائفة المانشيان

انتشار النسطورية فى آسيا الوسطى

ومذهب السياح قريب أن طائفة الايوغور نصارى تبعوا ضلالات نسطورس ووافقه على ذلك اليسوعى غوبيل حيث قال ان هذه الطائفة من ابناء النصرانية

قيام مذهب اللاميسم مقام مذهب النسطورية

وكثير من المؤلفين من برهن على ان دين النصرانية انتشر فى بلاد تنغوت والصين وبلاد المغول وان له فى تلك البلاد اناسا لهم عليه غيرة وحمية دينية وان كانوا بين اقوام لهم اديان اخرى متحكمة فى تلك الجهات ومع ذلك فمقتضى ما وصل الينا من الاخبار والمراسلات التى بينت لنا الحالة الراهنة لهذه البلاد أن دين النصرانية لا اثر له فى الجهات المذكورة ماعدا بلاد الصين فان دعاة الكاثوليقية المتأخرين جددوا فيها هذا الدين بخلاف دين اللاميسم اى دين الدلى لما فانه لم يزل باقيا على انتشاره عند اهل تنغوت والمغول و القالوق و بعض ممالك من الهند بل وفى الصين ايضا * قال فيشير ولا مانع من القول بأن دين النسطورية كان فى الواقع قد دخل فى آسيا لعليا من قديم الزمان وانما اصحابه الذين نشروا هذه الهرطقة اى البدعة وكذلك اتباعهم ومن حذا حذوهم لما لم يتمكنوا لبعدهم عن تلك الجهات من مخالطة الجمعيات النصرانية الكاثوليقية انفصلوا بالتدريج عن هذه الجمعيات واعتزلوهم ورفضوا دياناتهم وتفرغوا من ونشئوا للعمل بما كان فى بلادهم من الاوهام والضلالات حتى تجردوا بالكلية عن دين النصرانية فعلى هذا القول الذى يظهر انه صحيح موافق للواقع لا ينبغى لاصحاب مذهب اللاميسم أن يفتخروا بان مذهبهم اقدم من غيره لانه مستنبط من بعض اصول وقواعد دين الشامانسم القديم ومن بعض رسوم تنسب لدين النصرانية الحديث وذلك أن مذهب اللاميسم المذكور اخذ من دين الشامانسم ما يتعلق بمذهب فو من الآراء والمذاهب وكذلك القول بتناسخ الارواح واخذ من دين النصرانية مافيه من الرسوم والشعائر وبالجملة فبين دين اللاميسم ودين النصرانية مشابهة قوية واتحاد كلى

مابين هذا المذهب ودين النصرانية من الاختلاط والاتحاد فى الاصول والرسوم

قال بورنير مانصه ان ما فى بلاد التبت من الرسوم والاحتفالات الدينية مباين بالكلية لما فى بلاد الهند من ذلك حسبما ظهر لى فى هذا الشأن وذلك أن التبت يجتمعون لاجل العبادة فى معابد صغيرة و يرتلون ما يقرؤنه

بالتعاقب بجماعة بعد اخرى على نغم آلات يسمع لها دوى عظيم حتى انى كنت كلما حضرت معهم فى هذه المحافل تذكرت ما كنت اراه واسمعه فى الكنائس الرومانية لما بينهما من المشابهة والمقاربة انتهى والرهبان بهذه البلاد يحلقون رؤسهم وفيها ايضا دور للنساء * وملابس طائفة رهبانهم المسمين جيلون شبيهة بملابس قسوس الفرنج وهذه المشابهات التى حاول بعضهم البرهنة بها فى ابطال دين النصرانية وانه ليس من الوضع الالهى يجب أن تعتبر كلها من آثار مذهب النسطورية

الحكومة المدنية والقسيسية (اى السياسية والدينية)

وكان لبلاد التبت ايضا مشابهة اخرى بروما من حيث انها مكثت مدة يحكمها امراء من الكهنة يقال لهم اتسانبا وكانت دار اقامة اللما مدينة لسا وكان فى القوة والشوكة مثل كبير القسوس فى بابونيا ثم خرج قلموق ايلوت على اميرهم وظفروا به وجردوه عن الحكم والشوكة وضموا ذلك الى اللما فوقع النزاع بين قدماء اللما المعروفين بالحمر واللما الاصفر فظهر هذا الاخير عليهم باعانة الصينيين وفى سنة ١٧٩٢ من الميلاد حين بغى اهل نيبال على التبت وخربوا بلادهم تخريبا فظيعا امد سلطان الصين اللما الاكبر بجيش من عساكره ومن وقتئذ ترتبت فى الطريق منازل عسكرية من العساكر الصينية فمنعت المخالطة والمعاشرة بين اهل بنجالة والتبت فحزن لذلك كل المدن الانكليز وعلماء الجغرافية

وكانت عادة اللما أن ينيب عنه كاهنا يقال له بلغة تلك البلاد تيبا ثم نسخت هذه العادة الآن وصار ينوب عنه اميران حاكم يرسل من الصين يلقب جيونوان * ثم ان قوانين بلاد التبت هى كدينها اشبه شئ بقوانين

الاهالى

الهند وليس هناك تعداد يدل على عدد اهل هذه البلاد وانما ذكر الصينيون أن عدتهم ثلاثة وثلاثون مليونا والظاهر أن هذا العدد فى الواقع يبلغ مقدارهم عشر مرات وان صح ما قيل من أن عدد رجالهم اكثر من عدد نسائهم كان عدد الاهالى آخذا دائما فى النقصان واما عدد عساكرهم فاذا نظرنا الى سهولة تغلب القلموق على بلادهم لزم أن نقول ان نهاية

العساكر

ما يمكنها تجهيزه من العساكر خمسون الفا واما محصولات تلك البلاد فتعرف بالنسبة الى فقراء اهلها

ما للما الاكبر من الشوكة الدينية

وهذا الامير (يعنى اللما الاكبر) وان كان ضعيف الشوكة الدنيوية الا انه على غاية من الاعتبار فى جزء عظيم من آسيا حيث يعتقدون انه نفس الفو او البودا تشكل بشكل بشرى ويقولون أن الروحانية الالهية اذا فارقت جسما انتقلت منه الى آخر فبهذه التشكلات يثبتون صفة البقاء لرئيس دين اللاميسم (وهو اللما المذكور) ويقولون ايضا انه يتصاعد من ذاته وجميع اجزاء بدنه رائحة عنبرية وان الازهار تنبت تحت قدميه واذا اخرج صوته فى ارض قفر على غاية من القحل واليبوسة تفجرت لصوته عيونها ونبعت مياهها بل لا يشك أن ما يتجمع فى مرحاضه من النجو يلتقطه الناس على سبيل التعبد والتبرك فيوزع عليهم فيعلقون اليابس منه فى اعناقهم كالتمائم ويشربون المائع كأنه من اجود المشروبات الطيبة

هل اللما المذكور هو القسيس جوان او حنا الذى تكلم عليه السياحون

ثم ان كثيرا من العلماء ظهر لهم أن هذا الشخص صاحب الاسرار فيه اوصاف تقتضى أنه القسيس حنا او جوان الشهير الذى تكلم على مملكته العلوية التى لا تقبل الفناء الجغرافيون ومؤرخو القرون الوسطى وما استدلوا به على ذلك يدل بظاهره على صحة ما ذهبوا اليه وحاصل ما استدلوا به أن ثلاثة من السياحين وهم قربين و ربروقيس ومرقو بول تكلموا على القسيس المذكور وذهب كل منهم فى ذلك مذهبا فاما قربين فذهب الى انه من ملوك الهند وقال بذلك ايضا ربروقيس وزاد عليه انه جعله رئيسا حاكما على طائفة دينية يقال لها نيمان .وذكر أن هذه الطائفة على دين النصرانية واما مرقو بول فوافق رأيه رأى الراهب الفرنسيسكانى حيث سمى هذا القسيس باسم اونكخان وافاد ايضا انه نصرانى والظاهر أن معنى هذه الكلمة اى اونكخان [illegible] لصين الامير الاكبر ولا يسمى به الا امير من امراء القلموق اشتهر بالفتوحات ولكن لا يمكن أن يصدق عليه شئ مما قيل فى شأن القسيس حنا المسمى بالفرنساوية بريترجان وبالطليانية بريت جنى ولا شك أن هذا الاسم الذى اخترعه السياحون بمدلوله الطليانى او الفرنساوى كان الواجب تفسيره بلغة من اللغات المشرقية والظاهر أن اقرب ما قيل فى مأخذ هذه الكلمة من الاصول المتوهمة هو ما قاله [illegible] من أن تلك الكلمة اصلها من اللغة الهندية ثم حرفت [illegible] برستيغان او برستغيانى او برستهيانى ومعنى [illegible] حامل الوقائع وناشر الاخبار لعموم الناس اى حو [illegible] مرسل لكافة الناس

هل هو من خلفاء بطارقة النسطورية

ولا يخفى أن بطارقة النسطورية تلقبوا بلقب القاثوليقية او الاوكومنيقية وهو فى المعنى يرجع تقريبا الى اسم بريترجان (اى القسيس حنا) فلو فرضنا حينئذ (وان كان كل انسان له المام بهذا المعنى يمكنه المناقشة فى ذلك) أن دعاة النسطورية الذين ارسلوا الى تلك الجهات دخلوا اولا فى الاقسام العليا من آسيا وتوغلوا فيها لجزنا ذلك

بواسطة تناسب الاسماء ومشابهتها لبعضها الى أن نجعل رئيس هؤلاء الهراطقة اى الطوائف المتشيعة هو الحبر البدا كم على زعمهم الذى نص عليه مرق پول وربروقيس وحيث ان جميع المؤلفين ذكروا أن القسيس حنا المذكور كان هنالك رئيسا على طائفة من النصارى يستنبط من ذلك انه كان بطريقا على دين النسطورية اوانه كان اسقفا من اساقفتهم ومن نواب بطريقهم فسلك مسلكا اعلى من مقامه لبعده عن رئيسه حتى لقبه الناس باللقب الدال على عموم دعوته ولقبوه ايضا بالقاثوليق والاوكومنيق اواطلق هو ذلك على نفسه اطلاقا لم يصادف محلا * واخطأ من اعتقد ان هذا البطريق النسطورى هو نفس اللما الاكبر وانما دين النسطورية لما تعطل فى بلاد الهند آل امره أن اختلط بدين اللاميسم ثم اضمحل وتلاشى بالكلية ومن المعلوم أن القسيس حنا المذكور عرف قبل أن يعرف دلى لما وذلك انه لم يسمع احد ينطق بلفظ اللما ولا بلفظ دلى لما بالاولى فى بلاد المغول اعنى البلاد التى كان فيها للقسيس حنا سلطنتا الدين والسياسة الا فى عهد غايوق خان حفيد جنكيزخان الشهير بالفتوحات واول من تكلم من الافرنج على دلى لما هو الاب اندراده وذكر برنيير أن دلى لما اسم لذات خارقة للعادة لا تعرف حقيقتها حق المعرفة

وقد بقى علينا أن ننبه ايضا على ان مؤلفى الاعصر الماضية الذين جالوا فى ميدان البحث على النسطورية والقسيس حنا لم يتعرضوا لذكر رئيس دين الدلى لما ولم يذكروا فى شأنه شيأ بل من المشاهد انه بمجرد ظهور هذا الرئيس واشتهاره طرح اسم القسيس حنا المذكور فى زوايا النسيان عند المغول والتبت فان قلت ماذا ينهم من هذا كله وما نتيجته قلنا هو وجود بطريق عام الدعوة انجذبت له القلوب واشتهر شهرة عظيمة باسم غريب بل الظاهر انه اشتهر ايضا بلقبه الخاص به وترجم الى لسان آخر فاذن لا مانع من أن كلا من لفظ القسيس حنا ولفظ دلى لما مسماهما واحد وموصوفهما واحد ولكن حيث ان ربروقيس ومرق پول جعلا مملكة القسيس حنا فى الطريق التى سلكاها وهى بلاد المغول البعيدة عن التبت فالاوفق بالطبيعة ان يقال ان هذا الرئيس الدينى ليس الا ذا حادثة وقتية يعنى انه بطريق نسطورى اكتسب بمعارفه الاحترام والتعظيم حتى استولى على قلوب قبيلة من قبائل المغول وبقية ما قيل فيه انما هى ناشئة عن الشهرة التى هى مطية المبالغة والى هنا انتهى الجزء الثالث من الجغرافية العمومية للمؤلف ملطبرون ويليه الجزء الرابع

نتيجة ما ذكر